

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١)

رَبِّ اغْنِ وَأَعْنِ

①

الحمد لله الذي تعطف رداء الكبرياء، واتصف بقيومية الملك في الأرض والسماء . تنكص على أعقابها دون إدراك مبادئ جلاله نواقب الأفهام ، وتستعز في أذيال الحيرة في مضامير كلاله سوابق (٥) الأوهام . الجبار الذي خفضت الملوك لعظمته طواع الأحداق ، وطأطأت الصناديد لعزته سواف الأعناق . القهار الذي ترد لدى أمره هواجم السيول في صلب البطحاء ، وتزوى لهيبته متضايقة أرجاء البسيطة الفيحاء . سرادفات آلائه تمتد الأطناب على الدوام ، لا يقوضها تساخ الليالي والأيام . فسبحانه من سلطان لا تتخلل هضبات اعتلائه ، ولا تتزلزل قواعد كبريائه . مالك الملك يؤق الملك من يشاء ، ويتزع الملك ممن يشاء . خلق السبع الشداد (٦) ، وشحن أطباقها بأرصاد النجوم ، وأشرع دون حماها في محور الشياطين أسنة الرجوم . وخلق الأرض مهادا للدهماء ، وفراشا للعالم المعرض للسعادة والشقاء . وبرأ البرايا صنوفا وضروبا ، وجعلهم قبائل وشعوبا ، ورفع بعضهم فوق بعض درجات . ولم يزل يستخلف في كل قرن من القرون الماضية ، وكل أمة من الأمم السالفة ، رعاية للأمور ، وسياسة للجمهور ، من ينتخبه من خلقه ، ويختصه بإلهامه ، فيسطر يده في ممالكه ، ويعمله ظله في أرضه على خلائقه . فإذا قضى على أيامه بالانقضاء ، وعلى أمده بالانتهاء ، ورث آخر أرضه ودياره ، واستخدم له أشياءه وأنصاره . وابتعث فيهم الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين بالدلالات الواضحة ، والعلامات اللائحة ، والمعجزات الساطعة ، والبينات اللامعة . ليهدهم إلى المنهج القويم ، والصراط المستقيم ، ويدلوهم على مافيه صلاحهم ونجاتهم ، وبه يطيب عيالهم ومآلهم . حتى انتهت

- (١) ك ط : وبه نستعين . (٢) ك ط : قيومة . (٣) ك : سوابق . (٤) ك : ذلال .
(٥) ك : نواقب . (٦) ك : لهيبته . (٧) ك : ملك . (٨) ط : يخلل .
(٩) ك : الطباق .

نوبة الرسالة الى سيدنا محمد النبي الماعب ، المختص بأفضل المناقب ، الفارع هضبات المآثر، الناشر رايات المفانر، سليل الذبيحين ونجل العوانك ، الذى استخرجه من أشرف العناصر وأكرم المحاند ، وغذاه بلبان التزليل ، وأيده بمصمة الوحي الجليل ؛ فنسخ جميع الشرائع بشريعته الطاهرة^(١) ، ورفع سائر الملل بملته الزاهرة . ولم تزل تبشير صبح جلالته طالعة ، وأشعة شمس رسالته لامعة ، حتى ملأت طلاع^(٢) البسيطة بأهرة الأنوار، وطبقت أكثاف العالم ساطعة الآثار . فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه مصابيح الدين ، ومفاتيح اليقين ، ودرارى أفلاك السيادة ، وجرائم أشجار السعادة ، صلاة تكون أمدادها بآماد الأبد معقودة ، وظلالها على أرواحهم المطهرة ممدودة .

ثم إنا نحمد الله الذى شيد مباني الشريعة ، ومهد قواعد الاسلام ، بمكان مولانا السلطان الملك المعظم شرف الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسالمين ملك^(٣) الملوك والسلاطين أبى الفتح عيسى بن^(٤) الملك العادل أبى بكر بن أيوب . حين ذلل له نواصى العباد، وملكه سره العالم وصفوة البلاد . وقضى لأوليائه بالعرز الأقدس، والطرف الأشوس . وحكم لأعدائه بالذل اللازم، والمعطس الراغم . وأيد عزائمهم بأمداد الفتح الممين، وشيع ألويتهم بجنود النصر والتمكين . فهو بأمر الله قائم أثناء الليل وأطراف النهار ، ملظ بالمراطة والمجاهدة فى ثنور الاسلام . متجرد كالسيف الجراز فى حز مفاصل الشرك، متبلج كالصباح الباهر فى رفع ظلام نحل الإفك . لم يسمع براية للكفر مرفوعة إلا بأدورها بالتكيس والتعفير فى تراب الإتعاس والتحقير . ولم يحس بنار موقدة للظلم إلا أطال عليها باع الإطفاء، وسلط عليها يد الإتحاد . هذا مع ماخصه الله به من الفضائل الباهرة، والعلوم الزاهرة، التى تجر فى فتونها وأنواعها، وتملك أعتنا رافعا منارها كالنار على يفاعها . فهو ابن جلالها وطلاع شايها، والمستبد من أقسامها بمرباعها وصفاياها . حتى صارت أيامه مواسم تجلب اليها بضائع العلوم والآداب من كل مرعى صحيح ، وتضرب اليها أكباد المعطى من كل فج عميق . فلا زالت أنوار دولته ساطعة ، ومجاديع كرمه جامعة ، ووجوه مواليه بنضارة الإقبال موردة ، وخدود أعاليه بقر الإديار مربدة، ما كان الخير معقودا بنواصى الخليل، وتعاقب شقراء النهار ودهماء الليل .

(١) كـو : الطاهرة . (٢) كـو : تلاح . (٣) كـو : « ملك ملوك العرب والعجم » بدل « ملك الملوك والسلاطين » . (٤) كـو : السلطان الملك . (٥) طـا : الله تعالى .

نعم ولما جذبت السعادة بضبعي، وطمحت بطرفي، ووطئت بساط مملكته القسيحة، وأذيت من سذته العالية مكتحلا بترابها الذي هو ذرور أعين الإقبال، وعير مفرق الحلال، وتشرفت بالمثل في حضرة مالك الرق — خلد الله سلطانه — متخرطا في سلك زمرة الإخلاص، ومنضما الى جملة المتادين بصدق الدماء في تلك العراض، قدمت برسم الخدمة لخزانة آدابه — لا زالت معمورة ببقائه — الكتاب الموسوم بشاه نامه الذي عني بنقله الأمير الحكيم أبو القاسم منصور بن الحسن الفردوسي الطوسي، مطرزا ديباجته بذكر السلطان السعيد أبي القاسم محمود بن سبكتكين — رضى الله عنه — ذا كرا فيه ملوك الفرس وتوارىخ أيامهم، وشارحا فيه مقاماتهم الماثورة، ووقائعهم المشهورة، مع وصف سيرهم الحميدة، وخلالهم السديدة، في إفاضة العدل والإحسان، وإشاعة الأمن والأمان، وصرف العناية الى عمارة العالم، وإسباغ ظلال الرأفة والرحمة على كافة الأنام . فوقع من همة العالية موقع القبول . لكنه رأى الكتاب مع ما تضمنته أطباقه من عجائب تصاريق الأدوار، وبدائع تأثيرات الأطوار، والحكم التي تفتح بها عيون البصائر، والعبر التي تتقوى بها أعضاد التجارب، قد استبدت العجم بفوائده، وتوشحوا بقلائده، وتخصصوا باستماع حكاياته وأقاصيصه، واستأثروا بالاستمتاع بحكمه وأعاجيبه . فاشربت همة الجؤالة في سماء المكالم وعزيمته الوقادة في انتهاز فرص المآثر الى أن تعم فوائده، وتكثر منافعه وعوائده . فأمر مملوكه وضيعته الفتح بن علي بن محمد بن الفتح البنداري الأصهباني أن يترجمه فيجل حكاياته المنظومة ويترع عن معاطفها أطمار اللغات العجمية، وبفيض عليها فضفاض وشائع الألفاظ العربية، ويكسوها رونق اللسان الذي هو أشرف الأسن، المنزل به أفضل الكتب، والمتناطق به خير البشر وخلصان الأئم، والمتخاطب به أهل السعادة في قرارة المنى . فتصدى المملوك لما ندب له امتثالا لأوامر العالية ترتعد فرائص بيانه وبنانه، وترجف أحشاء يراعه ولسانه . لأن هذه الحضرة — لا زالت بسطة جلالها محمية من دواعي الانقباض، ومعاهد دولتها محروسة عن يد الانتقاض — مجتمع قروم البراعة ومعزز فحول الصناعة، الذين اذا هدرت شقاشق أفلامهم، وجاشت بحار خواطرمهم وأفهامهم، تلقعت فصحاء العرب يجلابيب الحياء، وتسربلوا لباس انجبل متقمعين بين القبائل والأحياء . فكيف يضم دهمته

الكالحة الى غرورهم اللامحة، وجمولهم الواضحة، من يرتضخ لكنة عجمية، تبو عنها الطباع، وتمجها
 الأسماع؟ وكيف يستطيع ابن اللبون صولة البزل القناعيس، وأنى ييغم الحشف الفرير عند زئير
 الأسد وسط الخيس؟ لكنه أمل من أنوار السعادة السلطانية التي اذا التفتت بعين العناية الى الهباء
 الخافية كستها بهور الشمس البازغة . وتوقع من العواطف الشاملة التي اذا اشتملت على القذاة
 الخاسئة أطالت باعها على مناكب الجبال الشامخة — أن يكسو معاطف هذه الترجمة خلع الارتضاء،
 ويتوه بذكرها بحسن الإصغاء . ويورد صفحات صحائفها بأنوار القبول والإقبال، ويعديها شرف^(١)
 الكمال وبهاء الجلال . فلذلك ما أقدم المملوك على نقل الكتاب غير نازل في عبارته الى حضيض
 الإسفاف ، ولا صاعد الى ذروة التكلف والاعتساف ، متجكا عن تلفيق الأسجاع التي تستهجنها
 القرائع الصافية والأذهان الزاكية . مستعينا بالله عز وجل ومبتلها اليه أن يمدّه بالتوفيق ويؤيده
 بالتسديد . وهو على ذلك قدير وبالإجابة جدير .

(١) ك : ينفذها .

فاتحة الكتاب^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

باسم رب الروح والعقل الذى لا مجال للفكر فوق علائه، رب الاسم والمكان، المقيت ومرسل الهداة بنعائهم، رب كيوان والفلك الدوار، ومنير الشمس والزهرة والقمر السيار . المتعالى عن الأسماء والسمات والأوهام، الخالق فى السماء عوالى الاجرام . لا تدركه الأبصار فلا تجهد عينك^(٢)، ولا يحذه الاسم والمكان فإذا يجدى الفكر عليك ؟ إن يعد الروح والعقل هذه الجواهر، فكلاهما فى الطريق اليه حائر . وإن تغير الفكر الكلام فقصاراه أن يصف ما يراه . لا سبيل الى الشئ عليه فى حقيقته، وإنما واجبك أن تشمر لعبادته . هو للعقل والروح قائم، فكيف يحيط به الفكر الجاهل ؟ لن تدركه برأيك هذا وعدتك، وإن شققت على روحك وعقلك . حسبك أن تقر بوجود الديان، وأن تكف عن هذا الهذيان، وأن تعبد وتستهديه، وتطيع أوامره ونواهيه . من عرف فقد قدر، وبالمعرفة يشب القلب اذا هتر . ليس للكلام وراء هذا الخجاب مجال، وسمى الفكر لإدراكه خيال محال .

مقال فى مدح العقل

هنا أيها العاقل يتسع فى وصف العقل مجال الواصفين، فحدث بما تعرف واشرح صدور السامعين . العقل أحسن نعم الله عليك، غير أعمالك أن تحدث بما يسدى اليك . العقل يهديك ويشرح صدرك، وياخذ بيدك فى الدارين فيستدك . منه لذتك وأملك، وربحك وخسارتك . وإذا حرم العقل النور حرم العاقل كل سرور . كذلك قال الكيس العاقل الذى يتروّد من نصائحه العالم : "من لم يجعل العقل إمامه، كانت أعماله آلامه . وهو مجنون عند العقلاء، وغريب بين الأقرباء" . بالعقل تسعد كل حين، ومن حرم العقل فهو فى الإسار رهين . العقل عين الروح حين

(١) مقدّمة نظمها الفردوسى لكاتبه وحذفها المترجم قرجتها وأثبتها هنا . وقد حرصت على أن تكون الترجمة صورة

الأصل مقربا على قدر الطاقة من الأسلوب العربى . (٢) هكذا فى الأصل . وقد ترجمتها ورز (warner)

«رب كل سمي وكل ما حل فى مكان» . وترجمها مول (mohl) «رب المجد والعالم» . (٣) أنظر المقدّمة فى تهمة

الفردوسى بالاعتزال .

تتظر، فكيف بدونه تورد في الحياة وتصدر؟ العقل فاعلم أول الخلق، وهو المهيمن على الروح بالحق . فاحمد العقل بلسانك وأذتك وعينيك ، فهو سبيل الخير والشر اليك . من ذا الذى يوفى الروح والعقل الثناء ؟ وإن أنا أثبتت فمن يستطيع الإصغاء ؟ ما جدوى الكلام ولا انسان أيها الحكيم ؟ أقصر وخبرنا كيف كان الخلق القديم : أنت صنع خالق العالم ، تعرف ما خفى وما علن . اجعل العقل مشريك على الدهور، وتجنب به سفايف الأمور . وتنبع في كل مكان أقوال العلماء، ثم طوف الآفاق وبها الخاصة والدهاء^(٢) . وإذا سقط اليك حديث من العرفان، فلا تم عنه ساعة من الزمان . وإذا أبصرت «فرعا» من البيان، فاعلم أن «جذر» المعرفة لا يتاله انسان .

مقال في خلق العالم

لا بد أن تعرف بادئ بدء أصل الجواهر : قد خلق الله شيئا من غير شيء لتجلى قدرته . ثم خلق منه أربعة عناصر لم يسمه نصب ولم يحتج إلى زمن . بدأ بالنار المضيفة العالية ، ثم جعل الماء والهواء وسطا بينها وبين التراب المظلم . اضطربت النار فظهر اليبس من حرها، وفثأت الحرارة فكان البرد، ومن البرد نشأت الرطوبة . فلما خلقت عناصر هذا العالم الفاني عمل بعضها في بعض فظهرت الأنواع كلها : ظهرت هذه القبة سريعة الدوران تبدى كل يوم من عجائبها ، ووكلت السبعة بالاثني عشر^(٤) . وأخذ كل مكانه المقدر . وبدأت القسمة والمطاء فأعطى (الخالق) كما يحدر بالعالم^(٥) . وخلقت الأفلاك طباقا، وتحركت حين اتسقت . وظهرت الأرض وبحارها وأوديتها ورباها كالمصباح المضيء . وارتفعت الجبال، وسالت المياه، ونما النبات . ولم تقدر الرفعة لهذه الأرض فكانت مركزا أسود مظلما . وظهرت النجوم فوق في عجائبها، وانتشر الضياء على الأرض . وصعدت النار، وهبط الماء . ودارت الشمس حول الأرض . ونبت العشب وأنواع الشجر، وقدر لها أن تتمو صاعدة ليس في طبعها إلا النمو؛ لا تستطيع أن تنتشر على الأرض كالحيوان . ثم ظهر الحيوان فسيطر على النبات كله، ودأب يطلب الطعام والسلامة والنوم . يتمتع بهذه الحياة، ليس له لسان

(١) ويحتمل «فهي» . (٢) يحتمل أن يكون المعنى «وتليس طريقتك بأقوال العلماء، وطوف الآفاق وحلت كل انسان» . (٣) في الأصل أن المرة لا تبلغ الجذر يعنى أنها لا تقهى . (٤) سبعة الكواكب السيارة والاثني عشر رجا . يقول المعزى في الزوميات جسد من أربع تلتظها سبعة راتبة في اثني عشر . (٥) في الأصل دور بخشش وداد آدم يد يد به بخشيد داندته راجون مز يد . ترجمها ورز (warner) « مقدرة الخير والشر ومعطية أنصبة عادلة لكل من قدر على القراءة» ولا أدري من أى أصل ترجمها . وترجمها مول (mohl) «وظهر الحظ والقضاء ومنعها السعادة لمن يفهمها» .

ناطق ولا عقل مفكر، وانما هم أن يربى جسمه بما وجد، لا يعرف الخير ولا الشر في العواقب، ولا يكلفه الخالق عبادة . إنه العالم القادر العادل فما أخفى فضلا . ذلك ولا يعلم أحد عقبي العالم سرا أو علانية .

مقال في خلق الانسان

ثم ظهر الانسان فكان مفتاحا لهذه الأغلاق . خلق على الرأس غير ذى عوج كأنه سرو سامق، ذا منطلق حسن وعقل يصرف الأمور، مزودا بالحكمة والرأى السديد والذكاء خفضت لأمره البهائم . فكر قليلا ! كيف يكون الانسان ذا معنى واحد ؟ كأنك تظن الانسان هذه الصورة الحفيرة ولا تعرف فيه أثرا وراء هذا ! إنك أنشئت من العالمين فكنت وسطا بينهما . أنت الأول في الخلق وان جئت آخر . فلا تستهتر باللهو واللعب . وقد سمعت من بعض العلماء غير هذا، وماذا نعرف نحن من أسرار خالق العالم ؟

انظر في عاقبة أمرك : "وان تنازع في نفسك أمران فاختر أحسنهما . ورض نفسك على المشاق بفخير حمل المشاق في سبيل العلم . وإن ترد السلامة من كل شروأن تجو بنفسك من حباله البلاء، وأن تخلص من السوء في الدارين، وأن يرضى الخالق أعمالك"^(١) . فتأمل هذا الفلك الدوار الذى هو مصدر الداء والدواء ، ذلك الفلك الذى لا يليه تعاقب الزمان ، ولا ينال منه التعب والنصب، ولا تنبيه الحركة ولا يمسح كما يمسنا العطب . فمنه الزيادة والكثرة، وعنده يظهر الخير والشر .

مقال في خلق الشمس

الفلك من ياقوت أحمر ليس من الهواء والماء والتراب والدخان . وقد تبدى في زينته ونوره كبستان يوم النوروز . يجرى فيه جوهر يملأ الصدور سرورا ، يمد النهار بالضياء، يرفع رأسه المضىء كل صباح من المشرق كأنه ترس من ذهب، فيكسو الأرض أثوابا من النور، ويبدل العالم من ظلامه ضياء . فإذا مال للغروب بدت رأس الليل المظلم في الشرق . هكذا دواليك لا يدرك أحدهما الآخر، وذلك أقوم نظام . أيها الذى هو شمس كل حين ما بالك لا تشرق على قط ؟^(٢)

(١) ما بين القوسين ليس في نسخة تبريز في هذا الموضع . (٢) يكثر في شعر العرس ذكر البهاء وأغداها وقد أفتوا في نعمها وأكثرها من أمثالها، ولعل هذا أثر الدين الأرى القديم . (٣) هذا البيت الأخير في النسخ التي بيدي وفي التراجم ولست أدري من يحتاج به .

مقال في خلق القمر

مصباح أعد لليل المظلم — احذر ما استطعت أن تفضل في ظلمات الشر — يخفى يومين وليتين كأن الدوران قد أبلاه . ثم يترامى عمقوفا مصغرا كالإنسان وله العشق . ولا يكاد البصر يدركه من بعيد حتى محتجب . وفي الليلة التالية يزداد ظهورا فيزيدك نورا . حتى يكمل في أسبوعين فيعود سيرته الأولى ؛ يزيد نحولا على مر الأيام ، واقترابا من الشمس المنيرة . كذلك أعطاه الخالق خلقه ، فطرة لا يزالها ما بقى .

مدح النبي صلى الله عليه وسلم

لا ريب أن في العلم والدين نجاتك ، فتح ما استطعت سبيل النجاة . وإن ترد ألا يمرض قلبك ، وألا تتحادي في سكرتك . فاهتد بقول الرسول الى سبيل الرشاد ، وطهر من الأرجاس قلبك بهذا الماء . قال صاحب التتريل والوحي ، ورب الأمر والنهي : ” أن الشمس لم تطلع على خير من أبي بكر بعد الرسل الكرام “ . وقد أظهر الاسلام عمر ، وصير العالم بكنات الربيع . والمختار بعد هذين عثمان الحلي الثقي^(١) . والرابع على زوج البتول ، الذي أحسن الثناء عليه الرسول . إذ قال : ” أنا مدينة العلم وعلى بابها “ . وحق انه لقول الرسول . أشهد بهذا كأنما تسمعه الآن أذناي . كذلك على والآخرون الذين اشتد بهم أزر الدين . ولقد كان الأصحاب أقدارا إذ كان الشمس سيد المرسلين ، إنما الطريقة المثل ألا تفرق بينهم أجمعين .

إني عبد أهل بيت النبي ، ومادح تراب قدم الوصي . لست أبالي ما يقول الآخرون ، وليس لي في القول مذهب غير هذا . إن الحكيم يرى هذه الدنيا بحرا ثارت بموجه ريح عاصف ، فيه سبعون سفينة قد نشرت شرعها ، بينهن سفينة كالعروس ، مجلوة في زيتنا كعين الديك . وفيها محمد وعلى وأهل بيت النبي والوصي . والعاقل حين يبصر على بعد هذا البحر الذي لا يدرك غوره ، ولا يرى شاطئه ، يوقن أنه سيموج فلا يجبو من الفرق أحد ، فيقول في نفسه ان غرقت مع النبي والوصي فقد ظفرت بصاحبين وفيين ، وكان لي نصيرا صاحب اللواء والتاج والسرير ، صاحب الأنهار من النجر والشهد ، والينابيع من اللبن والماء المعين . فان كنت ترجو الدار الآخرة فتبوا مكانك عند النبي والوصي . فان أصابك من هذا شرفا ثمه على . ذلك مذهبي وطريقتي . عليه ولدت وعليه أموت ، وما أنا إلا تراب قدم حيدر . إذا ابتنى قلبك الإثم فهو عدوك ولن يعادى عليا إلا زعيم أعد^(٢)

(١) مدح الخلفاء الثلاثة غير مذكور في ترجمة وذر (Warner) (٢) حيدر على بن أبي طالب .

الخالق له عذاب الجحيم . ومن أظلم من يسربض على ؟ حذار أن تتخذ الدنيا لعباً وأن تنقلب
عن الرفقة الميامين . ان السعادة تواتيك حين تصحب الذين سعدوا . حتام أرسل القول في هذا
الباب ولست أعرف للقول منتهى ؟

مقال في جمع "شاهنامه"

لم يذر المتقدمون لناخر ما يقول . فقصاراى أن أعيد بعض الحديث . مهما أقل فقد قيل
من قبل ، ما تركت ثمرة في حديقة المعرفة . ولكن إن تقعد بي همتى دون أن أتبوا مكانا على الشجرة
الفيئانة فمن يأوالى دوحه عظيمة لا يعدم في ظلها ماوى . ولعل أنال مكانا في أفنان هذا السرو المظل
حين أترك ذكرا على الدهر بهذا الكتاب "كتاب عظماء الملوك" . لا تحسبته حديث كذب وخرافة ،
ولا تحسبن الزمان يسير على نسق واحد . ان العاقل ينتفع بما فيه كله ولو حسبه رمزا وتمثيلا .

كان من آثار الغابرين كتاب مملوء بالقصص ، تقسمته أبدي الموابدة^(١) ، وحرص كل عاقل على
قبيلة منه . وكان من نسل الدهاقين بطل عاقل ذكى جواد ، يتجوزى آثار الأولين ، ويتتبع قصص
الماضين . فدعا اليه كل موبذ حنكته السنين ، قد وعى أنارة من هذا الكتاب ، وسألم عن أنساب
الملوك والأبطال النابيين ، وكيف صرفوا أمور العالم من قبل ثم خلّوه لنا صاغرين ؟ وكيف مهد لهم
الجد فلكوا الأيام بآثارهم ؟ فقص عليه هؤلاء الكبراء قصص الملوك ، وأخبروه عن غير الزمان .
فلما سمع منهم شرع يؤلف من ذلك كتابا عظيما ، فترك ذكر ذايعا في الآخرين ، وأثنى عليه الأكابر
والأصاغر أجمعين .

قصة الدقيق الشاعر

فلما قرئت هذه القصص على الناس أعارتها الدنيا سمعها وقلها ، وأولع بها العقلاء والحكماء ؛
حتى ظهر قتي فصيح اللسان ، حسن البيان ، ذكى الفؤاد . فقال سأظم هذا الكتاب ففرح الناس به
أى فرح . ولكن سوء الخلق كان خدن شابه . فكان يقطع أوقاته بالبطالة وصحبة الأشرار ، حتى
بقتة الموت فتزوجه بتاجه الأسود . لقد سلط الخلق الدميم على الروح الجميل ، وما نم يوما بالحياة .
ثم انقلب به جذه فقتله أحد عبيده . نظم ألف بيت عن كُشتاسب وأرجاسب ثم انتهى عمره^(٢)
فذهب والكتاب لم ينظم . وكذلك أقل نجه السعيد . اغفر اللهم ذنبه . وارفع يوم الحشر درجته .

(١) جمع موبذ وهو القيم على الدين . أنظر المقدمة . (٢) جمع دهبقان ، وهو مزب دهبكان أعنى صاحب
مزبقة . أنظر المقدمة . (٣) ويحتمل أن يكون المعنى خلفوه لا حقرا . (٤) هذه الجملة في نسخة تبريز
وليس في ترجمة دوز ولا مول . (٥) في الأصل : نام بجته اليقظان . وهي عبارة فارسية شائعة .

مقال في بدء الكتاب^(١)

فلما يئس قلبي منه (الدقيق) توجه تلقاء ملك العالم لعل أظفر بهذا الكتاب فأنظمه . ساءلت
 أنا ما لا يحصيهم العد وأنا أوجس خيفة من غير الزمان ، وأخشى ألا تمتد بي الحياة فأتركه لغيري .
 ثم مالى لم يكن ذا وفاء . ولا أجد من يشتري مني هذا العناء . وكان الزمان يرجف بالطنن والضراب ،
 والعالم ضيق المجال على الطلاب . غبرت على هذا برهة أكم منيتي في نفسي ، ولا أرى من أفضى
 إليه بذات صدرى . ماذا في العالم خير من الكلام البديع الذى يهوى إليه فؤاد الرفيع والوضيع ؟
 لولا الكلم الطيب من رب العالمين ، ما كان هاديتنا سيد المرسلين . وكان في المدينة صديق لى كآنى
 وإياه نفس واحدة . فقال : "لقد هديت للرشاد ، وسارت قدمك في سبيل السداد . أنا كفيل بهذا
 الكتاب الفهلوى فطعمك لا تنام عنه . فانت فصيح اللسان غرض العمر جدير أن تقص من أنباء
 الأبطال . فاقصص كتاب الملوك كرة أخرى . وإني المكانة عند العظماء بهذه الذكرى" . فلما أحضر
 الى هذا الكتاب ، أضاعت روى المظلمة الجناح^(٢) .

في مدح أبى منصور محمد^(٣)

فلما ظفرت بهذا الكتاب أتيت لى أحد الكبراء : فتي من ذرية الأبطال ، عاقل حازم ذكى
 سديد رأى ، شديد الحياء ، فصيح المنطق ، حلوا الحديث . قال : ماذا أفعل ليفرغ بالك للنظم ؟
 سأواسيك بما تملك يداى ، ولا أفضى الى أحد بحاجتك . فلبثت في كنفه كالتفاحة الغضفة
 يحاذر أن يسنى من الرياح ضر . ومموت من التراب الى كيوان بسعى هذا الفاضل الخير النابه ،
 الذى يستوى في يده الذهب والفضة والتراب . وقد أصاب فيه المجد أحسن زينة ورواء . جواد
 وفى يحترق الدنيا وما فيها . فواحسرتا أن يفتقد مثل هذا الرجل النابه كما يفتقد في الحديقة السرو^(٤)
 الباسق . لست أجد أثرا منه حيا أو ميتا . اغتالته أيدي التماسيح السفاكة الدماء . فوا أسفا
 على هذا الشطاط العالى ووا أسفا على هذه الطلعة الملوكة . لقد انقبض قلبي وملكه اليأس ، ورجفت
 روى كالقصبه في مهب الريح .

(١) هذا العنوان ليس في نسخة تيريز . (٢) العبارة مهمة ولست أدري من يريد . (٣) يكثر في الشاه .
 التعبير بنظام القلب والروح ونورهما وكأنه من آثار دين زردشت . (٤) أنظر المقدمة . (٥) السرو عند
 الفرس مثال حسن القدر واستقامته وطوله .

أذكر نصيحة منه تعدل بي الى سواء الطريق . قال لي إذا يسر الله لك هذا كتاب الملوك فاهده الى الملوك . قد اطمأن قلبي الى قوله وأنشرح صدرى لرأيه . قدّمت هذا الكتاب لملك الملوك الأصيل ، رب التاج ورب التخت ، ملك العالم المظفر السعيد .

في مدح السلطان محمود^(١)

ما عرف الناس مثل هذا الملك مذ خلق الله العالم . لقد لاح تاجه على العرش فازدانت الأرض كأنها قطعة من العاج وضامة . كلا لا تجعل الشمس المضيئة مثلاً له ، فأبو القاسم الملك المظفر قد وضع على تاج الشمس عرشه ، فأشرقت الأرض من المشرق الى المغرب ، وفتحت كنوزها لمجده . وقد طلع نجمي به وكان غارباً ، وفاض معين الفكر وكان ناضباً . وقد علمت أن وقت القول قد حان ، وأن قد تجدد بعد أن بلى الزمان .

رقدت ليلة وقلبي بملك الأرض مشغول ، وفي بالثناء عليه معسول . وكان قلبي نور الليل البهيم ، قد انطبقت الشفتان وهو مفتوح سليم . فرأت روى المنيرة في المنام أن شمعة لألاءة ظهرت من الماء ، فانجابت الظلماء ، وصارت الأرض بضوئها كالياقوتة الصفراء . وبرزت الصحراء كالدياج . ونصب عرش من الفيروزج لملك كالقمر يزينة التاج . اصطف الجند مبلين عن يمينه ، وسبعائة فيل هائل عن يساره . ووقف أمامه وزير^(٢) تقي يرشده الى الدين والعدل . فشدهني جلال الملك وهول هذا الجيش وهذه الأفيال . ولما ملا^(٣) عيني ذلك الوجه الملكي سألت هؤلاء الكبراء : أفلك وقر منير أم تاج وسرير ؟ ونجوم ما أمامه أم جنود ؟ قال قائل : " هذا ملك لزوم والهند ، وما بين قنوج الى بحر الهند . كل من في ايران وتوران له عبيد ، يحيون بأمره ورأيه السديد . قد زين الأرض بعدله ، فحق له أن يضع التاج على رأسه . ملك العالم « محمود » ذو العزة القعساء الذي جمع بين الذئب والحمل على موارد الماء . وأجمعت على إعظامه الملوك من كشمير الى بحر الصين . وأقول ما ينطق به الطفل الرضيع « محمود » ذلك الاسم الرفيع . فأشد كذلك بذكره فأنت مبين ، تطلب به الذكر الخالد في الآخرين . لا يستطيع أحد أن يخالف أمره ، أو يفوت قهره " .

فلما استيقظت وثبت من مرقدى غير حافل بظلام الليل ، فأنشيت على هذا الملك الجليل . وأعزوني من المال نثار ، فثرت روى بدل الدرهم والدينار . وقلت لنفسي : " هذه رؤيا لها تعبيرها على الأيام ، فان صيته ذائع في الآفام " فسلام على من يثني على هذا الجلد السعيد ، والخاتم والتاج

(١) محمود بن سبكتكين الترمزي (انظر المقدمة) . (٢) في الأصل دستور (انظر المقدمة) .

المجيد . لقد صارت الدنيا بجلاله بكنات الربيع ، فهوائها محباب وأرضها من الأزهار في ترصيع .
 نزل الغيث في حينه من السماء ، فأضحت الأرض بكنة إرم الغناء . كل خير في إيران فقد أفاضته
 يده ، وحيثما رأيت أنسانا فهو مؤيده . هو سماء مغيشة في المآذب ، وفي الهيجا شين حديد
 الخالب^(١) . تتمثل في جسمه صولة الفيل ، وفي روحه علم جبريل ، وفي كفه مطر الربيع ، وفي قلبه
 نهر النيل . يذل عدائه لسطوته ، كما يذل الدينار في همته . لا يفزه السلطان والنشب ، ولا يضيق
 صدره بالحرب والنصب . وكل من ربهم نعمته من الأحرار ، أو عبيده الأخيار ، قد أخلصوا
 له القلوب ، وشمروا في طاعته لقراع الخطوب . أملاك على الأمصار ، مخلدة أسماؤهم في الأسفار .
 وأول أولئك أخوه الصغير ، الذي ليس له في الرجولة نظير . من يخلص العبودية «لنصر»^(٢) ، يمش
 سعيدا في ظل ملك العصر . ومن نماه «ناصر الدين»^(٣) الى العلياء ، يضع عرشه على مفرق الجوزاء .
 هو رب الفضل والشجاعة والرأى المتين ، وقرة عين الكبراء أجمعين . ثم أمير طوس الباسل ، الذي
 يهزأ في الهيجا بالأسد الصائل . والذي يهب كل ما يصيب من الزمان ، ولا يبغى إلا الحمد على الأيام .
 والذي يهدى الخلق الى الديان ، ويجهد ليسلم الملك من الحدثنان . لا أخل الله العالم من الملك وتاجه ،
 والله يخلده في سروره وإبتهاجه . سالما في بدنه ، ممتعا بتاجه وعرشه ، آمنا من النم والحزن ، مظفرا
 على مر الزمن .

الآن أرجع الى فاتحة العمل — الى كتاب الملوك العظام .

(١) في الشعر العارسي يكثر الجمع بين المأذبة (بزم) والهيجا (وزم) وأحسب ذلك من تقارب القفلين . (٢) نصر آخر
 السلطان محمود . (٣) ناصر الدين سبككين والده محمود .

ورزقه الله تعالى ابنا كان يسمى سيامك يرى الدنيا بعينه، ويربّه بين محرمه ونحره . فلما ترعرع واستكمل أسباب السلطنة ظهر له عدو من الجن يرصده بالفوائل قاصدا إهلاكه . فأرسل الله تعالى

١ - كيومرت

وهو في الأستق "كيا" أو "كيامرت" وهو الانسان الأول، أول من عبد أهرمزدا والذي نسلت منه الأئمة الآرية . "تعبد روح كيامرت أول من أصفى لفكر أهرمزدا وتعليمه الذى صور منه أهرمزدا أصل الأئمة الآرية - بذر الأئمة الآرية"^(١) .

وفى بُدْهَش^(٢)، أن هرمزدا خلق شيئين هما أصل الانسان وأصل الحيوان والنبات . وذلك كيومرت والثور الأول . عاشا سعيدين فى ملك هرمزدا ثلاثة آلاف سنة . ثم ظهر أهرمن فقتلها، بدأ بالثور وبعد ثلاثين سنة قتل كيومرت (وببنى أن نذكر هنا أن مدة ملك كيومرت فى الشاهنامه ثلاثون سنة) . نتج من الثور حين موته أصل الحيوان والنبات، ومن كيومرت حين موته الزوجان الأولان : "ميشا ومشيانه" ومعنى مشيا رجل (مثل آدم) . ففسلا نسلا كان منه سيامك (ابن كيومرت فى الشاهنامه)^(٣) .

وتفصيل هذا فى "الآثار الباقية" فى روايتين :

خلاصة الأولى أن الله أعجب بالعالم فتولد من هذه الفكرة أهرمن . ثم تخير فى أهرمن فرقى جبينه ومسح ذلك ورمى به فكان كيومرت وأرسله الى أهرمن فقهره وركبه وطاف به فى العالم . ثم سأل أهرمن كيومرت ما أبغض الأشياء اليه وأقطعها؟ فأجابته أنه يخاف من جهنم خوفا شديدا . فلما بلغ به جهنم جمع واحتال حتى رماه ثم علاه وسأله من أين يبدأ أكله؟ فقال كيومرت - وهو يعلم أن أهرمن سيخالف قوله - : أبدأ بالرجلين لأنتمج بالنظر الى العالم فيبدأ أهرمن بالرأس . فلما بلغ الصلب قطرت منه قطرتا نطفة على الأرض فبث منها ربيستان تولد منهما "ميشي" و"ميشانه" ويقال لهما أيضا "لمهى" و"لمهيانه" ويسميها مجوس خوارزم "مرد" و"مردانه" .

وخلاصة الرواية الثانية - وهى منقولة من الشاهنامه التى كتبها البلخي الشاعر بعد أن صحح أخباره من ست مؤلفات - أن كيومرت مكث فى الجنة ثلاثة آلاف سنة هى آلاف الحمل =

(١) يست ٢٤ زنداستا لدر ستر (Darmesteter) ج ٢ ص ٢٠٠ و ٣٥٠ (٢) كتاب مهلوى دى

ومعنى بدش "الخلق الأول" . (٣) أظرفا، ج ١ - VIII ترجمتورز (Warner) ج ١ - ١٢٧

(٤) ص ٩٩ ط . ليزك (Leipzig) .

ملكا الى أبيه فأخبره بذلك . فلما أحس سيامك بذلك اغتاظ واستشاط واحتشد لمحاربة عدوه الجنى ،
ولبس جلد الثور ، وأحمر للقاتلة^(١) والملاقاة . فلما قرب منه أنشب الجنى في صدره غالبة ، وشق عن صدر

== والنور والجوزاء . ثم هبط الى الأرض وعاش آمنا مطمئنا ثلاثة آلاف أخرى - آلاف السرطان
والأسد والسنبلة . وكان يعيش في الجبال وقد رزق جمالا لم يره حيوان إلا بهت وغشى عليه . ثم
ظهر الشرع أهرمن وكان له ابن يسمى خزورة^(٢) فتعرض لكيومرت فقتله كيومرت . فظلم
أهرمن الى الله وأراد الله أن يقاصه به حفظا للمهود التي بينهما . فأرى كيومرت عواقب الدنيا
والقيامة حتى اشتاق للوت ثم قتله فقطرت من صلبه قطرتان في جبل دامداز باصطخر ونبت منهما
شجرتا ريباس ظهر عليهما الأعضاء في أول الشهر التاسع وتمت في آخره وتأنستا وهما "ميشي"
و "ميشانه" . ولبتا خمسين سنة ناعمين مستغنيين عن الطعام والشراب . ثم ظهر لهما أهرمن في صورة
شيخ فحملهما على تساول فواكه الأشجار . فأكلا ووقعا في الشرور والبلايا . وظهر فيهما الحرص
حتى أكلأ ولدهما . ثم ألقى الله في قلوبهما رافة . ثم ولدأ ستة أبطن . وكان السابع "سيامك"
و "فراوك" ، وقد تزاجا فولد لهما أوشهنج .

وفي الإشراف والتنبيه للسعودي^(٣) "ميشا" و "ميشاني" و "مهلا" و "مهليته"^(٤) .

وكيومرت عند جمهور مؤرخي الفرس كآدم عند الساميين ، وبعضهم يخيه الى نوح أو آدم^(٥) .
ولا يختلف الفرس أنه أول اسان ملك على الناس . ويلقب "كل شاه" ومعناه ملك الطيين
أو الملك العظيم . ويلقب كذلك "كرشاه" أي ملك الجبل . ويقال أنه أول من تكلم الفارسية ،
وأنه هو ايران الذي ينسب اليه الايرانيون^(٦) ، وأن مقر ملكه كان اصطخر أو دباوند^(٧) . وينسب اليه
بناء مدائن اصطخر و بلخ و دماوند و فيروزان . وقد عاش ألف سنة ملك منها أربعين أو ثلاثين^(٨) . =

(١) ط : لقانة . (٢) قارن هذا الاسم باسم حروية بنت آدم التي ترجعها شيث : انظر الطبري ج ١ ص ٨١

(٣) ص ٩٣ ط ليدن ١٨٩٤ م (٤) قارن هذا الاسم بمهلثيل أحد أحفاد آدم - طبري ج ١ ص ٧٧

(٥) طبري ج ١ ص ٧٦ ، و طارس نامه . التنبيه والاشراف ٩٣ والآثار الباقية ص ٢٤ و ٩٩ (٦) طارس ٥٥

ص ٩ والمهرست لابن التميم ص ١٢ والتنبيه ص ٨٥ والآثار الباقية ص ٩٩ (٧) المهرست ص ١٢ وزهرة القلوب

للقزويني ، المقالة الثالثة ص ١٩ ط ليدن . (٨) التنبيه ص ٨٥ و طارس نامه . (٩) زهرة القلوب للقزويني ،

المقالة الثالثة ص ٥٢ و ١٢٠ و ١٥٥ و ١٦٢ ، و طارس نامه ص ٢٨ (١٠) قارن نامه ص ٩ والتنبيه ص ٨٥

روحه تراثبه، وجدله في الأرض قتلا، فلم يرض عنه ملكه ولا ملك أبيه قتلا . فلما علم جيومرت بذلك نزعن سرير الملك متقلدا يتقلب في التراب، يضرب صدره، وينف شعره ، ويفجر ينابيع الدماء من مجارحه ، ويصعد نيران الزفير عن حناجره . وقامت القيامة على الخلق فانتالوا على حضرته للعرزاء وعقد المآتم . فبقى على تلك الحالة من الجزع حتى انقضت سنة كاملة . بغاء الملك وعزاه وأمره أن يقصر من جزعه، ويتأهب للانتقام والطلب بشاربته .

وكان للقتول ابن يسمى أوشهنج يتفرس فيه مخايل الملك . فدعاه وجعله ولي عهده ، وأوصى اليه في جميع أموره، وولاه زعامة جيشه . ونهض نحو العدو فأنظره الله تعالى به، ومكنه منه، حتى أدرك النار المنيم بسفك دمه، والاقتصاص منه لفترة عينه . وحين استشفى جيومرت أشفى على الموت فاحترم بعد استيفاء ثلاثين سنة من ملكه . ولكل أمد محدود وأجل معلوم، ولا يبقى إلا ملك الواحد القيوم .

= ومدة ملكه في الشاهنامة ثلاثون سنة تستغرق أربعة وسبعين بيتا مقسمة الى هذه الفصول :

ملك كيومرت أول ملوك العجم ثلاثون سنة .

قتل سيامك بيد الشيطان .

ذهاب هوشنك وكيومرت لحرب الشيطان الأسود .

ويبدأ الفردوسي الكلام عن كيومرت بقوله : ماذا يقص الدهقان المصبح عن كان أول طالب تاج العظمة في الناس ، والذي وضع على رأسه التاج ؟ ليس لأحد بذلك علم إلا أن يروى ولد عن والده ماسمع من أبناء صاحب الصيت الذائع ، الذي بذ الأماجد . كذلك قال الذي عنده كتاب الماضين ، المحثث عن سير الأبطال : انخ .

وقد حذف المترجم في هذا الفصل وفي سائر الكتاب « أهرمن » واستبدل به « جنى » .

وحذف اسم « سروش » وهو الملك الذي كان يترل بالوحى والذي عزى كيومرت عن قتل ابنه، وأمره بالتأهب للنار . ثم الجنى الذي قتل سيامك وصف في الشاهنامة بأنه ابن « أهرمن » . وكذلك أغفل المترجم اجتماع الوحش على باب كيومرت حينما قتل ابنه^(١) .

٢ - ذكر أوشهنج^(١) ووصف بعض أحواله وما جرى في عهده

قال صاحب الكتاب : ثم ملك أوشهنج وتسم سررالملكة تبهر من امرأة وجهه علامات الشهامة والصرامة ، وآثار المهابة والجلالة . وكان ذا رأى رصين ، وعقل رزين . وهو أول من استخرج النار والحديد من الحجر . وكان سبب إخراج النار أنه رأى يوماً في بعض محارم الجبال حية تتوقد حدقته في حجره بكنوة نار تشتمل في غار ويتنفس فيكاد يذوب أفلاذ الحزة الرجلاء بأفاسه . وكأنه ينفخ عن كبر ، ويحرق الأرم عن تغيظ وزفير . فأخذ حجراً ورماه به فأخطاه ، ووقع الحجر على ألف الجبل فتشمتع منه شعلة نار أعجبت . فأظلت الحية ، وظهر هذا السر اللطيف المودع في صميم تلك الصخرة الصماء . فخر الله تعالى ساجداً يشكره على ما وهب له من تلك النعمة ، وحياه من تلك الكرامة . فانخذ النار قبله . وذلك مبدأ تعظيم النار عند الفرس . وقال هذه لطيفة إلهية ، وأنوار روحانية . فلا بد من تعظيم شأنها وتفخيم قدرها . فلما جنت الليل أمر فاشعلت نار ملأت طلاع الأرض بالأشعة . حتى خيلت للأحاط أن الشمس غير غاربة ، وإن أضواء النهار الساطع غير غائبة . فانخذ^(٢) تلك الليلة عيدا يعرف بالسدق^(٣) . فبقى من ذلك الزمان آثارها بين الأنعام . يتوارثها من ملوك

٢ - أوشهنج

هو في الشاهنامه أوشهنج . ويكتب في بعض الكتب هوشهنك وهوشنك . ويعتبر بإبدال الكاف جيماً^(٤) .

وهو في الأستاق «هوشينكها» ال «پردهان» أي البيشدادى ، وهو أول من لقب «پشداد»^(٥) .

وهو في الشاهنامه ابن سيامك بن كيومرث . وفي المصادر القديمة أن سيامك وأمرأته فساك ولدا فرثاك وفرواكين . وولد هذان خمسة عشر زوجين ركب تسعة منهم الثور «سرسوك» فعبر بهم البحر إلى الأقاليم الستة فأقاموا هنالك . وبقى الستة الآخرون وفيهم هوشنك وزوجه كوزهاك فعمر الأقليم الوسط الذي فيه إيران^(٦) . وفي فارس نامه : أن في نسب أوشهنك ثلاث روايات : أحدها أنه هوشك بن فرواك بن سيامك بن ميثي بن كيومرث ، وأن من المؤرخين من يقول =

(١) ك : أوشهك . (٢) ك ط : مبداء . (٣) ط : فانخذت . (٤) ك : السدق .

(٥) فارس نامه . (٦) أفتا ، ج ٢ ص ٥٨ (٧) فارس نامه . طبري ج ١ ص ٨٤

(٨) مبرز ، ج ١ ص ١٢٢

الفرس كابر عن كابر، وغابر عن غابر . ثم انه اتخذ آلات الحديد من القوس والمناشير وغيرها ، وأخذ في شق الجداول الى الصحارى ، وبذر البذور فيها ، وتحتها بالمياه . فسهل الله تعالى له ذلك حتى حد الحدود، وثر الجبوب، وزرع الزروع، وأقام بالخلق على طريق لاحب للعائش واكتساب الأقوات . واتخذ من جميع البهائم كل نوع يصلح للعمل من البقر والجر وغيرهما^(١) . وسخرها الله له فاستعمل كل جنس فيما يصلح له . واستلان جلود الثعالب والسجاب والقاقم والسمور . فلم يزل يشتغل بالاصطياد منها، وبأمر يسلخ جلودها لللابس والمقارش . فانصر في عهده العالم، واستراحت الخلائق بيمان عدله في ظل الأمن والأمان، وخفض العيش وطيب الزمان . فلما بلغ غاية الكمال حان له حين الارتحال . فلم ينشب أن سل^(٢) عليه سيف الفناء شعوب، ولم يقدر أن يقل حده عنه القبائل والشعوب . فمات حميد الأثر، مرضى السير . وكانت مدة ملكه أربعين سنة .

= أنه أبو «خنوخ» وخنوخ هو إدريس . وفي الطبرى أن بعض نسابة الفرس يقول : «إن هوشك هو مهلائيل ، وأن أباه فرواك هوقيان أبو مهلائيل ، وأن سيامك هو أنوش أبو قينان، وأن مشا هو شيث أبو أنوش ، وأن جيومرت هو آدم^(٣)» . ويقال إن هوشك هو إيران^(٤) . وفي الآثار الباقية أنه جعل لنفسه الملك والقيام بسياسة العالم وذلك هو الدهوقذية، وجعل الدهقنة لأخيه «ويكرد» وأحتفل الناس بهذه القسمة ، وبقيت ذكرها في عيد «روزير»^(٥) . ويقال أنه وأخاه ويكرد من الأنبياء . وقد بويج بالملك في اصطخر^(٦)، وفي مروج الذهب أنه كان ينزل الهند .

وينسب اليه بناء الكوفة لأول مرة، وتُستردامغان ، ومسلّة عين شمس . وزاد في عمارة السوس واصطخر^(٨) .

وتاريخه في الشاهنامه ستة وأربعون بيتا، فيها هذه الأقسام :

ملك هوشك أربعين سنة — سن عيد السدق (سده) .

(١) طا : وغيرها . (٢) طا : سلت . (٣) طبرى ، ج ١ ص ٧٧ و ٨٤ و ٨٥ ، واطر المقتدة

في اختلاط الأساطير السامية والارياية . (٤) نزهة القلوب ص ١٩ (٥) ص ٢٢٠

(٦) فارس نامه . (٧) طرس نامه . (٨) نزهة القلوب ص ٣٠ و ٥٣ و ١٠٩ و ١١١ و ١٢٠ و ١٦١

و ٢٩١ والبدان ص ٧٣

٣ - ذكر طهمورث وما جرى في عهده

قال صاحب الكتاب ثم ورث مكان أوشننج ابنه طهمورث . فسلك منهج أبيه في تمهيد قواعد العدل ، وإحياء محامد السير ، وإخراج دقائق الصناعات ، بجودة الذكاء ، وغفامة الرأي . وهو أول من أمر بجز الأصواف وغزلها ، واتخاذ البسط منها . وكذلك هو أول من علق الشعر . وفي زمانه ظهر تعليم الجوارح الصيد ، مثل الباز والشاهين وغيرها من ذوات المناسر والمخالب . وكذلك هو أول من اتخذ الفهود وكلبها لما أعجبه لونها وذاكؤها ووثنوها . فسخرها الله تعالى له

٣ - طهمورث

ويقال طهمورث بالشاء ، وفي مروج الذهب : طخمورث . ويلقب "زينانود" أى الكى^(١) و "ديوبند" أى مقيد الشياطين^(٢) .

وهو فى الأستاق "طنخا أربا" وذكر فيها بعدها من الكتب باسم طهموراف .

وهو ابن هوشنگ فى الشاهنامه ، ولكن كتبنا أخرى تجعل بينه وبين هوشنگ ثلاثة آباء أو أربعة على خلاف فى أسمائهم . وفى رواية أنه أخو (جمشيد) . وقد سخر له أهرمن حصاناً فركبه حتى خدع أهرمن زوج طهمورث فأفشت إليه سر قوة زوجها فقهره وابتلعه حتى جاء بما غفلص جسده من جسم أهرمن ، وخلص الفنون والحضارة التى اختفت باختفائه^(٣) .

وفى الأستاق عن طهمورث نصوص منها : "تقرب للجد الملكى الرائع ، صنع أهرمزدا ، القهار على الفعال ، الذى يملك الصحة والعقل والسعادة ، الذى هو أقدر الخلق على الإهلاك ، والذى تجسد فى "طنخا أربا" الكى حينما حكم أقاليم الأرض السبعة على الجن والإنس . . . والظالمين ، والأعمى والأصم ؛ حين قهر الجن والإنس . . . وركب أنكرمينيو ممسوخاً فرساً ، حول الأرض من طرف الى طرف ثلاثين عاماً"^(٤) .

وقد بقى هذا على مر الزمان فى أساطير الفرس . فالتمالى يقول بعد ذكر طهمورث : "وقد صوّرتة الفرس فى كتبها وقصورها ومصانعها راجبا الجليس . وتمثل بعض الشعراء فى بعض من ركب الفيل من الملوك :

(١) الآثار الباقية ص ١٠٣ (٢) فارس نامه وغيرها . (٣) أفستا ، ج ٢ ص ٢٥٢ : حاشية (١)

(٤) أفستا يست زياد ، ج ٢ - ص ٢٩٢ - أنطارجية الأسطورة فى الطبرى ، ج ١ ص ٨٦

وكان له وزير (١) موصوف بحسن السيرة وسداد الطريقة فلم يزل يرشده الى معالي الأمور، ومكارم الأخلاق، وبث المصلحة بين كافة الرعية، وملاحظة أحوالهم بنظر الرأفة والرحمة . ثم أنه بعين (ب) عفريتاً من الجن فاجتمعت الجن كلهم على مخالفته، وخلع ربة طاعته، واحتشدوا لمحاربته . فلما أحس بذلك ناجزهم الحرب فنصر عليهم، وأوثق بعضهم بالرق والسحر، واستذل البعض تحت وطأة القهر . فطلبوا الأمان، وقالوا ان كففت عنا يد القتل، ووطأت لنا جانب العفو أطلعناك على سر من الرموز التي لا بد للملك منها . فآمنهم على ذلك فعلموه الخط والكتابة على ثلاثين نوعاً من

يا ليت ملك أصبحت * له المعالي خيسا

وراكبا من فيله * مستشرفا نفيسا

كأنه طهمورث * لما امتلى إبليس

لا زلت للدين وللد * نيا معاً أنيساً^(١)

ولعل بديع الزمان الهمداني أشار الى هذا حين قال في مدح السلطان محمود الغزنوي :

إذا ما ركب القيل * لحرب أو لميدان

رأت عينك سلطاناً * على كاهل شيطان^(٢)

ويقال أن طهمورث هو أبو فارس الذي ينسب اليه الفرس .

وقد ملك طهمورث بعد هوشنگ . وفي الشاهنامة أنه ملك ثلاثين سنة ، وفي بُندَهش أربعين^(٤) . ويقال أنه أول من ركب الخيل ووضع الأحمال على الدواب^(٥)، وأن في عهده ظهرت عبادة الأوثان . وذلك أن وباء عظيماً اجتاح الناس فصوروا من هلكوا ثم عبدوا الصور . وينسب اليه أنه بنى مكتبة لحفظ الكتب من الأحداث في مدينة أصفهان حينما أُنذر بالطوفان قبل حدوثه بأحدى وتلاثين ومائتي سنة^(٧) . وأنه بنى المدائن وسماها كرداباد ثم أتمها جشيد وسماها طيسفون، وبنى إصفهان وقم، وفراهان، وبشاور، وكازرون، ونيسابور، وأمل، وسمنان، وكُهنْدز (قلعة) =

(١) اسمه شيداسب في الشاهنامة . (ب) الذي في الشاهنامة أنه سحر أهرمن وسلطه ثم اتخذ له سرياً وركبه وطاق

به حول الأرض فارتت العماريت . (١) أنظر العروس ٩ (٢) بَيْتَةُ الدهر : (بديع الزمان) .

(٣) كتاب البلدان ص ١٩٥ (٤) أُنْشِئَتْ ج ٢ ص ٢٥٢ حاشية (١) . (٥) فارس نامه .

(٦) فارس نامه . (٧) الآثار الباقية ص ٢٤

الألسنة المختلفة ، من الرومية والعربية والفهلوية وغيرها من أنواع الألسنة . وذلك مبدأ ظهور الخط بين الخلق . ثم انه هجم عليه الموت وتل عرشه ، وجعل تراب الأرض فرشه . وكانت مدة ملكه ثلاثين سنة .

٤ - ذكر جمشيد ونوبة ملكه وما جرى في عهده

هو جمشيد بن طهمورت . وشيد في لعنهم هي الشمس . وانما سمي بذلك لأنه كان موصوفا بالجمال الرائق ، والحسن الكامل . قال : فلما مات طهمورت جلس ابنه جمشيد على سرير أبيه ، وعقد على رأسه تاج السلطنة ، وشد على خصره منطقة الملك ، ونفذ أمره في جميع الخلقين ، وأذن لطااعته جميع الثقلين . وكان متوفرا على عمارة العالم وتمهد أحوال الرعية بإفاضة العدل والإحسان . يسط لهم ظلال الرحمة ، ويرفرف عليهم بجناح الرأفة . فأول شئ اشتغل به في نوبة ملكه إعداد آلات الحرب . فانه هو الذي أعد السيوف الفواصل^(١) ، والرماح العواسل^(٢) ، وألان الحديد ، ونسج الدروع

= مرو ، واثنين مثله في فارس . وزاد في عمارة اصطخر ، وأتم بلغ التي بدأ عمارتها كيومرت ، وبني سابور في فارس . وجند عمارة بابل^(٣) .

وقصته في الشاهنامه ٥٠ بيتا تحت عنوان واحد : ملك طهمورت مقيد الشياطين ٣٠ سنة .

٤ - جمشيد

جمشيد كلمة مخصرة من "يما خشيتا" . أي "يما الملك" فلفظ "شيد" لقب ، ومعناه "المتلألئ" . ولذلك يذكر جمشيد في بعض الكتب العربية كالطبري باسم جم الشيد .

ويقال أيضا "جمشيدون" (١) . وذكر في الأبستاق باسم "يما" . وهو في الشاهنامه ابن طهمورت . وفي غيرها أخوه أو ابن أخيه^(٢) .

وفي "جَم" هذا أو "يما" تلقى أساطير إيرانية وهندية وسامية . ففي الأبستاق أن زرشترا (زردشت) سال أهر مزدا : من أول انسان كلمته وعلمته الدين ؟ فأجاب أن ذلك "يما" الأبيض =

(١) يقول قطران أرموى :

حداش آزارو مسعود كردوكر حواحد . در آينه خواحد نكند چو كرد جمشيدون (فرهنگ شعوري) .

(١) ك : طا : فواصل . العواسل . (٢) فارس نامه ص ٢٩ - ٦٣ - ١٢٥ - ١٤٥ - ونزهة القلوب

ص ٣٧ - ٤٨ - ٦٧ - ٦٩ - ١٢٥ الخ ، وطبري ج ١ ص ٨٦ (٣) فارس نامه ، طبري .

(٤) أفستا ، ج ١ ص ١٠ - ٢٠

الفضفاضة، والجواشن الرائعة، والتجايف السابعة، الى غير ذلك من أنواع الأسلحة . فلم يزل على ذلك حتى بلغ قصارى أمنيته، ونهاية أمله في تحصيل تلك العدد، والاستظهار بها لليوم والغد. ثم ألهمه الله اتخاذ الملابس فاستعمل ثياب الكنان والإبرسم، وعلم الناس كيف يغزل القزل وينسج، وفقى على ذلك مدة حتى اشترى جميع تلك الصناعات في أقطار الأرض، وتوفر الناس على المكاسب والاستغال بأمور المعاش . ثم أمر الجن بنحت الأحجار، وتخمير الأطلين، وضرب اللين الجار . وكان كل حين

= الإراعى الصالح، وأنه عرض عليه رسالته فقال إنه ليس أهلا لها . فأمره بتعمير العالم وحكمه وحراسته . فامتثل وقال سأنمى العالم، ولن يكون في عهدي ريح باردة ولا حارة، ولا مرض ولا موت . وصر على حكمه ثلاثمائة شتاء وضافت الأرض بالناس والبهائم . فأنذره أهرامزدا فطبع "يما" على الأرض بخاتمه وضربها بنخجره وسألهما أن تسع فزادت ثلث سعتها الأولى . ففضى ستائة شتاء في حكم "يما" وضافت الأرض ففعل "يما" ما فعل قبل فزادت ثلثين، ففضى تسعائة شتاء في حكم "يما" ثم ضافت وزادت بفعل "يما" ثلاثة أثلث .

جمع أهرامزدا الملائكة في أيرينا فمككو^(١)، وجمع "يما" أخيار الناس الى المكان نفسه، وأنذر أهرامزدا "يما" باقتراب الأشنية القارسة التي يترام فيها البرد فيهرب الوحش في السهل والجبل الى أمكنة تحت الأرض . فاذا ذاب الثلج لا يرى على الأرض أثر شاة . وأمره أن يصنع لنفسه "قرا" وبين له طوله وعرضه وتخطيطه . وأمره بأن يجمع الى هذا البناء من خيار الرجال، والنساء، ومن أحسن الحيوان، وأعظم الأشجار - اثنين من كل نوع . وأخبره أنه لن يكون هناك نوعا طبعيا ولا مريض ولا حاسد ولا كذاب الخ . وعلمه كيف يبني البناء وكيف يتزل فيه الناس وغيرهم . ثم يسأل زرتشترا عن النور في هذه البنية فيجب أهرامزدا: هناك أنوار مخلوقة وأخرى غير مخلوقة (طبيعية ومصنوعة)، ولم يفتقد هناك إلا مرأى النجوم والشمس والقمر، والسنة تمر كأنها يوم .

ويولد لكل زوجين ولدان ذكر وأثنى كل أربعين عاما . وكذلك البهائم . ويعيش الناس سعداء في بناء "يما" . وفي مواضع أخرى من الأبتاق ما يدل على أن "يما" ملك الأقطار كلها وقهر الجن وأذلهم . وأن حكمه كان سعادة ونصيا كاملا لا آفة تصيب الأبدان أو الأموال . ولا حر ولا برد ولا هرم ولا موت^(٢) .

(١) هي إيران فكك، وهي الأرض المقدسة في دين زردشت، التي ولد فيها زردشت وبدأ فيه دعوته : أفستا، ج ١

ص ٢٢، حاشية ٣ (٢) أفستا، ج ٢ ص ١١٢ و ٢٥٢

(١) يستحدث بناء ويستجد مدينة ويؤثر أثرًا حتى طالت على ذلك المدة . ثم يُنقب الماعدن فاستخرج منها بدقائق فطته الذهب والفضة والياقوت والفيروزج وسائر الأعلاق النفيسة من أصناف الجواهر ، فوضع بها المناطق ، ووشح منها الأسورة والعصائب ، واقتنى منها الذخائر ، وكثر الكنوز وملاّ الخزائن . ثم أخرج أنواع الطيب من مستودعاتها كالمسك والكافور والعود . ثم صعد أنوار الورد والأزاهير حتى حصل منها أمواها تنفس عن روائح تعفم الحياشيم ، وتنش الأرواح والنفوس . وأظهر علوم الصناعة الطبية وتصرف في أفانينها ، وتقلب في أساليبها ، ووقف على أسرارها الغامضة ، ودقائقها الخفية . وتعرف خواص الأدوية فشاعت هذه الصناعة بين الناس من ذلك الزمان . ثم تفكر في اتخاذ المراكب وإجرائها على وجه الماء ، طائرة بأجنحة الهواء . فعمل السفن وأطلقها في مضامير البحار وكأرض الخيول ، وهوامج السيول . فلم يزل ينتقل من إقليم إلى إقليم ، ومن صوب إلى صوب ، حتى جاس جميع أطراف البر والبحر . ثم عمل تحتها مرصعا بألوان الجواهر ، ورتب له حملة من الجن . فكان يجلس عليه ويرفعونه في الهواء ويمحونه إلى حيثما أراد من الممالك . وكان ذلك أول يوم من السنة وقت حلول الشمس في برج الحمل فسمى ذلك اليوم بالنيروز .^(٢) فجلس في مجلس الأئسن للطرب يحيى^(٣) برمان السرور ، وتدار عليهم أقداح الراح في رياض الجبور . فبقى النوروز سنة مشهورة عند الفرس يعظمون شعارها ، ويتبعون آثارها .

= ولكن جمشيد طغى وشرع يستروح إلى الكذب والباطل ، ففارقه المجد الملكي ؛ رضى ذاهبا عنه في صورة طائر . فزلزل ملكه وأذله أعداؤه^(٤) . وأول من خرج عليه أخوه أسففور^(٥) (سپنورا) . وستأتى بعض أخباره في الفصل الآتى .

وكذلك نجد عند الهندى " القيدا " أسطورة يما ومنو : وهما توأمان أبوهما قفسقات المتلائي^(٦) أى الشمس ، والمتلائي هو معنى شيد بالفارسية فى مثل جمشيد وخورشيد (الشمس) ، ومنو هو المشرع للآرئين ، و" يما " إله ، وهو أول بشر عظيم اجتاز إلى عالم الآخرة فهو ملك الموتى . وله كلبان أسمران لكل أربعة أعين الخ يذهبان كل يوم ليشتا الموتى ويحشرهم إلى ملكهما . وكذلك نجد فى الأبنساق الأمر بإحضار كلب موصوف إلى جانب الميت يعارده عن الشيطان . فانظر كيف =

(١) أصل : بناء . (٢) ك ، ط : والأصل تنم . (٣) أصل : حيث ما . (٤) ط : نوروز .

(٥) أصل : يحيى . (٦) أفستا ، ج ٢ ص ٢٩٣ (٧) فارس نامه وأفستا ، ج ٢ ص ٢٩٧

(٨) أنظر تاريخ الآداب الفارسية لبراون ، ج ١ ص ١١٤ وانظر تاريخ القرى لبيكس ، ج ١ ص ١٠٣

نعم فاستكمل جمشيد جميع أسباب السلطنة، وأطاعه جميع الخلائق، وبقي على ذلك ثلاثمائة سنة لا يمس جانبه مخذور، ولا يطرُق بابه مكروه، ولا ينشئ ألم وساده، ولا يعتري وجع فؤاده، قد وطأت الدنيا له أكافها، وأدركت عليه أخلافها . ففنى المنون، وظن الظنون، وباض الشيطان في رأسه وفرخ، ولوى جيده عن طاعة ملأكَ الرقاب، متمعضاً بغمط نعمه لقاصمة العقاب . فأنكر عليه العلماء والحكماء، وارتجت بذلك الأرض والسماء . فأدركته غيرة القهارية فأطارت واقعه، وهاجت وادعه، وأفلقت بهد السكون، وأذعرت به غب الركون . وسبأى تمام ذكره وهلاكه على يد الضحاك بعد إن شاء الله تعالى .

= تشابه ما يروى عن نوح وسليمان وما يروى عن جمشيد، وكيف اشتركت القيدا والأبستاق في بعض أسطورة يما^(١) .

ثم تقسيم جمشيد الناس أصنافا في الشاهنامه يشبه في الأبستاق تقسيم زردشت الناس الى رجال الدين والمحاربين والزرايع، وكان زردشت أول كاهن وأول جندي وأول زارع وجعل أبناء الثلاثة على رأس هذه الطبقات^(٢) .

ويقال إن جمشيد أتم بناء المدائن وسمها طيسفون، وبني أصفهان، ونيسوس في العراق المعجمي وشيد قصره بها . ويقول القزويني أن أطلاله بقيت الى زمانه . وبني همدان ونيشابور في فارس واصطخر^(٣)، والبسه تنسب أعظم نيران الفرس . وهي آذرخره التي كانت بخوارزم ونقلها أنوشروان الى الكاريان . فلما ملك العرب خافت المحوس عليها فنقلوا بعضها الى فسا^(٤) .

وقصة جمشيد في الشاهنامه ٢١٦ يتألف منها هذه المناويز :

- (١) ملك جمشيد سبعمائة سنة . (٢) قصة الضحاك مع أبيه . (٣) إبليس في زى طباخ . (٤) هلاك جمشيد .

(١) أنظر المقدمة في علاقة الإيرانيين والساميين والهند في الشاهنامه . (٢) أفستا، ج ٢ ص ٢٠١ .

(٣) نزهة القلوب للقزويني وفارس نامه . (٤) البلدان ص ٢٤٦ .

٥ - ذكر ظهور الضحاك

قال صاحب الكتاب كان في ذلك الزمان أمير كبير يسمى بمرداس . وكان ملك العرب . ويوصف بصلاح السيرة ، وسداد الطريقة . وكانت له أموال كثيرة من الخيل العراب والإبل والبقر والغنم . وكان له ابن يسمى بيوراسب ، ويلقب بالضحاك . ويؤور في لغتهم معناه عشرة آلاف ، واسب هو الفرس . وكان له من الخيل المسرحة بسروج الذهب والفضة ، للمرصعة بأنواع الجواهر الفاتحة مالا يحيط به الحصر والمد . وكان مشغوقا باللهو والطرب ، والصيد والطرود . فظهر له إبليس في زى شاب صبيح ، وعرض عليه نفسه لخدمه . فأتصل به . وكان يظهر كل يوم في الخدمة آثارا مرضية ، ويبدى في المناصحة والمخالصة أفعالا حميدة . فكان يورد عن رأيه ، ويصدر عن أمره . فخلا به يوما وقال له إني ناصح لك ، ومشير عليك برأى إن قبلته ملكت رقاب العرب ، واستبنت لك أسباب الأمر والنهى ، وانتظمت لك أحوال المملكة . فقال الضحاك إنا خبرنا رأيك ، وجرنا عقلك فما رأيك إلا جاريا على سنن الصواب ، وطريقة السداد . وإنك أثبت علينا بصديق خلوصك ، ونصوح طويتك في موالاته أيامنا ، ومشايعة دولتنا حقوقا كثيرة . وكل ما تشير به علينا يتضمن مصالح أمورنا ، ومناجج أوطارنا . وما خالفناك فيما أشرت به مدة مقامك في هذه الحضرة .

٥ - الضحاك

يذكر في الأبتساق باسم "أزى دهاكه" وفي الكتب الفارسية والعربية باسم أزدَهَاق أو أزدَهَاق . وذلك أصل كلمة "ضحاك" التي تذكر في الشاهنامة وغيرها . ويلقب "بيوراسب" ويقول الفردوسي أنها كلمة مركبة من "بيور" ومعناها عشرة آلاف ومن "اسب" أى الفرس . وتعرب "بيوراسب" . وأصل "أزى دهاكه" روح شريرة في الأساطير الآرية . وفي الأبتساق نجده شيطانا يمنع ماء السحاب أن ينزل إلى الأرض . ثم نجده ملكا جبارا ظالما يمتلئ فيه الشر كله .

سأل زرتشترا "أردفي سورا أناهتا" روح الماء : كيف أعيدك وكيف أقرب اليك ليتذك "مزدا" إلى الأرض ، ولا يسوقك إلى الساء ، وليبعد عنك هذا الشعبان (أزى) فلا يؤذيك بسمومه^(١) . وفي موضع آخر : "قرب اليها (إلى أناهتا) "أزى دهاكه" ذو الأفواه الثلاثة في أرض "بوري" مائة حصان ، وألف ثور ، وعشرة آلاف حمل . تضرع اليها قائلا اكفل لي هذه النعمة أيتها الطيبة ، =

فهاهنا ما في ضميرك ، وفاوضنا فيها بدا لك . فقال لا يمكن إقضاء هذا السر إلا بعد الاستظهار من الأمير بأيمان مغلظة ، ومواثيق مبرمة ، وعهود مؤكدة على أنه إن لم يقبل الرأي ، ولم يصغ للنصيحة ، جعلها دبر أذنه ، ثم يضرب عنها صفحا ، ويطوى دونها كشعا ، ويستترها في أحشاء الكتان ، ويطويها في تضاعيف النسيان . فواقفه على ذلك ، وحالفه على ما أراد ، وأخل له المكان ، وخلا به الناصح الفاضح ، وزخرف لديه بأباطيله ، وموه عليه أكاذيبه ، ومهد له مقدمة كانت نتيجتها أن يستبد بالإمارة ، وتولى أمور الخاصة والعامة ، وأن ذلك لا يمكن إلا بقتل أبيه ، والاستراحة من تكاليفه الباهظة ، وأحكامه الفادحة . وأنه إن فعل ذلك ملك مقاليد الخزان ، وتمكن من خبايا الذخائر . فلما سمع ذلك صعب عليه ، وأكبر أن يحازي أباه ومن ربه بإرافة دمه ، وقطع رحمه . فلم يزل الملعون يقتل منه في الذروة والغارب حتى لانت عريكته ، وتمكنت منه خديعته . فقال تدبر في الأمر واحتل في قتله .

٢٠ = الخيري "أردفي سورا أنا هتا" لعل أخل الأقاليم السبعة من الناس . ثم يقرب إليها "ترتونا" (أفريدون) ليتصر على "أزى دها كه ، ذي الأفواه الثلاثة ، والرموس الثلاثة ، والأعين الستة ، الذي له ألف حاسة... كارثة العالم ، أقوى دروك الذي خلقه أنصكرا مَيَينوما^(٢١) وسلطه على العالم المأذى ليدمر عالم الخير^(٢٢) .

"بوري" المذكورة هنا هي بابل . فالضحاك تمثل المداواة بين الإيرانيين والآشوريين ثم الكلدانيين . ويوافق هذا ما يذكر في الكتب العربية من أن الضحاك كان من ملوك الكلدانيين النبط^(٢٣) . وما في نزهة الأئمة^(٢٤) من أن بابل كانت دار ملك نمروود والضحاك وبني فيها الضحاك قلعة . ومن المؤرخين من يقول أن نمروود هو الضحاك . والطبري يرد هذا وينكر أن يكون للنبط ملك ، ويروي عن "ذوى العلم بأخبار الماضين ، والمعرفة بأمور السالفين" أن نمروود كان واليا من قبل الضحاك^(٢٥) .

ثم يتقلب الضحاك عربيا في الشاهنامة وينسب إلى اليمن — كما يرى القارئ — — ويحمل مستقره بيت المقدس ؛ ولعل هذا بقية مخزفة من تاريخ قورش مع ملك بابل واليهود . وتداول جمهور المؤرخين من العرب والفرس هذه الأسطورة وساقوا نسبه في العرب . ووضع بعض مؤلفي الفرس بين آباء الضحاك "تاجا" وهو أبو العرب ، ومنهم من يقول (تاز) بدل (تاج) ويدعى أنه من أجل هذا سميت =

(١) روح شريرة وهي الكلب : دروغ ، في الفارسية الحديثة . (٢) أمر من . (٣) أفساء ج ٢

ص ٦٠ - ٦٢ (٤) التنبيه والأشراف ص ٨٨ (٥) المقالة الثالثة ص ٣٧ (٦) ج ١ ص ١٤٩

وكان لللك بستان اتخذه خلواته . فيه حوض تنصب اليه الأمواه . وكان كل ليلة يدخل البستان ويتطهر من ذلك الحوض ويستل طول الليل بعبادة الله تعالى . فحفر الملعون في طريقه بئرا وغطاها بحشيش . فقام الملك من الليل ودخل البستان على عادته المعهودة ، وتوجه نحو الحوض على ذلك الطريق فتدبى في قعر الحفيرة . فلما رأى العدو ذلك بادى اليه وطمها بالتراب ، وسواها بالأرض . فاستولى الضحاك على ملك العرب ، وأطاعه جميع الأمراء ، وأخذ أمره في الاعتلاء .

= اللغة العربية "نازى" وسمى العرب "نازيان" باللسان الفارسي . وكان بعض الرواة حاول أن يفسر اختلاف الروايتين في نسبة الضحاك الى العرب أو الى الفرس فقال ان جمشيد زوج أخته من بعض أشراف أهل بيته وملكه اثنين فولد الضحاك هناك وولاه جمشيد اثنين . وقد جعل بعض العرب الضحاك من تباعة اثنين ، فافتخر به أبو نواس في قصيدته المعروفة التي نغز فيها بقحطان على زار :
فحن أبواب ناعط م ولنا صنعاء والمسك في عمارها
وكان منا الضحاك يعبده م الخابل والطير في مسارها

وقد أشار أبو تمام الى قصته مع أفريدون غير متعرض لنسبه اذ قال يمدح الأفشين بعد هزيمة بابك :

ما نال ما قد نال فرعون ولا * هامان في الدنيا ولا قارون
بل كان كالضحاك في سطواته * بالعالمين وأنت أفريدون

ويقول المسعودي في مروج الذهب : وقد ذكرته شعراء العرب ممن تقدم وتاخر .

وقصة تقييد الضحاك في مغارة على جبل دماوند تذكر القارئ بقصة "پرومئوس" البطل اليوناني الذي غناه هرقل الى القوقاز . وقد بقيت هذه الخرافة على مر الزمن حتى روى فيها الرواة أحاديث عجيبة أنقل منها هذه الرواية الفريسية عن كاتب البلدان للهمذاني : "وقال محمد بن ابراهيم : كنت مقما بطبرستان في خدمة موسى بن حفص الطبري في أيام المأمون اذ ورد عليه قائد من قواد المأمون يأمره بالشخوص مع موسى بن حفص الى موضع البيوراسف بقرية الحدادة - في سنة ٢١٧ والوقوف على أمره ، وتعریف صحة الخبر . قال فوافينا قرية الحدادة فلما قربنا من الجبل الذي فيه البيوراسف اذا نحن بنشبة في عظم البغل ، وطيور أمثال النعام في خلق الفصلا . واذا قلة الجبل مشاة بالثلج ودود عظام كأنها جنوع تحط عن هذا الثلج الى القرار فتعدو عليها تلك الطيور فتبتلعها . فلم ننتد الى قلة الجبل ولم نعرفه . فبينا نحن كذلك اذا شيخ قد أتانا فسألنا عما قدمنا له ، =

ثم تبدى له إبليس بعد ذلك في زى شاب رشيق يخلب القلوب بلطفه، ويسحر العيون بحسنه. وجاء الى باب داره، وعرض نفسه عليه . وقال : أنا صانع حاذق أطبخ ألوان الأطعمة، وأحسن خدمة الملوك . فقبله وقلده المطبخ الخاص . فلم يزل يسدع في اتخاذ ألوان الأطعمة، ويتخترع كل يوم شيئا لا يشبه الآخر. وكان أكلهم في أول الأمر من نوع واحد . فلما رأى الملك ذلك أعجبه، واستصفاه، ومال اليه كل الميل . فطالت مدته في خدمته ، والقيام بفرائض طاعته ، وأخذ يجامع قلب الملك حتى صار بحيث لا يصبر عنه ساعة . فدخل عليه يوما فقال له اقترح على حاجة أقضيها لك فان من الواجب مراعاة مثلك، والإحسان اليك . فأطلق لسانه بالدعاء لملك . وقال مالى حاجة غير بقائك، ودوام ملكك، وثبات دولتك . فان كان ولا بد من سؤال فأرجو أن يمكنني الملك حتى أقبل منكبه، وأتشرّف بذلك . فأذن له فيه . فتقدّم وقبل منكبه، وساخ في الأرض، واستتر عن العيون . فأخرج الله تعالى من كل واحد من منكبه حية سوداء فهال ذلك وأزعجه . وأحضر

= ففرقناه الخبر . وإذا على الجبل حوانيت كثيرة فيها قوم من الحدادين حول تلك القلعة عليهم نوايب يضربون مطارقهم على سنداناتهم ساعة بعد ساعة، ويتكلمون بكلام يهجون به موزون عند ضربهم لا يفترون لحظة . فسألنا الشيخ عن هذه الحوانيت فقال هؤلاء الحدادون طلسم على البيوراسف لئلا ينخل من وثاقه، وإنه لدائب بالحس وثاقه وسلاسله، فإذا ضربت هذه المطارق عادت الى ما كانت عليه من الغلط . فان أحببت الوقوف عليه وعلى هذا الحيوان المحبوس أريتم برهان ذلك . فقال له القائد : ما جئت لنير هذا الذى وصفت . فأخرج لهم الشيخ سلما مخروزا من الصرم وسلك حديد . وجمع شبان القرية حتى صعد منهم من صعد ذلك السلم من فرار القلة الى مقدار مائة ذراع في الجبل . ثم أرانا من الناحية الشرقية في القلة عند مطلع الشمس جوبة عظيمة وعليها أسكفة باب حديد عليه مسامير من حديد مذهبة مكتوب عليها بالفارسية : على كل مسمار ما أنفق عليه، وفوق الأسكفة كتابة تخبر أن على القلة سبعة أبواب من حديد مصارع على كل مصراع أربعة أقفال . قد كتب على كل عضادة منها : " له أمد يجرى الى غايته ونهاية لا يعدوها فلا يمرض خلق لفتح شيء منها فيهجم من هذا الحيوان على الإقليم آفة لا مدفع لكم منها ولا حيلة لكم في صرفها " . فقال موسى بن حصص : ويحكم ! حيوان منذ آلاف سنين يبقى بغير قوت؟ فقال الشيخ : طعامه القديم الذى تنذى به مطملم في جوفه . فهو يتغلغل في صدره، ويرتفع الى لهواته حتى يمتلئ منه، قد منع من إخراجِه . فذلك غذاؤه . فانصرفوا ولم يجدوا شيئا . وكتب بخبره الى =

الأطباء والحكماء فأمروه بقطعهما . فلما قطعتا نبتتا في الحال مثل الأول . ففرق أصحابه في الأطراف في طلب الأطباء حتى جمعوا منهم خلقا كثيرا . فمجزوا عن معالجة ذلك الداء، وحسم مادته . بقاء إبليس في زى طيب إلى باب الملك فأدخل عليه ، وقال هذا قضاء أجراه الله عليك . لا بد من تربية

= المأمون ، فكتب ألا يمرض له...“ وفي البلدان أيضا : ”وعن القاسم بن سليمان قال : أيجد وهو ز وحطى وكلين وسعفص وقرشت كانوا ملوكا جبابة . ففكر قرشت يوما فقال تبارك الله أحسن الخالقين خلفه أزدها^(١) فله سبعة رعوس وهو بدناوند محبوس . وزعم بعض المحدثين أن المحبوس بدناوند محضر الجنى الذى أخذ حاتم سليمان بن داود . فلما رآه الله جل وعز على سليمان ملكه حبسه في جبل دنباوند^(٢)“ .

وأعجب من هذا ما رواه بعض المؤلفين من أن سكان بلدة دماوند على السفح الجنوبي من جبل دماوند يحتفلون بعيد يسمونه ”عيد كرى“ إحياء لذكرى موت الضحاك ، وأن قرب البلدة مصطبة عظيمة يقال إن طبل الضحاك كان يضرب عليها عند الصباح^(٣) .

فانظر كيف تقلبت على مر الزمن وشاعت أسطورة الضحاك . وهو في كل الأطوار ثعبان أو قرين ثعبان . ويقول بعض المؤلفين أن عبادة الثعبان التي يظن أن أصلها تورانية كانت مقترنة بتقريب القرابين البشرية . وفي نقش رسم يرى أرمزد على فرس يقدم التاج لأردشير بابكان أول الساسانيين وتحت قدميه أردوان آخر ملوك البارثيين يحيط برأسه ثعبانان^(٤) .

ثم الضحاك لم يقتل على يد أفريدون بل قيد ، وسيبقى الكلام عن قتله في أسطورة ”كورشاسب“^(٥) العجيبة .

ومن المسائل المهمة التي أحملها المترجم : أن الضحاك أول من أكل اللحم وكان الناس يقتاتون بالنبات . وهذا ينسب إلى نمروذ أيضا . وقصة أرمایل وكراميل اللذين كانا يكلفان بقتل الناس لإطعام حتى الضحاك فكانا يقذفان كل يوم رجلا حتى اجتمع مائتان فأعطياهم من الضأن والمعز فكثروا ونسلوا وكان منهم الكرد .

(١) طا : والأمرأ . (٢) طا : الله تعالى . (٣) أزدها : تيس . (٤) بلدان ص ٢٧٤

وما بعدها . (٥) ورزج ١ ص ١٤٢ خلا عن «رحلة نائية في فارس» لمير (Morier) (٦) أطر (Warner) ج ١ ص ١٤٣ (٧) أطر مقدمة فصل كورشاسب الآتي .

كلتي الحيتين وإطعامهما حتى يستريح الملك. ولا يصلح طعامهما إلا من أدمغة الناس. فانه إن فعل ذلك يقل اضطرابهما، ولا تنأذى بهما. وكان مراد الملعون أن يبسط الملك يده في قتل خلق الله تعالى وسفك دمائهم. فكان يمزضه على ذلك حتى قبل مقاتله، واستباح دماء الخلق على ما سيأتي ذكره.

ذكر هلاك جمشيد وانتهاء أمره

قال ثم إن الملوك لما رأوا أن جمشيد مرق عن الدين، وأطلق يده في الظلم خرجوا عليه وخلعوا ربة طاعته، واستبد كل واحد منهم برأيه وملكه. فكثرت الملوك، وكثر الفساد، وعم الهرج والمرج، حتى اجتمع ملوك الفرس إلى باب الضحاك، وأذعنوا له بالطاعة. فقدم أرضهم، وجلس على تخت السلطنة، ووضع على رأسه تاج الملك، وجمع عساكر البر والبحر، ونهض نحو جمشيد قاصدا قصده. فلم يطق الثبات فقدمه. فولاه ظهوره وهرب إلى أرض الهند. ولم يره أثر مئة مائة سنة. وبعد ذلك ظهر وخرج من تلك البلاد فلما سمع به الضحاك طار إليه بجناح الركن، واقض عليه، وجعل الأرض عليه ككفة حابل^(١) ثم أخذه وأمر به فنشر بالمنشار^(٢) فانتبت نوبته بعد سبعائة سنة، وانقضت أيامه وملك مكانه الضحاك. وكذلك سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا.

ذكر الضحاك وما جرى من الوقائع في عهده وكانت مدة ملكه ألف سنة^(٣)

قال صاحب الكتاب ثم ملك الضحاك، وعم ملكه طلاع الأرض شرقا وغربا، وبرا وبحرا. وكان ظلوما غشوما، بحيث في زمانه آثار العدل والإنصاف، وطالت على الخلق منه أيدي الجلف^(٤)

== ثم قصة الضحاك في الشاهنامة ٥٤٢ يتنا قسمه إلى العناوين الآتية :

- (١) حكم الضحاك ألف سنة. (٢) رؤية الضحاك فريدون في المنام. (٣) ولادة فريدون. (٤) سؤال فريدون أمه عن نسبه. (٥) قصة الضحاك وكاوه الحداد. (٦) ذهاب فريدون لحرب الضحاك. (٧) رؤية فريدون أبني جمشيد. (٨) قصة فريدون مع وكيل الضحاك. (٩) تقييد فريدون الضحاك.

- (١) في الشاه : أن جمشيد اخفى مائة سنة، ثم ظهر على بحر الصين فأمسكه الضحاك. (٢) كو : « فخالص عن مخالب نهره وقبض عليه » بدل « ثم أخذه ». (٣) كو : تريد « وقد قال بعض الحكماء إذا أراد الملك أن يدمر سلطانه وتبنت قواعد ملكه وأركانه طيجهت في عبودية الخلق » ثم فانقضت نوبة جم وانقرضت أيامه وملك مكانه الخ. (٤) كو : ذكر نوبة الضحاك ومدة ملكه ومآل أمره. (٥) ك : حيف، كو : الظلم.

والإبحاف . وكان كل ليلة يأمر برجلين يقتلان ويستخرج دماغهما طعمة لليتين ^(١١) . حتى غر على ذلك ألف سنة . فضجت الخلائق ، وارتجت لفظاظته أمره المشرق والمغرب ^(١٢) . وكان نائماً في طارئة ليلة من الليالي ، فرأى رؤيا هائلة ^(١٣) تتل على زوال ملكه ، وقرب أجله فأصبح مهموماً قد نعاه إليه شؤم فعله ، وقبح عمله . فجمع العلماء والمنجمين ^(١٤) والكهنة والسحرة ^(١٥) وقد أخذ من ذلك المقم المقصد . فقال لهم إني سألتكم عن أحوال المملكة على ما أدركتموه من أحكام النجوم ، وألقي إلى أنفسكم من أسرار الملوكوت . فكنوا ولم يستطيعوا أن يردوا جواباً ، أو يحيروا خطاباً . فأحضرهم في اليوم الثاني واستنطقهم في السر والإعلان ، وذكر لهم ما رآه من المنام ، وألح عليهم في السؤال عن ملكه ، وما يق من مدته ، ومن يرثه التاج والتخت ^(١٦) ومتى يكون زوال دولته لما أجابوا عن شيء مما سألهم بغير السكوت . وعلموا أن مدته شارفت الانقضاء ، ودولته قد ناهزت الانتهاء ، وأنهم لو أطلموه على ذلك لبطش بهم ، ومزقهم كل ممزق ، وأوسعهم عقوبة ونكلاً ^(١٧) . فأحضرهم في اليوم الثالث وأعاد عليهم السؤال فأطرقوا واجمين ، ترعد فرائصهم ، وتضطرب أفئدتهم . وكان في جملة الحكماء حكيم ^(١٨) (ب) طاعن في السن . قد مارس العلوم ، وعرف الأحكام ، وعبد الله تعالى فأورثه ^(١٩) علماً كاملاً وأدباً بارعاً . فقام وقبل الأرض ، وقال ما ولد مولود إلا للفناء ، ولا بقا إلا لرب العزة والكبرياء . فاستعد للأمر فإنه قد حضر أو كاد . وسيجري الله في الانتقام من الظالمين الميعاد . واعلم أن زوال ملكك يكون على يد ملك اسمه أفريدون . وهو لم يولد بعد . وأنه إذا وضعت أمه قتل أبوه على يدك . ثم أنه إذا ترعرع ونشأ طلب بئار أبيه ، وانتقم منك . فيكون هو وارث الملك بعدك ، وصاحب تاجك وتختك . فلما سمع الضحاك ذلك خر من السرر صقفاً . ولما أفاق عاد إلى مكانه ، وبث الرسل في أطراف البلاد في طلب أفريدون ^(٢٠) ، وتنتع آثاره ، طلباً للفنك به .

(١) خلاصة الرؤيا التي في الشاه : أنه رأى ثلاثة رجال من نسل الملوك طهروا بجأة ينوسطهم أصحمرهم . وتقدم الأصمر في زى الملوك وضرب الصداك بجزز على رأسه ثم دله وشرطه التراب ، وقاده دليلاً على أعير الناس إلى جبال دماوند . (ب) اسم سمى في الشاه زريك ومعناه (ذكر) .

- (١) كور : ز «النايتين على سكيه ولم يزل ذلك دأبه» . (٢) ك : كور : عير . (٣) ك : طاعة . (٤) ك : المغرب والمشرق . (٥) كور : ايروانه . (٦) كور : نى . (٧) كور : البحرين . (٨) كور : المنجمين . (٩) كور : استخبركم . (١٠) ك : أحوال . (١١) ك : ط : في . (١٢) كور : ثم . (١٣) كور : وقصر عليهم . (١٤) كور : ومن يتولى التاج والعت من بعده . (١٥) كور : زوال أرمه وانهاه عمره . (١٦) كور : وطاعهم بأشد عقوبة . (١٧) ك : ما : العلماء . كور : الحاضرين . (١٨) كور : فأورثه ذلك . (١٩) كور : للرحيل قد قرب أو كاد . (٢٠) ك : كور : ط : سيجز . وهذه الجملة ليست في الشاه . (٢١) ط : أفريدون بالمعجمة .

وولد أفريدون في تلك السنة . ولما وضعت أمه نظرت إليه فرأت في وجهه غيايل السعادة
واخضة ، وأمارات الملك فيه لائحة . فكانت تربيته أحسن تربية ، وتؤدبه أحسن تأديب وهو ينمو نحو
الجلال ، منسربلا بفضفاض الجمال . فانفق أن أباه أخذ وقتل في جملة من قتل بأمر الضحاك .
ففزعمت أمه عليه ، وأوجست في نفسها خيفة من الملك وشره . وكانت تسمى مانتك وهي موصوفة
بالعقل . فحملت أفريدون وهربت به الى بعض المروج التي ترعى فيها البقر والغنم . وكان راعي
المواشي في ذلك المروج رجلا صالحا . فسلمت ابنها إليه ، وقالت هذا صبي يتيم ، ولا آمن عليه من
شر هذا الملك . وإنى آويت به الى ظل أمانك حتى تكفله وتربيته الى أن يراهق . وتذوه بلبن هذه
البقرة (١) . وكانت بقرة خلقها الله على لون يسر الناظرين ، ويسحب الخلائق أجمعين . فكفله الراعي
واتخذ ولدًا ، ولم يزل يذوه بلبن تلك البقرة ويشفق عليه ، ويميل اليه . بلغت أمه بعد ثلاث سنين
الى ذلك المروج ، واعتذرت الى الشيخ الصالح ، وقالت له ان شر هذا الظالم قد تفاقم ، ولا آمن على
هذا الصبي من بأسه . وقد عزمتم على أن أحمله الى بلاد الهند ، وآوى به بعض الجبال (ب) ، فعمل الله
يحدث بعد ذلك أمراء ، ويربح من هذه الدولة . فأخذت أفريدون وتوجهت نحو بلاد الهند . فبلغ
الخبر الى الضحاك . وجاء الى ذلك المروج ، وقتل الراعي . ونهب المواشي . وأحرق أيضا دار أفريدون
وقصر أبيه . ثم ان أمه مانتك لما قربت من أرض الهند صعدت الى جبل عظيم . وكان عليه
راهب يعبد الله فسلمت عليه ، وأجهشت بالبكاء اليه . وأطلعت على أنها أرملة قتل زوجها الضحاك .
ومالها من الدنيا غير هذا الولد . وقد خرجت به من بلد الظلم هاربة اليه ، وأن الضحاك يرصده
بالفوائد ، ويطلبه بين سمع الأرض وبصرها . وقد فرق أصحابه في طلبه . وقالت أنى قد تمسكت
بذيل أمانك ، وجئت به اليك . وأرجو أن تحنو عليه بماطفتك ، وتتخذ ولدًا يكون قوة لظهورك ،
وقوة لعينك . فان له شأنًا عظيمًا ، وخطبًا جسيما . ولا يكون زوال ملك الضحاك إلا على يده .
وسيفظهر ذلك في أقرب مدة . ففرس الراهب فيه ذلك وقبلة (١٥) . ولم يزل يربيته ويعلمه مكارم الأخلاق
ويهيئه الى منافع الخيرات الى أن نشأ وترعرع .

(١) اسمها برمايه (الجليلة) وفي رور : برمايه . وفي فرمك شعورى برمايه . ويقال أيضا برمايون .

(ب) في الشام : جبال البرز .

- (١) كو . ظا . (٢) في الشام . فزانك - مول ، ج ١ ص ٧٨ (٣) كو . محصورة بالعمل الوافر .
(٤) لك : شر الملك . (٥) لك : كو : الله تعالى . (٦) لك : في لون . (٧) كو ، لك : طا :
قالت أن . (٨) كو ، لك : طا : باجته . (٩) كو ، طا ، لك : الى بعض . (١٠) كو ، طا ، لك :
نحو الهند . (١١) كو : عظيم هناك . (١٢) لك : كو . طا : لديه . (١٣) كو : قد قتل زوجها في محبة
الضحاك . (١٤) كو : في طلبه وطلبها . (١٥) كو : وقبلة أحسن قبول .

فلما راقى انقض من حالى ذلك الجبل كالمقاب الحاطف . وجاء الى أمه كالقمر الزاهر واستخبرها عن أحواله وآبائه وأجداده . فأعلمته أن أباه كان يسمى أبين^(١) من الفرس ينتسب الى طهمورث الملك . وأن الضحاك قد قتله ، وأطعم دماغه الحيتين التابنتين على كاهله . وسردت عليه حكايته من أول خروجها الى المرج ، وتربتها اياه ابن البقرة الى أن حملته الى أرض الهند هاربة به . فلما سمع ذلك منها التهب غيظا ، واستشاط غضبا . فاطرق مليا ثم تنفس الصعداء ، وفض ختام سره ، وقال لا بد من أعمال السيف في هذه القضية ، وصب أسواط القهر على هذا الظالم ، وسيجربى بيني وبينه يوم تنفصم فيه متون الصفاح ، وتقصص أصلاب الرياح . فقالت له أمه خفض عليك ، ولا تنظر الى الدنيا بين شبابك ، ولا تسترق قوة بأسك . فان كل من سكر من جام الغرور في مقتبل العمر وريمان الشبية لا يفيق إلا عن ندامة . والحازم من بحر الرأى وأتقن التدبير ، وشاور في أموره الصغير والكبير . فكفكفت من غلوائه ، وخفضت من طغيانه .

قال وكان الضحاك لا يفتر لسانه عن ذكر أفريدون ، وقد وقع في قلبه من الذعر منه ما سلبه الرقاد ، وحرمة القرار . وكان يتجلد ، وبكل شيء كالغريق يتعلق . فأمر يوما أن ينادى في المملكة بجمع كل موبذ كان موصوفا بكمال العلم ، ورزانة الحلم ، وتقوى الرأى ، ووفور العقل . فلما جمعهم قال لهم إن ورائى عدوا لا ينبغي ظهوره عليكم . وإن الملك الحازم لا يكون غافلا عن عدوه وإن كان صغيرا . فإن شره عن قريب بصير مستظيرا . واني عزمت على أن أجمع عساكر الجن والانس ، وأنقض في طلب هذا العدو . فعمل السعادة تغفروني به ، وتمكني منه . فأمرهم أن يكتبوا محضرا ينطق بأن الملك لم يزل ماثرا على بث الممدله بين الرجة ، كافا يد الظلم عن العالم ، لا يقدم إلا على ما فيه مصالح الخلائق ومناجج أوطارهم فيبأهم في ذلك المحفل يكتبون شهاداتهم في ذلك المحضر إذ بلغهم صياح عظيم ملائمة الانس من باب الإيوان . فسأل الضحاك عن ذلك فقالوا متظلم مستغيث . فأمر به فادخل عليه . ولما مثل بين يديه شبك أصابعه على أم رأسه ، ورفع صوته بالبكاء والمويل . وقال أيها الملك : إنك قد ملكت أقاليم الأرض ، ونفذت أوامرك في الشرق والغرب . لكنك نكائتك منحصرة في هذه الخطئة . وبالأأس قتل ولدى ، وقرة عيني لإطعام دماغه للحيتين ، ولم يبق لي غير هذا الولد ، وقد أخذ اليوم . فكيف انتهت التوبة الى من بين جميع الخلق في هذه المدة

- (١) كو : مطلع على أمه . (٢) كو : فاستدبر . (٣) ك : ط : أبين . (٤) ك : ط : أهل الفرس . (٥) كو : منكبه . (٦) كو : خروجها به . (٧) ك : ط : ملاح . (٨) كو : أوطارهم ومناظم أحوالهم . (٩) ك : كو : مينا . (١٠) كو : ك : ط : لكن بكائك . (١١) ك : كو : ط : قتلوا . (١٢) ك : كو : ط : الحيتين . (١٣) ك : كو : ط : أغفوه .

القرية ؟ فأمر الملك برد ولده عليه، واستعطافه بالإحسان اليه . ثم قدم ذلك المحضر اليه، فأمر^(١) أن يكتب شهادة^(٢) فيه . فلما قرأه ورأى خطوط العلماء والزهاد والعباد مثبتة فيه أقبل على الحاضرين، وقال لاعلماء السوء، ويا أعداء الحق، ويا أهل النار أشهدون بالزور لهذا الظالم الفاجر؛ ومزق المحضر، ورماه في وجوه القوم، ورفع صوته، ونخرج من الإيوان يستغيث ويصيح، وتبعه من أوباش البلد والمظلومين خلق كثير . وكان هذا الرجل يسمى جاوه وكان حدادا بجاء الى الدكان وأخذ قطعة جلد يغطي بها الحداد قدمه عند تطريق الحديد المحاة، ورفعها على رأس عصا شبه العلم . فاجتمع تحت رايته خلق كثير، وسواد عظيم . ونادوا بشعار أفريدون . نعم فلما أخبر الضحاك بذلك قال : لما دخل على هذا المتظم رأيت كأن جبلا من الحديد حال بيني وبينه . وقد أوجست في نفسي منه خيفة فقلت أحشائي، وشغلت خاطري . وما أرى ذلك إلا من علامات زوال ملكي، واطقلاب حالي . ولنفل شمس دولتي قد أذنت بالغروب، ووجه حظي علت يد الشعوب .

قال فخرج جاوه بمن معه من المتادين بطاعة أفريدون يطلبون مقعده، ويتبعون أثره . فلما قرب من أفريدون في ذلك الجمل الغفير والعسد الكبير تهلل وجهه فرحا وبشرته السعادة أن تبأشير صبح دولته همت بالطلوع ، وتبين تلك الزاية المنصورة . وكانت تسمى دَرَفَش جاويان^(٣) وكان ملوك الفرس يتوارثونها ويتمتعون بها، ورصعوا ذلك الجلد بالآلئ والياقوت، وعلقوا عليه علائق الديباج والحرير . وصارت تلك الزاية آية بين ملوك الفرس كأنما أنزلت في شأنها آيات الظفر والفتح . فمارفت في معركة الا والسعادة تعرف عليها بالأجنحة ، والإقبال يضرب تحت ظلها بالجران . وسيأتي ذكرها في مواضعها من الكتاب^(٤) .

قال ثم إن أفريدون جاء بعد مدة من الزمان الى أمه كالليث الكاشر، والعقاب الكاسر . وقال المهمة صاعدة^(٥)، والعزيمة مصممة على النهوض الى تخيم هذا الثعبان للانتقام، وكف عاديته عن سائر الأنام . وكان له رفيقان من أولاد المرازبة مخصوصان برزاة الرأي، ورسانة العقل . فتأورهما في أسر القتال ، وأمرهما بإحضار الحدادين لاتخاذ عتة اخترعها بقله ، واستحدثها بفكره . فجاءوا^(٦) بأحلق الصناعات وأذكارهم في صنعة آلات الحرب ، فنقش على الأرض صورة بقرة وأمره أن يعمل

- (١) ك، كو، طا : وأمر . (٢) ك، كو . طا : شهادة . (٣) ك، كو . طا : بأهل .
 (٤) ك، كو، طا : فجه . (٥) تريب ككاه . (٦) كو . فرضه . (٧) كو : ز : ويقال
 كايان . (٨) طا : وكانت . (٩) ك، طا : وقد رصعوها بالآلئ . (١٠) ك : في موضعه .
 (١١) كو، طا : صادقة . (١٢) ك : بجاء . (١٣) كو : نور .

على مثالها جرزا من الحديد . فعمله وجاء به الى حضرتة ، فهزه بتلك الأعضاد الشديدة ونهض
 فيمن معه من بهم الرجال ، وأبناء القتال . يقطعون المراحل كالرياح العواصف ، وخلايا السفين
 بالنواصف . ولم يزل يصل التاويب بالإسآد ، ويجمع بين الإغوار والإنجاد . حتى خيم على شاطئ
 دجلة الزوراء فتقدم الى الملاحين بإحضار المراكب والزوارق للعبور . فامتنعوا وقالوا لا بد من جواز
 من الملك . فاحتم غيظا وأمر العسكر بالعبور على حوارك الخيول . وتقدمهم كالفعل القطم ، وسيل
 العرم ، حتى عبر . ولم يزل يطير على قوادم الركض الى أن قرب من بيت المقدس . فرأى قصرا
 منيعا ، وطارما مشيدا ، وإيوانا عاليا كادت شرفاته تتأطح الجوزاء ، وتمس السماء . فعلم أنها للضحاك .
 فنادى بالعسكر وأمرهم بالهجوم على تلك القصور قبل احتشاد مستحفظيها والمولدين بها للدافسة
 والممانعة . فلم يحس القوم إلا بالملك الهام ، مطلا عليهم كالفهم ، وبجافل محيطة بالمدينة إحاطة الأطواق
 بالأعناق . فتوغل تلك الديار ، وتوغل القلاع ، وقصد الإيوان الرفيع ، والقصر المنيع . فدخله قسرا
 وأطل على سرير السلطنة قهرا ، وأدرج كل من فيها من العفاريات الذين وكلوا بحفظها وحفظ خزانها
 تحت وطأة البأس . وملك كل ما فيها من الذخائر والجواهر . وأحصر حظايا الضحاك وأقمار بحيفه ،
 وشموس حجبته . وكانت فيهن شقيقتان^(٣) بلشيد قد أخذهما الضحاك عند استيلائه على الملك .
 فلما وقعت أعينهما على أفريدون حركتهما العروق النوازع ، وتفجرت من عاجزهما الدموع
 الهوامع . فاستخبرهما عن الضحاك ، وذاكرهما سوء آثاره وقبح أفعاله . فأعلمتا أنه توجه نحو بلاد
 الهند^(١) في عساكره ، وجماهير جمافله . أسفك دماثهم ، واستباحة ذخائرهم وأموالهم ، على عادته الذميمة ،
 وسيرته القبيحة .

قال فيينا الملك أفريدون على تحت الضحاك بين حظايا وجواريه إذ دخل وزير^(ب) الضحاك
 عليه . فلما رآه خرساجدا بين يديه . ولما رفع رأسه أطلق لسانه بالدعاء ، لاستدامة دولته المليئة . فقبله
 أفريدون ، واستندته الى بساطه ، واستخبره عن أحوال صاحبه ، وما قاساه الناس من فعله القبيح ،
 وظلمه الشنيع . ففتح عليه خزان الأسرار ، وسرد عليه جميع الأخبار . فخرج على غرة من القوم وتشذر

- (١) في الشاه : ليعلم من السحر ولأنه لا يستطيع القرار لما أخبره به بعض التجبير ، ولأن الحيتن يلقاها الخ .
 (ب) اسم الوزير في الشاه : كندراف وهو من تشترك فيهم الأساطير الهندية والارانية . فهو في فيدا " كندهاقا " ^(٤)
 الحاروس الإلهي للشراب المقدس "سوما" وهو في أبناس "كندروا" : شيطان كان قتله من أعظم مآثر البطل الآري القديم
 "كندرشاب" انظر أفستا : ج ٢ ص ٦٣ ، وروز : ج ١ ص ١٤٣
 (١) كوز : والمرافق القتولة واستنصه . (٢) كوز : في السكر . (٣) كوز ... من بنات .
 (٤) كوز : ط : الفلباء . (٥) كوز : ثم أنه خرج وأمرودي هجرة عرية الخ .

جوادا كالريح المرسلة وطار الى حضرة الضحاك . فلما وصل الى مخيمه استأذن فدخل عليه . فأنكر قدومه . فأخبره بصورة الحال ، وأعلمه أن أفريدون هم على إخوانه فتوغله ، وقتل حشمه وخوله ، واستبد بتلك الذخائر والغازب ، واستمتع بالحظايا الخرد الكواكب ، وأطاعه أهل المدينة ، وصفت له المملكة بلا منازع ولا مدافع .

فلما سمع الضحاك ذلك احترق تغيظا ، وتسفس مستشيطا ، وأمر فنودي في عسكره بالارتحال ، ونهض متوجها نحو بيت المقدس كالسيل المتلاطم ، والليل المتراكم . فلم يحس القوم إلا بطلائع التحليل^(١) متبايعين ، وسرعان الجيش متواصلين ، تقدم مواكب تسد السكاك بالعجاج ، وتموج كالبحر المتدافع الأمواج . وأمامهم الضحاك كالتنين الصائل ، والأفصوان المائل . فلما قربوا من سور المدينة قام أهلها في وجوههم ، ودفعوا في نحورهم ، وأمطروا عليهم عن أيمن^(٢) وال شمال شأيب النبال ، ينادون بشعار أفريدون ، وبظل أمانه يستعيذون . فأخذ^(٣) الداء المضال لاستعصائهم وممالأتهم عدوه عليه . وبات يتلوى حنقا ، ويتقلقل أرقا ، ويمحرق بنار الغيرة ، غربقا^(٤) بين أمواج الحيرة . حيث رأى بعينه تلك الخرائد الأبكار ، والعرائس الأتراب ، في طارمه المنضد بالوشائع والدبابيح ، وعلى سريره المرصع بالجواهر واليواقيت ، بين يدي عدوه أفريدون وهو الهادم مباني ملكه ، والمنكسر راية دولته . فحمله الحمية الجاهلية على أن خرج مدججا شاكي السلاح لا يعرف ، وأخذ وهقا في طول ستين ذراعا ، فجاء الى عقر قصره وعلق الوهق على بعض الشرفات ، وتوقل حتى صعد القصر على غفلة من الحراس . وأطلع من أعلى الإيوان على أفريدون قاعدا على بعض الأرائك مع إحدى زوجتيه . فلما رأى ذلك علق الوهق ، وانحط كالقضاء من السماء ، والمقاب من المقاب ، وفي يده حربة كشواظ من نار فلما رآه أفريدون أهوى بيده الى الحزرفرعه ، ثم صبه مثل الصاعقة على رأسه ، فتنشظت البيضة عليه ، وهم أفريدون بقطع ورديه . فمثل ملك^(٥) (١) بين يديه وقال إن الله قد أنسا في أجل هذا الثعبان ، وأمر بتعذيبه طوال الزمان . فشده وثاقه ، وضيق عليه خناقه . فاذا وصلت الى جبل دنباوند (ب) فاحبس فيه . فأخذ سيرا من جلد الأسد صريرا قويا ، وجمع به أطرافه في عقدة لا يذكر عاقدها

(١) هو سروش في الشاهنامه . (ب) الذي في الشاه أن الملك أمره بأن يحمله حتى يجذب جبليين متقاربين فيربط به هناك . فلما بلغ أفريدون "شبرخوان" عمد الى الجبل وأراد أن يلق الضحاك على رأسه . فجاء سروش وأمره بالمسير به الى جبل "دملود" الخ .

(١) لك : بطلائع القوم . (٢) كو : فأخذ الضحاك . (٣) من هنا الى الحرب . ويحمر وتوروسلم . ساقط من نسخة كو . (٤) لك ط : الله تعالى . (٥) لك ط : يجمع .

الحل . وغادره تحت نخته طريقا لطيف به الخذلان ، ويبكى عليه الكفران . قال فأمر أفريدون فتودى من أعلى ذلك الإيوان بصوت يطن^(٢) به الخافقان : ألا إن جناح الشر قد كسر ، وموقد ناره أسر . فيا أسود التزل ، ويا فرسان النضال ، رددوا الى المراكز الرماح ، وحطوا عن العواتق الصفاح ، وبادروا الى غيم سلطان الزمان ، واستعيذوا بظل العدل والأمان . فأنجذت الحروب نارها ، وحطت أوزارها . وانتالت قواد الضحاك وأمرأؤه على جنب أفريدون مطاوعين ومبايعين . ففتح الخزائن ، وأخرج الدفائن ، وفرق فيهم الرغائب ، وأفاض عليهم الخلع والمواهب . قال ثم رتب أفريدون توابه بالمدينة ، وأمرهم ببسط ظلال الرأفة على كافة الرعية . وعزم على النهوض نفرج في مواكب النصر ، وحجافل الظفر ، وأمر بالضحاك فأخرج على قتب عار ، بين شنار وعار ، عبدة للناظرين ، وموعظة للظالمين . فلم يزل ينجم ويقوّض ، ويمهل ويرحل . حتى قرب من دُناوند وهى من نواحي الرى فسار في غمام شعاب^(٣) ، حتى حصل بين جبلين متناطحين . فوجد هناك مغارة محشوة بالظلمات ترى في النهار الشامس ، كالليل الدامس . فدعا بمسامير الحديد ، وقيد الضحاك ، وأودعه تلك فهو يعذب فيها الى يوم القيامة بسوء عمله ، وقبح أثره .

٦ - ذكر نوبة أفريدون ، وما جرى في عهده من الوقائع

قال صاحب الكتاب : ثم انتهت نوبة الملك الى أفريدون . فاعتصب بالناج وتجسلى على سرير الملك أول يوم من ماه مهر . فاتخذ مجلسا عظيما حضرته الخاصة والعامة ، يهنؤه بالملك الجديد ، ويدعون لأيامه بالتأييد والتعجيل ، ويشكرون الله على ما أفاض عليهم من ملابس عدله ، وأزّل اليهم من عوارف

٦ - أفريدون^(٧)

بطل تشترك فيه أساطير إيران والهند كذلك . وهو هرقل الإيرانيين الذى غلب "أزى دهاكه" وقبده على جبل دماوند ، كما تقدم .

وفى الأبتساق^(٨) : "والرابعة عشرة من الأرضين والأقاليم الطيبة التى خلقتها أنا أهرامزدا كانت قرينا ذات الزوايا الأربع التى ولد لها تريموتا الذى حطم أزى دهاكه" . وفى موضع آخر أن المجد الإلهي =

(١) ك : وأمر . (٢) ك : ط : يلق . (٣) ك : ط : فى المدينة . (٤) ك : ط : وشعاب . (٥) ك : تلك المغارة . (٦) ك : ط : تعالى . (٧) ويقال فريدون بحذف الالف . وفى الآثار الباقية أن لقبه (المؤيد) . (٨) ج ١ ص ٩ (٩) يقول بعض شراح الأبتساق إنها طبرستان أو أديلم . ويقول آخرهى جبل

دماوند الذى قيد عليه الضحاك : أفستا ج ١ ص ٩ حاشية ٢

فضله . ثم أمر فبسطوا سماعا عظيما يسحب الحاضرين ، ويروع الناظرين بالآلات الرائقة من الأواني المخروطة من قطع البلخش فضلا عن الذهبيات المكحلة بالآلئ ، والفضيات الموشحة بالجواهر، فلما رفع السباط جلس للشراب فأحضروا الكراين المحسنات ، والجواري المسمعات . واصطف على رأسه روقة الغلمان بمناطق الذهب المرصعة بالياوقيت الحمر، والآلئ الزهر . فتشمرت

= حينما فارق جمشيد المرة الثانية أخذه ثرثونا وارث قبيلة أنوياء الباسلة الذي كان أعظم مظفر في الناس بعد زرتشترا .

ثم نجد أفريدون في الأبتاق طيبيا . وكانت الأمراض تعزى إلى سموم الثعبان، فليس عجيبا أن يكون هازم الثعبان طيبيا . وهو في الطب يشبه ثرثينا أول طبيب الذي أنزل إليه أهرا مزدا عشرة آلاف من الأعشاب الشافية كانت نابتة حول شجرة الخلد (هوم) البيضاء^(١) . وقد نجد في الكتب الفارسية والعربية المتأخرة أن أفريدون أول من نظرفى الطب وأول من استخرج الأدوية من النبات وأول من رقى المرضى^(٢) .

وأسطورة أفريدون في الأبتاق تشبه أسطورة في القيدا الهندية . وأكبر الفطن أنهما تمان إلى أصل واحد : يذكر في القيدا ثرثينا أيتيا الذي أعطته الآلهة موهبة شفاء المرضى . ويذكر بطل اسمه ثرثينا قتل ماردا . وينسب إلى أحدهما ما ينسب إلى الآخر . مثل ثرثونا وثرثينا في الأبتاق . وأيتيا الذي يلقب به ثرثينا في القيدا هو أنوياء اسم قبيلة ثرثونا في الأبتاق . وهو أبتين أو أنفيا الذي هو اسم أبى أفريدون في الشاهنامه وغيرها من الكتب المتأخرة .

ويختلف النسابون في نسب أفريدون . ويرى ابن البلخي أن سبب الاختلاف أن أولاد جمشيد هربوا بعد الذى أصاب أباهم على يد الضحاك ، وعاشوا بين رعاة البقر والغنم ألف سنة - زمان ملك الضحاك . ويذكر ابن أفريدون وجمشيد أحد عشر أبا كلهم يلقب أنفيا . وكلهم إلا آخرهم يسمى باسم يدل على بقرة وصفتها مثل " اسيدكاو " أى البقرة البيضاء . ويقول ابن أنفيا لقب مثل " كى " التى توصل بأسماء الملوك الكيانين مثل كيخسرو وكيكاوس ، وإنهم سمو بهذه الأسماء الدالة على البقر إذ كانوا رعاة ، وإنه من أجل هذا اتخذ أفريدون المقمعة ، وهى سلاح الرعاة ، وصوّر طرفها كراس بقرة ، وإنه حينما خرج على جمشيد ركب بقرة حتى استتب له الأمر^(٣) . =

(٢) صبح الأعنى، ج ١ ص ٤٢٠ وفارس نامه ص ٣٦

(١) أفستاج ١ ص ٢٢٦ و ٢٤٦

(٣) فارس نامه ص ١٢ و ٣٦

السفاعة لإدارة الأقداح، واستجلاب الأفراح، بسلاف الراح. فصار المجلس يفتكر كالفردوس نضارة، ويتهلل كرياض الجنات غضارة. ثم أمر بضرب الدنانير وإفراغها على الحاضرين على اختلاف المقادير. فصار ذلك اليوم غرة في جبهة الزمان. وهو اليوم المعروف بعيد "المهرجان".

= وفي مجمل التواريخ أن أفريدون هو ابن أبتين أو أنفبال بن همايون بن جمشيد وأن أمه فرانك أو فِرَتَك بنت طهور ملك جزيرة بَسلَا في بحر مجدين^(١).

وفي الشاهنامة أن أفريدون ربي بلبن البقرة العجبية "بُرمایه".

وفي تاريخ طبرستان لابن اسفنديار أن أفريدون ولد في طبرستان بقرية ورَكة في حضيض جبل دماوند، وإلى هذه القرية طاعت أم أفريدون وخدمها حين تفرقت أسرة جمشيد فوقاً من الضحاك. فلما ولد أفريدون هاجروا إلى قرية جلاب، ولما بلغ السابعة من سنه كان يرسم الأبقار في أنوفها ويركها فكان شمساً ثانية تطلع من "الثور" (يعني برج الثور). وكان الصبيان يحتهون به ويمتدون برأيه. ثم هاجروا إلى قرية ما وجكوه. ولحق بهم أهل "أُميدَ واركوه" و"كوه قارن" الذين صنعوا للأدير الصغير المقصعة المشهورة التي رأسها كراس البقرة. ثم تكلأ اتباعه فأغار على العراق، فلما بلغ إصفهان اتبعه كاهن الخداز حتى أسر الضحاك وقيده في مغارة على جبل دماوند لا تزال معروفة. فلما استقر له الأمر في الأقاليم السبعة سكن تخيشه حيث ترى اليوم آثار قصوره في مكان اسمه بانصران الخ.

فانظر كيف ترتبط أسطورة أفريدون بالقر في رواياتها كلها. وكذلك أساطير أعياد الفرس التي تفتن بذكرى أفريدون^(٢).



وأفريدون هو نوح الإيرانيين كما يتبين من قصته وقصة أبنائه الثلاثة. وقد قسم نوح الأرض بين أبنائه كما قسمها أفريدون^(٣).

وأسماء أبناء أفريدون في الأبتاق: سيرما وتور وأيريو. واللام والراء في الفهلوية تلتبس أحدهما بالآخر فليس بعيداً أن يحول سيرما إلى سلم. وقد ذكره الطبري باسم "سرم". والبيروني باسم "سرم".

=

(١) لك ط: بصب. (٢) أنظر مول (mohl) ج ١ ص ٧٩ (٣) ص ١٥ وما بعدها. (٤) الآثار الباقية

قال فوردت البشائر على أمه مآك بأن ذاك المسلال صار بدرا كاملا، وتلك المخايل فيه صرن شماتلا، وأن ابنها طاول الأفلاك، وقطر على أرض المهانة الضحاك. وأخرس أصداء أبيه بإدراك النار المنيم، وأنطق أسنة المحامد بفضلته العميم، وطوله الجسم . نفرت ساجدة لله تغفر خدعا في التراب،



وقد ذكر في الشعر العربي أفريدون وأبناؤه وقسم الملك بينهم . وتقدم بعض هذا في فصل الضحاك . ومنه قول بدیع الزمان الهمداني في مدح السلطان محمود الغزنوي .^(١)
أفريدون في التاج أم الاسكندر الثاني ؟
وقول بعض الشعراء :^(٢)

وقسما ملڪنا في دهرنا	قسمة اللحم على ظهر وضم
بجعلنا الشام والروم إلى	مغرب الشمس إلى الغطريف سلم
وطلوج جعل الترك له	فبلاد الترك يحويها ابن عم
ولإيران جعلنا عنوة	فارس الملك، وفزنا بالعم



وفي عهد فريدون يتسع القصص في الشاهنامة، ويبدأ الحلال الشديد بين الإيرانيين والتورانيين . ومن الحوادث التي حذفها المترجم أن أخوى فريدون : كيانوش وپرمایه ائتمرا على قتله ، فأخبره الملك سُروش ، وعلمه كيف يرد كيدهما بالسحر . فلما ذهب أفريدون لحرب الضحاك تزل في حضيض جبل البرز قنار، فخرج أخواه صخرة من قة الجبل، فاستيقظ والصخرة تتدهدى إليه فوقها بالسحر . وهي قصة جدية بالعتاية لكثرة ما يذكر في الشاهنامة وغيرها من العداء بين الإخوة في هذا العهد الخرافي . فاستور أخو جمشيد كان عوناً للضحاك على أخيه وهو الذي نشره بالمنشار، كما تذكر الأبتساق . والقتال بين أبناء أفريدون وفزيتهم معروف . ثم رسم بطل الأبطال لا يقتل إلا بمكيدة أخيه شغاد، كما يحى .

ثم قصة أفريدون في الشاهنامة واحد ونمسون ومائة وألف بيت مقسمة إلى هذه الفصول ، وما بين الأقواس محذوف من الترجمة .

(١) ك ط ا : تعالى . (٢) يقيمة الدهر : ترجمة بدیع الزمان . (٣) البلدان ص ٣٧ ، والآثار الباقية

ص ١٠٤ ، ومرج الذهب ، وزنة الأم ص ١٩ على خلاف قليل في الرواية .

وتفض من أجفانها عقود اللؤلؤ المذاب . ثم أمرت بنثر الجواهر على الواردين بتلك البشائر ، وإفاضة الصدقات على الفقراء والمساكين شكراً لله تعالى على ما خصص به قرة عينها وثمرة قلبها . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

قال ثم عزم أفريدون على الرحيل فسار في عساكره ، وطاف في المشرق والمغرب يهدد أساس العدل ، ويهدم قواعد الظلم . حتى عمر جميع الأرض بحسن السياسة ، ووفور الرحمة والرأفة .

قال فرزق بعد أن بلغ خمسين سنة من عمره ثلاثة أشبال من بقي جمشيد (١) فرباهم بين صحره ونحره حتى ترعرعوا وراهقوا البلوغ . وكان له في المملكة رجل (ب) موسوم بالعقل الكامل ، والرأى الثاقب . فدعاه وتقدم إليه بأن يطوف في البلاد مفتشاً عن أخوات ثلاث من البيوت الجبار ، والقبائل الشريفة ، يصلحن للاتصال بهؤلاء الأشبال . فتجوز لذلك وطاف في جميع الأقطار ينقب ويبحث حتى علم بأن سروا ملك اليمن قد رزق ثلاث بنات مقابلات موصوفات بالجمال الكامل ، والعقل الوافر . فسار حتى قدم اليمن فالتقى الملك مورده بالإعظام والإجلال ، وأنزله في طارم (ج) رفيع مشيد^(١١) ، وأدر عليه الأتزال ، ووفر عليه الوظائف . ثم استحضره^(١٢) بعد ثلاثة أيام واستنخره^(١٣) عما وراءه ،

= (١) ملك فريدون ٥٠٠ سنة . جلوس فريدون على تخت . (٢) إرسال فريدون جندل إلى اليمن . (٣) إجابة ملك اليمن جندل . (٤) ذهب أبناء فريدون إلى ملك اليمن . (٥) محاولة سرو (ملك اليمن) أن يسحر أبناء فريدون . (٦) تجريب فريدون أبناءه . (٧) تقسيم فريدون العالم بين أبنائه . (٨) حسد سلم إيرج . (٩) رسالة سلم وتور إلى فريدون . (١٠) إجابة فريدون ابنه . (١١) ذهب إيرج إلى أخويه . (١٢) قتل إيرج بيد أخويه . (١٣) علم فريدون بقتل إيرج . (١٤) ولادة بنت إيرج . (١٥) ولادة منوچهر . (١٦) سماع سلم وتور بمنوچهر . (١٧) إرسال الابنتين رسالة إلى فريدون . (١٨) إجابة فريدون . (١٩) إرسال فريدون منوچهر لحرب تور وسلم . (٢٠) هجوم منوچهر على جيش تور . (٢١) قتل تور بيد منوچهر . (٢٢) كتاب الفتح من منوچهر إلى فريدون . (٢٣) استيلاء قارن على قلعة الألائيين . (٢٤) (هجوم كاكوي حفيد الضحاك) . (٢٥) هرب سلم وقتله بيد منوچهر . (٢٦) إرسال رأس سلم إلى فريدون . (٢٧) موت فريدون .

(١) هما شهر نازد آرنواز الثانيان خليفتهما من الضحاك . وفي الشاه أن الأول أم تور وسلم ، والثانية أم إيرج . وهذا يفسر بعض أسباب الخلاف بين إيرج وأخويه . (ب) اسمه جندل في الشاه . (ج) قبة . (١) ك : طا : وقصر مشيد . (٢) ك : واستحضره (٣) ك : ثم استنخره .

فأعلمه أن أفريدون أرسله^(١) الى حضرته خاطبا لمخدراته الثلاث لأشباهه الثلاثة، وأنه راغب في التعام أواصر الشجن من الجنايين . فلما سمع الرسالة قام وقبل الأرض على رسم الخدمة ، وأطلق لسانه بالثناء والدعاء، ورد الرسول الى مخيمه، واستقبله ثلاثة أيام حتى يفكر في الأمر . فخلا بوزرائه وأركان دولته، وشاورهم في تلقى سؤال أفريدون بالإسعاف، أو مقابلته بالمنع والتشمر للخلاف . فمن مشير بالامتناع حذما لمادة أطاع الأغيار عن مداخلته في مملكته، وآمر بالانقياد لإصلاحا لذات البين ، وايعتضد البعض ببعض من الجنايين . فكانت آراؤهم تتفق مرة وتختلف أخرى حتى استقرت على أن الإذعان لهذا الملك أولى من مخالفته، والملاينة معه أعود من غاشته . فاحضر الرسول وأوسعه تطلوا وإكراما، وتفضلا وإنصاما . ثم افتتح الكلام بالدعاء للكل وبدوام أيامه الزاهرة، ودولته القاهرة . ثم قال : الأوامر العالية ممثلة، والرغبة في المواصله الميمونة صادقة . ولكن المامول أن ينعم الملك ويحشم أشباهه النهوض الى هذه الخطة تحت رايات السعادة ، وظلال السيادة ، حتى تكتحل بروائهم العين ، وينشرح بلقائهم الصدر . ثم تألف الأقارب بالشموس بالطائر الميمون ، والطالع المسعود . فاذا حصل الاتحاد والامتراج ردوا الأتعة في مواكب الجلال ، وعادوا الحضرة تحت ظلال الإقبال . فرجع الرسول على هذه الجملة الى أفريدون . فلما مثل بين يديه قبل الأرض وعرض عليه ما شاهده من صورة الحال، وأخبره بصدق رغبة صاحب اليمن في المصاهرة . فاحضر أبناء وأمرهم بالنهوض الى اليمن فجهزهم اليها توخيا لرضاء . ولما وصلوا تلقاهم بآتم إكرام، وقابلهم بأحسن إنعام، وأبلغ إعظام . وانتظمت بينهم أسباب الاتصال على جملة الامتراج والاتساج (١) . وأقاموا هنالك مدة من الزمان . ثم سرحهم بعد حصول الاستئناس والاتلاف الى حضرة أفريدون .

فلما قدموا عليه (ب) ورأى ثلاثة أبقار كللتهم السعود بأنوار الكمال، وكساهم العلورقارف الجمال قسم الدنيا بينهم ثلاثة أقسام ، وعين لكل واحد صوبا معلوما، ليستقل على مقتضى أحكام السلطنة في أرضه بالحل والعقد ، والإبرام والتقص . فعين لسلم ، وهو أكبر أولاده، أرض الروم وبلاد المغرب وما تانحها من تلك الممالك، وكنور بلاد الصين والترك وسائر ما يضاف اليها من تلك الولايات،

(١) في الشاه أن ملك اليمن أراد أن يملك أولاد أفريدون فأرسله لئلا فيستان ثم أحب عليهم بالسحر ربحا باردة، ولكنهم تيقظوا وأبطلوا السحر . وأنه أعطى بناته كلها . (ب) في الشاه أن أفريدون استن أولاده حين قدموا من اليمن فتمثل لهم ثينا هائلا يثير العار ويثب النار ، غلاف الأكبر ورفقه ، فهدم الى الأوسط فأخرج هذا نوسة ، فتركه الى الأصغر فلم يترج وأمره بالانصراف وهدده . ثم رجع أفريدون الى صورته ، وأخبر أولاده بما فعل . ووصف الأول بالحزم ، وسماه سلما ، والثاني بالشجاعة والتبؤر ، وسماه تورا ، والثالث بالشجاعة والثؤدة ، وسماه إيرج . - وسمى امرأة سلم "أرزدى" . وامرأة تور "ماه" وامرأة إيرج "سهي" .

(١) ك ط : أقده . (٢) ك ط : يفكر .

ولإيرج وهو أصغرهم ممالك العراق مع أرض بابل الى آخر بلاد الهند، وهى واسطة قلادة المملكة، ومستقر سرير السلطنة. وجعله ولي عهده، ووهب له الإكليل الراجع، والتخت الباهر، والجرز المائل.

فتوجه كلا الأخوين الى ممالكهما في عساكر كالجبال المسائرة والبحار الزائرة، حتى استقرا على سرير ملكهما ومبوا عزهما. فضت على ذلك مدة من الزمان ترقى أمورهما، وتتصاعد جدودهما، الى أن بلغت رتبة الكمال، فأذنت بالزوال. ودب بين الاخوة عقارب الشحنة تجتذ العروق الشواجر، وتقطع الأرحام والأواصر. وأول ذلك أن سلما عظم عليه إشار أبه أخاه الصغير عليه، وتخصيصه إياه بولاية العهد. فكتب الى تور يقول: إن الملك قد ظلمنا في هذه القسمة. فإنه زحزح كل واحد منا الى طرف من نواحي الأرض، وفضل علينا إيرج مع صغر سنه، وخور عنان عقله. ويذكر أنه لا يخفى على العالمين أنه مع كبر السن أطول الأخوة باعا، وأرحبهم ذراعا، وأروعهم سيفا وسنانا، وأتقهم زنادا وأندام بنانا. وأنه إن لم يكن هو أهلا لولاية العهد، ووراثه التاج والتخت فالصواب أن يفوضها الى تور. فان خلاقي الأرض قاطبة، شارقة وغاربة اتفقوا على استحفاظه لتلك بمكارمه الباهرة، ومساعدته الزاهرة. وذكر أن الرضا بذلك سبة تبقى آثارها على وجوه الدهر لا يحضها عنها يد الشهور والأعوام. فالرأي أن نجتمع وتعاقد ثم نرسل الى حضرة الملك ونعرفه إنكارنا عليه ذلك. فلعله يستدرك الأمر، ويحجم الشر بتغيير هذه القسمة، وبتزليل كل واحد من الأولاد محله على مقتضى الاستحقاق، قبل توارى قره المحنوم المحاق. فوردت هذه الرسالة من أخيه على صدر موغر، وقلب بالفيظ مستعر. فرد إليه الجواب، مقابلا رأيه بالاستصواب. وتواعدا على الاجتماع ومناضلة الآراء. فنهض أحدهما من الروم والآخري من الترك، والتقى في بعض أطراف المملكة (١) فاطلع كل واحد منهما الآخر على مستودع ضميره، وغزون سره. فتعاهدا على الترافد والتظاهر، والتناصر والتظافر. ثم أنهضا بعض الدهاة من أعيان الدولتين رسولا الى أفريدون، وحمله رسائل توغر الصدور، وشير الحفود. وأمرأه أن ينهى الى ذلك الملك الباسخ، والطود الشاخ أن الله تعالى لما ملكه نواحي العباد، وأورثه الأدنى والأفصى من البلاد أمره بسط العدل والإنصاف، والتكب عن الحيف والإجحاف. وهو قد قابل نعمه بالكفران، وأوامره بالعصيان، في تسيط هذه المملكة. حيث قسط الممالك على مقتضى هوى النفس، ورجح جانب الصغير على الكبير، من غير اختصاصه بمزية الشرف، ولا تميزه بمزيد فضيلة. وإنما الصواب

(١) في الفر: أنهما اجتمعا في أفريجان، ص ٤٤

(١) ك: كلى. (٢) ك: ط: سررى. (٣) ك: الأرحام الأوامر. (٤) ك: ط: يسلمها.

(٥) ك: ط: مجنوم. (٦) ك: في النسخ كلها. وأحسبها "الضافر".

أن يعمده الى بعض أطراف المحالك كما أبعد الآخرين ، ويباشر أمور السلطنة بنفسه ، ثم يتدبر بعد ذلك في ترتيب ولاية العهد لمن هو أخرى بها وأجدر . وإن أبى ذلك فإنما سنجعل بلاده مرابط الجحافل ، ومراكر القنا والقنابل ، فتأخذ الأمر قسرا ، ونملك التاج والتخت قهرا .

فنهض الرسول ولم يزل يطوى أطراف السبابس ، ويمسح أكثاف المهامه ، حتى قرب من سراقق الملك . فرأى من المهابة ما ملأ عينه وراع قلبه . وأخبر الملك بقدمه فامر بإحضاره . فلما مثل بين يديه استخبره أولا عن قرتى عينه ، وغلذنى كبده ، واستقامة أمور مملكتهما ، وانتظام أحوال دولتهما . فأعلمه أنها على جملة تسرقلوب الأولياء ، وتسخن عيون الأعداء . ثم سأله بعد المؤانسة والملاطفة عما يحمله من الرسالة . فغز الرسول ساجدا ثم رفع رأسه وقال : أيها الملك إني عبد مأمور ، ومعى رسالة ناطقة بلسان الحفيظة ، تنطف دما ، وتعقب صاحبها ندما . ولا بد من إذن الملك في إبلاغها الى المسامع العالية . فأذن له حتى بلغه ما حمل من تلك الرسالة . فلما سمع ذلك أطرق ساعة ثم تنفس عن زفير قطع أحشائه ، ومزق أكباد^(٢)ه ، وعض على يديه حتى ضرج^(٣) بنانه . وعلم أن طلائع الشر طالعة ، ونواجم الفتن لامعة . فأجاب عن تلك الرسالات بإبراق وإرعاد ، وإعذار وإنذار . وأشار على الرسول بالرجوع . فلم يرج بصورة الحال وحضرين يدى الملك وقال : إن اختلاف الكلمة يورث زوال الملك وتشت^(٥) الأمور . والرأى أن أركب اليهما ، وأدخل طليهما ، وأحمد نائرة هذه الفتنة ، وأنفادى مستغنيا عن السلطنة ، وأسلم الأمر اليهما ، وأوفر المملكة عليهما ، وأستمطف جانبهما قبل أن يطرحا قناع الحياء ، ويهتكا ستر الحشمة فيتفاقم الأمر ويعضل الداء ، ولا يمكن التلاقي والتدارك . فكهل القضاء عين بصيرة أفريدون بميل الحيرة ، وأنساه أن الملك عقيم ، وأن داء الحسد قديم . فأذن له في ذلك فنهض في خف من العدد ، وجماعة من خواص العسكر متوجها نحو أخويه للزيارة ، وتطفية النائرة . فلما قرب منهما وأخبرا بقدمه لاصلاح ذات الين ، وإزالة الوحشة من الجانبين ، رجا في مواكبهما للاستقبال ، وتلقيا موارده بالإجلال والإعظام . وأمرنا بتضييد الجواهر على الأطباق برسم التار . فلما تدانت أشواط النواظر ، وأحس كل واحد منهم بوجه الآخر ترجل إرج إعظاما لقدرها ، وإكبارا لمحلها . فتلاقوا وتماقوا ورجعوا الى مضاربهم ، وجلسوا للأنس والطرب ، يترامضون صفو المدام ، ويتلاطفون بحلو الكلام . حتى قدحت في عقولهم الأقداح ، وتمكنت من نفوسهم الراح . قام إرج معتذرا عن ذنب لم يقترقه ، ومستغفرا عن جرم لم يجترحه .

(١) ك : طا : محم .

(٢) ك : كعبه .

(٣) ك : ضرج .

(٤) ك : ثنات .

(٥) ك : ثنات . (٦) ك : اقتاد .

إذا مرضنا أينما كنم نودكم وقدنون فثانيكم ونعند

ولم يزل بهما حتى استعطفهما، والآن عريكتهما، وزرع الغل من صدورهما . وصفت بينهما
شريعة الحال عن كدر التنافس والتحاسد . ولبثوا كذلك حيناً .

ثم إن أهل تلك الممالك لما طلع عليهم إرج برآوا منه ملكاً قد ملأ عين الزمان بصباحة وجهه،
ورجاجة عقله ، مع ما اختص به من السجيا والمسولة ، والشمال المشمولة . فتفاوضوا في ذكره ،
وما حباه الله تعالى من مكارم الشيم ، وإطائف الكرم . فكان لا يجتمع اثنان من أركان تلك الدولة
وأعيانها إلا وكان ذكره سبعة لسانهما ، وراحة أرواحهما ، ونزعة قلوبهما وأسماعهما . فبلغ ذلك إلى
سلم فتحرك ذلك الحقد الدفين ، والحسد القديم . وخلا بتور وأعلمه إقبال قلوب جميع العسكر عليه .
وميل أحوالهم إليه ، وأنهم لا يستقلون إلا بذكر أخلاقه ، ووصف سيره ، واستصواب رأيه^(١٣)
في ترشيحه للسلطنة . فعملهما فساد صميمهما ، ودغل قلوبهما ، على القدر به ، وقطع رحمه . فلما
أصبحا من القدر ربكاً إلى غيظه . فلما رأهما من بعيد استقبلهما متلطفاً ، وتلقاهما متلقفاً . فدخلوا السرايق
وأخلوا المكان ، وقعدوا يتفاوضون في أمور المملكة . فأفضى بهم الكلام إلى ذكر أبيهم وظلمه إياها
في إزاحتها عن صميم المملكة إلى بعض الأطراف . فرفع تور صوته بتسفيه أبيه في ذلك ، وأخذ
إبرج يتلطف ويتلف في الإجابة ، ويذكر أنه قد خرج من تلك المملكة كراهة استيحاتهما ، وتوخيا
لرضاها ، فانجر الحديث حتى وثب تور من مكانه كالنار الموقدة ، وأخذ كرسياً من ذهب كان تحته
ورماه به . ففزع إليه بالبكاء ، وأجهش لديه بالمويل ، وطلب الأمان . فاستمرت به القسوة وأخرج
خنجراً كان معه فهتك به حجاب قلبه ، وقب خزانة روحه ، وجمعه بشبابه الناصر ، وشطاطه الناعم .
ولم يرح الله تعالى حرمة ، ولا راقب لأبيه^(١٤) إلا ولا ذمة ، وغرقه كالشمس وقت الشفق في نيج دمانه ،
ولم يبق على حشاشته وذمانه :

ظلت سيوف بني أبيه تتوشه لله أرحام هياك تشفق

ما كان ضرك لو مننت وربما من الفتى وهو المغيظ المحق

قال ثم أمر برأسه فرفع ، وحشى المسك والكافور ، ولف في ثوب حرير ، وأودع تابوتاً مضمولاً
من ألواح الذهب ، ونقده إلى أبيه .

(١) ك : تعالى به . (٢) ك : إلا كان . (٣) في الأصل : استصواب أبيه ، والصحيح من ك .

(٤) ك ط : ماراقب .

نعم وكان أفريدون ينتظر طلوع رايات ولده، ويعدّ الليالي والأيام دون أوبته . فلما قرب الوقت الذى عينوه لقدومه أمر العساكر بالركوب لاستقباله . وكانوا كل صبيحة يركبون ويتربعون طلوع المهبّل الزاهر، ويطمحون نحو الطريق بالنواظر . فطلع راكب على جبل يشق الأرض ويشير التقع، وبين يديه صندوق مغطى بالديباج والحريّر . فلما قرب من موكب السلطان شق جيبيه، ورفع بالهويل والتعجب صوته، ونهى إليه ولده الذى انتظر مقدمه . فلما سمع ذلك نحر من مركوبه إلى الأرض، وحثا التراب على مفرق كان يأخف من المسك السحيق، والعنبر الفتيق، ورفع صوته بالرنين والشهيق، يقبض أثناء الحشا كذا باحدى يديه، ويمسح بالأخرى سيل الدماء عن عينيه . ولم يبق أحد من أعيان الأمراء وأركان الدولة إلا وهو حاف حاسرين يديه . فرفعوا ذلك الثابوت وأدخلوه الإيوان، وأمر بهدم دار إيرج، وإحراق بستانه، وجلس لل عزاء على عادة الفرس، وبكى حتى نبت العشب حواليه من فيض دموعه . ثم كف بصره، وكان لا يزال يتضرع الى الله تعالى ويتهل اليه ويسأله أن ينتقم له من الفاتكين بولده السافكين لدمه .

وكانت له جارية خلف الستر حاملة من إيرج . فولدت بنتا فكان يريها حتى ترعرعت فزوجها من ابن أخيه بَشَنج . فولدت منوْجهر . فلما أخبر بذلك أفريدون سُرّى عنه بعض همومه وسر به . فكان يريه أحسن تربية ويعلمه آداب الملوك أحسن تعليم . فرد الله تعالى عليه بصره . فلما رأى وجه منوْجهر بشرته أسارى وجهه، ومخايل سعادته، ببلوع الأوطار، وإدراك النار . فترعرع الشاب فى أقرب زمان وأسرع أوان . حتى كان يطاول الإرماع برشاقة قدّه، ويضارع الآساد بقوة بأسه . فأمر أفريدون بإفاضة الأموال عليه، وتمكيه من الخزائن الثمينة، والجواهر الدفينة، واجتمع عليه جميع العساكر . فحدّثته نفسه بالنهوض والتشمير لطلب النار والتشفي من الظلمة الفجار . فطن العالم بذلك، وقامت القيامة على سلم وأخيه . فأخذوا فى ضرب الآراء، واستمالة الأهواء، والتشمير ليوم اللقاء . فانفضا رسولا الى أفريدون وكتبا اليه متتصلين عما جرى على أيديهما من القضاء المقدور، والأمر المحتوم . فلما وصل الرسول أمر بإحضار العساكر والجحافل، وجلس فى صدر الإيوان، وأقعد منوْجهر على سرير من العاج، واصطفى على رأسه الأمراء والقواد . فخرج ساجور من السرداق وأخذ بيد الرسول وأدخله عليه . فلما رآه نرساجدا يفرخه فى التراب . ثم رفع رأسه، وافتتح كلامه بالاعتذار والاستغفار لصاحبيه حتى آذى الرسالة . فأجابه أفريدون بوعيد يتضمضع دونه الجبال

(١) ك : طا : فكانوا . (٢) ك : طا : فأمر . (٣) ك : طا : والسافكين . (٤) ك : تعالى بصره .

(٥) ك : الرياح . (٦) طا : يضارع . (٧) طا : يخلص . (٨) ك : بكلام .

الشواخ، وتفيض عنده البحار الزواجر . وذكر أنه على عزيمة الانتقام ، وطالب النار ، وتجهيز الجحافل تحت رايات منوجهر الى بلادهما ، وارتاع تلك الممالك عن أيديهما . فعاد الرسول طائرا بجناح الاستجمال حتى وصل الى المغرب . فرأى مرادقات سلم وأخيه مضروبة ، وعساكرهما مجموعة . فدخل عليهما في خيمة من الديباج ، ورأهما مجتمعين على تدبير الأمر وتخير الرأي . فطفقا يستخبران عن منوجهر وعن الأمراء المرتين معه ، والأجناد المجتمعين عنده . فتقدم الرسول واقتح كلامه مخبرا عما رآه في تلك الحضرة ؛ فقال : قدمت فحربت من مرادق مضروب كقبة خضراء ، وأدخلت على ملك يشق مرائر الأسود بهيئة ، يلتهب على رأسه تاج من الياقوت ، متجليا على سرير من الذهب ، يبص منه كافور شيب على صفحات وجهه ، ثوقد تحت بشرته نيران الحفيظة ، وبتفرق من ظاهر أديمه ماء الأريحية . وكان على يمينه منوجهر كالنخل الباسق يكاد يبهز الشمس برأته وبهاء منظره . وقد أمه قارن ، وهو صاحب حرب ، كالغزير المصور . وعلى يساره وزيره ملك اجمن كالذكاء المجسم ، والدعاء المصور . وعلى رأسه سام (١) بن زيمان حامل سيفه ، وهو كالسحاب المبرق المرعد . وعلى بابيه شيرويه وسابور كالنعمان الصائل والفضنفر المائل . وأما القيلة والخليل على عدد الزمال ، وكأن مثل الجبال . اذا زحفوا غادروا الجبال سهولا ، والسهول جبالا . واذا ساروا حولوا النهار ظلاما ، والظلام نهارا . فلما سمعا من الرسول ما جاء به من الأخبار المائلة أخذهما المقيم المقعد . فأجالا أفكارهما فيما بينهما من الأمر المهم ، والخطب المدغم . فأمرهما العساكر بالتأهب للحرب ، والاستعداد للطنن والضرب . فنهضا في خيول يضيق عنها الفضاء ، وفيول تنقص بها البيداء .

فوصل الخبر بذلك الى أفريدون فأمر منوجهر بالبروز بمساكره ، وتعبية مقابله ومناسره . فحضرت مرادقاته على ظاهر دار الملك ، وأقام ثمانية أيام حتى اجتمعت العساكر ، وتلاحقت الجحافل . فخرج أفريدون فودعه ، وأوصاه بالأخذ بالحزم فيما يورد ويصدر ، وبأن يذر . وجهره تحت رايات النصر ، وأعلام الظفر . حتى قرب من أرض العدو . فلما تدانى الفريقان ، وتراعى الجمعان ، تناوشوا الحرب من طلوع الشمس ، وداوا على ذلك صحابة نهارهم الى وقت الغروب . فلما غربت الشمس رجع كلا الفريقين الى مضاربهم . وكان هذا دأبهم ثلاثة أيام . وكانت آثار الفشل والضعف تظهر كل يوم في عساكر الترك . فلما رأى تور ذلك رأى أن يصدم عساكر منوجهر

(١) هو جدرستم . ولأسرته مكانة عظيمة في قصص الشاه (انظر مقدمة الفصل الآتي) .

(١) طا : عن يدهما . (٢) ك طا : كفة الخصر . . (٣) ك : تشق ... طية . (٤) في السح ظاها

"يساره" والتصحیح عن الشاه . (٥) كو : وترتيب ميامه وميامره . (٦) ك : كو ، طا : عسكر .

صدمة واحدة، فيبيتهم تحت رواق الليل، ويباعثهم بصواعق الطعن والضرب . فبلغ الخبر الى منوجهر فكن له في بعض الطرق، وأمر عسكره بالثأب للدافعة، واليقظ للكائفة . فلما جنّ الليل ركب تور في ثلاثين ألفا . فلما قرب من معسكر منوجهر رأى صفوفًا كالجبال، وأعلامًا تخفق بريح النصر والإقبال . فاضطر الى المناجزة والمبادرة . فلم يحس إلا بمنوجهر قد طلع عليه من ورائه، في بهم رجاله، وأعيان أبطاله . فأحاطت به السيوف والرماح، تأخذه بمنة وبسرة، فجعل بعض على يديه ندامة وحسرة . وتطاعن هو ومنوجهر ففت في عضده الخذلان، ودفع في غره الكفران . وساعدت السعادة منوجهر فطعنه طعنة اختطفه بها عن ظهر فرسه . ثم جد له في الأرض وترجل عليه واحتر رأسه . فدب الخور في عسكره، ولم تقرب الشمس إلا على شفق من دماء الأبطال، تسيل بها غارم تلك الجبال . فشفى بذلك غلته، وأدرك نهمته، وبأبى الله إلا أن يقيم من الظالمين، ويقطع دابر المارقين . فكتب الى أفرديون بما يسر الله تعالى على يده من الانتقام وإدراك الثار . وأرسل برأسه على رمح^(١) إليه . فلما بلغ الخبر اليه تحركت منه العروق التوازع، ففجرت بالدماء منه المدامع، من حيث إن قلوب الآباء ترق على الأولاد، وقد تذهب الشدائد بالأحقاد . وكان هجراه قول الشاعر :

فان أك قد بردت بهم غللي * فلم أقطع به الأنساني^(٢)

قال : وجاء الخبر بذلك الى أخيه سلم فانكسر ظهره، ووهى أمره . وكان وراءه في البحر على بعض الجزائر قلعة حصينة اعتما ملاذًا لنفسه إن اضطر الى القصرار . (١) وكان قد أمر بتسيية

في اسم هذه القلعة في الشاه ألانان دژ، أي قلعة اللان . و"ألان" قيل من البدو يقال أنهم خليط من الإيرانيين والتورانيين ويذكرون في الكتب العربية باسم اللان . ومساكنهم غربي بحر الخزر . وفي هذه الجهة جبل ألان . وفي كردستان مدينة اسمها الآن . والجزيرة المذكورة هما يذني . أن تكون في بحر الخزر .

ويذكر اللان في الكتب الأوروبية باسم (Alan) أو (Alain) وقد عرفوا منذ القرن التاسع الميلادي في اللغة الروسية باسم (As) أو (Asy) وفي لغة جرجيا باسم (Ussi)^(٣) .

(١) في الشاه ما ذكر قصة بين قصة تور وقصة سلم . وذلك أن « كاكوي » حفيد الصحاك ويسميه التالبي « كاكويه الشيطان » يأتي من قلعة « دژ دوت » مددا سلم، فيبارزه سويجهر ويقتله . ومعنى هذا وصل المراكب من إيرج وأخويه بالراع بين أفرديون والصحاك . وإخراج سلم وتور من صفوف الإيرانيين الى جند الأعداء .

(١) كو : على الرخ . (٢) كو : من « وكان هجراه » الى آخراليت (لا) . (٣) ك : بهم .

(٤) بلدان ص ٢٩٧ ، وزهرة القلوب ص ١٠٧ و ١٧١ و ٢٣٩ وغيرها ، ودائرة المعارف البريطانية .

المراكب على الساحل للاستظهار . فلم بذلك منو جهر وأشار على قارن بالاحتياط على مستحفظ تلك القلعة لأخذها . فركب في جنح الليل مع طائفة من نخب الأجناد ، وجماعة من أعيان القواد . ولما قرب من الساحل أمر العسكر بالتزلز ، وأظهر أنه من أصحاب سلم . فركب على بعض المراكب وعبر إلى القلعة ، وقال للفراس : جئت في أمر مهم من حضرة الملك . وكان معه علم جعله علامة بينه وبين أصحابه ، فمكن من الدخول فصعد . ولما وقعت عينه على أمير القلعة علاه بالسيف فأطار رأسه إلى الأرض . ونصب ذلك العلم على بعض شرفات القلعة . فلما رآه أصحابه ركبوا تلك المراكب في هجمة واحدة ، وعبروا إلى القلعة فدخلوها واتهبوا جميع ما فيها ، وأخذوا في تخريبها ، فلم تغرب الشمس إلا وقد عفا أثرها ، ولم يبق منها إلا خبرها . ورجعوا إلى الساحل ، وأحرقوا جميع المراكب ، وعادوا إلى معسكر منو جهر فاستمدوا لمحاربة سلم ومناجزته . فلما كانت إلى ركضة واحدة تزلزلت دونها الأقدام ، وتضعضت لها من الصفوف الأركان ، حتى هرب سلم طائرا بقوادم الانهزام إلى الساحل ليعبر على المراكب ، ويحصن بالقلعة . فلما قرب من البحر لم يصادف إلا مركب الحمام . وذلك أن منو جهر انقض في أثره كالشهاب المرسل على الغفارىت ، ولما قرب منه أهوى بصمصامه إلى كاهله وعاتقه ، ففترق بين هامه وجسده . وتفرقت عساكر الترك بين المخارم والشعاب لا يلتفت بعضهم على بعض ، ورفع الباقون أصواتهم بالإعوال والإرثان وطلب الأمان . فأنهم منو جهر ، وأحسن إليهم ، وأبقى عليهم . فوضعت الحروب أوزارها ، ونحمت نيرانها .

وعزم منو جهر على معاودة الحضرة فأمر شيرويه بجمع الفئام ، وما أفاء الله عليه من الذخائر . فرتب الفيول وحلأها بالجواهر والياقوت والوشائع والدياج ، وأوقرها بأحمال الذهب والجواهر والنقائس^(٥) والرغائب . ثم كره^(٦) هو راجعا إلى أفريديون منصور الأعلام . راجعا صهوة التجاح بعد أن كان صعب المرام . حتى قرب من طبرستان وهو دار الملك ومستقر سرير السلطنة . فركب أفريديون لاستقباله في مواكبه ورجاله . فلما طلعت راياته ترجل منو جهر ، وجعل يقبل الأرض حتى قرب من الملك . فأقر عينه منه بذلك المنظر البهي والقبال الشاهنشهي^(٨) ، فانكب عليه أفريديون يقبله ، ويمسح بيده غرته ووجهه . وأمر بتفريق تلك الفئام على الساكر شكر الله تعالى على ما حوَّله . وتواصلت البشائر والتهاني في تلك الأيام ، وتترت الجواهر على تلك الأعلام . ثم إن أفريديون لما قضى الله حوائجه ، وأنجح مقاصده ومآربه ، ورأى أنه قد طعن في السن سئم الحياة

(١) ك : في . (٢) ط : وقع . (٣) ك : والى . (٤) ك : ماخذها . (٥) ك : وسائر النقائس . (٦) ك : كراجا . (٧) ك : دعى . (٨) ك : فاكب .

فكان يسأل الله تعالى أن يخلصه من دار الفناء ، ويمثله الى دار البقاء . فلما قرب وفاته أوصى الى منوچهر (١) وأعطاه التخت ، وعصب بيده على رأسه التاج ، وأمره بأن يفرغ سعه ويبدل جهده في إفاضة العدل والاحسان ، وإشاعة الأمن والأمان . وأوصى الى الملوك والأمراء بتابعته ومشايسته ، والإذعان لطاعته ، وأخذ المواعيق عليهم بذلك . فانتقل الى جوار الله الكريم مشكورا محمودا . وكانت مدة ملكه خمسمائة سنة (ب) .

٧ - ذكر نوبة منوچهر وما جرى في عهده^(٢)

قال صاحب الكتاب : لما مات أفريدون استقر منوچهر على سرير الملك قسارح الناس الى طاعته ، وأصفقوا على بيعته ، وتناهبوا شكر الله تعالى على ما قبضه لهم من ميامن أيامه ، ومحاسن سيره . وأخلصوا الدماء بثبات دولته (ج) ودوام مدته فكان يحدو حدو جده في عمارة العالم ، ويتقبل

٧ - منوچهر

يسمى في الأبتاق "منوش كيتهر" . ويسمى كذلك مانوش كيتهر ومنوكر^(١) واسمه في الكتب العربية منوچهر ومنوشهر^(٢) .

ومعنى منوچهر "سليل مانو" . ومانو أخو يما الذي ذكر في مقدمة فصل جمشيد . وفي الكتب المتأخرة أن مانوش اسم الجبل الذي قوت اليه أم منوچهر وهي حامل به فوضعت هناك ، وأنه لهذا سمي مانوش چهر ثم حُرف الى منوچهر . ويقال انه سمي منوچهر لجماله و "منو" الجنة و "چهر" الوجه كما في الفارسية الحديثة . ويقول الثعالبي في الفرر إن أفريدون قال حين رآه : "منوچهر" أي يشبه صورتي . والفردوسي يقول إن أفريدون حين رأى حفيده "منوچهر" أي "ذا وجه متهلل سماه" منوچهر . ولم يبين الفردوسي معناه .

(١) في الشاه أن أفريدون أوصى سام بن تريماد بمنوچهر (انظر سام في مقدمة الفصل الآتي) . (ب) في الشاه أن منوچهر بن أفريدون قبرا من الذهب واللازورد ، ووضعوا فيه سريرا من العاج ، وعلقوا فوقه التاج . ثم تقدم الناس لوداع أفريدون ، دأبهم في ذلك العهد . ثم سدوا باب القبة . (ج) حذف المترجم ، خطبة منوچهر وإجابة سام التي تبين أن ساما كان أكبر وجلا في ذلك العهد .

(١) كرو : وكانت الى آخر الفصل (لا) . (٢) كرو : "من الوقائع" . وكانت مدة ملكه مائة وعشرين سنة وهو السابع من ملوك الفرس . (٣) طاه : ذكر المسعودي في تاريخه أنه قد قيل أن موسى بن عمران ويوشع بن نون كانا في أيام منوچهر هذا . والله أعلم . (٤) أفتاب : ج ٢ ص ٢٢٢ و ٢٨٧ حاشية ٤ و ٩٥ حاشية ٢ و ١١٤ حاشية ٧ ، ورز (Warner) ج ١ ص ٣٣٨ (٥) الآثار الباقية ص ٢٢٠ والإشراف ص ٨٨ والطبري . (٦) ورز (Warner) ج ١ ص ١٢٩ (٧) فرهنك شعوري : (منوچهر) . (٨) الشاهنامه : حصل ولادة منوچهر والفرر ص ٥٢

أثره في بث المعدلة وتحريض الخلائق على عبادة الله تعالى والتكبر عن معاصيه ، واتباع أوامره ونواهي . وكان هو ثامن ملوك الفرس . وفي نوبته ولد زال الملقب بدستان الذي طن العالم بصيته ، واستفاضت الأخبار عن رجولته ، وضربت الأمثال به وبابنه في الآفاق ، وأصفق الخلائق على رجولتهما بالاتفاق .

= ويلقب "المصطفى" كما في الآثار الباقية .

وهو في الشاهنامه ابن بنت إيرج بن أفريدون وأبوه بستانك ابن أنحى أفريدون . وبعض الكتب العربية والفارسية تجعل بينه وبين إيرج عشرة بطون أو تسعة . ولا نعدم من ينسبه إلى إسحاق بن إبراهيم يجعله ابن حفيده . ونسبة الفرس إلى إسحاق معروفة في الكتب العربية . ويروى لجرير وغيره فيها شعر . وكذلك يروى أن منوچهر كان في زمن موسى وأن الحضرم من أولاده .

ومن مآثره غرس البساتين وتسويرها ، وحفر الخنادق ، وصنع آلات الحرب ، وحفر نهر الفرات وروافده ، وتجديد عمارة مدينة الري ، وسن نظام الدهقانية .

ومن الحوادث العظيمة التي تفعلها الشاهنامه وتروها كتب أخرى في هذا الموضع أو في غيره الحرب بين منوچهر وأفراسياب ملك الترك واصطلاحهما على جبل نهر جيحون حدًا بين مملكتيهما وخلاصة القصة ، على رواية الآثار الباقية : أن أفراسياب هزم منوچهر وحاصره في طبرستان ثم اصطلاحا على أن يكون الحد بين المملكتين غلوة سهم يرمى من طبرستان إلى الشرق . فجاء ملك اسمه اسفندارمذ وأمر باتخاذ قوس ونشابة دلى مقدار مثله . ثم أحضر أرش^(١) ليرمي السهم . فأشهد أرش الناس أنه برى ، من العلى ، وأخبرهم أن جسمه سيتمزع لشدة الرمية . ثم رمى فاختطفت الريح النشابة من جبل الرويان في طبرستان إلى أقصى خراسان . ووقع السهم على نهر بلخ وأصاب شجرة جوز كبيرة لم يكن لها نظير . ويقال أن السهم سار ألف فرسخ . وفي روايات أخرى أن السهم طار من الفجر إلى الظهر أو إلى المغرب وسقط عند مرو . وقيل على نهر جيحون . وقد بقيت ذكرى =

- (١) كو : من «اتباع» إلى «في نوبته» . سافط . (٢) ص ١٠٤ . (٣) فارس نامه ص ١٢ والطبري : مشهور . (٤) الطبري ، ج ١ ص ١٩٥ ، والأشرف ص ١٠٩ والآثار الباقية (انظر المقدمة في علاقة الفرس والرب) . (٥) الطبري وفارس نامه والأشرف ص ٢٠٠ (٦) فارس نامه ونزهة ص ٤٦ و ٥٣ (٧) يروى التالي في الصلح بين أفراسياب و زو بن طهماسب الآتي ذكره . انظر الفرز ١٣٣ . (٨) ص ٢٢٠ و ١٠٤ انظر الفرز التالي ص ١٣٣ (٩) ويقال إيرش وأريش . وفي الطبري ارشياطين وهو في الهلوية : أريش شياطين (أي أريش ذي السهم السريع) أفشاء ج ٢ ص ٩٥

ذكر ولادة زال وابتداء أمره (١)

قال كان سام بن نريمان بهلوان العالم في عهد منوچهر، وكان يتنهل الى الله تعالى ويسأله أن يرزقه ولذا يكون قوة لظهوره، وقرة لعينه . وكانت له جارية حملت منه . فلما أخبر بذلك شكر الله تعالى، ولم يزل يعدّ الليالي والأيام، منتظرا طلوع صبح ما ارتجى، وحصول ما أراد وأبتنى . فولدت ولدا ذكرا كأنه القمر إضاءة غير أن شعره كان أبيض يشعل شيئا كعوس المشايخ الطاعنين في الأستان.

= هذه الرمية في عيد "روزتير" (يوم السهم) في الثالث عشر من شهرماه . وهي إحدى الرميات التي يفخر بها الفرس . (والثانية) رمية ومهرزقائد الفرس في اليمن التي قتلت أمير الحبش هناك . (والثالثة) رمية بهرام كور التي قتلت ملك الترك^(١) .

أسرة سام بن نريمان

يذكر في هذا الفصل جماعة من أبطال الإيرانيين . أولهم في الشاهنامه سام بن نريمان ، ومن أجل هذا سميتها "أسرة سام" . ولهذه الأسرة المكانة الأولى في أساطير الشاهنامه من لدن منوچهر الى كشتاسب، وذلك زهاء سبعة قرون . وموطنها زابلستان : الاقليم الشرقي من إيران القديمة . وقد نالت من عناية شعراء الفرس وقصاصهم في العهد الاسلامي أوفر نصيب . فنظم في سير أبطالها ما لا يقل عن مائة ألف بيت^(٢) . وقد بلغ من مكاتهم أن سُمي الفرس قوس قزح قوس سام أو قوس رسم . وينتهي نسبهم في الشاهنامه الى كُرشاسب، وفي "كُرشاسب نامه" يذكر أبو كُرشاسب واسمه إثرث . وهو ثريتا المذكور في الأستاق والذي تقدم ذكره في فصل أفريدون .

وأعظم أبطال هذه الأسرة رسم . وهو ابن زال (دستان) بن سام بن نريمان بن كُرشاسب . ورسم ثلاثة أبناء : سهراب ، وجهانكير ، وفراهرز . وبنان : بانو كُشاسب أعظم بطلات إيران ، وزربانو . ورسم أحفاد أعظمهم برزو الذي نظم في سيرته "برزونامه" . ولا تعرف الشاهنامه من هؤلاء إلا كُرشاسب ونريمان وسام وزال ورسم وسهراب و بانو كُشاسب . =

(١) يذكر كثيرا في الشاهناه وغيرها باسم "زال زر" أي زال الكبير . وفي الفرز : أن معناه الشيخ الكبير بلغة أهل بختستان

وزابلستان . أنظر الفرز ، ص ٧٠

(١) أنظر أفستا ، ج ٢ ص ٩٥ حاشية ٢ (فلا عن تاريخ ميرخوند) ص ١١٤ ، وتاريخ طبرستان ص ١٨ -

٢٠ ، والطبري ص ٢٩٢ - ١ طبريل (Brill) . وفارس نامه . (٢) أنظر المقدمة (الفصل الفارسي) .

فبشر سام بذلك . فلما رآه على تلك الهيئة استقبه، وقرعنه طبعه، ورفع رأسه الى السماء وجعل يدعو الله تعالى ويتهل اليه ، ويظن أنه لمعاصيه وذنوبه ابتلاه الله في ولده بتلك الهيئة القبيحة . وأمر به فأخرج إلى جبل البرز، وهو جبل عظيم من جبال الهند . وأصعد به الى ذلك الجبل، وترك في بعض شغافاته وحيدا . وكان على رأس الجبل معشش العنقاء . وكانت تطير في طلب

= وهذه سلسلة نسبهم كما يؤخذ من الشاهنامة وغيرها^(٤) :

كُرشاسب
زريمان
سام
زال (دستان)
رستم زواره شغاد

سُهراب قَرامُرس جَمانكير بانوكُشاسب زَرَبَانو
بَرزو سام پَشَن

ويلبس كرشاسب وزريمان وسام بعضهم ببعض في الأساطير القديمة ، وذلك أننا نجد في الأستاق : "تعبد الأرواح الطيبة القوية الخيرة، أرواح المؤمن التي تحرس جثة كرساسيه بن ساما حامل المقمة"^(٥) . وفي موضع آخر "تعبد روح كرساسيه المقدس الساما حامل المقمة"^(٥) . فكرساسيه هو ابن ساما، ويلقب كذلك ساما أي المنتسب الى ساما . وقد تقدم أن ساما لقب ثرئنا^(٦) . ويلقب كرساسيه "زمانو"^(٧) أيضا . فكان هذه الأسماء والألقاب التست وعدت أسماء أناس مختلفة . فكرساسيه صار ثلاثة : كرشاسب وزريمان وسام . ثم قيل سام بن زريمان بن كرشاسب . ويؤيد هذا أن كرساسيه يوصف في الأستاق بأنه حامل المقمة . وهذا أين أوصاف سام في الشاهنامة . والمقامة ميراث تحرس عليه أسرة سام فقد ورثه زال عن أبيه ثم أعطاه لابنه رستم حين رشحه لقيادة الجند =

(١) كطا : تعالى . (٢) كطا : حتى أخرج . (٣) كو : متصل بأرض الهند . (٤) أنظر مول (Mohl) : المقدمة ص (LVIII) وما بعدها ونولده (الحاسة الارائية) (Das Iranische Nationalepos) : (الترجمة الانكليزية ص ١٦ وما بعدها . (٥) أنظر أستا ، ج ١ ص ١٩٥ و ٢٢٣ (٦) أنظر مقدمة فصل أفريدون - (٧) ورز (Warner) ج ١ ص ١٧٢

الرزق لأفراخها ، فرأت ذلك الصبي في مثل ذلك الموضع . فالتى الله تعالى في قلبها محبة منه فجاءته ورفرفت بيمينها عليه ، ثم حملته وحملت به الى رأس الجبل ، ووضمته بين أفراخها . فكانت^(١) تربيته مع أولادها حتى طالت عليه المدة في قلة ذلك الجبل ، وترعرع بين أفراخ العنقاء . وكانت القوافل تعبر تحت ذلك الجبل فوقعت أبصارهم على مولود إنسى بين أفراخ العنقاء في شعبة الجبل

= في عهد الملك نودر — كما يأتى — ودليل آخر : أن كرماسيه يفرح بقتل تين فطيم ، وأنه الذى يقتل أزى دهاكه (التين)^(٢) بعد . ونحن نجد في الشاهنامه وغيرها أن قتل تين نهر كشف من أعظم مآثر سام ، فهذا يرجح أن كرماسيه وساما رجل واحد .

ولا يذ كر زال ورسم في الأستاق . ويظن سيجل أنهما كانا معروفين حين ألقت الأستاق ولكن رجال الدين كرهوا ذكرهما . ويقول تولدكه : لو كان الأمر كذلك لذكرا في عداد الأشرار . ولعل انتسابهما الى زابلستان البعيدة عن موطن الأستاق جعلهما مجهولين فيها^(٣) .

وأما الشاهنامه فلا تعنى كثيرا بـ كرشاسب وزريمان . وسام يذ كر في عهد منوچهر ويموت في عهد خلفه نودر ، ورسم يبقى الى أيام كشتاسب فيعيش زهاء أربعمائة سنة . ويبقى زال بعد موت ابنه رسم . ورسم^(٤) أبعدم صيتا وأبقاهم ذكرا . ومآثره ملء القصص الفارسية ، واسمه مرقد في الشعر القديم والحديث . ويفضل أباهه بمآثره العظيمة التى في الشاهنامه ، ومنها تخليص الملك كيكائوس من أسمر ملك هاماوران — كما يأتى — وقد جزاه الملك بأن حرره من العبودية ، وفي فارس نامة التحرير الذى كتب لرسم : باسم الخالق العدل المقيت . هذا تحرير كيكائوس بن كيقباد لرسم بن دستان ، أنى حررتك من العبودية . ومنحتك مملكة سيستان وزاولستان . فلا تقز بالعبودية لأحد ، وأحسن رعاية هذه الولاية التى ملكك عليها . واجلس على تخت مذهب . وضع على رأسك قلنسوة مذهبة بدل التاج حين تكون فى ولايتك . حتى يعلم الناس كيف تحلو ثمرة الخدمة والوفاء ، وكيف نعرف حق عبيدنا الأوفياء .

وقد عرف رسم فى الآداب العربية منذ الجاهلية . ففى سيرة بن هشام أن النضر بن الحارث كان قد قدم الحيرة ، وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس ، وأحاديث رسم واسفنديار . فكان اذا جلس =

(١) ك ، كوطا : وكانت . (٢) ورز (Warner) ج ١ ص ١٧٢ (٣) أنظر تاريخ طبرستان ص ٤١

(٤) تولدكه : (الحاسة الإيرانية) ص ١٦ وما بعدها . (٥) أصل اسمه روتسهم ، وحرف الرسم أدرسم ففتح التاء وضما .

وقدمرسمته الصيغة فى القرن السابع الميلادى . وقبت آثار الصيغة الأولى فى «رستم» و «رسم» الذين ذكرا فى الشاهنامه

أحيانا وفى غيرها (تولدكه ص ٢٠) . (٦) ص ٤٣ (٧) ص ٢٧٢ ط القاهرة سنة ١٣٢٩ هـ .

فقصوا العجب من ذلك وتحدثوا به . حتى بلغ الخبر إلى سام . ورأى هو أيضا في منامه ليلة كان رسولا جاء على فرس كالبرق الخاطف فأعلمه أن ولده على بعض الجبال فابتنبه وأحضر الحكماء والمعبرين وسألمهم عن حال رؤياه . فعبروها على أن الله تعالى لما رأى جفاك على ولدك حين أبعدته ونفيته وطرحته على بعض الجبال وحيدا فريدا تعطف برحمته عليه فرباه ووقاه، وهو حتى يرزق . فتوجه

= رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا خلفه في مجلسه . ثم قال : أنا والله يامعشر قريش أحسن حديثنا منه . ففهم إلى فانا أحدثكم أحسن من حديثه . ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسفنديار . ونجد طاهر بن الحسين قائد المأمون ينسب إلى رستم بن دستان الشديد . وقد أشار إلى رستم بعض الشعراء كقول البحتري في وصف فرس :

وإلى الضلوع يشد عقد حزامه يوم اللقاء على ميعم مخول
أخواله للرستمين بفارس وجدوده للتبعين بموكل

وقد بقيت ذكرى رستم في آثار وأساطير وأغاني متداولة في إيران وغيرها . ففي سجستان آثار يزعم الناس أنها كانت مربوط فرس رستم . وقد أخبر بهذا المؤرخون القدماء . فلهذا يقال أن آثار هذا المرتبط في القرنين من أعمال سجستان . ويقول ياقوت في مدينة روست . وفي وادي شوشان حيث يجري نهر قارون قلعتان : قلعة رستم وقلعة دختر أى قلعة البنت يتحدث الناس عنهما أحاديث مقرونة بذكرى رستم . ويروى كذلك أن رستم بن مديتى كابل وغزنه ، كما بنى أحد أمراء جدّه نریمان مدينة هراة . ويقال أن أهل كشمير يفتنون في أعراسهم أغنية يزعمون أن أم رستم تغنت بها حين ذهب ابنها إلى مازندران لإنجاد الملك كيكائوس . ويروى في كشمير كذلك قصة عجيبة عن رستم وعلى بن أبى طالب . خلاصتها أن الرسول عليه السلام قال لعلى يوما وقد أعجبه غناؤه في الحرب : لقد قاتلت قتال رستم . فتشوف على إلى معرفة رستم فدعا الرسول — وعلى — لا يعلم — أن يبعث الله رستم . ثم تلاقى على ورستم في شعب ضيق لا يتسع لراكبين . فسلم رستم ولم يرد على السلام . ولم يكن بد من رجوع واحد منهما التفهقرى حتى يجتاز الآخر . ولكن رستم رفع عليا وفرسه ووضعها خلفه ومضى كل في طريقه . فلما لقي على الرسول صلوات الله عليه أخبره بما رأى . ثم مر على بعد أيام قليلة برستم قاعدا وفرسه يعرى حوله . فسلم رستم ولم يجب على . وسأله رستم أن يحضر إليه غلابة فرسه وكانت على مقربة منه . فلم يستطيع على حملها إلا بجهد . فقال في نفسه ماعسى أن تكون قوة الفرس =

(١) ك، طا : جاءه . (٢) الاشراف ص ٣٤٧ (٣) اطرخاب البلدان ص ٢٠٨ ومعجم البلدان

(سجستان) . (٤) و (٥) (Asiatic Papers) ص ١٠ و ١٠٨

الى الجبل وتضرع الى الله وتب اليه فانه يرد عليك ولذك . ففعل ذلك واقبل الى تلك الجبال يدور في محارمها وشعابها وحيدا ، ويبكي ويتضرع الى الله ويسأله أن يرد عليه ابنه . قال : فاهلم الله العنقاء أنه إنما يدور في هذه المحارم والشعاب ولده ذلك . خلقت نحوه ، وكانت سمته "دستان" ، وقالت : ان أباك قد جاء . وهو يدور في هذه الجبال محترق القلب ، منسكب الدمع عليك . وقد ريتك

= وفارسه ؟ فلما أخبر على الرسول بما رأى قال الرسول : ذاك رسم . دعوت الله أن يعثه لئراه . ولا مه على أن لم يرد تحيته وقال : لو أحسنت لقاءه لسألت الله أن يطيل حياته ولكان لك في حرك عضدا .^(٢)

العنقاء :

يرى القارئ في هذا الفصل ما فعلت العنقاء بزال بن سام . وسيرى بعد كيف تعين رسم في حرب اسفند يار .^(٣) والعنقاء ترجمة "سيمرغ" في الشاهنامه . وهو أحد الطير الخرافية التي يكثر ذكرها في الأساطير الإيرانية الدينية والتاريخية . وكلمة سيمرغ تجانس (سه مرغ) أي ثلاثة طيور و"سى مرغ" أي ثلاثين طائرا . وقد استعان فريد الدين العطار بهذا الجناس الأخير في كتابه "منطق الطير" فأبدع أيما إبداع . ويرجح أن اللفظ مركب من "سه مرغ" أو متوهم فيه هذا التركيب . فإنه يذكر في بُدهش باسم الرخم ذي ثلاث الطبائع . وفي بندهش أن نوعين من الطير هالبن ترضع به فراخها : الرخم والخلفاش الذي يطير بالليل ، فالخلفاش مخلوق من أجناس ثلاثة : الكلب والطير ، وفأرة المسك لأنه يطير ، وله أسنان كثيرة كالكلب ، ويتخذ حجرا كفأرة المسك .^(٤)

وقد تطورت به الأساطير أطوارا وذكر بأسماء مختلفة . ففي الأوستا يذكر باسم ستونا .

ومسكن السيمرغ على الشجرة التي تنقي كل البذور وهي في المحيط الواسع على مقربة من شجرة الخلد . تجتمع عليها البذور التي أمتجتها النباتات كلها طول السنة . وإذا طار السيمرغ نبت ألف عسلوج في هذه الشجرة وإذا وقع كسر هذه العسلوج وثر بذورها . فيأتي طائرا آخر اسمه "جرش" يعيش في قمة جبل البرز ويحيى إيران من غارات الأعداء . فيلتقط البذور ويحملها الى الماء الذي يأخذه يشتر (ملك المطر) فيقع البذر مواقع المطر في الأرجاء كلها . =

(١) ك : طا : يبكي . (٢) (Asi. Papers) ص ١٠ و ١٠٨ (٣) أنظر فصل كُنْشَاب الآتي .

(٤) ورنر (Warner) ج ١ ص ٢٥٣

مثل أفراشي، وأنت أعز عليّ من روجي . وأرى لك أن أحملك بين جناحي إلى أبيك . فانك تستصير ملكا من الملوك، ويعظم شأنك بين الخلق . وأنا أعطيك من جناحي ريشة . فاذا حركت أمر مهم فأحرقها فإنني سأحضر اللوقت وأقضي حاجتك . فحملته وحلقت به ثم رفرفت حوالى سام، ووضته بين يديه . فرأى شخصا قد أفرغ في قالب الجمال، رشيق القد كالفضن المسائل، صبيح الوجه كالبلدر

= وقد صار السيمرغ بعد مثال الحكمة العليا . وقد اتخذ بعض الصوفية رمزا للقي تعالى .

وللطير في دين الايرانيين وأساطيرهم مكانة . فالطائر كريسپنا الذي يقرأ الأستاق بلغة الطير قد أدخل الدين إلى البناء الذي أوى إليه جمشيد - كما تقدم - و"هنا" عندهم طائر اذا وقع ظله على إنسان صار ملكا . وفي الأستاق أوصاف عجيبة للطائر فارتفنا . والسهم الذي رمى به أرض فطار من الفجر إلى المغرب قد ريش بریش عقاب .

ثم تأثير ريشة العنقاء لها أصل في الأستاق . فهناك يسأل زرتشترا أهرا مزدا كيف يد عن نفسه لعنة أعدائه، ويطلب سحرهم . فيجيبه أن خذ ريشة من قارتفنا وادلك بها جسداك، ورد اللعنة إلى أعدائك . ويعلمه أهرا مزدا أن الذي يحمل عظمتين عظام هذا الطائر القوي لا يقهره أحد . ومن يحمل ريشة منه يرعد لهيبته الناس جميعا الخ . وسيرى القارئ فيما يأتي أثر ريشة العنقاء في حرب رسم واسفنديار . واعتبر هذا بما في القاموس المحيط (مادة : رخم) من فوائد مرارة الرخم ولحمه وزبله ، وأن وضع ريشة من أيتها بين رجل المرأة يسهل ولادها .

ثم عهد منوچهر في الشاهنامه ألفان وثلاثون بيتا فيها الأقسام الآتية . وما بين القوسين محذوف من الترجمة :

- (١) منوچهر : ملكه ١٢٠ سنة . (٢) مقال في ولادة زال . (٣) رؤيا سام حال ابنه .
- (٤) اطلاع منوچهر على أمر سام وزال زر . (٥) رجوع سام إلى زابلستان . (٦) إعطاء سام الملك زال . (٧) مجيء زال إلى مهرب الكالي . (٨) مشاورة روزابه جواريا . (٩) ذهاب جوارى روزابه لرؤية زال زر . (١٠) رجوع الجوارى إلى روزابه . (١١) ذهاب زال إلى روزابه .
- (١٢) مشاورة زال الموبدان في أمر روزابه . (١٣) كتابة زال إلى سام والإبانة عن حاله .
- (١٤) مشاورة سام الموبدان في أمر زال . (١٥) اطلاع سين دخت على أمر روزابه . (١٦) اطلاع مهرب على أمر ابنته . (١٧) معرفة منوچهر حال زال وروزابه . (١٨) مجيء سام إلى منوچهر .
- (١٩) ذهاب سام لحرب مهرب . (٢٠) ذهاب زال رسولا إلى منوچهر . (٢١) غضب مهرب على سين دخت . (٢٢) سام يحسن إلى سين دخت . (٢٣) مجيء زال بكتاب سام إلى منوچهر . =

الكامل . فخر ساجداً لله تعالى يغفر وجهه في التراب ، ويشكره على ما أكرمه به من ردّ ولده وقرّة عينه عليه . وعاهد الله تعالى وأشهده على نفسه ألا يوحش بعد ذلك قلبه ، ولا يضيق صدره . وأطلق لسانه بالثناء على العتقاء لحسن صنيعهما مع ولده . ثم انحدر به من ذلك الجبل كاللث المشبل . وكساه قباء فكان ملأه رونقا وبهاء وعزاً وسناء . فلما رأى العسكر ساماً قد أسهل مع ابنه دستان رفعوا أصواتهم بالبشارات ، وكاد الطرب يسلب عقولهم ، وأقبلوا راجعين إلى المدينة بالدبابد والبشائر . فاستفاضت بذلك الأخبار حتى بلغ الخبر إلى حضرة منوچهر . فأخذ ابنه نوذر إلى سام للتهنئة بما يسر الله له من رجوع ولده إليه . وأمره بالركوب مع دستان إلى الحضرة في أسرع زمان ، وأقرب أوان . فلما وصل نوذر إلى سام خرج مبادراً وخيم بظاهر البلد ففجع أموره ، ورتب أسبابه ، ونهض مع دستان متوجها نحو الحضرة . فلم يزل يصل السير بالسرى حتى وصل إلى مستقر سرير السلطنة . فخرج منوچهر لاستقباله في مواكب جنوده ، تحت أعلامه وبنوده . فلما رأى سام درّقه الميمون ، ولواء المنصور ترجل إجلالاً ، وقبل الأرض إعظاماً وإكباراً . فأوسع الملك براً وإطافاً ، وأمره بالركوب . فسار إلى دار المملكة ، وجلس على سرير الذهب ، وأجلسه عن يمينه ، وأجلس قارن عن يساره . وأمر الحاجب الكبير بإحضار دستان . فخرج وأخذ بيد دستان وأدخله على الملك مشدود الخصر بمنطقة مرصعة باليواقيت ، معصوب الرأس بإكليل من الذهب ، على كاهله جرز كقطعة من الجبل . وكأنه يحكي بذلك الرأس الأبيض والوجه الأزهر ، تحت إكليل الذهب الأحمر ، صورة القمر بعد التسع والخمس ، متوجاً بعين الشمس . فلا عين الملك بشكّله وشماله ، وما لاح فيه من أمارات المز وخائله . ففرح ببقائه وشكر الله تعالى على ما رزقه من الاكتحال بوجهه ، والاستظهار به ليومه وغده ، وقربه من بساطه ومسح عينه ووجهه بيده . ثم أقبل على سام واستخبره عن أحواله وكيفية استنزاله من معشش العتقاء وشغفات تلك الجبال . فسرّد لديه حكايته

= (٢٤) امتحان الموبدان زالا . (٢٥) إجابة زال الموبدان . (٢٦) زال يظهر مزاياه أمام منوچهر . (٢٧) جواب منوچهر إلى سام . (٢٨) وصول زال إلى سام . (٢٩) مقال في مولد رسم . (٣٠) مجيء سام لرؤية رسم . [(٣١) قتل رسم الفيل الأبيض . (٣٢) ذهاب رسم إلى الجبل الأبيض . (٣٣) كتاب الفتح من رسم إلى زال . (٣٤) كتاب زال إلى سام] . (٣٥) نصح منوچهر أولاده .

(١) ك : ط : وينهب قلوبهم . (٢) ك : كان أزل نظره في الكتاب وآمره إلى الركاب مركب ونرج .

(٣) ط : بذلك .

من أول ميلاده الى يومه ذلك . فلما سمع الملك ذلك أمر بإحضار المتجمين وسأيلهم عن طالع
دستان وما قدر الله له من المقامات ، وكتب على يده من الوقائع . فنظروا في ذلك وتدبروا ثم جاءوا
الى الملك بمشرين بسعادة طالعه ، وعين نقيته . فسر الملك بذلك وأمر لهم بمـل عظيم . ثم قال
لـاسـام : هذا وديعتي عندك ، وهو على أعز من إحدى عيني . وشرط عليه أن يعلمه بمكارم الأخلاق^(١)
وأداب الملوك ومراسمهم في حالي الحل والترحال ، والسلم والقتال . ثم أمر له بـمـلعة رافت العيون
وشرحت الصدور ، من الدبابيج المنسوجة بالذهب والمرصعة بالجواهر الثمينة ، بأطباق^(٢) من اليواقيت
واللآلئ ، وعدد من الخيول العتاق ، وجماعة من روقة الغلمان الرشاق . وعقد له لواء عظيما ،
ووقع له بجميع ممالك الهند والسند وما والاها من الممالك . فتوجه الى تلك الولايات في مواكب
العز والإقبال ، وكواكب المجد والجلال . فاستقر^(٣) بها على سرير الملك ينهى ويأمر حتى استهنه الملك
في بعض المهمات السانحة ، وهو استخلاص مملكة مازندران التي استولى عليها بعض العتاة المعاندين ،
والعداة المارقين . فدعا بابنه دستان واستنابه في مملكته ، وأمر أركان دولته وأعيان حضرته ،
بالتوفر على خدمته ، وإقامة مراسم طاعته . وأمر الوزراء والنصحاء ومن نديهم لمناذمته ومجالسته
من الكفاة الأذكياء ، والعلماء الأتقياء ، بتعريضه على مكارم السير ، وتأديبه بمحاسن الشيم . ثم أذن
له في الطرد والصيد متوجها حيثما أراد من أطراف المملكة . فودعه وانحدر على مقتضى الامتثال الى
أرض مازندران لما نذب له من استخلاص تلك الممالك وقتال من استولى عليها من المخالفين المعاندين .

قصة دستان وبنت مهرباب

قال فقعد دستان مقعد أبيه ينهى ويأمر ، ويورد ويصدر . ثم إنه نهض متصيدا الى قرب
أراضي كابل . وكان لتلك البلاد ملك يسمى مهرباب . فلما سمع بقرب دستان منه ركب الى حضرته
للقدمة ، واستصحب من طرائف الجواهر ونفائس ما يليق أن يتحف به مثله من الملوك . فقبله
دستان أحسن قبول ، وقابله بأتم إحسان وإكرام . وكان مهرباب ذا صورة عجبية تستوقف الأخطاف
وتستقيع الأحداق ، من شطاط قامه ، وحسن وجه ، ولين معطف ، وأبهة جلالة ، وطراوة منظر ،
وعذوبة منطق . فلما قام من حضرة دستان ونرج أقبال على أصحابه وندمائهم ، وقال ما أحسن هذا
الشاب^(٤) . وإبه قد ملأ قلبي بحاسته وشمائله ، وكأنه ما ولد قط مثله . فلم يزل يكرر هذا الكلام ونحوه

(١) ك : كو ، طا : مكارم . (٢) أصل : " اللدياج " والتصحيح من ك : كو ، طا . (٣) ك : وباطاق .

(٤) ك : واستقر . (٥) في الأصل : حيث ما . (٦) كو : و (لا) .

حتى قال له بعض الندماء إن له وراء حجابہ بنتا كالشمس الطالعة . ^(١) وقد خلقت من طينة الجمال ،
وأفرغت في قالب الكمال .

بيضاء تسحب من قيام فرعها وتغيب فيه وهو وحف أبحم
فكانها فيه نهار ساطع وكأنه ليل عليها مظلم

فاستهام بها دستان ، وشغفه حبها حتى ملك الغرام عنان قلبه ، واستلبه زمام عقله . وجعل
يتجملد ويغنى ما يحين ويضمر . فأبت لوائح همومه إلا الاشتعال ، وسوابق عبراته إلا الانهال .
نعم ولما أصبح مهرباب جاء الى باب سرادقه للخدمة . فبادر الحجاب ورفعوا دونه الحجب حتى دخل
على دستان . فتהל في وجهه ، وتلقاه بأريحيته ، ولأطفه في الكلام ، وأمر برفع حوائجه ، ووعدہ
بإنجاح مطالبه ، وإنجاز مآربه . فقال مهرباب : إن حاجتي أن يجشم الملك حضور متزلي لينوره
بإشراق طلعه مشرفا عبده بذلك . فقال : أما هذا فلا سبيل اليه بدون أمر الملك سام . واعتذر
اليه ، وخلع عليه . وردّه الى داره على جملة تسر قلوب مواليه ، وتسخر عيون أعاديہ . فلما عاد
مهرباب الى داره سألته زوجته عن دستان وصورته وشكله وحاله بمحضر من ابنته ، وكانت تسمى
روزابه (١) فطلق مهرباب يصفه ويذكر ما أعطاه الله ^(٢) من الصورة الجميلة والشمال المعسولة ،
والمنظر البهي ، والرواء الأنيق . وقال: غير أن رأسه أبيض كالكافور ، يرف شعره واردا على عارضيه
كأوراق الأخوان ، على شقائق النعمان . فكانه لا يصلح لجمرة وجهه ، غير بياض شعره ، ولا لياض
شعره غير حمرة خده . فجلت روزابه تسمع ذلك يجامع قلبها حتى أثرت تلك الصفة فيها فتغير
وجهها ، واصفر لونها . وما أحسن ما قال بعض الحكماء : لا تصفوا محاسن الرجال ، لربات المجال .
فانها تعلق بقلوبهن ، وتأخذ من نفوسهن ، وتفتح عليها مكامن الشيطان ، فلا يكون للعقل بمقابلتها
يدان . ففسقته روزابه ، وحالفتها الأثجان حتى ملك الهوى عنان اختيارها ، وجمعها بنومها وقرارها .
ولما عادت الى بيتها ضاقت ذرعا عن كتمان سرها . وكان لها خمس جوار يخدمنها ويحضرنها
مختصات بها . فافضت اليهن بمكنون سرها ، ونحزون أمرها . وأخبرتني بما تقاسيه من لوائح
الحزن ، ولوائح الحب . فانكرن ذلك عليها ، وأطلقن ألسنتهن بالوبخ والتعنيف ^(٣) ، وأخذن يتوقفن
سطوة مهرباب ، ويذكرن لها شدة غيظه على الحرم . فنفقتها العبرات ، وتصبعدت من صدرها
الزفريات . ثم أقبلت طين وقالت قد فني مني الاصطبار ، وخرج من يدي الاختيار .

(١) في الفرز : "روزاوذ" .

(١) كو ، طا : و (لا) . (٢) كو ، طا ، ك : تعالى . (٣) ك : إلا . (٤) ك : والتعنيف لها .

كو : إبتو ينجها وتعنيفها .

لم يُبق لي الشوق لا صبرا ولا جلدا فليصبرن خلى يملك الخلد^(١)

فصارت لا تستأنس إلا بوصفه ، ولا تستريح إلا إلى ذكره . فلما أبصرن ذلك طفقن يملن قلبها ويقولن : إنا مستدبر^(٤٤) في شأنك وستجمع بينه وبينك . وكان مسكر دستان قريبا من قصرها . فلبس وشاع الحل ، وتبرجن للألحاح والمقل . وأخذت كل واحدة منهن على يدها طبقا من ذهب ، وصرن إلى بستان قريب منه على شط نهر ، وجعلن يمتحن الورد والياسمين وأنواع الراحين ، وينضدن ما يمتننه على الأطباق . وذلك بمرأى من دستان . فأبصرهن من تحت السرادق وسأيل عنهن . فقبل وصائف خرجن من قصر مهرب إلى هذا البستان ، يمتحن الورد والريحان . فدعا بالقوس والنشاب وقام يمتشي بين تلك الرياض ، ومعه جماعة من صغار الغلمان الحصارية (١) فلما قرب من الماء أزعج طيرا ورماء بنشابة فوق الطير إلى ذلك الجانب من الماء ، بين أشجار الورد والياسمين ، عند الجوارى المذكورات . فأمر بعض الغلمان بالعبور إلى ذلك الجانب وأخذ الطير . فلما عبر الغلام إلى البستان سألته إحدىهن عن الشاب . فقال الوصيف : هذا ابن ملك الهند ، وهو كما ترين يروق البيون جمالا ، ويملا القلوب كلالا . وطالت مسارتها . فضحكت الجارية وقالت للغلام : إن وراءنا في المحاب سيدة كالقمر ليلة التمام . وأخذت تصف صاحبها له وهو يصنى إلى ذلك . ثم رجع بالطير إلى صاحبه فسأله عن الجارية وعما حاورته فيه . فسرده عليه ما جرى بينهما . فسر بذلك حتى توردت صفحات وجته ، وتهللت أسارير جبهته . ثم رد الغلام إلى الجارية وأمرها ألا تبرح من البستان إلا بإذن الملك . ودعا الخازن وأمره فأحضر قطعما من الجواهر النفيسة فأنفذها على يد ذلك الغلام إلى الجارية ، وأمرها أن تحملها إلى صاحبها ، وبأن لا تبرح من مكانها حتى يحملها رسالة إليها . فقالت الجارية : إن كان لك رسالة فلا يسمعها غيري . فان السرا إذا جاوز أشين^(٨) لا يبقى مكتوما ، وكان بالإذاعة قينا . فتجشم الملك النهوض إلى البستان ، وخلا بتلك الجارية وباح إليها بمكنون سره ، وأخبرها بما أنطوى عليه قلبه من حب صاحبها . ثم رجعت الوصائف الخمس إلى القصر ، وبشرت تلك الجارية سيدتها بأن قلب الملك هائم بها ، وأن وجدها بها فوق وجدها به . وقدمن الجواهر التي أنفذها بين يديها . ففرحت بذلك وسرى عنها بعض همومها . ثم ترددت

(١) في الشاه . ومعه عبد .

(١) ك ط ا : الجلد . (٢) ك كو ، ط ا : وتسترّج . (٣) ك كو ، ط ا : ويقفل لها . (٤) ك : مستدير .

(٥) كـو . طـا ، كـ : هو . (٦) طـا : كـأبها القمر . (٧) كـ طـا : بـهـلـها . (٨) كـ : كـو ،

الجارية بين المتعاشقين حتى تواعدا على الاجتماع . فلما جن الليل جاء دستان ووقف عند أصل القصر . وأشرفت عليه روزابه من بعض شرفاته . قال ، والمهدة عليه : فسدلت قرونها وأشارت الى أن يتعلق بها ويصعد . فامتنع من ذلك وقبل تلك الضفائر المسكة ، وعلق الوهق^(١) ، وصعد في أسرع من رجح الطرف . فاجتمعت الشمس والقمر ، وطال بينهما الحديث والسمر ، وباتا يتشاكيا حزن الاشتياق ، ويتفاوضان ذكر الفراق ، في مجلس فرش بالسياج والحريز ، ونضد بالمسك والعبير . فكانا كما قال الشاعر :

بتنا فنجيعين في ثوبى هوى وتقى يلغنا الشوق من فرع الى قدم
وبينا عفة باعته يبدى على الوفاء بها والرعى للذم
وأكم الصبح عنها وهى غافلة حتى تكلم عصفور على علم

فلما قمعت نسائم السحر ، وتشعثت تباشير الصبح ، وغردت سواجع الأطياف ، في عذبات الفصول والأشجار ، قام دستان فودعها قتماها وتحالفا على ألا يقرب كل واحد منهما غير صاحبه حتى يجمع الله بينهما بالنكاح . فافترقا على ذلك وجاء الى خيمه . فلما طلعت الشمس جمع الوزراء والأمراء ، وشاورهم ، وأعلمهم بأنه يريد أن يتزوج ببنة مهرباب . فقالوا إنه من أولاد الضحاك . ولا يخفى عليك ما بين البتين من العداوة والشحنة . ولا يرضى أبوك سام ولا الملك منوجهر ، بأن يجري بينكما امتزاج واتساج . وإن سمما بملك الى هذه المصاهرة احتدما غيظا ، وصعب استرضاؤهما ، وتعذر استعطافهما . فلما سمع ذلك أطرق محزونا مكتئبا . ثم أقبل عليهم وقال : لا بد من إعمال الفكر في ذلك بما يفضى الى حصول هذا المقصود . فأشاروا عليه بأن يكتب الى أبيه ويتضرع اليه ، ويمرض ما يلى به من العشق عليه . فلعله يرق قلبه ويتشفع الى الملك ويتوسل اليه بدرائع عبوديته ، وشوافع خدمته ، ويسأله إذنه في مصاهرته تلك . فاستصوب هذا الرأي فأحضر الكاتب وأمره أن يضمخ كافور القرطاس بمسك الأنفاس ، ويكتب الى حضرة ذاك المهزبر المصور كتابا يفتتحه بالثناء على الله خالق الأئمة ، وبارئ النسم . ثم يفتي بالدعاء بنبات دوحه الجلال ، وجرثومة الإقبال ، لبث الحفاظ ، وغيث النوال ، مفخر السيوف والأرماح ، وفاجع الأشباح بالأرواح . ثم ثلث^(٢) بما يلى به فرة عينه ، وفلذة كبده من شغفه بالخطرة العريسة . ثم يذكر^(٣) العهد التى أبرمها يوم استزاله من معشش العتقاء في إثثار ما يعود بطيب قلبه ، ويقضى بنحف عيشه . ثم يستأنه ، بعد الإطباب والإسهاب في معنى خلوص عبوديته ، ونصوح طاعته ، في المصاهرة المذكورة ، والمواصلة

(١) كو : الوهق في بعض النسخات . (٢) كو : جاء دستان . (٣) ك : كوطا : يذكر ما يلى .

(٤) ك : يذكر .

المطلوبة . فكتب على تلك الجملة كتابا وختمه بالمسك ، وطير به راكبا الى مازندران الى حضرة سام^(١١) . فلما وصل الرسول أخبر سام بمقدمه فقربه من بساطه ، فأوصل اليه الكتاب بعد تقييل التراب ، وإقامة شرائط الخدمة . فقص ختامه وقرأه ، فأخذه الوجوم ، وتناوشته الهموم . ثم أخذ يفكر في السبيل الموصل الى ما خامر قلب ابنه من مواصلة آل الضحاك ومصاهرتهم . ورأى أن ذلك مما لا يرتضيه الملك منو جهر . فأحضر المنجمين والحكماء وشاورهم فيما همس في ضمير ولده من ذلك ، وأنه كيف يحوز الحزم التغافل والتغابي عن الحفود الدفينة ، والحسائك القديمة . وقال لهم : تدبروا في ذلك الأمر ، واستدلوا بظالميهما على ما فيه من الخير والشر ، واستعينوا على ذلك ببصيرة العقل وقوة الفهم ، واستشفوا ستر العواقب ، وطلألوا مرآة الغيب بالأراء التواقب . ثم أعلموني نتيجة ذلك . وأذن لهم فقاموا والتجشوا الى الزيجات والتقاويم ، وتشمروا للنظر السديد والرأى القويم . حتى وقفوا على الأمر المكنون ، والسر المخزون . ثم جاءوا الى باب الملك مبشرين بسعادات دلت المخايل على ظهورها ، وآذنت بتأشيرها بطلوعها . وأخبروه أن الله^(١٢) أجرى فلم التقدير في اللوح المحفوظ باقتران السعدين ، واجتماع النيرين بتواصل البيتين ، وأنه يولد بينهما ولد يملا الدنيا مهابة وقهرا ، وشهامة وغفرا ، ويرفع تاج السلطان ، الى أوج الكيوان^(١٣) . ويظهر بساط الأرض عن أهل البنى والطغيان ، ويشتمل به نار ملوك الفرس حتى تمتد باعها الى ذروة السالك ، ويضرب لهم رواق المجد على مفرق الأفلاك . فلما سمع سام ذلك من المنجمين أخذته أريجية الطرب ، وتمشت في رأسه نشوة الفرح . فافاض^(١٤) على أعطافهم الخلع الرائقة وأجرل لهم الأعطية والمنع الوافرة . ثم دعا برسول ولده دستان وأمره بالرجوع إليه . وردة إليه^(١٥) ، أنا تتوصل الى قضاء حوائجك ، ونسعى في إنجاح مطالبك . ونهض الى حضرة السلطان لاستئذانه في إنشاء هذه المصاهرة ، وتبجيز هذه الموصلة . وأمر بأن يتادى في العسكر بالرحيل والتوجه الى مستقر سرير الملك ، بعد ما كفاه الله تعالى ما أهم به من العدو ، وأنهم عليه بالظفر والنصر والنجاح والفوز .

ذكر انكشاف حال روزابه عند أمها وأبيها واطلاعهما على ذلك

قال : فرجع الرسول الى حضرة دستان ، وأعلمه أن أباه تقبل له بإنجاح المأمول ، وإطلاع^(١٦) المقصود . فدعا بجوز كانت ترتد بينه وبين روزابه ، وأنفذها اليها وأحسبها

(١) ك : ط : الى حضرة سام الى مازندران . (٢) ك : ك : ط : تعالى . (٣) ك : كيوان .

(٤) ك : من . (٥) ك : ك : ط : وأفامر . (٦) ك : وأمره بالانصراف وكان من جوابه اننا انخ .

(٧) ك : عليه . (٨) ك : ك : ط : ونهض . (٩) ك : ك : ط : من أمر . (١٠) ك : عد .

والديها وما يقب ذلك من أمرها . (١١) ك : بأن . (١٢) ك : طلاب .

الرسالة التي عاد بها الرسول من عند أبيه . فدخلت عليها وبشرتها بذلك . فتغايات من الفرح وتمالت من المرح ، فأمرت لها بخلمة من القصب منسوجة بالذهب . فلما خرجت من عندها رأتها « سين دخت »^(١) أم روزابه . فاستقرأت بها ، وأمرت بالقبض عليها ، واستكشافها عما وراءها . ففزعت العجوز وتعلقت بأذيال الأكاذيب ، وتمسكت بأهداب المخاريق . فما وقع ماذكرته عندها موقع القبول . وأمرت بتفتيش ما اشغل عليه إزارها . فعثروا على تلك الخلمة الفاخرة . فشددت حينئذ على الخبيثة الفاسحة ، وأغلقت جميع الأبواب ، وطفقت تلطم الورد بالعناب ، وتفض من الترجسين عقود اللؤلؤ المذاب . ودخلت على بنتها وأخذت تخاطبها بلسان اللوم والتعنيف والعذل والتوبيخ على طرحها قناع الحياء ، وتذرّعها ملابس الفحشاء . وتؤاخذها بإلباس العجوز الشوهاء ، ملابس الخريفة العذراء . فما أجابتها إلا بالإطراق ورمى الأرض بالأحداق . فلما طالت مطالبتها لها باظهار حالها وإعلان سرها تنفست الصعداء ، وأسبلت من محاجرها الدماء ، وفضت ختام سرها وذكرت لها شغفها بابن الملك ، واجتماعهما في تلك الليلة ، وما جرى بينهما من المعاهدة والمخالفة على الازدواج والامتراج والأخذ فيما يفضى اليه من السعى البليغ والجهد الأكيد . وأخبرتها بأنه قد كتب في المعنى الى أبيه سام ، وأنه رد اليه في جواب كتابه أني أنهض الى حضرة الملك منوچهر وأستاذته في ذلك توخيا لما يرضيه ، واقبادا لما يتغيه . فلما سمعت ذلك سين دخت خفضت من غلوائها قليلا ، وكفكت من طغيانها حتى عاد حده قليلا ليلها الى مصاهرة ابن الملك والاتصال به رغبة فيه لمكانه وعلو شأنه . ثم اعتذرت الى تلك العجوز وطابت قلبها ، وأمرتها بإسبال الستر على ما جرى من الإساءة . ودخلت الى قصر مهرباب واضطجعت في موضعها تتفكر في الحادث الكارث ، وتتفكر في عاقبة الأمر ووخامته .

فدخل مهرباب فراها نائمة على غير العادة المعهودة ، مترجعة قد توزست صفحات خدّها بردع الألم ، وترددت في محاجرها عبرات الهم والحزن . فاستخبرها عن حالها فما أجابت إلا بما نبت عنه مسامعه ، واستبعدته ألعيته . فآلح عليها في إظهار ما انطوى عليه سرها ، وبث ما استجته ضميرها . واستمرت على المدافعة عن إطلاعه على حقيقة الحال ، والإفصاح عنها بصدق المقال . فلم يزل يعيد عليها السؤال حتى شرحت لديه الحال . فلما وقف على ذلك مهرباب تضرمت نيران غيظه ، ووثب كالليث المخرج الى السيف متوجها نحو البيت . فنهضت زوجته وتعلقت به . ثم قالت : إني

(١) كو : وأمرت . (٢) ك : طا : سين دخت . (٣) ك : الترجسين . (٤) كو :

وتخوف من عاقبه ووخامته . (٥) ك : كو : فاستمرت .

أعرض عليك رأيا فإن كان من الصواب قريبا قبلته وإلا مضيت على غلواتك، ومقتضى رأيك . فتوقف ساعة . فقالت : إن هذا الأمر قد شاع وإن دستان قد كتب بذلك إلى أبيه سام، ورجع الرسول إليه مخبرا بأنه نهض من مازندران متوجها إلى حضرة السلطان ليستأذنه في الخطبة اليك، وسردت عليه جميع ما جرى من المراسلات والمكاتبات . فلما سمع مهراب ذلك خفض قليلا، ومال إلى جريان الاتصال بين الدولتين، اعتضادا للبعض ببعض من الحانيين .

قال فاطم منوچهر على الحال وأنهى إليه أن ابن سام يريد الاتصال ببنت مهراب، وأن أباه متابع على ذلك، ومصمم على النهوض إلى حضرته لاستئذانه . فاحتم غيظا واستشاط غضبا، وجمع وزراء وقواده، وقاوصهم في ذلك . وقال : أخاف أن يكون تحت هذا الرماد جمر يشور منه دخان . وقد علمت أن أفريدون كم تجزع غصص المكاره حتى استأصل شافة الصحاك^(١) . وإذا حصل بين ابن سام وبنت مهراب التي هي شعبة من الدوحة الضماكية تزواج أمكن أن يحصل بينهما ولديكون له صفو إلى أمه، فتحدثه نفسه بإحياء بعض سنن البيت، فيتفقم الأمر ويعضل الداء . والحزم ألا يفتح له طريق إلى هذا، ولا يمكن من السؤال في ذلك المعنى . فاستصوبوا رأيه وأثوا عليه . فلما قدم سام استقبله على الدادة المعهودة، وتلقاه بالإعظام والإجلال، والبر والإكرام، وأزله على جملة الاحترام . فلما كان من القد جاء رسم الخدمة إلى باب الملك فرفع دونه الحجب، وتلقاه الملك بالبشر والتهلل، وسايه عما قاساه من محاربة شياطين مازندران ومكافحة أسود كرساران^(٢) وما لاقاه من مقاتلتهم ومعاركتهم . فأخبره بما جرى له من أول نهوضه إلى أن فتح الله عليه تلك البلاد . وذكر له ما تيسر من قتل ملكهم (ب) الذي كان من أولاد سلم بن أفريدون . وأعلمه أنه قد صفت له تلك الملكة وانصحت إلى جملة ممالكه . فلما أنهى حديثه أنشئ الملك عليه وشكر سعيه . ثم دعا بالأتعاب مجلس الأنس، واشتغلوا بالقصص والطرب، وتماطوا أقداح اللهو والفرح . حتى استباحث عقولهم الكئوس، وثقلت من فضلات الراح الروس . استأذن حينئذ سام للقيام، ورجع إلى مضطجعه . فلما أصبح ركب إلى خدمة الملك ليعرض بذكر ولده زال، ويستأذن له في معنى الاتصال ببنت مهراب . فلما دخل على منوچهر رآه كلمة تناظ محكما كالنار . فافتتح وقال لسام : إنا تدبرنا في أمر

(١) اسم قبيلة في نواح مازندران ويظهر أنه جمع « كرسار » ومعناه شبيه النسر، أو « كرس مر » أي الذي رأسه كراس السر . وبين الرى رقم وكاشاد جبل اسمه كرككوه . أي جبل السر . وهو جبل وعمر أبجد كان مأوى لقصوص . (انظر معجم البلدان وقاموس الأعلام) . (ب) اسمه في النسخ كركوى .

(١) ك ط ا : متابع له . (٢) ك و : وحشم مادة الشر . (٣) ك و : فاستأذن .

مهراب وأنه شعبة من تلك الجرثومة الخبيثة ولا بد من قلعها واستئصالها . وقد اقتضت آراؤنا أن تنهض لكفاية أمره ، واستصفاء مملكته ، واستضافتها الى ما في يدك من ممالك الهند . فلما رأى سام أن الملك قد سدّ عليه طريق ملتصقه كف لسان سؤاله ، وسارع الى الانقياد ، وتشمّر لـ^(١) جرد فقبل الأرض فخرج متوجها نحو ممالك الهند . فتناهى الخبر بذلك الى زال ومهراب^(٢) ، وقامت القيامة على مهراب وأصحابه ويُسوا من الحياة . وضافت الأرض على زال لأنه كان السبب في إيقاد نائرة الفتنة . وتوقد من الغيظ متمرا كالتعبان الصائل . حتى قال يوما : إن مهراب نسبي وهو معتضد بقوة باسى وشدة مراسى ، ولا يقدر العقاب أن يطير على -أاحة مملكته ما دام هذا الرأس على جسدى ، واستقر هذا الصمصام في يدي . ثم جاء الخبر بمقدم أبيه فخرج للاستقبال في مواكبه . فلما طلعت رايات أبيه ترجل للخدمة ، يتلقى الأرض بيسده ، ويلثم التراب بفيه . فأركبه أبوه وعاققه ومسح بيده غرته . فسارت أعلامه حتى نزل في إيوانه . فخلا به في الوقت وأخذ يث إليه^(٣) شكوى الحال ، وما قاساه مدة مفارقه من الأشواق اليه ، ثم ما أصابه من رسيس الوجد وحرقة الغرام . وأذكره معاهدته إياه على موافاته فيما يطلب ويقترح ، ومعاونته فيما يعرض من مآربه ويسنح ، وتكبه عما يعود بضيق صدره ، ويقضى بشغل قلبه . وكأنك الآن لم تقدم من مازندران إلا على ما بوغى صدرى ، ويوحش قلبي ، ويفجع بروحى شخصى . لما أنت عليه مصمم من محاربة مهراب ، وتخريب دياره ، واتهاب خزائنه ورغائبه . فان كان الأمر على هذه الجملة فهأنا واقف بين يديك ، مسلم زمام قيادى اليك . فخذ رأسى أولا ثم خض في محاربة مهراب ثانيا . فرق عند ذلك من سام قلبه ، ولانت صفاته ، وطفق يعلل قلب ابنه بالأمانى . وقال له إني أتذكك الى خدمة الملك ، وأكتب اليه كتابا أستعطفه وأسأله الإنعام عليك بما يفضى الى إنجاح مآربك ، وقضاء حوائجك . فاستحضر الكاتب وأمره أن يكتب . فمفتحا بحمد الله خالق النجم والشجر ، ومثور الشمس والقمر . المتصف بالقدم ، المسلط على الوجود يد العدم . ومثنيًا بأشياء على الملك الجليل ناعش التساج والتخت ، ومالك الشرق والغرب . ثم قال إنه لا يخفى على آرائه العالية أنى قد طعنت في السن وتلفعت برداء الشيب ، وضعف كاهل عن حمل أثقال السلاح ، ووهت منى عن إعمال السيف عند الكفاح . ثم أخذ يدل في كتابه بحرمانه السالفة ، وحقوقه الثابتة ، ومقاماته المشهورة ، ووائعه المذكورة ، وكاياته في أعادى دوله ، ومخالفى

(١) كز : جرد له . (٢) ك : مهراب (لا) . (٣) ص : القية . (٤) ك : طا : يستضد .
 (٥) ك : طا : اليه (لا) . (٦) كز : وقال كالك . (٧) ك : مصمم عليه . (٨) ك : صخر طا .
 من الأصل : خرائته . (٩) ك ، طا : له . كز : به .

كلته، ويصف الملاحه في محاربة سمالي مازندران، وغفارت كركساران (١) ويذكر أنه جعل ولده دستان ولي عهده في عبودية الملك وكفاية ما يحدث من مهم يحتاج فيه الى قوة باس، وشدة مراس، وأنه قد غذه الى حضرة الملك حتى يكتحل بالطلعة الميمونة ويمثل في زمرة المييد . وبسد ذلك لا يخفى على ألعية الملك أنه وإن كان بقوة أعضاده يدفع في محور الآساد، ويضعض أركان الأطواد، فهو ريب الطير. ومن أجل ذلك هو رقيق القلب . وكأنه قد رأى بنت مهرب ففكت قلبه، وسلبته عقله . فهو أسير في يد الغرام، متفجر الدمع مثل الغمام . نومه غرار، ودموعه غزار . وقد وفد الى حضرة الملك ملتبجا الى عاطفته، ومستميذا بظل رأته . راجيا أن ينعم عليه بالإذن فيما يروم . وختم الكتاب بالدعاء والثناء، ودعا بدستان ودفع اليه الكتاب . وأمره أن يتوجه الى خدمة الملك^(١) منوجهر فركب يطوى الأرض كالبرق الخاطف، حتى وصل الى مستقر الملك منوجهر على ما سياتي ذكره إن شاء الله تعالى .

١١٦

ذكر إرسال مهرب زوجته سين دخت والسبب في ذلك^(٢)

قال ولما شاع في بلاد كابل أن منوجهر أمر ساما بالنهوض اليها لتخريبها واستصفاء حصونها وقلاعها، واستفاضة به الأخبار احتاج مهرب وطار واقعه، وأقضت مضاجعه . فالتب مستشيطا، ودعا بزوجه سين دخت، وشكا اليها ما ابتلى به من شؤم بنتها وقبح فعلها، وأنه بسببها قد ظهر الشر الكامن . وتحرك العرق الساكر . وأوعد بقتلها مع بنتها متوسلا بذلك الى استعطاف الملك منوجهر واسترضائه فلهه يكف عن غلوائه، ويمسك عن محاربته، وانتراع مملكته من يده . فالتبأت الى أعمال الحيلة، وإزالة الفكر فيما يقضى لها بانجاة من تلك المصيبة . فنهضت حائرة ترجف أحشاؤها، وباتت بليلة أقدم، تأبى مزيجات الخوف أن تغفو وترقد . فلما أصبحت دخلت على زوجها وقالت إن هذا الأمر لا بد من تلافيه، ومقتضى الحزم التشر فيه . فإنه ما عز إلا هان، ولا تصعب رضى إلا استفاد ولان . وكذلك ظلام الليل وإن أرتى سدوله، وسحب على النواظر ذبوله، فلا بد من انفراجة بطولوع الصبح وابتلاجه . والرأى أن أنهض رسولا إلى سام، وأستل هذا الحسام، وأستعطفه وأستين عريكته، وأطلق^(٣) هذه النائرة، وأسكن^(٤) الفن النائرة . وأذا حطرت أنا بالروح

(١) أعظم ما أثره التي تذكرها الشاه في هذا المقام فله تين نهر كشف . كما ذكر في مقدمة هذا الفصل .

(١) طا : الملك (لا) . (٢) ك : طا : سين دخت . (٣) ك : من . (٤) ك : لى : لى .

(٥) ك : هذه النائرة . (٦) ك : طا : طا .

فلا بد لك من المساعدة بالمال . فاستصوب مهرباً رأياً ورضى لها بالبروز، وسلمت إليها مفاتيح الكنوز . وأطلق يدها في جميع تلك الرغائب ، والذخائر والحرائب . فقالت لا آمن، اذا غبت، على روزابه من باقة غضبك، وبادرة سطوتك . ولا يمكن خروجي إلا بعد الاستظهار منك بعقود محكمة ، وموائيق مبرمة، على كف عاديته عنها . ففعل ذلك . ثم تسمرت للنفود في ذلك وقعت أبواب الخزائن، وأخرجت ثلاثين ألف دينار بسم الثار، وعشرة من الخيول المذكورة، وثلاثين رأساً غيرها من المرباب الجياد، وخمسين وصيفاً كالأنصار الطالعة، مشدودى الأوساط بمنطق الجواهر الرائعة، وستين وصيفة كأنهن ضرائر الحور العين، على يد كل واحدة جام مملوء من المسك الفتيق، والعنبر السحيق، وأربعين رزمة من الوشائع الرومية والديبايح التسترية، ومائة قطعة من السيوف الهندية ، والصوارم المشرفة، ومائة نافقة حمر الأوبار هذل الشفاء قوالص الأشفار، ومائة بغلة كأركان الجبال بسم الأحمال، وتاجاً من الذهب على زهر الجواهر ، كالشمس المنقطة بالنجوم الزواهر ، وتختاً يشبه الفلك الدوّار ركبت فيه يواقيت تحطف الأبصار، وأربعة من الفيلة المائلة التي تضرب وسط الحروب بالأسداد، وتزاحم مناكب الأطواد . قال : فلما أعذت استعذت وركبت منطلقة نحو حضرة سام فلم يحس بها أحد حتى حلت بفنائها . فسالت المحجاب أن يعلموا ساماً بوصول رسول من عند ملك كابل . فلما أخبر سام بذلك أمر أن ترفع دونها الحجب . فدخلت وقبلت الأرض، ومثلت بين يديه . وكانت قد أمرت أن تصف الهدايا صفوفاً وبأن يقدم الواحد منها بعد الواحد بين يدي سام . ففعل ذلك وأعجبته تلك التحف بكثرتها، وجعل هبتها . وجعل يتمتع من إنفاد مهرباً إياها على يدى امرأة ويقول في نفسه : إن قبلت هذه التحف وعلم بذلك منوجهر لم آمن عواقب سخطه . وإن لم أقبلها وسمعت بذلك دستان تمر فطار واقعه، وهاج وادعه . فوقع له أن يسلموا تلك الهدايا والتحف إلى خازن ابنه دستان . فلما رأته العقيلة الكابلية أن ساماً أمر بقبول مستصحباتها تهلت فرحاً . وكانت معها ثلاث وصائف على يد كل واحدة طبق مشحون من الياقوت والزبرجد فأمرتهن فنثرتهن تحت قدم سام . ثم أدخل المجلس لأداء الرسالة . فتقدمت نحو بساطه ، وأطلقت لسانها بالثناء . وقالت أيها الملك : إنه لا تتعلم مكارم الشج إلا من أخلاقك ، ولا يهتدى إلى طريق المحاسن والمآثر إلا بإشراف أنوارك . وأنت الذى يفسر برايك رتاج كل أمر ، ويفلق

(١) ك : سلم . (٢) ك : ط : إلى . (٣) ك : قد ركبت . (٤) ك : ط : واستعذت .

(٥) ك : حضرة (لا) . (٦) ك : فاعجبه . (٧) ك : البنش . (٨) في الأمل : أمر من

والصحيح من ك : ك : ط . (٩) ك : منج .

بعدك باب كل شر . ولا يخفى عليك أن البرىء لا يؤاخذ بذنب المجرم ، وأن الحسن لا يقابل مجزاء
المسيء المذنب . وإذا أساء الضحاك الذى ذاق وبال ظلمه ، واستوخم عاقبة فعله فأنى تجوز المعدلة
العائضة ، والرحمة الشاملة أن يعاقب لإساءته مهراب الذى هو غرس نعمتك ، وتراب قدمك ، ولم
يسلك منذ تصدى لسلطة كابل غير طريق طاعتك ، ومنهج عبوديتك . نعم وإن كان قصد
الملك لبلاده من أجل الدين فإن إلنا والحكم واحد ، لاختلاف بين الطائفتين فيه . غير أن قبلتنا
التماثيل والأصنام ، وقبلتكم الشمس والنيران . وعلى الجملة فانت تعلم أن سفك الدماء لا يستحسن ،
وأن مؤاخذه غير المجرم عند الملوك تستهجن . فلما سمع سام^(٢) ذلك أقبل عليها وسأيلها^(٣) عن حالها
أهى زوجة مهراب أم مستخدمة له ؟ ثم سأيلها عن حال روزابه وصفتها وعن مبدأ السبب فى هيان
ولده بها . فقالت إذا وثقت من الملك بمعاهدته إياها على ألا يرصد لها ولا أصحابها بالفوائل ،
ولا بقصدهما قصد العدو المخاتل ، أطلعت به بصدق المقال على جميع الأحوال . فصفق بيده
على يدها ، وحالفها على ذلك . فقامت سين دخت وقبلت الأرض ، وقالت أما أنا فانى ، مع انتسابى
الى الدوحة الضحاكية ، صاحبة مهراب والدة روزابه التى ملكت بجمالها وكاملها قلب ابنك دستان .
ونحن كلنا عبيد حضرتك ، والمتخبطون فى سلك خدمك . نسأل الله تعالى دوام ملكك وثبات
دولك . وإنما باشرت بنفسى هذه الرسالة لأعرف رأيك فى أهل كابل . فان كنا نحن من المجرمين ،
أو لا نلقى بالملك فى تلك الأرضين جريت فينا على مقتضى رأيك . فسيفك محكم فى رقابتنا . ولا ينبغي
على ذلك أن تضرع بمكره لأهل كابل الذين لم يمترحوا ذنباً ، ولم يقتربوا جرماً . فلما علم سام صدق
مقاتلها ، ونصوع طويتها فى الطاعة أقبل عليها وقال إن المعاهدة بيننا قد سبقت آتفاً . ولست عن
مقتضاها أحيد ، ولو قطع منى الوريد . فاسرحوا آمين فى مراضع عيشكم ، واطمئثوا وادعين فى ظلال
أمتكم . فانى مظاهر ولدى على هذه المصاهرة والمواصلة . وإن كنتم من أهل بيت آخر فإنكم من
أهل الملك ، ومن أصحاب التاج والتخت ، وولادة الأمر والنهى . ولكن جرت عادة الأيام بتقلب
الأحوال . والمافل يعلم أن لأدوار الدول أطوار ، وأن فى مسالك الحظوظ أنجاداً وأغواراً . فن
ناقص ينمو نمو الهلال ، وكامل ينقص كالقمر بعد الكمال ، ومصير الكل الى الزوال . وإنى قد كتبت
الى الملك منو جهر كتاب تضرع وابتهاج ، وهذته الى حضرته على يدى ولدى زال . وقد خلق نحوه
طائراً بقوادم العجلة ، حتى كأنه حين ركب لم تحوه دفعا سرجه ، ولم تمسس التراب حوافر خيله .

(١) ك : ز « فى جميع المل » . (٢) ك : سام . (٣) ك : سألها . (٤) ك : إن .

(٥) ك : ط : قبلت .

وسيد الملك، إن شاء الله، عثاه^(١) معنا على بانجاح أملة، وقضاء وطره. فرأت سين دخت حينئذ مباهم سام عن الرضا متبسمة، وأسار رجيبته بالارتياح متلهلة. فطيرت فارسا الى مهراب مبشرا بما حصل من استرضاء سام، ورجوعه الى خطة الموافقة، ومخبرا بما في نفسه من المساعدة على المصاهرة. ثم جاءت صباح اليوم الثاني الى سام واستأذنته في الرجوع الى دار ملكها، ومقر عزها، للاشتغال بإعداد أسباب العرس الميمون. فأذن لها في المعاودة. وأمر لها بخلة تليق بمكاتها وجلالتها. ووهب لها جميع ما كان له في بلاد كابل من الدور والقصور والخييل والنعم، الى غير ذلك من أنواع النعم. وتضافا ثانيا متقبلا روضابه لولده دستان، قولا يصدقه الوفاء، ووصلا يشايه البنون والرفاء. وقال لها: لن تراعوا بعد يومكم هذا. فودعها وسرحها راجعة وأنفذ في خدمتها أميرا كبيرا في مائتي فارس، يصحبها الى أن تطلأ عرصة مملكتها، وتعود الى معزس دولتها^(٢).

ذكر وصول زال الى حضرة منوجهر

قال بخاء الخبر الى منوجهر بوصول زال فاستقبله أعيان القواد، وأمراء الأجناد. ولما قرب من السرادق رفعت دونه الستور حتى دخل. فلما وقعت عينه على الملك قبل الأرض، ووضع جبهته على التراب، على رسمهم في الخدمة. وبقى كذلك ساعة. فأشار الى من رفع رأسه من الأرض وقربه الى التخت فلاطفه في خطابه، وسأله عن حاله، وما تحمله من وعثاء السفر في حله وترحاله. فقال كل تعب يفضي الى لقاءك فهو راحة وسرور، وكل عناء يقع في الطريق اليك فهو مسرة وجور. فتناول منه الكتاب فبسم لما قرأه مستبشرا متلهلا. ثم أقبل عليه وقال حملت قلبك هما طويلا، وألزمت نفسك عناء عظيما. ولكن العزم بسبب هذا الكتاب الذي كتبه ذلك الشيخ الكبير، وإن كان صدرى بما فيه يضيق، ألا تستدون مرادك الطريق. وسأقضي لك جميع حوائجك، وأحقق جميع مآربك. ومدوا السباط. فلما طعموا ورفعوا الى مجلس الأئس والطرب، وتعاطوا كئوس الرحيق. ولما ثمل دستان نهض فأركب الى حيمه. ولما أصبح عاود الخدمة فأنبى عليه الملك حين شاهده، وحين ثنى عثاه وفارقه. قال: فأمر بجمع العلماء والحكماء ومن تجر من المنجمين، وأمرهم بالبحث في طالع زال، والتفتيح عن سر الفلك في أمره، وعما يؤول اليه حاله في مصاهرته تلك. فلبثوا ثلاثة أيام يعملون دقائق النظر، وثواقب الفكر، في تطلب علم ما وارتته ستور الغيب. ثم جاءوا الى باب منوجهر وقالوا أيها الملك: إنه قد ظهر لنا على مقتضى الأحكام السماوية، وأسرار الأجرام العلوية أن يولد^(٣) بين ابن سام وبنت مهراب ولد كبير القدر، رحيب الصدر، طويل النجاد، طلاع

(١) ك : عثاه الى . (٢) ك : ظلال . (٣) ك : ط : على عين . (٤) ك : من ابن .

الإنجاد ، ويكون عمر الرداء ، واسع العطاء ، مخصوصا بشدة القوة ، ومخامة الجنة ، وطول المدة .
تكاد هيئته تمتع العقاب الكاسر أن يطير حواليه ، والأسود السود أن ترأر بين يديه . اذا لمعت بوارق
سيفه في اللقاء تدفقت شآبيب الدماء . يشد وسطه في هذه الممالك لخدمة الأملاك ، ويرفع قواعد
مجدهم على ذرى الأملاك . فلما سمع الملك ذلك أمرهم بإخفاء السر ، ودعا يزال ليجزب عقله وفهمه
بمسايله عن مسائل غامضة ، وإشارات خفية . فأحضر كل موبذ كان بمحضته وعقد مجلسا عظيما ،
وأحضر زالا فأمرهم أن يباحثوه ويسألوه :

المسائل التي سئل عنها زال وما ذكر في جوابها

قال قصصى موبذ وسأله عن اثنتي عشرة شجرة جذب بأضباعها السموق ، ومذ من أعضاها
البسوق . قد تشعب من كل واحدة ثلاثون غصنا لا يرى الفرس فيها زيادة ولا نقصا . وسأله آخر
عن فرسين : أحدهما أشقر كالنار (١) والآخر أدم كالقار . لا يزالان يراقضان ، يتعاقبان ولا يتسابقان .
وسأله آخر عن ثلاثين فارسا يعرضون على السلطان ، اذا عبروا قصص منهم واحد ، واذا رجعوا فلا
ناقص ولا زائد . وسأله آخر عن روضة معشبة يرف نباتها في رونق النضارة ، وتروق العيون بالبهجة
والنضارة . ثم ينحى عليها ذو منجل ينزل بساحتها مكروه الخطب ، ويجمع في حصدها بين اليباس
والرطب . وسأله آخر وقال : شجرتان من بواسق الأشجار ، ثابتان في البحر الزخار ، على كل واحدة
منهما قر لطار يصبح على إحداهما ومسى على الأخرى . اذا طار من هذه تساقطت أوراقها ، واذا
وقع على الأخرى راق العيون إوراقها . فتكون الأولى ناضرة على الدوام ، والثانية ذابلة مدى الأيام (ب)
وسأله آخر عن بلدة طيبة حصينة في ذروة جبل ، تركها الناس وعمدوا الى أرض تبتت القتاد ، فأرسوا
بها الأوتاد . وبنوا بها الدور ، وشيدوا فيها القصور . وتناسوا تلك البلدة الطيبة . فيدهم كذلك إذ
خسفت بهم أرضهم ، وقامت عليهم القيامة ، وحالفتهم الحسرة والدامة . فقيل لزال : إن أبرزت هذه
الكنوز ، وأوحيحت هذه الرموز كنت العالم الخبير ، وأثرت من التراب العبير (ج) فأطرق ساعة ثم رفع
رأسه وأعاد تلك المسائل . ثم قال : أما الشجرات الاثنا عشرة فهي عدة الشهور مع الأيام ، على
تعاقب الأزمنة والأعوام . وأما الفرسان فهما الملوان يتعاقبان ولا يتسابقان . وأما أعداد الفرسان ،

(١٨)

(١) في الشاهنامة : أحدهما كبحر من القار ، والآخر كالبلور الأبيض المثلج . (ب) عبارة الترجمة غير مستقيمة .
والذي يقتضيه السياق ما في الشاهنامة : وتكون أبدا إحداها مأمرة ، والأخرى ذالمة . يعني أن تداول النضرة والقبول بينهما
دائم لأن إحداها ذالمة أبدا ، والأخرى ناضرة أبدا . (ح) ترجمة للعبارة الفارسية : "وذاك سبه مشک سارا كنى" .
(١) ك : قال . (٢) ك : كو : ثابتان .

وما يظهر فيها من التقصان، فذاك إشارة الى نقصان الشهر وأنه تارة يكون تسعا وعشرين، وتارة ثلاثين . وأما الشجرتان اللتان عليهما معشش الطائر فإن العالم من وقت حلول الشمس في برج الحمل الى أن تبلغ الى الميزان يتبرج كالخريدة المغطار، في حلى الرياحين وحلل الأزهار . ومن حين حلولها العقرب الى أن تحمل الحوت يقع بين أصحاب الحداد، وأطوار السواد . فالشجرتان كائتان عن عضدى الفلك الدوّار، والطائر عبارة عن الشمس الباهرة الأنوار، وأما البلدة الطيبة فهي دار القرار، ومنزل الأبرار . والأرض التي آثروها عليها فهي الدنيا قرارة الأكدار، ومعزم الأخطار . تناهك مدارج الأنفاس، وتضرب في انصرام عمرك الأحماس في الأسداس . بينا أنت الى نعيمها راكن، وفي ظلالها وادع ساكن، إذ ترزلت من تحتك، وأمطرت مكارها من فوقك، فسمعت الأفلاك تشدك في ذلك :

لا أنت أنت ولا الديار ديار خفّ الهوى وتولت الأوطار

إن هذا الإنسان، وإن طالوا الكيوان^(١)، فليس يصحبه منها غير ستره تحت حفرة . فإن اكتسب فيها الذكرا الجليل، أحرز هناك الأجر الجزيل . وإن زرع العدل والإحسان، حصد الروح والريحان . ثم إن صاحب المنجل كناية عن الأجل يحصدنا كحصد النبات، فيأتي على البنين والبنات . سواء في مكروهه الشيب والشبان، والفروع والأغصان . قال : فلما رأى منوجها استخراجها لتلك الرموز الخفية والأسرار المبهمة تهل مستبشرا وارتاح مبتهجا، وجلس في مجلس عظيم قد فرش بالديباج والحرير، وطيب بالمسك والعبير . ودعا بدستان وسائر القواد . وتعاطوا كئوس الرحيق . فلما توزدت وجئاتهم، وتمشت في مفاصليهم نشواتهم، قاموا متميلين الى مضاريهم . ولما أصبح زال عاود الخدمة واستأذن الملك في عوده الى أبيه . وذكر أنه قد برحت به اليه الأشواق، واستنفد صبره الفراق . فقال له الملك تلبث عندنا هذا اليوم . فازاحه وقال إن الذي يزجك حب ابنة مهرباب، والنار تأتي إلا بالالتهاب . فأمر المسكر فلبسوا السلاح، وجردوا الصفاح، واعتقلوا الرماح . وبرزوا الى الميدان، يتلاعبون بالسيف والستان، ويتساجلون في الضراب والطعان . قد نصبوا الأغراض، وتعاطوا التوتير والإنباض . فسمع زال معاطف قومه وأطلق نسا به نحو شجرة عظيمة كانت بين يديه ففرقت منها . ثم أتبعها بأخرى راكضا فرسه فنفذت فيها^(٢) كتل الأولى . ثم اصطف المسكر من الجانين وزحف بعضهم الى بعض يواترون بين طعن وضرب . وكان زال مطلا عليهم ينظر إليهم .

(١) ط : فانه . (٢) ك : أجماف . (٣) ك : كيوان . (٤) ط : الاشارات .

(٥) ك : رايكا . (٦) أصل : فيه . والتصحيح من ك .

فرأى فيهم فارسا يقلب الأقران، ولا يتيبب السيف والسنان . فصمد صمده، وقصد قصده .
 وأنشِب في معاهد منطقته مخالبه وقطره عفيرا . فرغ الناس صياحهم ، وقالوا ما من فارس مقدم
 تعرض هذا الغضنفر له إلا وأمه ناكلة . وهيات أن تلد الضراغم مثله أو يلاقى^(٢) الملاحم والوقائع
 شكله . فلين ساما أن يخلقه هذا البطل الجسور والليث المصور . وأتى عليه منوجهر في جميع
 الأمراء والقواد . ورجع الى الإيوان نفع عليه خلة تليق بمثله مضافة الى التاج والتخت والسوار
 والطوق الى غير ذلك من الثياب الرفيعة، والخيول العتيقة، والعلمان الرشيق . وأمر بأن يكتب
 جواب كتاب سام ، ويعلم فيه أنه قر عين الملك بطلمة زال ولقائه وانشرح صدره بحاسن آدابه .
 وأنه تقدم بإنجاح جميع مطالبه وقضاء مآربه . فخرج زال بالطائر الميمون ، والطالع المسعود .
 وقدم فارسا الى حضرة أبيه ليعلمه بإقباله متصرفا من حضرة الملك منوجهر ، ويشره بما قابله
 من الإنعام والإعظام ، وأفاض عليه من المنن الجسام . فلما بلغ الخبر بذلك الى سام دبت
 في معاطفه دواعي الطرب حتى كأنما عاد شبابه النضير بعد أن جله القدير . فأرسل فارسا الى
 مهرب ليعلمه بالحال ويشره بما أنعم به الملك منوجهر ، ويعلمه بأنه منتظر قدوم ولده، وأنه اذا
 وصل بادرنا الى فنائك، واستسعدنا بلغائك . فلما بلغ الخبر بذلك الى مهرب كاد يخلع روحه على البشير
 ويطي من الفرح والسرور . ودعا بزوجه سين دخت وشكر سعيها وقال : إنك قد أعلقت يدك بشجرة
 من شجرات المجد، واتصلت بمرثومة من جرائم الملك . فتاهي للأضياف الكرام ، وأعدى أسباب
 الإكرام والإعظام . وسلم اليها مفاتيح الخزان، وأطلق يدها في تلك الدفائن . فقامت ودخلت على
 بتمها وروبا ، وبشرتها بعلوجتها وسعادة طالعتها . فدعت لها بطول البقاء، ودوام المجد والثناء .
 وقالت : سأجعل تراب قدمك على مفرق رأسي إكليلًا، وأتخذ من رأيك الى جميع السعادات هاديا
 ودليلا . قال : فأقبلت سين دخت تزين الدور، وتجد القصور . فزيت^(٣) مجلسا مذهبا وفرشت فيه
 بساطا منسوجا من الذهب موشحًا بالؤلؤ والزبرجد . ونصبت تحتها من العقيان مخروط القوائم من
 حجر البهرمان . ثم حلت الخريدة العزراء ، وجلتها على ذلك التخت كأنها الشمس في كبد السماء ،
 موشحة بقلائد الجوزاء . وسدلت دونها الحجب وأرخت السجف . ثم أمرت فزينوا جميع البلد
 بموشيات المطارف، ومستحسات الرقارف . وجللوا ظهور الفيلة بالحرير والديباج، ووضعوا على
 كواهلها أسرة العاج لتركها القيان المحسنات ، والجواري المسعدات . واشترأوا لاستقبال الملكين ،
 وطلوع التيرين، مترصدين للانتظار ، طامعين نحو الطريق بالأبصار .

ذكر رجوع زال الى أبيه ونهوضهما الى كابل للعرس

قال فانصرف زال من حضرة الملك منوهر يسوق مستجلا كالطير في الهواء، والسفينة على وجه الماء . فلم يشعر به أحد حتى طلع على أبيه . فلما رآه وثب اليه فماتقه، ثم أهوى زال يقبل الأرض . وعاد سام الى تحتة فقسنمه . وطفق ابنه يحكي لديه ما أنعم به الملك عليه، وأسدى من عوارفه اليه . وحكى له أبوه قدوم سين دُخت عليه في طلب المصالحة والمسالمة، ومسارعة الى تحقيق مطالبها، ومبادرته الى محالفتها ومصافقتها، ومواعيدته المزم على النهوض الى كابل لاجتماع القمرين، واقتران السعدين . فلما سمع دستان ذلك توددت بشرته، وتهللت أسرته من فرط الفرح والسرور . فبيناهم في ذلك اذ وصل رسول من كابل يذكر أن مهرباب ينتظر قدوم سام ودستان .^(١) ويترقب تجشهما النهوض اليه . فأمر سام بالرحيل وقدم راجعا الى مهرباب يعلمه بوصول دستان من حضرة الملك وأنهما أخذان في الركوب اليه والقدوم عليه . فخرج مهرباب لاستقبالهما وأمر بشد الكوسات والبطول على مناكب الفيول، وركوب المساكر في موشعات الملابس، ونشر عذبات الرايات والأعلام، وخروج القيان والمغانى بالمزاهر والمعاظف . قال : فلما طلعت رايات سام ترجل مهرباب إعظاما لقدره وإجلالا لمحله . فماتقه سام وجعل يسأله ملاطفا ويساره مفاكها، ومهرباب يقابله بالثناء والدعاء . فركب يساره، ودستان يسير قدماه كالهلال ليلة العيد يشار اليه بالأصابع، ويرمى نحوه بالنواظر . حتى انتهوا الى كابل فأروا الأرض تظن يخفق الطبول وتقرات السرور . واستقبلهم أهل البلد راكبين قد ضمخوا أعراف الخيلو بالمسك الأذفر، وخلقوا سبائبها بالزعفران والعنبر . وخرجت سين دخت ومعها ثلثمائة وصيفة كدردارى الشهب، على يد كل واحدة جام من الذهب فضدت عليه قطع الياقوت وحبات اللآلئ . فلما رأت ساما وولده أمرتهن فثرتن تلك الجواهر تحت سنايك الخيل . وكثر ثر الدراهم والدنانير بمنة ويسرة حتى خيل للرائين أن السماء تمطر على تلك المواكب زهر الكواكب . وقال سام في خلال ذلك لسين دخت : ألم يأن أن تقر أحاطنا بالخريدة العربية، وتكتمل أحداقنا بالعقيلة الكابلية ؟ فأجابته ضاحكة وقالت : إن أحببت أن ترى الشمس المنيرة فأين التحفة والمهدية ؟ فلاطفها سام وقال : كل ما أملكه من صامت وناطق تشار لقدمك وفداء لخدمك . فنزلوا ورفضت دونهم الأستار والكلل حتى دخلوا الايوان المذهب، والمجلس المنجد^(٢) . فرأى سام روزابه فوق تلك المنصة متجلية كالشمس البازغة . فبهت لرونق جمالها وقضى العجب من حسننها وكملها . وأمر مهرباب فتقدم وعقدوا العقد على عاديهم المألوفة وستهم المعهودة .

(١) ك : ط : ويرتقب . (٢) ك : ط : فترات . (٣) ك : المنجد المنجد .

ثم أخذوا بيد زال وأقصوه لجنب صاحبه، وثروا على سريره المنسجد أطباق الياقوت والزربرد .
وكانت تلك الليلة من الليالي الزهر، ومن حسنات الدهر . وكأنها التي عناها مترجم الكتاب بقوله :

فيا ليلة فيها السماء تبرجت * سرورا تكود فرعها فاحم جشل^(٢)
وقد جلت الاكليس جبهتها لنا * بكف خضيب والهلل لها حجل
وقد أشعلت زهر التجوم أمامها * مشاعل منها أشرق الحزن والسهل
زفاف به السعدان في فلك الملى * قداجتما . لا فض بينهما الشمل

قال بقاءوا بنسخة تفصيل الجهاز للعرض، فأفصحت بذكر نفائس لم ترمثلها عين ولا سمعت
بها أذن . وأقاموا بكابل ثلاثة أسابيع لا يفيقون من نشوات الأفراح، ولا يقصرون عن معاطاة
الأكواب والأقداح . ثم عزم^(٣) سام على الارتحال خارجا نحو بيجستان . فتوجه إليها وأمر زال بإعداد
الهاريات وتهيئة المهود والموادج، واتبعه مستصحبا صاحبه ومهراب وزوجته، وارتحلوا من
بيجستان جميعا قاصدين قصد نيم روز فقدموها . وأقام سام بضياقتهم ثلاثة أيام . ثم استأذن مهراب
ورحل راجعا الى كابل خطة ملكه ومقر عزه . وأقامت سين دخت عند ابنتها . وأما سام فانه
جعل تلك الممالك برسم ابنه دستان . وأقصده على سرير ملكه، وأقامه مقام نفسه . وترحل عنها
نحو كرگساران ونواحى مازندران ليتخذها دارا ويتبواها قرارا .

ذكر ولادة رستم بن دستان

قال : فلم يمض إلا قليل حتى حملت روزابه وتناوش شخصها التحول، ومسر ورد وجنتها الذبول .
وكانت أمها سين دخت تسالها عما تقاسيه من الجبل ووصبه، وتعانيه من الوحوم ونصبه . فكانت
تخبرها : يا تجده من الآلام ويزعجها من الأوجاع . وكانت لا تنام بالليل ولا تهدأ بالنهار . كأن جلدھا
حشى بالجندل والحديد أو بالصرفان الشديد . فلما انتهت مدة حملها، ودنت ساعة وضعها غشى عليها
فشمقت سين دخت ونحشت خدھا، وتفتت شعرھا . ودب في وصائفها الآثين والتحيب، وشملهن البكاء
والعويل . وأعلم بالحال زال بقاء، بقلب محترق، ودمع مندق . فبيناهم كذلك متلدين بين اليأس والأمل،
مرتددين بين الرجاء والوجل إذ ذكر زال ريشة العنقاء التي أعطتها إياه على ما سبق ذكره . فبشر بذلك
سين دخت، ودعا يعجر فأحرق بعضها فاذا بالسباء كأنها قد تقيمت، وبالأفاق كأنها أظلمت، وبالعنقاء

(١) ك ما : فكانت . (٢) كز : الأبيات (لا) . (٣) ك : وعزم . (٤) ك :

قد أقبلت بالطائر الميمون كسحابة شأيبها قصب^(١) المرجان، أروضة شقائقها من العقيان. ولما دنت
نحو زال ساجدا يقبل الأرض ويذرى الدمع . فتأدته العتقاء وبشرته بسلامة صاحبه، وأنكرت عليه
الجزع، وقالت حاش لعيون الأسود أن تتضح برشاش المدامع، ومعاذا المناكب الأطواد أن تتزلزل
بالرياح الزعازع . إنه سيصحر من أجمة هذه اللبؤة شبل أغلب، تقبل سود الأسود مواطى قدميه،
ولا يجرئ السحاب المكفهر أن يمز عليه . تنشق جلود النور دون غرار هيته، وتستل بأنيابها
غالبها مخافة سطوته . ثم قالت تأخذ بإذن الله تعالى حديد حادة (٢) وتدفعها الى آس حاذق أخذ
يد القميص (ب) ويعمل الحاملة بأرطال من سلاف العقار حتى يملك السكر عنان حواسها . ثم يشق
الحكيم بتلك الحديدية خالصتها ويستخرج منها الولد . ثم يخطط الشق ويرتق الفتق . ثم يؤخذ^(٣)
حشيشة كذا وكذا، وتدق بلبن ومسك، وتجفف في الظل وتسحق . ثم تذر على موضع الشق . وتكر
عليه ريشة من جناح الميمون . فهناك يسهل جميع الحزون . ولا تستهولون ذلك، وأطلق لسانك
بشكر الله تعالى حيث آتاك شجرة ناضرة تمر لك كل يوم ثمرة يانعة . ثم زعت ريشة من جناحها
ورمت بها إليه وطارت في السماء، وحلقت نحو تلك القلة الشام . فبادر زال الى تلك الريشة
وأخذها، وأعد جميع ما أشارت به العتقاء من الأدوية. والخلق مجتمعون يقضون العجب من تلك
الحالة . ثم جاءوا بموبذ خفيف اليد أحلق أهل زمانه في صناعته . فسق روثابه من المدام الصرف
أقداحا حتى سكرت ونحرت صمعة لم تحس بشيء . فاستل تلك الحديدية وشق خالصتها ثم استخرج
منها بخفة وسرعة يد ولدا لم ير مثله قط. قد صوره الله تعالى على خلقه تعجب العيون وتروق القلوب.
وبقيت أمه على حالها مغشيا عليها يوما وليلة . ثم أفافت بعد ذلك ففثروا عليها الذهب والجوهر
ودعوا الله تعالى وحملوه على ما أسدى إليهم . ثم قدموا الطفل اليها كأنه ابن عشرين . فلما رآته
تبسمت ضاحكة وقالت برسم^(٤) أى قد خلصت. فسمى الصبي "رُسم". قال: غفلوا على قد ذلك
الطفل العزيز^(٥) تماثلا من الحرير وحشوه بوبر السمور . وصوروا وجهه كصورة الشمس . وركبوا
عليه أعضاءا كأنها الثمانيين . وجعلوا له أظافر كبرائن الأسود . وشغلوا إحدى يديه بالجزع مرفوعا
الى كاهله، والأخرى بمنار فرس أركبوه عليه محفوقا بنحدم مكتنفا بنحول وحشم . وأثاروا هينا
ونفذوا التمثال الى سام . قال : وبلغ الخبر الى مهاب فاستهز الطرب أعطافه، وكساه السرور أفوافه.
واتخذ الناس من أول أراضي كابل الى آخر حدود زاول تلك الأيام أعيادا^(٦)، مواسم سرور وفرح

(١) الشاهنامه : خنجر . (ب) عبارة (أخذ يد القميص) زيادة من المترجم .

(١) كو: قصب . (٢) طا: قوخذ . (٣) ك: كو: رسم . (٤) ك: الثريز . (٥) في الأصل :

طنها . والصحيح من طا . (٦) ك: كو طا : ومكتنفا . (٧) كو : أعيادا للسرور ومواسم الفرح والخيور .

وحبور . يواصلون بين الصبوح والديوق ، ويفيضون سيول الرحيق في أودية المروق . لا يفقدون من قصف ، ولا ينفكون من عصف وعزف . ولما جاء المبشر بذلك التثال الى سام ووقع بصره عليه قامت شعرات بدنه حين رآه على صورته وشكله . وأمر بإفاضة الدراهم وثرها على المبشر حتى كاد ينغمر فيها شخصه . ثم أمر بضرب البشائر وركوب العساكر للتطارد في الميدان ، والتلاعب بالسيف والسنان . وأمر الكاتب أن يجيب عن كتاب زال مفتحا كتابه بحمد الله عز وجل فانثالا فيه لزال : إني كثيرا ما ابتليت الى الله تعالى وتضرعت اليه أسأله أن يقر عني بشبل يصحر عن غيلك ، على صورتى التى جبلني عليها ، فالحمد لله على قضاء الحاجة وإنجاح الطلبة . ولا أسأله سبحانه إلا أن يطيل بقاءه ، ويسهل الى معارج العلو ارتقاؤه . قال : وكانت له عشر مرضعات يمتص نخب ألبانهم حتى ترعرع . ولما بلغ ثمانى سنين صار كالنخل الباسق ، والكوكب الدرى في الظلام الفاسق ، يحكى في بهاء المنظر ، ورشاقة القدر ، وأبهة الجلالة جده ساما . وكان لا يحمله مركوب غير الفيل لضخامة جثته وعبالة أكتافه . وجاء الخبر الى سام بأنه قد ترعرع وراهق . فاشتاق الى لقائه وأقبل نحو زابلستان . فلما أحس بمقدمه زال ركب مع مهرباب ، وأمر بركوب العساكر للاستقبال . وشدت الكوسات على كواهل الأفيال . وقدموا فيلا عظيما ، وشدوا على ظهره تخنا من الذهب . وجلس عليه رستم مشرفا على الناس معصوب الرأس بالتاج مشدود الوسط بالمنطقة ، في يده قوس ونشاب . فلما طلعت رايات سام من بعيد اصطفت العساكر سباطين . فترجل زال ومهرباب والأمرء والقواد ووضعوا جباههم على الأرض يرسم الخدمة . ثم أطلقوا ألسنة الإخلاص بالثناء والدعاء . وتهلل وجه سام حين وقع نظره على رستم . وأمر فقرب منه الفيل الذى هو راكبه فراه على تلك الهيئة . فأتى على الله تعالى ، ودعا له بالبقاء . ففتح رستم لسانه بالثناء عليه وقال : إنما أنا فرع أتنى الى جرثومة جلالك وأقبل ثنائلك في جميع أحوالك . ولعل الله تعالى حين صورتى على صورتك يمد أعضادى بمثل قوتك . ثم نزل عن ظهر الفيل . وأكب عليه سام يقبل رأسه وعينه ، ويعوده بالله عز وجل . ثم توجهوا جميعا نحو كورابند يتفأكهون في الطريق بصدور منشرحة وقلوب مرتاحة وأقاموا بها شهرا كاملا لا شغل لهم غير الله والطرب ، ولا نديم لهم سوى ابن الغمام وابنة العنب . وكان سام لا يقبض عنان طرفه عن رستم وثمائله ، ويقول لزال لوسايلت مائة من القرون لم تسمع بولد استخراج عن خاصرة أمه كما استخراج هذا . وطلق يشكر العناء ويحمد الله عز وجل إذ ألهمها صنعها ذلك . فاندفعوا في شرب المدام الى أن أفرغت الكنوس ، وشرقت بالخنسدرين

النفوس . وطلق مهرباب في غمار سكره يقول : لا أبالي بعد يومى هذا بزال ، ولا أتفكر في سام ، ولا يهمنى هم الملك المتوج . ^(١) إذا برزت مع رستم الى الميدان وتطاردنا مع الفرسان اضطرب لمهابتنا الخاقان . وسأحي دولة الضحاك ، وأضرب خيم العز على الأفلاك . ثم عزم سام على الرحيل فارتحل ونخرج في ركابه رستم وأبوه برسم الوداع مرحلتين . فأقبل سام على زال وأوصاه بالعدل والاحسان ، وطاعة السلطان ، ومتابعة الرأي والعقل ، ومخالفة النفس الأمارة بالسوء ، وسلوك سبيل الحق ، والتنكب عن طريق الشر . ثم قال له : إياك والإخلال ببنى من هذه الوصبة . واعلم أن نفسى تحذرنى بأن مقامى ليس بطول في دار الدنيا ، وكأنى قد شارفت الارتحال . ثم ودع ولديه وركب . فشيءا مرحلتين آخرين ورجعا . وانطلق سام متوجها ^(٢) (نحو مستقره) .

§ ذكر آخر أمر منوهر

ثم إن منوهر لما أناف على مائة وعشرين سنة دنت وفاته ، وجاءه المنجمون ونعوا اليه نفسه ، وأنذروه بتقارب أجله ، وانتهاء عمره . فجمع الموابدة والمرابذة والأصراء والقواد ، ودعا بولده

§ حذف المترجم هنا فصلين : الأول قتل رستم الفيل الأبيض . وذلك أنه كان لزل فيل عظيم أبيض . فهاج ليلة وقطع سلاسله وانطلق صائلا . فلم يجرؤ أحد على التعرض له . واستيقظ رستم فأخذ مقمعة جده سام . ونرج الى الفيل وقمعه على رأسه فقفى عليه ثم رجع الى فراشه .

والثاني : فتح رستم الحصن الأبيض . وذلك أن زالا حين رأى من ابنه القوة والشجاعة أخبره أن على الجبل الأبيض قلعة شاهقة علوها أربعة فراسخ . فيها من المياه والأشجار وكنوز الذهب ما لا يحصى . وأن جده زريمان ذهب اليها بأمر أفريدون فحاصرها أكثر من سنة ولم ينل منها . ثم أتى المحاصرون عليه حجرا فقتلوه . وذهب اليها سام بن زريمان فحاصرها سنين ثم رجع خائبا . وقال زال لرستم : ان اللع أندرشى ، هناك ، وأشار عليه أن يذهب اليها في زى ناجر ملح ويمتال حتى يدخلها . فدخلها رستم في ثغر قليل بهذه الحيلة . ولما جن الليل تار في القلعة فقتل أهلها . وعثر على كنز عظيم فكتب الى أبيه زال فأرسل اليه آلافا من الإبل فحملها رستم من الذهب والجواهر والملابس . ثم أضرم النار في القلعة .

ويرى السير ملكولم (Sir Malcolm) أن هذا الحصن الموصوف في الشاه هو الحصن الأبيض في ولاية فارس على ستة وسبعين ميلا الى الشمال الغربي من شيراز . ^(٣)

(١) طا : انى اذا . (٢) ما بين القوسين من ك ، طا . (٣) أنظر تاريخ إيران لملكولم (Malcolm)

نوذر فوعظه ونصح، وقال له : إن العاقل لا يفتربالأمر والنهي، ولا يثق بهذا الساج والتخت .
 فإني قد نيفت على المائة والعشرين أعالي الخطوب، وأمارس الحروب . وثالثي سعادة الملك أفريدون،
 وتوصلت إلى أن أدركت نار إيرج وانتقمت له من سلم وتور، وظهرت العالم من العيث والفساد ،
 وشيدت الدور والقصور، وعمرت المدن والبلاد . وهانا الآن كأني لم أكن من أهل الدنيا وقاطنيتها .
 وإني مسلم إليك التاج والتخت كما سلمهما إلى أفريدون . وكأني بك قد خلعت ما تلبسه من ذلك .
 فاجهد ألا يتبعك من بعدك سوى الذكرا الجليل . وستجند عن قليل نبوة فيعتاقه عز وجل^(٢)
 موسى نبيا بناحية المغرب ، فصنقه وآمن به ولا تحيدن عن طاعته . وتكب سبيل غالفته (١) .
 وسيخرج من الترك عسكرا عظيم يملكون هذه الديار . فليك بالصبر فإن أمامك أمورا عظاما وخطوبا
 صعبا . وستلقى من ابن بشتك معضلة لا تنق ولا تدر ، وداهية يضيق بها عليك المورد والمصدر .
 فاذا أناخ عليك الزمان بكلكله فاستعن بسام وولده . وأعلم أن هذا القصن الذي تفرع الآن من
 دوحة زال سيدوخ بلاد الترك ويتوغل ديارهم ، ويطلب بئارك وينقم لك . فلما فرغ من مقاله
 هذه جرت دموعه على وجهه ، ووقع البكاء، والشهيق على ولده . فتففس منوجهر ونغض عينيه ،
 وفاضت نفسه من غير مرض ولا وصب . ومضى لسبيله حميد الأثر مرضى السير، مشكور الورد^(٣)
 والصدر . وكانت مدة ملكه مائة وعشرين سنة .^(٤)

٨ - ذكر نوبة نوذر والوقائع التي جرت في عهده .

قال صاحب الكتاب : لما فرغ نوذر من عزاء أبيه وماتمه تسنم سرير الملك ، وأفاض الأرزاق
 على الصكر خاصة وعلى سائر الخول والخدم غائمة . ولم يكن يهتدى الى مساك العدل والاحسان ،

٨ - نوذر

هنا يضطرب نسق الأساطير ، وتختلف الروايات في سياق الملوك . فلا يذكر نوذر بين الملوك
 البيشداديين في الطبرى والمسعودى وفارس نامه وتاريخ حمزة الأصفهاني ؛ بعضهم يذكر زوبن =

(١) الأبيات التي فيها البشارة بمي فاضة في بعض النسخ . والنسخ التي تنيتها تختلف في كلمة "موسى" فالنسخ التي كتبها
 البارسيون تضع "مود" مكان "موسى" وأكثر النسخ التي كتبها المسلمون ثبتت "موسى" مكان "مود" وكذلك
 ثبت البارسيون هنا أياتا كثيرة فيها إخبار عن جد صلوات الله عليه . انظر مول (Mohl) ج ١ ص ٣٧٩ ، وورز (Warner)
 ج ١ ص ٣٣٦ ، والشاهنامة ط تبريز . آخر فصل منوجهر .

(١) ك : كوطا : وأنى . (٢) ك : كوطا : وقد . (٣) ك : فاجتهد . (٤) ك : ط : سل
 (٥) ط : فاستن . (٦) ك : الفعل والسير . (٧) ك : س : (وقال غير صاحب الكتاب : ومن آثار
 منوجهر في الأرض نوبهار بلخ ومدينة الري ووادى الهرات) . (٨) ك : كوطا : والله تعالى أعلم .

ولا يتوفر على تمهيد قواعد الأمن والأمان . فلم يمض إلا قليل حتى خالف سنة أبيه، وطوى بساط الرأفة والمعلقة، وأطال يد الظلم على الرعية . وصار لا يهتم إلا بجمع النشب، ولا يشتغل إلا باللهو واللعب . وكان يخاف من الموابدة والقواد، ويخفو الأمراء والأجناد . فترزت قواعد ملكه، وتبدد نظام شمله، وتخربت جموعه، ونحرت عليه جنوده . فكتب الى سام، وكان بسكمار مازندران، كتابا يتضرع فيه اليه، ويستغيث به، ويعلمه أن السبل قد بلغ الزبي، وأن الملك آذن بالانصرام، وأنه إن لم يسل سيفه ويتلاف الأمر^(١) ذهب التاج والتخت . فلما وصل الكتاب إليه رحل متوجها نحو دار الملك في عساكر تملأ البر والبحر، وتطبق الحزن والسهل . فلما سمع بإقباله الإيرانية أقبلوا إليه مطاوعين، ونقلاه منهم الأمراء والأكابر مبادرين ومشايخين . وشكوا إليه سيرة الملك وسوء صنيعه بالرعية، وما حدث في زمانه من خراب العالم . وسألوه أن يتقلد السلطنة بنفسه، ويتلافى الخلل . ووعدوه بالانقياد والاتباع، وموازرتة على التقدم بالاجتماع . فقال : أنى يستحسن الرب تعالى وتقدس أن يكون مثل نودر الذى هو من هذا البيت الكريم قاعدا على سرير الملك وأنا أتعرض للتاج والتخت؟ ومن يجرئ أن ينطق بهذا الحال، أو يسمع بهذا المقال؟ ولولم يخلف الملك منوجه غير ابنة لكان من الواجب أن تجلس على التخت وتعصب بالتاج، وألا يكون لى في خدمتها مقر

= طهماسب الآتى ذكره - بعد منوجه، ومنهم من يضع اسما مكان نودر . وها كذلك تختفى الصلة بين أساطير إيران وأساطير الهند فلا يمكن إرجاع نودر الى ما قبل الأبتساق .

ونودر كذلك أول ملك حائر من اليشداديين . ويرى القارئ أن أبنيه طوسا وكستم لا يصلحان لخلافة أبيهما فيعمل عنهما الى زوين طهماسب .

والأبتساق تذكر نودر (نوترا) والنودرين : ففى أبان يست أشاء الكلام عن " أردفى سورا أناها " أن أسرة نودر عبدوها وسألوها أن تمنحهم الخيل السريعة . فصار قستاسيه النودرى صاحب أسرع الخيل فى هذه الأقاليم . وفى مواضع أخرى يذكر النودريون أصحاب الخيل السريعة، والورانيون يمدون خلف " أشى فنجهى " (الهة الفنى والسعادة) . ونجد أيضا أن هتاوسا، من أخوة كثيرة من بيت نودر، تقرب قربانا لبعض الآلهة وتسأله أن تكون معززة محبوبة مقبولة فى بيت الملك قستاسيه .

(١) صل : تلافى . (٢) ط : بالاجماع . (٣) ك، كوطا : على سرير الملك وتعصب بتاج السلطنة .

(٤) هو فى فارس بابه "شهريرامان" حفيد نودر وفى مروج الذهب سهم بن أبان حفيد نودر . (٥) ورز (Warner)

مقدمة فصل نودر . (٦) ج ٢ ص ٧٦ و ٧٧ و ٢٨٠ و ٢٨١ (٧) ج ٢ ص ٢٥٧

غير تراب عتبتها. وهذا الملك، وإن مال قليلا عن منهج الصواب، وحاد عن سنن السداد فليس يصل طبع حتى يصعب صقاله. وقد يميل الفصن الرطيب فيسرع اعتداله. وسوف أرده إلى الطريقة المرضية، والسيرة الحميدة. فهاودوا ما كنتم عليه من الطاعة، واستروا ما صدر منكم بالتوبة والندامة. فإن مخالفة الملوك تار في الآجل، وعار في العاجل. فلما سمعوا ذلك منه تدموا على ما بدر منهم من المخالفة، ورجعوا إلى مسلك الطوعية. فاستتبّت الأمور بين نقيبته^(١)، وعادت إلى أحسن ما كانت عليه من قبل. وبادرت الأمراء والفؤاد إلى خدمة الملك نودر، وأهروا إلى الأرض وسالوه العفو والصفح. ثم إن ساما لما أصلح الفاسد، ولم الشعب استأذن الملك في عوده إلى مستقره. فسمح له بالإذن، وأفاض عليه خلعة رائقة تشتمل على التاج والتخت والخاتم والطوق مشفوعة بالخليل العناق والغلمان الرشاقي. فعاد إلى مقر عزه، وميوا مجده. ودارت أفلاك السعادة بهمة لنودر إلى أن كثرت له^(٢) عن أنياب الشر، وأناخت عليه بكلكل الإذلال والقهر. على ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

وَأما طوس فيذكر في الأستاق باسم طسا ويوصف بأنه محارب مقدم : "سأله بركة قائلا : امنحني هذه أيتها الطيبة الخيرية" أردني سورا أنايتا "لعل أفهر الشجمان أبناء فائسكا في حصن خَشَر — ساكا الذي يبدو رفيعا على كنف المقدس الشاخ ولعل أحطم من الثورانيين محسبناهم ومثاتهم، مثاتهم وآلافهم، آلافهم وعشرات آلافهم، عشرات آلافهم وعشرات عشرات آلافهم". ويذكر آخر من أبناء نودر اسمه فسْتورا. يقرب إلى أردني أيضا على شاطئ نهر ويسأله أن تمنحه طريقا يسا، بما حطم من عباد الشيطان عداد شعر رأسه. فأسرعت إليه الإلهة وقرقت له النهر فاجتاز. فيظن أن ابن نودر هذا هو الذي يذكر في الشاهنامة باسم كُستَم^(٣).

وفي هذا الفصل من الشاهنامة تعود الحرب بين أبناء أفريدون : ملك الايرانيين نودر بن منوچهر سبط إيرج بن أفريدون، وملك الثورانيين پَسَنَك الذي ينسب إلى تور أو طوج ابن أفريدون. وبطل الثورانيين في هذه الوقائع والتي تليها حتى آخر عهد كيكائوس هو أفراسياب ابن پَسَنَك. وذلك زهاء مائتين وسبعين عاما في تاريخ الشاهنامة. ويقول بعض المؤرخين أن أفراسياب ملك ٢٠٠ سنة، وبعضهم أنه ملك قرابة ٤٠٠ سنة.

(١) ك، كوطا : قبيبة سام. (٢) ك : ز (معا عنهم وعصر لم وأقال مفرهم). (٣) ك :

له التواب. (٤) ج ٢ ص ٦٦٦ ٦٧ (٥) افتاج ٢ ص ٧١ ٢٠٦ (٦) افتا، ج ٢ ص ٦٤ حاشية ٤١

ذكر اطلاع بشنك (١) على وفاة منوجهر وما حدث بعد ذلك

قال : وسارت الزبكان بالخبر الى توران بموت منوجهر وتزلزل قواعد الملك في تلك المملكة بسوء تدبير ابنه نودر، وضعف رأيه، وخور عقله . فلما سمع بذلك بشنك ملك الترك طمع في الإيرانية، والاستيلاء على ملكهم . فأحضر أمراءه وقواده وأعيان دولته وخواصه ، مثل اخواست (ب) وكريوز وبارمان وكلباذ (ج) ، ودعا بزعم عسكره وقائد جيشه ويسه . وأحضر ابنه أفراسياب ، وكان بهلوان دولته . فأجرى ذكر آبائه وأعمامه كتور وسلم ، وذكر ما جرى عليهم من الإيرانية من القتل والفتك . وقال إن هذا يوم الانتقام . فلا بد من توغل تلك الديار لإدراك الثار . فنضم أفراسياب وأخذته الحمية . وقال : أنا أتقصد هذا الأمر . فأمر بشنك الساسكر بالاجتماع والاستعداد . فأتاه ابنه أغريث وإجماع متفكرا وقال : أيها الملك . لا تشرع في هذا الأمر إلا عن حزم . واعلم أن منوجهر وإن مات فإن بهلوان عسكره هو سام بن زيمان ومعه قارن وكشتاسب الى غيرهما من هؤلاء الأمراء الكبار ، وأسود النضال ، وفرسان القتال . وأنت تعلم ما جرى

= وأفراسياب هذا عند الإيرانيين أحد الأرواح الشريرة الثلاثة التي أصابت إيران بأعظم الكوارث . والآخرا الضحاك الذي تقدم ذكره ، واسكندر المقدوني الذي يسمونه " اللعين " . ولأفراسياب أخ غير اسمه أغريث يرى القارئ في هذا الفصل ما أسداه الى الإيرانيين . وأخ آخر شرير اسمه كريوز سيأتي ذكره .

ويقوم بجانب أفراسياب أسرة من الأبطال مكانها في توران كمكان أسرة سام المتقدم ذكرها في إيران . وهي أسرة ويسه أنى **بشنك** . وأعظمها وخيرها پيران ، كما يتبين من الفصول الآتية . وأفراسياب وأغريث وأسرة ويسه يدكرون في الأساطير الدينية :

ففي الأبتاق أن فرنكر سينا (أفراسياب) التوراني السفاح قرب الى بعض الآلهة (أردثي سورا أنايتا) في مفارقة الأرض ، بمائة حصان وألف ثور وعشرة آلاف حمل ، سائلا أن تؤيده حتى يظفر بالجمد الذي يوج في وسط بحر " فور - كشا " والذي هو للأمة الإيرانية الخ . ولكن =

(١) في الشاهنامة **بشنك** نالها التقبيل والكاف العارسية . ويعرب أحيانا بالجم " بشنك " وأخرى بالكاف كما ها . وقد تحول الباء فاء . فقد ذكر في فارس بامه " فاشن " . (ب) اخواست غير مذكور في الشاه . يذكر مكانه أغريث . (ج) فتح الكاف كما في فرمك شعوى وترجمة مول . وفي ورز بضم الكاف .

على تور وسلم من سام وسطواته . ولا يخفى عليك أن شم (١) بن تور وإن كان يزاحم بأعضاده
الأتواد ، ويحذل بقوة بأسه الآساد فإنه تناقل عن إيقاد هذه النار والسعى في إدراك ذلك النار .
والرأى ألا تحرك العرق الساكن ، ولا تشير البحر الخلاء . فقال بشنك : كل ولد ينم عن نار أبيه
وجده ، ولم يشد وسطه للانتقام لما فلا بد أن يكون نسبه مدخولا . وهانا أنفذ أفراسياب إلى إيران
وليس لك بد من الرواح معه . فإذا طاب الهواء ، وانحسر الشتاء ، واخضرت الأودية والشعاب
نغموا على الصحرَاء ، وجروا العساكر إلى الفضاء ، وسيروا إلى آمل ، ودوخوا بمحاور خيلكم دهستان
وجرجان (ب) . فإن في هذه الخطة حارب منوچهر تورا وظفر به . فالتقوهم أتم في ذلك الموضع ،
وأهروا في السماء العجاج ، وأفيضوا من دماهم التفجاج . واجهدوا أن تساعدكم السعادة تنظفركم
بقارن وكشاسب . فإنكم إن نصرتم عليها فقد أدركتم المأمول وشقيمت الغليل .

قال فلما أقبل فصل الربيع وتيسرت المراعى في الصحارى أقبل أفراسياب ، طالعا من الشرق
في عساكر الترك والصين . ولما قرب من جيحون بلغ الخبر بذلك إلى نوذر . فوجه نحو دهستان

== دعاء لم يستجب . (٢) وفي موضع آخر تصف الأبنساق كيف حاول فرنكوسينا (أفراسياب)
ثلاث مرات أن يظفر بجيد الإيرانيين في البحر . وكلما أخفق أو عدى بإهلاك الحرث وتدنيس المياه .
وأغريث يذكر في الأبنساق باسم "أغريثا" ويعد من الأبرار : "نعب روح" أغريثا
المقدس نصف الإنسان^(٣) . وتفسير "نصف الإنسان" في كتاب بندهش . حيث يقال أن أغريث
حتى خالد في أرض سوكفستان ، واسمه هناك كويتهاش (ملك الثيران) . ونصفه الأسفل تور والأعلى
إنسان . وهو مقيم أبدا على شاطئ البحر دائما في العبادة ، يصب الماء المقدس إلى البحر من فيه^(٤) .
وكان منشأ هذه الخرافة أنه توراني خير . فلم يستحسن كُتّاب الأبنساق وغيرها عنه خيرا كاملا فجعلوه
نصف إنسان طيب . ويرى القارئ في هذا الفصل سبب قتل أفراسياب أخاه أغريث . وفي بندهش^(٥)
أن أفراسياب قتله لأنه أطلق منوچهر وجيشه وهم أسارى في جبل بد تخوار . والأبنساق تجعل
الحرب بين كيخسرو وأفراسياب ، كما سيأتي ، لأجل الانتقام لسيأوخش وأغريث . =

(١) في الشاه زادشم ملك الترك . وزادشم (منع الشين) اسم أبي شمس . (ب) تروبر كان بالكاف الفارسية
كا في الشاه .

(١) في الأصل "كان" بغير شرط والصحيح من ك ، ط . (٢) ج ٢ ص ٦٤ (٣) ح ٢ ص ٣٠٠
(٤) ج ٢ ص ٢٢٢ (٥) أفستا ، ج ٢ ص ١١٤ قلا عن بندهش ومينونرد . (٦) أفستا ، ج ٢ ص ١١٤
حاشية ٢ (قلا عن بندهش) . (٧) انظر فصل كيخسرو الآتي .

في مائة ألف وأربعين ألف فارس . وقدم بين يديه قارن صاحب جيشه ، وتبعه بنفسه . فلما وصل الى دهستان ضرب سرادق نودر على ظاهر البلد بين يدي الحصار ، ودخل أفراسياب أرض إيران فبلغه الخبر بموت سام بن نريمان ، واشتغال ابنه زال بعزائه . ففرح بذلك وأنهض شماس وخزيران (١) في ثلاثين ألفاً من نخب الأتراك الى زاولستان للقاء زال ومقاتلته ، واهتبال غرته . وقصد بنفسه دهستان في أربعمائة ألف فارس . وحين وصل اليها ضرب سرادقه قبالة سرادق نودر . وكان بين العسكريين مسافة فرسخين . وكتب الى أبيه يخبره بقلعة عدد الإيرانية ، وبموت سام ، وأنه انتهز الفرصة وقصد العسكر الى زاولستان ، وكانا بهم قد استولوا على أقطارها ، وجاسوا خلال ديارها . وختم الكتاب وطير به راجا الى أبيه بشتك . ولما^(١) طلع النهار جاءت طلائع أفراسياب الى باب دهستان . وكان عليهم رجل من سعالى الأتراك يسمى بارمان . ثم رجع الى أفراسياب وأخبره بجميع أحوال نودر . فقال : أيها الملك ما هذا الإنظار في الضرب وقد أمكن الهام سطوة الغضب ؟ وإن أذنت لي دنوت من ذلك الجمع وطلبت المبارزة فأريهم نكاية باسى ، وأذيقهم شدة مراسى . فاذن له فركب كالليث

= والأخ الثاني من أخوي أفراسياب كرسيز . وسيأتى ذكره في الفصول الآتية . وفي الأُستاق أن كيمخسرو قيد فرنه كرسينا وكر سقزدا (كرسيز) للانتقام لساووخش وأغريث^(٢) .

ينقطع ذكر أسيرة بشتك في الشاهنامه بعد انتهاء الحرب بين الإيرانيين والتورانيين بقتل أفراسياب . وبهذا ينتهي طور من أطوار الحرب في الشاهنامه . وفي فارس نامه^(٣) طرف من أخبار هذه الأسرة بعد قتل أفراسياب .

ويد كرويسه في الأُستاق باسم فائسكا : ” قرب اليها (أردثي) الشجعان أبناء فائسكا قربانا في حصن خَشَثرو — سوكا الذي يثبت عاليا على كنف الشاخ المقدس ، بمائة حصان وألف نور وعشرة آلاف حمل .

وسألوها بركة قائلين : امنحنا هذه أيتها الطيبة الخيرة أردثي سورا أناهتا ! اعلنا تفهر المحارب المقدام نسا . ولعلنا نحطم من الإيرانيين خمسيناتهم ومئاتهم الخ “ .

= ولكن الآلهة لم تستجب دعاءهم^(٤) .

(١) كذا في نسخ الترجمة التي عدى . وفي الشاه نسخة مول : خروزان . وفي نسخة تيريز : خروزان بتقديم الزاء . وفي كتاب الفرد (ص ١٢١) خروزان ، بزايين وضبطها بترجمه (زوتنبرج Zotenberg) خروزان باسكان الزاي الأول وضع الواو . (٢) قال ولي . (٣) طاك : مان . (٤) أمست ، ج ٢ ص ٣٠٤ (٥) أنظر المقدمة في حرب

الغضباني، ودنا ودعا الى المبارزة . فظفر قارن الى فرسان الخيل وآساد الجيش . وقال من يبرز الى هذا الأسد المقدام ؟ فما أجابه من بينهم أحد سوى أخيه قباد، وكان شبيها طاعنا في السن . فغضب قارن وتلهب وجهه، وقال : إنك قد بلغت من السن الى غاية توجب عليك أن تكف يدك عن القتال، وتقص عن الكفاح . ومع ذلك فانت خاصة الملك، وصاحب رأيه . فلو أصبت في هذه المبارزة وخرجت شيتك بالدم لانكسرت قلوب العسكر، ووقع فيهم الفشل، ودب فيهم الخور . فلم ينجح فيه ذلك ، وبرز كالفعل القطم ، وتناوش بارمان المقاتلة من أول النهار الى وقت الزوال . يتضاربان ويتطاعنان . فوقعت الدبرة على قباد، وأصابته في رأسه ضربة أذرت^(١) عن الفرس منكوسا . فلما رأى قارن ذلك زحف بعسكره أجمع فالتقى الجمعان، واستمر البأس بينهم الى أن غربت الشمس . فعطف قارن عنانه الى دهستان، وأتى حضرة الملك، وشرح لديه حال الحرب وما جرى فيها من قتل قباد وغيره . فغزاه الملك وانكسر لذلك . فباتوا تلك الليلة . ولما أصبحوا تار كلا الفريقين الى فضاء المعركة . فتناوشوا الحرب من أول النهار الى وقت الغروب ضربا بالصفاح وطعنا بالرماح، حتى تلاطمت أمواج الدماء، وتضايقت يبحث القتل ساحة الغبراء . فزحف نوذر بنفسه من القلب

= وقارن — الذي ذكر لأول مرة في فصل أفريدون ويذكر في هذا الفصل وما بعده الى آخر عهد كيخسرو — يسمى في الشاهنامه قارن كاوه أي قارن بن كاوه . ويقول التعالي^(٢) إنه ابن كاوه الحداد الذي تار على الضحاك .

وكشواذ الذي يذكر في هذا الفصل أبو أسرة من أبطال إيران تلى أسرة سام المتقدم ذكرها . وسأتكلم عنها في مقدمة فصل كيباد الآتي . ثم أسماء أخرى لا نستحق التقديم لها هنا .

ثم قصة نوذر في الشاهنامه ستمائة وأحد عشر بيتا تقسمها هذه العناوين :

- (١) جلوس نوذر على العرش . (٢) سماع پشنتك بموت منوچهر . (٣) مجيء أفراسياب الى أرض إيران . (٤) حرب بارمان وقياد وقتل قباد . (٥) حرب أفراسياب ونوذر مرة أخرى . (٦) حرب نوذر وأفراسياب المرة الثالثة . (٧) أسر أفراسياب نوذر . (٨) عثور ويسه على ابنه مقتولا . (٩) سرية شماساس ونحزروان الى زابلستان . (١٠) إنجاد زال مهرب . (١١) قتل نوذر بيد أفراسياب . (١٢) علم زال بموت نوذر . (١٣) قتل أغريث بيد أخيه .

(١) ك، كو، طا : حتى وقعت . (٢) ك كو : أردته . (٣) ك : طبا التقي . (٤) انظر الفرع

مع عساكره وجموعه، وتنازعوا الحرب مع الأتراك حتى التفت الرماح بالرماح . وكانت تلك الزحفه على غير مقتضى الحزم لما فيها من نزق لا يليق بحال الملوك في مثل ذلك الموقف . وعظمت النكبات على الايرانية، وظهرت مبادئ التلبه للتورانية . فرجع كل واحد من الفريقين الى مضاربهم بعد غروب الشمس . ولما هم الليل دعا نوذر بولديه طوس وكستهم ففض عليهما ختام سره، وذكر^(١) ما كان أبوه أخبره به عند موته من غلبة الترك إياه . وأمرهما أن يتوجها الى صوب فارس، وينطلقا على طريق إصبهان يستصحبان الحرم والنساء وما قدرا عليه من الخزائن ، ويصيران الى جبل راوه (١) من جبال ألبرز . وقال لعله ينجو من آل أفريدون اتان . فاقى لم أسمع بمثل هذا السكرالذى خرج الآن من الترك، وأعلم^(٢) أنه لا قبل لنا بهم . وأمرهما بالرحيل على وجه لا يحس به العسكر لئلا تضعف قلوبهم . ثم ودعهما وبكى حتى اخضلت محاسنه بالدموع . قال : ثم أقام الفريقان كلاهما يومين مستريحين من غير حرب وقتال . فلما كان وقت تليج الإصباح من اليوم الثالث اضطربت الآفاق بخفق الطبول ، وصهيل الخيول . فاضطر نوذر الى الدفاع واللقاء . وكان أفراسياب قد بات ليته تلك يعي مقابله ، ويرتب مباسره وميامنه . فبرزوا الى الفضاء كالبحار المتلاطمة والسيول المتراكمة . وجعل نوذر يعي صفوفه : فجعل قارن معه في القلب وتليان (ب) في الميسرة وسابور في الميمنة . فتدانت الصفوف وتزاحفت^(٣) الجموع ولم يزل القتال بينهما الى أن زالت الشمس مؤذنة بزوال دولة الايرانية . فوقعت كسرة عظيمة على الميمنة حتى تزلزلت أقدامهم ونباهم مقامهم . وبقى سابور في خف من أصحابه واقفا لا يروح ، ويرد تلك الحملات الى أن قتل في موقفه ذلك . فأنكشفوا وأحجم نوذر فردة عنانه الى دهستان ، وتحصن بالبلد . فبقى كذلك أياما يقاتل من وراء الحصار . ثم إن أفراسياب نفذ كروخان بن ويسه على طريق البرية الى فارس في طلب نساء الايرانية وذرائعهم وخزائهم وأموالهم . ولما بلغ الخبر بذلك الى قارن تضرمت نيران غيظه وجاء الى نوذر وأعلمه بذلك ، وقال الراى أن أنهض وراءهم فافل حنهم ، وأذب عن الحريم . وليستقر الملك في هذا الحصار . فإن عنده الخزائن والأموال والعساكر . فلم يستصوب نوذر ذلك، وقال لا بد لهذا الجمع من مرتب . وقد نفذنا طوسا وكستهم (ج) لكفاية هذا . وقد سبقاك الى فارس فلا حاجة الى

(١) راوه بالرأ . ونسخ الترجمة التي عندي . وفي الشاهنامه ما رواه (انصارمول Molili) ج ١ ص ٤٠٤ وتبريز (فصل نوذر) .

(ب) تليان ذكر في الشاهنامه في عهد أفريدون المتقدم باسم «شاه تليان» وكان أحد الحاربيين في صفوف منوچهر حين حارب سلسا وتورا . (ج) هو في الشاه بالكاف الفارسية . وقد خطبه في مذهب شجورى وترجمة مول فتح الماء . ولكن مقتضى وزن الشعر في الشاه تمكينها أحيانا .

(١) ك : وذكر لها . (٢) أصل : ال . (٣) ك : واعلا . (٤) ك : وتزاحمت .

نهوضك . ثم مد السماط فلما طعموا وقاموا رجع قارن الى منزله وهو لا يستصوب المقام .
فركب (١) في عسكر عظيم وخرج من الحصار . وكان بارمان من أصحاب أفراسياب آخذاً بمنق
الطريق في جمع عظيم . فلاقيا وتقاتلا طول الليل ، وانكشفت تلك الوقعة عن قتل بارمان قاتل قبّاذ .
فتفرقت جموعه وانهمز أصحابه . ومضى قارن لسبيله نحو فارس .

ذكر أمر أفراسياب لنوذر

(٢٢)

قال : فلما سمع نوذر بخروج قارن من الحصار اتخذ الليل حلاً وركب في أثره كالريح المرسلة
يطلب النجاة من غلب القضاء المبرم . فأتته الخبر الى أفراسياب فركب في عسكره ، وطار خلفه
بمناج الركن كاللعبان الصائل حتى لحقه . فتناوشوا الحرب من أول الليل الى طلوع الشمس .
وقبض بالآخرة على نوذر ، وضحه الأسرع ألف ومائتين من أعيان الايرانية ووجوه قوادهم المذكورين .
فنكست تلك الأعلام ، وتشتت ذلك الجيش اللهم . وكذا عادة الأيام . ما مدت أطناب خيرها
على أحد إلا قوضتها ، ولا أبرمت حبال العز الملك إلا تقيضتها . ثم فرق أفراسياب طائفة من عسكره
في طلب قارن . فلما علم بمصيره الى فارس أقبل على ويسه وقال : وطن تفسك على أن ولدك هالك
فانه لا يطيق مقاومة قارن ، وانهمز نحوه فلعلك تلحقه . فركب ويسه قائد جيوش الترك في عسكر
عظيم وجمع كبيراً ركضا خلف قارن . فرأى قبل وصوله اليه ابنه كروخان طريحاً في الطريق مضرجاً
بالدم الميعط ، مع جماعة من أمراء الأتراك مجذلين في ذلك القضاء . وبلغ الخبر الى قارن بقصد ويسه
إياه فتفقد الحرم والضبن الى نيم روز ، وركب في عسكره . فلما خرج من نواحي فارس طلعت من
يسار طريقه طلائع الخيل فاذا بأعلام ويسه قائد جيوش الترك خافقة . فاصطف الفريقان وزحف
بعضهم الى بعض ، وجرت بينهم ملحمة عظيمة . فانهزم ويسه وقتل من أصحابه خلق عظيم . فرجع
الى أفراسياب ناكصاً على عقبيه ، يعرض من الفيلز والندامة على يديه . قال : ولما نرجه شماساس
وخزيران من عند أفراسياب نحو زاوولستان في عساكرهما ساروا على طريق سمجستان حتى وصلوا الى
هيرمند . وكان زال قد رحل منها الى كورابذ لعزاء أبيه سام . ولم يبق في تلك المدينة غير مهراب . فتفقد
رسولا الى شماساس واتمى الى عبودية أفراسياب ، وذكر أنه من بيت الضحاك وإنما انصل بابن سام
مخافة زوال الملك . وقال : إن هذه المدينة دار ملكي ومقر عزى . ولما توفي سام وخرج زال من هذه

(١) في الشاه أن كبراء الجيش اجتمعوا في منزل قارن وتشاوروا وأجمعوا على إرسال جيش الى فارس سار قارن .

فلم تكن مخافة قارن الملك إلا باخاق القواد .

(١) طا : كلى . (٢) طا : كثير .

البلاد فرحت بذلك . وليس ببنى وبينه بعد هذا اليوم إلا السيف . ولا أمكنه من أن يطلا هذه الأرض . وإنى أرجو الآن أن تمهلونى ريثما أنفذ رسولا الى خدمة تحت الملك أفراسياب ، وأعرض عليه خلوص طويى فى صدق عبوديته ، وأبث نثارا الى حضرته ، ثم اتبع أمره حتى لو أشار بالمبادرة الى خدمة التخت سلمت اليكم هذه الممالك ونهضت على رأسى مبادرا الى حضرته ، ووقفت ماثلا عند سدته . فكفهم بهذه الحيلة عن محاربتة ، ونفذ رسولا الى زال يعلمه بجي . عساكر الترك الى هيرمند وأنه احتال عليهم بما منهم عن مناجرتة ، فإن توقفت ساعة عن التوجه الى هذه الخطة لم يبق منها عين ولا أثر . قال : فلما وصل الرسول الى زال ، ورأى رسوخ قدم مهرباب فى موافقة ، وعلم صدق عزيمته على مساعدته عاود تلك البلاد كالنبل الصارد فى رجال أحرجهتم^(١) الحفيظة وأزهقتهم^(٢) الحمية . فلما اجتمع بمهرباب أخى عليه ، وشكر سعيه ، ورضه على ملاقة العدو . وقال : سأخرج هذه الليلة على هؤلاء الأتراك ليعلموا بمقدى . فنخرج فى جنح الليل . فلما قرب من معسكر الأتراك رعى بثلاثة أسهم الى وسط خيامهم . فوقع فيهم الاضطراب ، وعلت منهم الأصوات . فلما أصبحوا نظروا الى تلك السهام فعلموا بقدم زال ، وفطنوا لحيلة مهرباب . وأمر زال فبرزت عساكره من المدينة ، وخيموا بظاهر البلد ، وتأهبوا للدفاع والممانعة ، ورفضت الكوسات على كواهل الفيول . واشتعلت^(٣) الأسود على حوارك الخيول . فازدلف الفريقان ، والتقى الجمعان . وأقبل خزيان كالخيزر الكاسر على زال فعلاه بممود كان فى يده فزق على أكافه جواشنة . فتقدمت الفرسان الزاولية . وثنى زال عنائه ، وليس خفتانا (١) آخر ، وأقبل على خزيان رافعا على كاهله جُرزا (ب) كقطعة جبل فلم يكن سوى أن ضربه ضربة واحدة خر منها صريعا للدين والقم ، معقرا فى التراب مضرجا بالدم . ولما فرغ من خزيان جال فى العسكر يطلب شماساس فلم يظهر لمبارزته . فوقع تحت ظلام السجاج على كلباذ أحد أعيان التورانية . فرفع على رأسه الجرز ففر من بين يديه . فأخذ القوس ورماه بنشابة سمرته على سرجه . فلما رأى شماساس ذلك ولى هاربا ونكب عن المحاربة جانبا ، وطار بقوادم العجل ، يحفره سائق الخوف والوجل ، متوجها نحو أفراسياب فى جماعة أفلتوا من غالب المنون . وحين توسط البرية صادف قَارَن راجعا من محاربة ويسه دأى^(٤) الأظافر خضيب البوادر . ففرهم وعلم أنهم منهزمون من زاولستان فأمر بضرب الطبول وعل السيوف ، وصدمهم صدمة لم ينبج منها

(١) الخفتان لباس من القطن يلبس فى الحرب تحت الدرع أو موقها (قططان) . (ب) الجرز : معرب كرز بالكاف الفارسية وهو القمعة .

(١) طاء : أنرجيم الحفيظة وأرهقهم الخ . (٢) أزهقتهم . (٣) كوتلا : استلكت .

(٤) صل : أظفار . وطلا : أظافر .

غير شماساس في نفر قليل . فبلغ الخبر الى أفراسياب بقتل خزيان وكلياذ ، وانهمزام شماساس على تلك الهيئة العظيمة ، والكسرة الشنية . قسمرت أحشائه حنفا ، وتقطعت كبده غيظا وحسرة ، وقال : كيف أبقى نوزدر حيا وقد قتل أعوان أمرائي ووجوه قوادى ؟ فأمر بإحضاره . فبادر جماعة الى الخيمة التي كان فيها محبوسا وأخرجوا ذلك الملك المتوج حاسرا حافيا يرسف في أصفاده وقيوده . فضرب رقبتة وأهوى برأسه الكريم الى الأرض . فكادت السماء هناك تبكي دما ، وهمت الأرض أن تنشق مها وحزا . وملت ممالك إيران عن صاحب التخت والتاج ، وأقبلت الفتن متلاطمة الأمواج . قال صاحب الكتاب : فيا صاحب العقل والإنصاف انزع أريدة الحرص عن الأكثاف . وقس على هذه الأحوال أحوالك ، فكم رأى التاج والتخت أمثالك . واعلم أنك وإن أسرحت لك الأفلاك ، وتطاطأ لعزك السماء ، ودعيت ملاك الرقاب لم تنوسد بالآخرة غير التراب . قال : ثم جاءوا بالأسرى الى أفراسياب يمحزون اليه . نفروا ساجدين بين يديه ، وأطلقوا ألسنتهم بطلب الأمان . بغاء أغريث فرقه عليهم ، وتشفع اليه في أمرهم . وقال : إن قتل هؤلاء الأسود صبرا يكون علوا يبقى أثره الى الأبد . ثم على الجملة قتل الأسرى غير مرضى عند الملوك . والأحرى أن تؤمنهم على أرواحهم ، ثم تسلمهم كذلك في القيود الى حتى أمجنهم ، وأوكل بهم المستحفظين والحراس ، وأقدمهم الى مدينة سارى ، وأجعل محبسهم بها . فوهب لأغريث دماهم ، وحفظ عليهم ذمامهم . وأمر بهم حملوا الى مدينة سارى في الجوامع والأغلال . ولما فرغ أفراسياب من ذلك رحل من دهستان متوجها الى الرى .

(١٢)

ذكر سلطنة أفراسياب في ممالك إيران وما جرى في نوبته

قال : ثم اعتصب أفراسياب بتاج الملك ، وفتح أبواب الخزائن ، وفرق الأموال على الأجناد والعساكر ، واستقر على سرير الملك . ووصل الخبر الى طوس وأخيه كستهم بأن أفراسياب قتل نوزدر . ففطموا الشعور ، ونحشوا الخدود . ووضع الأمراء على رؤوسهم التراب ، وصرقوا جيوبهم ، وتوجهوا الى زاوستان قاصدين " زالا " يتدبون الملك نوزدر . وكأنهم بلسان حالم يقولون :

يا صامد المجد الذى	ملكته مضاربته فلولاً
يا كوكب الاحسان أع	جلك الدجى عنا أقولاً
يا غارب النعم العظا	م غلوت معمودا جزيلاً
لطفى على ماض قضى	ألا نرى منه بديلاً
وزوال ملك لم نكن	يوماً قدّر أن يزولاً

فقال دستان عند ذلك : حياء لسيفي عن مضاجعة القرباء بعد هذا المصائب . ومعاذنا أن يكون متوأي غير صهوات الجياد ، وأن أقيلا إلا في ظلال الرياح . ثم استعدوا للانتقام ، وبرزوا من ذلك المقام . وتناهى الخبر بذلك الى الأمراء المأسورين فأخذهم المقيم المقعد ، وأيسوا من الحياة . فأرسلوا إلى أغريث رسالة يتنون عليه بحفظ الذمام ، ويشكرونه على ما أسدى اليهم من الإنعام . وقالوا : من المعلوم أن زال بن سام مستقر على سرير الملك بزاوولستان في جميع أمراء الإيرانية مثل برزين وقارن وكشواد ونجراد ، وأنهم لا يدعون ممالكهم في يدى أفراسياب ، ولا بد لهم من الاجتماع والاحتشاد في طلب المعاودة الى مساكنهم ومواطنهم . ومهما فعلوا ذلك وعلم به أفراسياب احتدم نار غضبه ، وحمله ذلك على أن يأمر بضرب رقابنا وإراقة دمائنا . فإن رأيت أن تمن علينا معاشر الأسارى بالإطلاق ، وتسبقر رقابنا بالإعتاق فلت . فقال أغريث : أما إطلاعكم على هذا الوجه فلا سبيل اليه . فإن فيه إظهار^(١) معاداة أفراسياب والخروج عليه . ولكن اذا توجه زال في عساكر إيران وقربوا من مدينة سارى لم أتمرض لمقاتلتهم ، وخليت أمل وانحدرت الى الرى الى خدمة أفراسياب . فتخلصون حينئذ بغير اختيار منى ، ولا يلحقني بذلك تبعة عند أفراسياب . فلما بلغهم ذلك من قوله نخرتوا على الأرض ساجدين يشكرون الله تعالى ويمجدونه ، ويتنون على أغريث ويمدحونه . فنفذوا راجعا الى زاوولستان لإنهاء هذه الحال الى زال . وأمره بالاستسجال والمسارة الى إيصال هذه الرسالة حتى يتهز الفرصة في خلاصهم . فلما وصل الرسول أمر بإحضار الأمراء والقواد ، وأخبرهم بالحال . وقال : من يتكفل بهذا المهم الخطير والأمر العظيم ؟ فقام كشواد وقال : أنا أتولى هذا الأمر . فخرج في عسكر عظيم من أعيان فرسان الإيرانية ، وتوجه راكضا الى مدينة سارى . فسمع بوصولهم أغريث فترك الأسارى كلهم في تلك المدينة ، وركب في جميع عساكره متوجها الى الرى الى أفراسياب . فترك كشواد على سارى وأخذها وأخرج جميع الأسارى . فساروا عائدين الى زاوولستان . وبلغ الخبر بذلك الى زال فسربه وأمر بإفاضة الأموال على الفقراء والمساكين شكرا لله تعالى على ذلك . ولما قربوا استقبالهم زال . وجندوا للملك نودرغزاء حثوا فيه الأثرية على رؤسهم ، ومزقوا أثوابهم على نفوسهم . ثم أعد زال لكل واحد منهم منزلا يتزله ، وأفاض عليهم خلعا فاخرة وأموالا وافرة . قال : ولما فرأغريث من أمل ، وبلغ الرى ، واجتمع بأفراسياب أنكز عليه فعله الذى فعل ، وكان قد بلغه ، فتمنرله وطفق يصفه ويوبخه . وآخر ذلك أن سل عليه السيف وقده بنصفين . فأنهى الخبر بذلك الى زال فأجمع على قصده . وجمع الجموع ، وحشد الجيوش ، وتوجه نحو فارس في جمافل

(١) ك ، كو ، طا : من أن . (٢) ك : اظهار (لا) . (٣) ك : فتخلصون . وطا : فتخلصون .

جراحة . ولما علم بذلك أفراسياب نهض في جموعه الى خوار (١) اى . ودنا زال منه فكانت طلائع
العسكريين تتلاقى والقتال يجرى بينهما محاربة كل يوم مقدار أسبوعين . ثم ان زالا بات ليلة يتفكر
فى أمر الملك . فلما أصبح قال : لا بد لهذا الجمع العظيم من ملك يتسم سرير الملك ، ويمتصب بتاج
السلطنة حتى ينظر فى الأمور ، ويكون موثلاً للجمهور . وطوس وأخوه كلاهما لا يصلحان لذلك .
فنفروا فى المنتسبين الى شجرة أفريدون فلم يجدوا فيهم من يصلح لذلك غير زو بن طهماسب . وكان
ذا قدر وجلالة وشهامة وصرامة . فنفذ قارن وجماعة من الأمراء فى عسكر بحر ليستقدموه ويتوجه .^(١)

٩ - ذكر نوبة زو بن طهماسب وما جرى فى عهده

قال : فلما قدموا على زو أخبروه بأن زال بن سام وعساكر إيران كلهم انفقوا على تقديمه وتوبيخه .
فأجاب وقدم مجلس على السرير واعتصب بالتاج . وكان كبير السن قد أناف على ثمانين سنة .
فساس الرعية وأجرى الأمور على قانون العدل وطريقة السداد ، وكف أيدي الظلمة وقلم
أظفار الجورة . ووقع فى ذلك المهد خط عظيم عز فيه الطعام حتى كان يقابل بالدرهم . وأمسكت
السماء عنهم ، وصوحت النبات ، وعدمت الأقوات . وبقيت عساكر الفريقين ثمانية أشهر متقاتلين
ومقابلين على حالة واحدة . فأضعفتهم الأزمة واستغاثوا وقالوا إن الله تعالى قد أبلانا بهذا البلاء
والفلاء بشؤم فعلنا فى أرضه ، سوء صنيعنا بخلقه . فترددت الرسل بين الفريقين ، فاصطلحوا

٩ - زو بن طهماسب

لم يكن فى ابنى نودر من يصلح لخلافته ، فاختر الايرانيون زو بن طهماسب . ويقول الفردوسى :
لم يكن طوس وكسهم ابنا نودر متحليين بالمجد (فر) الإلهى . ويمبر الثعالبي عن هذا بقوله :
« خلّوهما من شعاع السعادة الإلهية » .^(٢) على أنه يؤخذ من كتاب بُندَهش أن زوا هو ابن نودر
لا ابن طهماسب .^(٣)

وهو فى الأستاق أُرْقه بن طوماسيه : « تعبد روح أُرْقه المقدس ابن طوماسيه » وتختلف
الروايات فى اسمه بين زو وزاب وزاغ وراسب . وفى اسم أبيه بين طهماسب وطهماسبان
وسوماسب .^(٤) وينتهى نسب طهماسب الى نودر المتقدم ذكره . وعجيب أن يجعل المؤرخون بينهما =

(١) اسم مكان . ويقط « خار » .

(١) كو : ويشروه فيه ما كان يطلبه ويرجوه . (٢) الفردوسى ص ١٣١ (٣) أنشتا ، ج ٢ ص ٢٢ و ٩٠

(٥) أنظر تاريخ حزة ، ص ١٣ و ٢٦ والفردوسى ص ١٣٠ والطبرى ، ج ١ ص ٢٣٥

وتهادنوا . وانفقوا على أن يقسموا بينهم الأرض (١) . فاستقرت الحال على أن يكون من حد رؤوباد، وشير الى منتهى أقصى الصين والختن لأفراسياب والتورانية، ومن هذا الجانب لزو والایرانية . فتعاقدا على ذلك ، وتعهدا على أن لا يتجاوز كل واحد منهما حده المحدود . فرجع كلا الفريقين إلى ممالكهم ، وأخذ زو على طريق فارس، وعاد زال الى زاولستان . ففتح الله على الخلق أبواب السماء وأدر عليهم شآبيب الأنداء . حتى أخصبت المراع ، وأعشوشت المرائع . واستقر زو على سريره بفارس واجتمع عليه الایرانية . وبقى على سيرة العدل والإحسان، وقاعدة الأمن والأمان، يقيم المسيل ويزيل الأود على وتيرة مرضية وشاكلة حميدة الى أن مضى لسبيله بعد خمس سنين من ملكه . فانتكست أمور الایرانية واختلت أحوالهم .

(٢٥)

[١٠ - كرشاسب]

” وكان لنوزر ولد تقربه عينه اسمه كرشاسب . بفلس على العرش، ولبس تاج الملك، فلأ العالم أمة وجلالا . وبلغ الترك أن زوامات وأن عرش إيران شغل . فصاح أفراسياب فرحا ، وأقبل يبحوشه حتى بلغ خوار (خار) الزى [.

= خمسة آباء أو ثمانية على حين أن زوا خلف نوزر بعد اثني عشر عاما حكم فيها أفراسياب . ونوزر مات وهو ابن خمس وثمانين سنة . ويروى أن كرشاسب الاثني ذكره كان شريكا له في الحكم . وينسب الى زو (زاب) حضر نهري الزاب في العراق . وهو أول من اتخذ ألوان الطيخ وأمر بها وبأصناف الأطعمة .

وقصته في الشاهنامة ثمانية وأربعون بيتا تحت عنوان واحد .

١٠ - كرشاسب

تختلف الروايات هنا كما اختلفت في نوزر . فبعض المؤلفين لا يذكر كرشاسب وبعضهم يذكره وزيرا أو شريكا لزوبن طهماسب الذي تقدم ذكره :

(١) في هذا الصلح يروى التالي رمية السهم التي ذكرت في مقدمة فصل منوچهر .

(١) ك، ط: الى أن يقبى الى . (٢) ك، ط: تمال . (٣) ك: سيرة . (٤) فارس نامه ص ١٣ ،

والطبري، ج ١ ص ٢٣٥ (٥) أنظر مقدمة الفصل الآتي . (٦) فارس نامه والطبري ورتبة القلوب

ص ٢١٥ طبع . (٧) طبري، ج ١ ص ٢٢٦ وفارس ٣٩

وكان أفراسياب لما ارتحل من خوار الى عبر جيحون قسم الممالك (١) . وكان أبوه بشنك متغيرا عليه ومقتظا من جهة إقدامه على قتل أخيه أغريث . وكان لا يجيب عن كتبه اليه ، ولا يمكن رسله من الدخول عليه . وكانت رسله تبقى على بابيه سنة كاملة لا يسمع لم كلاما ، ولا يرفع بهم رأسا . وكان يقول على سبيل التعنيف مخاطبا لابنه في غيبته : لو كان الجد لك معاضدا ومساعدًا لبقى لك أخوك عضدا وماعدا . أتفر عن ريب طير (ب) ثم تقبى على أخيك بكل ضير؟ فمن الآن لاسبيل لك الى الحضور بين يدي ، ولا طريق الى أن أنظر اليك أو تنظر الى . قال : فغضى على ذلك مدة من الزمان وتناهى الخبر بموت [كرشاسب بن] زو الى بشنك فأرسل الى ولده أفراسياب يأمره بأن يعبر جيحون ، ويمار ثانيا قصد ممالك إيران ، ويهتبل غرة أهلها وفرصة خلوع عرصتها . فجمع عسكريا ترمج به الأرض ، ويتضايق دون كثرة البر والبحر . وعبر بهم جيحون . فلما بلغ الإيرانية ذلك وقع فيهم الاضطراب وجفلوا الى زاولستان ، وأقبلوا على زال يوبخونه ويمنفونه ، وقالوا إنك منذ جلست موضع أبيك سام ، وصرت بهلوان الدولة لم يطب عيش الناس يوما واحدا

= في فارس ثمة أنه كان صديق زو أو شريكه أو ابنه أو حفيده . وفي الإشراف والتنبيه أن زو ملك ثلاث سنين وكرشاسب ملك ثلاثا . وفي الفرر للشمالي أن زابا (زو) كان منفردا بالهارة وكرشاسب منفردا بالحرب . ويقول حمزة الأصفهاني : " وفي أيام مملكة زو ملك كرشاسب " . ويقول الطبري : " وكان له (زو) كرشاسب بن أثرت موازرا له على ملكه . ويقول بعضهم كان زو وكرشاسب مشتركين في الملك . والمعروف من أمرهما أن الملك كان لزو بن طهماسب وأن كرشاسب كان له موازرا ومعيا . وكان كرشاسب عظيم الشأن في أهل فارس غير أنه لم يملك " .

ويمكن تبين هذا الاضطراب في الشاهنامه نفسها ، فهي تصف في أبيات قليلة تملك كرشاسب . ثم تقول إن أفراسياب ، حينما بلغه موت زو عاود الإغارة على إيران وجاء الى الري . وكان أبوه بشنك ساخطا عليه منذ قتل أخاه أغريث . فكان لا يقابل رسله ولا يجيب كتبه . وهنا تختلف النسخ . ففي بعضها أن بشنك بقي على هذه الحال حتى مات كرشاسب فأرسل الى أفراسياب يأمره أن ينتهز الفرصة في إيران . وفي بعض النسخ يذكر البيت الدال على موت كرشاسب بعد =

(١) قوله : " وكان أفراسياب " الى " الملك " غير موافق للشاهنامه كما يرى القاري من السطور التي ترجمتها في مفتاح هذا

المصل . (ب) يعني مراد من زال الذي ربه المقاتل كما تقدم في فصل منوچهر .

(١) ص ٣٩ (٢) ص ٩٠ (٣) ص ١٣١ (٤) تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء . ص ٢٦

(٥) ج ١ ص ٢٣٦

[حينما مات زو خلفه ابنه فقصرت يد الأشرار عن الفساد، والآن ذهب الملك كرشاسب العظيم فسارت المملكة والجيش بلا ملك] والآن قد نجم نجم الشر فاستعد للأمر . فقال لهم زال : إني منذ شددت وسطي بمنطقة البأس لم ير الناس مثلي فارسا مطالاً على صهوات الخيل . وما وضعت رجلي في مستنقع حرب ، ومعزس طعن وضرب إلا وصارت أعنة الفرسان أثقارا ، وصدور الشجعان أديارا . والآن قد انحنى شطاطي القويم ، واستشّ من ظاهري إهابي الأديم . ونقض الشيب على غباره ، وألبسني شعاره . وضعف كاهلي عن حمل السلاح ، وتقاعدت همتي عن هز الرماح . وقد أدرك ولدي رستم وأصبح كالنخل الباسق . وسأستهضه في هذا الأمر الفادح . فسر الإيرانيون بذلك واشتد أزهرهم . وجاء رستم أباه معترضا لأمره . فقال : إن بين يديك أمرا باهظا وخطبا فادحا يهجر من أجله النوم والقرار . وأنت بعد رطيب العود، جدير بالدعة والقعود . فكيف أرمي بك في أنياب المنون الفاغرة ، وأعرضك لمخالب الخطوب الفارقة . فقال رستم عند ذلك : كيف يليق بهذه الأعضاء الشداد الإقامة تحت ظلال الترف والدلال؟ وسوف تراني إذا اشتجرت الرماح، وتصافحت الصفاح وفي يدي قطعة محباب يتفجر من خلالها الدم، وتسعر صواعقها وتتضرم، أطلق هامات

— رسالة پشنك الى ابنه . ومعنى هذا أنه أمر أفراسياب بانتهاز الفرصة بعد موت زو . فعلى الرواية الأولى يسبق پشنك ساخطا على ابنه تسع سنين بعد إغارته على إيران حتى يموت كرشاسب فيأمره بسوق الجيش لحرب الإيرانيين . فلماذا لم يأمر پشنك ابنه بالحرب بعد موت زو وقد أغار ابنه على إيران؟ ومقتضى الرواية الثانية أن الأب والأب اتفقا على غزو إيران بعد موت زو، والنسخ متفقة على أن وقائع الحرب لم تبدأ إلا بعد موت كرشاسب . فقيم مضت تسع السنين التي ملك فيها هذا الملك؟ تجيب النسخ التي تروى هذه الرواية بتغيير بيت من أبيات القصة نفيها بدل على أن تعبئة الجيش استمرت تسع سنين . وهذا يخالف نسق القصص في الشاهنامه الى تطوى الزمان والمكان للتهجيل بالوقائع . على أن النسخ كلها متفقة على أن ملك الترك أمر ابنه أفراسياب بالتعبئة وعبور جيحون . فأفراسياب إذا كان في بلاد الترك وراء جيحون ، وقد عرفنا من قبل أنه أغار على إيران حتى غارب الرى . فكيف كانت عاقبة هذه الإغارة ؟ هذا خلل آخر في السياق . إلا أن يقال أن الشاعر ذكر الإغارة ثم رجع يقص ما كان بين أفراسياب وأبيه حتى بلغ الموضع الذى بدأ منه نخيل الى القارىئ أنهما إغارتان .

الأبطال، وأهم بها على هجمة الآجال . وما أريد الآن إلا حصانا كالبحر المسائج والفيل الهائج وأريد
جرزا - كأنه الذى عنه مترجم الكتاب بقوله ^(١) :

وأرعن عن ثمر الفضطر كاشرا * شقيم الحميا فيه صولة جبار
كصاعقة لو واجهت ركن يذبل * تشظى كرميل فى البطائع منهار

= على أنه سيد ذكرى فصل كيقباد ما يدل على أن أفراسياب لم يلق أباه بعد قتل أخيه إلا بعد
انهزامه أمام رستم وكيقباد. وهذا يستقيم فى الرواية التى تجعل غارة أفراسياب وأمر أبيه إياه بالغزو
بعد موت زو لا على الرواية التى تجعل غارة أفراسياب بعد موت زو وأمر أبيه بالتمبئة بعد موت
كرشاسب .

وقد سرى هذا الاضطراب الى الترجمة العربية . فقد حذف المترجم كرشاسب ، وقص
فى فصل زو السابق ما قصته الشاهنامه بعد عنوان كرشاسب . وأغفل الموضعين اللذين ذكر فيهما
كرشاسب فى سياق القصة . على أنه يبعد أن يكون هذا تصرف المترجم . فأنه ترجم نسخة لم يخص
فيها فصل لكرشاسب . وإذا نظرنا الى اختلاف كتب التاريخ الفارسية فى ذكر هذا الملك وأن غرر
التعالى ، وهى أقرب الكتب الى الشاهنامه ، لم تذكره وذكرته فى عهد كيقباد الحوادث التى ذكرتها
الشاهنامه فى أيام كرشاسب لم نستبعد أن الفردوسى لم يذكر كرشاسب بين الملوك ، وأن تكون
الآيات القليلة التى ذكر فيها دخيلة فى الكآب زادها بعض الذين يريدون أن تكون الشاهنامه
جامعة سير الملوك القدماء . وقد ترجمت الآيات التى حذفها المترجم وأثبتها فى الترجمة بين أقواس
لتكون موافقة نسخ الشاهنامه المتداولة .

ومهما تختلف الكتب فى أمر الملك كرشاسب فى الأساطير القديمة بطل من أعظم أبطال
إيران اسمه كرساسيه هو منبع أساطير كثيرة . وقد تقدم الإلماع اليه فى مقدمة فصل الضحاك ،
وفى الكلام على أسرة سام فى مقدمة فصل منوچهر . وأجل هنا مآثره وسيرته العجبية :

فى الأبتساق : " تعبد روح كرساسيه الساما المقدس حامل المقعدة ذى الضغائر " . وفى موضع
آخر أن المجد الإلهى حينما فارو جمشيد المرة الثالثة أخذه كرساسيه الجرىء أشد الرجال بعد زرتشترا
الخ " . ويعد من مآثره فى الأبتساق قتل الثعبان سرقرا الذى كان يتلع الخيل والناس ، الثعبان
الأصفر الذى يفيض السم الأصفر غزيرا فوقه . والذى كان كرساسيه يطبخ طعامه فوقه فى قدر =

قال : فلما سمع زال مقالة رسمه هذه تمايل من الطرب بين أفوافه ، وتمشت نسوة السرور في أعطافه ، وأمر أن تمرض الخليل عليه (١) . فجعلوا يمزون بها على رسمه . فكان إذا وقع نظره على فرس قوى جره اليه بأعرافه ، وغمز ظهره بكفه . فيلصق بالأرض من شدة قوته . فلم يجد فرسا يسلم من ذلك حتى جاءوا بخيل كثيرة من كابل ، فروا بها عليه فرأى في جملةا حجرة شهباء ضامرة كأنها لبؤة . وخلفها مهر جذع في قذ الأثم ، طامح الطرف ، مطهم الخلق ، ملهم الكفل ، ضافي الذنب ، صافي اللون ، في أوصاف كثيرة ذكرها .

فرمى بالهوق في عقه واستجره اليه ، وغمز ظهره بكفه ، فثبت ولم يتحرك . فسر بذلك وأسرجه وألجمه وأسترضاه لنفسه مركوبا . وكان يسمى رخشا . وسر زال بذلك أيضا وأمر العساكر

[في في الشاه . أن رسم أراد أن يرى الهوق على المهر فقال له الراعى : لا تأخذ فرس غيرك . فقال رسم : لمن الفرس ؟ إن تغذيه ليس عليهما سمة . قال الراعى : دع السمعة فقد كثر القيل والقال في هذا المهر . ونحن نسميه « رخشا » . وهو — كما ترى — مُدتر في صفاء الماء وحده النار . ولستأ نعرف له صاحبا ولكنا نسميه رخش رسم . وقد أركب منذ ثلاث سنين ، ولكن أمه تدفع عنه الناس دفع الأسد . ولا ندري أى سر في هذا .

فرمى رسم الهوق فأقبلت أمه كالقيل المائج . فزجرها رسم وضربها فوقعت على الأرض . ثم غمز ظهر المهر فلم يكن لعمزته . فسأل مائمن الحصان ؟ فأجاب الراعى : إن كنت رسم تغذه واذهب فخلص إيران . فإنما ثمة بلاد إيران .]

= من النحاس وقت الظهيرة ، فأحس حر النار فقام على أرجله ووثب من تحت القدر وكفأ الماء . وكذلك قتل كندروا ذى العقب الذهبي الذى كان يصول فاتحا برائنه ليدمر عالم الخير . وكان يعيش في البحر والوادي وعلى الجبل ، ورأسه يناطح السماء . ويتنطح اثني عشر رجلا جملة واحدة .

قاتله كرساسية تسعة أيام وليال حتى أخرجه من قعر البحر وحطم رأسه بالمقعدة . فلما سقط على الأرض فسدت بسقطته أقطار كثيرة . وكذلك قتل أبناء ثانا التسعة قطاع الطريق الذين بلغوا من بسطة الجسم أنهم كانوا اذا مشوا حسب الناس أن تحتهم الكواكب والقمر ، وأن الشمس تطلع =

(١) في الشاه : وأمر أن يحضر له مقعدة سام التي توارثها الأسرة ثم عرس عليه الخليل الخ .

(١) كذا في النسخ كلها . والمواب ارتضاه . (٢) أصتا ، ج ٢ ص ٢٩٥ (٣) = حاشية ١٠١

بالخروج . فبرز في جمع ضاق بهم الأرض ولم يأت عليهم العد والحصر . وفصل من زابلستان في فصل الربيع . وبلغ خبره أفراسياب فساد في عساكره وساقهم حتى وصل إلى الري . فقتل في مرج كثير الماء والقصب . ووصل عساكر إيران . تظاهرين على طريق البرية . فتقارب الفريقان حتى كان بعد ما بينهما مقدار فرسخين . فدعا زال بإركان الدولة وأعيان الأمراء والموابذة . وقال لهم : إني قد حشدت هذا الجمع الكثير والحلم النفير . ولا بد من ملك يتولى تدبيرهم ، ويسوس صغيرهم وكبيرهم . فإنه لما جلس زو على سرير الملك استتببت الأمور وانتظمت . وهكذا الآن لا بد من ملك يشمل الكل أمره ونهيه ، ويحيط الجملة رأيه وعقله . فأشار الموبذ عليه بكيباد . وكان منتسبا إلى شجرة أفريدون . فأفخذ زال أبنته رستم إلى جبل البرز في جماعة من أعيان الأمراء وفرسان القواد (١) . وسار

= في الصباح أسفل منهم ، ومياه البحار تبلغ ركبهم (٢) . إلى مآثر أخرى تعدها الأستاق وغيرها ، منها قتل الطائر كك الذي ظلل الأرض ، ومنع المطر حتى جفت الأنهار (٣) .

وكان كراسيه أعطى الخلود على الأرض ولكن أحد خلائق أهرمن أضله فأزدرى عبادة النار ومال إلى الوثنية . فالتقى في النار إلى أن شفع فيه زردشت عند هرمزد فدعاه بجاء يتضرع متوسلا بآثره التي تقدم ذكرها ، وبأنه سيقتل الضحاك آخر الزمان ، لا يستطيع غيره أن يقتله . فيعفو عنه هرمزد ويدخله الجنة .

ولعل أعظم مآثر كراسيه أنه سيقتل الضحاك . وقد تقدم أن أفريدون قيد الضحاك على جبل دماوند ولم يقتله . وأرجأت الكلام عن عقبة الضحاك إلى هذا الموضع :

كراسيه نائم في وادي پشين جنوبي كابل . ويعمرسه هناك المجد الإلهي وأرواح الأتقياء . حتى إذا اجتمعت قوى الشر لتحارب قوى الخير المحاربة الأخيرة دعا أهرمن الضحاك من جبل دماوند ، فيخلص من قيوده ويصول فيبيع ثلث البشر والبقر والغنم وغيرها من مخلوقات أرمزد . =

(١) لم تذكر الشاه أن أحدا ذهب مع رستم . وقصة ذهاب رستم إلى كيباد ومصادفته إياه في طائفة من الفرسان بين الأشجار والمياه وقد نصب له تحت ، وتبشيره بالملك ، وقص كيباد رؤياه على رستم ، والذهاب معه إلى حيث الأمراء والجيش — من طرائف قصص الشاه .

(١) ك : فار . (٢) أنشاء ، ج ٢ ص ٢٩٥ حاشية ٤ (٣) = ٢٩٦ حاشية ٤

وطوى تلك المنازل البعيدة، والمراحل المتقاذفة في أسبوعين حتى أتى كيقباد وبشره بالملك ، وأقبل معه ودخل المعسكر ليلا . ومكثوا أسبوعا يتشاورون ويخضون الآراء حتى ترتبت الأمور وانتظمت الأحوال .

= وبفسد الماء والنار والنبات ويعيث في الأرض . فبكي النار والماء والنبات أمام هر مزد وتدعو أن يبعث أفريدون ليقبل الضحك . وتحول النار أنها لن تحيى ، والماء أنه لن يفيض . فأمر هر مزد سروس وملكا آخر ليقظا كرساسيه . فيناديانه ثلاث مرات ، ويستيقظ بالنداء الرابع . ويصمد للضحك ، ويضربه على رأسه بالمقعدة المعروفة فيقتله ، ويحول الشر والإثم والفقر ويبدأ عهد السعادة الدائمة^(١) .

ثم موطن هذه الأساطير، وهو كابلستان، يوافق ما ذكر آفا عن الصلة بين أسرة رستم وبين كرشاسب، ويفسر جنوح كرساسيه الى عبادة الأصنام . فإقليم كابل وما حوله كان أقرب الى الحضارة الهندية^(٢) .

وإذا نظرنا الى تشابه اسم الملك كرشاسب واسم البطل كرساسيه، وعرفنا أن في دينگرد يذكر بعد الملك كيقباد الآتى ذكره ملك اسمه كرساسب يقظ أنه هو البطل العظيم صاحب المآثر التي أسلفنا ذكرها فأكبر القان أن الملك كرشاسب الذى تجعله الشاهنامة آخر الپيشداديين هو البطل كرساسيه . ومن أجل هذا ذكرت طرفا من أخبار البطل كرساسيه فى مقدمة فصل الملك كرشاسب .

ثم قصة كرشاسب فى الشاهنامة ٢٧٣ بيتا مقسمة الى هذه الأقسام :

- (١) ملك كرشاسب تسع سنين . (٢) إمسالك رستم رخشا . (٣) زال يقود الجيش الى أفراسياب . (٤) إحضار رستم كيقباد من جبل ألبرز .

(١) أنشأ، ج ٢ ص ٦٢ حاتية . ورنر (Warner) ج ١ ص ١٧٣ (٢) أنظر المقدمة فى الملاحق بين

١١ - ذكر نوبة كيقباز وما جرى في عهده^(١)

قال صاحب الكتاب : ثم نصبوا تختاً وتسمنه كيقباز معتصبا بالتاج . واصطف حواله الأمراء والقواد يهتونه ويثرون الثارات عليه . فسايلهم عن أفراسياب وحاله . وركب في اليوم الثاني للقتال وارتجت الآفاق بخفق الكوسات . وتدجج رسم مظاهرها بين لبوس الحرب ، وتصدى كالليث الكاشر للطنن والضرب . واصطف الإيرانيون وتعبوا للحرب ميامن ومياسر ، ومقانب ومناسر . فوقف مهرباب في أحد الجانبين ، ووقف كردهم في الجانب الآخر ، ووقف قارن مع كيشواذ في القلب ، ووقف وراءهم الملك كيقباز مع زال يخفق على رأسه درفشه الميمون ، ولواؤه المنصور . فصاربت الأرض كأنها تمور ، والجبال كأنها تسير . فركض قارن وبرز من الصف كالخزير الصائل ، وجعل يحمل على الميمنة تارة وعلى الميسرة أخرى . فلما رأى رسم تسطفه في جولانه ، ومطاردته لأقرانه أتى أباه وسايله عن أفراسياب وعن مقامه الذي يقوم فيه ، واستوصفه صفة ملبسه ورايته ، وقال : إني حامل عليه وأخذ له . فقال له أبوه : لا تحض اليوم هذه الفجرة ، وكن على حذرمنه . فانه لا طاقة لك بمقاومة الثعبان الثائر . ثم قال : إن شعاره هو السواد وله راية سوداء وعليه خفطان أسود ، وعلى

القسم الثاني

الملوك الكيانيين

طائفة من ملوك الشاهنامة ابتدئ أسماءهم بكلمة "كي" وبظن أنها لقب معناه "ملك" ويقول المسعودي معناه "العزیز" . وجاءت في كتاب التيسدا بلفظ "كفي" . وهما فيها كاهن ، لا سيما الكاهن الذي يوحى اليه حين يشرب شراب "سومه" المقدس . وكذلك جاءت كلمة "كفي" في الإبتاق بمعنى زنديق . وجاءت كذلك اسماً لإنسان بعينه ولقبا لجماعة تنتمي اليه ، بينهم بعض من ذكرتهم الشاهنامة باسم الكيانيين^(٢) .

ولا يجد قارئ الشاهنامة ما يفصل بين البيشداديين والكيانيين فصلاً تاماً . فسياق القصة لم يتغير بالانتقال من هؤلاء الى هؤلاء . و كبار الأبطال والقادة الذين يحاربون في جيش قباد أول الكيانيين هم بقية أبطال العهد الأول . والفارق الذي تضمه الشاهنامة بين العهدين أن كرشاسب =

(١) كو ، ز : "وهو أول من ملك من الطبقة الثانية من ملوك الفرس وهم الكيانية وكانت مدة ملكة مائة سنة" .

(٢) ك كو : من الحاج . (٣) دوزر (Warner) ج ١ : الكيانيين ، وأصفا ، ج ٢ ص ٢٦ و ٢١٣ و ٢١٥ و ٢١٨

رأسه مغفر عليه علاقة سوداء . فقال رستم : لا بأس عليك فإن الله معاضدى ، والجند مساعدى . ثم حمل وبرز الى فضاء المعركة . فراه أفراسياب فتعجب من شكله وقالبه ، وتشمره . وسال عنه فأخبر بأنه ابن دستان بن سام . فقصده أفراسياب وتدانيا وتواقفاً . فوثب عليه رستم ، وأخذ بمعاقد منطقته ، واقتلعه من سرجه فاقطعت سيور منطقته ، ووقع إلى الأرض . فأحاطت به فرسان أصحابه وحوله منه . فبلغ الخبر بذلك إلى كيقباد فحمل بصفوفه المروصصة عليهم حملة ضعفت أركانهم ، وأدحضت أقدامهم . فتعحوم الأنكاف ، ولولو منهزمين ، وتفترقوا طرائق قدداً أجمعين . وقتل ألف ومائة وستون من أعيان التورانية ووجوه قوادهم ، ورتوت أمرائهم . ونكص أفراسياب في فله إلى دامغان ومنها إلى جيحون . ثم عبر وتوجه نحو أبيه بشك . فلما مثل بين يديه سرد عليه جميع أحوال الواقعة ، ووصف قوة الإيرانية وقلة ثبات التورانية بين أيديهم . وقال : الصواب أن نغتنم السلامة منهم ، وننفذ الرسل إليهم جانحين إلى السلم . ثم طفق يعتذر إلى أبيه من سبق السيف العذل في قتل إغريث أخيه ، ويسأله المغفر والصفح . ففعل ونفذ أحد دهاة حضرته وكفاة دولته رسولا إلى كيقباد ، وكتب إليه كايا اقتحه بمجد الله والثناء عليه . ثم أتى

= عاشر الپيشداديين مات عن غير خلف صالح لللك وقد أغار التورانيون على إيران . فجمع زال زعيم الأبطال الجيش وسار للحرب . ثم رأى أن الأمر لا يستقيم بغير ملك يجمع كلمتهم . فأعلمه الموبذ أن في جبال ألبرز رجلا من ذرية أفريدون جديراً بالملك اسمه كيقباد . وقد تقدم أن أفريدون أحد الملوك الپيشداديين . فأرسل زال ابنه رستم لإحضار كيقباد . فلما جاء بايعه الملا من الجيش وصمدوا الحرب العدو . فليس في الأمر إذا إلا أن واحداً من ذرية الپيشداديين ورث عرشهم . وقد تقدم أن نوذر بن منوچهر قُتل وليس في أبنائه أهل لللك ، فأحصر زال زو بن طهماسب فكان ملكاً . وليس بين الحادين فرق ، فيما يظهر ، إلا أن الشاهنامة والكتب الأخرى عدت كيقباد أول أسرة من الملوك عرفت باسم الكيانيين . وأكثر الكتب يجعل كيقباد من نسل نوذر - كما يأتي .

سيجد القارئ اختلافاً كبيراً بين طائفة من الكيانيين وأخرى - اختلافاً هو أجدر أن يكون فاصلاً بين عهدين . فبعد كيخسرو ثالث الكيانيين تغير أسباب الحرب ، وميادينا ، وأبطالها ، في إيران وتوران . ويبدأ عهد جديد بولاية كُشتاسب الذى عهد إليه كيخسرو فانكر عليه الاريانيون وأبوا أن يسايحوا رجلاً لا يعرفون له في الملوك نسباً ، ولا يرون له عليهم فضلاً . حتى أخبرهم =

على أفريدون وذكر أنه كان جرثومة الجلال ، ومتشعب أغصان المجد والإقبال . وذكر فيه أن تورا وإن كان ظلم إيرج فإن منوجهر انتقم له وأدرك ثاره . وقد كان أفريدون قبل ذلك قد قسم الممالك قسمة عادلة . والأخرى بنا أن تبقه ونفتدى به في ذلك ولا نجسد عن مقتضاه . فيكون جيحون حاكما بين الملكتين ويكون ما وراءه للتورانية كما كان في عهد إيرج ، وما هو من جانبه الآخر للإيرانية ، ومقتضى العقل أن تراضى بهذه القسمة ، ولا تنعى في محاولة غيرها . إن اقتضى رأى الملك كيقباز أن ينفذ سيف الخلاف ، وتحسم مادة الشر ، ويصالحنا على ذلك حتى يأمن العالم وتقطع الفتى فعل . فلما وصل الرسول الى كيقباز وقرأ الكتاب قال : إنكم تعلمون أنا لم تسارع قط إلى الشراديين ، ولم نورزاد الحرب لا في هذا الزمان ولا قبله ظالمين . أما في عهد أفريدون فقد كان تور بادئا بقتل إيرج . وأما الآن فلا يخفى أن أفراسياب ^(١) هجم هذه البلاد ، وفعل ما فعل بنودر ، وأقدم على قتل أخيه أغريث . ثم إنكم إن ندمتم على ما قمتم من سوء الصنيع ومستهجن الفعل ، وجنحتم إلى السلم والمكافأة رعاية لمصلحة الكافة أغضينا عما سلف ، ونجاوزنا عما فرط ، ووافقناكم على أن يكون ما وراء النهر لكم وما دونه لنا . وكتبوا بذلك عهدا ، وأبرموا أمره عقدا . فأتى رسم

= كِخْسَرُو - وهو في حال جعلت الإيرانيين يظنون به الجنون - أن لمراسب هذا من ذرية هوشنگ ثاني الملوك اليشداديين .

ويذكر في الأستاق بلفظ كفى . ويظهر أنه اسم رجل بعينه . ففيها : " نعبد روح المقدس كفى " و " نعبد روح المقدس پورستی بن كفى " و " نعبد روح كمرستا بن كفى " . وتذكر فيها أسماء أخرى يأتي بعضها في المصول الآتية ^(٢) .

ويبنى التنبيه إلى أن الأستاق - في زياد يست الذى يسميه درمستّر شاهنامة مختصرة - لم تَلَقَّب بلقب كفى إلا طائفة أولم كيقباز وآخروهم كِخْسَرُو . والملك لمراسب الذى خلف كِخْسَرُو لم يلقب بهذا . وفي هذا تفريق بين الفتيين : كِخْسَرُو ومن قبله ولمراسب ومن بعده .

وتصف الأستاق تجسد المجد الإلهي في الكيانيين ، وما يكون في عهدهم من السعادة والرغد ، واقتدارهم على محو التورانيين . وتعمل موطنهم عدبجيرة كاسئا على نهر هيئمتنت حيث جبل أشدهو الذى تحيط به المياه السائلة من الجبال . والبحيرة المذكورة بحيرة زره في سيستان . والنهر نهر =

(١) ك : كو : هجم على .

(٢) أنستا ، ج ٢ ص ٢١٥ و ٢١٣ و ٢١٨

الملك كيقباد وأنكر عليه الصلح . وقال : هلا كان ذلك منهم قبل هذه الواقعة ! والآن فالرأى أن نجوس ديارهم ، ونستبيع أموالهم ودماهم . فقال الملك : إن لم نرأى أحد مغية من العدل ، ولا أحسن عاقبة من الإنصاف . فاذ طلب بشنك مصالحتنا وموادعتنا فحقيق بنا أن نجيبه إلى ما طلب . وقد تقدمنا بأن يكتب لك عهد على ممالك زابلستان إلى بحر السند . فانهض إليها وتسلم سرر الملك بها ، وسلم بلاد كابل إلى مهرباب . وخلص عليه خلعة عظيمة مشتملة على التاج والمنطقة وغير ذلك من الملابس الفاخرة ، وولاه ذلك الإقليم . وذكر دستان وأثنى عليه وقال إنه بقية الملوك الماضين . وأمر فأعدوا تاجا من الذهب ومنطقة مرصعة بالجواهر ، وأحضروا خمسة من الفيلة العظام ، وأوقروها بالذهب والفضة . وأمر بحمل الكل إليه . وأمر لجميع الملوك والأمراء مثل قارن وكشواذ وبرزين وخرزاد بنفائس الخلع ، وطرائف التحف ، على اختلاف مراتبهم . ثم سار في مجاهله إلى بلاد فارس ، وكانت اصطخر دار الملك في ذلك العهد . فصار إليها وألقى بها عصا التسيار ، فقصده الخلائق من

== هابند، والجبل جبل أشي دارنا أي الجبل الذي يمنح الفهم، وهو في سيستان كذلك، فوطن الكيانيين إذا شرقى إيران . ولكن الشاهنامه تجعل موطن كيقباد جبل البرز. وقد تقدم عن أفريدون، أن أمه أخذته من الزاعى وقالت أريد أن أقربه إلى الهند، وأحمله إلى جبل البرز . فليس بعيدا أن يكون الفردوسى أو من قبله تخيل البرز في الشرق . على أنه، في أساطير إيران، جبل محيط بالأرض . والكتب الأخرى تجعل مقامهم في الشرق، بلخ وما حولها . والشاهنامه تجعل حاضرة أوائلهم اصطخر .

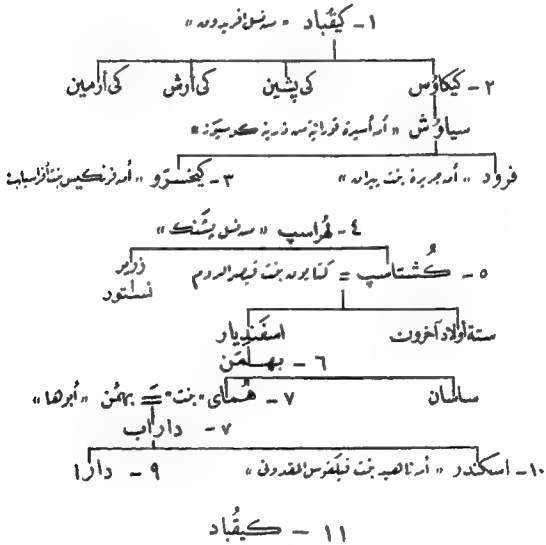
ثم بعض سير الكيانيين في الشاهنامه يوافق التاريخ الحق، وبعضها يقاربه، وبعضها خرافة . فهم وسط بين أساطير الپيشداديين وتاريخ الساسانيين في الشاهنامه وغيرها .

وأعظم أبطال هذا العهد أسرة سام التي أسلفنا ذكرها ، وأسرة أخرى يأتي ذكرها هي أسرة كوردرد بن كشواذ . ومن هاتين الأسرتين وغيرهما عصابة تعرف باسم "الأبطال السبعة" سيدها القارئ في شأيا الفصول الآتية . ولكن هؤلاء الأبطال جميعا يمتحنون أو يتركون الميدان في العصر الثانى من عصرى الكيانيين — عصر لهراسپ وخلفه . وأعظم أبطال هذا العصر اسفنديار ابن الملك كُشتاسب . وسرى القارئ أن رسم يقتله بمعونة العقاء .

(١) أفشاء، ج ٢ ص ٢٠٢ و ٢٨٧، ٢٢٥ (٢) ص ٢١ من (٣) مروج الذهب وفارس نامه .

(٤) انظر المقدمة : الكيانيين والأكبنيين . (٥) انظر المقدمة : أبطال الشاهنامه .

جميع الأقطار . وتوفر على تمهيد قواعد الأمن والأمان ، وتشديد مبادئ العدل والاحسان . فطاب عيش الناس في زمانه ، وأقاموا في ظلال النعم وادعين آمين . وكان له أربع بنين كيكائوس وكي آرش
 = ثم ملوك الكيانيين تسعة تنفق عليهم الكتب إلا الجدول الذي يقول البيروني ، في الآثار الباقية أنه نقله عن أهل المغرب ، ويخط فيه الكيانيين وملوك بابل ويذكر في سياق الكيانيين بعض الأسماء المعروفة في تاريخ الأكينيين . وهذا نسبه مأخوذاً من الشاهنامه :



هو أول الكيانيين . ولا تذكر الشاهنامه في نسبه إلا أنه من ذرية أفريدون . وكتب أخرى تجعل نوذر جدّه الثالث . وفي بندهش أنه بُد بهذ ولادته فعر عليه أراف (زاب أو زوق) وتبناه .
 واسمه في الأستاق كفي كفاتنه .

(١) ك : ط : ظل النعم . (٢) فارس نامه ص ١٤ والآثار الباقية ص ١٠٤ والطريق ج ١ ص ٢٢٦
 (٣) (٤) أنس ، ج ٢ ص ٢٢٢ ح ٢

وكى نشين وكى أرشش (١). فلما أتى عليه مائة سنة من ملكه تبذرت له طلائع المنون ، فدعا
بأكبر أولاده : كيكائوس ، وسلم إليه التاج والتخت واستخلفه ، وأمره باكتساب محامد السير
والتحلي بمكارم الشيم ثم مضى لسبيله (١١) .

١٢ - ذكر نوبة كيكائوس وما جرى في عهده

قال صاحب الكتاب : ثم قام كيكائوس بالملك بعد أبيه ، واعتصب بتاج السلطنة . فصادف
الدنيا عامرة ، وأموال الخزانة وافرة ، ووجوه الخلائق بدولته مسفرة ، وصدورهم بحسن سيرته
منشرفة . فلم يبق أحد من أصحاب الأطراف إلا وقد ألتى زمام الانقياد إليه ، وتضائل مذعنا بالطاعة
بين يديه .

قال : وجلس يوما على سريره وحوله الإيرانية فأتاه الحاجب وقال له : إن على الباب رجلا يقول
إنه مغنٌ حاذق من أهل مازندران . وهو يلتمس الحضور بين يدي الملك . فأمر بإدخاله عليه .

= والشاهنامه تجعل مقامه اصطخر . وفي نزهة القلوب أنه اتخذ إصغهان دار ملكه (١٢) . وما يؤثر عنه
بناء مدينة قواديان في خراسان على جيحون ، وتقديره المسافات بالفراخ والأميال (١٣) .

وفي الطبرى أن زوج كيقياد ، أم أبائنه الأربعة الآتى ذكرهم ، تركه . وهكذا تصل القصة نسب
الاييرانيين والتورانيين في الحين بعد الحين ثم تقطع وشائج الأرحام بمحذ السيف في المعارك الطاحنة (١٤) .

١٢ - كيكائوس

الواو في كائوس ممدودة . وقد تهمز . ويسمى في الكتب العربية كيقائوس . ويعرب قابوس .
وهو الملك الثاني من الكيانيين . وهو ابن كيقياد في الشاهنامه ، وفي كتب أخرى أنه حفيده أو ابن
أخيه . ولقبه "نمرد" (١٥) .

ويذكر في الأساطير الدينية الهندية والارانية . وتختلط أساطيره بالأساطير السامية ؛ فهو في الفيدا
"كايه أشنا" أى أشنا بن كئي . وقد تقدم ذكر كئي في الفصل السابق . وينسب إليه في الفيدا =

- (١) في الشاه : كي أرشين ، بدل كي أرشش . وفي الطبرى : كي أفه ، كي كائوس ، كي أرش ، كيه أرش ، كيشاشين ،
كيبه . وفي الأبناسق : أن الأربعة بنوا يفتقون كيقياد ، وهم : أسدغن ، أرشن ، يسه ، يارش ، أفستا ، ج ٢ ص ٢٢٢
(١) كو ، ز : "ويقال أنه كان ولد زو . ودفن في أرض فارس وكان في زمن سليمان" . (٢) طا : له (لا) .
(٣) ص ٢٨ (٤) نزهة ص ١٥٦ ، ١٦٣ (٥) أنظر المقدمة : إيران وتوران . (٦) الآثار ، ص ١٠٤
والطبرى ، ج ١ ص ٢٦٢ ، وفارس نامه ص ١٤ (٧) الآثار ، ص ١١٤

فدخل وأجلس في صف المغنين وأمر بالفتاء . فأخرج عودا ومِسْوَاه . وجسّ أوتاره ، وأخذ ينفى على طريقة أهل مازندران ، ويصف في غنائه طيب هواء بلاده ورياضها الموقسة ، وأنه لا يكون بها شتاء ولا صيف ، بل هي أبدا في مثل هواء الربيع واعتداله ، ولا تزال صحاريها متبرجة بين الحلى والحلل من الرياحين والأزهار والشقائق والتّوار ، وأنها بكنان الخلد فيها الخرائد الآسآت كأنهن الشمس الطالعات . فلما قرع ذلك سمع الملك ارتاح الى تلك البلاد ، واشتاق نفسه اليها ، وتشوّف الى تملكها والاستيلاء عليها . فأقبل على أصحابه وقال : إنا قد اشتغلنا باللهو واللعب ، وألقينا قيادنا الى يد القصف والطرب ، وقبيح بالفارس البطل الإكباب على البطالة والكسل . وأنا الآن أطول الملوك ناعا ، وأرجهم ذراعا ، وأعظمهم مهابة وجلالة ، وأكّهم قوّة وبسالة . فالواجب أن أكون أوسعهم مملكة وأبسطهم ولاية . فاصفرت وجوه أصحابه حين سمعوا مقالته ، وارتعدت فرائصهم . من حيث إن من مضى من الملوك كانوا لا يقيمون بحاربة أهل مازندران ، ويتشاءمون من ذلك . ولم يتجاسروا على مواجهة الملك بذلك . لكنّ قالوا : الأمر أمر السلطان ، ونحن كلنا لمراسمه

= أنه جعل "أكنى" أى النار الكاهن الأعظم بين البشر، وأنه كان قائد البقر السايوية (السُحب) الى المرعى، وأنه صنع المنفعة التى قتل بها الإله إندرا الشيطانَ فترّه .

وهو فى الأستاق كفى أسا : "قرب اليها (المة الماء) العظيم الحكيم كفى أسا قربانا ... وسألهما نعمة قائلا : استجنى هذه أيتها الطيبة الخيرية "أردنى سورا أناهنا" ! لعل أصبح ملك الأقطار كلها : بلاد الجن والانس الخ . فاستجابت له الالمة . وفيها عن طائر مقدس أنه يحمل مرآكب الملوك ، وأنه حمل مركبة "كفى أسا" . وفى هذا إشارة الى قصة محاولة الصعود الى السماء - وستأتى فى هذا الفصل - وفى كتاب دينكرد خلاصة أعمال كيكالوس ، وفيه أنه كان له ثور عجيب يرجع الى حكمة فيما يشجر بين الايرانيين والتورانيين من خلاف على الحدود . وكانت أحكامه أكثرها على التورانيين ، فخذعوا كيكالوس وأغروه فقتل الثور .

وفى الطبرى أن الجن كانت تسخر له بأمر سليمان بن داود . وفى بعض روايات الآثار الباقية أن كيكالوس هو بختنصر .

- (١) ك : فامر . (٢) ك : يد (لا) . (٣) كوز : « ولا بد لنا من قصد بلاد مازندران والمسير اليها والاستيلاء عليها » . (٤) ك ، ط : ولكن . (٥) انظر : روزر (Warner) ج ٢ ص ٢٥ (٦) أفستا ، ج ٢ ص ٦٥ و ٢٤١ (٧) روزر (Warner) ج ٢ ص ٢٦ قلا عن « نصوص فهلوية » لوست (West) ص ٣١ ج ٥ (٨) الطبرى ، ج ١ ص ٢٦٤ ، والآثار ص ١١١

ممتثلون، ولاوامره مطيعون . وقاموا من عنده واجتمعوا وذاكروا ما علق بقلبه من قصد تلك البلاد، وذكروا أن جمشيد مع جلالة قدره، ونغامة شأنه حين أطاعته الجن والإنس والوحش والطير لم يخطر بقلبه ذكر تلك البلاد، ولم يتعرض لها بمكره مدة عمرة . وكذلك أفريدون؛ أضرب عنها ولم يتعرض لها أصلا . ثم أطرقوا^(١) واجبين، وسكتوا متفكرين . فقال لهم طوس : الرأي أن نرسل إلى زال بن سام، ونعلمه بذلك، ونجشمه النهوض إلى هاهنا . فلمله يقدم فينتي الملك عن هذا الرأي . فطيروا راجعا بذلك إليه واستقدموه إلى دار الملك واستقبلوه . فلما وصل الرسول إليه وقرأ الكتاب، ووقف على الحال استعضل الأمر واستعظمه، وركب في الحال مبادرا إلى بلاد فارس . ولما وصل الخبر إلى أمراء إيران بطلوع رايات دستان بن سام ركبوا للاستقبال، وتلقوه بالإعظام والإجلال، وترجلوا له اعترافا بقدره وإعظاما لشأنه . ثم ركبوا وأقبلوا إلى حضرة الملك، وجعلوا يشكونه إليه في الطريق، ويعيبون عليه ما عزم عليه من قصد مازندران، ومخاربة جنها وسعاليها، ويذكرون أنهم لا يستجيزون ترك النصيحة ويخافون أن تزل به القدم، فيقع في بلية لا ينفع بعدها الندم . ثم لما قربوا من باب الملك تقدم زال فدخل فتبعه سائر الملوك والأمراء . فحين

(٣)

= ومن الآثار المنسوبة إليه تل عرقوف في العراق، وسمرقند، وأهر، وستوريق في العراق العجمي .
وفي عهد كيكالوس يتشعب القصص، وتدخل فيه أمم أخرى، وميادين جديدة، كما يرى القارئ في شأيا هذا الفصل .

ثم سيرة كيكالوس في الشاهنامة ٧٤٤٦ بيت . وأعظم أقسامها :

(١) حرب مازندران . (٢) وحرب هاماوران . (٣) وقصة سهراب . (٤) وقصة سياوخش . وفي كل قسم من هذه عناوين كثيرة سأذكرها في مواضعها .

مازندران

مازندران وطبرستان اسمان لاقليم واحد يقع بين جبال ألبرز وبحر قزوين من الجنوب والشمال، وبين جرجان وجيلان من الشرق والغرب . وجبال ألبرز شائعة يتجاوز بعضها خمسة آلاف متر علوا، وسفوحها الشمالية مغطاة بالغابات الكثيفة إلى علو ألفي متر . وتكثر فيها أنواع النماكة . ويتعلق الكرم البري بالأشجار، ويمتد من شجرة إلى أخرى ناسجا عُرشا طبيعية .

(١) ك : أمروا . (٢) ك ، كو ، طا : وتبه .

(٣) نزهة : ص ٣٩ و ٥٩ ، وقارص نامه ص ٤١ ، وأوراق أسبوية ص ١٥١ الخ .

شاهد الملك متربعا (١) على سريره الباهر، مطرقا كالهزبر الصاحب^(١١) تكلم مفتحا بالدعاء والثناء عليه . ثم قال أيها الملك : إنا رأينا قبلك الملوك ، وبلغتنا أخبار الملوك^(٢) فلم يبلغنا أن أحدا منهم تعرض لبلاد مازندران . لكونها مأوى الشياطين ، ومواطن السحرة ، ولا سبيل إلى فتحها بالسيف والسيان ، ولا بكنوز الفضة والعميان . ولعل الأصوب أن يرجع الملك عن هذا العزم ويضرب عنه صفحا ، ويطوى دونه كشفا . فقال له الملك : إنه لا غناء بنا عن رأيك الصائب وفكرك الثاقب . ولكن لا يخفى أنا أكثر رجالا ، وأوفر مالا ممن ذكرت من الملوك الذين لم يجاسروا على قصد مازندران . وليس لنا بد من قصدها والتغلب عليها . وكأنك وقد بلغك تملكا أقطارها ، وتوغلتا ديارها . فكأن أنت ووليك رستم جلسي^(٣) ممالك متيقظين في حراستها وحيايتها . والله تعالى ناصرنا ويمكن من عدونا . فاذ لم نكلفك التجشم لمعاضدتنا ومعاونتنا فلا تشيرن علينا بالتبسط عن أمرنا . قال : فلما سمع زال مقالة الملك هذه علم أنه تائه في غوايته ومترد في مهاوى عمايته . فقال له : أنت الملك ونحن العبيد الناصحون لك . ولا بد لنا من امتثال أوامرك واتباع مراسمك . سواء كنت على حق أو على باطل^(٤) . غير أنا أشرنا

= وهواء مازندران رطب ومطرها غزير . وهواؤها وخم لكثرة مستنقعاتها قرب الساحل . يقول ياقوت : "وهي كثيرة المياه، متهذلة الأشجار، كثيرة الفواكه . إلا أنها غيفة ونعمة ، قليلة الارتفاع ، كثيرة الخلاف والتزاع" . ولهذا يصاب أهلها بالحمى والرثية وأمراض العين . وهواء البطائح يبيض أجسامهم ولذلك سمو — فيما يقال — الجن البيض^(٥) . وهم على هذا أقوياء شجعان . وهم خير الجند الإيراني . ويقول ياقوت : "إن أهل تلك الجبال كثيرو الحروب وأكثر أسلحتهم بل كلها الأتبار حتى إنك قل أن ترى صعلوكا أو غنيا إلا ويده الطبر صغيرهم وكبيرهم" .

وفيهما كثير من السباع مثل النمر والفهد والذئب والذئب .

والطريق من إيران إلى مازندران شعاب قليلة وعرة ضيقة عالية . فالطريق السائرة إلى مازندران شرق طهران على مسيرة سبعين ميلا منها ليست إلا شعبا سعتة أذرع قليلة ، يسيل الماء على جوانبه ، وينفسح أحيانا عن أودية ومغارات . وكان متصيد ملوك إيران إلى عهد قريب . وهناك طريق أخرى قرب فيروزكوه وأخرى من استراباد^(٦) .

(١) في الشاهنامة « جالا » وقد جرى المترجم على المهود في الكتابة العربية . ولست ترى في الصور الفارسية الملوك أو غيرهم مترعين . بل يجلسون جلسة تشبه جلسة المقتد في الصلاة .

(١) ك ، كو ، طا : المأصر . (٢) ك : أخبارهم . (٣) ك ، كو ، طا : ولم . (٤) ك : و (لا) .

(٥) ك ، كو ، طا : حلي . (٦) كو : أم وهو الصحيح لغة . (٧) وذر (Warner) ج ٢ ص ٢٧

(٨) = ص ٢٨

عليك بما علمنا، وأظهرنا عندك من النصيحة ما أضمرنا . والآن فلا زلت بك القدم، ولا اعتراك فيما هممت به الندم. ثم ودعه وخرج. ولحقه الملوك والأمراء مثل بهرام وطوس وجودرز وجيو. واعتذروا إليه مما ناله لأجلهم من وعاء سفره. فودعوه وأخذ زال على طريق سيستان واجعا إلى بلاد زابلستان.

ذكر مسير كيكائوس إلى بلاد مازندران

قال : فامر الملك كيكائوس جودرز وطوسا بأن يحزا العساكر إلى مازندران . ثم سار إليها بعد أن استخلف ميلاد في أرض إيران وسلم إليه الخاتم والتخت . وقال له : إن نبغ لك عدو فاختط سيف الانتقام، وكن معتصدا برستم وأبيه . ثم توجه في جموعه يطوى المهامه والقفار حتى وصل إلى موضع يأوي إليه الشياطين . فقتل فيه وأمر جيو بن جودرز ، وكان أحد الفرسان ، بأن يركب في نخب الأجناد، وأسودها الأجناد، ومن يستصلح لفتح البلاد . وعهد إليه بقتل كل من يراه من أهل تلك الديار، وألا يبقى على أحد منهم . فشد عليه منطقته وسار حتى نزل على باب مدينة مازندران وجعل يقتل كل من يرى منهم من صغير وكبير، ويشن عليهم الغارات ويحرق الديار وينهب

= ومن أجل هذا امتنعت مازندران على الفاتحين ، ولم تخضع كلها لسلطان الخلفاء إلا بعد زهاء مائتي سنة من فتح إيران . وقد لقي المسلمون في جبالها ودروبها شداثد . وقد سار إليها مصقلة بن هبيرة بأمر معاوية "ومعه عشرون ألف رجل فاوغل في البلد يسبي ويقتل . فلما تجاوز المضيق والعقاب أخذها عليه وعلى جيشه العدو عند انصرافه فخرج، ودهدهوا عليه الحجارة والصخور من الجبال فهلك أكثر الجيش ، وهلك مصقلة" .

وكأنه من أجل هذا سمي أهلها جنا في الشاهنامه وفي الكتب الدينية من قبل . ففي الأستاق يوصف الملك سُروشا بأنه يحارب كل يوم وكل ليلة جن مازندران ، ويذكر الملك هوشنك مقربا إلى بعض الآلهة قائلا أن يؤيد حتى يحطم ثلثي شياطين مازندران . ولا تزال كلمة جنى (ديو) لقبا بين كبراء البلاد. ويظهر من "دينكرد" أنهم كانوا يسكنون الكهوف، وكانوا ذوي عادات قدرة .^(٨) قديم القارئ في طبيعة مازندران ومضايقتها وغاباتها وطباع أهلها ما يفسر بعض الأساطير التي في هذا الفصل؛ فحبس كيكائوس وجيشه في الظلمات، وإمطار الحجارة عليهم من السماء يشبه =

(١) ك : مما . (٢) ك : ونجه . (٣) ك : وجيو (لا) . (٤) ك : طا : ناوى . (٥) طا : يجد .

(٦) ياقوت : طبرستان . والبلدان ص ٣٠٧ (٧) أفستا، ج ٢ ص ١٦١ و ٢٥١ (٨) ورز (Warner)

الأموال . فرأى المدينة كأنها جنة الفردوس روتقا ونضارة وبهجة وطلاوة ؛ فيها من الوصاف الحسن ، وملاح الغلمان ، والدخائر والأموال ما لا يضبطه ضابط ولا يحصره حاصر . ولما وقف الملك كيكائوس على ذلك استطاب المكان ، وقال : لقد صدق من قال : إن بلاد مازندران تضاهي الجنان . فأمسكوا عن الفارة بعد أسبوع^(١) . وانتهى الخبر الى ملكهم بدخول عساكر إيران الى ممالكهم وإفسادهم فيها . فأطرق واجبا وحار في أمره . وكان عنده جنى موصوف بالدهاء والذكاء ، يسمى سنجه . فأمره بأن يطير مبادرا الى ملك الجن الذي كان يسمى سيذ ديو (١) ويعلمه بصنيع كيكائوس ذلك ، وبأن يقول له : إنك إن توايئت عن إغاثتنا لم يبق من هذه الممالك عين ولا أثر . فوصل سنجه الى ملك الجن وشرح لديه الحال وأدى الرسالة . فقال قل للملك مازندران : لا بأس عليك . فيها أنا . مقبل كالليل البهم البهم ، ومورد هجمة المنون عليهم . فلما دخل الليل قصدهم سيذ ديو في جنوده ، وأطبق عليهم إطباق السحاب المطبق ، وملأ بالظلمات جميع تلك الأقطار حتى صارت الأرض عليهم كأنها بحر من القار (ب) فأصبح الإيرانيون وكأنهم لم يصبحوا لاستمرار ذلك الظلام الدجوجي عليهم . فنصار بعضهم لا يرى البعض . وأظلمت عين الملك كيكائوس فكان لا يبصر شيئا . وكذلك

ما أصاب القائد المسلم مصقلة بن هيرة . والطريق التي سلكها رسم تشبه أن تكون أحد الشعاب الخيفة التي تؤدي الى مازندران محترقة جبال ألبرز . وكذلك قتل الجنى الأبيض في الكهف ، يحتمل أن يكون نرافة نشأت من مقالة جماعة لاجئين الى غار . وهلم جرا .

ثم قصة حرب مازندران في الشاهنامة تنقسمها الفصول الآتية :

- (١) قصد كاوس مازندران . (٢) نصح زال كاوس . (٣) ذهب كاوس الى مازندران .
- (٤) رسالة كاوس الى زال ورسم . (٥) سبعة الخطوب التي لقيها رسم الأول : عراك رخش والأسد . (٦) الثاني : مصادفة رسم ينبوعا . (٧) الثالث : حرب رسم والتنين .
- (٨) الرابع : قتل رسم امرأة ساحرة . (٩) الخامس : وقوع أولاد في أسر رسم .
- (١٠) السادس : حرب رسم وأرزنك الجنى . (١١) السابع : قتل رسم الجنى الأبيض .
- (١٢) رسالة كاوس الى ملك مازندران . (١٣) مجيء رسم الى ملك مازندران برسالة .
- (١٤) حرب كاوس وملك مازندران . (١٥) رجوع كاوس الى إيران وتسريح رسم .

(١) سيذ ديو أى العرير الأبيض . (ب) في الشاه : وأمطر عليهم من السماء حجارة ونضالا فعزقوا الخ .

(١) في الأصل : فأمسكوا عن الفارة . وبعد أسبوع انتهى الخبر الخ . وقد غيرت العبارة أحيانا للشاه والقصص كـ : كور ، طا .

أكثر عسكره . ثم بسطت الجن فيهم يد الأسر والنهب حتى استولوا على جميع خزائهم (١) . وتركهم سبيذ ديو في ظلماتهم ، وكل بهم اثني عشر ألفا من الشياطين ، وسلم تلك الخزائن والأموال والخيول والبغال الى أرزنك صاحب الجيش ، وأمره أن يحملها^(١) الى ملك مازندران . وقال : أعلمه أنا قد استأسرناهم ، وتركناهم محبوسين حيث لا يرون قرا ولا شمس ، وكأنما صارت الأرض عليهم رسما . ولم تقتل منهم أحدا يعرفوا مقدارهم ، وليعتبر بهم من وراءهم فلا يتجاوزوا ديارهم . ففصل أرزنك الى حضرة الملك بالأسارى والفتائم والأموال والذخائر . قال : فتعد كيكلوس نذيرا الى زابلستان ليعلم دستان بما جرى عليه ، ويخبره أنه اذا ذكر موقعته ونصبته تصاعدت زفراته ، وتبادرت عبراته ، وأنه راج أن ينشئه ، ويشد خلاصه وسطه . قال : فلما أتى الرسول دستان وأخبره بذلك كاد أن يتزق غيظا وينفطر أسفا ، فأقبل على ولده رسم وقال : لقد انقطع الوصال بين السيوف وأغمادها ، ولم يبق ركون الى نوم ولا قرار حيث وقع الملك كيكلوس بين أشداف النعابين ، وعم الإيرانية ما عم من مكائد أولئك الشياطين . فأسرج رخشك ، وجرّد سيفك ، وأغث الصريح . فأتى الفارس الذى إن حارب البحار صارت دماء ، وإن كالغ الجبال عادت فضاء . وليس ينبغي أن يطعم معك فى الحيوة أرزنك وذلك الجنى ولا ملك مازندران . فانهض اليهم ودق رقابهم بالحرز الثقيل ، والسيف الصفيق . وقدأمك طريقان : أحدهما أبعد شقة وأطول مسافة وهو الذى سلكه كيكلوس . والآخر أكبر معرة وأوعر حرة وهو مسيرة أربعة عشر يوما . وهو مشحون بالشياطين والسباع والسراحين . فاسلك هذا الطريق فان الله معك . وسقطعه رخشك ويطويه لك ، وسأقوم بعدك آناء الليل ساجدا لله تعالى ومبتلا أسأله أن يقز عني بعودك ولقائك ، ويمنّ على بطول بقاءك . فقال رسم سأشد وسطى للانتقام وأجعل نفسى فداء الملك المأم . وأكسر طلسمات أولئك السحرة . ولا أبقي من أهل تلك الديار إنسيا ولا جنيا . ثم إنه لبس السلاح وركب كآته فيل على فرس . فشيعه أبوه دستان الى وادى روزابه ثم ودعه مترددا فى أمره بين اليأس والطعم .

ذكر مسير رسم هذا

قال : ففصل رسم عن حدود نيم روز يسير فى كل يوم مسيرة يومين ، ينسحب الليل نهارا ، ولا يعرف نوما ولا قرارا . قال : فاشتت نفسه الطعام يوما فعرضت بين يديه صحراء مملوءة بأسراب البعافير . فركض رخشه خلف غير منها ورمى بالوحق فى حلقه فبطعه ، وأخرج نشابة ،

(١) حذف نزع الشيطان الأبيض الملك كيكلوس على إنداده على حرب مازندران .

(٢) ك ، كو ، ط : يحملها . (٣) ط : أعلمه أنا .

وقدح بنصلها نارا ، وشوى العير . ثم أتى على لجمه أجمع . وخلع لحام فرسه وأرسله يرمى في أجمة
كانت بين يديه . ثم نام تحت قصب هناك . فلما مضت طائفة من الليل خرج سبع فرأى
رستم ممتددا كأنه ركن جبل ، ورأى رخشه كأنه ثعبان . فأقبل نحو للفرس ليفترسه فوثب الفرس
وضرب بيديه على أم رأسه ففلق هامته ، ومزق جلده ، وتركه طريقا تكباء مقوّض . فلما انتبه
رستم رأى ذلك فعلم أنه من صنيع رخشه . فأقبل عليه ومسح بيده غزته ، وقال : لو انتبهت لكفيتك
هذه المقاتلة . ثم لما طلعت الشمس قام وغمز ظهره وأسرجه وذكر الله تعالى وركبه . وكان
يسير بفرض دونه طريق قائم الأرجاء فسلكه . فلما قام قائم الظهيرة ، واشتد الحر عطش هو
وفرسه فغلبه الأمر حتى ترجل وجعل يمشي كأنه سكران . ثم رفع رأسه الى السماء ، وبسط يده بالدعاء ،
وزاد به الأمر حتى وقع على رمضاء ذلك الفضاء يلث من العطش . فبينما هو على ذلك إذ سحنت
له غزالة فقام وأخذ السيف وتبع أثرها . فما سار إلا قليلا حتى وقع على عين خراة . فكرع فيها
وشرب وعادت نفسه اليه . فخر في ذلك المكان ساجدا لله تعالى ثم أقبل على الغزالة يدعو لها ويقول :
لا زلت يا غزالة الريف تفتين الى الظل الوريث ، وتكرعين في الزلال المعين ، وتثقلين بين الورد
واليامين . وأيمما قوس راعك إنباضه فلا زالت منقطعة أوتاره . فانك سددت رمقي ، وشفيت
غلي . قال : ثم نحى السرج عن رخشه ورحض حواركه وأكفاه . ثم توجه يطلب الصيد فاصطاد
حمار وحش ، وأوقد نارا وألقاه عليها حتى تضج ، فتناول لجمه . ثم رجع الى العين وشرب من مائها .
وجنه الليل فتمتد ونام ، والفرس يسرح في مرعاه . فلما توسط الليل جاء ثعبان هائل كان يأوى
الى ذلك الموضع . فلما رآه الفرس عاد نحو رستم وأخذ يضرب بمخوافه الأرض حتى انتبه . فقام
ونظر يمينا وشمالا فلم ير شيئا . فزجر الفرس وطرده وعاد الى نومه . فلم ينشب أن عاد الفرس يضرب
الأرض حتى إنها تسق تحت سنابكه . فانتهى وقام وجعل ينظر أمامه ووراء فلا يرى شيئا . فطرد
الفرس بجفوة وعنف ونام . فما استغرق في النوم حتى أناه راكضا جريا . فقام فرأى ثعبانا ينتفس
فيحرق جميع ما حوله من الحشيش . وأخذ السيف ^(١) وأقبل نحوه فتعلق أحدهما بالآخر وطال بينهما
القتال . وكاد الثعبان يغلب رستم . فلما رأى رخشه ذلك حمل على الثعبان فعضه عضه اترع بها
كتفه (١) ، وشق جلده . فانقلب الثعبان ، واستعل عليه رستم فآلقه السيف . فخر صريعا وجعل
دمه يجري جريان السيل . فلما رأى ذلك دعا الله عز وجل وشكره . وجاء الى العين فاغتسل منها ،

(١) لا يستغرب القارى ذكر « الكف » ها . فالثعبان ها تين خرافى . ولذلك ذكرت في الشاه محاورة بينه وبين
رستم قبل الحركة .

(١) ك ، كو ، ملا : فذكر . (٢) ك : فأخذ .

وأمرج الرخش وركبه . وركب من الطريق سائرا نحو مقصده . فلما زالت الشمس وصل الى أرض شجرها معشبة تندفئ مياهها على الرضاض ، وتنبسب أنهارها بين الرياض . فوجد عندها جاما من الرحيق مجرا كذئب العقيق ، وغزالا مشويا ، وأرغفة وملحا . وكان المكان للسحرة ، فطلع رستم وقد جلسوا على طعامهم . فلما رأوه تركوه وفتروا . ففعد وأكل من طعامهم حتى شبع . ورأى هنالك عودا فأخذه وجعل يضرب به ويفنى بما ترجمته نظلا :

نصبي من الأطراب قل وإني^(١)
رجيئ دماء الكاشحين أريقها وأقداحها وقت الصبوح الجمجم

فسمعت امرأة ساحرة غناء . فترينت له وتبرجت وجلست اليه تسايهه عن حاله ، وتستخره عن حله وترحاله . ثم إن رستم ذكر الله تعالى تفسيرا وجه الساحرة واسود . فلاحظ ذلك منها رستم فرمى بالحبل في حلقها ، وأوثقها فباتت في القيد عجوزا شوها . فاخترط السيف وقدها بنصفين . وركب وسار في طريقه حتى وصل الى طريق مظلم قد تراكم ظلماته ، وتدانت أرضه وسماؤه . حتى ليس يرى فيه شمس ولا قمر ، ولا نجم ولا شجر . فأرعى عنان فرسه ، وخاض لجة تلك الظلمة ، وسار يخط خط عشواء حتى خرج الى الضوء . فرأى أرضا مخضبة مخضرة الأرجاء والأكاف^(٢) . فطلع لحام فرسه وأرسله يرعى في فصيل هناك . فالتى مغفره ، وخلع خفثانه لابتلاله بالمرق ، وبسطه في الشمس ، واتكا يستريح . فجاء ناطور تلك الصحراء ، وصاح على رستم ، وضرب عصا كانت معه على رجله . وأمره أن يمسك فرسه عن الزرع . فقام وأخذ بأذنيه وأقلعهما من أصولهما . وكان ملك تلك الناحية يسمى أولاد . وكان قد خرج الى الصيد في ذلك اليوم . فحمل الناطور أذنيه يبدو هاربا الى أولاد ، وقص عليه القصة . فثنى عنانه وأقبل فيمن معه من أصحابه نحو رستم . فلما رآه رستم من بعيد ألجم رخشه ، وعلاه ، وانتضى صمصامه ، وانحنى نحوه . فلما تقاربا ناداه أولاد وقال : من أنت ؟ ومن أين أقبلت ؟ وكيف تجاسرت أن تطل هذه العرصة ؟ فقال له رستم : أنا الذى اوتقش اسمي على الأرض لأثبت سيوفنا وأسنة . وإن مر ذكرى بسمعك أقطع نفسك ، وجد في قلبك دمك . وإن كل أم تلد مثلك فلست أسميها إلا نائمة نكلى . أنترض بين يدي أصحابك ، وتوعدنى ببأسك ، وتكلى بقوة مراسك ؟ ثم حل عليهم ووقع فيهم كما يقع الأسد الهائج بين قطع النعم . فتساقطت رموس أصحاب أولاد تساقط ورق الشجر أيام الحريف إلا من تفرق منهم بين الأودية والشعاب . وهرب أولاد فركض رستم خلفه حتى إذا دنا منه رمى بالوهق في حلقه ، وقبض

(١) ط : قانما . (٢) كو : مشبة الأكاف .

عليه، وشدة وثاقه، وطرحه مقيدا بين يديه . فقال له إن صدقت فيا أسماك^(١) عنه ، ودللتني على مستقر "سبيذ ديو" يعني ملك الجن ، وعلى مواطن كولاذ ، وبيد وتقدمت بين يدي ، وأوصلتني الى الموضع الذي حبس فيه كيكالوس ولينك بلاد مازندران ، وسلمت اليك ممالكها أجمع . فقال : إن أعطيتني الأمان على روحي ، وعاهدتني على ذلك أطلعتك طلع هذه الأحوال ، وأفضيت إليك بمجرها وبمجرها ، ودللتك على المواضع التي سالتني عنها . ففعل ذلك رسم . فقال له : إن ينك وبين الموضع الذي حبس فيه كيكالوس مائة فرسخ . ومن عنده الى مستقر ملك الجن مائة فرسخ أخرى . وفيه جبال شائعة وأودية غائرة . فقال : دلني أولا على موضع كيكالوس . فتقدمه وسار لا يستريح ليلا ولا نهارا حتى وصل الى جبل أسفروز حيث كان معسكر كيكالوس ، وحيث أحبط به وقبض عليه . فلما انتصف الليل سمع صياحا عظيما ولغطا كثيرا ، ورأى نيرانا موقدة ، وشموعا مشتعلة . فسأله عن ذلك الموضع . فقال : إن هذا باب مدينة مازندران . وعليها قواد ملك الجن في عساكرهم ، مثل كولاذ ، وأرزنك ، وبيذ . وهم لا ينامون ثلثي الليل . قال : فنام رسم . فلما طلعت الشمس شد وثاق أولاذ ، وربطه بشجرة من تلك الأشجار ، ولبس سلاحه وقصد أرزنك . فلما قرب من عسكره صاح صيحة ارتجت لها الأرض . فوثب أرزنك الجنى ونرج من خيمته . فحمل عليه رسم ، وأنشب برأشه في عنقه ، واقطع رأسه ، وحلق به فوقع مضرجا بدمه بين أحبابه . فلما رأت الجن ذلك خافوا وتفرقوا بعد أن وضع رسم فيهم السيف وقتل منهم خلقا كثيرا . ثم لما زالت الشمس ثنى عنانه وعاد الى سفح جبل أسفروز . فخل أولاذ وسأله عن الموضع الذي حبس فيه كيكالوس . فتقدمه راجلا يده على الطريق حتى دخل المدينة . ففصل رخشه كصوت الرعد فسمع كيكالوس صوته ، وعرف بذلك قدوم رسم . فبشر بذلك أحبابه . فدخل رسم في الحال عليه ، وخر ساجدا بين يديه . فعانقه كيكالوس وأكرمه ، وسأله عن أبيه دستان ، ثم عما قاساه من التعب والمشقة في طريقه ذلك . ثم قال له : اهتبل غرة سبيذ ديو وأهجم عليه قبل أن يتبى اليه الخيل بقتل أرزنك فيحشد جنوده ، ويجمع جيوشه فلا تطيق مقاومته . وإن قدامك في الطريق اليه سبع جبال شواحق ، وعلى كل مرصد خلق من عساكره وجنوده . فإذا جاوزت الكل انتهت الى مفارة عميقة هائلة مظلمة قد حفت مراصدها بالشياطين . وقمر هذه المفارة مستقر سرير سبيذ ديو . ولعل السعادة تظفرك به فتقتله وتشتق خاصرته وتخرج كبده . فان الطيب ذكر لي أني إذا اكتنحت بدم كبده رد الله بصري^(٢) . فذهب رسم لذلك وركب ومعه أولاذ يتقدمه ويده

(١) ك ، كو : أسماك . (٢) ك : على بصري .

على الطريق . فتجاوز الجبال السبعة ، ووصل الى قرب المغارة . فأقبل على أولاد وقال : لقد صدقني في جميع ما استخبرتك عنه . فالآن دلي على هذا الجنى . فقال : إن الجنى إذا حيت الشمس ناموا فلا يبقى على باب المغارة إلا قليل من الحراس فتهم عليه في ذلك الوقت وتأخذه . قال : فلبث قليلا حتى ارتفعت الشمس . ولما كان وقت الضحى شد وثاق أولاد وربطه ببعض الأشجار ، وركب وتقدم غمرات أرساد الشياطين يضرب رقابهم يمينا وشمالا حتى وصل الى باب المغارة فوجدها محشوة بالظلمات . فاقحمها برخشه فحجبت الظلمة نظره . فسح بالماء عينه ، وهبط في المغارة يطلب مستقر سريره حتى وصل اليه . فرأى وجها كالليل البهيم يتلهب كالنجم ، وشعرا أبيض قد تسعث على رأسه . فلما رأى رسم وشب اليه فرغ رسم سيفه وضربه ضربة طير بها رجله . فتملق مع جرحه برسم يتقارعان ويتقاتلان . فغلبه رسم ورماه الى الأرض قتيلًا ، وسل خنجرًا من وسطه وشق عن خاصرته ، واستخرج كبده . قال : فامتألت تلك المغارة بدمه ، وانسد الطريق لعظم قلبه وجسته . وخرج رسم مظفرا منصورا وجاء إلى أولاد ، وحل رباطه ودفع اليه كبدة الجنى . وقمنه بين يديه وهو يسير وراه . فقال له أولاد : أيها الأسد المقدم إنك قد سخرت علما من العوالم بسيفك ، وأدركت ماشئت بياسك . وقد وعدتني بشيء يتقاضاه رجائي . ولا يليق بمثلك نقض العهد وإخلاف الوعد . فانك المتوفر على رعاية الذم والمتنى الى شجرة الوفاء والكرم . فقال : سأسلم اليك جميع ممالك مازندران . ولكن بقى أن أملك ناصية ملكها وأفنى أصحابه وأبند جمعه . ثم لا أجد عما عاهدتك عليه إلا أن أموت فيواري التراب . قال : فلما عاد رسم الى حضرة الملك كيكاوس . قال : أبشر أيها الملك بهلاك عدوك . فاني قد قتله واستخرجت من خاصرته كبده . فشكره الملك وأثنى عليه وعلى من نجله . ثم اكتحل الملك بقطرات من دم الكبدة فعاد بصره . وجرى تحت من العاج وتاج من الذهب ، فاعتصب وجلس على التخت . ولبث مع رسم وسائر الملوك والأمراء مثل طوس وفريز وجودرز وجيو وهرام وجرجين أسبوعا يتراضون السرور والطلب . ثم ركبوا في اليوم الثامن أجمعين ، واستلوا أسياهم ، وانتشروا في مدينة مازندران ، ووقعوا فيها وقوع النار في القصباء ، يحرقون الديار ، ويقتلون الرجال ، وينهبون الأموال . ثم قال كيكاوس لعسكره : لقد مكنا منهم يد الانتقام وجرناهم بسوء صنيعهم صاعا بصاع . والآن نكف عنهم يد القتل ، ونرد عنهم عادية النهب ، ونرسل الى ملكهم ونوقفه من سنة غفلته ، ونخوفه وحامة عاقبة غرته . فوافقه رسم على ذلك .

(١) ك : تخرج .

(٢) ك ، ط : تلك الكبدة .

(٣) ك : يتراضون دؤ السرور .

ذكر ما جرى بين كيكائوس وملك مازندران من المكاتبات وما أفضى اليه الأمر

قال : فدعا بالكاتب وأمره فكتب بالمسك على الحرير الأبيض كتابا صدره بالحمد لله والثناء عليه، وذكر فيه طرفا من المواعظ والنصائح . وأعقب ذلك بأمره إياه بالمبادرة الى حضرته، وقبول الخراج والجزية، وأنه إن تقاعد عن ذلك لم ير إلا ما حل بالجنى من التنكيل والقتل والأسر والنهب . وملأ الكتاب إعذارا وإنذارا . ودعا رجلا من أصحابه يسمى فرهاد، وكان من وجوه الملوك وأعيانهم، وأمره بحمل الكتاب الى ملك مازندران . فقبل الأرض وتناول الكتاب وركب حتى أتى على مدينة يقال لأهلها دُوال باي (١) وكانت هذه المدينة مستقر سري الملك . فلما أخبر بقدوم الرسول أمر أسود رجاله وأبطال عسكره بالركوب لاستقباله . وقال : لا تتركوا اليوم شيئا من آداب فروسينكم ودلائل رجوليتكم إلا أظهرتموه . فلقوه كذلك بوجوه مقطبة وشفاة مهتلة، وقبض واحد منهم على يد الرسول، على الهيئة التي اعتادوها في إظهار القوة والإدلال بالشدّة، وعصرها فسا تغير وجهه ولا اصفر لونه . بلغوا به الى خدمة الملك . فلما دخل عليه سألته عن الملك كيكائوس أولا ثم عما لقي من مشاق السفر ثانيا . فوضع الكتاب بين يدي الكاتب . فلما وقف الملك على الحال وما فيه امتلأ قلبه غيظا، وانكسر ظهره بقتل ملك الجن وأمرائه . فقال قل لكيكائوس : إني أرفع منك شأنا وأعز سلطانا . وإن حوالى ألوف ألوف من العساكر الذين حيث توجهوا لم يبقوا حجرا ولا مدرا . وإن على بابي ألعا ومائتين من القبيلة التي ليس على بابك منها فيل واحد . وسأهم بها عليك وأتل عرشك . فلما سمع فرهاد كلامه، ورأى خشوته وطفياه اجتهد في تحصيل جواب الكتاب، وانصرف راجعا الى صاحبه . ولما وصل الى حضرته أفضى اليه بجميع ما رآه وسمعه . فقال عند ذلك رسم : من الواجب أن أكون أنا الرسول اليه وأستصحب منك اليه كتابا كالسيف القاطع ورسالة كالسحاب الراعد . أوّدي الرسالة في نادية، وأفيض بها سيول الدماء في واديه . فاستصوب الملك هذا الرأي وأمر الكاتب أن يحيب ملك مازندران عن كتابه، ويكتب أن مثل هذا الخطاب يستعجن من ذوى الألباب . ففرغ دماغك من الفضول، وبادر الى حضرتنا واقفا على قدم المثل، وأنت إن خالفت هذا المثال ملأت الأرض بالجيوش وجررتهم الى حربك . ولعل روح ملك الجن تبشر النور والذئاب بأشلائك . ولما ختم الكتاب استعد رسم وسار حتى قرب من ملك مازندران .

(١) في النسخ : الى مدينة فيها « نرم باي » . وكل اسان هناك له رجلان من الجند فذلك سوا هذا الاسم . فقد وضع المترجم «دوال باي» ومعناه ذوال الرجل الجندية . مكان « نرم باي » أى ليس الرجل . وفي النسخ : أوّل هذا الفصل ما يدل على أن « نرم باي » اسم قبيلة من قبائل مازندران .

فاخبر بأن رسولا جاء كالمزير العقبان . فأمر قزاد الجن ونخب فرسانهم وأنجاد شعبانهم باستقباله وتلقيه . ولما وقعت عين رسم عليهم قطع شجرة كانت بين يديه ورفضها كما يرفع المزارق . فقصوا العجب من ذلك . ولما قرب منهم رامها . فتلاقوا وتسايلوا . ثم جاء واحد من فرسانهم وقبض على يد رسم . فقسم رسم وعصر يده حتى تغير لونه ونخب قلبه . وأخبر الملك بذلك فدعا بجني يسمى كلاهور ، وكان أقوى عسكره وأشدّهم ، وكان كالنمر في خلقه لا يشتهي غير الحراش والحرب ، فأمره باستقبال الرسول وإظهار رجوليته له . فركب وتلقى رسم وسايله مسايلة المتنمر . ثم مّد يده إلى يد رسم فصصرها حتى صارت في لون النيل . فقتل رسم يده وعصرها حتى تساقطت أظفاره . فعاد ودخل على الملك وأراه يده ، ولم يقدر أن يخفى ما يجد من الألم . وقال : السلم خير لك من الحرب . فلا تضيق على نفسك مسالك الطريق الربح . فإنك لا تطيق مكاشرة كيكائوس ومقاومته . فإن لأن لك فالأولى أن ترضى بقبول الخراج والجزية وتقسّمها على أهل مازندران صغيرهم وكبيرهم . ووصل رسم في تلك الحالة ودخل على الملك كالبيت النائر . فأجلسه الملك في موضع يليق به ، وسايله عن كيكائوس وعسكره ، وذاك كره في عناء سفره . ثم قال : أأنت رسم ذو البرائن الشديدة والأعضاء القوية ؟ فقال : إنه السيد وأنا الغلام . وكيف يقاس بالصبح الظلام ؟ ودفع إليه الكتاب ، وبلغه الرسالة . فقرأه ثم أقبل على رسم وقال : ما هذه المخاطبة الشنيعة والمطالبة الفظيعة ؟ قل لكيكائوس : إن كنت مالك إيران وأنت أجراً من لئث خفان فأنا ملك مازندران المعتصب بتاج سلطنتها والمستقر على سرير مملكتها . وليس من رسم الأكبر أن يستنهض مثل إلى خدمتك . ففكر في نفسك ، ولا تتعرض للاستيلاء على أسرة الملوك . فانه ارتفاع يورث الانخفاض . فارجع إلى مملكك ، ولا يحدث بيدك نفسك . فاني اذا زحفت في عساكري نحوك لم تعرف رأسك من ذنبك . وإني اذا واجهتك في مآزق الحرب حسمت مادة حذتك بالصارم العضب . فنظر رسم إلى الملك وأحجابه ، ولم يوافقه ذلك الخطاب العنيف . فاضطرم غضبه ، ولم يقبل منه لا خلة ولا ذهاباً . وركب وعاود حضرة كيكائوس تغلّى مراحل بأسه ، وتشعل نائرة غيظه . فذكر له ما سمعه من الرسائل الموغرة والبلاغات الموحشة وقال : لا تستهوان ذلك وتقدّم وتأهب للقتال . واعلم أن أسودهم ورجالم أحقر في عيني من التراب . قال : ولما خرج رسم تأهب ملك السحرة صاحب مازندران للقتال ، وأمر فضرب سرادقه على ظاهرها المدينة . وبرزت عساكره وساروا فارثع من مسيرهم عجاج كسف عين الشمس ، وصار لا يرى بر ولا بحر ، ولا بين حزن ولا سهل . وكان الأرض تنن تحت مناسم

(٣١)

الفيول، وتضطرب تحت وقع سناك الخيول . وساق عساكره كذلك ولم يتلبث فوق ناقة ^(١) . فانتهى الخبر الى كيكالوس بدتو عساكر الحق . فأمر رسم أولا بالتأهب والتشمير ، وأمر طوسا وجوندرز بإعداد العدد، وتعبئة العساكر . فضرَبوا سِرادق الملك كيكالوس في الصحراء . وجعلوا طوسا في الميمنة، وجوندرز في الميسرة، ووقف الملك في القلب . وبرز رسم قدام العسكر . فتقدم فارس من أصحاب ملك مازندران يسمى جوبان (١) وكأنما يحرق الأرض بشدة بأسه، ومر على صفوف الإيرانية كأنما يشق السهل والجبل بغيره وتغيظه . وجعل يطلب المبارزة فلم يجبه أحد منهم . فأشرع رسم رجه واستأذن كيكالوس فبارزه ، وطال بينهما القتال، وتمكن منه رسم فدار من خلفه ووضع سنامه بين كتفيه فأخرجه من نحره، ورفعه على رجه كالطير على السفود، ثم رماه مضرجا بالدم صريعا للدين والفم . فتعجب أسود مازندران من ذلك، وانكسرت ظهورهم ، وأرعبت قلوبهم . فأمر ملك مازندران عساكره أجمعين بأن يشتدوا عليهم شد اللبث، ويقاتلوه قاتل النور . فارتفعت من الجانبين أصوات الكوسات والطبول، وأظلمت الآفاق بالقساطل، وارتجت الأرض بالمجافل، وأضاءت السيوف في سماء العير إضاءة البرق في السحاب المكدر، وصارت الأرض كبحر من القار تراكض سواجح الخيول فيها كالسفن . فبقوا كذلك في القتال على حالة واحدة مدة أسبوع . فلما كان اليوم الثامن ألقى الملك كيكالوس مغفره، ووضع خذّه على التراب وعفره، وجعل يسأل الله تعالى أن ينصره . ثم لبس المغفر وحضر المعركة فارتفعت أصوات الكوراء، وتزاحفت الصفوف، وتكاثفت الجوع، وجعلت سيول الدماء تتدفق بين الأودية والشهَاب من أول السحر (ب) الى مغيب الشفق . واجتمع في المعترك من جثث القتلى ما يضاهاى المضارب العالية . فتوجه رسم نحو ملك مازندران، وقصد قصده في جمع عظيم . وقد ثبت ملك مازندران في مجال الحرب متصديا للطعن والضرب في جموعه ورجاله وخيوله وأفياله . فلما وقع بصره على رخ رسم ارتعدت فرائضه واضطرب قلبه . فألقى رسم رجه، وتناول الجزر، وذكر الله تعالى، وخاض غمار الملحمة فوهت قوى السحرة فتخاذلوا وتواكلوا، وأسرع فيهم القتل حتى طرقت الأرض جثث القتلى ونحرا طيم القبلة . ثم أخذ رسم رجه فطعن الملك في خاصرته طعنة رمته الى الأرض . فسحر أعين الناس وصار كأنه قطعة جبل . فوقف الإيرانيون ينظرون اليه . ثم نزل اليه فرسانهم فما رأوا سوى صخرة صماء لا يطاق قلبها وتحريكها . فترجل رسم وتناوله بأصابعه، وكانت كبرائن السباع، فروقه على كاهله،

(١) في الشام : جوبيا . (ب) ترجم الترجيم كلمة شكير بالسحر، وهو صحيح . ولكن الكلمة تطلق على الصبح أيضا . وهو أقرب الى سياق القصة .

وسار والخلق وراءه يقضون العجب من حاله ، وينثرون عليه الجوهر والذهب . حتى انتهى الى باب سرداق الملك كيكالوس . فالتقاء وقال له : إن لم تخرج عن هذا السحر ، ولم تخلع هذه الصورة فقلتك بالمعول ، وقطعتك قطعا . فلما سمع ذلك بان مدججا في السلاح كأنه قطعة سحاب . فضحك رستم وأخذ بيده وأتى به الى حضرة الملك كيكالوس . فلما رآه الملك أمر رجلا من أصحابه كان يسمى دُرْخِيم^(١) أن يقتله (١) ويمثل به . ثم نفذ الى معسكره من يجمع الغنائم ويحصي الجواهر والذخائر . فنضدودا في تلك الصحراء بعضها فوق البعض حتى صارت كأنها الجبال . فركب وسار إليها في عساكره ، وفزعها عليهم جميعا . وأمر بقتل المردة من الجن المأسورين فقتلهم . ثم أتى مكان العبادة واعتكف فيه ، وجعل يناجي ربه ويشكره على ما وهب له من الفتح المبين والنصر العزيز . وأقام كذلك أسبوعا من الزمان . ثم خرج في اليوم الثامن وفتح أبواب الخزان ، وفزق الأموال على المحتاجين خاصة وعلى سائر الخلق عامة . ثم في الأسبوع الثالث لما انتظمت الأحوال واستتب الأمور جلس مع أصحابه في مجلس الأئس يتعاطون كؤوس الشمول متقلين باللهو واللعب . فكث على هذا أسبوعا آخر من الزمان . قال : فقال رستم لكيكالوس : إن أولاد هو مفتاح هذه الفئوح فإنه كان الهادى لى والدليل بين يدي . وهو يتسوق تفويض مازندران اليه . وقد وعدته أنا بذلك . فرجاني أن يخلع عليه ، ويعقد له اللواء ، وتكتب له عهدا بأنه ما عاش في هذه الممالك يتنقاد له الصغير والكبير ويعطيه المروس والرئيس . فدنا أكبر مازندران وسألهم عن سيرة أولاد وطريقته ، واستخبرهم عن سريره وعلايته ، وسلم اليه ذلك الإقليم . وثنى عنانه عائدا الى بلاد فارس . ولما انتهى الى ممالك إيران فرح بعوده الايرانيون وزينوا البلاد ، وأظهروا الأطراب والأفراح . فجلس الملك كيكالوس على تخته . وبادر الى خدمته الملوك والأمراء . ففتح الخزان ووضع ديوان الأرزاق ، ورتب لها كتابا وعمالا . ثم وصل رستم وجلس في خدمة الملك كيكالوس . فأمر أن تعد له خلعة رائقة ، وتخت من الفيروزج ، وتاج مرصع بالجواهر ، وثياب ممسوجة من الذهب ، وطوق وسوار ، ومائة من روقه العلامات بمناطق الذهب ، ومائة من الوصائف الصباح في وشائع الحلى والحلل ، ومائة فرس بلجم الذهب ، ومائة ناقة من الجمال السود بأزمة الذهب محملة بالديباج الخسرواني والثياب الرومية ، ومائة بكرة من الذهب ، وجام مخروط من الباقوت ملوء بالمسك الأذفر ، وجام

(١) في الشاه : أنه أمر دُرْخِيم (بكسر الدال) أن يقتله . ومعنى دُرْخِيم سي . الطبع . ويقال لجلاد أيضا . والمراد أن الملك أمر الخلا بقتله . ولكن المترجم ظن أن « دُرْخِيم » اسم رجل يعينه قهرم الجملة كما ترى .

(١) طا : درجم . (٢) ك : بأن .

آخر من الفيروز مملوء بالساورد^(١)، ومشهور من الحرير مكتوب بالمسك السحيق بتقليده ممالك
نيم روز. وقدم جميع ذلك بين يدي رستم. وأنتى الملك عليه ودعا له. فأهوى الى الأرض فقبلها^(٢)
ونخرج فنأدى في عسكره بالرحيل، وانصرف متوجها نحو ممالكه. وأقام كيكائوس على سريره ينسى^(٣)
ويأمر. وطالب عيش الناس، وعمهم الأمن والأمان، والعدل والاحسان. وأخصبت الأرض وصار
العالم كأنه بعض الجنان المتهللة بالروح والريحان.

ذكر مسير الملك كيكائوس الى هاماوران §

قال: ثم عرض الملك كيكائوس حركة ففارق سرير الملك ونخرج من ممالك ايران قاصدا بلاد انترك
والصين. فغطف الى نواحي مكران، ومنها الى بحر زره الى أن وصل الى نواحي البربر^(١) طالبا للتغلب

في هاماوران

يؤخذ من الشاهنامه أن الملك كيكائوس سار من سيستان حين بلغه أن ثائرا من العرب خرج
في مصر والشام. وأثر ركوب البحر لبعث الشقة في البر فسار حتى توسط ثلاث ممالك: مصر عن
يساره، وبربر عن يمينه وأمامه هاماوران ودونها البحر.

ظن بعض الكتاب من أن الثورة ثارت في مصر والشام أن هاماوران هي سورية، ولكن ليس
هنا مجال للظن، ففي فارس ثامه والطبرى والمسدودى أن كائوس أسر في بلاد اليمن. وذكر ذلك
أبو نواس في قصيدته التي يفخر فيها بقحطان على زرار:

وقاطع قابوس في سلاسلنا سنين سبعا وفن لحاسبها

بل يذكر اسم ملك اليمن الذى حارب قابوس، وهو ذو الأذعار بن أبرهة ذى المازن بن الرأش.
ويقول المسعودى: هو شمر بن أفرقش^(٤). ويقول الثعالبي في الفرزدق: إن هاماوران هي حمير. ويروى
في سبب ذهاب كائوس اليها ما ترويه الشاهنامه سببا لذهاب كائوس الى مازندران^(٥). وفي دارس ثامه
أنه ذهب لتأديب ذى الأذعار لعدوان كان منه.

ثم وصف الشاهنامه المتقدم يرافقه بلاد اليمن. وبربر التي تذكرنا هي بربرة على الساحل
الغربي من خليج عدن. وهذا لا يزال الخلط في جغرافيا الشاهنامه في هذا الفصل.

(١) البربر هنا غير البر الآتية. وينبغي أن تكون بعض الجهات في أفغانستان أو تركستان.

(٢) ك: بماء الورد. (٣) ك: وقيلها. (٤) ك: يأمر وينهى.

(٥) فارس ثامه ص ٤٢، والطبرى ص ٢٦٤ ج ١، ومروج الذهب ص ١٤١ ج ١ (٥) الفرزدق: ص ١٥٥

عليها فانه ملك البربر، واستعدت لحربه، ولقه في عسكر عظيم وجمع يخيل الهواء لكثرة رماحهم كأنه بعض الآجام . وانسدلت ذبول القتام انسداد جنح الظلام حتى لم يكد أن يرى الناظر يده، والفارس عنانه . ففقدوا فوجا بعد فوج الى المصاع والقراع، وأقبلوا كالأمواج المتلاطمة للدفاع . فلما رأى ذلك جودرز رفع عموده وحمل في ألف فارس من الآساد المذكورين والأئجاد المشهورين على صفوف البربر، فشق قلبهم وبثد شملهم . وكان الملك كيكالوس وراءه يضرب يمينا وشمالا، ويطردهم كالغضنفر يسوق أجالا . فنفذت جموع البربر وأضفوا كأن لم يكن منهم فارس ولا رماح . فخرج كل من كان في مدينتهم من المشايخ والكهول وأطلقوا ألسنتهم بطلب الأمان مستعيزين بغفو السلطان، وجعلوا يستنصرون اليه، ويتضرعون بين يديه، ويذلون له الطاعة ملتزمين أداء الخراج والجزية . فقبل الملك منهم ذلك، وفارق تلك الناحية، وسار حتى وصل الى نواحي المغرب وجانب جبل قاف، يتلقى الناس في كل ذلك مواكبه مطيعين خاضعين . فلما رأى سلوكهم سبيل الطاعة

= وليس بعيد أن تكون هذه الغزوة البحرية بقية محذفة من مسير دارا الأول في البحر من الهند الى إيران أو مسير اسكندر المقدوني، ممزوجة ببقايا محذفة من أعمال الفرس في بلاد اليمن^(٢) .

ومما يجدر بالناية اختلاف مؤرخي الفرس والعرب في نهاية هذه الحرب . فالأولون — كما في الشاهنامه — يروون أن رسمت قهر ملك اليمن، وأطلق كالوس قسرا . والآخرون يقولون : إن الصلح كان بين رسمت وملك اليمن على أن يطلق كالوس، ثم لا يتعرض لليمن مرة أخرى^(٣) .

ثم هذه القصة ذكرت في بعض نسخ الشاهنامه بعد هذا العنوان : ” أعمال كالوس بأرض البربر وقصص أخرى : حرب هاماوران“ . وفي بعض النسخ ”طواف كالوس في العالم، ومعاربته ملوك هاماوران ومصر والبربر“ . وفي أثناء القصة هذه العناوين :

- (١) خطبة كالوس سودابه بنت ملك هاماوران . (٢) أسر ملك هاماوران كالوس .
- (٣) إغارة أفراسياب على بلاد إيران . (٤) رسالة رسم الى ملك هاماوران . (٥) محاربة رسم ثلاثة الملوك، وتخليص كالوس من الأسر . (٦) رسالة كالوس الى قيصر الروم وأفراسياب .
- (٧) تعمير كالوس العالم .

وقد ذكر المترجم بعد قصة هاماوران بغير فصل، قصة أخرى لها في الشاهنامه عنوانان :

- (١) إضلال إبليس كالوس، وصعود كالوس الى السماء . (٢) إرجاع رسم كالوس .

وتوسلهم الى إرادته بالخضوع والضراعة صرف عنهم عثائه ، وأقبل في عساكره الى زابلستان قاصدا ضيافة رستم بن دستان . وأقام فيها شهرا من الزمان يستغل يوما باللهو والطرب ويوما بالصيد والطرده . قال : ثم لم يمض إلا قليل حتى امتدت يد التزلزل الى قواعد ذلك العلم القرد ، ونبت القتاد على أرجاء حديقة الورد ، وعاد جناح دولته مهيبا . وإن وراء كل يفاع حضيضا . وإذا استوت الشمس جنحت للزوال ولا بد من النقصان بعد الكمال (١) وذلك أنه خرج رجل من العرب أصيل^(١) يسمى دُر بيس (ب) من نواحي الشام ومصر ، ورفع راية وخلع ربة الطاعة لكيكاوس ، وأعرض عن خدمته ، وادعى الأمر لنفسه . فلما بلغ كيكاوس أنه ظهر له شريك ينازعه في السلطنة أمر بضرب الكوسات ، وارتحل عن نيم روز . فهاشت السيوف في أعمادها ، واستعدت الجيوش والعساكر واحتشدت . ثم قادها من البر الى البحر ، وأعد من السفن والزواريق ما يفوت العد والحصر . ثم ركب البحر في جميع عساكره . وإنما حاد عن طريق البر لبعده . فإنه كان مسافة ألف فرسخ . فسار في البحر حتى وصل الى مدينة من يسارها مصر ، ومن يمينها البر ، وقدامها البحر (ج) . وكانت هذه المدينة تسمى هاماوران . في كل صوب منها عسكر عظيم . فحين بلغهم إقبال كيكاوس ونخروجه عن البحر اجتمعوا وصاروا يدا واحدة فبلغوا عددا طبقوا الأرض حتى أثاروا السباع عن أخياسها ، والظباء عن كئاسها ، وكادوا يضيقون مجال العقبان في جو السماء ، ومسبح الحيتان في قعر الماء . وأقبل كذلك كيكاوس بمجنوده وجموعه فخل أن طلاع الأرض مطبق بالجواشن والدروع ، وأن السماء لكثرة الأسنة تنثر أجرام النجوم . فتراحف الفريقان ، وبرز برجين وفوهاذ وطوس من أحد جناحي عسكر كيكاوس ، وبرز شيدوش وجيو^(٢) وفولاذ (د) من الجناح الآخر فأشرعوا الأسنة ، وأرخوا الأعنة ، وطفقوا يقارعون بالدبابيس الحاطمة والعمد القاصمة . وتقدم كيكاوس من القلب الى المعترك فاحمر البأس وحى الوطيس . فلما رأى ملك هاماوران قوة الايرانية ألقي السلاح وطلب الأمان ، وتقبل خراجا ثقيلا ، والتم أن ينفذ الى الملك كيكاوس أسلحته وخيله وتاجه وتمتته ، على أن يغني كيكاوس

(١) في حاشية الأصل في هذا الموضع : وما أحسن قول ابن نابة في هذا المعنى :

فطلاب النايات لا تقصده * أول النقص آخر الازدياد

(ب) لا يذكر اسم التار في الشاهنامه .

(ج) في التاء : « حتى توسط ثلاث ممالك ، فكانت مصر على يساره وبربر على يمينه ، وأمائه هاماوران » . ثم في نسخة

مول وترجمة ورز : « والبحر في الوسط الى الجهة التي يقصدها » . وفي نسخة تبريز « وطريقه » بدل « والبحر » .

(د) في نسخ التاء التي بيدى : بهرام ، كركين ، طوس . ثم فرهاد ، شيدوش ، جيو .

(١) ك ، طا : أصيل من العرب . (٢) ك : طبق .

بينه وبين بلاده ولا يطأها بجبله . فقبل الملك ذلك منه وصالحه . فذكر ذاكر في حضرته أن له خلف
السر بنتا أحسن قدما من السرو ، ذات شعر كالسك ، تظهر كأنها جنة زاهرة ، وتبدو كأنها شمس باهرة .
وقيل له : إنها تصلح أن تكون قرينة لك . قالت اليها نفس كيكاوس . فأمر رجلا كافيا من أعيان
حضرته أن يمضي الى ملك هاماوران ، ويخطب اليه ابنته ، ويقول له : إن أكابر الملوك يرغبون
في مصاهرتنا ويتوسلون الى مواصلتنا . وكل من لا يلتجئ الى ظلال دولتنا من الملوك فلن يمكنه
الاستقرار على سرير الملك . وأنا الآن مرید مواصلتك من أجل أنه بلغني أن وراء ستورك بنتا تليق
بختنا ، لطهارة أصلها وتحليها بالخلال الحميدة والأخلاق المرضية . وعلى الجملة من وجد ختنا مثل
ابن قباز فقد اعتصم بخير لمجا وملاذ . قال فعضى السفير الى حصرة ملك هاماوران . فلما دخل عليه
انتحى الكلام وأقرأه من الملك السلام ، وأدى ما تحمله من الرسالة . فاطرق متفكرا وقال فيا بينه وبين
نفسه : إن كيكاوس وإن كان ملك البر والبحر فما لي على وجه الأرض غير هذه البنت . وهى أعز
على من روى . وإن امتنعت لم أطلق مقاومته ومنازعته . ثم أقبل على الرسول وقال إن الملك يريد
أن يأخذ منى شيئين ما لهما ثالث ؛ فإني بالمسال قوى الظهر ، وبهذه المخدرة مفرح الصدر . وما يبقى
على بعد هذين شيء . ولكن لا أخالف أمره ، وسأنفذ ما يريد انى خدمة تحته . فدعا بابنته (١)
وكانت تسمى سوزابه ، وذكر لها حال كيكاوس . ثم قال لها : إنه قد نفذ الى رسولا ، وكتب الى
كتابا يخطبك فيه ، ويريد أن ينقص بذلك نيتي ، ويسلبني نومي وقرارى . فإذا ترين وما رأيك
في هذا الأمر ؟ فقالت له إن كان ولا بد فاعلم أنك لا ترى خيرا منه ختنا . فلا تخرجن صدرك بالهم ،
ولا تقابل هذا السرور بالغم . فلما رأى ميلها الى ذلك اشتغل بتجهيزها ورتب ثلثمائة وصيفة وأربعين
عمارية ، وألف بغل ، وألف فرس وجل محملة دياجا وذهباً وأقنعا الى حضرة الملك كيكاوس .
فهبث حين رآها لما شاهد من كمالها وجمالها . ثم إن ملك هاماوران تمكن منه الهم لما جرى عليه
من كيكاوس فشرع فى الاحتيال عليه ، وأرسل اليه بعد أسبوع مضى من تجهيزه ابنته يستضيفه
ويقول له : إن رأى الملك أن يشرف عبده ، ويصير الى هاماوران ، ويتورها بجمال طلعة . وهو
فى ذلك يضممر خلاف ما يظهر ، ويريد أن يزيل احتكام النير عليه ويعود اليه الحكم فى بلده وولده .
فقطنت ابنته سوزابه لحيلة أيها وقالت لزوجها كيكاوس : ليس من الرأى مصيرك اليه . فلأنهم
يريدون أن يتمكنوا منك بهذا الطريق قصير المأذبة مندبة . فلم يصغ الى قولها وأجاب دعوة

(١) فى الفرد : أن اسمها سمدى وتسمى بالفارسية سوزانه . انظر ص ١٥٨

(٢) ك : ط : فى نفسه . (٣) فى الأصل فان امتنعت . والتصحيح من ك : ط . (٤) ك : وألف جل .

(٥) ك : أحكام .

أيها، قال : وكانت لأبيها مدينة تسمى شاهه . وهى أحسن بلاده وأطيب ممالكه . وكانت دار ملكه . فأمر أنب ترين وتزخرف لمقدم كيكائوس . فلما دخلها ترجل له ملك هاماوران في جميع أمرائه وقواده، وثارت عليه اللائى والجواهر . قال : ودخل القصر وجلس على تخت من الذهب نصب له فيه . وقد استطاب المدينة ففى هناك شهرا وملك هاماوران يحمى فى خدمته ، حتى وثق به الايرانيون واطمأنوا اليه . وكانت بينه وبين البربر مواطاة . وذلك أنه استدعاهم قبل ذلك ونهر الغدر والمكر . فينتاهم ليلة كذلك إذا هم بأصوات الكوسات والبوقات ، وبسائر البربر قد هجمت عليهم بقتة فقبضوا على كيكائوس ، ومن أصحابه على جودرز وجيوو طوس . وكانت للملك هاماوران فى قلة جبل قلعة حصينة تسمى الهواء ، وتصالح السماء . فنفذ كيكائوس وأصحابه الى تلك القلعة وسجنهم بها ، وكل بهم مائة ألف (١) من أعيان الشجمان وأسود الفرسان . وأمر فنهت^(٢) خيم كيكائوس وأخذ جميع ما فيها من الأموال والذخائر ، وفزق على عسكره . ثم نفذ عمارية مجللة مع فوجين من المختدرات وذوات (ب) الخلد ليحملن سوزابه ويردنها الى مستقرها من بيته . فلما قدمن عليها ورأتهن لطعت ومزقت ما عليها من الثياب الخسروانية ، وجعلت تبكى وتقول : هلا أخذوه وقت الحرب إذ هو يمزق قلوبهم بالطنن والضرب ! ولست أريد فراقه وإن كان تراب اللحد مسكنه وقراره . فانها مقاتلتها الى أيها . فتقدم بإنفاذها الى القلعة وإيداعها مع زوجها فى بيت واحد . قال : فاستفاضت الأخبار بغدر ملك هاماوران ، وقبضه على كيكائوس ، وخلو تحت السلطنة عن سلطان . وانتهى الخبر بذلك الى أفراسياب فتوجه فى عسكر عظيم الى إيران ، واستولى عليها ، وتفزق الايرانيون ، وتبئد شملهم . ثم إن الفتنة ثارت بين أفراسياب والعرب فقاتلهم ثلاثة أشهر حتى طارت رموس كثيرة بسبب الساج والتخت . ثم كانت الغلبة لأفراسياب فتمكن من بلاد إيران § وانجأ

§ هذه حادثة فذة يروى فيها قتال بين التورانيين والعرب فى هذا العهد . وكان التورانيون إذ ذاك يحتلون إيران ، فكانت إغارة العرب عليها مثيرة للحرب بينهما .

وهى الحادثة الوحيدة التى يؤيد فيها أفراسياب المجد الإلهى ، الذى هو منحة الايرانيين الإلهية ، فيخرج العرب من إيران . وفى الأستاق : ” ذلك المجد الذى حمله فرمكسيان التورانى حينما قتل الخبيث زينكو^(٥) . وفى بُنديش : ” كان جنى اسمه زينكو فى عينهم ، جاء من أرض العرب ليحكم إيران شهر ، وكان يقتل من نظر اليه بعينه الشريرة . فدعا الايرانيون فرسياف الى بلادهم فقتل زينكو هذا^(٦) .

(١) فى الشاه : ألف فقط . (ب) كذلك فى نسخ الترجمة . وفى الشاه « فوجين من المحجبات » .
 (١) ك : ثر . (٢) ك : بنب . (٣) ك : طا : انطودر . (٤) ك : طا : بمرودة .
 (٥) أمضا ، ج ٢ ص ٣٠٧ (٦) وذر (Warner) ج ٢ ص ٨١

أكثر الإيرانيين إلى زابلستان، واستغاثوا بصاحبها رستم بن دستان، وقالوا: إنك ملاذنا في كل مكروه، ولمجونا عند كل محذور. وإنا وإن فقدنا كيكالوس فانا نتلطف على خراب تلك البلاد ومصيرها مطمع الغور والآساد. وقد كانت مستقر الملوك والسلاطين فصارت منقلب الذئاب والثعابين. فبكى رستم عند ذلك وأذرى دموعه، وقال: إني مع عسكرى على عزيمة الانتقام لللك كيكالوس، وقد تأهبنا لذلك. فإذا فرغت من أمر كيكالوس تشمرت لاستخلاص ممالك إيران من مغالب الترك، ونفتيم عنها واسترجعنا منهم.

ذكر ماجرى بين رستم وملك هاماوران

قال: ولما أتى الخبر رستم بن دستان بما جرى على كيكالوس أرسل إليه رسولا، ورسولا آخر إلى ملك هاماوران، وكتب إليه كتابا مشحونا بالإنذار والوعيد، ويقول فيه: إنك خزجت كينا على ملك إيران، وجعلت مصاهرته طريقا إلى تقض ما كان بينك وبينه من الموائيق والأيمان. والآن إن أطلقته فقد خلصت من ثاب الثعبان. وإن أصررت على اعتقاله فاستعد للقتال. فلما أناه الرسول وقرأ الكتاب، ووقف على الرسالة كان جوابه أن قال: ولعل كيكالوس لا يعتد بعد هذا خطاه على الأرض. وأما أنا فقبل عليك في عساكرى للقاء والقتال، ولست أنسج معك إلا على هذا المنوال. فعاد الرسول إلى رستم بمقالة ملك هاماوران فاستعد. وحاد عن طريق البر لبعده وسار بالمسار إلى البحر فقطع البحر بالسفن والزوارق في جنوده وعساكره إلى حدود هاماوران فخرجوا وبسطوا أيديهم في القتل والنهب، ولم يسلكوا معهم سوى سبل الحرب. فوقع الاضطراب والمهيج في تلك البلاد، وأسرع القتل في أهل ذلك السواد. فاضطر ملك هاماوران إلى اللقاء ولم يبق له زمان تلبث وتمكث. فخرج في عساكره فاستحال عليه النهار ليللا مظلمًا، ورأى من كل جانب جيشا عرمرما. فرفع عند ذلك رستم جرحه، وتوزر رخشه، وبأشر الحرب بنفسه. فلما رأوا قوة أعضاده وشدة جلاده وطارده طارت من الوجل قلوبهم، وتفترقت جموعهم. فأنهزم الملك ودخل هاماوران، وقعد مع صاحب رأيه يستشير. ثم فخذ رسولا إلى صاحب مصر، ورسولا آخر إلى صاحب البربر وكتب إلى كل واحد منهما كتابا يتضرع فيه إليه ويقول: إن بلادنا من بلادكم قريبة، ونحن مشتركون في الخير والشر، ومتقاسمون للفرح والتروح. فإن أتم عاونتموني على رستم وعاضدتموني لم يكن علينا منه

(١) ك: ذ.

(٢) ك: ط: التارطيه.

باس . وإن أعرضتم عن ذلك فإنه سوف يتخطانا اليكم ، وتطول يده عليكم . فلما أتاها الكتاب وعلمها
يحيى ، رسم في عساكره الى تلك البلاد ازنجيا وأقلا في جنودهما وعساكرهما الى ملك هاماوران .
فاجتمعوا وبرزوا للقاء في جمع مطبق للقضاء . فأرسل عند ذلك رسمه الى كيكائوس يقول له
في السر : قد اجتمع ثلاثة ملوك في عساكر ثلاثة أقاليم . وإنى إن لقبتم لم أدع منهم إلا قليلا .
لكي أخاف أن يلحقك في ذلك شر . وإذا مسك عذورا فما أصنع بمالك البربر ؟ فأجابه كيكائوس
وقال : لا تفكر في ذلك ولا تهتم به ، واستعد لحربهم ، ولا تدع منهم على وجه الأرض أحدا . فبقي
رسم من الغد عساكره . وتراخف الجمعان فحث رسم أصحابه على القتال ، وقال : لو كانوا في ألف
ونحن في مائة لم يكن علينا بأس . فإن الكثرة لا تنفي في الحرب شيئا . وقامت الحرب على ساق
حتى سالت الأودية بالدماء وتدرجت الزهوس كالأكبر في الصحراء . فحزك رسم رخشه ، وعاف
قتل رعاك المسكر ، وصمد لأحد الملوك الثلاثة فرمى بالوهم في حلقة ، واختطفه عن سرجه ، ورماه
الى الأرض . فبادر اليه بهرام وربط يديه . واستؤسر معه ستون أميرا . وقبض أيضا على ملك
البربر وعلى أربعين من قواده . فطلب حينئذ ملك هاماوران الأمان على أن يطلق كيكائوس وسائر
من معه من الأكابر والملوك . واستقر^(٢) للأمر بينهم على ذلك وتراضوا به .

ذكر الخبر عن خلاص كيكائوس من معتقله وما جرى بعد ذلك

قال : ولما أطلق ملك هاماوران كيكائوس وأصحابه حل اليه رسم ما أفاء الله^(٣) عليه من أموال
أولئك الملوك الثلاثة وذخائرهم وأسلحتهم . فجلس كيكائوس على تختة ونفذ الى سوزابه تختا مرصعا
بالجواهر مجللا بالوشائع على فرس بلجم ذهب عليه إكاف (١) أعواده من المنديل الرطب ، مزين
بالوان الجواهر . وأمرها بالمصير اليه . ثم برز في المساكر وخيم على ظاهر البلد وعددهم يزيد على ثلثائة
ألف فارس . واجتمع عليه مائة ألف من هاماوران ومصر . وانضم اليه أيضا جمع عظيم من عساكر
البربر . ثم أرسل الى قيصر ملك الروم يأمره أن يسير في آساد رجاله وأعيان قواده الى إيران لمقاتلة

(١) الصواب : سرج . وليس في النسخة "إكاف" في هذا الموضع . وفي ترجمة ورنر (Warner) أن الموجد من

الورد الرطب . ونقطة الشاه يحنل هذا وذلك .

(١) ك : وقال له . . (٢) ك : فاستقر . (٣) ك : قال .

أفراسياب، حتى يتلاحق هو به . فلما وقف قيصر على الرسالة § وعلم بصنيع رسم بيلاد مصر والبربر وملوكها نفذ فارسا جرياً الى كيكلوس، وكتب اليه كتاباً مشحوناً بما يرضيه من الكلام . وقال فيه : إنا عبيد الملك نذعن لطاعته، ونبادر الى امتثال أوامره . وكنا لما قصد أفراسياب ممالك الملك قد انزعجت لذلك، وطارت عقولنا فبادرنا الى لقائه وقتاله ، وجرت بيننا وقعة قتل منا ومنهم فيها خلق كثير . والآن حين جاءتنا البشرية بانتظام أحوال النولة الشاهنشيهية وعلو راياتها المنصورة تأهبنا في عساكرنا منتظرين وصول الخبر بانفصال الملك من تلك الجهة لنشرع الأستة في نحور أعدائه، ونبادر الى نصرته . فلما وصل الرسول بكتابيه الى كيكلوس ووقف عليه ارتضى كلامه، واستحسن جوابه . فكتب حينئذ الى أفراسياب يأمره بالخروج عن ممالك إيران ويقول له : لاتعد طورك وارجع القهقري وراءك . فإن ممالك توران كافية لك . فكف يدك عن الفضول . والأليق بك أن تحفظ روحك وتسلك سبيل الخدمة . ألا تعلم أن العالم تحت حكمنا ، وإيران ما وانا وسرير ملكنا ؟ والنمر وإن كان شديد البأس فلا يبلغ قدره أن يتوغل على السباع في الأخيـاس . قال : فلما وقف أفراسياب على كتابه اغتاض وهاج ، وأجاب عن كتابه يعيب عليه ما كتب به إليه . وقال : لو كنت مستحقاً لملك إيران لم تقصد بلاد ما زندران . وهأنا قد جئت مسارعاً الى القتال رافعاً رايات الإقبال . فبقي عند ذلك كيكلوس عسكره وأقبل مسرعاً . وفعل أفراسياب مثل ذلك ، وقال : ليس يستحق ملك إيران وتوران

§ ليس في ترجمة ورز (Warner) ذكر قيصر الروم بل يبدأ الفصل بعنوان ” إرسال كاوس رسالة الى أفراسياب ” فيقول ” لما علم العرب بما صنع رسم بمصر والبربر وملوكهما أرسلوا فارساً الى كاوس وكتبوا كتاباً الخ .

وفي نسخة مول (Mohl) عنوان الفصل : ” إرسال كاوس الى قيصر الروم وأفراسياب ” وأول الفصل خمسة أبيات عن الرسالة الى قيصر . ثم : ” لما سارت الأخبار بما صنع رسم في هاماوران وسمع فرسان الصحراء أرسلوا فارساً الى كاوس وكتبوا كتاباً الخ ” .

وفي نسخة تبرز في الفصل عنوانان : الأول : ” كتاب كاوس الى ملك الروم وتلقى جوابه ” . والثاني ” كتاب كاوس الى أفراسياب ” ولكن سياق الكلام لا يدل على أن كاوس تلقى كتاباً من قيصر بل يوافق ما في النسختين المذكورتين .

ومقتضى هذا أن قول المترجم هنا ” فلما وقف قيصر على الرسالة وعلم بصنيع رسم الخ لا يوافق ما في الشاه . فالكتاب المذكور هنا ليس من قيصر بل من العرب أو فرسان الصحراء .

غيرى . فأتى إلى أفريدون وتور ، وأستحق ذلك بالإرث أولاً وبالقوة والتغلب ثانياً . وإنى قد قاتلت العرب وهزمتهم وانتزعت تلك الممالك من أيديهم . فوصل كيكلوس من ناحية البربر ، وتلقاه أفراسياب . فقامت الحرب بينهم على ساق ، فأسرع القتل في عساكر أفراسياب حتى أتى على أكثرهم . فانهزم الباقون إلى عسكر خوزستان . وركب منها أفراسياب في القل من أصحابه وعاد إلى توران مهيباً مفلولاً . ورجع كيكلوس إلى بلاد فارس بقلد رسم السلطنة ، ومهد قواعد العدل والاحسان ، وبسط ظلال الأمن والأمان . فغذى كل صوب واحداً من أمراءه ، ورتب في كل واحدة من مدن خراسان الأربع ، وهى مرو ونيسابور وبلخ وهراة ، عسكراً . فزال الفتن ، وطابت الدنيا ، وأطاعه الجن والإنس ، وأذن له الملوك أرباب التخوت والتيجان في جميع الأقاليم . وكان يرى كل ذلك من آثار رجولية رسم بن دستان وبسالته . فولاه بهلوانية العالم . ثم إنه استسخر الجن في العارة حتى بلغ منهم المجهود ، فأمرهم بنقر الجبال ونحت الأشجار . وبنوا له موضعين واسمين في جبل البرز ونحتوا فيهما من الأشجار أوارى الدواب ، وعملوا لها سوارى من الرخام ، وسمروها بالقولاذ . وأمرهم أيضاً فعملوا له من الزجاج المرصع بالزبرجد مجلسين يرسم الأكل والنوم . وعملوا بيتين من الفضة يرسم السلاح ، وقصرا من الذهب طالبا في طول مائة وعشرين ذراعاً . وكان موضع هذه

§ في دنيكرد : أن كيكلوس بنى سبع دور على جبل البرز ، واحدة من الذهب ، واثنان من الفضة ، واثنان من الحديد ، واثنان من البلور .^(٢)

وفي الطبرى : أنه أمر الشياطين فبنوا له مدينة طولها ثمانمائة فرسخ ، وأمرهم فضربوا عليها سورا من صفر ، وسورا من شبه ، وسورا من نحاس ، وسورا من نغار ، وسورا من فضة ، وسورا من ذهب . وكانت الشياطين تنقلها ما بين السماء والأرض ، وما فيها من الدواب والخزائن ، والأموال والناس .

وهذا يشبه أساطير سليمان بن داود . ويقول الطبرى : فزعم بعض أهل العلم بأخبار المتقدمين أن الشياطين الذين كانوا يحرقوا له إنعما كانوا يطعمونه عن أمر سليمان بن داود إياهم بطاعته^(٣) . ويقول التتالي : ” وبني بابل الصرح الرفيع المشتمل على بيوت الحجر والحديد والصفر والنحاس والرصاص والفضة والذهب ”^(٤) .

(١) ك ، طا : فاستحق . (٢) وذر (Warner) ج ٢ ص ٨١ (٣) الطبرى ، ج ١ ص ٢٦٤

(٤) الفرد : ص ١٦٥

الأيبة معتدل الهواء لا يظهر أثر صيف فيه ولا شتاء . وكان جميع فصوله في طية فصل الربيع . ولا يزال الورد يتفتح في رياضه ، والأزهار تهلل في جناحه . واستراح الخلق في تلك الأيام من العناء والتعب إلا الجن . فانهم كانوا يقاسون من المشقة والعناء جهد البلاء . قال . بخلس إبليس يوما حيث ينحى على كيكائوس ، وجمع الجن فقال لهم : إنكم صرتم من يد كيكائوس في تعب عظيم وبلاء شديد . وأريد منكم واحدا خفيف اليد عارفاً بدقائق الحيل ليضل كيكائوس ويصده عن سبيل الحق . فلم يتحاصر أحد منهم على مجابته عن ذلك خوفاً من كيكائوس سوى واحد منهم . فانه قال : أنا أقوم بهذا الأمر . فتصور بصورة غلام فصيح يصلح لخدمة الملوك ، ولزم باب كيكائوس حتى خرج يوما للصيد . فدنا منه وقبل الأرض بين يديه ، وتاوله باقة ورد ، وقال : إنك بهذه السلطنة والجلالة تستحق أن تكون السماء تحتك والفلك تحتك . وما زال هذا الشيطان يستدرجه ويفويه حتى تمكن من دماغه ، ومناه الصعود الى السماء (١) . وقام ذلك بنفسه حتى نفذ الى أوكار العقبان فأخذ منها أفراسا وجعلوها في بيوت ، وربوها حتى ترعرعت ، وصارت في قوة أشبال الأسود . فأمر فصنعوا تحتاً من العود القمارى ، وسمروه بسمامير من الذهب ، ونصبوا في زوايا التخت وجوانبه الأربعة أربع حراب ، وعلقوا على كل واحدة فخذ حمل . ثم جاثوا بأربعة من تلك العقبان ، وربطوا^(١) على أجنحتها ذلك التخت ، وركبه كيكائوس . فلما رأت العقبان اللحم هششن إليه وأرتمن يطلبنه طائرات في جو الهواء حتى بلغت أعنان السماء . ثم أدركهن الضعف حين ابتل بنضج العرق فوادمهن ، فاهلبن متسكسات ، فوقعن في بعض الآجام من أرض آمل (ب) . وكيكائوس سالم لم يعطب . وكان قد سبق في قضاء الله تعالى أن يخرج من ظهره سياوش^(٢) فأنساه في أجله . قال : فلما استقر على الأرض فقد حزينا يفرح سن الندم . ثم انتهى الخبر بسلامته الى رسم وطوس وجيو فصاروا إليه . ولما حصلوا لديه أقبل عليه جودرز بسيفه ، وقال له : إن المارستان أولى بك من شارستان (ح)

§ في ديتكرد : أن نيريوس^(٣) رسول أرمزد نها لقتل كاوس فناداه روح كيخسرو : لا ينبغي لك أن تقتله يا نيريوس^(٣) . فإنك إن قتل هذا الرجل لا يكن بعد من يدمر بلاد توران . فسيولد لهذا الرجل من يسمى سياوخش ، وساولد لسياوخش أنا "خسروى" لعل الجن ملك نوران الى الفرار ثم أقتل أبطال جيشه أجمعين^(٤) .

(١) اظر الإشارة الى هذا في افتاء ، ج ٢ ص ٢٤١ (ب) في السرد : أن كاوس سقط بسيوف .

(ح) مارستان : دار المرضى . وشارستان أو شهرستان : المدينة الكبيرة .

(١) ك : درصوا . (٢) ك : متسكسات . (٣) ك : وانتهى . (٤) ترجمة ورز (Warner)

ج ٢ ص ٨١ قلا عن "نصوص هلمية" لوست (West) ج ٤ ص ٢٢٠ - ٢٢٢

مالك تعرض كل حين سريرك ومملكك لأعدائك متبعا رأيك الفاتل؟ وقد ألقيت بيدك الى التهلكة مرارا ثلاثا وأجلك الله تعالى منها . فما أيقظك ذلك ، ولا انتظت . وأول ذلك قصيدك بلاد مازندران وما لاقيت فيها من الشدائد . ثم تهجمك على ضيافة عدوك وما تم عليك من ذلك . ثم إنه لم يسلم أحد غير الله من منازعتك . ولما فرغت من أهل الأرض قصدت نحو السماء . فانظر كم وقمت ثم سلمت ، وأشفيت على الملكة ثم نجوت . فكن سالكا لسبيل الملوك الماضين ، واقتد بهم في عبودية مالك السماوات والأرضين ، ولا تمتصم إلا به ، ولا تمؤل إلا عليه . فاعترف عند ذلك كيكائوس على نفسه ، وصدق مقاتله . ثم ركب العارية وهو حليف أسف وقرين ندم . فخلا في مكان معتكفا أربعين يوما ؛ يفرخده في التراب بين يدي الله عز وجل ، ويبكي ويستغفر ، ويسأله أن يتوب عليه . وبقي منكس الرأس في المعتكف لا يخرج من فرط الحياء حتى مضى على ذلك زمان . فلما علم أن الله تعالى قد تاب عليه خرج وجلس على تحت الملكة . فأقبل الى خدمته ملوك الأقايل طائعين ومذعنين . وعادت الأيام ^(١) الى ما كانت عليه في الأول . واستراح الناس في كنف العدل وظل الأمن وادعين ساكنين .

ذكر خروج رسم للصيد الى متصيد كان لأفراسياب والوقعة التي جرت بينهما فيه (١)

قال صاحب الكتاب : سمعت أن رسم بن دستان عمل دعوة للوك والأمرءاء في موضع يسمى بردوند (ب) وكان في هذا المكان قصور عالية وعنده بيت النار الذي عمله برزين (ج) فاجتمع في هذه الدعوة من الملوك والقواد طوس وجودرز وهرام وجرجين ورجيو وكستم وزنكه ونرذاد وبرزين وكرازه مع كل واحد منهم من الفرسان المقاتلة جمع عظيم . فاستراحوا زمنا الى المناضلة والمعارفة والملاعبة بالصوالجة والأكر من مكاره الحرب وشدائدها . فاتفق أن جيون جودرز قال يوما لرسم : إن رأيت تركب للصيد ، ونستصحب الفهود والحوارج ، ونصير الى متصيد أفراسياب فنصطاد في صحراء توران اصطيدا يبقى في الصائم ذكره أبد الدهر . فوافق ذلك رأى رسم فتواعدوا على ذلك وركبوا

(١) عنوان هذا الفصل في بعض نسخ الشاه : "حرب الأبطال السبعة" وفي بعضها : "خروج رسم والأبطال السبعة الى متصيد أفراسياب" . (ب) في الشاه نوند . ونصبا : بجائي بكنام أريد "نوند" أى في مكان كان اسمه "نوند" وأحسب المترجم قرأ : بجائي بكنام أو "بريوند" أو "بردوند" . (ج) في الشاه : "حيث نصي اليوم نادرزين" . وهي إحدى نيران الجيوس المشهور .

(١) ك : على . (٢) ك : أن تركب .

من ليلتهم مدبلجين في المساكر، واستصحبوا الفهود والبزاة . وساروا حتى وصلوا الى وادى الشهد .
 وكان هناك متصيد أفراسياب . ومن أحد جانبيه الماء ومن جانبه الآخر مدينة سرخس وباديتها (١)
 وكان في ذلك الموضع صيد كثير فأكبوا على الطرد والصيد حتى أدخلوا المكان من السباع ، وأخافوا
 الطيور في الهواء . فاقاموا على ذلك أسبوعا لا يفترقون عن اللهو واللعب . فلما كان اليوم الثامن
 نبههم رستم على رأى رآه ، وقال لهم : ما أشك أن الخبر قد انتهى الى أفراسياب بتوغلنا هذه المواضع .
 فلا بد من طليعة تكون أمامنا وتحفظ الطريق . حتى اذا أحس بـ (٢) بـسـكر أفراسياب أخبرتنا وأنذرنا
 كيلا يتهمنا الخصم منا فرصة . فتجوز لذلك منهم كرازه ، واشتغل الباقون بما هم فيه من الصيد واللهو
 غير مفكرين في عدوهم . قال : وانتهى الخبر الى أفراسياب بمحصولهم في ذلك المتصيد ، فدعا أمراء
 جيشه وقواد عسكره ، وفاوضهم في أمر رستم والقواد السبعة الذين معه . وقال : لا بد لنا من أن
 نركض اليهم ونهجم عليهم . فإنا اذا قبضنا على أولئك الملوك السبعة ضاق الأمر على كيكائوس .
 وانتخب من عسكره ثلاثين ألفا من رجال الحرب ، وأمرهم ألا يفترقوا عن الركض وركب فيهم
 فأخذوا طريق البرية في أوبة القتال . وأراد سـد الطريق على رستم وأصحابه ، وقطعه عليهم لئلا يفلت
 منهم أحد . فلما قربوا رأى كرازه الذى كان طليعتهم غيارا عظيما . فعلم بأنهم عسكر أفراسياب ،
 فعطف عنانه الى مجتمع أصحابه ، وأنذرهم بـيـجيء أفراسياب . وكان رستم حينئذ يشرب مع الأمراء .
 فقال له : ما هذا الفزع من عسكر أفراسياب ؟ إنهم لو زادوا على مائة ألف ولم يكن في هذا الموضع
 غير واحد منا لكسرهم وهزمهم . فكيف وقد اجتمع هاهنا هؤلاء السباع السبعة الذين لا يثبت
 بين أيديهم أحد ؟ ثم أمر السقاء بإدارة الكؤوس . ووضع على كفه بلبلة من السلاف البابل ،
 وسـمى كيكائوس ، وقبل الأرض وشربها على اسمه . فقام الأمراء وقالوا ليس هذا وقت الشرب .
 وقال له جـيو : الراى أن أركب وألقاهم ، وأحفظ رأس القنطرة ، وأمانهم ساعة حتى يلبس
 عساكرنا السلاح ويستعدوا . فركب راكضا . ولما وصل الى القنطرة رأى أفراسياب وعسكره قد قطعوا
 الماء الى هذا الجانب . فلبس رستم والأمراء أسلحتهم ، وثاروا في وجوههم أمثال الثور . وخاض
 جيو غمرة الحرب كأنه لىث أضل طريقه . ولما رأى أفراسياب رستم امتلا منه رعبا فتوقف
 ولم يقدم ، وجعل يسير وراء عسكره ناظرا في الراى والتدبير . فقتل خلق كثير من أصحابه ، وظهر (٥)

(١) الذى فى الشام : أن الجبل فى جانب مـه والهر فى جانب آخر . وفى جهة أخرى مدينة سرخس والبادية . والهر المذكور

هنا يبنى أن يكون نهر جـن (بختين) الذى يشعب من نهر هراة ويجرى الى الشمال مارا بمدينة سرخس .

(١) كـ ، كـو ، طـ : الجانب . (٢) كـ ، كـو : أحس . (٣) فى الأصل : أن لا .

(٤) كـ ، كـو ، طـ : أرادوا . (٥) كـ ، كـو : طـ : ظهرت .

عليهم آثار الدبرة . فقال عند ذلك لصاحب جيشه فيران، وهو عماد أمره ومتولى حله وعقده :
 ما لنا في مقام الرأي والتدبير أمثال الآساد، وأراكم الآن في معترك الحرب وملتحم القتال أمثال
 الثعالب ؟ فتقدم أنت وابدل جهدك، واستعمل جذك، ولك ممالك إيران . فتقدم عند ذلك
 فيران وزحف في عشرة آلاف من الآساد المذكورين، وقصد رستم وثار إليه كأنه النار . فاستشاط
 رستم لما رآه، وجاش كالبحر الجلي . ووقع في أصحابه يضرب يميناً وشمالاً حتى قتل أكثرهم . فقال
 أفراسياب : إن دام هذا الحال إلى المغرب لم يبق أحد من التورانية . فاستحضر رجلاً من أصحابه
 يسمى الكوس معروفاً بالنجدة والشجاعة، وحثه على الجذب في القتال . فتقدم في اثني عشر ألفاً،
 وأصلح نار الحرب، وقصد أخا رستم يسمى زواره، وهو يحسبه رستم، فاشتد بينهما القتال
 وتطاعنا حتى قصفت رماحهما . ثم استل كل واحد منهما سيفه فضاربا حتى انكسرت أسيفهما .
 ثم تضاربا بالحرز فظلب الكوس صبية عظيمة بلغت منه حتى ارتخت يده، وكل سيفه . ثم إنه أقبل
 على أخيه صاح على الكوس صبية عظيمة بلغت منه حتى ارتخت يده، وكل سيفه . ثم إنه أقبل
 على رستم فعلق أحدهما بالآخر فطعن رستم في صدره طعنة اختطفه بها عن سرجه ورماها إلى الأرض .
 وعند ذلك سل الأمراء السبعة أسيفهم، وجدوا في القتال حتى كسروهم، وولوا مدبرين والأمراء
 في أفتيتهم . وركض رستم خلف أفراسياب ليأخذه فلم يفلت منه إلا بمجرعة الذقن . وعاد
 إلى توران خائباً مفلولاً، ورجع الإيرانيون مظفرين منصورين إلى متصيدهم الذي كانوا فيه . وكتبوا^(١)
 إلى حضرة الملك كيكاوس بما جرى لهم في صيدهم وحربهم . وزعموا أنه لم يقتل منهم أحد ولم يمر
 عليهم بأس سوى أن زواره وقع من الفرس ثم ركب سالماً . وأقاموا بعد الواقعة أسبوعين
 في موضعهم ذلك ثم ركبوا عائدين إلى خدمة الملك كيكاوس سالمين غانمين .

قصة مسهراب

قال صاحب الكتاب (١) : نقل عن عالمهم العارف بتواريخ أيامهم أن رستم بن دستان أصبح ذات
 يوم مهموماً حزينا، فعزم على الصيد، وشد عليه منطقته، وملاً من الشباب تركته (ب) . وسار حتى

(١) حذف المترجم هنا فاتحة الفصل التي تكلم فيها الفردوسي عن موت الشبان، وبين أن الموت عدل . وأنه سر لا مبدل
 إلى معرفته . ثم أوصى بالرضا والتسليم . (ب) تركش : أصله في العارسية تركش . أي وعاء السهم : كقائه . وقد
 يهرب : تركاش وتلكش . ويجمع على تراكش . وجاء في الشرع قول الحلي :

جئت فداً الغلي الذي جاء لحظه * إلى سائر المشاق يحمل تركشا

وقول غيره . علي من الراك أعنه لواحظه * عما حوته من البهل التراكش

انظر فرغت شعوري وشفاء الليل، وصبح الأحد، ص ٧٠٩ ص ٣٠٩ .

(١) صل : كتب . والتصحيح من ك، كو .

وصل الى حدود توران، فرأى البرية مملوءة باليعافير . فنهل وجهه واستبشر ، وحرك رخسه ورمى
عنة منها . ثم أوقد ناراً ، وقام شجرة كالسعود ،^(١) وعلق عليها واحداً منها فشواه وأكله حتى أتى على
آخره . واستلقى ونام ، وأرسل فرسه يرعى في روضة كانت هناك فإذا بسبعة أو ثمانية من التورانية
طابرين على الطريق . فرأوا أثر حوافر الفرس ، فتبعوا الأثر الى واد هناك ، فرأوا فرساً يرعى وليس
عنده أحد ، فأحاطوا به حتى أمسكوه . وقادوه الى بلد لم هناك يسمى سمينجان . فأنبته رستم فطلب^(٢)
الفرس ليركبه فلم يره . فاهتم لفقدته ونهض مسرعاً وجعل يدور في طلبه حتى وقع الى تلك المدينة .
وأخبر ملك هذه المدينة بحجى رستم بن دستان ، وأن فرسه قد ضاع منه في متصيديه . فاستقبله الملك
وأمرأوه . وسين اجتمع به استخبره عن أمره ، واستفطن الحال واستعلمه ، وطيب قلبه . وقال :
نحن في هذه المدينة عبيدك ، ونفوسنا وأموالنا بحكمك . فقال : إن فرسى غاب عنى في هذا المروج
ولم يكن عليه لحام ولا عذار . ولقد ثبت أثره فوجدته قد انتهى الى هذه المدينة . فان طلبته
ورددته على الترتيم بذلك المنة منك ، وإلا ضربت رقاباً كثيرة بسبب ذلك . فقال له صاحب
سمينجان : من يجاسر على أن يمسك فرسك ؟ فكأن ضيفنا اليوم ، ولا تحتد . فان الأمر لا يكون
إلا كما تريد . فثبتت هذه الليلة طيب القلب ، مقبلاً على الطرب وملقياً عنك أسباب الهم والتعب ،
ثم إن فرسك لا تخفى آثار حوافره . فسر رستم بكلامه ، ورأى موافقته على ما دعاه اليه . فصار
الى داره . وسر ملك سمينجان بإجابته له . فأنزله في قصره ووقف بين يديه ، وأحضر لديه الأمراء
والأكابر من أهل بلده . وحضرت السقاة الصباح والمغاني الملاح ، وأنذفغ^(٣) في الشرب . فلما نمل
وغلبه النوم أدخلوه الى موضع أعتوه لمتامه . فنام وعند رأسه المسك وماء الورد . فلما مضت طلائفة
من الليل سمع حساً فإذا بباب المكان الذى هو فيه قد فتح ووصيفة قد دخلت وبيدها شمعة من العنبر
فوضعتها عند رأسه ، وإذا بامرأة قد خرجت من وراء الستر كأنها فلقة قر ، متبرجة بين الحلى والحلل ،
ذات حاجبين كقوسين ، وغذيرتين تضطربان كجباين ، وكأنها من فرط اللطافة والملاحة صوّرت
من روح . فلما رآها رستم بهت لما شاهده من حسننها وجمالها فقال لها من أنت ؟ وما اسمك ؟
وما الذى أخرجك في ظلام هذا الليل ؟ فقالت أنا ابنة ملك سمينجان . وما لى فوق الأرض شيء ،
ولا رأى أحد وجهى ولا سمع أحد حمى . وقد بلغتنى على لسان السمرا أحوالك وأحاديث
رجوليتك وشجاعتك . وذكرت ما اختص به رستم من الخلال الشريفة والأخلاق الحميدة . وقالت :
وقد شغفتى حبك . وكنت طالبة للاجتماع بك . وقد قدر الله تعالى مصيرك الى هاهنا . وعرضت

(١) كوك : وانحطها سفودا . (٢) كوك : طلب . (٣) ط : ضربت رقاب .

(٤) ط : فاندفع .

نفسها عليه وقالت : أريد أن يرزقني الله تعالى منك ولدا يكون مثلك في قوتك ونجذتك . وأنا ضامنة أن أدفع سيمينجان لك ، وأرد فرسك عليك . فعقد عليها رستم برضاها و بات معها تلك الليلة . فلما أذنت الشمس بالطلوع أعطاها خريزة كانت مشدودة على عضده ، وقال لها : إن رزقت أثنى فارطيا في قرونها ، وإن رزقت ابنا فشديها على عضده . وسيكون مثل سام بن زريمان يستزل العقاب من الهواء ، ويساى الشمس في كبد السماء . قال : وطلع النهار وجاء الملك وخدمه ، واستخبره عن نومه وميئته ، وبشره بوجدان فرسه . فتهلل وجه رستم من الفرح والسرور ، وقام ومسح ظهر الرخش وأسرجه وألجمه . وركب وخرج مسرورا مشرح الصدر من جهة ملك سيمينجان حتى عاد الى أرض إيران . وكان لا يزال يحمله ويشكره . قال : ثم لما أتت على ابنة الملك تسعة أشهر ولدت ابنا كالقمر ليلة البدر كأنه رستم بن دستان أو سام بن زريمان . فسماه أمه سهراب . وكان يشب في شهر ما يشب غيره في سنة . ولما بلغ ثلاث سنين لم يكن هناك أحد يقاومه في قوته وشجاعته . بلغاه الى أمه وقال : مالى أطول من أقرانى قدا ، وأوسمهم صدرا ، وأشدهم بأسا ؟ ومن أبى وجدى وما اسمهما ؟ فقالت أنت ابن رستم من شجرة دستان بن سام وزيرم . وما استملأوك إلا لأن ذلك البيت أصلك . ومنذ خلق الله العالم ما ظهر فارس مثل أبيك . فقال عند ذلك سهراب ، مدلا بالانساب الى ذلك البيت العظيم والأصل الكريم : لأجمعن عساكر عظيمة من الترك ، ولأزعجن كيكلاوس عن سرير ملكه ، وأفلق آثار عقب طوس من إيران ، وأنقل التاج والتخت الى رستم ، وأعطف من أرض إيران الى بلاد توران ، وأترعها من يد أفراسياب . ومهما كان رستم لى أبا وكنت له ابنا فلا ينبغي أن يبقى على وجه الأوض صاحب تاج آخر . ومهما كان الشمس والقمر مشرقين فلن تظهرا الكواكب للعين (١) . قال فاجتمعت المصاكر بعد ذلك على سهراب من كل جانب لجمعه بين الإصالة والبسالة . فأتته الخبر الى أفراسياب بأن سهراب قد ألقى السفينة في الماء ، وتصدى لاكتساب المجد والثناء ، وأنه مع صغر سنه ، مولع بالسيف ومفرغ بالضراب والطلعان ، وأنه على عزم القتال لكيكاوس ، وأنه لا يبالي بأحد ، وقد اجتمع عليه عسكر عظيم . فلما وقف على ذلك أفراسياب ضحك وسر بذلك . فجهز اليه من أمرائه لمعاذته هومان و بارمان في اثني عشر ألفا اتقهم من عسكره ، وأوصاهما في السر بأن يمتالا على سهراب ويحولا بينه وبين أن يعرف أباه رستم عند الملاقاة . وقال : لعله اذا التحم القتال أن يقتل ذلك الفارس المقدم على يدي هذا الشجاع الجسور ،

(٢٧)

(١) حذف الترجيم هنا اختيار سهراب حصانا لنفسه . وقد قل هنا ما قل أبوه رستم في اختيار رخش كما تقدم ولم يجد فرسا يحمله إلا هومان من نسل رخش .

(١) كو : ابن زيرم . (٢) كو : والستان . (٣) ك : كو ، طا : أن (لا) .

فيسهل علينا عند ذلك الاستيلاء على ممالك إيران . وإذا ثم قتل رسم على يدي ابنه سهراب دبرنا عليه ، قال : ففضي الأميران إلى سهراب ومعهما هدايا أفراسياب إليه من الناج والتخت والخيول والبغال . وكتب إليه كتابا يقول فيه : إنك إذا أخذت أرض إيران استراح الخلق وسكنت الفتن . وليست المسافة بين المملكتين بعيدة . وما بين ^(١) توران وإيران وتوران إلا خطوة واحدة . فاجلس على التخت ، وإلى ممتدك بما تريد من العساكر . وليس في أرض توران لَهْذَيْن الأميرين ثالث . وقد نفذتُما إليك ليقيا على رسم الضيافة عندك ، وإذا نهضت للقتال كانا في خدمتك وضيقا الأرض على مدوك . قال : فلما وصل الكتاب والخلمة إلى سهراب سار بالعساكر متوجها إلى إيران . فأتته إلى قلعة تسمى سبيذز . وكانت معمق الإيرانيين . والمستحفظ بها رجل شجاع يسمى هجير ^(٢) . وكانت له أخت (١) موصوفة بالفروسية والشجاعة ، مذكورة بالجرأة والبسالة . فلما قرب سهراب من القلعة ، ورأى هجير عسكره نزل من القلعة ، وركب وسارع إلى القتال ، فقطاعن هو وسهراب ، فطعنه سهراب بسنان رمحه فلم يعمل شيئا . ثم قلب رمحه وطعنه بزجه فألقاه من ظهر الفرس . وترجل عليه ليحتر رأسه فطلب الأمان من سهراب فأمنه على روحه . وبلغ الخبر إلى القلعة بما جرى على هجير فلبست المرأة السلاح ، ووارت قرونها تحت الزرد ، ووضعت البيضة على رأسها ، ونزلت من القلعة ^(٣) مثل الأسد على فرس كالريح المرسلة ، وهي تقول أين آساد الرجال وأبنى القتال ؟ فلما رآها سهراب تدم فلبس خفثانه وأقبل للقتال ، فرشقته المرأة بالشاب ، فاحتد ورفع المحن ، وركض إليها . فتكتبت قوسها وأسرعت الرمح نحو سهراب . فسل سيفه وقطع رمحها . فولت هاربة من بين يديه فركض سهراب في أثرها . فلما قرب منها ألقته البيضة عن رأسها فانسدت قرونها ، وبان وجهها مستتيرا كالشمس . فعلم سهراب أن الفارس ليس من الرجال ، وأنه من بنات الجمال . ففضى العجب من ذلك . ثم حل الوهن من سموط سرجه ، فرماه إليها وحلقه عليها ، واستأسرها ، وقال : لا تطلي مني الخلاص ، فانه قلما وقع مثلك في الحبال . فلما حصلت في قبضته احتات عليه ، وقالت : إن العسكر من الجانبين قد رأوا ما جرى بيننا من المبارزة والقتال . وسعييون عليك كونك تفرغ وسعك وتبذل جهدك في مقاتلة امرأة . والأولى بنا إخفاء الأمر ، وأنا اسلم القلعة ^(٤) . فلما رأى سهراب حسنها وجمالها شغف بها واعتبر بكلامها . ثم قال لها : لا تحيدي عن هذا الرأي فإنك قد جربتني في الحرب . ولا تعتري بهذه القلعة فإني قادر على أن أخربها وأسويها مع وجه الأرض .

(١) اسمها في الشاه : كورد آفريد (بضم الكاف وفتح الفاء) .

(٢) كور وما بين توران وإيران إلا خطوة واحدة . (٣) ك : ك . نغير . (٤) ك : ك ، ط : عن .

(٥) ك : ك ، ط : بقع . (٦) ك : القلعة إليك .

فقطعت عنانها، وسهراب معها، عائدة الى القلعة . فلما حصلت وراء الباب أغلقوه في وجه سهراب . فأشرفت من السور ورأت سهراب على ظهر الفرس فقالت : يا ملك الترك والصين ! لم تعبت وتعنت ؟ فأرجع التفهقري ورائك . ثم قالت على سبيل السخرية : إن الأتراك لا يطعمون في مزاجاة الإيرانية . وقتك وما رزقتك . فلا تحزن نفسك على ما فاتك . وأراك لست من نسل الأتراك لما أرى عليك من روعة الأكابر وأبهة الملوك . وإنك وإن كنت لا تلقى أحدا يساويك في شدة بأسك وقوة أعضادك فإنه إذا شأى الخبر الى الملك كيكاوس بخروجك نهض اليك مع رستم فلا تجد طاقة بمقاومتها . والأصوب لك أن ترجع ورائك الى توران، وتحفظ روحك . ولا تركن الى شدة شوكتك فان الثور اذا سمن فأنما يأكل من جنبه (١) . وربما يبحث الحائن عن حنفيه بظلفه . فلما سمع سهراب مقاتلتها صعب عليه وغازله ذلك . وكان تحت القلعة موضع عليه اعتادها وبه قوامها ، فأمر بتخريبه . وهجم الليل وحال بينه وبين أخذ القلعة . فرجع الى معسكره . وكتب كردهم أحد من في القلعة الى الملك كيكاوس يقول له : إنه قد خرج عسكر عظيم من الترك يقدمهم ملك لا يزيد سنه على أسبوعين (ب) . يطاول المرو قدّه ، ويهر الشمس في الجوزاء وجهه . اذ انتضى السيف المهند من خلل لم يبسال يحمر ولا جليل . وقد تلقاه الفارس الشجاع هجير فسا كان أسرع من رجع الطرف أن اختطفه من سرجه ، وأوقفه في أسره . وقد رأيت من فرسان الأتراك كثيرا، ولم أر مثله فارسا جسورا . وإنه اذا أرنى في مآقط الحرب العنان فليس يشبهه غير سام بن زريمان . وإنه إن تواني الملك في أمره ولم يستعذ لحربه نفاقم أمره ، واستعضل خطبه . وختم الكتاب وأنفذه الى الحضرة . قال : ولما طلع النهار ركب سهراب في عساكر توران . فلما اتبى الى باب القلعة صادفها خالية من المقاتلين قد هرب منها جميع من كان فيها منهم (ج) . فاذعن له من بقى فيها بالطاعة، وسلموا القلعة اليه . قال : ولما وصل الكتاب الى كيكاوس اهتم لذلك بفلس وأحضر أركان دولته وأكابر حضرته مثل طوس وجودرز وچيو وكشواذ وغيرهم من الملوك والأمراء، وقرأ عليهم الكتاب فقبضوا العجب مما فيه . ثم سألهم وقال : إن هذا أمر يطول علينا . وسأيلهم عن الرأي والتدبير . فاتفقوا جميعا على إغاثه جيو الى بلاد زابل لاستنهاض رستم واستدعائه .

(١) هذه الجملة ترجمة هذه البقرة في الشاه : " خورد كاوتادان ذهلوى حوىش " ومعناه : تأكل البقرة الحفاء من جنبها . (ب) في الشاه : لا تريد سنواته على سبعين . فراد المترجم أسوعان من السنين . (ج) في الشاه : لم يجد فيها أحدا من الكبراء .

ذكر كلاب كيكالوس الى رسم وما يتصل به

قال : فامر بإحضار الكاتب، وبأن يكتب الى رسم . فكتب كتابا صترة بالثناء عليه ، وقال فيه لا زلت ملجأ وملانا، ولا كان غيرك في العالم مستجارا . ثم قال فيه : إن الأكابر اجتمعوا بحضرتنا لما ورد به كلاب كردهم ، فاضفوا على إغاذ الكاتب اليك على يد جيو . فاذا وقفت على الكاتب فسر اليها في عساكر زابلستان ، واستعد لمحاربة فارس توران . فليس أحد غيرك يصلح لملاقاته على ماحكاه كردهم من حاله . ثم أقبل كيكالوس على جيو ، وأمره بالاستعجال والمبادرة ، وبألا يتلبث عند رسم ، بل إن وصل صباحا رجع مساء ، وإن وصل مساء رجع صباحا . وأوعز اليه في حث رسم على المبادرة ، وإعلامه بأن الحال لا يحتمل التأخير . فأخذ جيو الكاتب وركب وسار حتى وصل إلى زابلستان . واستقبله رسم ، فلما قرب منه تزل له جيو ، فزل رسم أيضا . ثم سألته عن الملك كيكالوس وبلاده . ثم رجا وذهب به رسم الى إيوانه فسلم اليه جيو الكاتب ، وأدى ما تمحله من الرسالة . فلما قرأ رسم الكاتب قضى العجب من الحال المذكور ، ومن ظهور فارس من التورانية يشبه ساما . ثم قال : إن لي ابنا من ابنة ملك سيمينجان وهو بعد لم يتأهل لمفاسمة الحروب ، لكنه عن قريب يبلغ الى ذلك . وقد نذرت الى أمه جواهر وأموالا ، وأتاني الخبر عنه بما يرجى بلوغه درجة الملوك . وما نحن تنهض بعد يوم الى حضرة الملك ، ونرى فرسان إيران الطريق فيما دفعوا اليه . وقال : احل سعادة جد الملك غير متيقظة فانه ليس هذا الأمر من الصعوبة على الصفة التي تذكر . واشتغلوا بالشرب حتى ثملوا . ولما كان الفسدين^(٥) زين المجلس ، واصطبحوا . وكذلك فعلوا في اليوم الثالث غير مفكرين في طلبه الملك كيكالوس وما أمرهم به . فلما كان اليوم الرابع قال جيو لرسم : إن كيكالوس سريع الغضب شرس الخلق . وليس يوافقنا ما نحن فيه ، فإنه قد اشتغل قلبه بهذا المهم حتى هجر من أجله النوم وزال^(٦) القرار . فقال له رسم : لا يهتك ذلك فإنه لم يبق على وجه الأرض من ينازعنا في الملك . ثم أمر بإسراج فرسه المعروف بالرخش ، وضرب الكوسات ، وإعمال البوقات . وسار بالعساكر الى حضرة كيكالوس . فلما مثلوا بين يديه أطرح الحياء ، وصاح على جيو ، وقال : من يكون رسم حتى يتوانى في امتثال أمرى ، ويعرض صفحا عني ؟ خذ الساعة واصلبه ، ولا تراجعني في أمره . فتحير جيو ، وتوقف . فاحتد كيكالوس وقال لطوس : خذهما واصلبهما معا . وقام من مجلسه مضطربا كالنار الموقدة . فأخذ طوس بيد رسم ليخرجه حتى تسكن نائرة غضب الملك .

(١) ك : وصل زابلستان . (٢) ط : فاستقبله . (٣) ك : فزل له . (٤) ط : لما يتأهل .

(٥) ك : ط : من الفسدين . (٦) ك : لقد هجر . (٧) ك : وزال عنه القرار .

فاحتد رستم وقال لِكِكَاوس : خفض عليك ، ودع عنك هذه الحدة . فكل واحد من أمورك أنحس من الآخر . وليس تليق بك الشهريارية والملك ، وليكن صلبك لسهراب ، وإهانتك لعدوك إن قدرت . ودفع طوسا ورماء الى الأرض ، وخرج غضبان ، وركب رخشه ، وقال : أنا الواهب^(١) للتاج ، ومقدم القوم . فلماذا يجرّد على كِكَاوس ؟ ومن كِكَاوس ؟ ومن طوس حتى يمدّ يده الى ؟ وأقبل على الإيرانيين ، وقال : دبّروا أموركم ، واحفظوا أرواحكم فان سهراب قد جاء وإنه لا يخلّ منكم صغيرا ولا كبيرا . وهأنذا رائخ ولا يرى وجهي أحد بعد هذا في أرض إيران . فاهتم من هناك من الأمراء والقواد لما سمعوا من رستم على رؤوس الأشهاد . فالتجأوا الى جودرز ، وقالوا له : أنت الذي بلطفه^(٢) يخبر الكبير ، وبأبيه يسهل العسير . فادخل على هذا الملك المحبّون ، فانه لا يسمع غير كلامك ، فلملك تستعطفه لرستم . فدخل جودرز . سرعا على كِكَاوس ، وقال : أى شيء عمل رستم حتى يخاطب بما اضطربت به المملكة ؟ وليس يعدّ من العقلاء من يكون له فارس مثل رستم فيطرده بالجفاء . فندم كِكَاوس على ما بدر منه ، واعترف على نفسه ، وصدق جودرز فيما قال . وقال : لا بدّ لملك أن يكون وافر العقل متنبّجا عن الحدة والجله . وقال له : اركب الآن مع الأكابر والأمراء خلف رستم وردّوه . فركب جودرز ، وسار في جميع أمراء الحضرة حتى لحقوه . فاجتمعوا عليه ، وأطلقوا الستهم بالثناء ، ودعوا له بالبقاء . وقالوا : إنك تعلم أن كِكَاوس خفيف الرأس لا يستقيم كلامه عند الحدة والغضب ، وأنه يحتدّ ثم يندم من ساعته فيرجع الى أحسن ما كان عليه قبل غضبه . وإذا ضاق صدرك من الملك فأى جرم لسائر الأيرانية ؟ والآن قد ندم كِكَاوس على ما سبق منه حتى كاد أن يعض على يديه . فاجابه رستم وقال : مالى حاجة الى كِكَاوس . فأنقختي السرج ، وتابى البيضاء ، ولباسي الجوشن ، ومركو بي الموت . وسواء عندي كِكَاوس والتراب . وقد ملكته وسنّته . ولست أفزع منه أبدا ، ولا أخاف غير الله أحدا . فقال له جودرز : إن أهل المملكة وفرسان العسكر يحملون هذا على محمل آخر . فيقولون : إنما فعل رستم هذا لخوف دخله من هذا العدو . وقد تناجوا بئىء من هذا القليل . وقال : إن كل شيء جرى فلا جاني له سوى سهراب . فلا تخالف الملك ولا توله ظهرك ، ولا تمنح رجوعك صيتك الذى طبق الآفاق . وإعلم أن العدو قد أخذ بالبحث ، ولم يبق في الأمر متسع . فلا تنكس تحت السلطنة ، ولا تغفر تاجها . فلم يزل جودرز يستعطف رستم ويسترضيه حتى لانت عريكته ، وقوت بعد الهدير شقيقته . فثنى عنانه عائدا الى حضرة الملك . ولما دخل عليه تلقاه وأخذ يعتذر اليه قائلا : إن الله تعالى خلقني شرّس الأخلاق ، شكس الطباع . وليس ينبت الشجر إلا كما غرس . وقد امتلأ

(١) ك : ط : الواهب التاج . (٢) ك : قد جاء ولا يخل . (٣) ك : بلطفه . (٤) ك : وردّه . (٥) ط : كل ما .

قلبي من هذا العدو، وجاش صدرى بهجومه، فدعوتك لتكفينى شره . فلما أبطيت جرى ما صدر
منى من الاحتداد . فقال رستم : العالم لك، وكلنا عبيدك وخدمك . وما جئت إلا امتثالا لأوامرك،
واقفاه لمراسمك . فقال كيكاوس : اليوم نمر وغدا أمر . فسلم نقيب العيش ثم رتب الجيش . فأمر
فزين برسم الأنس مجلس شاهنشهى يتהל إيوانه تهل الربيع الناضر، وتطن أرجاؤه بأصوات العيدان
والمزاهر . واصطففت حوالهم روقة الأقار ، وأديرى عليهم كئوس العقار . وأقاموا على ذلك الى
نصف الليل . فلما كان من الغد أمر كيكاوس فشئت الكومات على مناكب القيلة، وفتحت
الخزائن، وأفيضت الأرزاق على العبيد والخدم . وبرزوا وهم زهاء مائة ألف مدحج . فساروا حتى
وصلوا الى قرب قلعة سبيذ . فصاح من كان على مرقبها منذرين بالسكر . ولما علم سهراب بذلك
صعد الى سور القلعة، وشاهد السكر وجعل يريهم بإصبعه هومان أحد أمرائه . فلما رآهم هومان
طار قلبه شعاعا، ووجم من الخوف حتى كان لا يستطيع خطاها ولا حوارا . فقال له سهراب :
لا يهمنك ما ترى . فانه ليس فيهم من يقف قدامى، ويثبت دون عصفة حسامى . وانما هو سواد
عظيم وسلاح كثير . ولأجعلن^(١)، بإعادة الملك أفراسياب، صحراء المعركة كالبحر المتلاطم من دماهم .
وتزل عن القلعة غير مفكر بهم . وطلب من ساقيه جام نحر فشربه، وأمر فأخرجت سرادقانه فضربت
في الصحراء قدام القلعة . فجالت الأرض بالخم وامتلاّت بالجيل والحشم . ولما غابت الشمس
عن العيون وأغطش الليل جاء رستم كيكاوس واستأذنه أن يدخل معسكر الترك^(٢) على سبيل التجسس .
فأذن له فلبس قباء تركيا، ومضى حتى قرب من الحصار، فسمع لفظ الأتراك وصياحهم على الشرب،
ورأى سهراب كالسرو جالسا على تحتة وبين يديه أمراؤه وقواده : مثل زند وهومان وبارمان، وحواليه
مائة من فرسان الأتراك، وقدام تحتة خمسون وصيفة يرقصن بالدستبند^(٣) . فوقف ينظر اليهم من البعد
ويتأملهم وأحوالهم . فقام زند من عند سهراب، وخرج لحاجة، فرأى رجلا يطاول السرو قدام طولا .
ولم يكن قد رأى مثله فى عسكرهم . فاستنكره وقال له بجملة واتهار : اظهر للضوء حتى نراك . فوكره رستم
بيده وكرة مات منها (ب) . ثم إن سهراب تفقد زندا بعد ساعة فأخبر بما جرى عليه . فوثب وأتى
مصرع زند، ووقف عليه متعجبا مما جرى ، ودما بالأمراء والفرسان ، وأمرهم أن يتحارسوا

(٣٩)

(١) الدستبند ضرب من الأساور ، ورقعة يمسك فيها بعض الراتصين بأيدى بعض ، ويضربون الأرض بأرجلهم
ويدورون . واللهى فى الشاه أن الجوارى كنّ أمامه بالدستبند ففهم المترجم أنهن كن يرقصن هذه الرقعة . (ب) فى الشاه : أن
زند هذا خال سهراب ، وأن أم سهراب - أمته أن يغضب مع انها لا به أباه رستم . فقتل زنده كان لا بد من قسم فصول القصة .
(٢) ك : ط : فلا يجلن . (٣) ك : الى كيكاوس . (٤) ك : ط : فى أن .
(٥) ك : ط : بعد ذلك .

ولا يناموا . فقال : إن ساعدنى خالق الخلق أخذت غدا بثار هذا الفتيل . ثم عاد الى مكانه . ولما رجع رسم من معسكر الترك كان جيو تلك الليلة على اليزك (١) . فلما رآه من البعد استل سيفه ، وجاء يقصده . فعرفه رسم وكلمه . فعرف جيو صوته فترجل له ، وسأله عن خروجه . فقص عليه القصة ، وحكى له قتله لزند التركي . ثم جاء الى حضرة كيكاوس ، وحكى له صنيعه وما جرى . وابتوا ينظرون فى ترتيب^(١٢) أمر القتال . فلما طلعت الشمس من الغد لبس سهراب لبوس الحرب ، وركب فاقبل ، واختار ننزا من الأرض فعلاه ، وأشرف^(١٣) على عساكر إيران . واستحضر هير الأسير ، وقال : إني مسايك عن رجال عسكر إيران فلا تحيدن عن الصدق فى مقاتلك ، فان ذلك يخيك من جبالك . واذا صدقتنى خلعت عليك ، وأفضت كنوز النعم عليك . وإن لم تصدقنى بقيت على حالك أبدا مأسورا .

فقال هير : إني أصدقك فى كل ما تسألنى عنه . وكيف لا أصدق فى كلامى بين يديك ، وأحيد عن الصواب لديك ؟ فقال له : أخبرنى عن صاحب سرادق الدباج الملون الذى فيه خيمة من جلود النور ، وقدامه راية تلوح كالشمس المشرقة ، على رأسها هلال من الذهب لما غلاف بنفسجى ، وقدامه مائة من الفيلة المظام ، ومهد فيروزجى . وموضع ذلك من العسكر فى القلب . فقال : هو كيكاوس ملك إيران . فهو الذى يكون على باب الفيلة والأسد . ثم قال له سهراب : وأرى فى الميمنة فرسانا كثيرة وفيلة وسرادقا أسود يحيط به العسكر ، وقدامه راية منصوبة على صورة فيل ، وعلى باب فرسان فى أرجلهم مداسات ذهبية . فقال : ذاك لطوس بن نوذر . ثم قال : ولئن ذلك السرادق الأحمر الذى حواليه الفرسان^(١٤) ، وقدامه راية عليها صورة أسد من الذهب قد ركب فيه جوهر يابوح ، ووراءها عسكر عظيم أصحاب رماح وجواشن . فقال : ذاك لجوذر بن كشواذ . ثم قال : وأرى سرادقا أخضر ، عنده جيش أرعن لحب ، وعليهم رجل طويل القامة يكاد وهو قاعد يطاول القيام ، وهو يحيش كل ساعة ، وعنده فرس على قدره قد علق من سموط سرجه وهق يكاد يمس الأرض ، وبين يديه فيول كثيرة ، ورجال عليهم الجواشن ، ولا أرى رجلا فى قد هذا الرجل ، ولا فرسا فى قد فرسه ، وقدامه راية تشبه الثعبان ، على رأسها صورة أسد من الذهب . فن هذا الرجل وما اسمه ؟ فقال هير : ما أعرفه ، ولا أعرف اسمه . ثم قال : إني كنت فى القلعة ، وبلغنى أنه جاء أمير كبير

(١) البرك ريطة الجيش الذى يرتب الدبر .

(١) ك : ترتيب (لا) . (٢) ك ، كو ، طا : طاهر . (٣) ك ، طا : وطا .

(٤) ك : عليها صورة فيل . (٥) فى الأصل "حواليه من الفرسان" والتصحيح من ك ، كو ، طا .

من الصين، وأنضم إلى عسكر الملك كيكالوس . فيشبه أن يكون هذا الرجل ذاك . فأغتم^(١) عند ذلك حين لم يقف على أثر من أبيه رسم . وقد كانت أمه أخبرته من صفة أبيه رسم وأحواله بما قد شاهده . لكن لم يحصل له ما يتق به قلبه . فأراد أن يتعرف من هجير فساء يثر من لسانه على ما يسكن إليه قلبه . وقد حال بينه وبين ذلك ما كان مكتوبا على رأسه من القضاء المحتوم، والأمر المقدور . ثم سايله عن صاحب سرادق آخر وراية أخرى على رأسها صورة ذئب من الذهب . فقال : هو جيو بن جوذرز الذي لهو أعلى قومه قدرا ، وأرحبهم صدرا . ثم قال : إني أرى من شرق العسكر سرادقا أبيض من الدياج الرومي، وقدامه خيالة كثيرة مصطفة ، ومعهم رجالة كثيرة أصحاب ترسة^(٢) ورماح — في أوصاف ذكرها المؤلف — فقال : ذاك لغري برز بن الملك كيكالوس . ثم سايله عن سرادق آخر فقال : ذاك لرجل يسمى جراز ، وهو شجاع بطل . وكان سهراب يتطلب في سؤاله أن يقع على علامة أبيه . وهجير يكاتمه ذلك ويخفيه لما يأتي ذكره . ثم داود سهراب السؤال لما في نفسه من السيد الذي كان مشوقا إليه ، ومرفرا بجناح قلبه عليه . فسايله ثانيا عن السرادق الذي كان في نفس الأمر سرادق أبيه رسم . وقال : قل لي لمن ذلك السرادق الأخضر ؟ ومن ذلك الرجل الطويل الذي هو عنده ؟ فقال له عند ذلك هجير : إني لست أعرف هذا الرجل . فكيف أخبرك عنه ؟ فقال له سهراب : مالك قد ذكرت الكل ولم تذكر رسم ؟ وكيف يخفى بين هذا العسكر من هو بهلوان العالم ؟ وقد أخبرت أنت أنه مقدم العسكر، وحافظ حوزة الملك . فقال له هجير : لعله عاد إلى زابلستان . فإن هذا فصل الربيع ، وأيام الشرب . فقال سهراب : ما هذا الكلام ؟ وإذا كان الملك قد حضر الحرب بنفسه فكيف يقعد عنه رسم وهو نظام أمره ، ويعتمد حله وعقده ، وبهلوان جيشه ؟ وبعد فلست أتجاوز بك خطوة واحدة . وهي إما أن تصدقني الخبر عن رسم ولك على ذلك كنوز وأموال أعطيك إياها أولا تفعل فأقطع رأسك ، وأريق دمك . فقال هجير : من ستم ملكه ، ومل تاجه وتخته تمزض لمحاربة رسم الذي يتكبد الفيل الهائج عن مصاولته ، ويهجم الليث الكاشر عن مكلفته . فقال له سهراب : لقد شقي جوذرز حيث يدعوك ولدا وهده جراتك ورأيك وعقلك . وأين رأيت الرجال في مقام الطعن والضرب ؟ وأين سمعت وقع سنابك الخيل في معترك الحرب ؟ حتى تصف رسم بما وصفت . وإنما تخشى النار حيث لا تكون البحار ، وبطلوع طلائع الشمس تنكس رايات الظلام . قال : وكان هجير يقول في نفسه إني لو عرفت هذا التركي الشديد الباس

(١) كوك ، فأغتم سهراب . (٢) كوك ، طا : هو . (٣) ك : أنرسة . (٤) في الأصل

”كان يسمى“ والتصحيح من ك ، كوك ، طا . (٥) حل : وهذا جراتك .

رستم لم يقصد إلا قصده . وأخشى أن ينكسر رستم بين يديه أو يقتله فلا يسبق في جميع إيران من
يثبت له . فيتر كيكالوس تاجه ، ويسلبه تحته . والموت على الحفاظ خير من شماته الأعداء . وإن
قتلى لم يسود النهار ، ولم تقم القيامة . وإذا لم يسلم جودرز مع السبعين المذكورين من أولاده فلا
سلمت ولا بقيت ، وإذا قلع السرو الباسق من البستان فلا نبقت شقائق النعمان . واحتد على سهراب
وقال : مالك تكثر السؤال عن رستم ؟ كأنك تطمع في جانبه والأولى بك ألا تطلب ملاقاته .
فإنك لا تطيق مقاومته . فأعرض عنه سهراب حين سمع كلامه الخشن ، وجاء وليس خفتانه ،
ووضع على رأسه خوذة تركية ، وجاش الدم في عروقه من الحسنة . فركب فرسه ، وأخذ رحمه ،
وأقبل إلى المعتكز كالقيل الهائج ، وركض نحو سرادق كيكالوس فقفزه برمحه . وتفرق عنه من كان
هناك من العسكر فتفرق اليعافير لصولة الضيفم المصور . ولم يقدر أحد من شجعان ذلك العسكر على
مقاومته . فعظم ذلك على كيكالوس فأنفذ طوسا إلى رستم ليخبره بصنيع سهراب ، ويستنهضه إليه
ويستعجله . ففضى إليه طوس ، وذكر له ذلك . فقال رستم : كل الملوك الذين رأيتهم كان لي منهم
يومان : يوم راحة ويوم تعب ، سوى كيكالوس فإنه ليس لي من أيامه نصيب غير التعب والعناء .
ثم أمر بإسراج رخسه ، وأمر عسكره بالركوب . وجعل جرجين يقول له : عجل ، وهو يشد حزام فرسه
ويرتعد ، وطوس يشد عليه معاقده جوشنه . وكل واحد منهما يستعجل الآخر . ولما سوى عليه
سلاحه وشد عليه منطلقته ركب وأوصى أخاه زواره بالآل يريح مكانه ، ويحفظ ما وراءه . فأقبل
إلى الحرب ، وحملوا لواءه معه . فلما رأى سهراب وشدة أعضاده ، وعظم صدره كأنه سام بن زريمان
قضى العجب . ثم قال لسهراب : هلم حتى نتحى إلى مكان خارج من الجمع . فاجاب سهراب
مسرعا ، وقال : نخرج إلى موضع خال فتبارز ، ولا يكن معك أحد . ثم قال لرستم : كيف تقدر أن تقاومني
أوتقف قدامي وأنت وإن كنت طويل القامة ، شديد الأعضاء ، قوى الأكاف فإن مر السنين قد
أثريك . فالتفت رستم إليه ، ونظر إلى قدمه وشماته ، وسرجه وركابه ، وقال : رفقا يافتي زفقا . فك
من وقعة شهدتها مع المشيب ، وكم بجفل أردبتهم في الحروب . وكم من جنى هلك على يدي . ولم
أنكسر قط في حرب . وإن عشت فسوف تعزقي . فقال له سهراب : إني سألك فاصدقي ، إني
أظنك رستم ، وأحسبك من شجرة سام بن نيرم . فقال : ليس كذلك . فإن رستم هو البهلوان وأنا الغلام .
فقط عند ذلك سهراب ، وخاب رجائه ، وأظلم نهاره ، وتعجب من قول أمه وما أخبرته به من
صفة أبيه . ثم تناوشا الحرب وتطاعنا حتى انتشرت كهوب رماحهما . فاستل كل واحد منهما سيفه

وتضاربا وكان النار تحترق من سيفيهما . ولم يزالا حتى تكسرت سيفيهما . فذا أيديهما الى عموديهما ،
ورفاهما وجعلا يتضاربان ويتقارعان حتى غرقت الأذراع الموضونة على أكفاهما ، وتقطعت التجافيف
على خيلهما ، فضمعا ووقفت دوابهما ، وبقي من العرق غريقين ، ومن المطش محترقين . فوق الأب من
جانب والابن من جانب آخر ينظر أحدهما الى الآخر . فيا عجب كيف انسدت دونهما أبواب التعارف ،
ولم تمرك بينهما عروق التناسب ؟ والإبل مع غلظ أجسادها لتعطف على أولادها ، والطيور في جوف
السما والحيتان في قعر الماء لا تترك أولادها وأفراخها والانسان من فرط حرصه يخفي عليه فلذة
كبده ، ويستكر قرة عينه ، ولا يترع الى ولده ! وقال رستم : لم أرق قط قتالا بهذه الصفة . ولقد
اقطع رجائي من رجولتي ، وهان علي في جنبه ما لقيت في قتالي للملك الجن سيديديو . ثم إنهما
استراحا ساعة . ثم عادا الى القتال ، ورشق أحدهما الآخر فاض واحد منهما شيء لمظاهرتهم بين
الدروع والجواشن . فذ كل واحد منهما يده الى معقد منطقة صاحبه ، وجعل رسم الذي لومذ
يده الى الجبل لاقتلع من مجارته يمثال ، وهو أخذ بمقاد سهراب ، أن يحركه من ظهر فرسه . وسهراب
كانه لا خبر عنده من ذلك . ثم إن سهراب أخرج جزه من حلقة سرجه ، ورفع وأهوى به الى
أكتاف رستم ، فثام منه رستم . فضحك سهراب وقال : أيها الفارس كيف تثبت لصدومات
الشجعان ؟ وإن الشيخ وإن كان عظيم القد شديد البأس فستفجع منه عمل الشبان . ثم إن كل
واحد منهما أدركه الضجر وثاركا . فركض رستم صاعلا على صف عسكر توران ، وفعل سهراب
كفعله فحمل على صف عسكر إيران . ففتزقت لملته الفرسان . فالتفت رستم وتوهم أن مدة كيكالوس
قد همت بالانقضاء على يد سهراب . فرجع وصاح عليه صيحة . وقال : أيها المسعر السفاك ، إنه
لم يتمرض بك^(١) ولا بدأ بقتالك أحد من الإيرانيين حتى تتوسطهم ، وتعيث فيهم كما يعيث الذئب
في قطع الغنم . فقال سهراب : وهكنا عسكر توران لم يبدؤوك ، ثم إنك حملت عليهم . فبك اقتديت ،
وطى منوالك نسجت . فقال له رستم : قد أظلم الأفق ، وهجم الليل فليرجع كل واحد منا الى معسكره
ثم نعود اذا أصبحنا . فرجما فحكى سهراب لما جرى بينه وبين رستم . وكذلك رسم حكى لجيو
ما جرى له في يومه . ثم ركب رستم الى خدمة الملك كيكالوس . فلما دخل عليه أجلسه بجانبه ،
واستخبره عما جرى له . بفعل رستم يحكى له عن سهراب ، ويذكر أنه قد أفرغ وسعه ، وبذل جهده
في أن يقبله فلم يقدر عليه . وقال غدا احتال عليه بالمصارعة واقه أعلم بالمنصور منا . ثم خرج من عنده ،

(١) ك ، طا : أفراخها وأولادها . (٢) كو : مع حرصه . (٣) ك : رسم في نفسه .

(٤) ك ، كو : ك . (٥) ليس في الأصل «قال» والصحيح من ك :

وعاد الى غيمه . فلتفاه أخوه زواره ، واستخبره عن حاله في يومه . فأمره بإحضار الطعام أولا . فطعم وأقبل عليه ، وقال : إياك والأتوانى ، عليك بالتيقظ ، وانظر فاذا رأيتنى غدا قد ركبت باكرا الى المعترك للملاقاة هذا التركى فاجمع عسكرى ، ومر بجمل تحتى^(١) ولوائى ، ومدلى الذهبى ، وقف قدّام سرادق وقت طلوع الشمس . فإنى إن رزقت الظفر لم البث ساعة وعدت اليكم عاجلا . وإن كان الأمر على خلاف ذلك فلا تجزع على^(٢) ولا تقم لذلك ، وإياكم أن تبقوا في هذا الموقف ساعة واحدة ، وأن تطعموا في لقائهم وقتالهم ، ولكن عجّلوا وارجعوا منطلقين الى زابلستان ، وبادروا نحو دستان ، وسل قلب أمتى فليس يدوم أحد في هذه الدار ، ولا بدّ من التحول الى دار القرار . ولو زاد على الألف أيام عمركم قال الموت مصير أمرك . وقد خلقنا لولت شبانا وشيئا ، ولن يبقى الجديدين خلقا ولا قشيا . ثم توحى دستان ألا يخالف الملك ، ولا يفارق طاعته ، ولا يتوانى فيها بأمر به من قتال من يريد . فلما كان الغد لبس رسم سلاحه ، وركب رخشه ، وأقبل الى المعركة^(٣) ولبس سهراب من ذلك الجانب أيضا سلاحه ، وركب وحضر ذلك المكان . فلما رأى رسم ضحك اليه ، وسأله عن ميته حتى كأنهما باتا معا . وقال له في جملة ما قال : كيف أمسيت وكيف أصبحت ؟ وماذا في قلبك من أمر قتالنا ؟ فإنى أرى أن نخاع الجوشن ، ونطرح السيف ، ونكف عن القتال ، ونجلس ونشرب ، وتتعاهد بالله ألا يباود أحدنا قتال صاحبه . فإن قلبي يميل كل الميل اليك ، وإن وجهى ليغمره الحياء منك . فقال له رسم : إنك إن كنت من الشبان فاست من الصبيان ، ولا ممن يتخذع بالحيلة والمكر . وقد حلبت الدهر أسطره ، ولا بدّ لنا من بذل الجهد . ولا يكون منتهى الأمر وآخره^(٤) إلا ما أراد الله . فترجلا وشدّ كل واحد منهما فرسه بحجر ، وتثبت كل واحد منهما بصاحبه

§ حذف المترجم هنا قطعة خلاصتها أن سهراب بات في معسكره يشرب على عزف المزاهر . وقال لهومان : إن هذا الأسد (رسم) له قد لا يقصر عن قدى ، وقلب لا يبالى الحرب . وإنه ليشبهنى في صدره وكففيه ، وعضديه . وكلما نظرت الى رجله في الركاب خفق قلبي بحبه ، ونجمل وجهى منه . وإنى لأجد فيه الأمارات التى وصفتها أمتى . وأحسبه رسم الذى يافى^(٥) فى الأبطال أكفأوه . ولا ينبغي أن أحارب أبى .

فقال هومان : قد رأيت رسم كثيرا فى المعارك ، وهذا الحصان يشبه رخشه ولكن ليس له حافره ولا أثره .

- | | | |
|-----------------------|--------------------------|----------------------|
| (١) ك : لوائى وعحتى . | (٢) ك ، ط : بخلاف . | (٣) ك ، ط : أوران |
| (٤) ك ، ط : من الغد . | (٥) ك ، ط : الله تعالى . | (٦) ك : وآخره (لا) . |

يتصارعان كأنهما أسدان يتصاولان، أو جملان يتناطحان . ثم إن سهراب صرع رستم ، وبطحه وجلس على صدره كالأسد اذا اقترس فريسة يفتنم عليها واقترشها . واستل خنجره ، وأراد أن يحتر رأسه . فلما رأى ذلك رستم احتال عليه وقال : ليس هذا من شأن المصارعة عندنا ، بل كل من ساجل شجاعا بالمصارعة فليس يسطر يده الى قسله في الصرعة الأولى ، بل حتى يصرعه ثانيا فحينئذ له ذلك . فاقترسهراب بكلامه ، وقام عنه ، وخل سبيله ، وجاء الى صحراء كانت بين يديه فيها غزلان كثيرة فاشتغل باصطيادها غير مفكر في رستم ولا محتفل به . فركض اليه صاحبه هومان واستخبره عما جرى بينه وبين رستم . فأخبره بأنه صرعه ثم أطلقه لما قاله له . فقال : أيها الشاب الشجاع إنك قد اقتنصت هزبرا هصورا ثم خليت سبيله ، فكأنك قد ملأت الحياة وسمت نفسك . وسترى ما يحدث عليك منه . ثم قطع رجاء منه ، وعاد الى مسكره مهموما وهو يقول : من استصفر عدوه ، وإن كان أسيرا ، فسيرى اليسير عسيرا .

قال : ولما تخلص رستم من يده قصد ماء جاريا هناك فشرب منه واغتسل وسجد يسأل الله تعالى أن ينصره على عدوه ، وهو لا يعرف ما في ضمن ذلك وما ينساق اليه . (أ) ثم عاد الى مكان المصارعة مصفر الوجه ، ويحل القلب . وأقبل سهراب يركض فرسه ، وفي عضده وحق ، ويده قوس . فلما رأى رستم ناداه وقال له : أيها المفلت من مغالب الضرغام ! مالك قد أبطأت وتعاست عن الإقدام ؟ (ب) وترجلا وشدا فرسيهما ، وتشمرا ثانيا للمصارعة . وكلما غضبت على المرة السعادة لانت في مسامته الحجارة . (ج) فصار سهراب بتلك الأعضاد القوية والمرافق الشديدة كأن القضاء قد قيده ، والشقاء قد صيفده . فألقاه رستم على الأرض ، وجلس عليه ، وسل خنجره مسرعا وشق به نحرة^(١) . فتنفس سهراب وقال : أنا الذي جئت هذا الشر على نفسي حين أريتك هذا الباب . ثم قال : إن أُمى أخبرتنى بصفة أبي ، وحدثتنى عن علامته . وما كان خروجي إلا لألقاه ، وأبصر وجهه . وهانا قد حضرني الموت قبل أن أراه ، وبجسرتة أموت . وأنت فلو صرت حوتا في قعر الماء أو حلت كوكبا في جوف السماء لم تقلت من أبي . وليأخذن بتارى منك اذا بلغه مصرعى هذا ، ويوشك أن

(أ) في الشاه : أن الله كان منح رستم قوة تشق الحجارة تحت قدميه حين يمشى . فسأل الله أن ينقص من قوته ليستطيع السير في الطريق . فلما كره به أمر سهراب سأل الله أن يرد ما نقص من قوته فاستجاب له . (ب) في الشاه : « أيها المفلت من مغالبى لماذا عدت الى ما ألقى ؟ » وهذا أقرب الى سياق القصة . (ج) في الشاه : « كلما عصب الحظ المشتم مار الجير الصلب كالشمع » .

(١) ك ، كوه ، ط ، بل (لا) - (٢) ك : قد (لا) - (٣) في حاشية الأمل في هذا الموضع :

واثل بعضها يقتل بعضا * لا يغل الحديد إلا الحديد

يلفغه ذلك ولو على لسان واحد من هذا الجمع الكبير . قال : فلما سمع رسم مقاتله هذه أظلم نهاره ، وغشى عليه . ثم لما أفاق أقبل عليه برنين وحيتين ، وقال له : أخبرني عما معك من علامات رسم — لا عاش ولا عد من نقره — فقال عند ذلك : إن كنت أنت رسم فلانما قتلني بسوء خلقك . وكم تعرفت اليك ، وتلفت لك ، فما تحرك عرقك ولا لان قلبك . فخل الآن معاهد جوشي ، وعزبدني ^(١) . فإن أُمي حين ودعني شدت على عضدي خرزة ، وقالت : هذه تذكرة من أبيك ، ولعلك تحتاج اليها . ففعل ذلك رسم . فلما رأى تلك الخرزة رسم في عضده شق جيبه ، وأخذ يضرب صدره ، وينتف شعره ، ويندب ولده . فقال سهراب : قتلت نفسك بيدك . وقد وقع المحذور ، ومضى المقدور ، وليس يتفك هذا الجزع

قال : ولما زالت الشمس على الإيرانيين ولم يروا أثرا من رسم ركب جماعة من فرسانهم في طلبه . فرأوا في الصحراء فرسين ليس معهما أحد . فحسبوا أن رسم قتل فأسرعوا الى كيكلوس ، وقالوا : خلت الملكة عن رسم . فاضطرب الإيرانيون وضجوا وأخذوا في البكاء والزنين . وأمر كيكلوس بإعمال البوقات ، وضرب الكومات . واستحضر طلوسا . وقال لهم : طيروا هجينا حتى توثي نجر سهراب . فإن كان رسم قد قتل فقد اهطع رجاؤنا من إيران لإعوازنا من يقاتل بعده هذا العدو . وليس من الصواب أن توقف في مثل هذه الحالة ، والأصوب أن نهجم عليهم ، ونجعل الأمر حملة واحدة . قال : فلما سمع سهراب صياح الإيرانيين ونجتهم قال لرسم : قد تغير الحال الآن عسكر الترك بسبب ما جرى على . فاجهد كل الجهد في أن تصرف كيكلوس عن قتالهم . فإنهم من أجل تجشموا المهيء الى هذه الديار . وكم أمنية كانت لهم معذوقة بأيامى ، وكم حاجة كانوا يرتجون نجاحتها في حياتى . وقد خاب رجاؤهم ، وأخفقت ظنونهم . فلا ينبغي أن ينالهم في عودهم وانصرافهم محذور . فأنشر عليهم جناح الأمان ، وانظر إليهم بين الرعاية والإحسان . فركب رسم وأقبل الى عسكر الإيرانيين ودموعه جارية ، وأفاسه متصلة ، محترق القلب على ولده ، وقد قتله يده . فلما رآه الإيرانيون ترجلوا ومجدوا شكر الله تعالى على رجوعه سالما . فلما شاهدوه ممزق الثياب مستعيض الرأس عن التاج بالتراب سألوه عما به . فأخبرهم بحاله العجيبة ، وقال لهم : إنه لم يبق لى الآن قلب ولا جسد ولا عقل ولا جلد . فلا تقاقلوا الأثران فقد كفاهم ما جرى عليهم على يدى من الشر . وحضر أخوه زواره وقد شق على نفسه ثيابه ^(٢) . فأرسله الى هومان وقال : قد أغمد سيف القتال ، وصرت أنت الآن حافظ عسكر الترك ، وهذا زواره قد أمرناه بأن يصحبك حتى تبلغ أنت ومن معك الى حافة النهر .

(١) ك : يدى . (٢) ك ، ط : رسم (لا) . (٣) ك : محرق . (٤) ط ، ك ، ك : نياها الخسروانية .

ثم رجع رستم الى مصرع ابنه ومعه الأكابر والأمراء، فاستل خنجرًا وهم يقتل نفسه لفرط ما أصابه من الجزع . فتعلقوا به وهم يضعون ويبيكون . وقال له جودُوز : لو قلبت الأرض ظهرها لبطن، وأصبت قسك بكل مكروه لم ينفعك ذلك شيئا . وسُهراب إن كان الله قد أنسا في أجله فسيعافى وتبقيان معا . وإن تكن الأخرى فهوّن عليك ، وانظر من ذا الذي قضى له بالبقاء في دار الفناء . وكلنا قصص المنون . غير أنا لا ندرى متى يخرج علينا من الكين ^(١) . فقال عند ذلك لجودُوز : تحمل عني رسالة الى الملك ؛ امض اليه ، وأبلغه ما بليت به في ولدي ، وقل : إن كنت ترعى حقوق خدمتي ، ولا تدمي نصحي وطاعتي فأنفذ الى من خزانك شربة من الدواء الذي يشفي الجرحى ، مع جام من الشراب . ففعل سهراب بيد عليه الشفاء بسعادتك ، و يصير أحد العبيد المساكين في خدمتك . فركب جودُوز وجاء الى الملك ، وأبلغه رسالة رستم . فقال له الملك : ألم تسمع قوله في ذلك اليوم ^(٢) : من كيكائوس ؟ وإن كان هو الملك فن طوس ؟ وامتنع من إسعافه بما طلب ^(٣) (ب) . ورجع جودُوز الى رستم ، وقال : إن خلق الملك السيئ شجرة مثمرة بالجفاء والحصومة . والأولى أن تركب بنفسك اليه ليقتضى حاجتك . فأمر رستم فيسطوا على جانب ذاك الوادي فرشا وبسطا ، وحملوا سهراب وتؤمونه عليه . وركب متوجها نحو سرداق الملك . ولما توسط الطريق لحقه الخبر بموت سهراب نغر من الفرس ، وحثا التراب على رأسه ، وجعل يركب عليه ويندب ويقول : من الذي أصيب بمثل ما به أصبت ، ومن الذي بلغ بمثل ما به بلغت ؟ قتلت ولدي حين شاب رأسي واقضى عمري . ثم أمر بجمل سهراب الى مخيمه ، وبإحراق سرداقه وخيمه وتخته وأملحته وغير ذلك . ثم جاءه الملك كيكائوس وجميع الأكابر والأمراء ، وجلسوا معه على التراب وأخذوا يعزونه ويسلونوه . وكان من قول كيكائوس له : إن مصير الكل الى الفناء ، فن واحد يتقدم ، وآخر يتأخر . وقد كان من قضاء الله أن يزججه من دياره حتى تكون ميتته على يدك . فقال له رستم عند ذلك : إن سهراب قد مضى . وبقي صاحبه هومان نازلا في هذه الصحراء ، ومعه جماعة من أمراء الترك وأكابر الصين . فلا يكن في قلبك عليهم شيء . وزواره

(١) يعني يوم غضب كيكائوس على رستم وأمر بصلبه فخرج رستم الى ذابستان مغاضبا ، كما تقدم في أثناء هذا الفصل .

(ب) يجب القارئ من قبل كائوس هذا . ولكن في الشاه بقة الكلام ، فكائوس يقول : أما لا أضمر شرار رستم . ولكن أخشى أن تزيد سطوته بجاية سهراب . وقد سمعت من رستم ما سمعت . وسمعت عن سهراب ، شر من ذلك ؛ فقد قال : سأقتل الإيرانيين وأملب كائوس الخ .

(١) ك ، كز ، ط : المكن . (٢) صل ، ك : تنس . (٣) صل : ومن . والتصحیح من ك ، ط .

(٤) ك : فرجح . (٥) ك ، ط : من ذا القى .

يسير معهم بإذن الملك حتى يصلوا مأمهم . فقال له كيكائوس : إنهم وإن خربوا ممالك إيران وكثرت إسماعهم إلى فقد زال ما في قلبي عليهم بسبب ما جرى عليك وتآلى لتألك .

ثم ركب كيكائوس راجعا في عسكره إلى بلاد إيران^(١) . وأقام رستم هناك حتى رجع أخوه زواره وأخبره بانصراف عسكر توران . ثم رجع إلى زابلستان . ولما سمع به أبوه دستان تلقاه في جميع أهل سيستان . وحين وقعت عينه على تابوت سهراب نزل . وكان رستم يمشي بين يديه با كما يمزق الثياب . فلما رآه الأكبر بتلك الصفة حلوا مناطقهم ومزقوا أثوابهم . ودخلوا بالتابوت إلى إيوان رستم ، ووضعوه بين أيديهم . ففتح رستم رأس التابوت ، ونفى عن سهراب أكفانه حتى رأى الحاضرون قدّه وقاله ، وشاهده كالأسد نائما في الصندوق . ثم أطبقوا عليه التابوت وأوثقوه ، ودفنوه وبنوا عليه تربة من حوافر الخيل (١) . وقال رستم : إني أعلم أني لو حشوت قبره بالمسك ، وبنيت تربته من الذهب والفضة فإلى الفناء مصيره ولا يبقى شيء من ذلك على مر الدهور وكر العصور^(٢)

§ [سماع أم سهراب بقتله

وتوران دوت بهذا الخبر :	بمصرع سهرابا المظفر
لذلك سمعان جاءوا سراعا	قعد عليه الثياب التياغا
وأخبرت الأم أن البطل	بسيف أيه أنه الأجل
فرزت الدرع أظفارها	فلاحت تلائس أبنارها
تن وتجار جهد الحزين	وينابها الفتي في كل حين
تلف أصابعها بالشعر	فتجتر من أصلهن الطرر
وتذرى على الخلد دمع الدم	وتكبو وتنهض في الماتم
تعص على الكف في يأسها	وتذرو التراب على رأسها
تقول : بخت وروحي ! ترى	بأية أرض طواك الثرى؟

(١) كذا في بعض نسخ الشاه . وفي بعضها : تربة مثل حافر القرس .

(١) كو : فارس . (٢) صل : فلما رآه بتلك الصفة . والتصحيح من ك ، طا . (٣) ك : بالذهب .

(§) حذف المترجم الفصل الأخير من قصة سهراب — الفصل الذي يصف حرد أنه وتولمها حيناً جامعاً نبيه . وترجمته نظماً جامداً أن تكون الترجمة مرآة الأصل ، والزممت أن أترجم البيت بالبيت على بعد ما بين الفتيين . ويرى القارئ فيه مثالا من شعر الشاهنامه ، معانيه وأوزانه وقوافيه .

منحت الطريق طماح البصر
حسبتك جاوزت سهلا وصعبا
وجئت أباك وحسب الألقى
وما خلت أن الأب المسعرا
ألم يرحم القامة الهائلة
وذلك الشطاط - أما يرحم؟ -
رعبتك حتى كسيت الشوارا
فكيف اكتسيت دما قانيا
من اليوم يؤنس صدرى؟ ومن
ومن ذا، مكانك، أدعو مجييا؟
فواها بالجم وجه منير
أليكَ الحفاظ! نسدت الأب
وفاجأك اليأس دون الأمل
ألا - قبل أن يصل الخنجرا
أريت أباك فذكرته
عقدت عليك أمار الأب
تركت لأملك ذل الأسير
فهلا محببتك يوم السفر
إذا رآني رسمت فأذكر
وما أشرع الرمح يوم الردى

عن ابني ورسمت أبني الخمبر
وطوّفت في الأرض شرقا وغربا
فأسرعت نحوى تحت الخطى
يحطم في صدرك الخنجرا
ووجهك والوفرة السائلة؟
يمزقه بالظبي رسم!
وضمك صدرى الدجى والنهار
وبدّله كفنا باليا؟
يقاسمى الغم يوم الحزن؟
ومن ذا أبت الجوى والوجيبا؟
وعينين - في الترب بعد القصور!
فلاقيته الحدث المجدبا
وأضواك تحت الرغام الأجل
ويمنعه صدرك المسفرا -
أمارا من الأم أصغرتة!
لماذا جحدت؟ ولم تكذب
وحز المسموم وحر الزفير
فأصبحت في العالمين السمر!
وبلقت مما تروم الوطر
ومزق صدرك طعن العدا



تقول وتحنس جميا جميلا
أطالت بكاء ابنها والتجيبا
ونحرت على الأرض جبرا نهد
وعادت ترجع تحناتها

وتلطم بالكف خدا أسبلا
فأجرت من الناس دما سكو با
كأن بها دما قد جمد
وتذكى على الابن أحزانها



وجاءت الى تاجه تتقدم	دم القلب في دمعها ينسجم
فناحت على تاجه والسرور	تقول : أيا غصن ملك كسر!
وجاءت الى طرفه الطائر	الى زينة الزهن الناضر
فلزت الى رأسه صدرها	يرى الناس في عجب أمرها
تقبل جبهته جهدها	وتحنو لحافه خدها
وجاءت لحنه في كد	تعاقها كابنها المفتقد
دم الجفن في الترب كالندم	تقلب فوق الثرى والدم
وجاءت الى السيف والمقمة	حليفه في حومة المعمة
وجاءت الى درعه والشليل ^(١)	الى القوس والسمهرى الطويل
وبالترس جاءت وبلحم الذهب	تصك بها رأسها المستلب
ووهي ثمانين بالأذرع	تغل به جيدها لا نعى
وبالحوذ جاءت وبالحوشن	تُيب بليث الوغى المعطن
وثارت تجرد من سيفه	تجز السببة من طرفه



ونال المساكين ذخر الفنى	نضارا وخيلا وكل الفنى
وغلقت القصر بابا فبابا	وسوت ذرى نخسه والترابا
تجلى أبوابه بالسواد	وتذرو عليه تراب الحداد
وعطلت الدار مغنى السروز	وكان الى الحرب منها المسير
وجلاها الحزن زرق الثياب	نضرجها بالعقيق المذاب



وُمدت لها ستة في العمر	لنوح الليالى وندب النهر
وأسلمت الروح مما بها	فطارت تحن لسهرها

(١) الشليل : غلالة تلبس تحت الدرع .



كذا قال بهرام رب اللسن : بأهل المقابر لا تكلفن
فان الحياة متاع قليل فمجل وأعد ليوم الرحيل
لك التوبة اليوم بعد الأوب توقع نهايتها وارقب
هو السر عيت به الأحقب فتمام مفتاحه تطلب؟
هو الباب لم يفتحته أحد فلا تضع العمر في ذا الكبَد
ولكن حكم القضاء مضى بذلك رب القضاء قضى
فلا يعلق القلب دار الزوال فان التمتع فيها حال



عن القصة الآن أصرف عزمي حديث سياوخش، من بعد همي [

ذكر ولادة سياوخش بن كيكائوس وابتداء أمره §

قال صاحب الكتاب : حكى أن طوس بن نوذر وجيو بن جودرز رجا يوما في جماعة من
الفرسان متصيدين فاتهموا الى غيضة فيها صيد كثير، فافتحموها بالفهود والجوارح من جوانبها كلها،

§ سياوخش

يسمى سياوخش وسياوش، ويذكرهما في الشاهنامه . واسمه في الأستاق سياوشترانه
أو سياوشتران . وسياوش في الفارسية ضرب من الطير . وخون سياوش أو سياوشان، أى دم
سياوش، نبت اسمه بالعربية دم الأخوين ^(١) .

وقد ذكرته الأستاق في عداد الصديقين : " نبيد روح الملك المقدس سياوشترانه " . وذكر
في عداد الملوك الكيانيين باسم كفى سياوشتران . وذكر في مواضع أخرى تارك خمروله من
أفراسياب ^(٢) . وضرب في موضع آخر مثلا للجل والبراءة من العيب ^(٣) .

(١) أفناء، وفرههك شعورى، والقاموس المحيط . (٢) أفستاج، ص ٢٢٢ و ٣٠٣ و ١١٤ و ١١٥

(٣) = ص ٢٢٦

= تصف الشاهنامه بناءً على ما وجدته في نسخة المخطوط، ولا تبيين مكانها
بما كان كافياً، ولكن استطاع تبيين هذا بمراجعة كتب أخرى :

يقول البيروني عن أهل خوارزم : ” فكأولاً يؤرخون بأول عمارتها . وقد كانت قبل الاسكندر بسعمائة وثمانين سنة . ثم أخذوا بعد ذلك بتوزد سیاوخش بن كيكائوس إياها ، وتملك كيخسرو ونسله بها حين نقل إليها وسير أمره على ملك الركب . وكان ذلك بعد عمارتها باثنتين وتسعين سنة . ثم اقتدوا بالفرس في التاريخ بالقائم من ذرية كيخسرو المسمى (٩) بالشاهية بها . حتى ملك آفرنج ، وكان أحدهم ، وكان يتطير به كما تشاءت الفرس بيزجرد الأئيم . وملك ابنه بعده . وبني قصره على ظهر الفير في سنة ستمائة وست عشرة للاسكندر فأرخوا به وبأولاده . وكان هذا الفير قطعة على طرف مدينة خوارزم مبنية من طين وابن ، ثلاثة حصون بعضها في بعض متوالية في العلو . وفوق جميعها قصور الملوك كمثل غمدان نايمين ... وكان يرى هذا العير من مقدار عشرة أميال ما كثر . فخطمه جيحون وهدمه وذهب به قطاعاً كل عام حتى لم يبق منه شيء في سنة ألف وثلاثمائة وخميس للاسكندر^(١٣) “ .

(١) الحركات : الحجة العظيمة . (٢) لفظ "بَيْف" سائط من الأصل . والتصحيح من ملا .

(٢) الآثار الباقية ص ٣٥

فإنك تعلم أنى ركضت فى طلب الصيد وكنت أمامك فأنا الذى وجدتها . فطال بينهما الكلام حتى اختصما ، وأفضى بهما الخصام الى العزم على قتل الجارية حسما لمادة الشر . فتوسط بينهما بعض الفرسان ، وقال : رأى أن تحمل الجارية الى حضرة الملك كيكلاوس ايرى فيها رأيه ، ويخص بها من يرى منكما . قراضيا بذلك ، وأقبل بها الى خدمة الملك كيكلاوس . ولما رأى الجارية ضحك وعض على شفته كالمتعجب . وقال كيف تصاد الأقارذوات النهود بالبراة والفهود ؟ وقال للإصبهذين : قد كفيتمنا التعب والمؤونة . وإن مثل هذا الصيد لا يليق إلا بالملك . فأخذ الجارية واستأثر بها ، وأمر بها فأدخلت الى دار النساء ، وأجلست على تحت ، وزينت بالديباج الأصفر ، ووشحت بالياقوت والفيروزج . ودخل عليها الملك فوجدها درة غير مثقوبة ، وياقوتة غير ممسوسة بجرى بينهما ما جرى ولم ينشب أن حلت الجارية .

ولما ولدت بُشّر بأنها وضعت ولدا كأنه قرأ أو صنم حسنا وجمالا . فأظهروا السرور به ، وسماه أبوه سياوخش . فنظر الملك فى طالعه فرأى أموره مضطربة . فاعتم لذلك والتجأ الى الله

(٤٣)

= . فاذا قرنا هذا الى ما يقول الفردوسى عن مكان ~~كنكا~~ دِرو بنائها وجدنا شبها بين البنامين . ثم ~~كنكا~~ تذكر فى الأبنساق باسم كنكا العالى المقدس — كما تقدم فى فصل نوذر — ويقول دَرِمِسْتَر أن كنكا مدينة بناها سياوخش فى أرض خوارزم . ^(١٢) فيؤخذ من هذا أن ~~كنكا~~ التى وصفها الفردوسى هى حصن الفيرالذى ذكره البيرونى ، وأن الفردوسى ومن أخذ عنهم كانوا يقبلون حصن الفير حين يصفون مدينة ~~كنكا~~ . ويؤخذ من رواية البيرونى المتقدمة أن الحصن بقى يكالغ غارات نهر جيحون الى زمن الفردوسى .

وتذكر مدينة ~~كنكا~~ أيضا فى الأبنساق مقاما لخورشيد كبير المحارب من أبناء زردشت ، ولبشوتو ابن الملك قشتاسب صاحب زردشت . وبشوتو أحد السبعة الخالدين فى رأى الزردشتيين ^(١٣) .

وسياق ذكر المدينة نفسها مقاما لأفراسياب فى الوقائع الآتية بينه وبين كيخسرو .

وأما سياوخش ~~كرد~~ فيظهر أنها كانت على جيحون قرب بلخ . وسياق بيان هذا . ثم ينسب الى سياوخش أيضا بناء مدينة سمرقند بعد أبيه كيكلاوس ^(١٤) .

(١) مل : استأثرها . والصحيح من ك ، ط . (٢) ك ، كو ، ط : بشر الملك . (٣) أنشأ ، ج ٢ ص ٦٧ حاشية . (٤) = ص ٢٠٤ حاشية ، ٣٢٩ حاشية . (٥) أوداق أسبوية ص ١٥١

من وجل، وفوض أموره اليه . ثم مضى على ذلك زمان، وقَدِمَ رستم، وقال لللك : إن لك عبيدا كثيرة، ولكن لا يكون أحد منهم أشفق على سياوخش مني . وسأله أن يُكفله إياه . فسلمه اليه ليربيه ^(١) . فحمله رستم الى زابلستان، وعلمه الفروسية والرماية وجميع آداب الملوك للحرب، والصيد والطرد، وقيادة الساکر، والتكلم على الناس في المحافل . وتعب في ترشيحه وتربيته وتأديبه ^(٢) تعباً كثيراً . لكن أثمر تعبهُ ذلك أن صار سياوخش، لما تجمع فيه من آداب الملوك، وأخلاق السلاطين، كأنه لا نظير له في العالم .

ولما ترعرع الشاب، وطال قَدَمُهُ، واشتدَّت أعضاده، وصار يصطاد الأسود بين الفياض والآجام قال لرستم : إني أريد المصير الى خدمة الملك كيكاؤس حتى يراني ويرى ما تحليت به من آدابك، وتزيت به من أخلاقك . فاعده رستم ما يليق بمثله من أولاد الملوك، من الخيل والبغال ونفائس الأموال، وأعطاه خاتماً ونخناً وتاجاً ومنطقة ومن غير ذلك من الملابس والمفارش ما يناسب ذلك . وسرَّحه على هذه الجملة بعد أن شيعه . وكان أهل كل مملكة يمر بهم يثرون الذهب والجواهر

= وقصة سياوخش الى أن ولد ابنه كيخسرو وترعرع وأقام مع أمه في مدينة أبيه (سياوش كورد) ٢٧٧٠ يتنا يتكلم الشاعر بعدها عن رجوع كيخسرو الى ايران . والقصة في الشاهنامه تتضمن هذه العناوين : -

- (١) فاتحة القصة . (٢) حكاية أم سياوش . (٣) ولادة سياوش . (٤) رجوع سياوش من زابلستان . (٥) وفاة أم سياوش . (٦) عشق سودابه إياه . (٧) مجيئه الى سودابه . (٨) مجيئه الى دار النساء مرة أخرى . (٩) خَدَع سودابه كلوس . (١٠) احتيال سودابه والمرأة الساحرة . (١١) سؤال كلوس عن أمر الجنيتين . (١٢) امتحان سياوش بالنار . (١٣) شفاعة سياوش عند أبيه ليعفو عن سودابه . (١٤) سماع كلوس بغيء أفراسياب . (١٥) سياوش يقود الجيش . (١٦) كتاب سياوش بالفتح الى كاؤس . (١٧) جواب كلوس . (١٨) رؤيا أفراسياب وفزعهُ . (١٩) سؤال أفراسياب الموبذين عن تأويل الرؤيا . (٢٠) تشاور أفراسياب والملا . (٢١) مجيئ كرسيسوز الى سياوش . (٢٢) مصالحة سياوش وأفراسياب . (٢٣) إرسال سياوش رستم الى كاؤس . (٢٤) أداء رستم الرسالة الى كلوس . (٢٥) إرسال كلوس رستم الى ميستان . (٢٦) إجابة كلوس رسالة سياوش . (٢٧) مشاورة سياوش بهرام وزنكه . (٢٨) ذهاب وزنكه الى أفراسياب . (٢٩) كتاب =
- (١) طاء، ك: ليريه ويؤديه . (٢) ك: وتأديبه وتربيته . (٣) كو: سياوش . (٤) ك: حصل . وغير ذلك .
والصحيح من ك: طاء .

تحت حوافر خيله ، و يسعدون لمقدمه الآذينات (١) وهى القباب التى تصب وتنفذ فى أفراس الملوك . ولما بلغ الخبر كيكلاوس بمقدمه أمر طوسا وجيوا فركبا فى السراكر والقبيلة لاستقباله ، فلقوه ودخلوا به الى دار الملك . واصطفت له فى طريقه من كل جانب ثلثائة وصيفة بألبين المجامر . ونثرت عليه نثارات تكاثر زهر الكواكب ، فى تلك المواكب . وحين دخل على أبيه ورآه جالسا على تخت من العاج ، معتصبا بشاح من الياقوت أهوى الى الأرض ساجدا ، وبقى ينساجى الأرض ساعة . ثم رفع رأسه واستنداه فعانقه ، وسأله عن رسم ، وأقده يجنبه على ذلك التخت . وجعل يتنهل الى الله تعالى ويتضرع اليه ، ويشكره على أياديه فى ولده . ثم أمر الإيرانيين بالتشمير فى خدمته . وأخذوا معه فى اللهو واللعب ، والقصف والطرب أسبوعا كاملا . ثم أمر ففتحت أبواب الخزان ، وأفيضت عليه الأموال والكنوز والذخائر . وأعطاه كل شئ يلقى بالملوك من الخيل والسلاح وغيرهما ما خلا التاج فإنه لم يكن مستحقه حينئذ لصغر سته . وأقام سبع سنين يربيه . ثم أعطاه التاج فى السنة الثامنة ، وكتب له المنشور على بعض الممالك ، على عادة الملوك السالفة .

= أفراسياب الى سياوش . (٣٠) ترك سياوش الجيش لبهرام . (٣١) رؤية سياوش أفراسياب . (٣٢) إظهار سياوش مناقبه عند أفراسياب . (٣٣) ذهب أفراسياب وسيوش للصيد . (٣٤) تزويج ييران ابنته من سياوش . (٣٥) تكليم ييران سياوش فى أمر فرنكيس . (٣٦) تكليم ييران أفراسياب . (٣٧) بناء سياوش بفرنكيس . (٣٨) تولية أفراسياب سياوش على بعض الأقاليم . (٣٩) بناء سياوش ككرد . (٤٠) إخبار سياوش ييران عن المستقبل . (٤١) إرسال أفراسياب ييران الى الولايات . (٤٢) بناء سياوش «سياوش ككرد» . (٤٣) مجيء ييران الى سياوش ككرد . (٤٤) إرسال أفراسياب كرسيز الى سياوش . (٤٥) ولادة فرود بن سياوش . (٤٦) سياوش يلعب بالكرة . (٤٧) رجوع كرسيز الى أفراسياب وإيقاعه بسياوش . (٤٧) مجيء كرسيز الى سياوش مرة أخرى . (٤٨) رسالة سياوش الى أفراسياب . (٤٩) مجيء أفراسياب لحرب سياوش . (٥٠) رؤيا سياوش . (٥١) وصية سياوش فرنكيس . (٥٢) أسر أفراسياب سياوش . (٥٣) نضج فرنكيس الى أفراسياب . (٥٤) قتل سياوش بيد كروى . (٥٥) إطلاق أفراسياب فرنكيس . (٥٦) مولد كيخسرو . (٥٧) تسليم ييران كيخسرو الى الرعاة . (٥٨) إحضار ييران كيخسرو الى أفراسياب . (٥٩) رجوع كيخسرو الى سياوش ككرد .

(١) الذى فى نسخ الشاه الذى يردى أن الناس زينوا البلاد . وكلمة آذينات هنا جمع «آذن» وهى فى الفارسية الزينة .

ذكر عشق سوزابه زوجة كيكالوس لسياوخش المذكور وقصتهما (١)

قال : ولما رأت سوزابه محاسن سياوخش ، وكال جماله عشقته حتى خرج من يدها زمام اختيارها ، وبلغت بنومها وقرارها . فأرسلت الى سياوخش تلتبس منه الدخول الى دار أبيه ، والحضور لزيارة ذوات قرابته . فقال سياوخش في جوابها : إنه لا سبيل الى ذلك . واست ممن يخذع بمكره واحتياكه . فدخلت سوزابه على كيكالوس ، وأطلقت لسانها بالدعاء له والثناء عليه ، وقالت : أيها الملك لا تمنع سياوخش عن الدخول الى ما وراء الحجاب ، فإن أخواته قد اشتقن الى لقائه ، ولا صبر لهن عن الاكتحال بجماله . وإنه اذا دخل اليك حملنا على رؤوسنا ، ونثرنا تحت قدمه أرواحنا ونفوسنا . فدعا كيكالوس بولده سياوخش ، وقال : إن لك وراء الستر أخوات يشتقن اليك ، وسوزابه لك مثل أمك . فإن الأجانب اذا سمعوا بكرك هشوا الى لقاءك . فكيف من كان دمه ممتزجا بدمك ورحمه متصلة برحمك ؟ فادخل عليهن وفرجهن بذلك . فلما قال له أبوه هذه المقالة تعجب من كلامه ، وأفكر في نفسه ساعة . ثم قال^(٢) ، بعد أن علم أنه اذا دخل حجرة النساء الى من سوزابه بكل بلية : إن الملك أهلي للتاج والتخت ، وعقد لي على إقاييم من الأقاليم فيبني أن يجمع لي الموازنة والأكابر الذين حنكتهم التجارب ونجذتهم النواصب حتى أتعل منهم مطاردة الأقران في حاشي الكفاح والطعان ، وأخذ عنهم مراسم الملوك حالة الجلوس للناس على تحت السلطنة ، وأبين القعود في مجالس الأنس والخلوة . وإذا كان كذلك فما أصنع في حجرة النساء ؟ وماذا يعلمني من محاسن الآداب ؟ فسر الملك لما أشعر به من كلامه من الرأي والمقل ، واستحسن ذلك منه ، وقال له : ولكن لا يدخلن قلبك من ذلك شيء ، وادخل الى أخواتك وسوزابه التي هي بمنزلة أمك . فقال سياوخش عند ذلك : أبكر غدا إلى خدمة الملك ، ثم أمثل ما يأمر به . وخدم وخرج .

قال : وكان على باب حجرة النساء رجل موصوف بالمقل الكامل ، والرأي الثاقب يسمى هيرزبد وهو يتولى حجة النساء . وكانت بيده مفاتيح حجراتهن . فدعا كيكالوس ، وقال : إذا أطلعت الشمس غدا فانطلق إلى خدمة سياوخش ، وانظر ما يقول ، وأشر على سوزابه أن تتر عند دخوله الثارات ، وكذلك أشر على أخواته وسائر الجوارى بثر الزبرجد والعقيق ، والمسك والزعفران . قال : ولما

(١) حذف المترجم هنا فصلا صغيرا ، يقص فيه الفردوسي عن موت أم سياوخش وزنه عليها .

(٢) ك : كو ، طا : طينا . (٣) ك : ولده . (٤) ك : وقال . (٥) ك : حالة . (٦) آيين في الفارسية : الآداب المتواضع عليها . (٧) كو : لما أشعر به كلامه .

(٨) في الشاه : هيريد . (٩) ك : طا : بأن .

أصبح سياوخش ركب إلى خدمة الملك ، ودخل عليه ومجده له فأكرمه الملك ، وجعل يساره . فلما فرغ من محادثته دعا بهرزبد ، وأشار إلى سياوخش بأن ينهض معه إلى دار النساء . فقام وهو يرتعد خوفاً مما يعرفه من كيدهن ومكرهن . ثم تجاوز السرقتلقة الوصائف ينثرن الذهب والمسك والزرجد والعنبر تحت قدمه . ورأى أرض المكان مفروشة بالديساج ، وسماؤه مزينة بالؤلؤ الشاهي . ورأى وصائف يأيدن أفداح العقيان ، وقيانا مكلاات بأكاليل الزرجد والمرجان . وكانت تلك الساحة جنة من الجنان محتوية على الخوريات الملاح ، والوصائف الصباح . ولما توسط الإيوان رأى تحتها من الذهب مرصعا بالفيروزج والزرجد ، وعليه سوزابه معتصبة بالتاج كأنها الشمس الطالعة ، وعلى رأسها وصائف قد اصططفن كأنهن أشجار سرو على حافات حديقة ورد . ولما وقعت عليها على سياوخش نزلت من التخت فاستقبلته ، ثم خدمته وعانقته وأخذت تقبل عينه وتشم خده زمانا طويلا . وجعلت تدعوه وتثني عليه . فلم سياوخش أن ذلك ليس كحبة الأمهات والأولاد ، وأنها على غير طريقة السداد . فانصرف عنها ودخل حجرة أخواته فأكرمنه وأجاسنه على تحت من الذهب . ومكث عندهن ساعة ثم خرج وجاء إلى أبيه . فسايله عما رآه فقال : إن الله عز وجل لم يمنك شيئا من المحاسن ، وجعلك أكثر من الملوك السالفة روعة وجلالا ، وأوفرهم كنوزا وأموالا . فسر الملك بما قال . وأمر فزين المجلس ، وقعدوا يشربون على أصوات القيان ، وأغاريد المسمعات الحسان . ولما ثمل كيكائوس قام ودخل إلى دار النساء ، وسایل سوزابه عن سياوخش وما تفزست فيه . فأثنت عليه ، ووصفته بخلاله الحميدة ، وسيره المرضية . وذكرت له أنها راغبة في تزويجه إحدى بناتها (١) دون بنات أعمامه . فوافق ذلك رأى الملك .

ولما كان من الغد جاء سياوخش إلى خدمة أبيه فساژه في شيء . ثم قال له بعد المسازة : إنني أتمنى على الله عز وجل أن يكون لك ولد تسره به كما أسر أنا بك . وقد فهمت من كلام الموابنة وأصحاب النجوم أنه سيخرج من ظهرك ملك يطبق الشرق والغرب صيته ، ويملأ الحزن والسهل ذكره . فاختر واحدة من بنات عميك كي بشين وكى آرش ، ومخدراتهما وغيرهن من ربات المجال . فقال : أنا عبدك . ومن أشرت بها على^(٢) امتثلت أمرك ، ولم أخالف وأيك . ولا ينبغي أن تسمع سوزابه من ذلك بشيء فإنها لا ترضى به . ولست أريد أن يكون لي معها كلام ، ولا إليها دخول .

(١) لا يمين القارئ من اقتراح سوزابه تزويج سياوخش من إحدى بناتها أي إحدى أخواته . فالأمر مباح بل مستحسن

في فرجة الجوس .

(١) ك ، ط : على . (٢) ك ، ط : الأولاد . (٣) ك ، ط : على منهن .

فتبسم الملك عند ذلك وهو لا يشعر بما انطوى عليه اللبن من الماء ، وتضمهر سودابه من الداء . وقال : لا بأس عليك فإن الأمر موكل إلى اختيارك . ولا يكون حديثها معك إلا عن صفاء المحبة وخلوص الشفقة . قال : فخرج سياوخش وهو وجل من مكر سودابه . وعلم أن إشارة أبيه عليه بالترويح^(١) صادرة عن سودابه مكرًا وخبتا .

ثم إنها جلست من الغد على تختها ، واعتصبت بتاجها ، وأمرت المخدرات أن يبرزن من كلهن مترينات في حلين وحللين . وأمرت هرزبذ الموكل بحفظهن بالمصير إلى سياوخش وأستدعائه . فحضر ودخل فقامت له وأجلسته على تحت الذهب ، وقعدت إلى جانبه . ثم قالت له : انظر إلى هذه الشمس الطالعة والأقمار الزاهرة ، وأعلمني بمن يقع اختيارك عليها منهن . فتاملن زمانا ثم انصرفن إلى حجرهن ، وكل واحدة ترجوه وتحسبه في بنتها . ثم قالت له سودابه : مالك لا تعرب عن مقصودك ومرامك ، وتجبرني بمن وافقك منهن ؟ فلم يجيبها سياوخش وسكت متعبرا في أمره ، وقال في نفسه : لأن أئدب على نفسي وأبكي عليها خير من أن أتزوج من بنت العدو . وغير خاف ما صنع أبوها دريس (١) ملك هاماوران بأكابر إيران . وسودابه من بناته وهي ، لا محالة ، لا تريد بنا الخير ، ولا تضمن لنا إلا الشر . ولما رأت سودابه سياوخش ساكنا لا يجيبها أماطت عن وجهها نقاب القصب ، وقالت^(٢) : من كانت الشمس في حجره فلا عجب ألا يرفع بغيرها طرفا . تشير بذلك إلى نفسها . وقالت : إن قبلت مني ما أقول ، وعاهدتني على ذلك زوجتك من بناتي بنتا تقوم بخدمتك كما تقوم الأمة . حتى إذا فارق الملك هذه الدنيا تكون أنت القائم على ، والكافل بأمري ، والذائد للشر عني . وهانا بين يديك ، وكل ما تريد مني فانت ممكن منه . ثم أطرحت فتاع الحفر ، وأخذت برأس سياوخش وقبلت وجهه . فتوزست وجنتاه وجلأ بعد أن توزدت نجلا ، واستماذ بالله من الشيطان ، وقال في نفسه : كيف أدنو من السم القاتل ، وأقابل بغير الوفاء إحسان الوالد ؟ وأخاف إن جابتها بالرد ، وخاشتها في القول ، أن تحتال عليّ بسحرها فتفسد قلب الملك عليّ . فالأولى أن ألائنها ، وأجانب مخاشتها . فقال لها : إنك ، مع ما خصصت به من الجمال الرائع والحسن البارع ، لست تصلحين لغير الملك . وأما أنا فتكفيني ابنتك . وعاهدك على ألا أعدل

(١) ليس في نسخ الشاه التي بيده نسيبة ملك هاماوران . والكتب الأخرى تسميه ذا الأذعار ، أو شمر - كما تقدم

في فصل هاماوران .

(١) ك ، طا : بالترويح . (٢) ك ، كو ، طا : واحدة منهن . (٣) ك : يجيبها شيئا وسكت .

(٤) ك ، طا : قالت له .

الى غيرها . فصمى على هذا عزمك ، وخاطبى الملك فيه . وأما ما ذكرت من ملك الى فانك يا ملكة النساء ! عندى بمنزلة الأم . فيذنبى ألا يخرج هذا الكلام من تحت السر ، ولا يطلع أحد على هذا السر . قال : فلما دخل عليها كيكالوس بشرته بوقوع اختيار سیاوخش على ابنتها . فسر الملك بذلك ، وأمر ففتح أبواب الكنوز والذخائر ، وأعد لسياوخش من كل جنس منها كثيراً ، وأضاف الى ذلك الطوق والتاج والخاتم والسوار ، فى جملة ما يصلح للملوك . ففرحت سوزابه بذلك ، وترينت من الغد ، وجلمت على الثخت ، ودعت سیاوخش . وقالت له : إن الملك قد أعد لك ما لم تسمع به أذن ، ولم تقع عليه عين . ثم باحت بسرها ، وصرحت فى مرادته عن نفسه ، وقالت : إنى لم أزل ماشقة لك منذ رأيتك . حتى لقد أظلم على النهار ، وفارقى النوم والقرار . وقد مضى بى على ذلك سبع سنين . فإن أنت طاوختنى على ما أريد منك أضعفت لك هذه الكنوز والأموال . وإن آيت سميت فى تغيير رأى الملك فيك ، وصرف قلبه عنك ، وانزع الملك من يدك . فقال لها سیاوخش : حاشا لله أن أذرى فى طاعة النفس روحى فى الهواء ، وأجاب سبيل الرجولية والدكلاء ، وأقابل صنيع الأب بنير الوفاء . وأنت زوجة الملك ، وشمس العشيرة ، ولا يليق بك التمرض لهذه التهمة والرية . فاغتمت عند ذلك واغتاضت فشققت ثيابها ، وخمشت وجهها ، وصاحت صيحة طن بها الايوان ، وسمعتها الملك فى مكانه . فترل عن نخسه ، وأناها فتلفته وهى تبكى . وقالت : إن سیاوخش راودنى ، وقال : لا أريد سواك من النساء . ولما آيت قابلى بهذا الجفاء ، فترق ثيابى ، وألقى الساج من رأسى . فأطرق الملك ، واشتد غضبه ، وقال : إن صح هذا عنه فالواجب أن يقطع رأسه . ثم أمر بإخراج جميع من كان فى الايوان . وجلس وحده ودعا بسياروخش وسوزابه . ثم أقبل على سیاوخش وقال : إنى سائلك فاصدقنى فى مقالك ، وأخبرنى بالصحة عن حالك . فقص عليه القصة كما جرت . فصعدت سوزابه لمعارضته ، وكذبت ، وقالت : إنما عرضت عليه ما أشار اليه الملك فى قضية الازدواج ، وذكرت له ما أعد له من الكنوز والأموال والذخائر والجواهر ، وقلت له : إنى أضعفها لك من عندى إن تزوجت بابنتى . فأبى ، وقال : مالى حاجة فى المال ، ولا فى بنتك ، ولست أريد سواك . ومد يده الى ، وتعلق بى حتى مزق ثيابى على . وأنا حاملة من الملك ، وأخاف أن أسقط الحمل لما نالى منه . فأفكر الملك ، وقال فى نفسه : ليس هذا مقام العجلة والمعالجة بالمقوبة . والواجب التثبت فى هذا الأمر ، وإلجام النفس بشكيمة العقل .

(١) ك : من خلف . (٢) ك : كو : ولما . (٣) ك : كو : فنج . (٤) ك : ط : كنزا . (٥) ط : من رأسى . (٦) ك : ما أعد . (٧) ك : فأنكر الملك ذلك وقال . (٨) ك : كو : فى مثل هذا الأمر .

حتى يتبين المصلح من المفسد ، والبرى من المجرم . فأخذ يشم يد سیاوخش وأعضاده وثيابه ، فلم يجدها قد عبت بأثر الطيب الذى كان على سوزابه وثيابه . فاقتم عند ذلك ، وقال : ينبغي أن تقتل هذه المرأة ، ويمثل بها . ثم ذكر أباهام ملك هاماوران ، وتحتف ما ينشأ من الفتى بسبب هلاكها . فأمسك عن قتلها ، لذلك ولأمر آخر : أولها أنه ذكر أيام اعتقاله فى قلعة هاماوران ، وما ثبت لهذه المرأة فيها عليه من حقوق الخدمة . والثانى أن حبها كان أخذاً يجمع عقله ، ومتمكنا من سويداء قلبه . والثالث أنه كان له منها أولاد صغار ، واستصعب تربيتهم بعدها . وعلم براءة ساحة سیاوخش ، وطهارة ذيله ، فقال له : لا بأس عليك . وأسبل الستر على هذا الأمر حتى لا ينشرين الخلق .

ولما علمت سوزابه أن كلامها لم يقع من الملك موضع القبول التجأت الى أعمال الحيلة . فدعت امرأة ساحرة كانت فى دارها ، وهى حاملة . وقالت لها : إني أفضى اليك بسر فاحفظى لى على أنك لا تبوحين به لأحد . فافترحت عليها حينئذ أن تسقط ما فى بطنها لتجعله ذرية الى إثبات صدقها عند الملك ، واستبقاء لماء وجهها لديه . فوافقتها المرأة على ذلك . فشربت تلك الليلة دواء فأسقطت به سقطين على أفبع ما يكون من الصور ، حتى كأنهما من أولاد الجرس . فدعت بطشت من الذهب ، وطرحتهما فيه ، وأمرت الساحرة بالاختفاء ، واضطجعت فى فراشها ، ورفعت صياحها بالزنين والأنيث حتى اجتمع عليها جميع من كان هناك من الحرائر والإماء . وسمع الملك صياحها فى مكانه فاستيقظ فزعا ، وسأل عن الحال فأخبر بحال سوزابه . ولما أصبح جاء إليها وشاهدها على حالتها تلك ، ورأى السقطين فى طشت الذهب . فبكّت وقالت : الآن قد برح الخفاء ، وكشف الأمر . وقد أخبرتك بما أصابنى من يد أبنتك فلم تصدقنى ، وملت الى قوله . فاقتم الملك عند ذلك ، وشك فى الأمر ، وأفكر فى نفسه ، وقال : كيف السبيل الى الكشف عن جلية الحال ؟ ولا يمكن التمافل فى هذه القضية . ثم جلس على التخت ، وأحضر المنجمين ، والوزراء ، وأصحاب الرأى والمشورة . وشرع يحقثهم عن ملك هاماوران ، وعن حال ابنته سوزابه . وأتبع ذلك بمحدث السقطين ، وأمر بإحضار الطشت حتى شاهداهما . وأمرهم بالبحث والكشف عن حالهما . فامتلأوا ذلك ونظروا فى زيجاتهم واصططروا باتهم . ولما كان بعد أسبوع أنوا الملك ، وقالوا : إنهما لم يخرججا عن ظهر الملك ، ولا نزلا من رحم سوزابه . ثم ذكروا علامة الساحرة

(١) صل : قلبه . والتصحيح من كو . (٢) صل : تربيتها . والتصحيح من ك . (٣) كو : فأسبل .

(٤) كو : موقع . (٥) ك ، كو ، طا : السحابة . (٦) ك : حتى يشاهدوها .

التي أسقطتهما ، وقاموا . فسكت الملك على ذلك . ولما كان بعد أسبوع استغاث سوزابه عند الملك ، وطلبت بدم السقطين . وأمر الملك الحرس^(١) بتطلب الساحرة ، وتنبهها في البلد . فنتقبوا حتى عثروا عليها ، وجاءوا بها الى الملك . فسايلها عن الحال جامعا بين الإغذار والإنذار . فلم يكن عندها سوى الإصرار على الإنكار . فأمر بأن تخرج الى ظاهر البلد ، ويشقّد عليها فان استمرت على ما كانت عليه من الإنكار نشرت نصفين بالمنشار . فلما أخرجوها وهذوها عرّضت ببعض ما جرى خوفا من القتل . فأخبر الملك بذلك فسكت عليه ، وأحضر سوزابه ، وذكر لها كلام المنجمين في أمر السقطين ، وأنهما من تلك المرأة الساحرة . فقالت : إن المنجمين يفزعون من سياوخش ورُستم ، فلا يتجاسرون أن يقولوا سوى ذلك . وهل يقول المنجم الا ما يوافق هوى رستم ؟ وأخذت تبكي وتقول : إن رضيت بهذا وسكت عليه فإني مقوضة أمرى الى الله عز وجل ، ومؤخرة المطالبة بدمهما الى يوم القيامة . فاعتم الملك حتى بكى . ثم قال : لا بد من البحث عن هذا الأمر . فأحضر العلماء والموايذة وفاوضهم في القضية . فقال أحدهم : إن أردت أن ينكشف الغطاء عن وجه هذا الخطب القاذح^(٢) فالطريق أن يخوض أحد الخصمين النار حتى يخرج منها § فان كان بريئا فليس يصيبه مكروهها . فدعا بسوزابه ، وقال لها : إن النار تفصل بينك وبين سياوخش . فقالت : إني ، صادقة . وسقوط الجنيين يدل على ذلك . فعلى سياوخش الدلالة على براءة ساحته . فرضى سياوخش بذلك .

§ في الأُستاق (الكائنات) : — « أيها الروح الطيب أهرامزدا ! أنت تقضى بالنار بين الخصوم أيهم أنقى وأطهر . وكثير من يرونها يؤمنون بقانونك^(٣) » .

وفي أيام شاوور الثاني قدم آذرباد نفسه للحنة ليفهم مجادليه ، فصب النحاس المذاب على صدره ولم يمسه ضرر^(٤) .

واعتبر هذا بما يرويه ابن هشام وغيره عن النار التي كان يحتكم اليها أهل اليمن ، والتي احتكم اليها الحبران اليهوديان حينما قدم مع تبع أسعد أبي كرب ودعوا الناس الى اليهودية . فلما حاكهما القوم الى النار دخلها الحبران فلم تحرقهما^(٥) .

ولا يزال الأعراب في مصر وغيرها يحتكون الى نار يسمونها البشمة .

(١) ك ، ط : الحراس . (٢) ك ، ط : القاذح (لا) . (٣) أنشأ ، مقدمة XLVII .

(٤) = XLVI . (٥) ابن هشام ، ج ١ ص ٢٥ .

وأمر الملك وزيره فأمر الساربان فأنفذ من الإبل مائة عير فحملت حطبا كثيرا فكثروه في الصحراء على هيئة جبلين عظيمين . فأمر الملك المو بذا فأفرغ القطر المذاب (١) على تلك الأحطاب . وجاءوا بمائتي وقاد ، فطرحوا النار فيها حتى التهمت ، وخيلت أن الأرض مملوءة بالنار ، والحو مشحون بالأنوار . فاج الناس واجتمعوا عليها متوجعين على سياوخش ليكون على شبابه الناصر ، وجماله الباهر . فجاء سياوخش راكبا على فرس أدهم ، وعلى رأسه بيضة من الذهب ، وقد لبس ثياب الياض مثورا عليها الكافور ، كما يعمل بالحنوط في الكفن . ولما قرب من أبيه ترجل وقبل الأرض ، فنظر الى وجهه وقد غمره الحياء فقال له : لا بأس عليك فإني إن كنت بريئا فسوف تراني وقد نرجعت سالما . وإن كنت مذنباً فلن يحفظني الله . وسوف أعبى بقوة الله تعالى على هذه النار . فاضطرب الناس حينئذ ونجوا بالبكاء والتعجب . وصعدت سودابه الى إيوانها تنظر متى يمرق سياوخش . فركض سياوخش فرسه ، وخاض تلك النار المسعرة (٢) ، وداسها بجوافر فرسه حتى قطعها وخرج منها سالما لم يصبه شيء . فصاح الناس عند ذلك ، واستهشروا . فعظم ذلك على سودابه حتى جعلت تنشف شعرها وتمشخ خدحا . وأقبل سياوخش الى أبيه . فلما دنا منه نزل إليه وعانقه ، واعتذر إليه ، وأخذ يثني عليه ويصفه ببقاء الحبيب وطهارة الذيل . واجتمعا في مجلس الأتس على الشرب والطرب الى تمام ثلاثة أيام . ثم جلس على تختة ، ودعا بسودابه ، وخاطبها بالوعيد وأنواع التهديد . ثم أمر بالآخرة بصلبها . فبادروا الى إخراجها من سترها على جملة الخزي والهوان . فضجعت الإماء من وراء الستور يبكين عليها . فرق الملك عند ذلك لها واصفر لونه ، لكنه أخفى ذلك ولم ينطق به . فعلم سياوخش أنه سيلحقه الندم على ذلك من فعله ، وتقرس ميله الى العفو عنها والإغضاء عن خطيئتها . فوثب قائما وتشفع إليه ، واستوهبها منه . فقبل شفاعة فيها ، وعفا عنها وردّها (٣) الى حجابها . قال : ثم بعد زمان مضى على ذلك تزايد شمع كيكلوس بها حتى صار لا يبصر ساعة عن لقائها . وعاودت المكر والحيلة في إفساد قلب الملك على ولده جريا منها على مقتضى فساد طبيعتها ودخل نخلتها . وسيأتي ما أفضى اليه حالها من بعد إن شاء الله تعالى .

(١) في الشام : الفط الأسود . وهو أقرب الى المقصود .

(٢) ك : وير . (٣) ك : ط : الله عز وجل . (٤) ك : ط : المسعرة . (٥) صل : ك : غيلة . (٦) ك : ك : ط : وأمر بردها . (٧) ك : ساعة (لا) .

ذكر الخبر عن قصد أفراسياب لإيران ، وانتداب سیاوخش لقتاله

قال : ثم بلغ كيكائوس أن أفراسياب جمع واحتشد ، وتجهز واستعد مصمماً على قصد ممالك إيران . فآخذه من ذلك المقيم المقعد . فجمع من كان بحضرته من الأمراء والقواد ، وشاورهم في الأمر . وذكر أفراسياب ، وقال : كأَنَّ الله تعالى لم يخلقهُ من العناصر الأربعة بل نحر طيته من جنس وراء طينة الانسان . وكَم حلف لنا بالإيمان المغلظة والمواثيق العبرمة ثم نكث عن كُتُب تلك الايمان والعهود ! فلا بد لي في هذه النوبة من مناهضته بنفسى لحسم شره وكف عاديته . وإن لم أبادره بذلك هم طينا كالسهم الصادر نغرب هذه الديار ، ونهب هذه البلاد . فقال له الموازنة : إنك أيها الملك قد أسلمت ملكك للهلكة مرتين بما تتعاطاه من الحسدة والعجلة . والأصوب ألا تفارق مكانك ، ولا تبأشر الحرب بنفسك ، وتجوز لذلك من ترتضيه من أصحابك ممن يقوم مقامك ، ويسد مكانك . فقال عند ذلك : ما أرى في هذه الحضرة من يقاوم أفراسياب ، ويقدر على مدافعتة وممانعته . فسمع ذلك سیاوخش فرأى أن يكون هو المتولى لذلك ، وأن يسأل الملك تقليده أمره ففساه أن يتغافل بسببه عما يقاسيه من حيل سودابه ومكايدتها^(١) ويحصل له مع ذلك صيت عظيم ، وذكر رفيع ، بما يسهل الله على يده من كفاية شر أفراسياب ، ودفع معرفته .

فلما أصبح جاء الى خدمة أبيه ، وسأله أن يوليه ذلك ، وهو لا يشعر بما جرى به قلم التقدير في اللوح المحفوظ ، وما قضى عليه من الهلك في ديار الترك . فوافق ذلك رأى الملك فأجابه اليه ، ومكنه من الأموال والذخائر ، وأطلق يده في الكنوز والدفائن . ودعا برستم ، وضمه اليه ، وأمره بالهوض معه . فامتثل وأعد واستعد . فضربت الكوسات والطبول ، وخرج سیاوخش في جيوش تكاثر الرمال ، وفيول تطاول الجبال . ونزل على ظاهر البلاد فخرج معه كيكائوس وشيعه مرحلتين ، ثم عاقه وودعه . وكان الله عز وجل قد جعل ذلك آخر عهده بولده . وكَم من سفرة أسفرت عن حسرة ، ومسير أفضى الى أمر عسير . ثم عاد كيكائوس الى مستقره ، وسار سیاوخش ، ومعه برستم ، حتى وصل الى زابلستان ، وأقام شهراً في ضيافة دستان . ثم قاد بجافله ، وساق عساكره ، بعد أن انضم اليه جمع كثير من عساكر الهند وزابل ، حتى وصل الى هراة . فاستجاش منها رجالة كثيرة ، وضمهم الى زنده بن شاوران ، وهو أحد الإصهبتين من أصحابه . فسار الى طالقان^(٢) ومرور الرود ، ورحل منها الى بلخ ، وقد قاربها من جهة أفراسياب أخوه كرسوز وسبهرم وبارمان في جمع كثير كانوا

(١) كز : ومهادنا بالمواثيق . (٢) ط ، ك ، كو : ومكايدها . (٣) ك : من الذخائر والأموال .

(٤) ك ، ط : قال ثم . (٥) ك : الطالقان .

مقدمة عساكر الترك . فبلغهم الخبر بوصول عساكر إيران فأتوا هجينا إلى أفراسياب ، وأعلموه بمجيء
عسكر عظيم من إيران مقدمهم سیاوخش ، وبهلاوتهم (١) رستم ، واستعجلوه في اللقاء بهم . فلم يصبر
سیاوخش ، وسار كالريح العاصف ، وأتت القاصف ، واضطروهم إلى القتال ، فالتقوا على باب مدينة
بلخ ، وتناوشوا الحرب يومين متوالين . ولما كان اليوم الثالث أهب الله تعالى لسیاوخش ريح
الظفر والنصر ، فانهزمت الأتراك وولوا مدبرين ، وأبتدروا إلى عبور جيحون فآزين . فدخل سیاوخش
إلى بلخ وكتب إلى أبيه بما قبض الله له من الفتح ، وشرح له في كتابه جميع ما جرى ، وأخبره أن
كرسيوز وأصحابه انهزموا وعبروا الماء ، وساروا نحو ترمذ ، وأن أفراسياب نازل في السغد . وأسأذنه
في عبور جيحون لقتاله .

فلما وصل الكتاب إلى كيكالوس كاد يطير فرحا وسرورا ، وسجد لله تعالى وشكره على ما يسره له
من النصر العزيز والفتح القريب . وأجاب عن كتابه وقال له في جملة ما كتب : إذ ظفرت وملكت
عنان النصر فعليك بالثبوت والثؤدة . وإياك أن تمجّل فيتمكن التبدّد والانتشار من شملك ، ويظهر
الفشل في خيلك ورجلك . وكن على حذر من أفراسياب فإن الرجل صاحب مكروحية وبأس ونجدة .
وأوصاه بالحزم واليقظ في كتابه . ثم ختمه ونفذه إليه .

فلما وصل الكتاب إلى سیاوخش تلقاه بالتبجيل والإعظام ، وقبل الأرض لمورده . ولما قرأه
ابتهج وأستبشر ، وأقام حيث كان من بلخ امتثالا لأمر أبيه . قال : بخاء كرسيز إلى أفراسياب وأخبره
بالوقعة وما جرى فيها ، وأنهم أجمعوا عن سیاوخش لكثرة عدده وعده . فلما أخبره بذلك استشاط
ونظر إليه نظرة كادت تزهق روحه ، وصاح عليه ، وأمر بإخراجه من عنده . ودعا بأكابر حضرته
وأعيان أصحابه ، وجلس في مجلس الأنس ، واندفع معهم في الشرب إلى أن غربت الشمس ، واستولى
عليهم السكر . فنام أفراسياب وتفرق من كان عنده .

ذكر الرؤيا التي رآها أفراسياب في ليلته هذه

قال : ولما خالط الكرى أجفان أفراسياب ، وخاض غمرة النوم ، وتصمر قطع من الليل ارتعد
على فراشه ارتعاد من أخذته حمى نافضة . فصاح وهو نائم صيحة عظيمة . فوثب من كان حوله^(٢)
من الإماء والوصائف . وبلغ الخبر أخاه كرسيز بخاء عجيلا ، ورآه على الأرض ممتزعا في التراب ،

(١) الهلوان : البطل وقائد الجيش .

(٢) ك ، كو ، طا : عسكر . (٣) ك ، كو ، طا : وإن . (٤) ك : حواله .

فاعتقته وضمه الى صدره، وسأله عما أصابه . فقال لانسائي عن شيء، واصبر على ساعة حتى ترجع نفسي الى . فلما سرى عنه بعد ساعة عاد الى تحته وجلس عليه ، ووضعت الشموع بين يديه ، وهو يرتعد ، كما كان ، كأنه قصبة في مهب ريح عاصف . فعاد أخوه سؤاله عما نزل به فقال : رأيت في المنام برية مغلقة مملوءة بالأفاعى والحيات ، مشحونة الجوف بالعقابين . ثم رأيت الأرض يابسة مقشرة حتى كأن السماء لم ترشها قط بقطرة ماء . ورأيت سرادق مضروبا في ناحية من تلك الأرض وقد أحدقت به جنود كثيرة . فبينما أنا كذلك إذ ثارت ريح نكباء زعزع فنكست رايتي، ورمت سرادق . ثم رأيت في كل جانب من تلك الأرض أنهارا تتدفق بالدماء . ورأيت ألفا أو أكثر من أصحابي قد ضربت رقابهم . ورأيت عسكريا عظيما في أسلحتهم خرجوا من نواحي إيران ومع كل واحد منهم رأس ، وعلى رأس رمح رأس آخر . فركض الى منهم نحو مائة ألف مدبجين ، فاناروني من تحتي ومكاني ، وأزعجوني من مستقري ، وكشفوا يدي . فجعلت ألثفت يميني وشمالا فلا أرى أحدا أعرفه من أصحابي . ثم حملوني الى كيكائوس فرايته جالسا على تخت رفيع وكان سنه غير زائد عن أسبوعين (١) ثم لما رأيته مقيدا بين يديه زار زئيرا عظيما كالسحاب المرعد . ثم ضربني ووسطني بنصفين . فصحت من الوجع والألم فانتهت مذعورا كما رأيته . فقال له كريسوز : إن هذا المنام لا يدل لك إلا على الفرح والسرور ، وحصول المطالب والمقاصد ، وانتكاس راية عدوك ، وتزلزل قواعد ملكه . فلا يهتمن الملك بسببه . ثم جمع أفراسياب الموأبد والمعبرين والعلماء والمنجمين ، وقال : إني أنضى اليكم بسر من أسراي . فليكن مطويا في تضاعيف كتابكم ، بعيدا قصيا عن مدارج أنفاسكم ، وإن أفساه أحد منكم فزقت بين أرواحكم وأجسادكم . ثم لاطفهم وأنهم ، وأجزل عطاءهم ، وأخبرهم بما رآه في المنام . فقال له موبذ منهم ، وكان أفصحهم لسانا وأحسنهم بيانا : أيها الملك إنما رؤيا هائلة ، ولا أتجاسر أن أعبرها لك حتى تعطيني الأمان . فأمنه ، فقال : إن حارب الملك سيالوخش اغبرت الآفاق ، واختبط العالم ، ولم يسلم أحد من الترك وإن كان الظفر لك وإن قتل سيالوخش . فإنه يتألب عند ذلك الإيرانيون للانتقام وطلب الثار ، فلا ينجو منهم الملك ولو صار طيرا في جوف السماء أو حوتا في قعر الماء (ب) . فاهتم عند ذلك أفراسياب ، وعلاه الوجوم ، واعتورته الموم ، فدعا

(١) في النسخ : أن كائوس كان جالسا على التخت ، وبجانبه صبي وجهه كالقمر لا يتجاوز سنه سبتين . أي لا يتجاوز عمره أربع عشرة سنة . (ب) في النسخ : أن المعبرين قالوا : « إنه يدل على هلاك الترك ، إما على يد سيائوش وإما من

أجله » انظر ص ١٩١

(١) ك ، كو ، طا : ولا أرى . (٢) كو : لك وقتل سيالوخش .

بأخيه كرسوز وأخبره بالخال . ثم قال : الأصوب أن أفرع باب الصلح مع سياوخش ، وألاطفه بالحمول والأموال ، وأفرج له عن بعض البلاد . ففعل الله بصرف غنى شر ما رأيت .

ولما أصبح من الفد حضرت الأكابر والأمراء ، على رسمهم في الخدمة . فجلس في مجلسه وجمعهم بين يديه ثم قال لهم : كأن الله عز وجل لم يجعل حظي من الملك غير الحروب وعناثا . وكم من ملك رفيع الذكر عظيم القدر قد قتلُ ! وكَم من بلد مريع وقصر منيع خربت ! ومهما كان الملك ظالما كان محروما من الخيرات مدفوعا عن الحسنات . ومتى كان ظالما انقطع التنازل بين الوحوش والطيور ، وقلت الألبان في الأخلاف والضروع ، ونشت المياه في المنابع والعيون ، ولم تسمع نواج المسك بالأرج ، ولا مثرات الأشجار بالثر . وقد ملئت الحروب ، وكربت الشرور . والرأى أن نزاجع البائنا وعقولنا ، ونديل الراحة من عناثنا وهمونا . وقد ملكني الله تعالى من الأرض صفوتها ، وأعطاني منها سهمين ، وجعل الملوك تحت أمري وفي طاعتي . حتى يؤذون إلى في كل سنة أموالا وافرة ، وإتاوات ثقيلة . ثم قال : ^(١) وإن وافقتموني على هذا الرأي أرسلت إلى رسم ليتوسط بيني وبين سياوخش ، ويرأب صدع الخلاف بالمعاهدة ، ^(٢) ويلم شعث الحال بالموادعة . فاستصوبوا رأيه وكلامه وتراضوا بذلك . فأشار على أخيه كرسوز بالإعداد والاستعداد للسير ، فأرسله في مائتي فارس إلى سياوخش وأحجبه من الهدايا والتحف خيولا كثيرة ، وسيوفا هندية ، وقابجا مرصعا باللاكي الشاهية ، ومائة حمل من المفارش الصينية ، ومائتين من الغلمان والوصائف . وأمره أن يقول لسياوخش : إنا لم نتوجه نحو هذه الديار لمحاربة ولا منازعة ، وإنما صرنا إلى السفد وهي من ممالك القديمة . وقد أنفذت الآن كرسوز إليك حتى يحسم مادة الخلاف ، ويستأصل شافة الفتن ، ويعلمك أننا قد رضينا بقسمة الممالك على ما قسمه الملك أفريدون بين أولاده الجبار . فعسى أن يستريح العالم من المهرج والمرج ، وتستريح نحن من الكد والجهد . وتكتب بذلك الملك كيكاوس ، وترضه على رأيه . فلعله تلين عريكته وتسمع بهذا الصلح قرونته رعاية لمصلحة الخلائق ، وطلبا لسكون نابض الفتنة في المنارب والمشارق . قال : وأحجبه بجملة من الهدايا والتحف من الأجناس المذكورة برسم رسم . ثم سرحه . ولما وصل إلى شاطئ جيحون أنفذ من اختاره من أصحابه إلى الملك سياوخش فقطع الماء ووصل في يوم واحد إلى بلخ ، فحضر باب الملك ، وأنهى بوصول كرسوز رسولا .

(١) ك : ط : قال لم . (٢) ك : زاب ونم . (٣) صل : اشاروا . والتصحيح من ك : ط ، كو .

(٤) ك : وأرسله . (٥) ك : كو ، ط : وأنهى إليه .

ذكر مقدم كرسيز على سياوخش

قال : ولما انتهى كرسيز الى باب سياوخش رفعت الحجب دونه فدخل رقب الأرض . فقام له سياوخش وأكرمه ، وأقعدته عند تحته ، وسأله عن أفراسياب . ثم قدم تلك الجمول والتحف فوقعت منه موقع القبول . ثم أصفى إليه حتى أدى الرسالة ، فقال له (١) تستريح أسبوعا ثم نجيب عن رسالتك . فإنه لا بد من إعمال الفكر في هذا الأمر ، ومشاورة أصحاب الرأي والعقل . ثم أمر بإتزاله في دار مزخرفة ، وأدر عليه الأتزل ، ورتب له الخوانسلارية (ب) والخدم . ثم خلا رسمه بسياوخش وأخذ يتفكران في السبب الذي أوجب صدور تلك الرسالة عن أفراسياب . فساء ظن رسمه واستنكر مجيء كرسيز بنفسه رسولا . فبث طلائع المسكر في نواحي المملكة جريا على مقتضى الحزم ، وأخذ بالحيلة في الأمر . ثم قال سياوخش لرسم : لا بد من امتحان أفراسياب فإني أخاف أنه يضرب العليل تحت الكساء (ج) ، ويسر الحسوت تحت الارتقاء فليتمس منه أن ينفذ البنا مائة نفس من ذوى قرابته ، ونجعلهم عندنا رهينة . فان أجابنا الى ذلك نفذنا حينئذ آمينا ناصحا الى حضرة الملك كيكاوس ليجتهد في انتزاع السخيمة من قلبه ، واقتلاع مادة الخلاف من رأسه . فعمى أن يقع الاتفاق على الصلح ، ويستحكم عقده . فاستصوب رسم رأيه وقال : لا ينبغي أن تكون سالتة إلا على هذا الشرط . وحضر كرسيز من الغد حضرة سياوخش ، فأكرمه ولاطفه ، ثم قال له : إنني تفكرت الباردة في أمرك ، فاستقرت آراؤنا أن نختار السلم والمودعة ، ونظهر قلوبنا من التحاقد والمباغضة . فإن رأيت نفذت الى أفراسياب وقلت له : إن كنت لا تخفى تحت الشهد سما دُعا فلا تضرمت تحت مودعتك مكرًا وخلافا فنفذ البنا مائة نفس ممن يعرفهم رسم ممن تأشب بهم غالبك ، وتداخلت أنسابهم وأنسابك . ليكونوا رهائن عندنا ولنستدل بذلك على صدقك فيما دعوتنا اليه . وأفرج لنا أيضا عن بلاد هي بيدك الآن من ممالك إيران ، فسلمها البنا واترح منها الى ممالك توران . فهذا يلتم الأمر ، وينشب الصدع ، وأتخذ عند ذلك الى الملك كيكاوس عسى أن يصرف المسكر عن لقاءكم ، ويسترجعهم عن قتالكم . فنفذ كرسيز في الحال شخصا الى أفراسياب ، وأمره أن يعلمه بوصوله الى حضرة سياوخش وأدائه الرسالة ، وإجابته الى ما التمس على الشرط المذكور .

(١) في الشاه أن القائل رسم . (ب) خوانسلار مركب من « خوان » أى المائدة ، و « سالار » أى القيم والمثول . ولحقظ : خانسلار . (ج) هذا مثل فارسى معناه إظهار الانسان غير مأير .
 (١) صل : رسم . والصلح من ط . (٢) ط : في الارتقاء . (٣) ك : ذوى رأيه .
 (٤) ك : الى حضرة الملك كيكاوس آمينا ناصحا . (٥) ط : على أن نختار . (٦) ك : كره ، ط : مع مودعتك .

فلما أنهى ذلك الى أفراسياب عظم عليه ، وقال في نفسه : إن نفذت مائة نفس ممن ذكرهم رستم وهت مئتي وضعت قوتي . وإن لم أفد تصورت عند سیاوخش بصورة الكاذب ، ولم يصدقني فيما دعوته اليه . ثم قال : الأولى أن أجيبهم الى ما طلبوا ، وأسعفهم بما اقترحوا ، لعل ذلك يصرف عني شر ما رأيت . واتباع العقل أولى من اقتفاء الجهل . فعد مائة من قرائبه على الوصف الذي وصف رستم ، ونفذهم الى بلخ ، وارتحل عن السغد ، وأخلاها لسياوخش مع بخاري وسمرقند والشاش واسفيجاب وما ينضاف اليها ، وسار حتى نزل على ما يسمى كتك (١) . ولما بلغ الخبر رستم بإخلائه البلاد قال لسياوخش : رجوع كرسوز الآن أصوب وأولى . نخلع عليه خلة تليق به وسرجه . فعاد الى أخيه أفراسياب .

ثم جلس سیاوخش معتصبا بالناج ، وشاور بعض أصحاب الرأي في دهاة حضرته . وقال : أريد من يذهب الى الملك كيكائوس ويكلمه في مصالح أفراسياب . فقال رستم : من ذا الذي يجاسر على أن يتكلم في هذا المعنى بين يدي كيكائوس ؟ فإنه بعد على حاله التي كان عليها من الحدة والطيش والتزق والبطش . غير أني لو صرت اليه وخاطبته في ذلك لرجوت استزاله من غلوائه (٢) . فسر بذلك سیاوخش ، وجلس معه يفاضه ويشاوره (٣) . ثم دعا بكتبه وأمره فكتب الى كيكائوس كتابا يقول فيه بعد الثناء على الله تعالى ، والدعاء لكيكائوس : إني وصلت الى بلخ مسرورا ، ودخلتها مظفرا منصورا . ولما علم أفراسياب بمكانى تكدر في إنائه صفو الزلال ، وأحس بالداء العضال ، فأرسل أخاه يئتمس من الملك الأمان ، وترزعج عما كان استولى عليه من البلاد المضافة الى ممالك إيران مجتريا بما كان لهم في سالف الزمان من نواحي توران ، على أن لا يقرب بعد هذا من حدود إيران ، ولا يدوس ترابها . وقد نفذت الى مائة نفس نص عليهم رستم من أقرانه رهائن . فإن رأى الملك أن يجيبه الى ما سأل فعل . فركب رستم وسار الى حضرة الملك كيكائوس .

وأما كرسوز فإنه لما وصل الى أخيه أفراسياب ذكر ما جرى عند سیاوخش ، ووصف له ما اختص به من روعة الشكل ، وبهاء المظهر ، وأبهة السلطة . فبسم أفراسياب (٤) وقال : الاحتيال خير من الاغتيال . إني لما فزعت من ذلك المنام ونظرت في عاقبة الأمر التجأت الى بذل الرغائب ، وسمحت بإخراج الذخائر حتى أدركت ما طلبت ، وبلغت ما قصدت ، وصار الأمر كما أردت .

(١) في الفرز : « بهشت كتك » . أى حمة كتك .

(٢) ك : فرائبه . (٣) طا : من دهاة . (٤) ك : عن . (٥) ك : اسفنديار . وهو علط .

الى كيكائوس على يد رستم في معنى الصلح قال :

وأما رسمُ فإنه لما وصل إلى حضرة كيكلوس ودخل عليه عاقه، وسأله عن حال ولده، وعن السبب الذي أوجب قدومه عليه . فافتتح رسم بالحديث عن سیاوخش، ثم دفع إليه كتابه . ولما وقف عليه اصفر لونه وقال لرسم : أحسب أن سیاوخش شاب غر لم تصبه المكارة، ولم تقضه التواب . أليس أنت البُذيل المحكك والعُدِّيُّ^(١) المُرجَّب، ومن يتعلم الملوك منه الآداب؟ أنسيت ما عمل معنا أفراسياب، وما تقدم له من الاسامات حتى لقد سلينا القرار، وابتقنا الراحة والأمن؟ ولكن الغلط كان مني حيث لم أنهض لقتاله ، وقبلت قول من ردني عن لقائه . وإنه لما أشرقت على الظفر به خدعكم بالهدايا والتحف حتى صدكم عن قصده . ومن أين يبالي هو بمائه نفس يسلمهم اليكم من أراذل الأتراك الذين لا يعرفون أسماء آبائهم، ولا يعرف مصارف انتمائهم؟ وسواء عنده هؤلاء الرهائن وهذا الماء الجاري في النهر . فان أنتم لم تهتدوا بقولكم إلى سبيل صلاحكم فهناك لا أمل للحرب، ولا أسامة . وسأبث وأمره بأن يوقد ناراً عظيمة، ويحرق بها جميع تلك الهدايا، ويقيد الرهائن وينفذهم إلى حتى أقتلهم . وأمره أن ينهض غير مثلب ويهجم على أفراسياب في غيجه، ويضع فيهم السيف، ويوسعهم القتل والأسر . فطفق رسم يذكره ، ما سبق من أمره لسياوخش بدخول بلغ وثباته بها ، وألا يادی العدو بالحرب، وينظر ما يحدث ويكون . وقال : إن أفراسياب ابتدأه بطلب الصلح فلم يستجز سیاوخش مقابلته بالحرب . وليس يحسن في الأحدونة أيما الملك أن ينتشر عن سیاوخش أنه أخضر الذمة ، وغدر بالرهائن . فاستشاط كيكلوس من رسم عند ذلك، وقال : إنه ليخطر ببالي أنك أشرت على سیاوخش بهذا الرأي إيتارا منك للدعة، وركونا إلى الرافية غير متفكر فيما يعود بحفظ أبهة التخت ، ورفعة التاج . فإزِم الآن أنت مكانك حتى ينهض طوس بهذا الأمر . وإن كان سیاوخش يطلع ربة طاعتي، ولا يمتثل أمرى فإن طوسا يتسلم منه العساكر، ويرجع هو على أعقابهِ مع خواصه وأصحابه . فاحند عند ذلك رسم وقام وخرج غضبان . فأمر الملك طوسا أن يستعد للسير، ويمز العساكر لقتال أفراسياب .

(٤٩)

ذكر رسالة كيكلوس إلى سیاوخش

قال : فعدا كيكلوس بكتبه، وأجلسه بين يديه، وأمره أن يكتب كتابا إلى سیاوخش ينطق فيه بلسان الموحدة والغضب . فكتب الكتاب، بعد أن حمد الله تعالى، يخاطب سیاوخش بما معناه : أيها الشاب ! إن تقل مرادى على قلبك ، ودارت سنة الصبأ^(٢) في رأسك فتذكر صنع هذا العدو

(١) ك : مل . مجرب . (٢) ك : سأبث إلى سیاوخش . (٣) ك : ط . (٤) ك : مل .

(٤) ك : سنة الصبي . وهو موثق للشاه .

في إيران وممالكها، ثم تشمر لمحاربتة، ولا ترق ماء وجهك بالتقصير،^(١) ولا تتدعن بأكاذيبه وأباطيله . فطالب مرث بن خُدعه وحيَّله ثم لم أحفل بها ، ولم أنخدع لشيء منها . ولم يكن قد جرى بيني وبينك للصلح ذكر . فقد أعرضت إذا عما ألقينه إليك سكونا منك الى مخالطة الغلمان الصباح،^(٢) وركونا الى اللعب والمزاح، وهربا من معاناة الحرب والكفاح . فاذا أتاك طوس فأنفذ الى في الحال الأتراك الرهائن، وتأهب لحرب عدوك . وإن كنت تحنو على أفراسياب، وتكره أن تنسب الى نقض العهد فسلم المسكر الى طوس، وأقبل الينا . فلست من رجال الحفاظ وأبناء القتال . قال : ثم أثاروا هجينا يحمل الكتاب الى سیاوخش .

ولما وصل الكتاب وقرأه ضاق صدره، وامتلا^(٣) بالهم قلبه . فدعا بالرسول، واستخبره عما جرى . فحكى له جميع ما دار بين كيكائوس ورستم، وأخبره بإفاده لطوس مكان رستم . فوجم سیاوخش لما^(٤) حزنه من تتركأبيه عليه، وما يخشى من عاقبة ذلك . وقال في نفسه : كيف أفقد مائة نفس من أولاد الأمراء البكار وأقارب مثل هذا الملك الى كيكائوس مع علمي بأنه اذا وقعت عينه عليهم لم يبق منهم أحدا ؟ واذي يكون عذري عند الله غدا ؟ ثم إني إن قاتلت أفراسياب بعد ما سبق مني من الموائيق والأيمان ذكرت في الآفاق بنقض العهد، ووصفت بالجهالة والفساد . وإن سلمت المسكر الى طوس ، ورجعت ناكصا على عقبي لم آمن باثمة كيكائوس ، وبادة غضبه، وكنت عرضة لما ترصدني به سوزابه من الفوائل، وتقصدني به من المكارة . فأحضر زنك بن شاوران، وبهرام بن جودرز، وخلاهما، وقال : لست أدري ماذا يجري على رأسي، فقد تغير رأى الملك، وحال عما كان لي عليه من ذلك الحنو . وكان ذلك من آثار خديعة سوزابه ومكرها حتى صاوما^(٥) تُفقيح صورتي عليه كالمسم للنفيع والموت الذريع . وكنت قد أثرت مقاساة هذه الحروب، والبعد عن تلك الممالك طلبا للتخلص من شرها ومكرها . ثم ذكر ما عاناه من محاربة عسكر أفراسياب وإجلاتهم عن تلك البلاد، وأنه لم يصلح له إلا بعد إشارة الموابذة أصحاب الرأي بذلك فيه . ثم أمر زنك بن شاوران بأن يستصحب الرهائن والتحف، ويصير الى أفراسياب ويردّها عليه، وينهى اليه ماجرى عليه بسبب ذلك . وقال لبهرام بن جودرز : إني مسلم اليك هذه المساكير، وخارج الى بعض

(١) الذي في الشاه «تلهو» مع ذوات (أودوى) الوجه الجميلة . فكلية «خورو يان» المستعملة في هذا الصدد لا تدل على أكثر من هذا . بل التبادر منها النساء .

(١) ك، كو، طا : بالتقصير في أمره . (٢) ك، كو، طا : وصل اليه . (٣) ك : حزنه .

(٤) ك، طا : صدم . (٥) ك : وأصحاب .

الأطراف ناجيا بنفسى من نكاية كيكافوس . فلذا قدم طوس فسلم المسكر اليه . فاهتم بهرام لذلك ، وبكى زنكه بن شاوران ، ولعن تراب هاماوران . وقال بهرام : ليس هذا من الرأى ، وليس لك بد من أيبك . فكتب اليه كتابا تسأله فيه أن يرد عليك رسم . فان أمرك بعد ذلك بقتال^(١) فامتشل أمره ، ولا تطول عليك كلاما هو فى نفسه قصير . ولا تعجل فإنك بالثبوت والثؤدة جدير . ولا غضاضة عليك فى الضراعة الى أيبك ، والتطامن له . فاعتذر اليه ونفذ^(٢) الرهائن فانه لم يأمرك فى كتابه بنفر قتال أفراسياب وأصحابه . والى الآن لم يمر شيء لا يمكن تلافيه . فقتشمر لما أمرك به حتى تشمر له ، ونبذل الجهد فيه ، ونضيق الأرض على العدو . ولا تؤذين قلبك ، ولا تضيقن صدرك ، ولا تذكرن علينا ما صفا من أيامك بعد أن طاولت الأقران وظفرت بهرامك ، ولا تبك عليك عين التاج والتخت ، ولا تفجع بالشجر الحسروانى حديقة الملك . فلم يصغ الى كلام ناصحه لما كتب على رأسه من تقارب الأجل . فقال : إن كان رأيكما مخالفا لرأى فانى أنهض بنفسى ، وأحمل الرهائن الى أفراسياب . فقال عند ذلك زنكه بن شاوران : نحن عبيدك المخلصون فندبك بأرواحنا ونفوسنا ، ولا نخالفك الى الممات . فقال له : فاذهب الى أفراسياب ، واذكر له ما نالنا بسببه وسبب اقيادنا لموافقه . وأعلمه أنى لم أقض عهده وإن كان قد خرج من يدى من أجله ناجى ومختى . وسله أن يفتح لى طريقا حتى أعبر على بلاده ، وأطلب طرفا من الأرض أسكنه لأتخلص من كيكافوس ، وأستريح من سوء خلقه ، وفساد طبعه .

فسار زنكه بن شاوران فى مائة فارس ، واستصحب الرهائن . ولما دخل بلاد توران استقبله بعض عظمائها . وسار حتى دخل على أفراسياب . فلما رآه وثب اليه واعتقه وأكرمه ، وأجلسه على تخته . فسلم اليه كتاب سياوخش . فلما وقف عليه اهتم لذلك وتحير . ثم أمر بإتزاله فى موضع يليق بمثله ، واستحضر يران قائد جيشه ، وپهلوان عسكره ، والمتولى لحله وعقده . فخلا به وذكره سوء خلق كيكافوس ، وحكى له ما أجاب به سياوخش من الكلام الخشن الصادر عن الحفيظة والغضب ، وذكر له قدوم زنكه بن شاوران ، وما التمسه سياوخش . واستشاره فى ذلك فقال يران : رأيك أصوب ، وفكرك أقرب . والذى عندى أن كل من يكون من ملوك الأرض فى هذا الزمان موصوفا بالفضل والإحسان فينبى ألا يدخر عن سياوخش شيئا . فانى سمعت أنه من أعلى الملوك قدرا ، وأوفرهم عقلا . وله الشرف بنفسه وأصله . وقد استكمل أسباب السيادة والسعادة . ولو لم يكن فيه سوى أنه احترق عن قتل الذين عنده من أكابر هذه الحضرة ، وتتر على أيبه بذلك حتى أخرجه^(٣) الأمر

(٥٠)

(١) ك ، كز ، ط : بقتال أفراسياب . (٢) ك ، ط : ونفذ اليه . (٣) ك : بعد ما . (٤) ك : بذلك (لا) . (٥) ك ، كز ، ط : أخرجه .

الى ترك التاج والتخت لكفاه ذلك شرفا . وإنما فعل ذلك كله رعاية لئلا يملك ، ومحافظة على الوفاء لك . فان رأى الملك أجاب عن كتابه بالإلطف والاستعطف ، وتلقى أملة بالإسعاف ، ومكنه من هذا الإقليم ، وزوجه بإحدى كرائمه . فاعله يستوطن هذه الديار ، ويستقر في هذه المملكة . ولو لم يفعل ذلك ورجع إلى أبيه كان الملك مشكورا على ما أسدى إليه من الجليل . فقال أفراسياب : إن كلامك غير حائد عن سنن السداد غير أنه من ربي شبل الأسد المصور أنحى عليه ، إذا طلع نابه ، بالمخذور . فقال فيران : ولكن سياوخش لما لم يرض من أبيه بالفدر ، ولم يفض على ماداه اليه من الشرفان يتجنب طريق الوفاء ، ولا يقابل صنيع من يحسن اليه بالجفاء . ثم إن كيكائوس قد طعن في السن ، ولا بد له من الموت . ولا يخفى أن سياوخش وارث أرضه ، ومالك تاجه وتخته . فإذا كان تحت يدك كنت ملك الجانيين ، وصاحب الدولتين . فوافق ذلك رأيَه فدعا بكتبه وأمره فكتب إلى سياوخش كتابا حمد الله تعالى فيه وأثنى عليه . ثم أتبع ذلك بالدعاء لسياوخش ، وتقريظه بحسن العهد ، ولزوم الوفاء ، ومجانبة إخفار الذمام . ثم قال : قد وقفت على ما تمحله زنك بن شاوران من الرسالة فضقت ذرعا بما صدر عن كيكائوس . وهذه الممالك لك وبحبك . فإن أردت الشهيادية^(٢) فهي بين يديك . وإن أردت الأموال والذخائر فإن مقالدها ملقاة اليك ، وجميع أهل هذه المملكة يسجدون لك ويقبلون التراب لديك . وأنا بالأشواق إلى لقاءك ، وأنت عندى بمنزلة الولد ، وأنا لك كالوالد . بل والد يكون لك كالعبد في خدمتك . وما أشرت اليه من عبورك علينا صائرا إلى إقليم آخر فهذا شيء نعيم به ، وقد أغناك الله عنه . فإن هذه الممالك والكنوز والذخائر مسابة اليك^(٣) . فقيم في أرضنا ما أحببت ، وترجع ، إذا صالحت أباك ، اليه إذا أردت ، كما انتهيت . وقد جعلت لله على أن أبذل جهدي في خدمتك ، وأفقر وسعي في مناصحتك ، ولا أهم بالإساءة اليك . ثم ختم الكتاب ، ودفعه إلى زنك بن شاوران ، وخلع عليه ، وسرجه إلى سياوخش .

فلما وصل اليه ، وقرأ الكتاب ، ووقف على ما فيه سره من وجه وساء من آخر حين اضطر إلى مصادقة العدو الكاشغ^(٤) ، ويستنبط^(٥) الماء من السعير اللاع . قال : ثم كتب إلى كيكائوس كتاب شكاية أبنته فيه نفات صدره ، وأطلعه على حراوات قلبه ، وذكر ما قاساه من مكابد سودابه ومكرها ، وما ابتلى به من سبها من ورود النار التي سبق ذكرها . وقال : ثم اتى آثرت مغامرة الحرب والموت ، والدخول إلى قم العبان حتى ماكنت عنان الظفر ، وملأت العالم بالأمن والعدل ، واستراح الخلق

(١) ك ، كو ، طا : انه قيل . (٢) الشهيادية : الملك . (٣) ك : سائرا . (٤) ك : مسلة لك .

(٥) ك ، طا : ولا يستنبط . كو : ولأن يستنبط .

في الملكين بمحم مادة الشر ، وإصلاح ذات البين ، فلم يرض الملك ذلك ، فخلّ جميع ما عقدت ، ونكت ما أبرمت . وكأنه كان قد كره لقائي ، وسثم مقاربتى له . فوافقته على ما أراد من ذلك . فلا زال هو مومتعا بالسرور والفرح فقد تمت أنا بالمعوم والترح ، وخضت غمرة الخطوب . والله أعلم بما هو مكتوب على ومنساق إلى . ثم سلم التاج والتخت والخيول والخرائن وغيرها إلى بهرام بن جودرذ . وقال : إذا قدم طوس فسلمها إليه . واختار من عسكره ثلثمائة من المشهورين المذكورين ، وما احتاج إليه من الجواهر والذهب والفضة وغير ذلك ، واستصحب مائة فارس بالآلات الذهب ، ومائة وصيف ووصيفة بمنطق الذهب ، والأكاليل المرصعة بالؤلؤ والزبرجد . ثم دعا بأعيان عسكره وأكابر حضرته ، وقال : إنه قد وصل يران من حضرة أفراسياب رسولا ، وقد عبر الماء . وأنا خارج لاستقباله . فآلموا مكانكم وولوا بهرام وجوهكم ، ولا تعدلوا عن رأيه . فسجدوا له ورجعوا مذعنين لأمره ، وخاضعين لحكمه .

ذكر مسير سیاوخش الى بلاد تركستان

قال : فركب سیاوخش ، وعبر جيحون حزين القلب غزير السمع . وسار حتى وصل إلى ترمذ وقد أعدوا له الأتزال والتحف والمهدايا والمباز في كل منزل منها إلى الشاش . فسار حتى نزل بققباق . وأقام بها أسبوعا (١) فاستقبله يران في جملة من أقاربه وأصحابه ، وقدم إليه أربعة أفيال يتخوت الذهب والفيروزج ، ومائة فارس بعتة الذهب . ولما بدا عليه ابتدره سیاوخش وعاقه ، وسأله عن أفراسياب . فلاطفه يران وطق يشكر الله تعالى على ما قبض له من لقائه . ثم قال : إن أولادى وقرايى كلهم عبيدك ومماليكك ، لا يعدلون عن أمرى . وأنا لو قبلتني لشددت وسطى ، مع شيخوختى وكبرسنى ، في العبودية لك ، ووقفت ماثلا بين يديك . ثم انصرفا معا وأرجاء تلك المدينة تطن بأصوات المعازف والمزاهر لقدم سیاوخش . فبينما هو كذلك إذ تذكر أرض زابلستان أيام مقامه بها في ضيافة رستم بن دستان ، وذكر رياضها المنسكة ، وجنتها المزخرقة ، فنثر عقد الدموع ، وشب نار الحزن بين الضلوع . وأخفى ذلك من يران ، ففطن له ولاطفه حتى طاب قلبه . ثم قال ليران : إن عاهدتى وثقت بك ، وعلمت أنك لا تحفر الذمة ؛ فإن كنت تستصوب مقامى عند

(١) حذف التبريم هنا آياتا تبين عما فعله الإيرانيون بعد رحيل سیاوش . وغلاصتها أن طوسا قدم فأخبر بما فعل سیاوش فسارع بالجيش إلى كاس . ولما أخبر الملك بما فعل ابنه حزن وتغير وتجنب الحرب بعد ذلك .

(١) ك ، كو ، ط : ثلثمائة فارس . (٢) ك ، ط : وغيرها . (٣) ك ، ط : حضر .

(٤) ك ، ط : نحو بهرام . (٥) صل : غجنج .

أفراسياب فأخبرني بذلك حتى لا يلحقني ندم في قدومي عليه . وإن كان الأمر بخلاف ذلك فأعلمني أيضا حتى أتجاوز هذه الديار الى غيرها ، ودلني على إقليم آخر أبلغا اليه ، وأتخصن فيه . فقال له يران : بعد أن فارقت أرض إيران فلا تصدل عن أفراسياب . فإنه وإن انتشر في الآفاق ذكره بالسوء فهو في الباطن على خلاف ذلك . وهو رجل مثاله صاحب رأى وعقل ، ولا يقدم على أذية أحد بغير جرم . وأنا قريه ، وصاحب رأيه ، وهولان جيشه . وفي هذه البلاد مائة ألف فارس كلهم تحت حكي وفي رقبه طاعتي . ولي اثنا عشر ألفا من أقاربى مهما دعت الحاجة اليهم اجتمعوا الى واحتفوا بى وأنا بهم في غناء عن أفراسياب . وقد جعلتهم كلهم فداء لك إن عزمت على الإقامة في هذه الديار . وقد ضمننت لله تعالى ألا تصاب بمكره إلا أن يظهر منك معاداة أو تصدر منك جريمة يتوجه بذلك عليك مجازاة . فانقاد سیاوخش لكلامه ، وركن اليه ، واعتمد عليه حتى صار يران والدا وهو ولدا . وارتحلا وسارا حتى وصلا الى مستقر أفراسياب من مدينة كك . فشذ وسطه عاجلا ، وخرج في استقباله واجلا . فلما رآه سیاوخش ترجل له ، وبادر اليه فتعاقا ، وطقق كل واحد منهما يقبل وجه صاحبه . ثم أخذ أفراسياب بيده ، ودخل به الى إيوانه ، وأجلسه معه على تخته ، وأخذ ينظر اليه ، ويحيل طرفه في محاسنه وشمائله ، ويقول لبيران : إني لأعجب من كيكلوس كيف يصبر عن مثل هذا الولد . فإني منذ وقعت عيني عليه لا أستطيع أن أنظر إلا اليه . وقد هتّ بجلاله وجماله . ثم أمر أن يفرش له إيوان اختاره من أجله ، بالمقارش المنسوجة بالذهب ، وينصب فيه تحت من الذهب مفتش بالدباج الصبغى . وأشار بمصيره اليه للاستراحة . ثم لما مدتوا السباط حضر ، وقعدا يتفاوضان ويتلاطفان . ثم لما فرغوا من الطعام جلسوا للشرب الى أن غربت الشمس . فقام سیاوخش وعاد الى إيوانه . وأمر أفراسياب ابنة شسينه بأن يكر في صبيحة الغد مع أقاربه وأكابر حضرته الى خدمة سیاوخش ، ويقوموا بشرائط خدمته ، ويحلبوا اليه هدايا وتحفا وتثارات . ففعلوا ذلك . ونفذ أيضا اليه من جهته تحفا كثيرة وهدايا جليلة . ففضى على ذلك أسبوع .

ثم سأل دخول الميدان ، وملاعبته إياه بالكرة والصولجان . فأجابه الى ذلك (١) . وكان قد اجتمع جميع أمراء توران في ذلك الميدان . فأظهر في يومه ذلك من الآداب الشهنشاهية والحركات السلطانية في المراماة والمناضلة واللعب بالكرة ما أعجب الحاضرين ، وآتى الناظرين . فمر بذلك

(١) لم يبين المترجم هنا أن سیاوخش امتنع من ملاعبة أفراسياب إجلالا له وتأذبا حتى أقسم عليه برأس الملك كلوس .

(١) كك : فشد أفراسياب .

أفراسياب، وأظهر به الفرح والسرور، وعاد به الى مجلسه، وقعد معه على الطعام . وهباً له في ذلك اليوم خلعة رائقة وأموالا وافرة وتحفا كثيرة، وأمر بحمل الكل الى إيوانه الموسوم به .

قال : وأخذ حب سياوخش يجامع قلب أفراسياب حتى كان لا يصبر عنه ساعة، وحتى كان يسئل به ويضرب بقلائه، وصار له بذلك شغل شاغل عن ابنه جهن وأخيه كرسوز وغيرها . بفعل لا يلتفت اليهم، ويؤثر سياوخش في السر والخلوة عليهم، حتى مضت على ذلك سنة كاملة . فانفق أن ييران اجتمع يوماً بسياوخش، وتجادبا أطراف الأحاديث فقال له ييران : كأني أراك في هذه البلاد على أوقاز، ولا تركن اليها إلا ركون مجتاز . وإن أفراسياب من فوط حنوه عليك ومحبتة لك كأنه لا يرى الدنيا إلا بعينك، ولا يحب الحياة إلا لأجلك . وأنت اليوم ملك إيران وتوران، وخلف الملوك في هذا الزمان . فوطن نفسك على الاستقرار في هذه الديار . ثم إنك رجل وحيد لا أخ لك ولا أخت ولا زوجة ولا ولد . فاطلب صاحبة تصلح لك ، ولا تهتم بأمر إيران . فإن تلك الممالك بعد موت كيكلوس لا تكون إلا لك . واعلم أن وراء ستور الملك ثلاث بنات كالأقمار الطالعة وكذلك وراء حجاب أخيه كرسوز ثلاث أحرقد جعلن بين الأصالة والنجابة . ووراء سترى أيضا أربع صفار هن إماء لك . ولكن الأصوب لك ألا تعدل عن أفراسياب فإنه بنت تدعى فرى كيس هي أكبر أولاده، وأجمل نساء زمانها . وهي موصوفة بالخلل المرضية والحصل الجميدة . فإن خطبتها الى أيها ووصلها بك ازداد قدرك، وترقت منزلتك . فإن رسمت كنت أنا المكلم لأفراسياب في ذلك،

§ في الشاه : أن ييران قال لسياوخش، بعد أن ذكر له بناته : إن جريرة كبراهن، وليس لها في الجمال ضريب . فإن رأيت كانت أمتك وخادمتك . فشكره سياوخش وقال : جريرة أحب إلى ، تسريها نفسي ، وتقربها عيني . وقد قلدتني منة لا أستطيع إيقاءها ما حييت . ثم تزوج سياوخش جريرة بنت ييران . وبعد حين عرض ييران على سياوخش أن يتزوج فرنكيس بنت أفراسياب ليزداد مكانة في توران . ثم خطبها الى أفراسياب — الى آخر ما ذكره المترجم هنا . وسيجد القارئ في فصل كيكسرو الآتي ذكر "فرود" بن سياوخش من جريرة بنت ييران . ولا أدري لماذا حذف المترجم هنا زواج جريرة وهو محتاج اليه في سياق القصة من بعد . ولعل هذا سهو في القراءة كان من تشابه الأمرين؛ خطبة جريرة وخطبة فرنكيس كلاهما تنتهى بشمر ييران لإعداد العدة للرفاف، وتقويضه الأمر لأمراه ككشهر لتولي تجهيز العروس .

(١) ك، ط : ذات يوم . (٢) كلمة "مجتاز" ليست في الأصل . والاستدراك من ك .

(٣) ك، ط : لك إماء . (٤) في الشاه : فرنكيس وفي الفرز كسيفرى . (٥) ك : وان .

والقائم بأمر هذه الوصلة . فقال سیاوخش : اذا لم يكن لي بد من هجران ديار ايران ، ولا بقي لي سبيل الى النظر الى وجه الملك كيكاوس ورسم الذي هو رباني ، وبهرام وزنكه بن شاوران فاضرع في هذا الأمر ، وتول أنت تدبيره . فقام ييران ودخل على أفراسياب ، ووقف على رأسه . فقال أفراسياب : ألك حاجة حتى أطلت المقام اليوم ؟ فقال له عند ذلك : أرسلني سیاوخش اليك في رسالة ، وأريد عرضها عليك . ثم أخبره بالأمر ، وخطب اليه فرى كيس لسياوخش . فتغير من ذلك أفراسياب ، وقال : إنه قال لي رجل عاقل : أيها المربي لشبل الضرغام ! لا تشب فإنه يعود عليك بالإرغام . إنك تشفى وتربيه ، ثم تحرم ما تأمله فيه . وأيضا فإن بعض المتجمين كان قد أخبرني بأن زوال ملك توران يكون على يد حافد لي . وفي هذا ما يفهم منه ذلك فإن من يولد ما بين هاتين الشجرتين يملك جميع الأرض ، ولا يبقى أحدا من أهل توران . ومالي أغرس بيلدى شجرة تكون أوارفها صابا وعظما ، وحملها ذعافا مسما ؟ فقال له ييران : أيها الملك ! لا تهتم ، ولا تحفل بقول المتجمين . فإن من يولد من صلب سیاوخش لا يكون إلا مثله متعلبا بالسكون والعقل . وسيتفرغ من هاتين الشجرتين غصن يطاول الكيوان^(٢) ويجمع بين ملك إيران وتوران . ولعله يأمن به الإقليات وأهلها . وإن كان الله قد قدر شيئا غير ذلك فالكائن لا محالة سيكون . ولم يزل به حتى أجاب الى ذلك ، وقال : قد فوضت الأمر الى رأيك فافعل فيه ما تريد . فسجد له ييران وشكره ، ورجع الى سیاوخش ، وذكر له ما جرى بينه وبين أفراسياب . وجلسا يشربان الى أن تملا . ورجع ييران الى منزله .

ولما أصبح ركب الى قصر سیاوخش فدخل عليه ، وقال : أعد أسباب الضيافة لأبنة الملك أفراسياب . فإن رسمت شددت وسطى وقت بذلك كما يجب . فقال له سیاوخش : الأمر لك ، ومالي أحد سواك فافعل كما رأيت . فانصرف ييران نحو منزله ، وسلم مفتاح خزانته^(٣) الى زوجته كحل شهر ، وكانت ذات رأى وعقل . فاخترت له ألف ثوب منسوج بالذهب ، وأخرجت له أطباقا من الزرجد ، وجامات من الفيروزج ، وملأتها بنواع المسك والموود الرطب ، مع إكليلين مرصعين بالجواهر الشاهية ، وسوارين وقرطين وطوق ، ومن المفارش ستين حملا ، الى غير ذلك من النقائس والفرائب ، مع ثلثائة وصيف بقلانس الذهب ، ومائتي وصيفة على يد كل واحدة جام من الذهب مملوء من المسك والزعفران . ثم جاءت مع أخواتها في مائة نفس من قرايتها بمعارات الذهب المجلبة^(٤)

(١) ك ، كو : أن . (٢) صل : هذين . والصحيح من ك . (٣) ك : كوان . (٤) ك ، كو : خزانته .

(٥) طا : بمباريات .

بالدياج، ومعهما عشرة آلاف دينار برسم النار . ودخلت على فرى كيس، وقبلت الأرض بين يديها، وقالت : قد ازدوجت الشمس والقمر . فلتنهض الملكة الى قصر الملك . فرجعت بها الى إيوان سياوخش . فقامت في ذلك العرس سوق اللهو واللعب في تلك الخطة سبعة أيام . ونفذ بعد ذلك اليه أفراسياب هدايا كثيرة من الدينار والدرهم، والحلil والنعم، والملبوس والمفروش . وكتب له منشورا من ذلك الحد الى الصين .

وأذن له أفراسياب بعد سنة كاملة أن يسير الى تلك الديار . فرحل وسار بزوجه فرى كيس . ومعه بيران وارتحل معه وصاروا الى ختن، وكانت مملكة بيران . وأقاموا هناك أياما ثم قدم رسول أفراسياب على بيران يستنهضه الى بعض الممالك، ويأمره بيجر العساكر اليه . فامثل ذلك بيران وفارقه § وانتقل سياوخش الى موضع آخر أشار عليه به أفراسياب، فبنى مدينة جعل عرضها وطولها فرسخين، وأحدث فيها قصورا عالية، وبنى فيها أبنية مرتفعة، وزخرف المدينة حتى صارت كبعض الجنان . وعمل إيوانا عظيما، وأمر فصوروا في أحد جانبيه صورة كيكلوس قاعدا على تقته، وبين يديه رستم وجودرز وغيرهم من الأكابر، وعلى الجانب الآخر أفراسياب وكرسيوز ويران، وعمل في جوانب المدينة قبايا كادت تمس السماء علوا وسمى المدينة سياوخش كرد .

§ في الشاه : أن سياوخش سار من ختن الى مملكته التي أعطاه أفراسياب، واختار مكانا بين الماء والجبل، وبنى مدينة عظيمة سماها ككك ديزاى قلعة ككك — وقد أطنب الفردوسي في وصفها وافتح قصتها بموعظة بليغة في قلب الأحداث . ثم سأل سياوخش المنجمين فأخبروه بما قدر له من المصائب . وأخبره بيران . ثم جاء رسول من أفراسياب يأمر بيران بسوق الجيش الى حدود الهند . وجاء رسول آخر الى سياوخش يعرض عليه الذهاب الى مكان آخر — الى آخر ما ذكره المترجم عن بناء مدينة سياوش كرد .

وأظن المترجم اقتصر على حديث إحدى المدينتين إيجازا . وسياوخش كرد ذكرها المستوفى في نزهة القلوب، بعد سمرقند ولم يبين موقعها . ويقول ياقوت : ” وخش بلدة من نواحي بلخ من خُتلان . وهي كورة متصلة بُخْتَل حتى تجملان كورة واحدة . وهي على نهر جيحون . وهي كورة واسعة الخيرات طيبة الهواء . وبها منازل الملوك ونعم واسعة“ .
ويقول : ”ووخشان قرية على فرسخين من بلخ“ .

- (١) ك، طا : بحر الصين . (٢) حل : قدم أفراسياب . وفي ك، كو، طا : ورد رسول أفراسياب .
(٣) طا، ك : فني فيه . (٤) ك : رستم وزال وجودرز . (٥) طا : وصوروا على الجانب .
(٦) ك : جميع جوانب . (٧) اسمها في الفرد : سياوتاذا .

قال : ولما رجع ييران من الجهة التي كان توجه اليها استغزه الشوق الى سياوخش فلم يتمالك أن جاء الى تلك المدينة . فاستقبله سياوخش فترجل كل واحد منهما للآخر وتعانقا وركبا وطافا بتلك المدينة . ولما أبصر ييران تلك القصور العالية والمبادين الفسيحة والبساتين الأنيقة أثنى على سياوخش ، ودعا له بطول البقاء ودوام العز والسناء . ثم لما انتهى الى الإيوان انتقل الى قصر فرى كيس فاستقبلته ، وأمرت فثرت عليه ثارات كثيرة ، وخرج من عندها وجلس هو وسياوخش في مجلس الأئس واندمصوا في الشرب واللعب والطرب . وأقاموا على ذلك أسبوعا . ثم قدم لسياوخش برسم عُرَاضة القادم تحفا كثيرة وهدايا جليلة .

ثم فارقهم وسار الى حضرة أفراسياب . فلما دخل عليه أخبره بغيره في الجهة التي سيره اليها وانتهى بهما الحديث الى ذكر سياوخش ، وسأله الملك عن حاله وحال المدينة التي أنشأها ، وقصورها التي بناها فأخبره ييران بما رآه من حالها ، ووصفها له . ثم ذكر قصر فرى كيس وأماكنها الرفيعة ومساكنها المتينة ، وأتبع ذلك بالدعاء لهم وتمتع البعض ببعض^(١) . ففرح أفراسياب بما حدثه به حين أثمر غصن رجائه ، وترعرع غرس أمله .

ثم حكى لأخيه كرسبوز ما حكا له ييران ، وقال له : قد وطن سياوخش نفسه على الإقامة بتوران ، وصار لا يخطر بقلبه ذكر إيران ، ثم أمره بالمصير الى سياوخش مستصحباً له وفرى كيس الهدايا والتحف ، وأمره بأن يوفيه حقوق الخدمة ، ويلاحظه بين العظمة فتوجه إليه ألف فارس . فلما بلغه الخبر بقدومه ركب لاستقباله في جنوده ورجاله ، وصار به الى الإيوان (١) ودخل به من الغد على فرى كيس ، فتلقت بالثارات الكثيرة والخدم الوفيرة . فلما رأى كرسبوز جلالة سياوخش ، وفامة قدره اعتوره الحسد بفاحش قلبه ودماغه حتى اصفر لونه ، وتغيرت حاله . وقال في نفسه : أئى سنة يصير سياوخش هكذا صاحب تاج وتخت ، ومالك أمر ونهى بحيث لا يلتفت إلى أحد ؟ فأخنى ذلك في نفسه ، وجعل يتلوى على غيظه وحقدته . قال : فنصروا في القصر تحتين ، بخلص كرسبوز على أحدهما ، وجلس سياوخش على الآخر . وجاء بالغانى المحسنات ، والجواري المسمعات ، وباتوا ليلتهم على جملة الأئس والسرور ، والطرب والجبور . ولما أصبحوا ركب سياوخش إلى الميدان . وجاء كرسبوز فلعبا ساعة بالكرة والصوبلجان ، ثم عدلا الى المطاعنة والمناضلة . وكانت

(١) في الشاه هنا أن رسولاً جاء الى سياوخش حينئذ يشير بفلام من جزيرة بنت ييران ، سماه جدّه " فرود " ، وأن كرسبوز قال حين سمع هذا : " قد صار ييران قرين الملك " .

(١) ك : بعضهم يعض . (٢) ك : اليه (لا) . (٣) ك : ك ، ط : وجاها .

غلبة سیاوخش ظاهرة في الكل وزائلة للغيظ والمداوة في قلب كرسيز . فقال له أيها الملك ! مالك في توران ولا إيران ظهير يساجلك في آدابك ، ويحاربك في طعانك وضرايك . فهل تناسك بمنطقنا لننظر أينما يقتلع صاحبه من مقعده . فامتنع من ذلك سیاوخش وقال : أنا لك مطيع في كل ما تستير به عليّ إلا في هذه القضية . فإن أردت ذلك وكان لا بد لك منه فاختر من رجالك واحدا موصوفا بالقوة والشجاعة حتى أمتلأ أمرك ، وأتبع رأيك . فضحك عند ذلك كرسيز ، واستحسن كلامه وأقبل على أصحابه ، وقال : من يتقدم لمبارزة سیاوخش . فأجابه رجل من أصحابه يسمى كروزره (١) وقال أنا الفتن بمبارزته فتصنّى هو لذلك وفارس آخر . فأخذ سیاوخش بمنطقة أحدهما ، وأختطفه من السرج ، ورماه إلى الأرض ، وأقبل على الآخر وأختطفه من سرجه ، وصار في يده كالخشف الضعيف في برائن الأسد الفريف . وجاء به إلى كرسيز فتزل ، وهو يضحك ، وجلس إلى جنبه على تخت من الذهب كانوا نصبوه له في الميدان . ثم رجعوا وجلسوا أسبوعا آخر على اللهو والشرب .

ثم إن كرسيز ودّعه وفارقه بأصحابه راجعا إلى حضرة أخيه أفراسياب . ولما توسطوا الطريق تجاذبوا أطراف الحديث فيما جرى يوم الميدان مع سیاوخش ، وكرسيز مقتناظ مما أصاب صاحبيه على يد سیاوخش من الخزي والهوان ، حين تصديا لمقاواته في الميدان . فلما قدموا على أفراسياب استنبرهم عن أحوال سیاوخش فقال له كرسيز : أيها الملك ! إنه قد تغير عما كان عليه ، وقد تكررت الرسل إليه من أبيه كيكائوس في السر . وكذلك تأتيه الرسائل من أطراف الروم والصين . وهو لا يشرب الآن إلا على اسم كيكائوس . وقد اجتمعت الآن عليه عساكر كثيرة ، وهو لا شك قاصدك عن قريب . وقال : لو لم يطلع تور على الشر من إبرج لم يكن يفتك به في الزمان الغابر . وكيف تقدر أن تجمع بين إقليمين أحدهما كالنار والآخر كالماء بهذه المزاج ؟ ورأيت الأصوب عرض هذه الحال عليك ، ولم أستجز إخفاها عنك . فاضطرب قلب أفراسياب من كلامه ، واهتم من أجله . ولم يزل كرسيز يتردد إليه بالكاذب الموثوقة ، والأباطيل المزخرفة في تقبيح صورة سیاوخش عنده متحلا عليه بما لا أصل له حتى غر على ذلك زمان . فاستحضره يوما وخلا به ، وخلص معه في حديث سیاوخش . ثم أمره بأن يمضي إليه ، ويبلغه سلامه ، ويصف إلى لقائه أشواقه ، ويستقدمه مع فرى كيس . فسار كرسيز حتى ادا قرب من مستقره أرسل إليه يقسم عليه

(٥٣)

(١) اسمه في النسخ : سكروى زره (بكراليا) واواى والراء الثانية) أى سكروين زره .

(١) صل : ولا بد لك منه . (٢) ك : فأقبل . (٣) ك : كرو ، ط : يسمى دمور .

(٤) ك : عكروفا على اللهو . (٥) ك : غلبة . (٦) ك : هذا .

بنعمة أفراسياب، وحياة كيكلوس ألا يتجشم الخروج إلى استقباله وتلقيه، ولا يحاوز نخته . فوصل الرسول إلى سیاوخش وأدّى إليه رسالته، فاستشعر واهتم وغمر قلبه الفكر في غائلة ذلك الكلام . فلما وصل كرسيز بدر ونخرج من الايوان حتى التقاه . فبلغه رسالة أفراسياب . فارتاح لها وأظهر السرور بها ، وقابل الأمر بالامتنال والانتقاد . وقال : هانا لا أحيد عن طاعته ، وأشدّ عثاني بعبائك حتى نعاود حضرته معا . ولكن نستريح ثلاثة أيام في هذا الايوان الذهي ثم نغزم .

فلما سمع كرسيز كلام سیاوخش ضاق صدره ، وقال : ^(٢) إن جاء معي مبادرا كما قال انتضحت عند أفراسياب ، ولم ينجح فيه ماقلته ، وصار كلامي عنده هباء منثورا . فلا بد أن أحتال والوى عثائه عن المضي إلى أفراسياب . قال : فسكت ساعة ولم يجبه بشيء . ثم تباكى وجرت دموعه حتى علاه الشقيق . فرق له سیاوخش ، وقال له ^(٣) : أيها الأخ ما الذي أصابك ؟ وماذا حدث ؟ إن يكن قد تغير رأى الملك عليك فأخبرني حتى أمضي إلى حضرته ، وأصلح بينه وبينك ، وأزيل الوحشة . وإن يكن قد ظهر لك عدو فها أنا كالأسد ^(٤) بين يديك ؛ حرب لمن حاربك ، سلم لمن سالمك . فقال كرسيز : ليس من هذا شيء . ولكن خطر بقلبي الساعة ما أصاب إرج من بائقة تور ، ومكره . وهذا الملك قد تغير رأيه في حقك . وليس يضمرك إلا السوء . وهو الذي قتل أخاه إغريث . فكن منه على حذر ، ولا تركن إليه . وأنت تعلم محبتي ونصحي لك . ولذلك لم أستعجز إخفاء ذلك عنك . ولست أرى من الصواب أن تمضي إليه ، فتعرض نفسك للهلاك . والرأى أن تكتب جواب كتابه ، وتغمسك في تأخر بعض المعاذير . فاني أنوب عنك وأسمى في إطفاء تأثرته ، ودفع معزته عنك ^(٥) . فان رأيت قد صلح قلبه لك أعلمتك ذلك حتى ترد عليه . وإن يكن غير ذلك أخبرتك حتى تدبر أمرك ، وتخرج من بعض الأطراف إلى موضع تأمن فيه على روحك . فقال سیاوخش : لست بمبادل عن رأيك فافعل ما ترى ، واشفع إلى الملك فمساء يعود إلى ما كان عليه .

فاستحضر الكاتب ، وكتب إليه كتابا يدعو له فيه ، ويثنى عليه ، ويعتذر إليه في تأخره عنه ، ويذكر أنه عرض لصاحبه فرى كيس عارض منعه عن المبادرة إلى حضرته ، ولعل ذلك العارض يزول عن قريب فيسارع ^(٦) للامتنال لأمره ، والمتول في خدمته . وختم الكتاب ، ودفعه إلى كرسيز فركب من وقته يركض عجلا لا يستريح ليلا ولا نهارا حتى وصل إلى أخيه أفراسياب في ثلاثة أيام .

(١) ك : لاستقباله . (٢) ك ، ط : وأدّى الرسالة . (٣) ك ، ط : وقال في نفسه .

(٤) ك ، ط : له (لا) . (٥) ك : الأسد . (٦) ط : منك . والتصحيح من ك .

(٧) ك ، ط : إلى الامتنال .

فسايله عن حاله ، وعن السبب في استعجاله . فقال : إني لم أستصوب التثكث لمأ شاهدت من صورة الحال ؛ اعلم أن سياوخس لم يفتت إلى ثلاثة أيام ، ولم يستقبلي . ولما دخلت عليه أقدني على ركبتي دون تخته ، ولم يقرأ كتابك ، ولا أصنى الى رسالتك . وقد تواصل إليه الكتب من إيران ، واجتمعت عليه عساكر كثيرة من الروم والصين . فإن أخذت معه في طريق التاني والثودة تنفقم شره وأعضل داؤه فيصعب تداركه وتلافيه .

ذكر مسير أفراسياب لقتل سياوخس ، وما جرى عليه من ذلك

قال : ولما سمع أفراسياب كلام أخيه تجتد حقه القديم ، ونار داؤه الدفين ، ولم يحبه من فرط الغضب بشيء ، وأمر عسكره بالرحيل ، ونرج من دار ملكه بمدينة كك عازما على الفتك بسياوخس .
نعم ولما فارق كرسيز سياوخس جاءته زوجته فرى كيس ، وقالت : مالك قد تغير لونك واصفر وجهك ؟ فقال : إنه قد تكدر مائي بتوران . فإن كان الأمر على ما يقول كرسيز فلا مكان لي من هذه الدائرة سوى المركز . فاضطربت فرى كيس ، واشتعلت النار في جوانحها ، وأذرت دمعها ، وتفتت شعرها ، ودقت صدرها ، وقالت : أيها الملك فما تصنع ؟ وبمن تستجير ؟ فاما إيران فلا سبيل لك الى الرجوع اليها . وليس لك إلا العزيمه على المصير الى الروم . وطفقت تبكي وتلعن أفراسياب . فبقى سياوخس معها ثلاث ليال حليفى رنين وبكاء . فبينما سياوخس عندها في الليلة الرابعة اذ اترج واضطرب وشق . فسايله عن حاله فقال : رأيت في المنام بحرا من الماء ، وجبلا من النار ، قدامهما أفراسياب . ولما وقعت عينه على قطب ، واضطرم غيظا . فهالني ذلك ، وخفت منه حتى كان مني ما رأيت . فقالت : لا تهتمن لذلك فهو خير لك وشر لأعدائك . قال : فاستدعى سياوخس عند ذلك أصحابه ، وقعد على باب إيوانه ساعة ، وفتح الطلائع حوالى المدينة . فلما كان بعد ثلثي الليل جاءه فارس فأخبره بظهور عسكر أفراسياب من جانب مدينة كك . وجاءه فارس آخر من عند كرسيز يخبره بأنه كلم أفراسياب في حقه فلم يرد عليه جوابا ، وها هو قد جاء كالنار الموقدة . فدبر أمرك ، وخلص روحك . ولم يقطن سياوخس لمكايد كرسيز المحتال ، وظنه صادق المقال . فقالت له فرى كيس : أيها الملك ما عليك منا . اركب فرسا عذاء لعله ينجوك من شر أفراسياب ، ولا تأمن في هذه الأرض على نفسك . فقال لها : ما رأيته في المنام واقع ، وحياتي قد نفدت ، ووفاتي قد دنت .

(٥٤)

(١) ك : على كرسى . (٢) ك : تواصلت . (٣) ط : وإن . (٤) ط : قالت له .

(٥) ك : فينا . (٦) ك : أيها الملك (٧) .

وكذا عادة الدهر، يضع ما يرفع، ويهدم ما يبنى ويشيد . ولا بد من الموت وإن مرت على المرء
الشهور والأعوام، وامتدت به الليالي والأيام . وزعم صاحب الكتاب أنه قال لها : إنك حاملة من
خمسة أشهر . وستقومين عن ملك مشهور . فسميه كيخسرو^(١)، واسكني إليه، وتسلم به غنى . وأما أنا
فسوف تقطع رأسي بغير جرم، ويراق دمي بلا ذنب . فأغادر على التراب طريقا بلا تابوت ولا كفن،
غريبا نازحا عن الأهل والوطن . ثم يأتيك حرس أفراسياب ، ويخرجونك حافية حاسرة . فيجىء
بيران فيستوهبك من أبيك، فيشفعه فيك، ويؤمنك على نفسك، ويسلمك إليه . فيجملك إلى قصره
فتلدين مؤنس قلبك، ويثمر غصن أملك . ويأتى من أرض إيران رجل يمتلئ في أمرك، ويملك
مع ولدك إلى إيران، فيتسلم سرير الملك، وينتشر ذكره في الشرق والغرب، ويأتى بمساكر إيران إلى
هذه الديار للانتقام لي والطلب بثأري . ويحوس رستم خلالها بحوافر رخسه، ويلزله بآسه وبطشه .
ولا يزال فيها السيف .

ثم ودع فرى كبس، وقال : أنا على الذهاب . فوطني تسك على ما ذكرت لك، ولا تطمعي
بعد هذا في الراحة والدعة . ثم خرج من الأيوان حليفا للإعوال والإرئان (١) ومضى نحو روابط^(٢)
خيوله العرب، فقرب منه فرسه الأدهم الذي يسمى بهزاد ، فضم رأسه إليه ، وسأزه في أذنه ،
ونفى إليه نفسه، وعزاه ، وأمره بالتحوش وألا يتقاد لأحد بعده، ولا يمكن من ظهره غير كيخسرو
حين يأتى طالبا لثأره . ثم عرّقب خيوله المشهورة ، وركب مع أصحابه الإيرانيين أخذاً في طريق
إيران .

فلما سار مقدار نصف فرسخ لحقه أفراسياب في عسكره فرأى سياوخش لابسا درعه ، وأصحابه
يحدون حذوه في ذلك . فقال في نفسه : إن كرسيز قد صدقني فيما أخبرني به عن حال سياوخش .
فاصطف الإيرانيون، وتأهبوا للقتال، وقالوا : قد أيسنا^(٣) من أرواحنا فلا بد أن نبلى عذرا، ونثبت
في مستنقع القتال حتى نقتل . فتمعهم سياوخش وقال : إن كان قد قدر قتلي على أيدي هؤلاء الأشرار
فلن يتفع الحذر من القدر . وما هذا بيوم قتال، وإنما هو يوم تفويض واستسلام . فتمعرض لأفراسياب

(١) في الشاه : ”بكى وانخب ونخب من الأيوان مفعوما شاحبا“ فالإعوال والإرئان في قول المترجم كانا قبل نروجه
إلى الناس . وليس يقل أن يخرج أمير كهذا على الناس بكاء الأطفال .

- (١) في الفرز : كيخسره . (٢) ك : ثم إنه يملك . (٣) ك : هو ، ط : مرابط .
(٤) ك : ط : كان يسمى . (٥) ك : زعم صاحب الكتاب أنه ضم الخ . (٦) ك : كو ، ط : صاكره .
(٧) ط : أنا قد أيسنا .

وقال: أيها الملك العاقل! ماذا حدث وأوجب مجيئك في أهبة الحرب؟ وكيف تقدم على قتل بني جرم وذب فتيرنا ثم الفتن، وتشمل العالم بالحقن؟ فعارضه كرسبوز المتناقض، وقال: كيف يسمع منك هذا الكلام وقد استقبلت الملك في صورة المناذب، وأهبة المحارب. فأمر أفراسياب^(١) عسكره بوضع السيف فيهم، يعني أصحاب سياوخش، فاشتعلت بينهم نار الحرب في ذلك الفضاء، وتواردوا حياض الموت تواردا إلى بل الأهم مشارع المساء. وكان الإيرانيون زهاء ألف فارس فقتلوا خلقا كثيرا من الأتراك حتى صار الأمر إمرأ، وغمرتهم أمواج الغناء غمرا. وجرح سياوخش في عدة مواضع من بدنه، وفارق ظهر فرسه، وقاتل ساعة راجلا. ثم أسروه وأناه المعروف بكر وزيه، فشد يديه، ووضع غلا على عنقه. فساروا بالشاب الفرير راجلا^(٢)، ولم يراقبوا الله فيه أجلا ولا عاجلا، وتوجهوا نحو مدينته التي بناها. فأمر به أفراسياب أن يبدلوا به عن الطريق إلى سفح بعض الجبال، ويقطعوا هناك رأسه. فاجتمع عليه عند ذلك عسكره يقولون: أيها الملك! بأى جرم تقتل من يبكي عليه التاج والتخت، وينقلب بقتله الشرق والغرب؟ وكان كرسبوز يستعجله ويمحضه على الفراغ منه. وكان في العسكر أخ لبيران يسمى بيلم موصوف بالعقل والدكاء، فقال لأفراسياب: أيها الملك إن العجلة من الشيطان، وإن الندامة داء الأرواح والأبدان. من استعمل الرفق، وجانب الخسوف لن تزل به قدم، ولا يعتربه تدم. وليس من الصواب أن تبادر بقتل من هو تحت قدرتك، وفي رق سطوتك^(٣). فالأرى^(٤) أن تتركه تحت القيد والأسر حتى تسكن نائرة مخضك، وتأمين غائلة غضبك، ثم ترى فيه رأيك. وعلى الحملة فليس من المصلحة أن تقتل ملكا يكون رسم قد رباه، ويكون كيكائوس أباه، فيسبجا^(٥) لطلب ثاره، ويجهدا لنيل أوتاره. ومن ذا الذي يقدر أن يثبت لفرسان إيران وأمرائهم المذكورين وآسادهم المشهورين، إذا سلوا سيف الانتقام، وتقحموا غمرات الموت الزؤام؟ مثل جودرز وجرجين وطوس وفرهاذو ورسم بن دستان، وفري رز بن كيكائوس. ولعل لبيران يقدم قسم من كلامه ما عساه يصرفك عن هذا الرأي. فقال عند ذلك كرسبوز: أيها الملك لا تصنع إلى كلام الشبان، ولا تغتر بمقالمهم، وامض لما رأيت. وإن لم تفعل، واستبقيت سياوخش فارتقت ونجوت بنفسى إلى زاوية من زوايا الأرض آمن فيها على نفسى. فانك إن آمنت خفا معرفته، ولم تأمن مغيبته. وتقدم دموور، وكرو وقال: أيها الملك! مالك تتردد في قتل صدوك، ولا تقبل قول أخيك وتعلم أنه لا رأس لايران سوى هذا الذي حصل في يدك؟ ولو لم تتعرض له في الابتداء لكان الصواب أن تستبقيه.

(١) ك، كو، طا: عند ذلك أفراسياب. (٢) طا: الفرير. (٣) ك، طا: ذليل راجلا.

(٤) طا: والرأى. (٥) صل: فيجبان، ويجهدان. (٦) ك، كو، طا: ولو أنك لم.

وأما الآن بعد أن جرى ما جرى، وأقنيت أصحابه أجمعين، وأصبته في نفسه فالأولى أن تفرغ منه . فقال لها أفراسياب : إني لم أر منه ذنبا يوجب قتله، ولكن أخاف، على ما يقول المنجم، شره . وإطلاقه الآن أضّر عليّ من قتله، مع أن قتله داء أجتره إليّ . فيينا هو في ذلك إذ جاءته ابنته فرى كيس مضرجة الوجنت بنجيع العبرات . فأجهشت إليه بالبكاء والمويل، وقالت : أيها الملك ! إن سياوخش هاجر من أهلك أباه، وترك من ربه، وفارق دياره، وابتعد أشياعه وأنصاره، واتخذك ملاذا ومفرعا . فما الذي صيرك بإراقة دمه مولعا ؟ أما تعلم أن من يقتل أرباب التيجان لا يمتنع بتاجه وتحتة إلا قليلا من الزمان ؟ فلا تجعل نفسك عرضة لسوء المقال، بقول كرسيز المحتال . فيدعي عليك طول عمرك، ويغتم لك بالنار في آخر أمرك . ولقد بلغك ما أصاب الضحاك بسبب ظلمه وسفكه الدماء، على يدي أفرينون، وما أصاب تورا وساما بظلمهما، على يدي منوهر . أما تعلم أن كيكالوس قاعد على تحتة، ورسم قابض على قائم سيفه ؟ فما بالك تظلم نفسك، ولا تراجع رأيك وعقلك ؟ فنظرت عند ذلك إلى وجه صاحبها سياوخش وحاله، فطارت نفسها شعا، وكادت تيران زفراتها تنشر شعا، وصاحت بالويل والحرب . فاحترق عليها قلب أيها، لكنه تجلد واستولت عليه القسوة فأمر بها فحبست في بيت مظلم . والتفت كرسيز إلى صاحبه كرو، فعمد إلى سياوخش، وجعل يسوقه بالإهانة والإذلال وأخو ييران يمشي خلفه بايكا . فالتفت إليه وودعه، وقال : أقر ييران غنى السلام، وقل له ما كان ظني بك أن تخفر الزمام . قال : فعدلوا به عن الطريق إلى الصحراء، فأفجمعه كرو زره على التراب، وذبحه بخنجر تناوله من كرسيز في طشت من الذهب . قال صاحب الكتاب : وإني لما سكبوا دمه نبت منه النبات المعروف الذي يسميه المعجم بخون سياوشان . وهو الذي يسمى في بلاد العرب دم الأخوين . وهو إلى الآن يجلب إلى أطراف البلاد من ذلك المكان .

قال : ولما فرغ أفراسياب من أمره أتى عليه النوم، وغمرته غمراته حتى نام نومة عيود أو كاد . وهبت إعصار نار منها عجاج أظلمت منه الآفاق حتى كادت أحدهم لا يرى فيه صاحبه . ثم إن فرى كيس لما علمت بأن سياوخش قد قتل قطعت قرونها وخمشت خدودها، ورفعت صوتها بالبكاء والمويل، وأخذت تلحن أباه أفراسياب رافعة صوتها بلعنه حتى سمعه . فأمر أن تبرز من الجباب، وتبطح وتضرب بالعصى حتى تسقط ما في بطنها . فمشى ييلسم إلى أخويه لهالك وفريشيد،

(١) ك، كو، طا : وأخذ بأذنه وجعل يسوقه . (٢) ك، وإنيهم (لا) . (٣) كلمة «أفراسياب»

لبست في الأصل . والزيادة من ك، كو، طا .

وقال : الرأى أن نركب الى ييران ونعلمه الحال . فركبوا وأغثوا السير حتى وصلوا الى ييران فى أقرب أوان ، وأخبروه بما جرى على سیاوخش . فغشى عليه ، وخر من تحتة . ولما أفاق مزق ثيابه ، وبكى . فقال له يلسم^(١) : وإنه يريد أن يزداد داء على داء ، وينكأ قرحا على قرح . وذلك أنه أمر بإخراج فرى كيس من خدرها ، وضربها حتى تسقط ما فى بطنها . فركب ييران من فوره ، وطرده حتى وصل الى باب أفراسياب بعد يومين . فصادف فرى كيس فى أيدي الحرس وقد سلوا الخناجر عليها يريدون قتلها ، والقيامة بسبب ذلك على الخلق قائمة ، وهم يضجون ويبيكون . فلما وقعت عين فرى كيس على ييران أجهشت اليه فسقط ييران من فوره ، ومزق ثيابه ، وأمر الحرس بالكف عنها والإسالك عن قتلها ساعة حتى يخاطب أفراسياب فى أمرها . فبادر اليه حتى دخل عليه فقال : أيها الملك ! ماذا الذى صدر منك وفى أى شئ قتلت سیاوخش ؟ وطفق يعنفه ويوبخه حتى انتهى الى حديث فرى كيس وقال : إن كان غرض الملك فى قتلها ألا يظهر منها ولد ينسب الى سیاوخش^(٢) فانى أحملها الى منزلى ، فاذا وضعت حملت اليك ما وضعت ، قرى فيه رأيك . فوهبها أفراسياب له . فخرج وخلفها من أيدي الحرس ، وحملها معه الى حنن ، فدخل بها الى إيوانه ، وأمر زوجته كل شهر بأن تقوم على رأسها ، وتخدمها كما تخدم الأمة لمولاتها .

ذكر ولادة كيخسرو

قال : وبينما ييران نائم فى بعض الليالى اذ رأى فى نومه شمعة قد أشعلت من نور الشمس ، وسياوخش عندها ويده سيف مسلول وهو يقول : ارفع رأسك من النوم ، وانظر الى ما يصير اليه حال الدنيا . فهذا العيد المبارك قد حضر ، والليلة ليلة ضيافة كيخسرو . ففزع ييران واستيقظ ، وقال لزوجه كل شهر : قومى وادخلى على فرى كيس ، وانظرى . فقد رأيت مناما عجيبا . وقص عليها رؤياه . فقامت ودخلت عليها فصادفتها قد وضعت وبشرت ييران بما رأت ، ودعته الى الدخول عليها والنظر الى ولدها الذى لم ير مثله . فقام . ولما أبصره امتلا سرورا ، ونثر عليه تارات كثيرة ، وبهت لما شاهد من حسن قده ، وكمال خلقه . فجعل يبكى على سیاوخش ، ويدعو على أفراسياب . ثم خرج وقال : لا أمكن الملك من هذا الصبي وإن نالني بكل مكروه ، وقصدني بكل محذور .

(١) ط : آخره يلسم . (٢) ك ، كو ، ط : وذلك . (٣) ك ، كو ، ط : ما هنا .

(٤) ط : يتسب .

قال : ولما أصبح بكر سائرا الى حضرة أفراسياب . فلما وصل دخل ، وانتظر خلو المجلس وتفترق القوم . ثم دنا من التخت وقال : أيها الملك ! قد زيد في عدد عيدك عبد كأنه صورة العقل . لا يشبه أحد على بسط الأرض . يشرق من مهده إشراق الهلال الزاهر . ولو عاش تور لقرت به عينه . وكأنه أفريدون قذا ورواء وشكلا وبهاء . فسر بذلك أفراسياب حتى كأن الله اتزع^(٢) ما كان في قلبه من العداوة والبغضاء ، وتنفس متلهفا على سياوخش ، وقارعا سن الدم على ما سبق منه إليه . وقال ليران : إني قد بلغني عن هذا القادم الحديد عجائب كثيرة . وقد ذكروا أنه يظهر من نسل تور وكيفياد ملك يستولى على جميع ممالك توران وإيران . وأرى أنه هذا المولود . والمقدور لا محالة كائن ، ولا يؤثر فيه هم وفكر ، والآن فلا ترب هذا المولود بين ظهرائي الناس ، ولكن سلمه الى بعض الرعاة ليربيه في الجبال ، حتى لا يظن لما بنى وبينه من القرابة ، ولا يعلم ما وقع بيني وبين أبيه من العداوة .

فخرج ليران ممثلا فرحا وسرورا حيث جرى الأمر على وفق مراده . فطفق يحمده الله تعالى على ذلك ويشكره . ثم استدعى رعاة كانوا يرعون النعم في جبل هناك ، وسلم الصبي إليهم . وقال : ليكن هذا عندكم بمنزلة أرواحكم من الأشباح ، مصونا من كل شيء ، حتى من الريح والتراب . فقلصوه ونشأ بينهم . فلما أت عليه سبع سنين من عمره تحرك منه العرق الشاهنشاهي ، وسما به الطبع الخسرواني ، فعمد الى عود فالتخذ منه قوسا ، وعمل لها وترًا من أمعاء النعم ، وأخذ نشابا بلا ريش ولا نصل ، وجعل يتبع الصيد في الصحراء ويتصيد . وكان ذلك دأبه حتى استكمل من العمر عشر سنين فصار يصطاد الخنازير والذئاب والنمور والسباع . وكان لا يعجبه غير ذلك ، فخاف^(٣) الرعاة عليه وجاءوا الى إيران يشتكون ، وقالوا : إنه كان في الأول يصطاد الغزلان واليعافير فصار يصطاد الذئاب والخنازير . وهو الآن لا يتبع في صيده إلا الأسد والسراحين . وإنا نخاف عليه من ذلك ونخشى أن يصيبه مكروه فتمرض لسخطك . فضحك ليران عند ذلك ، واستغفزه الشوق إليه ، فركب الى الجبل الذي هو فيه ، فأثوه به . فلما وقعت عينه على ليران بادر وقبل يده . فظهر ليران في وجهه فرق له واعتقه وضمه الى صدره ساعة . فقال له كيخسرو : أيها الملك ! كيف تاتق ابن راع يرعى النعم ، ولا تماقه ؟ ودعا له . فازداد ليران له حبا حتى كاد يحترق قلبه عليه فقال : يا أئمن الأولاد ، ويا سلالة الملوك الأجداد ! ما أنت من أولاد الرعاة بل أنت سيد السادات . فاستحضر له الثياب الخمرانية ، والمراكب السلطانية فأركبه ورجع به الى إيوانه ، وجعله في حجره يريه ويكفله ، حتى مضت على ذلك سنون .

(١) ك ، ك ، ك : فلما أصبح . (٢) ك ، ك : قد اتزع . (٣) ط : خافت . (٤) ك : بادره .

فينا هو ذات ليلة قاعد في إيوانه إذ أرسل اليه أفراسياب يدعوه الى حضرته . فلما حصل عنده أخذ معه في أنواع من الحديث ثم قال : كيف يليق أن يكون سبط أفرينون راعيا بين الرعاة ؟ فانظر فان كان لا يذكر شيئا مما جرى من قبل فلا ينبغي أن يترك على حاله بين الرعاة في رموس الجبال . ومهما صدر منه ما نكره قتلناه واسترحنا منه . فقال بيران : أيها الملك ! إنه صبي صغير لا حس عنده ولا عقل له ، ولا خبر عنده من الأحوال التي مضت ، وكأنه شبه المجنون . فأمر بإحضاره . فامتنع بيران . ثم استطفه على ألا يصيبه بمكره خلف له على ذلك . فرجع بيران الى إيوانه ، وأحضر كيخسرو ، وقال له : اذا دخلت على الملك ففرغ من العقل دماغك ، وأخل من الأدب نفسك . فاذا سألك عن شيء فلا تجبه إلا عن ضده وتجانن عنده ، وعد نفسك أجنبية من كل معقول حتى تخلص منه . ثم خرج به حتى قدم على أفراسياب . فلما رآه تعجب منه وجعل يتأمل قدّه وقالبه وشكله وشماته ، فتغير لونه . فبقى ساعة ينظر اليه ثم قال : أيها الراعي الجديد ! كيف ينقضي عليك الليل والنهار ؟ ولماذا تدور خلف الغنم ؟ فقال : ليس عندنا صيد ولا نشاب ولا قوس . ثم سأله عن معلمه ، وفاوضه في الخير والشر وتصاريف الدهر فقال : أينما كان النمر مزق قلب الرجل الجريء . ثم سأله عن أبيه وأمه وعن إيران وتوران فقال : الكلب لا يفلب الأسد . فضحك أفراسياب ، وأقبل على بيران ، وقال : كأنه لا قلب له ، فإني اذا سألته عن الرأس أجابني عن الذنب . وكأنه لا يقع منه محذور . وطالب النار لا تكون هذه صفته . فسلمه الى أمه ، وسرحهما الى مدينة سياوخش كرد ، ولا تمكن أحدا يعلمه النمر من أين يدور حواليه . ففرج بيران مسرورا القلب بسلامة كيخسرو الى إيوانه ، وطفق يمدح الله ويشكره على ما جرى في ذلك المجلس . ثم أطلق له من خزانته جملة من الذهب والفضة والخيل والأسلحة والمفارش والملابس ، وسرحه الى مدينة سياوخش كرد . فدخل المدينة مع أمه فرى كيس ، فاجتمع عليهما الناس ليكون على سياوخش ، ويشكرون الله تعالى إذ أخرج من تلك الجرثومة الكريمة غصنا نضيرا ، وجعل خلف ذلك القمر هلالا منيرا .

هذا . انتهى الخبر عن مقتل سياوخش وما اتصل به . والآن نشرع في ذكر نهوض الايرانية لطلب الثأر ، وتخليصهم لكيخسرو عن تلك الديار ، وما يتعلق بذلك إن شاء الله تعالى .

ذكر الخبر عن اطلاع كيكائوس على قتل ابنه سياوخش، وما جرى بعد ذلك

قال : ثم انتهى الخبر الى كيكائوس بمقتل ابنه سياوخش فقتل عن التخت وجلس على الأرض، وشق عليه الثياب، ووضع على رأسه التراب، وحضرته الإصبهنية والأمرء حفاة في ثياب السواد وزى الحداد، تسيل أحداقهم بسيل الدموع، وتتضرع زفاتهم بين أحناء الضلوع . وانتهى الخبر بذلك الى رسم بن دستان وأبيه . فاما رسم فغشى عليه وخرصعقا . وأما أبوه فانه جعل يتف شعره، ويضرب نحوه، كأنه ينج بالروح . وصار كالفرق بين دمه المسفوح . ففقد في المائتم أسبوعا . فلما كان اليوم الثامن ركب رسم في عساكره، وسار الى حضرة كيكائوس فدخل عليه حافيا قد ثر التراب على رأسه، ومزق الثياب على بدنه . وقال : أيها الملك ! قد حصدت ما زرعه سوء تديرك، واجتنت ما أثمرته شراسة خلقك . وإن عشق سوزابه قد أزال تاج العقل من رأسك، ويمكن سكر الفعلة من دماغك حتى افضى بك ذلك الى أن عرضت سياوخش للهلاك الى أن استباحث الأعداء دمه . والموت خير من طاعة النساء، ومتابعة الهوى، وجعل يندب سياوخش ويتلطف على شمالك، وينوح على فضائله، ويحلف ليطلبن بثأره، وليتقمن له من أعدائه (١) ولحظ كيكائوس عند ذلك رسم ودموعه جارية على خده (٢) فبكى ولم يجر جوابا عما قال . فقام رسم واقتم على سوزابه، وألقاها من تحتها، وجرها بقرونها حتى أنرجها من خدرها فوسطها في الطريق بنصفين، وأقبل كالأسد الفضبان حتى جلس على باب الايوان . واجتمع عليه أهل إيران، وقعدوا معه للمزاء ييكون ويضجون الى تمام أسبوع .

ثم أمر بضرب الكومات والبوقات . فحضر جودرز وطوس وفرهاد وشيدوش في جميع الإصبهنيين والقواد والأمرء والأجناد . وحضر فرى رُز بن كيكائوس . فلما اجتمعوا تكلم عليهم رسم وقال لهم : لا تستصغروا هذا الأمر، وتسمروا للطلب بثار سياوخش فاني قد وطنت نفسي على أن أتوغل بلاد أفراسياب، وأجعل نفسي وقفا على الحرب حتى آخذ بثار سياوخش أو أقتل كما قتل . فوافقه على ذلك . وجمعوا العساكر وتأهبوا للسير . فاختر رسم اثني عشر ألف فارس، وضمهم الى ابنه فرامرز، وجعلهم مقلنة للعساكر . فتقدم أمامهم حتى وصل الى اسفيجاب . وكان عليها من جهة أفراسياب ملك يسمى ورازا . وكان من أعيان ملوك الترك . فلما سمع بهم ركب

(١) ك : من دمه . (٢) ك : قعدا . (٣) ك : ك : ك : عن رأسك .

(٤) ما بين القوسين من ك : ك : ك : ط : (٥) ك : ك : ك : ط : فاجتمع . (٦) ك : ك : ك : ط : اتاعشر .

(٥٧)

في ثلاثين ألف فارس من أصحابه ، وتلقى فرامرز وسايله عن اسمه ، وقال : كيف تجاسرت أن تطأ هذه الأرض ؟ فأبرق وأرعد وهدت وأوعد ، وقال : أنا فرامرز بن رستم . وها هو ورأى يتلظى كالنار متشعرا للانتقام ودرك النار . فصاف العسكران عند ذلك ، وقامت الحرب على ساق فقتل فرامرز ورازدا ، وانهزم عسكره . فكان أول قتيل اعتد به في نار سیاوخش . ثم أمر بإحراق مدينة اسفيجاب ونهبها ففعلوا ذلك . وتناهى الخبر الى أفراسياب فأخذه المقيم المقعد ، فأعد واستعد ، وجمع العساكر ، وقدم ابنه سرجه في عشرة آلاف فارس . فسار طليعة لهم ، واستقبل فرامرز . فلما التقى الفريقان جرى بينهم قتال عظيم ، فبارز سرجه فرامرز فأبلى وأفرغ وصحه . فلما رأى أنه لا طاقة له بفرامرز عطف عنانه وتناحر . فأتبعه فرامرز كالريح العاصف ، والعقاب الخاطف ، فاستلب سرجه من سرجه ، وقبض عليه أسيرا ، وعاد به الى معسكره . وبدت في تلك الحالة أعلام رستم مقبلة متواصلة . فاستقبله ابنه البهلوان الحديد ، والفارس^(١) الجليد ، وبين يديه أسيره سرجه . (فلما رآه أبوه سر به وبقائه وارتاح لما رأى من آثار بلائه ، ونظر الى الشاب المأسور فرآه ذا زور وكروار الحزبر وقد كعد السرو ووجهه) كالقمر ليلة البدر قد توشع عارضاه بخط من الشعر الرقيق كالكانفور المغروز بالمسك السحيق . فأمر بقتله . فرق له طوس ، وراجع رستم في أمره . فأبى وأشار أن يؤخذ به الى الصحراء ، ويضجع على التراب ، وبذبح في طست ، حسب ما فعلوه بسييوخش حنو النمل بالنمل . ففعل به ذلك .

وبلغ الخبر بقتله الى أفراسياب ففرق ثوبه وبكى . ثم أمر عسكره بالجد والتشمير ، وحرصهم على الثبات والصدق في لقاء الإيرانيين . فاحتموا مسامع الأرض بأصوات الطبول ، وتشدروا صهوات الخيول ، وتقدموا بكبال الحديد ، كأنما يشقون الأرض بالإرعاد والوعيد . فسمع بذلك رستم فتلقاه بصوفوه المرسوفة وجموعه الموصوفة يخفق عليهم لواؤه المنصور ، ودرفش كايان الميمون . فاحمر البأس وحى الوطيس . فقال بيلمخس أخو بيران عند ملتحم القتال لأفراسياب : أنا أبارز اليوم رستم ، ولا أبالي ببأسه وبطشه ، وآتيك برأسه ورخشه . فقال : إن فعلت ذلك زوجتك ابنتي ، وملكتك ثلثي ممالك توران . فاتهره أخوه بيران ، وقال : لا تتعرض للهلاك . وأخذ يمنعه من ذلك . فلم يقبل من أخيه ، وغاض غمرة الموت فصاح بالإيرانيين ، وقال : أين رستم الذي ترعون أنه كالثعبان عند الضراب والطمان ؟ فلما سمع ذلك جيو استشاط متممرا ، واترع الحز من حلقة سرجه ، وبرز اليه ،

(١) اسمه في النسخ : سُرْخه . (٢) ك : الفارس (لا) . (٣) ما بين القوسين من ك ، كو ، طا .

(٤) ك ، كو : المرسوفة . (٥) ك : وجوه المرسوفة المرسوفة .

وقال : إن رستم يأنف^(١) من مبارزة تركي مثلك . فثار كل واحد منهما الى صاحبه فظعن فجيوا طعنة أزالا قدميه عن ركابيه . فتصدى له فرامرز وضرب رجمه بسيفه فقطعه . وجعلا يتقاتلان ويتصاولان . فنظر رستم اليهما من بعيد فأمر العساكر ألا يتحركوا من موقفهم . وأشرع^(٢) رجمه ، وركض رخشه ، وأقبل على بيلسم نطعنه طعنة اختطفه بها من^(٣) ظهر الفرس ، وجذله قتيلا . فانكسر قلب أفراسياب عند ذلك ثم اقتحم بنفسه غمرة الحرب . فتلاطمت الصفوف ، وتسابجت الرماح والسيوف ، وتناجعت الحملات على طوس في المينة حتى تزلزل قدمه ، وأحجم عسكره ، وانكشف جمعه . ثم أقبل أفراسياب على رستم في القلب يتابع الحملات عليه ، فظعن رستم في خاصرته طعنة كادت أن تأتي عليه غير أنه لم ينفذ سنان رجمه فيه لمكان منطقتة . فثار عند ذلك رستم وشذ عليه وطعنه طعنة أذرت^(٤) عن ظهر فرسه . وهم رستم أن يأخذه بمعاقد منطقتة ، فلحقه هومان أحد أمراء الترك ، فضرب رستم فيما بين كتفيه بعمود كان معه . فنبجا أفراسياب ، وركب فرسا آخر . فسر أصحابه عند ذلك بسلامته ، ووضعوا الرماح على أكافهم ، وولوا هارين . فأتبعهم رستم ثلاث فراعخ ثم رجع بظفرو الى معسكره . وهرب أفراسياب حتى لم يطلع أحد على خبره .

ذكر استيلاء رستم على بلاد الترك وسلطته بها

قال : فركب^(٥) في جميع من كان معه من الإيرانيين ، وسار حتى انتهى الى بحر الصين . وجلس على تحت أفراسياب ، واستولى على خزائنه وأمواله وكنوزه وذخائره . فأعطى طوسا تختا من العاج ، وكتب له منشورا على ممالك الشاش ، وأوصى اليه بالاحسان الى من دخل تحت الطاعة من الرعية ، ووضع السيف فيمن يظهر من الأعداء . ونفذ الى جوذرز تختا من الذهب مع طوق وقرطين ، وعقد له على اسفيجاب والسغد . ونفذ الى فرى برز بن كيكأوس جملة من الجواهر والتفائس ، وقال له : أنت أخو سياوخش فشذ وسطك لطلب النار ، ولا تركز الى السكون والقرار . قال : واستفاضت الأخبار في جميع ممالك توران بجلوس رستم على سرير الملك ، وقيامه مقام أفراسياب . فانثالوا على حضرته بالهدايا والتحف . فتلقاهم بماطفة الأمان وشملهم بالعدل والاحسان .

(١) ك ، ط : ل يأنف . (٢) ك : يادر . (٣) ص : جرد رجمه . والتصحیح من ك ، ط : (٤) ك ، ط : عن ظهر . (٥) ك ، ط : الأرماع . (٦) ك ، ط : أردته . (٧) ك : ولما كان من الغد ركب رستم الخ . (٨) ك ، ط : ذخائره وأمواله وكنوزه ونزائنه .

ثم أقبل على الصيد والطرْد . ومكث على هذه الصفة في تلك الديار ستين عتة . فقال له أخوه زواره ذات يوم : إنا لم نقصد هذه البلاد إلا للأخذ بالثأر . فما بالنا لا نضع فيهم السيف ، ونسلط عليهم يد الأسر والنهب ؟ فحزك من أخيه قلبا ساكنا ، ونفّر منه طيرا واقما ، ووافقه على هذا الرأي . فشنعوا الغارات على أهل تلك الممالك ، وسلطوا عليها أيدي الفساد والإبادة حتى محوا منها آثار العمار . وما تركوا من حدود توران الى حدود الروم وسقلاب مدينة إلا أحرقوها ، ولا ضيعة إلا خربوها ونهبوها ، وقتلوا كل من وجدوا فيها من الكهول والشبان ، وسبوا من عداهم من النساء والصبيان فضج من بقي من أهل تلك الديار ، وقصدوا رستم ، وقالوا : إنا برآء من أفراسياب ، ولستنا نريده أبدا . ولا نعرف أين توجه . وأنت بعد أن تمكنت من هذه الديار وأهلها فانظر بعين الرأفة والرحمة البنا ، وكف يد القتل والنهب عنا . فأقصر عند ذلك عنهم ، ورحل وساق عساكره حتى نزل في بلد سماه من تلك البلاد . وجمع عنده الأمراء والقواد والإصبهذية ، وقال : إن كيكلؤس قاعد وحده على التخت ، وليس على بابيه أحد من الأمراء والأكابر . ولا نأمن مكر أفراسياب ، وأن يخرج من بعض الأطراف ويقصده فلا يجد من يذمه ، ويقع محذور لا يطلق . ونحن فقد أدركا ثأرنا ، والرأى أن نلّود حضرة ذلك الملك الكبير . فاستصوبوا ما رآه . فأمر بجمع السبايا وضبطها . فبلغ عدد من كان منهم من قرائب أفراسياب اثني عشر ألفا ، فضلا عن صاروا جزر الرماح والسيوف وطعم الوحوش والطيور . وأوقروا القيلة بنفائس الجواهر ونواج المسك ، وانصرفوا راجعين . فلما وصلوا الى نيم روز تقاهم دستان ، وأقام رستم هناك . ورحل طوس وجوئورز وسائر الإصبهذية والأمراء والقواد طالبين حضرة كيكلؤس فوصلوها سالمين غانمين .

قال : ولما رجع الإيرانيون وملت منهم بلاد الترك ظهر أفراسياب من أقصى المشرق فصادف قصوره رمادا تذروه الرياح ، ومساكنه معطلة تأوى إليها الوحوش والسباع . فجمع من أصحابه وأهل مملكته ، ممن أفلتوا من مغالب المنون ، جماعات مجمعة وأوشابا مختلفة . فاستأنف الأمر ، وجعل يستمد ويمتشد الى أن كثف سواده ، وكثرت عدده وعتاده . وحرضهم على الاهتمام للانتقام ، وقال : لا تسكروا قلوبكم باستيلائهم على ديارنا هذه المرة . فاقى سوف أجزيهم بكل الصاع بالصاع ، وانتقم منهم بجز الكفاح وصدق المصاع . فكان يبيت في أطراف ممالك إيران ، ويفسد فيها على عادته الذميمة وسيرته القبيحة . على ما سيأتى إن شاء الله .

(١) ك : كوة ، طا : مكنت . (٢) ك : سهم . (٣) ك : قرابة . (٤) ك : مل : أنا مشر .

(٥) طا : أرباشا . (٦) ك : فو : واستأنف .

ذكر رؤيا جوذرز وإنفاذه جيو الى بلاد تركستان

لطلب كيخسرو، وتخليصه له^(١)

قال : وكان جوذرز بن كشواذ ذات ليلة تأمسا إذ رأى في منامه صحابا كثير الماء ، في أعنان السماء . وفيه ملك يناديه ويقول له : أرعني سمعك ؛ اعلم أن في بلاد توران ملكا مذكور الاسم يسمى كيخسرو . وهو ابن سياوخش ، ينتمي من جهة أبيه الى كيقباز ، ومن جهة أمه الى تور بن أفرينون . وأنه اذا قدم إيران نال كل ما أراد ، وشد وسطه لطلب نار أبيه ، ثم لا يفتر حتى يملك بلاد الترك عنوة وغلابا ، فتصير من وطأته نرايا يابا . ولا يخلص إليه غير جيو من أهل إيران وأكابرها . فانتبه جوذرز مسرورا القلب منشراح الصدر .

ولما أصبح جلس على تخته ، ودعا بولده جيو ، فقرظه ومدحه ، وقص عليه رؤياه ، وحرضه على المسير الى بلاد الترك لطلب وارث الملك . فلقى جيو أمر أبيه بالسمع والطاعة . ولما كان الغد شد عليه سلاحه ، وركب فرسا ، فدخل على أبيه ، وقال : يا بهلوان العالم ! يكفيني هذا الوحق وهذا الفرس . فانه لا يمكن الدخول الى تلك الديار بأكثر منهما . وهأنذا قد عزمت . وسوف أعود ، بسماذتك ، بقلب مسرور وسعي مشكور . ونخرج وهو يكي ويتوجع . ومضى حتى دخل بلاد الترك . فتوغلها وحيدا كالعلم الفرد ، والأسد الورد . وكان كلما رأى واحدا من أهلها خاطبه بالتركية ، وسأله عن كيخسرو . فان قال « لا أعرفه » طير رأسه ، ووارى بالتراب شخصه حتى لا يعلم أحد خبره ، ثم مضى لشانه . ومكث كذلك يدور في بلاد توران راجيا للوقوع على أثر كيخسرو حتى أتت عليه سبع سنين ، لم يضع فيها ساعة سلاحه ، ولا أراح يوما فرسه ، ولا يأكل غير لحوم الوحش ، ولا يلبس غير جلودها ، يسير بين الجبال والشعاب بعيدا عن الأحياب والأنحاب ، حليفا للوجوم أسيرا للهموم . وكأنما تكلم على لسانه مترجم الكتاب الفتح بن علي ، حيث باح بشكوى الغارتاب حين شطت داره ، وأمتدت أسفاره ، حيث قال في كلمة له^(٥) :

فيا صاح استمع أبنتك شكوى زريع لا يرى يوما قرارا

بعيد الدار من أعلام حبي تغرب يركب الخطط الفئارا

فيوما بين وحش الرف ضيفا ويوما عند ذئب القاع جارا

(١) ك : ومحبته له . (٢) ك ، ط : من الفرد . (٣) ك ، ط : هأنذا . (٤) ك ، ط : أتر من .

(٥) ك : كتبها الى والده أبي الحسن البداري رحمه الله بأصبهان . (٦) ك : أنتيك .

تكلفه خطوب الدهر حتى كأن لديه للأيام ثارا
وتغزوه بجيش بعد جيش وها هو يوسع الكل انكسارا
بصولة نافض عن لبدته حكمت أظفاره الأسل الحاررا
ومسطوة رابض في ظل بأس يشق به على الفلك الصدارا

وكما عاد جيو بلدى هذا العبد إصهآن، بعد أن طالت سفرته ، وتمادت غربته ، مقرون السعى بالنجاح ، فائزا بالمعلى من الفداح فكذلك هو يرجو أن يفتى عنه ، و يماود أوطانه ، صاعد الجدل ، وارى الزند ، بسعادة مولانا السلطان الملك المعظم ، سيد ملوك العرب والعجم — لا زال متمنا بالبقاء ، متلفعا بملابس المجد والسناء آمين .

نعم فاتمى جيو ذات يوم الى صرح كثير النبات معشب الحنيات ، فطلع لحام فرسه ، وأرسله يرعى ، وقعد متفكرا في حاله وما يعانيه من وعاء سفره ، وقال في نفسه : كأن كيخسرو لم يولد ، وإن كان قد ولد فقد مات وفات . فبينما هو كذلك متعبا والياس أخذ يحنق أمله ، والندم قارع سن عمله إذ تراءى له من البعيد شخص كالقمر الطالع والسرو الباسق ، بيده جام من الرحيق ، وفي رأسه طاقات من نوار الأرض وأزاهيرها ، يترقق في وجهه ماء السعادة وتلوح فيه آثار السيادة ، كأنه معتصب بتاج السلطنة وقاعد على تحت الملكة . فقال جيو في نفسه : يشبه أن يكون هذا مقصودى ومن أنا باذل في طلبه مجهودى . ثم إنهما وقعت عينه على جيو أقبل اليه وهو يضحك . فتلقاه جيو ، وقال : أيها الملك^(١) الشهير بالأكبر ! ما أشك أنك كيخسرو بن سياوخش . فقال : وأنا ما أشك أيضا أنك جيو بن جودرز . فقال : أيها الملك ! من أخبرك عن جودرز ؟ ومن أين تعرف جيو ؟ فقال : أخبرنى بذلك أمى عن أبى سياوخش . فانه حين أوصى اليها أخبرها بأنك تقدم من نواحى إيران ، وتستصحبني اليها . فقال جيو : أيها الملك ! وما الذى معك من علامة الكيانية ؟ فكشف عن جسمه ، وأراه شامة سوداء في عضده كنقطة من المسك على عمود من الكافور . وتلك علامة^(٢) صحة النسب واتصاله بكنية^(٣) باذ . فلما رآها أكب عليها يقبله ويكي . ثم سايه عن إيران وعن الملك كيكائوس وعن جودرز وعن رستم بن دستان . وخرجا معا من ذلك المرج . وطفق كيخسرو يسأل جيو عن حاله وما تحمله في مدة سبع سنين من سفره ، وعن مطعمه ومشربه . فأخبره عن منام جودرز وخروجه بسبب ذلك ، وأخبره بضمف كيكائوس بالأكبر ، وانكساره بمقتل

(١) ك ، كو ، طا : الملك (لا) . (٢) ك : صحة (لا) . (٣) صل : وبما له . والله صريح من طا .

سياوخش . وعمره خراب ممالك إيران ، وما ظهر فيها من الميت والفساد . فأثر ذلك في قلبه حتى ظهر على وجهه . فقال له : أما أنت فقد تبينت عناء شديدا ، وتعبا كبيرا . وستجني ثمرة ذلك ، وتلقى جزاءه . فركب فرس جيو وهو يمشي بين يديه راجلا ، وفي يده سيف مسلول يطير به رأس كل من لقي . وانتهى إلى سياوخش كرد فدخلها ، وأخبر فرى كيس بالحال . واجتمعوا يتشاورون فصمموا العزم على الحرب . وقالت فرى كيس : إن لم نبادر على الفور فأتانا الفرصة ، وضاق بنا الأمر ، وأطلع أفراسياب على الحال ، فلا يبقى منا أحدا . وأخرجت سرج فرس سياوخش المسمى بهزاد الذي أوصاه بالتوحش ، كما سبق . وأشارت عليه أن يخرج هو وجيو به إلى مرج قريب ذكرت أن ذلك الفرس يرعى فيه ، وأنه إذا رأى هذا السرج عمره ووقف . فأمرت كيخسرو أن يسعى إليه عند ذلك ، ويمسح غرته ويلطفه ، ويسرجه ويلجمه ، ثم يركبه . فصار إلى ذلك المرج ، وجرى الأمر على ما ذكرت ، وعاد بالفرس إلى أمه . ففتحت باب كتر لسياوخش ملؤه بالجواهر والنفائس ، والأسلحة والمعدن . وقالت لجيو : ارفع من هذا الكثر ما اشتيت من الجواهر والنفائس . فاختر جيو درما كانت لسياوخش . وحلوا من ذلك ما استطاعوا . وأوتقوا باب الكتر . ثم ركب كيخسرو وأمه فرى كيس وجيو ، وخرجوا من المدينة ، وأخذوا في طريق إيران يسوقون كالريخ العاصف والبرق الخاطف . فلم ينكتم أمرهم على أهل المدينة ساعة واحدة فأنبأوا الحال إلى بيران . فاهتم من أجل ذلك واضطرب ، وأركب أمراءه : بولاد وكلياذ ونستين في ثلثة فارس من أعيان العسكر ، وأمرهم بالركض في آثار القوم والقبض عليهم . فركبوا يطردون خيلهم ، ويقصون أثرهم حتى قربوا منهم . فأمرهم جيو من بعيد فركب وخل صاحبيه ، وكانا نائمين ، وتلقاهم غير مفكر فيهم ، فوقع فيهم كما يقع الأسد الضاري في قطع من الغنم ، بغرى بينه وبينهم مقتلة عظيمة ، وقتل أكثرهم ، فرجعوا خائنين ، وعاد جيو إلى مكانه سالما ، وحدث بما جرى كيخسرو وأمّه ، فحمداه ودعوا له . ثم ركبوا وعدلوا عن الجادة إلى طريق غامض ، وساروا طردا وركضا .

قال : ولما رجع أمراء بيران إليه استخبرهم عن حالهم وعن المارين الذين ساروا في طلبهم ، فشرع كلياذ يحكي ما جرى عليهم . فغضب بيران وصاح عليهم ، وجعل يعض على يديه ، فركب في طلبهم في ألف فارس ، وحرصهم على الحد ، وقال : لو حصل كيخسرو وجيو في إيران لصارت نساؤها كالأسود ، لم لا يتركوا من ديارنا نجما ولا شجرا ، ولا يبقون لها عينا ولا أثرا . وسار في أثرهم ،

(١) ك : مدينة سياوخش . (٢) كو : فرنكيس . (٣) ك ، كو ، ما : كزكان .

(٤) ك : قطع الغنم . (٥) صل : كان . والنصح من كو ، ك .

ولم يزل يطرد ويسوق حتى وصل الى واد عميق كثير الماء، ففتزق المسكر في طلب المخاض . وقد كان جيو مع صاحبيه قد عبروا في تلك الساعة، ونام هو وكبخسرو، وقعدت فرى كيس على الرصد تحفظ الطريق . فلما رأت أن الطلب قد أدركهم أيقظت النائمين . فقام جيو وليس الدرغ . وقال له كيخسرو : لا بد أن أركب معك، وتقاتل القوم جميعا . فتمنه جيو وأشار عليه بأن يصعد مع أمه الى جبل هناك يشرفان منه على المسكر . وقال : ليس في إيران من يصلح لملك غيرك . فلا ينبغي أن تعرض نفسك للحدور . وأما أنا فإن قتل فلا^(١) ثمانية وسبعون ابنا كل واحد منهم مثلي، ويقع خلفا عني . ثم ركب وتلقاهم الى شط النهر . فلما رآه يران من ذلك الجانب صاح عليه، وجعل يشتمه، وقال : أنتحسب أنك تدخل وحدك هذه الممالك ثم تتجو بنفسك . ولو كنت من الحديد فلست إلا رجلا واحدا . وستحيط بك الفرسان فيمزقون هذه الدرغ عليك شققا، ويفرقون أوصالك فرقا . فقال له جيو : أيها الفارس المقدام ! إن كنت رجلا واحدا وأنت في ألف فاعبر هذا الماء، وانظر كيف تكون العاقبة . ففضب^(٢) وخاض الماء حتى قطعه . فاحتال عليه جيو، بعد أن قاتله ساعة، فولاه ظهره وهرب مستجرا له حتى بعده عن أصحابه . ثم كر فقاتلا قتالا عظيما، فولى منه يران منهزما، فاتبعه، وحل وهتا^(٣) كان معه وحلقه عليه، فأوثقه ورماه الى الأرض واستأسره، وقيد يديه ورجليه، وطرحه الى التراب في تلك الصحراء . وأخذ سلاحه فلبسه، وركب فرسه، وأخذ رمحه، ورجع عائدا الى شط النهر، فعب الماء، وهم يظنون أنه يران . فلما خرج اليهم سل سيفه وقتلهم حتى هزمهم وقتل منهم خلقا كثيرا . ثم رجع وعبر الماء، وجاء الى يران، وأراد أن يقطع رأسه بجزءه على التراب مقيدا الى أن انتهى به الى كيخسرو وأمه، وقال : اعتر سياوخش بقول هذا الخبيث حتى توغل تلك الديار، وأصابه ما أصابه . فلا بد من قتله . فطرح عند ذلك يران نفسه بين يدي كيخسرو، وقبل الأرض، وقال : أيها الملك ! ليس بخاف عليك ما انطويت عليه من خلوص عيودتك وصدق موالاتك، وما تحلته في كف عادية أفراسياب عنك . فالآن جزائي على ذلك تخليصني من يد هذا الثعبان . وكان جيو يراقب كيخسرو وينتظر ما يأمره به . فبكت فرى كيس، وذكرت لجيو ما عمل يران في حقها من حسن الدفاع عنها حين هم أفراسياب بقتلها . وتسفعت إليه في بابه . فقال لها جيو : إني حلفت بالإيمان المغلفة أني اذا ظفرت به خضبت الأرض بدمه . فقال كيخسرو : تخرج أذنه بالخنجر حتى يقطر على الأرض دمه ،

(١) كـ ، كـ : فان لأبي ثمانية وسبعين . (٢) كـ ، كـ : ففضب يران . (٣) كـ ، كـ : وأمره .

(٤) كـ ، كـ : على التراب . (٥) كـ : خلاص .

ولأنّحت في يمينك . ففعل جيو ذلك . ثم تشفع بكبحسرو اليه في أن يرد فرسه عليه . فقال : لا أردّه عليك إلا بعد أن أشدّ يدك وأعقد عليها عقدا ، وتحلف ألا يملها أحد غير زوجتك ككشهر . لحلف له على ذلك . فربط يديه ، وأركبه فرسه ، وخلي سبيله . فرجع وعبر الماء عائدا نحو مدينته وأصحابه .

وكان أفراسياب قد اطلع على الحال ، وركب في عسكر كثيف ، وطار يفتح الركض في الأثر . فلما وصل الى الموضع الذي قاتل فيه جيو كلباد وأصحابه رأى ذلك الهضاء مفروشا بجثث القتلى . فقال : من دخل هذه البلاد ، وقدر على كبحسرو ، وخلص اليه ؟ وطفق يشتم يران ، وبفيل رأيه ويسفه عقله حين منعه من قتل كبحسرو وقتل أمه . فقال سيهرم : إنه كان جيو بن جودرز ليس معه أحد . وطلع في الحال عسكر يران راجعين ، فظن أفراسياب أنه قد ظفر بجيو ، فلقاه مسرعا . فلما دنا رآه مخضوب الوجه بالدم ، مربوط البدن مكثفا ، قد أثنخه الضرب . فاستخبره أفراسياب عن حاله فحكى له ما جرى عليه . فاغتاظ أفراسياب من ذلك ، وصاح على يران ، وأمر بإبعاده ، ومضى لوجهه جادا في الطلب ، وحث هومان ومن معه على السير الخيث ، وقال : هذا من آثار صحبة كلام الأولين حيث قالوا : إنه يظهر من نسل كيقباد وتور ملك يخرب جميع بلاد توران ، بعد تملكه لها واستيلائه عليها .

قال صاحب الكتاب : وأما جيو فانه وصل مع من معه الى شاطي ، جيحون ، فالتقى من كان هناك مرصدا لأخذ الباج على المراكب أن يبرهم في بعض السفن . فامتنع عليه ، وقال : لا أعبركم إلا بواحد من أربع ؛ إما أن تعطيني درعك أو هذا الفرس ، يعني بهزاذ ، أو هذه الجارية ، يعني فرى كيس ، أو الغلام ، يعني كبحسرو ، وأصر على ذلك . وكان جيو خائفا من لحاق الطلب به ، فقال لكبحسرو : إن كنت ولد سياوختر فخص هذا الماء واقطعه الى ذلك الجانب كما فعل من قبل أفريدون حين عبر على دجلة الزوراء . فقال كبحسرو : الزأى ما تقول . ففرل وسجد لله تعالى ، وتضرع اليه ، وقال : أنت الحافظ في البر والبحر ، وأنت المستعان في السراء والضراء . ثم ركب الأدهم ، واعترض به الماء . (ب) وواقفه جيو وفرى كيس فقطعوا

(١) الباج مبر بآ وهو بالممارسة الجرية ، والمكس . (ب) هذا يذكرنا بما حل البطل جلال الدين خوارزمشاه حين حاربته المغول على ضفاف السند ، فلما غلب على أمره ، بعد أن قاتل قتال الأبطال ، ألهم مرسه ضفة النهر من مكان عال ، وقطع النهر على ظهر الحصان والمتول مسجون به متحججون من أمره .

(١) ك ، كوه ، طا : فلا تخطئ . (٢) كوه : تشفع يران . (٣) كوه : كان (لا) . (٤) ك : المركب .

تلك الأمواج المتلاطمة حتى خرجوا من ذلك الجانب سالمين . فاعتسل كيخسرو ، ومجدد شكر الله تعالى على سلامته . فقصي الملاحون العجب مما رأوا منهم ، وجعلوا يتفاوضون الحديث فيه فيما بينهم . فبينما هم كذلك إذ وصل أفراسياب فرعق^(١) على صاحب الرصد ، وقال : كيف كان عبور هذا الجنى على هذا الماء؟ فقال : أيها الملك إن أبى كان صاحب الباج على هذا الماء ، ولما مات خافته أنا . فلم نشاهد أحدا خاض هذا الماء فقطعه الى ذلك الجانب . لا سيما في فصل الربيع عند تزايد الماء ، واشتداد الهواء . وقد عبر هؤلاء الثلاثة خاضعين . وكأن الهواء حملهم ، والى ذلك الجانب أوصلهم ، فاستحضر السفن والمراكب ، وعزم على العبور . فثمنه هومان ، وقال : لا تعجل ، واعلم أنك إن عبرت بهذا العسكر الى أرض ايران فانما تلقى نفسك في أفواه الثعابين ، ولهوات الأسود . والدنيا من هاهنا الى أقصى المشرق لك وتحت حكك . فاشتغل بحفظها ، ولا تشغل شرك بسبب أهل ايران . فانه لا خير عليك منهم . فرجع عند ذلك خائبا خاسرا يعض على يده ، ويكاد ينفطر من غيظه .

ذكر مقدم كيخسرو الى إيران ، واحتفال أهلها له واستبشارهم به وما يتصل بذلك قال : ولما وصل كيخسرو وجيو الى خراسان طير جيو الرسل الى الأطراف بقدم كيخسرو ، فاختار فارسا وأمره أن يسير الى أصبهان ، ويشير أباه جودرز بن كشواذ بطلوع صبح ما ارتجاه ، وحصول مقصوده ومناه . فلما أتاه الرسول ، وناوله الكتاب ، وأدى اليه الرسالة وثب قائما ، ووضع على رأسه ، وثر عليه الجواهر ، وطير الكتب الى كيكالوس يخبره بذلك . وانتالت الإصبهذية والأمراء الى أصبهان من كل صوب لتلقى كيخسرو واستقباله . فأمر جودرز بترتين قصره الكبير ، وفرشه الديباج^(٢) والحرير . ووضع فيه تختا من الذهب مرصعا بالجواهر . وأعد لكيخسرو كل ما يحتاج اليه من تاج وتخت وسوار وطوق ، الى غير ذلك من الخليل والبقال ونحوها . وزينوا البلد وعقدوا الآذينات في جميع نواحيه . وخرجوا لاستقباله ، وأبعدوا حتى لقوه على ثمانين فرسخا . فلما وقعت عيونهم عليه ترجلوا ومجددوا له . ولما وقعت عين جودرز عليه تنفس الصعداء وتبادرت عبارته ، ثم بعد إقامة مراسم الخدمة عزاه عن أبيه سياوخش ، ودعا له بطول البقاء ودوام المجد والثناء . ثم عطف على ولده جيو ، وقبل ما بين عينيه ، وشكر سعيه . وساروا في خدمة كيخسرو حتى دخل أصبهان ، ونزل في القصر الذي أعد له . وأقام أسبوعا ثم خرج مع جودرز وغيره من الأكابر والأمراء ممن كان هناك ، وتوجهوا نحو اصطخر . فلما قربوا منها تلقاهم الإصبهذية والأكابر بالخيول المجللة بالديباج

(١) صل : زنى أفراسياب . والصحيح من ك ، كو ، طا . (٢) ك ، طا ، كو : بالديباج . (٣) طا : مه .

قد ضمخت أعرافها بالمسك والزعفران، وعلقت عليها قلائد الياقوت والمرجان . فدخلها وأرجاء المدينة
تطن بضرب البشار، وأصوات القيان على أصوات^(١) المعازف والمزاهر . وكان الناس يخاطبونهُ
بما عبر عنه الشاعر وقال :

طلوع هداه الينا المغيب ويوم تمزق عنه الخطوب
اليه تمج النفوس الصدور وفيه تنى العيون القلوب
قدمت قدوم رفاق السحاب م تحط والربع ربع جديب
وما ضحك الدهر إلا إليك م مذ بان في حاجبيه القلوب^(٢)

قال : ولما دخل كيخسرو على كيكلوس قام ونزل له عن تحتة واعتنقه وقبل وجهه . فسجد له
كيخسرو وقبل الأرض بين يديه . ثم سائله عن حاله وما قاساه في حالتي حله وترحاله . فأخذ يخبره
عن جميع ما جرى عليه، ثم ذكر جيوا وأطنب في مدحه، وشكره ووصفه بحسن البلاء وصديق
المناصحة . ثم قام ونرج إلى قصر كان لكشواذ أبي جوزرز قد هيئ^(٣) وزين له . فحضر على بابهِ جميع
الإصبهذية والأمراء، وسلموا عليه بالسلطنة، ووفوا له مراسم الطاعة والخدمة . ولم ياب ذلك
غير طوس بن نوذر، وهو صاحب الكوس والمداس الذهبي، وحافظ الدرفش الجاوياني، فكان
يتعصب لفسرى بُرز بن كيكاسوس . فغضب جوزرز من ذلك واحتد، وأرسل اليه جيو وأمره
أن يقول له : إن جميع الأكابر خضعوا لكيخسرو وأذعنوا له . فإياك لا تدخل تحت رقة الطاعة،
وتتقاعد عن الخدمة؟ فبادر إلى خدمة ملك ما وطئ إيران أكرم منه نصرا، ولا أنفس جوهرًا،
ولا أيمن قداما ومقدما . ومهما لم توافق على ذلك فليس ببنى وبينك غير السيف . فلما أناه جيو
وأذى الرسالة قال : اعلم أنني أنتمى الى الملك المبارك منوچهر . وليس على باب كيكاسوس، بعد رسم
ابن دستان ، أجل قدرا ولا أنعم شأنا مني . وأنا لا أرضى بأن يكون الملك لكيخسرو مع وجود
فري بُرز بن كيكاسوس، واستعداده للملك واستحقاقه للسلطنة بالحسب الظاهر والنسب الزاهر . وكيف
ي يجوز أن يكون الحافظ وارث التاج والتخت مع وجود الابن؟ ونحن لا نرضى ملكا من نسل أفراسياب
وشجرة بَسَنج . وأنى يجوز العقل استراء الثوب على قطع النعم . وهذا أمر شنيع لا أوافقكم عليه . فرجع
جيو الى أبيه بجوابه فغضب والتهب . وكان له ثمانية وسبعون ابنا فركبوا في اثني عشر ألفا، وخرجوا
لمحاربة طوس . وركب طوس في أصحابه ورجاله وخيوله وأفياله . فلما اصطفت الفريقان راجع طوس

(١)

(١) ط : أوتار . (٢) صل : الخطوب . ك : الشجوب . ط : الشوب . (٣) ك : وقد .

(٤) ك، كو، ط : يرأس .

نفسه، وقال: إن جرى بيننا حرب لم يخل من قتل، وتداعى ذلك الى فتن لا يؤسى جرحها ولا يجبر
وهنا أبد الدهر. فنقذ الى كيكالوس بأن يتدارك الأمر ويتلافى الحلال. فأرسل كيكالوس الى جودرز
يستكفه ويستدعيه الى الحضور بين يديه. فحضر جودرز، وحضر طوس، وتكلم كل واحد منهما
بما في نفسه. فقال: لا سبيل الى أن أوتر بالملك منهما إلا من كان الفاتح لقلعة بهمّن التي هي بنواحي
أردبيل من بلاد آذربيجان^(١). فإية صداها وليحاصرها. فن أجرى الله فتحها على يده فهو صاحب
التاج والمخصوص بالسلطنة والملك. فركب طوس في عساكره، وسار بين يدي فوى بُزرى الى تلك
القلعة. وكانت قلعة حصينة شرفاتها في أعنان السماء، ولا طريق اليها من شيء من نواحيها^(٢)، تحرسها
الشياطين. فلما وصلوا اليها ركب طوس وطاف حوالى القاعة. فلما دنا منها التهبّت الأرض التهاب
النار فصارت الأسلحة كالخدايد المحماة تنوب تحتها أبدان الكاة. فلما لم يجد اليها سبيلا، وعجزوا
عنها رجعوا التفهقرو بعد أن أقاموا أسبوعا. فلما بلغ ذلك جودرز استعد وسار مع كيخسرو حتى
وصلوا الى القاعة. فكتب كيخسرو كتابا الى سكانها من الشياطين، وهتدهم وأوعدهم، وأمرهم بالإفراج
عنها والخروج منها. وأمر فربطوا الكتاب على رأس ربح، ودفعه الى جيو، وأمره أن يحمل ذلك
الربح وينصبه في حائط القلعة على اسم الله تعالى ويرجع. ففعل جيو ذلك. فلما انصرف غاب ذلك
الكتاب فنار غبار عظيم من القلعة، ورجف سورها رجفة عظيمة سمع لها صوت كصوت السحاب
الراعد. فنار منها عجاج أسود أظلمت به الآفاق. فركب كيخسرو عند ذلك، وأمر العسكر أن يرشقوا

§ آذربيجان كثيرة الجبال أرضها بركانية كثيرة الزلازل وقد خربت الزلازل كثيرا من مدائنها
وقراها.

وكانت — كما يقول ياقوت — «بلاد فتنة وحروب ماخلت قط منها فلذلك أكثر مدنها خراب
وقراها يباب».

وكأنه لكثرة نيرانها الطبيعية اتخذ الفرس القدماء فيها بيوتا للنار عظيمة. ومن أجل هذا شاع
بين المؤلفين أن اسمها محزف من «آذربايجان» أو «آذربادكان» أى حافظ النار.
ثم مدينة أردبيل يطل عليها جبل عظيم اسمه سبلان يبقى الثلج عليه صيفا وشتاء^(٣).
وفى هذا ما يفسر بعض التفسير قصة قلعة بهمّن.

(١) ك: ويتداعى. (٢) ك: التاج والتنت. (٣) ك: كمر، طا: من جوانها.

(٤) ك: على حافظ. (٥) معجم البلدان لياقوت، وقاموس الأعلام، ودائرة المعارف الإسلامية.

القلمة بالنشاب . ففعلوا حتى صار جوتها كالجراد^(١) المنتشر لكثرة ما رموا . فهلك من الجن خلق عظيم^(٢) . ثم انجلى ذلك الظلام والغبار . فصعد كيخسرو مع جودرز إلى القلمة وأخذوها . وبني فيها لئار بيتا عظيما وقبة عالية ومباني رفيعة ، وأسكنها الموابذة والمرايذة وأصحاب النجوم وأرباب العلوم . ثم رجع بعد أن أقام بها سنة كاملة . ولما قرب من أمهبان تلقته الإصبهذية والأكابير وسائر الأحرار . ثم تلقاه عمه فري برز بن كيكائوس ، وأستقبله طوس ، وأستصحب الكوس والمداس الذهبي والدرفش الجاوياني ، وقبل الأرض بين يديه ، وقال : يسلم الملك هذه المراتب إلى من يختار من العبيد والخدم . وأخذ يعتذر عما سبق منه . فقبل الملك عذره وأكرمه^(٣) ، وقال : إن هذه مرتبة لا تليق بأحد سواك^(٤) . فردّها عليه . فتوجه سائرا إلى فارس إلى خدمة كيكائوس . فلما وصل تلقاه كيكائوس منشرح الصدر مسرورا . ولما دخل دار الملك أخذ كيكائوس بيده ، وأجلسه على تحت الملك . وأمر الخازن لخص بالتاج الكياني فقبله ، ووضع بيده على رأسه . ثم لما أقامه في موضعه من سرير الملك تحوّل^(٥) من التخت إلى الكرسي . وأمر فنثروا عليه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت . فأقبلت الأحرار والأكابير ، وحيوه بتحية الملوك . فهذا مبدأ سلطنة كيخسرو . وسيتأتى ذكر آثاره ووقائع من بعد إن شاء الله تعالى .

١٣ - ذكر نوبة ملك الملك كيخسرو وما جرى في أيامه

من الوقائع وكانت مدة ملكه ستين سنة §

قال : ولما تسنم كيخسرو سرير الجلالة ، واعتصب بتاج السلطنة بسط على الناس ظل العدل والإحسان ، واستأصل شأفة الظلم والعدوان ، وتبادرت الناس سراعا إلى طاعته ، وتضافقوا على مشايعة

١٣§ - كيخسرو

هو ثالث الملوك الكيانيين ، والثالث عشر من ملوك الشاهنامة . وهو بقية من المقدسين في الدين الآري القديم . وهو آخر الملوك الذين تسترك فيهم أساطير الأبتساق الإيرانية والفيدا الهندية ؛ هو في الفيدا سُتراوس ، وفي الأبتساق كفي هُسروره .

ويذكر في الأبتساق كثيرا ، ويشاد بسجاياه ومآثره :

(١) ك، كو، طا : كأنه علمه بالجراد المنتشر . (٢) ك، كو : كثير . (٣) ك، كو : وأقامه .

(٤) ك، وتوجه . (٥) صل : فلما تلقاه . والتصحيح من ك، كو . (٦) ك، كو، طا : تحوّل هو .

دولته . فصر كل نراب ، وفرج عن كل مكروب ، ودزت يمنة بعد الاقطاع^(٢) بركات السماء ، ودارت رعى الأفلاك بديم الأنداء ، وتحلى عطف البسيطة بوشائع الأزهار بعد ما كان عاطلا ، ودب ماء النضارة في عروق الأشجار وكفى ذوابلا . فكان يروق القلوب ، ويسجب الميون ، ويزهر^(٣) على التخت بكشميد وأفريدون .

ولما جلس على التخت فوق الرسل إلى أطراف البلاد . فلما وصل إلى نيم روز الرسول المنفذ إليها ركب رستم وابنه فرامرز وأبوه دستان في جميع أكابر كابل ، وأقبلوا في الجلم الفقير والمعد الكثير نحو الحضرة . فأتته الخبر يخبرهم إليه فسر بقدم رستم فامر طوسا وجوندرز وجيوا بالخروج للاستقبال وتلقيه بالإعظام والإجلال . فاستقبلوه على مسيرة يومين ثم رجعوا في خدمته إلى حضرة الملك . فلما وقعت عين كيخسرو على رسم نزل عن التخت ، وأغرورقت بالماء عيناه حين رأى من كفل أباه ورباه ، فوضع رسم جبهته على الأرض . فأتى على رسم . ثم ضم رأس دستان إلى صدره وعانقه وأكرمه . وأجلسهما على مراتبهما عنده . ثم أخذ رسم معه في الحديث ، وجعل يدعو له بالبقاء ودوام المجد والعلاء حتى مدوا السباط . ولما طعموا قاموا . ثم لما كان من الغد ركب الملك برسم

= ففيها -- «عبد روح الملك المقدس هُسرُو» . وفيها أن هُسرُو المقدم الذي جمع الأمم الآرية أمة واحدة قُرب لبعض الأرواح قربانا وراء بحيرة كائِكنسته العميقة ذات الماء الملح ، ودعاه أن يؤيده حتى يصير الملك المطاع في البلاد كلها ، بلاد الشياطين وبلاد الإنس ، الخ^(٤) . وأنه قُرب إلى روح آخر وسأله أن يرعاه حتى يقتل السفاح التوراني فرنهكرسيان (أفراسياب) وراء بحيرة كائِكنسته ينتقم لأبيه سياوخش ولأغريث (أثنى أفراسياب)^(٥) . وفي فصل آخر أن المجد الملكي الرائع تجسد في كفى هُسرُو لأجل الشسائط والقوة والنصر والعلاء القاهر ، ولأجل طاعة الشرع والاعتزاز به ، ولأجل استئصال أعدائه بضربة واحدة . ولأجل العافية ، ونسل نقي طيب حكيم يرأس المحافل ، ولملك مجيد وحياة طويلة طويلة . فصار الملك هُسرُو سيد الشعب . ولم يستطع أن يمر خلال العصابة ذلك السفاح الذي كان يجأده على صهوة القرس . وعلا السيد هُسرُو على الناس جميعا . وقيد فرنهكرسيان وكرسوزده (أفراسياب وأخاه كرميوز) لينتقم لأبيه ولأغريث^(٦) . وفي الأبتاق كذلك أن هُسرُو برئ من المرض والموت^(٧) .

(١) صل : فرج كل . والتصحيح من كو ، ك ، طا . (٢) ك ، طا : بركات السماء بعد الاقطاع .

(٣) ك : يزهر . (٤) أفتنا ، ج ص ٢٢٢ (٥) = ص ٦٦ (٦) = ص ١١٥ و ٢٧٨

(٧) = ص ٣٠٣ (٨) = ص ٣٢٧

الصيد ومعه الملوك والإصبهنية، وجعل خروجه ذلك لمطالعة المملكة فطاف في جميع بلاد إيران . فكان إذا مر ببلد خراب أمر بإعادته إلى العماره وإفراغ الأموال عليه من الخزانة . فلم يمر بمدينة إلا وضع فيها تخته وأقام بها يطالع أحوالها ويزيل اختلالها . فاذا فرغ منها تحول^(١) لمدينة أخرى حتى أتى على الكل . ولما أتى نواحى آذربيجان دخل بيت النار الذى هناك فزاره . ثم عادوا إلى بلاد فارس إلى حضرة كيكاوس، وأقاموا عنده مشغولين بأسباب اللهو ودواعى الطرب . ثم إن كيكاوس جلس ذات يوم مع كيخسرو ورسم ودستان وجاذبهم أطراف الأحاديث^(٢) من كل نوع حتى أفاضوا في حديث أفراسياب، وما صنع بساوخش، وذكر كيكاوس آثار نكايانه في ممالك إيران من القتل والنهب وتخرب البلاد، والسعى فيها بالفساد . ثم أقبل على كيخسرو وقال^(٣) : أنت اليوم أملى الملوك قدرا، وأقمهم زندا، وأعلاهم جدا . وأنا أخذ عليك العهد على أن تكون حربا لأفراسياب قتاله وتطلب بنار أبيك منه، ولا تميل إليه لموضع قرابة أمك منه، ولا تتحد له بما يبذل من الرغائب، ويسمع به من الخزان والذخائر . لحالفه كيخسرو على ذلك . وكتبوا كتابا اثنين باللسان الفهلوى، وأثبتوا فيه شهادة رسم ودستان ومن حضر من أكابر الأمراء وأعيان الحضرة . وسلم كيكاوس الكتاب

(٤٧)

= ويسميه الطبرى كيخسرونه . وفي الآثار الباقية أن كيخسرو هو كورش وأنه يلقب همايون^(٤) .

ويذكر في الأستاق بحيرة اسمها بحيرة هسروه تقرب إليها القرايين، وهى على خمسين فرسخا من بحيرة كاكست^(٥) (أرمية) .

ثم قصة ولاد كيخسرو في توران، وتربته بين الرعاة خوفا عليه من جده لأمه أفراسياب، وإشفاق جده من زوال ملكه على يده، وقتل الجحد بيد حافده في النهاية — تشبه كل الشبه ما يرويه هردوت عن ولادة كورش وما كان ينسبه وبين جده لأمه استياجس ملك ميديا . وقد تقدم أن البيرونى يزعم أن كيخسرو هو كورش ومؤرخو الفرس والترك في هذا المصر يوافقون البيرونى^(٦) .

ومما يعزى إلى كيخسرو أنه سأل للفرس الاعتقال في عيد تيرماه ومن آثاره — بزعمهم — نار ماجشسف وبيت للنار يسمى ديركوشيد بين العراق وفارس، ومدينة أردبيل، ومدينة بكن في الصين^(٧) .

(١) ك، كز، ط : تحول إلى . (٢) ك، ف : أطراف الحديث . (٣) ك، كز : وقال أنت . ط : وقال وأنت . مل : قال (٤) الطبرى، ج ١ ص ٢٦٣، والبيرونى، ص ١٠٤ و ١١١ (٥) أفسنا، ج ٢ ص ١٥٧ و ٣٠٠ حاشية . (٦) انظر المقدمة في الكلام عن الكيانيين والاكينيين . (٧) الآثار الباقية

الى رستم . ثم متوا السباط وطعموا . ثم اشتغلوا بالشرب واستمتع الفناء أسبوعا من الزمان . وبعد ذلك اغتسل الملك كيخسرو ودخل متعبدا لهم وجعل طول ليله يتضرع الى الله تعالى ويبتهل ويعفر خذفه في التراب ويستنصره على أفراسياب ويستعين به عليه . فقطع ليثه تلك بالسجود لله تعالى والدعاء . ولما أصبح جلس على تختة ، وأصطف على رأسه جميع الملوك والأمراء فأقبل عليهم وقال : يا وجوه الدولة ويا أعيان الحضرة ويا معاشر الفرسان وأصحاب السيف والسنان ! اعلموا أني قد طفت جميع ممالك إيران فما وجدت أحدا مسرورا ، ولا رأيت بلدا معمورا ، ورأيت الناس قد حالقوا اللحم والاكتئاب لما أصابهم من نكايات أفراسياب . وقد وترى قبل الناس بأعظم الفجائع ورماني بأفد سهام الرزايا والمصائب . وقد صممت العزيمة على الطلب بشار الأب . فان كنتم أعوانى المحيين وأنصارى المخلصين ، وعاونتمونى مشمرين ، وبذلتم وسعكم فى ذلك جادين ومجتهدين أدركت المقصود ، وبلغت المأمول . وكل دم يراق بيننا فأفراسياب متقلده . وكل من يقتل منكم فالجنة

= وعهد كيخسرو أطول عهود الشاهنامه ، يستغرق أكثر من خمس الكتاب وهو سبعة أقسام : خمسة منها تقص من أنباء الحرب المستمرة بين إيران وتوران ، وإثنان فيهما قصتان منفصلتان ولكنهما تنهيان بحرب بين الأمتين أيضا :

(١) إرسال الجيش يقوده طوس إلى حرب أفراسياب . ويختل هذا الفصل فاجعة فرود أنى كيخسرو التى يراها القارئ فيما يأتى . وأتتهى هذا الفصل بهزيمة الايرانيين .

(٢ و ٣) حرب كاموس الكشاني وخاقان الصين . وفى هذا الطور يقود الحرب رستم وتدور الدائرة على أعداء إيران .

(٤) حرب رستم وأكوان الجنى .

(٥) قصة منيثر بنت أفراسياب وبيژن بن جيو بن جودرز .

(٦) حرب الاثنى عشر رُخا .

(٧) الحرب الكبرى بين الملكين كيخسرو وأفراسياب .

وفى هذه الوقائع يبلغ الجلال بين الأمتين أشده . ويزاد على الثارات القديمة ثار بنى جودرز السبعين الذى قتلوا فى المعارك الأولى . وينهزم الايرانيون أول الأمر ثم ينتصرون ، ثم يسير الايرانيون أربعة =

مأواه ومتقلبه . فما قولكم في هذا ؟ فوضعوا جباههم على الأرض ، وقالوا : أيها الملك ! إن أرواحنا وأبداننا منقادة لطاعتك . وإنما ولدنا للحرب والقتال وبذل الروح للانتقام يوم التزال . فلما سمع ذلك الكلام^(١) من رستم وجودرز وطوس وغيرهم من الأمراء والأكابر توزدت وجناته ، وتهلكت أسرته ، وأثنى عليهم ودعا لهم . قال : فأمر كاتب الجيش بإثبات أسماء المتقدمين من الملوك ، ومن في جملتهم من الاصبهيزية والأمراء وأعيان الفرسان ، وآحاد المفردين وسائر من يشتمل عليهم جرائد كتاب الجيوش . فلما فعلوا ذلك فتح أبواب الخزانة فأعطاهم^(٢) المعطايا الوافرة ، وخلع عليهم الخيل الرائعة ، وأمرهم بأن يستعدوا للخروج الى العدو . ثم بعد ذلك ارضعت أصوات الكوسات من الميدان صبيحة يوم من تلك الأيام فجاءوا بقيل على ظهره تخت منصوب من الفيروزج . فعلاه الملك كيخسرو معتصبا بتاج من الذهب المرصع بالياقوت . وخرج الى الصحراء وفي يده جام فيه خرزة متى حركها الملك^(٣) ركب العسكر أجمعون حتى لا يبقى منهم على وجه الأرض أحد . فوقف وأمر بالعرض ، فكان أول من عبر فرى برز بن كيكلوس . وهو مقدم على مائة إصبهيز وعشرة ، من أقارب أبيه . فعرضوا على الملك في أتم آلة وأكمل عدة . ثم تلاه جودرز بن كيشواذ ، وهو مقدم على ثمانية وسبعين إصبهيزا من أولاده وأحفاده . على ميمته ولده رُعام ، وعلى ميسرته جيو ، وعلى رأس كل واحد منهم لواء يخفق ، ويتبعه عسكر عظيم . ثم عرض كُستهم بن كردهم ، وهو مقدم على ثلاثة وسبعين إصبهيزا من أولاد أبيه رماة

= جيوش ويلاق الجيوش الأعظم يقوده جودرز ، جيش توران يقوده بيران ، وبيارز أحد عشر بطالا إيرانيا مثلهم من توران . فيقتل التورانيون جميعا إلا قاتل سیاوخش فيبقى ليقنله كيخسرو انتقاما لأبيه . ثم يتبارز القائدان بيران وجودرز فيقتل بيران الذي قاد حرب التورانيين في أطوارها كلها . ولا يبقى إلا أفراسياب فيقدم كيخسرو ويلتقي الملكان في وقائع عديدة يظفر فيها كلها كيخسرو فيهرب أفراسياب ثم يؤخذ فيقتل .

فيرى القارئ أن القصة في هذا العهد قد هيئت للختام في أطوار مختلفة .

وسأين في مقدمة الفصل الآتي كيف تغير ميدان القصة وأبطالها تغيرا تاما بعد كيخسرو .

وأبطال هذا الطور ، بعد رستم بطل الأبطال ، أسرة جودرز ثم طوس بن الملك نودز وفريبرز ابن الملك كيكلوس^(٤) .

(٣) ك ، ط : الملك فيه .

(٢) ك : وأعطاهم .

(١) ك : الكلام (لا) .

(٤) انظر المقدمة : أبطال الشاهنامه .

الحلق، وأصحاب الديابيس والعمد . ثم أشكن^(١) صاحب الرأي والشهامة والنجدة والبسالة في عسكر
يجر شاكي السلاح . ثم تلاه جُرازه في أصحابه وعساكره . ثم جاء من بعده زنكه بن شاوران
في عساكر بغداد . وكان كلما مر منهم مقدم وقف تقدم ، وأثنى الملك عليه ودعا له . وكان آخر
القوم عبورا فرامرزن رستم مقدم عساكر قشمبر وكابل ونيم روز . فارتاح له الملك وبش ، ووهب
له جميع بلاد الهند من حد قنوج الى حد ممالك دستان . ثم أوصاه ووعظه ونصحه لخدائته سنة .
وأمره بالإحسان الى من يتولاهم ، وسلوك سبيل المصلحة معهم ، وبسط جناح الرأفة عليهم . فترجل
وقبل الأرض ومر في طريقه الى مملكة خاصة . وشيعة أبوه رستم نحو فرمتخين وودعه ، وعاد
حضرة الملك . قال : فزل الملك كيخسرو عن الفيل ، وركب فرسا وأقبل الى سرادق ضرب له^(٢) .
وجاء رستم وجلس يشرب معه .

= والقسم الأول من عهد كيخسرو ١٧٠٠ بيت فيها العناوين الآتية :

- (١) فاتحة القصة . (٢) تحية الملك كيخسرو . (٣) طواف كيخسرو بالمملكة . (٤) كيخسرو
يعاهد كاوس على الانتقام من أفراسياب . (٥) إحصاء كيخسرو الأبطال . (٦) كيخسرو
يقسم الكنوز على الأبطال . (٧) إرساله رستم الى الهند . (٨) تعبئة كيخسرو الجيش .
(٩) بدء قصة فرود بن سياوش . (١٠) ذهاب طوس الى تركستان . (١١) علم فرود بمقدم
طوس . (١٢) ذهاب فرود وتحوار (تخار) لرؤية العسكر . (١٣) مجيء بهرام الى فرود على
الجليل . (١٤) رجوع بهرام الى طوس . (١٥) مقتل ريونيز بيد فرود . (١٦) مقتل
زراسب بيد فرود . (١٧) حرب طوس وفرود . (١٨) حرب كيو وفرود . (١٩) حرب
بيزن وفرود . (٢٠) مقتل فرود . (٢١) قتل جرية نفسها . (٢٢) سوق طوس الجيش
الى كاسه رود (نهر كاسه) ومقتل بلاشان بيد بيزن . (٢٣) ما قاساه الايريانيون من البرد .
(٢٤) أخذ بهرام كبوده . (٢٥) حرب الايرانيين وتراو . (٢٦) علم أفراسياب بمقدم طوس
وجيشه . (٢٧) تبليت ييران الايرانيين . (٢٨) استرجاع كيخسرو طوسا . (٢٩) فريبرز
يسأل ييران للمهادنة . (٣٠) هزيمة الايرانيين أمام التورانيين . (٣١) رجوع بهرام الى المعتوك
يبحث عن سوطه . (٣٢) مقتل بهرام بيد تراو . (٣٣) قتل كيو تراو انتقاما لبهرام .
(٣٤) رجوع الايرانيين الى كيخسرو .

(١) في الشام : أشكن . (٢) ك ، ط : ضرب له في الصحراء .

ذكر إنقاذ كيخسرو طوسا الى قتال أفراسياب ، ووقعة فروز بن سیاوخش

قال : ولما كان من الغد ركب طوس في جميع من في جملة من الإصبهنية والأمراء ، وخرج الى الصحراء بالدرفش الجاوياني ، ومعه الأكابر من ذرية الملك نوزر أصحاب الأطواق والمراتب العالية . فحافوا بجبال مائة وبحار سائرة حتى دنوا من مرادق الملك كيخسرو . فاستحضر الأكابر والسادات ، وأمرهم بتابعة طوس ، وطاعته واتباع رأيه ، والجرى تحت أمره ونهيه . ثم أقبل على طوس ، وأوصاه بأن يحسن الى الرعيصة والزراعيين وأرباب الحرف الذين لا يخشى شرهم . ثم أمره بأن يعدل ، في طريقه الى توران ، عن الطريق المفضي الى القلعة التي تسمى كلات . وقال له : إنه كان لسياوخش ابن من بعض بنات ييران يشبه أباه . وهو شاب يشبهني في السن والمنظر . وهو صاحب شوكة وقوة . وهو يسكن مع أمه هذه القلعة ومعه عسكر عظيم . وهو كالأجنبي من الايرانيين لا يعرف منهم أحدا . فلا ينبغي أن تسلك ذلك الطريق كيلا تقع في محذور . والراي أن تسلك طريق البرية . فقال طوس : لا أحميد عن أمرك وعمّا تشير به . ثم رجع الملك مع رستم الى إيوانه . وسار طوس متوجها نحو توران مقدما على جميع الساكر ، مالكا بأمر الملك كيخسرو لزمام الأمر ، والحل والمقد ، والإبرام والتقض . فاتهى أوائل العسكر الى موضع يتشعب منه الطريقان المذكوران . فوقفوا حتى يصل طوس فينظروا ما الذي يسلكه منهما فيتبعوه . فلما وصل طوس قال بلخودرز : الصواب ألا تسلك طريق البرية مع هذا الخز وقلة الماء ، ومع طولها وبعده . بل تسلك طريق جرم وكلات فإنني قد رأيت هذا الطريق ، وفيه بلاد عامرة ، ومياه كثيرة عذبة ، ومراع معشبة . ولم أرفيه ما يتعب سوى مصاعد ومهابط لا يخلو أكثر الطرق منها . فالأولى أن نعدل عن البرية الى هذا الطريق الآخر . فوافقه جودرز على ذلك ، وساروا فيه . قال : فوصل الخبر الى صاحب كلات ، وهو فروز بن سیاوخش ، يجيء عساكر ايران فضاق صدره ، وأمر بجمع المواشي والدواب من الصحراء الى حريم القلعة ، والاستعداد للأمر . فأغلق باب القلعة وجاء الى أمه ، وكانت تسمى جريرة ، فأخبرها بجيء طوس في عساكر ايران ، وتخوفه منهم . واستشارها فقالت : إن أهلك هو ملك ايران . وأنت وهومن اب واحد . وإنما نفذ هذا العسكر للطلب بئار أبيك . فينبغي أن تشرعن ساق الجدد ، وتحازيهم . وتتوغل معهم بلاد أفراسياب فتكون أول من يطلب بئار أبيك . فانذا قدم هذا العسكر فأبصر من المقدم عليهم ، ثم استدعه الى ضيافتك ، واخلع عليهم ، وأحسن اليهم . فقال : إني لا أعرفهم ، ولا بد من يتوسط بيني وبينهم . فقالت :

إذا بدا غبار العسكر نفذ موكب تخوار^(١) — وهو أحد فرسان تلك القلعة — وخلف عسكرك وراءك .
 فإن تخوار يعرف الإيرانيين . وسأيل عن بهرام بن جودرز وزنكه بن شاوران فإنهما كانا رفيق
 أبيك . فاستصحب تخوار، وجاء إلى شعبة من شعقات ذلك الجبل ووفقا^(٢) يشرفان على العسكر .
 فأخذ يسأل تخوار عن علامة كل واحد من الإيرانيين ، وهو يخبره ويصف له . قال : فلما دخل
 طوس بين الجبلين بالخييل والحشم والقبيلة والأعلام طمع بصره فرأى على قلعة تلك الشعقة الشاه
 فارسين يشرفان على العسكر واقفين لا يرحان من مكانهما ولا يفزعان . فقال لمن معه : من يصعد
 إليهما ويأتيني بخبرهما ؟ فانتدب لذلك بهرام بن جودرز ، فتوغل الجبل . فلما قرب استخبر فروذ
 تخوار عنه . فقال : أرى أنه من الجودرزين . وحين دنا منهما صاح عليهما ، وقال : من أنتم ؟
 أما تسمعان أصوات الطبول والكوسات ؟ أما تفزعان من هذا العدد الكبير ؟ فقال له فروذ : أيها
 الفارس المقدام ! مالك بدأتنا بالخصومة قبل أن نسمع ما يوجب ذلك ؟ لا نتفاحتنا بالكلام الموحش .
 فانك لست تفضلني بشيء من الشجاعة والبسالة والصورة والقالب . وأنا أريد سؤالك عن شيء^(٣) فإن أجبتني
 سررتني به . فقال بهرام : سل عما بدا لك . فقال له : من المتقدم على هذا العسكر ؟ ومن فيه
 من السادة والأكابر ؟ فقال : المقدم طوس بن نوذر . وفيه من الأكابر جودرز بن كشواد وفلان
 وفلان وعندهم عليه . فقال : مالك لا تذكر بهرام ؟ فإني لا أرتاح من الجودرزين إلا له . فقال :
 أنا الفارس البطل . من أين تعرف بهرام ؟ فقال : إن أمي أخبرتني عنه ، فقالت : سل عن بهرام
 وزنكه بن شاوران فإنهما رضيعا سياوخش أبيك . فقال بهرام : أنت فروذ ثمرة ذلك الشجر
 الخسرواني ؟ فقال : نعم ! أنا فروذ بن سياوخش . فقال : أرى العلامة الكيانية . فكشف له عن
 عضده فرأى شامة كأنها قطعت عبر تلوح على الورد الأحمر . فعلم أنه من الجرثومة الكريمة . فاشفى
 عليه وسجد له ثم صعد إليه . فقتل فروذ عن فرسه ، وجلس معه على الحجارة . فقال : لو عاد سياوخش^(٤)
 حيا لم أفرح ببقائه كما فرحت بقتلك . وإني لم أصعد إلى شعبة هذا الجبل إلا لاستخبر عن مقدم
 العسكر وعن من معه من الأمراء فأضيفهم وأفرغ وسعي في خدمتهم ، وأقر عيني ببقائهم . وإذا استراحوا
 عندي أسبوعا ، وساروا لوجهتهم سرت معهم ، وكنت أولهم بإذلا جهدي وطاقتي في الأمر الذي
 أنا أحق به منهم ، وهو الطلب بثار سياوخش أبي ، وقاتلت أفراسياب وأصحابه قتالا يضرب به

(١) يلفظ : تخار . (٢) ك : ط : ووفقا عليها . (٣) ط : يصبره . (٤) ك : ط : بالخشونة .

(٥) ك : ط ، ك : شيء في نفسي . (٦) ك : أجبتني عنه . (٧) ط ، ك : فقال أيها الفارس .

(٨) ك : ونزل فسجد .

المثل في الآفاق . فقال له بهرام : أنا أقوم بهذه الخدمة ، وأمضي الى طوس وأستدعيه الى ضيافتك ، وأبذل في ذلك جهدي حتى لو احتجت أن أقبل يده مستشفعا اليه فعلت . ولكن ينبغي أن يعلم الملك أن طوسا إنسان يستبد برأيه ، ولا يسمع قول أحد ، ولا ينجح فيه مقالة ناصح . وهو ، على ذلك ، صاحب أيد وقوة وأموال كثيرة ؛ ولا يلتفت الى الملك كيخسرو ذلك الالتفات ، ولم يرض بخدمته حتى نابذه جودرز وعزم على قتاله . وهو يقول : أنا ابن نودرن منوهر . وأنا أحق بالملك . ومع ذلك كله أرجو ألا يمتنع مما أشير به عليه في هذا الأمر . ومهما أجاب الى ذلك فإني سأصعد بنفسى اليك ، وأستصحبك الى المعسكر . وإن يكن غير ذلك ، وسلك معك سبيل العنف ، وصعد اليك غيرة فلا ينبغي أن تركن اليه وتمكنه من التقرب منك . ثم أعطى بهرام^(٢) جرجا^(٣) كان معه وعليه نصاب من الفيروزج مركب في الذهب . وقال : إذا صعد الينا طوس وحصل بيننا الائتلاف خدمتك بهدايا كثيرة من خيل وجواهر وخلع وأسلحة . فأنصرف من عنده بهرام ، وانحدر من الجبل ، وجاء الى طوس وأخبره بأنه فروز بن سباوخش ، وأنه أراه العلامة الكيانية . فأغظ له طوس وجاوبه بالعنف ، وقال : ألم أقل لك لا تفاوضه في شيء ولا تخاطبه إلا بالسيف والسنان ؟ ولكك فرزت منه وجبت عنه ، وجئت نتمسك بهذه المآذير . ثم أقبل على أصحابه ، وقال : من يصعد الى ذلك الجبل فيأتينى برأس ذلك التركي ؟ فانتدب لذلك ريو الشجاع ختن طوس على ابنته ، فتوقل في الجبل . فلما صعد ورآه فروز استشاط وتميز حين لم يرجع اليه بهرام . فأخرج من تركشه^(٤) نشابة ورماه بها ، فأصاب رأسه فانقلب عن ظهر فرسه وخر ميتا . فلما رأى ذلك طوس احتدم غيظا وثار فصاح بابنه زرسب ، وكان مقدم التوذرين ، وأمره بأن يصعد اليه . فتوقل وصعد . فلما رآه فروز سدّد نحوه نشابة أخرى فوضعها في جوفه ، فانقلب عن ظهر فرسه ووقع ميتا . قال : فوقع الضجيج لمقتله في المعسكر ، وثار طوس كالأسد المحرّج حيث قتل ابنه وختنه ، فركب بقلب جريح ، ودمع غزير ، وترق الجبل . فلما رآه نخوار قال لفروز : إنه طوس بن نوزر ، ولست تقدر على مقاومته . فأرجع بنا حتى نصعد القلعة ونفلق بابها . فإلك بعد أن قتلت أبنة وختنه لم يبق لك مطعم في الصلح معه . فغضب فروز عليه ، وقال : بعد أن اضطرت الى المنابذة فلا أبالي بطوس ولا بغيره . وكان الواجب عليك أن تقوى قلبي ، وتعاونني عليه ، لا أن تخوفني وتحدّثني عنه في مثل هذا المقام . ثم سدّد نشابة الى نحر فرسه فأبتها فيه ، فوقع الفرس ، وبقى طوس راجلا . فصاح عليه أهل القلعة

(١) طا : منشعاً . (٢) الجزز : القصة . (٣) ك : طا ، كو : هذا الجبل . (٤) ك : طا ، كو : تمر . (٥) كو : جفيرة . (٦) ك : وقع ميتا . (٧) ك : كو : في الجبل .

(٦٤)

من أعلاها ونعروا في قفاه حتى انحدر . ثم صعد إليه جيو بن جودرز فقال تخوار : إنه البهلوان
الذي كنف جثتك بيران حين جاء في طلب أخيك ، وخلصه من بلاد توران ، وخاض به نهر جيحون .
وعليه الآن سلاح سياوخش فلا يؤثر فيه شيء . فارم فرسه بنشابة أخرى حتى يرجع وراه مثلما رجع
طوس . فرمى فرسه بنشابة تقطر منها ، وبقى جيو راجلا . فعاد متحدرا كفعل طوس . فلما رأى
بيژن ما حل بأبيه جيوجن واستفزه الغضب ، واستعار فرسا من كُستهم ، وأخذ من أبيه درع سياوخش
ولبسها ، وتوغل في الجبل كالغالب الفارث . فعين فروذ على فرسه وراه بنشابة أقصده . فترجل
بيژن ، وصاح عليه ، وقال : اصبر ساعة حتى ترى قتال الأسود . فتناول الحين ، ورفع على رأسه ،
وتوغل إليه . فلما صعد الجبل سل سيفه ، وأقبل عليه . فانهزم عنه وولى نحو القلعة فبعه حتى عرقب
بسيفه فرسه . فترجل فروذ والتجأ إلى القلعة فدخلها . ورجع بيژن وانحدر إلى المعسكر . فلما كان
من القدر ركب طوس ، وزل فروذ في عساكره فتناوشوا الحرب من أول النهار إلى وقت الزوال .
فقتل أكثر أصحاب فروذ ، وبقى هو وحده في المعركة . فالتفت فلم ير وراءه أحدا . فعطف عتانه ،
وأحجم إلى الحصن . فخرج بيژن ورهام عليه من الكمين . فرفع الجرز على بيژن . فضرب رهام
كثفه ضربة أبانت إحدى يديه . وبقى كذلك على ظهر الفرس يقاتل ويدفع عن نفسه بيد واحدة .
حتى صعد وعاد إلى القلعة . فدخل إيوانه ورى بنفسه على التخت صريحا فلم ينشب أن مات .
فصعد الوصائف إلى شرفات القلعة ، ورمين بأنفسهن إلى أسفلها . وأحرقت أمه جميع ما كان
في القلعة من الأموال والأسلحة ، وأخذت خنجرا ، ودخلت مرابط خيله العراب فشقت
به خواصرهن .^(٥) ثم جمات ووضعت خنثها على خذ ولدها الشاب ثم شقت صدرها بخنجرها ، ولحقت
بأنها . ودخل الإيرانيون القلعة وغلكوها ، وأخذوا في الأسر والنهب . بجاء بهرام إلى إيوان فروذ
فراه طريقا على التخت ، ورأى أمه قد ألقت نفسها عليه ميتة . فقعده عند رأسها يبكي ويتوجع .
بجاء طوس وجودرز وزنكة بن شاوران ، وقعدوا عند رأسه ليكون . وجعل طوس يقرع سن الندم
بعد أن زلت به القدم . فقال جودرز : إنك قد ضيعت بالحطة والتزق هذا الشاب وقزيتَه
في أدراج الرياح ، وبغمت نفسك بابنك زرسب الذي كان نزهة الأملأظ . وراحة الأرواح .

(١) صل : المنحدرا . (٢) صل : ولم . والصحيح من ك ، كو . (٣) ك ، ط ، كو : فعدت .

(٤) ك ، ط ، خيوله . (٥) ك : جمات . (٦) ك ، ط : إلى القلعة . (٧) ك : ألقت عليه بنفسها .

ثم حنطوه وكفنوه، وعملوا له ناووسا على رأس ذلك الجبل ووضعوه فيه ^(١) ثم بعد ثلاثة أيام رحل طوس قاصدا قصد تركستان . فساق عساكره حتى وصل الى كاسروذ فسكر هناك . ففرج من توران فارس يسمى بلاشان ليتعرف أحوال العسكر ويقف على مددهم فينبى خبرهم الى أفراسياب . فلتقاه ييزن بن جيو وقتله . وبلغ الخبر أفراسياب بعبور الإيرانيين كاسروذ فاستدعى يران، وفاوضه وشاوره في أمر كيخسرو؛ فبما فعله من إغاث العساكر طالبا بدم أبيه فقال : لابد أن نتلقى الأمر بالحزم وتشرعن ساق الجذ قبل أن يميل ^(٢) الخطب ويفدح الأمر . وأمره بالاحتشاد وجمع العساكر . فقام بذلك يران، وجذ في الإعداد والاستعداد . قال صاحب الكتاب : ثم إن الشتاء كثر في وجوه الإيرانيين نابه، وحرش بهم كلابه، فخارت عليهم ربح باردة تقلصت منها الشفاه، وتشققت الوجوه والجباه، ونشأت سخابة طبقت السماء فثرت عليهم تلجا عظيما انسدت به المخارم والشعاب، وتسطحت فيه الكهوف والمضارب . فهلك منهم تحت ذلك الثلج خلق عظيم ودواب كثيرة، وقل عندهم الطعام . فارتحلوا من منزلهم ذلك . وكان أفراسياب قد عمل في الطريق الذي هم سالكوه سدا من الخطب يكبل عظيم حتى يتقطع به الطريق بين إيران وذلك الجانب . وكان كيخسرو قد أمر جيوا بإحراق تلك الأعطاب المكومة حتى ينتفع لهم الطريق الى توران . فركب جيو في ذلك البرد المفرط والهواء الشديد الى ذلك السد، فرمى فيه النار فتمكنت منه حتى أحرقت ^(٣) تلك الأعطاب العظيمة، وانهارت في الأرض . فلم يمكن العسكر عبور من حرق النار ولفحها حتى انقضت عليهم ثلاثة أسابيع . فعب طوس بالعساكر

في ذكر القارئ أن طوسا هو ابن الملك نوذر، وأن الإيرانيين عدلوا عنه وعن أخيه كستهم بعد موت أبيهما، واختاروا زوز بن طهماسب ملكا عليهم ^(٤) . ويذكر كذلك أن طوسا — كما تقدم في هذا الفصل — كان يؤيد فويرز ابن الملك كيكافوس، ويرى أنه أحق بخلافة كيكافوس من كيخسرو حفيده، مستنكرا أن يعدل عن الابن الى الحفيد . وهي حجة يتحج بها مثل طوس ممن حرموا وراثته أبيهم .

ففي سخط طوس ما يفسر للقارئ مخالفته أمر الملك كيخسرو وسلوكه طريق كلات التي نهاه الملك عن سلوكها . وإقدامه على الوقائع التي انتهت بقتل فروذ أخى الملك . وقد أدرك الفردوسى هذا وأشار إليه في مقدمة قصة فروذ التي حذفها المترجم .

(١) كز : وادى كاس . (٢) ك : طا : وطقدم . (٣) ك : طا : وقفاضه .

(٤) ك : يميل الأمر ويفدح الخطب . (٥) ك : احترقت . (٦) اظلماتن، ص ٩١

أخذنا في طريق جيو كرد^(١) . ولما انتهى إليها نزل عليهم ، وخيم في صحرائها ، وفرق الطلائع حوالها . وكان صاحب جيو كرد أميرا من الأتراك يسمى ثراو^(٢) . فلما بلغه الخبر بإقبال عساكر إيران فخذ فارسا من أصحابه يسمى كبوزه ليطع على أحوالهم . فصادفه بهرام بن جودرز ، وكان على الطليعة ، وقبض عليه ، وقطع رأسه ، وعلقه من سموط سرجه ، وعاد إلى المعسكر . فلما أبطل رجوع كبوزه إلى ثراو علم بمقتله ، فركب في عساكره وتقدم للقاء الإيرانيين . فالتقاء جيو بن جودرز في جماعة من الأمراء فتأذاه وسأله عن اسمه . ثم قال له : يا فارس الهيجاء ويا مسعر الحرب ! كيف تجاسرت على أن أقبلت بهذا العدد القليل إلى حربنا ؟ فقال : أنا صاحب القاب البحرى ، والبأس الشديد . وإن أصلى كان من إيران غير أنى اليوم مرزبان (١) هذا الإقليم . وأنا مفزع الأكابر وختن الملك أفراسياب . فقال له جيو : لا تبغ بهذا فإنه يضع من قدرك ، ويسفه لأجله رأيك . لأنك إذا كنت صاحب ما ذكرت من المراتب العالية فأين الجيش اللهم ؟ وأين الرايات والأعلام ؟ فقال : لا تنتظر إلى قلة هذا المعسكر ، وانظر إلى فتكات جرزي إذا استويت على ظهر فرسى . وإنى سأقيم اليوم بسيفي طيكم القيامة ، وأوردكم موارد الخزي والندامة . فاغناظ بيّز بن جيو ، وأنكر على أبيه مفاتحة الكلام^(٣) . وأشار بمباخرته القتال . فنار بعضهم إلى بعض ، وقامت الحرب منهم على ساق^(٤) . بغرى بينهم قتال عظيم قتل فيه أكثر أصحاب ثراو ، فولى مدبرا . فاقبض في أثره بيّز كالشهاب الثاقب المرسل على الشيطان الخاطف ، فطعنه طعنة كادت أن تأتي عليه ، فنبهه وخطف من رأسه تاجا كان أفراسياب قد توجه به . فأنتهى إلى باب قلعة والمعسكر في أثره . فترلت إليه زوجته ، وكانت تسمى اسبنوى ، وكانت أحسن نساء زمانها . فارتدتها واستغفره الخوف فخرج هاربا يركض راكبا طريق توران لينجو بروحه . فإكان إلا قليل حتى وقف به فرسه . فأنزل الجارية وخلها . وكان بيّز يطرد خلفه كأنه ثعبان صائل . فلما انتهى إلى الجارية ارتدتها ، وعاد بها إلى المعسكر . وأخذوا تلك الناحية وخربوها . قال : فضى ثراو على حاله تلك لا يستقر ليلا ولا نهارا حتى وصل إلى حضرة أفراسياب ، وأخبره بما جرى على أصحابه من القتل والأسر ، وعلى قلاعه وضياعه من الإغتراب والنهب . فاهتم لذلك أفراسياب واعتم . وأقبل على بيران بن ويسه يعنفه وينسبه إلى التكاسل في جمع العساكر والاستعداد للحادث الكارث .

(١) المرزبان : والى التتر . مركب من مرزأى التتر ، وبان أى الحافظ أو القيم .

(٢) هو في النسخ : كجرو كرد . (٣) هو في النسخ : تزار . (٤) ك ، ط ، كو : أسهل .

(٥) ك ، ط ، كو : مفاتحه . (٥) ك ، كو : بينهم .

ذكر تبيت بيران للآيرانيين وكسبه إياهم

قال : فوثب بيران وخرج وطير رسله وبشهم في الأطراف . فاجتمع اليه عسكر عظيم ، فوفر عليهم أرزاقهم وعطايهم ، ورتبهم وعيَّاهم ، وركض بهم ركضة واحدة في طرق غامضة وبجاهل خافية متوجها نحو جيو كرد . فالتفته الجواسيس وأصحاب الأخبار . وأعلموه بأن الآيرانيين قد استولى عليهم الشرب حتى إنهم يواصلون بين الصبوح والغبوق ، لا يفكرون ساعة من النهار ، وأنهم بما هم فيه ، في شغل شاغل عن التحرز من عدوهم ، والتيقظ لأمر القتال ؛ لا تخرج لهم طليعة لا في الليل الدامس ولا في النهار الشامس . فاستدعى بيران أمراءه ، وقال : إنه قل ما توجد مثل هذه الفرصة . فاتهزوها وشمروا عن ساق الجذ ، واهتبلوا غرة القوم . فاختر منهم ثلاثين ألف فارس ، وسار بهم في كتيبة نرساء بلا صوت ولا جلب ولا كُوس ولا جرس . فوقعوا على خيل الآيرانيين في بعض المروج فاستاقوها ، وقتلوا كل من كان عليها من الجوبانية (١) والمستعطفين . وكان بين مكانهم ذاك وبين القوم سبعة فراسخ . فساروا فلما جئ الليل هجموا عليهم في الخيم وهم سكارى نيام ، سوى جيو ، فإنه كان مستيقظا فوثب . وكان على باب خيمته فرس مجفف ، فخرج وهو وقع ويقوم من أثر السكر ، فعلا ذلك الفرس . وجاء إلى أبيه جودرز ، وكان صاحبا . فأنذره ، وجاء إلى سرادق طوس فأعلمه بالحال ، ورجع إلى خيمة ولده يئز فأيقظه من نومه . فأطلت عليهم سحابة نحس نجيش بأسود تصرف الأعنة ، وترسل صواعق السيوف والأسنة . فلما برح فيهم السيف يعمل سحابة الليل إلى مطلع الفجر . فلما أضاء النهار اجتمع طوس وجودرز وسائر من أفلت ، فاصطفوا مع قتلهم صفحا خفيفا ، ووقفوا ساعة ثم ولوا الأدبار منهزمين ، وفزوا متخذلين ، ورجعوا على أعقابهم نحو كاسرود ، والتجأوا إلى جبل هناك . وكانت سيوف الأتراك في أفقيتهم إلى سفح الجبل . فأعيت دواب الترك لمكان طردهم من تلك المسافة البعيدة في تلك المدة القريبة ، فعادوا من سفح ذلك الجبل . فصعد طوس بمن أفلت معه . وأمنوا وتفقد بعضهم بعضا فقدم أكثر الآيرانيين . فأخذوا في الضجيج والعيول ؛ يبكي الابن على الأب والأب على الابن . وبقي جودرز يبكي على أولاده وأحفاده ؛ لم يبق لهم كوس ولا علم ولا خيل ولا حشم ولا سرادقات ولا خيم . ثم تحصنوا في ذلك الجبل ، وقالوا : لا بد من إنهاء الحال إلى الملك كيخسرو . فاخترأوا منهم رجلا مذكورا وهدوه إليه . فلما وصل الرسول إلى الملك كيخسرو وأخبره بما جرى على الجيش جاش صدره هما وامتلا قلبه غما . وقد كان موجع القلب بما جرى على

(١) الجوبان : في الفارسية الراعي ، ويقال أيضا : شبان . وقد استعمل المترجم هنا الجوبانية بمعنى الرعاة .

(١) ك : والتيقظ لأمر القتال (لا) . (٢) كو : فرس التوبة مجفف .

أخيه فروز فزاده هذا الخبر ألسا على ألم، ونكأ منه فرما على قرح . فأطلق لسانه في طوس وجعل يلعنه . فكتب الى عمه فرى بُرز كتابا يقول فيه : إني نفذت طوسا وأمرته ألا يسلك طريق كلات وجرم نخالف أمرى، وبغضى بأخى . ثم لما غمزيده في الحرب اختار اللهو والراحة والسكر والخلاعة حتى تم على العسكر ما تم . فاذا وقفت على كتابى هذا فاقترع منه الكوس والمداس الذهبى والدرفش الجاويانى، وتسلم أنت ذلك، وتول سالارية (١) العسكر، وسير الى طوسا، وتمحز عن الشرب واللهو، وإياك والطيش والترف في الحرب وأشباهها . وأجعل على مقدمتك جيو بن جودرز، واستمن برأيه في كل أمر . فلما جاء الكاتب الى عمه فرى بُرز دعا بطوس، وجمع جمعا عظيما، وقرأ الكتاب عليهم . فطلق طوس الأمر بالسمع والطاعة، وسلم تلك المراتب الى فرى بُرز، وركب في أصحابه النوذريين راجعا الى حضرة الملك كيخسرو . فلما وصل دخل عليه قبل الأرض بين يديه، ووقف مائلا في الخدمة فلم يلتفت اليه الملك، وأخذ يسفه عقله، ويقيل رأيه، ويمدّ عليه مساويه . ثم قال : لولا هذه الحيلة البيضاء، وانتسابك الى منوچهر لأمرت بضرب رقبتك . ثم طرده من عنده، وأمر بتقييده وحبسه .

ذكر ما جرى على الإيرانيين من الكسرة الثانية

قال : فلبس فرى بُرز تاج السالارية، وقعد مقعد طوس، وقام مقامه في الأمر والنهى والحل والعقد . فلم الثمت، وضم النشر، وأعد واستعد . وأرسل الى إيران يأخذ منه موعدا للقتال . (ب) فلما كان يوم المياد رتب عساكره، وعي ميامنه وميسره ؛ بفصل جيو على الميمنة فأشكس^(٤) على الميسرة، ووقف بالدرفش الجاويانى مع من في جلته من الإصبهنية في القلب . وأقبل إيران في صفوفه وأشباعه وجنوده كأنهم السباع الضارية . فلما تراءى الجمعان، والتقت الفئتان أمر فرى بُرز بأن يرشقهم رشقة واحدة بسهام تفوقها يد الحمام ، ويريشها بالموت الزوام . فتقدم جيو مع الجودزيين وحمل عليهم حملة قتل فيها تسعمائة نفس من أقارب هومان فقتلوا حذم . ثم تابعت الأتراك الحملات على جيو وأصحابه فلم يثنوا شيئا . ثم انقلبوا الى القلب، وحملوا بأجمعهم على فرى بُرز حملة أزعجته عن مقامه . فولى مدبرا والتجأ الى سفح الجبل . وبقي جودرز وجيو وأصحابهما

(١) السالارية : منصب السالار . وهو قائد الجيش كالرदार . (ب) الذى فى الشاه أنه أرسل اليه يسأله المهادة شهرا فأجاب به إيران الى ما سأل .

(١) طا ، كو : فاستدع به واقترع الخ . (٢) طا ، كو : وأسبابها . (٣) ك ، أمورك . (٤) طا : وأشكس .

(٥) ك ، طا : ثبت لم من عسكر الترك لحاك وهومان قتلوا .

في المعركة . فالتفت جودرز فلم ير الدرفش الجاوياني ، فثنى عنانه ، وهم بالإحجام . فتمعه ولده جيو . فوقفوا فانضم اليهم زنك بن شاوران وكسبهم وجماعة من مقدمي الايرانيين . فتحالفوا بالايان المظلة على ألا يرحوا . تثبتوا وعضوا على الصبر . فلما حى الوطيس واحمر البأس صاح جودرز في ملتحم القتال بحافده بيژن ، وأمره بالمضي الى فرى برز واسترجاعه الى المعركة ، وأنه إن أبى الرجوع أخذ منه الدرفش وردّه الى القلب فمسي أن تجتمع عليه العسكر ، وتبقى برؤيته قلوبهم . فلما أناه بيژن امتنع من الرجوع ومن إنقاد العلم أيضا . فغضب بيژن واستشاط وسل سيفه وضرب الدرفش فقطعه بنصفين ، وأخذ أحد النصفين وأقبل به الى المعترك (١) . فلما رآه بيران مع بيژن أمر أصحابه بقصده واستلابه من يده . فأدركه الايرانيون وحالوا بينهم وبينه ، واحتفوا بالدرفش وأحاطوا به ، واستأنفوا قتالا آخر وزحفوا الى المدوّ . فقتل ريو بن كيكلوس ، وهو أصغر بنيه ، فهوى الى الأرض صريحا وتغفر تاجه . فصاح جيو وقال : احتفظوا تاجه لا يأخذه . فبادره بهرام بن جودرز واختطف بسنانه ذلك التاج وحماه من الأتراك . ثم كثرت حملات الترك على الايرانيين ، وقتل منهم خلق عظيم حتى لم يبق من ثمانية وسبعين إصبهيدا من أولاد جودرز غير ثمانية أنفس ، وقتل الباقون . فأحجم الايرانيون ولولا هارين وانحازوا الى ذلك الجبل (ولقى كسبهم بيژن راجلا قد قتل فرسه فارتدّفه الى سفح الجبل) . (ب) وانصرف بيران مع أصحابه الى مضاربهم بالظفر والسرور . وانصرف فرى برز وأصحابه بالدبرة والثبور . نعم وضاع لبهرام بن جودرز سوط في تلك المعركة فحمله الجية الجاهلية على أن لبس سلاحه ، وركب يريد الرجوع الى المعركة في طلب السوط . فتمعه أبوه وتعلق به ، وخاطبه أخوه جيو في ذلك أيضا فلم يسمع منهما ، وقال : كيف يحوز في طريقة أهل الحفاظ أن أترك سوطي الذي عليه اسمي حتى يقع في يد بيران أو غيره من أصحابه ولست أغضي على هذه السبة ولا أقبل هذا العار ؟ فعاد الى المعترك وأخذ يدور في تلك الصحراء يطلب السوط حتى عثر عليه فقتل لأخذه . فسمع حصانه صهيل حجرة فعار طالبا لها فعدا خلفه على رجله حتى لحقه ، بعد أن صار

(١) هذا يلحظ ما عره القارئ في آخر فصل كيكلوس من إياه جودرز مباينة فرى برز وتأيد المرشح الثاني فيخسر . فالعادة بين جودرز وفرى برز . (ب) ما بين القوسين من ك ، طا ، كو . وفي الشاه أن بيژن هو الذي ارتدّف كسبهم . وهذه الجملة لم تأت عفوا ، صداقة بيژن وكسبهم يذكرها الشاعر مرارا في هذا الفصل .

(١) ك : اليه . (٢) ك ، طا : على المدوّ . (٣) ك ، كو : تاجه من المدوّ .

(٤) صل : يئانه . والصحيح من ك ، طا : كو . (٥) صل : عاد . والصحيح من طا .

غريقين في العرق مجهودين من الثعب فاستوى عليه فلم يتحرك تحته . ووقف لا يبرح مكانه . فآخذه الضجر وضربه بسيف كان معه فعرقه ورجع راجلا الى المعترك في طلب أخ له كان صادفه حيا بين القتلى . فاحس به بعض أصحاب اليزك^(١) فاعلم به يران فنفذ ابنه روئين ، وأمره بأن يأمره . فوقف بهرام يذب عن نفسه ويقاظهم حتى قتل منهم جماعة . فرجع ابن يران وجاء ثراو^(٢) أحد أمرائهم المذكورين فأحرق ومن معه به . فقاتلهم وتتابعت الضربات من كل جانب عليه فضرب ثراو كفته بسيف كان معه فأبان يده ونصر صريحا :

ومن ينصر بالأعداء لابد أنه سيلقى بهم من مصرع الموت مصرعا

قال : فلما تأخر رجوع بهرام الى أصحابه ركب أخوه جيو مع ابنه بيژن ورجعا الى المعترك في طلبه فصادفاه صريحا مجذلا يتفرغر بحشاشته . فلما أحس بأخيه جيو أفاق إفاقة ، وقال : لا يطالب بدمي غير ثراو . فهو الذي أبان يدي ، وجذل بهذا المراء جسدی . فكاد جيو أن يتمزق جزعا ويتفطر أسفا على ذلك الأسد المقدم^(٣) والفارس الهام . خلف ألا يفارق السيف يمينه ، والبيضه رأسه وجبينه حتى يشفى بقتل قاتله غليله . فركب وكنى الى أن دخل الليل . بجاء ثراو على اليزك . فرصده حتى اذا تمكن منه ألقى عليه الوحق ، واجتره اليه ، وأسره وكفته وجاء به الى مصرع بهرام فاحتر رأسه عنده . وفاضت نفس بهرام بعده . قال : ولما أصبح من اجتماع من المغلولين قعدوا يتشاورون فقالوا : إنه بعد أن غضبت علينا السعادة ، وقتل منا هؤلاء السادة ، وطالت علينا يد الأتراك بالإهلاك فالمقام هاهنا علينا حرام . والرأى أن نرجع القهقري وراءنا ونعاود حضرة الملك كيخسرو ، وننظر ماذا يقتضيه رأيه ، ونعمل بما يخرج به أمره . فرجعوا الى كاسرود قاصدين قصد الحضرة . وعلم يران بانصرافهم وعودهم الى بلادهم بجاء الى معسكرهم فرأى خيما مضروبة وأموالا موفورة ونزائن متروكة ففرقها على عسكره . ونفذ فارما الى أفراسياب يشره بما تيسر له من الفتح . وركب في أثره الى حضرته . فلما ورد عليه أكرمه وشكر سعيه ، وأنم عليه بخلمة تشتمل على التاج والتخت ، وبغيرها من الخيل والغلمان والوصائف . وأوصاه باليقظ في الأمر والتحرز من الخصم ، وأن يكون على حذر من رستم ولا يأمن شره .

(١) اليزك : الحرس . (٢) طا . والشاه : زاور . (٣) حل : المقام . والتصحيح من ك .

ذكر وقعة كاموس الكشاني §

قال: ورجع الإيرانيون الى حضرة الملك كيخسرو، ودخلوا عليه خافضى الأحداق ناكسى الرؤوس والأعناق . فاغتاز الملك عليهم وتتر وقال: « لولا الحياء من الله لأمرت بصلب ألف منكم مع طوس الذى خالف أمرى وأفقدنى أنسى ، حتى سرى شؤم فعله الى الجودزوين حتى حصلهم السيف » . وبقى ساعة بعد محاسن أخيه فروذ ، ويتوجع له ويبكى عليه . ثم طردهم من عنده ، وتقدم الى الجبابر بالأماكن بعد ذلك من الدخول عليه . فخرجوا وجاءوا الى رسم وتضرعوا اليه ، وقالوا له: « هذا الأمر كان شينا قد كتب الله علينا وجرى به سابق القضاء . ومن كان منا يعرف

§ الظاهر أن البلد الذى ينسب اليه كاموس هو كشانية في بلاد السغد^(١) . وقد يعجب القارئ أن تسمى قصة الوقائع الآتية باسم كاموس الكشاني وهو لا يصرف أعظم حواشيها . وذلك أن المترجم وصل قصة كاموس بقصة خاقان الصين وجعل لها عنوانا واحدا . والشاهنامة يفصلهما ويصرح الشاعر قبل الشروع فى قصة الخاقان أن قصة كاموس انتهت . وأنه سيشعر فى قصص الخاقان . على أن الشاعر يقول فى آخر قصة الخاقان أيضا أنه أنهى قصة كاموس . وأحسب كلمة « كاموس » وضعت غلطا مكان « خاقان » وأمل هذا دعا المترجم الى اعتبار القصتين قصة واحدة . وسئى له هذا أن الحوادث متصلة ، وكاموس والخابان كانا معا فى جيش واحد .

ثم الوقائع التى كانت بين طوس والتورانيين قبل مجئ كاموس والخابان مددا لتوران ومجئ رسم لإنجاد جيش إيران — هذه الوقائع أعظم من أن تذكر فى القصة مقدمة لحرب كاموس . فاذا ضمنا الى هذا أن هذه الوقائع تشبه الوقائع التى تقدمت فصل « قصة كاموس » لم نبتعد أن تكون حربا واحدة رويت روايتين مختلفتين ووصلت إحداهما بطائفة من الحوادث والأخرى بطائفة غيرها . ونظمهما الشاعر كما وجدتهما . وأوجه الشبه بين ما ذكر من الوقائع أن الإيرانيين يهزمون فى الأولى والثانية وتمطر عليهم السماء بردا ويعتصمون بالجبال ، وأن أحد الدوقين يبيت الآخرفيهما وأن طوسا هو قائدهما . ويؤكد هذا أنه يعبد أن يرسل كيخسرو طوسا لقيادة الجيش بعد أن عزله وحبسه لسوء سيرته وقتله فروذ أخا كيخسرو .

فاذا فصلنا قصة كاموس من قصة الخاقان ، ثم حذفنا من الأولى الوقائع التى يظن أنها مكررة كان عنوان « قصة كاموس » على قدر حواشيها .

(١) انظر مبعيد البلدان لياقوت .

فروذ أو يعلم نسبه من سیاوش حتى لا يتعرض له ؟ وإنه لما قتل ابن طوس وخنه احترق قلبه فكان منه ما كان . والآن فقد وقع المخذور ، ومضى المقدور . « وسألوا رستم الشفاعة فيهم . فدخل على الملك ، وكلّمه في فقههم ، واعتذر لهم اليه حتى رضى عنهم . ثم عاوده في حق طوس ، وتشفع اليه فيه حتى أطلقه . فحضر بين يدي الملك مع جودرز وغيره من الأمراء ، ودعا لللك واعتذر اليه واعترف لديه بذنوبه . ثم قال : « إن أمر الملك استأغت الأمر ، ورجعت الى توران ، وأفرت^(٣) وسعى ، وبذلت مجهودي حتى أدرك النار ، وأحرب تلك الديار . « فأعجب الملك ذلك ، وشاور رستم فيه ، وطالت مفاوضاتهم في ذلك وتراجهم حتى استقرت آراؤهم على أن يولى طوسا سالارية العسكر ، ويعود ثانيا الى قتال توران . فاطلق للعسكر أرزاقهم وخلع عليهم وأعطاهم . واختار لخروجهم يوما مباركا . فبرز طوس وخيم بالصحراء ، واجتمعت اليه الإصهيدية في جموع ضاق بهم القضاء ، ولم يأت عليهم الإحصاء^(٤) . وخرج الملك فشيّعهم وجهزهم ثم رجع . فساروا الى أن وصلوا الى وادي

= ثم قصة كاموس في الشاهنامه ١٥٩٥ بيتا تنقسمها العناوين الآتية :

- (١) فاتحة القصة . (٢) كيخسرو يوبخ طوسا . (٣) عفوكيخسرو عن الإيرانيين .
- (٤) إرسال كيخسرو طوسا الى توران . [(٥) رسالة پيران الى عسكر إيران .] (٦) إمداد أفراسياب پيران . [(٧) قتل طوس أرزنك .] (٨) قتال هموان وطوس . (٩) قتال الإيرانيين والتورانيين مرة أخرى . [(١٠) التورانيون يسحرون جيش إيران .] (١١) ذهاب الإيرانيين الى جبل هماون . (١٢) إحاطة جيش تويان بجبل هماون . (١٣) تعقب پيران الایرانیين الى جبل هماون . (١٤) الایرانیون يبتون العدو . (١٥) علم كيخسرو بما أصاب جيشه . [(١٦) تزوج فريبرز فرنكيس أم كيخسرو .] (١٧) طوس يرى سیاوش في المنام . (١٨) إرسال أفراسياب الخاقان وكاموس لتجدة پيران . (١٩) مجيء الخاقان الى جبل هماون . (٢٠) انتمار الایرانیين فيما بينهم . (٢١) علم كودرز بأن رستم قادم . (٢٢) ذهاب خاقان الصين لرؤية جيش إيران . (٢٣) بلوغ فريبرز جبل هماون . (٢٤) تشاور پيران وخاقان الصين . (٢٥) مقاتلة طوس وكيوكاموس . (٢٦) مجيء رستم الى الایرانیين . (٢٧) ترتيب الایرانیين والتورانيين الجيوش . (٢٨) قتال رستم وأشكوس . (٢٩) سؤال پيران عن قدوم رستم . (٣٠) ترتيب الجيوش للقتال . (٣١) قتل كاموس ألوا . (٣٢) قتل رستم كاموس .

(٢) كوي : قد . (٣) ك : كوي : فافرت .

(٥) ما بين الأفراس مخلوف من الترجمة .

(١) صل : حتى (لا) . والتصحيح من ك : كوي .

(٤) ك : ط : الحصر والإحصاء .

الشهد § . فركب يران في عساكر الترك حتى شارفهم . فلما وقف على حاكم أرسل الى أفراسياب ،
وسأله أن يمده بن يقدر على حشده من الجيوش . فأنفذ اليه بعد عشرة أيام عسكرا عظيما . فقوى
به قلب يران ، واشتد أزده ، وأقبل حتى نزل بجذاء الايرانيين . نجرت بينهم وقائع كثيرة عظيمة في أيام
متوالية . وكانت آثار الدبرة تظهر في كل يوم على الايرانيين . فنفذ طوس فارسا الى الملك كيخسرو ،
وأنبى اليه الحال ، وسأله أن يمده برسم ومن يقدر عليه من الجنود . ثم إنهم ضاق بهم الأرض ،
وكثر فيهم القتل ، وظاهر فيهم القتل ، (١) فقتلوا ذات يوم يتشاورون فانفتحت آراؤهم على أن يرجعوا
وراعهم الى جبل عظيم هناك يسمى هماون فيتحصنوا به ، حتى اذا آمنوا واطمأنوا نظروا في أمورهم ،
ودبروا ما يرجع بمصالح أحوالهم وشؤونهم . فركبوا عند غروب الشمس قاصدين ذلك الجبل ،
وقدموا بين أيديهم الثقل ، وساقوا طردا وركضا حتى وصلوا الى الجبل فقلوا وتحصنوا به . وقال
طوس لجيوش جوندز : استرح ساعة وتناول شيئا ، وانظر من يخرج الى الزك ويكون طليعة .
فان العدو وراءنا لا يتأخر عن طلبنا . فركبت الطلائع وتفرقوا في سفح الجبل وعلى فوهات الطرق .
ولما أصبحوا جاءهم النذير بان طلائع العدو قد طلعت . فركب طوس في العسكر فاصطفوا في سفح
الجبل . فاتاهم هومان في جموع من الترك ، واصطفوا بجذائهم ، ووقف يعنف طوسا ويريه (٢)
والاعتصار بالحصار . ورد فارسا يستعجل يران في الحاق به . فوصل يران في جميع عساكره عند
غروب الشمس فقلوا أمام الجبل حتى أصبحوا . ففرق يران العساكر ، ووظفهم بحفظ الطرق عليهم ،
وسد المسالك اليهم . فأخذوا بذلك الجبل ، وقطعوا عنهم المأوى والميرة . وكانوا يتزلون ويقاثلون
العدو ، والحرب بينهم مجال .

§ في الشاه : أن طوسا حين بلغ وادي الشهد كتب الى يران يخبره ، وأن يران أرسل الى طوس
يذكر أباديه على كيخسرو وأمه ، وحزنه على سياوخش ، ويوم الملك كيخسرو على إرسال الجيوش
لحربه . فارسل طوس اليه يقترح أن يهجر توران الى ايران لينال إحسان الملك . فأظهر يران أنه
سيفعل . ثم كتب الى أفراسياب يخبره بقدم جيش إيران ، ويستمدد .

(١) في الشاه : أن يران قائد توران دعا ساحرا اسمه يازر ، وأمره أن يصعد الجبل فيثير البحر على الايرانيين ويحيا بآفة
تثير عليهم البرد . فقتل ، وكان هذا من أسباب هزيمة الايرانيين . وفي كتاب البلدان أن عند الأتراك حاة يستطرون بها
ما شاعرا من مطروحات . ص ٣٠٩

(١) ك : وساوا . (٢) ك : الجبل على . (٣) ك : ويصيه . (٤) ك : الاعتقاد .

ذكر اطلاع الملك كيخسرو على حال الايرانيين

قال : ثم أتى الملك كيخسرو الخبر بما جرى على طوس وأصحابه ، وما انتهى إليه حالهم . فعظم عليه ذلك ، وأخذ المقيم المقعد ، وفرع على ملكه . فنفذ جماعة من الموابذة والأكابر إلى رستم يستدعيه . فلما حضر شرح له حال طوس وما جرى عليه وعلى الجودزوين .^(١) ثم قال : إني أفزع على هذه الدولة المتطاولة الأيام من الزوال والانصرام . وقد امتلأ قلبي عليها ذعرا وأوجست في نفسي خيفة . وما ربي التاج والتخت من الأول إلا أنت ، وبك فاضت عليهم السعادة والبخت .^(٢) وما ينجي على العالمين وقائلك وأيامك وما فعلت بسعالى مازندران ، وشياطين كركساران . والآل فقد جاء كتاب طوس ، وهو يستصرخ بك مستغيثا ، ويستجديك مستجيما . وهو على شفير هار مشرف على يأس وبوار .^(٣) وكأنا عن هذه الحالة عبر مترجم الكتاب الفتح بن علي حيث قال :

أغت منه بنصرك ذا صراخ حزين القلب أدمعه حجام
أراه اليوم وإني مستجيما اليك . وإنه وجب الدمام
مرضى قد قضى أو كادما تولى طبيعه علل جسام
وليس سواك في الدنيا طبيب يعالجه لينجم السقام
فان أدركته لطفًا وإلا على أطلال كاظمة السلام

فقال له رستم : لا ينجي على علم الملك أنى من اليوم الذى اعتصب كيقباز فيه بتاج السلطنة إلى هذا اليوم لم أضع المنفر عن رأسي ، ولا استراح عن أوزار الحرب ظهري ، ولا أجمعت عن مطاعنة الأعداء ومضاربهم ساعدى ويدي . والآل فأتت ذو الدولة الجديدة والسعادة العتيدة ، وأنا أتلقى أمرك بالامتثال ، وأقابل حكك بالطاعة والانقياد .^(٤) فأمر الملك بفتح الخزائن ، ومزق الخازن رءوس البدر والأيكاس (وأفرغ الدنانير) والدرهم على الأجناد ، بعد أن سلم مفاتيحها إلى رستم ، وأطلق فيها يده . ثم قال له : ينبغي أن يسرع البهلوان جادا كالرعي العاصف ، لا يقيم فواق ناقة ولا يستريح راحة ركب . وليستصحب مائة ألف من آساد الأجناد والفرسان الأنجاد . وليجعل فرى برز على مقدمته .^(٥) فقبل رستم الأرض ، وخرج من عند الملك . وبرز إلى الصحراء

(١) ك : وقال . (٢) هذه الكلمة غير واضحة في الأصل . وهي في كو : رجا . والصحيح من طا : ومن الشاه .

(٣) ك : ولا . (٤) كو : « الفقيه العالم قوام الدين » بدل « الفتح بن علي » . (٥) ك : طا : اعتصب فيه

(٦) ما بين القوسين من ك ، طا .

فأفاض على عسكره العطايا وأطلق أوزاقهم . وقدم فرى بزرى يديه . وأشار عليه (بأن يسجل
الحاق بطوس وبأن يمنعه من العجلة في أمره ويشير عليه^(١) بالتثبت والمدافعة وبأن لا يتأخر بيران ،
ويسلك معه سبيل الخديعة والمكر حتى يلحق به فيمن معه على الأثر كالسيل المتلاطم . فسار فرى بزرى .
وسار في أثره رستم ، وشيعة الملك فرمختين ثم عاد وهو يستنجز الله في نصره الميعاد .

(١) ذكر رؤيا رآها طوس

قال : ونام طوس ذات ليلة بعد أن أقض من المهم مضجعه ، واستعرت بنار الفصص أضلعه .
فرأى في منامه كأن شمعة مشتعلة منبثة الأشعة قد طلعت من ماء ، وإلى جنبها تحت من العاج ،
وسياوخش قاعد عليه معتصبا بالتاج . فأقبل الى طوس فضحك اليه وقال : الزم هذا المكان .
وأشر على الأيرانيين بالثبات والصبر . فإن النصر قريب . ولا تهتم بمقتل الجودزوين فإنها هنا
حديقة ورد ، وهم معي فيها تشرب الرحيق ، ونواصل الصبوح والغبوق . فأنقبه مسرورا ، وقص
رؤياه على جودزرم قال : لا أشك أن رستم يلحقنا . وما من يوم إلا وأتوقع وصوله فيه . وهو
واصل . ثم أمر بدق الكوسات على ذلك الجبل . فركب الفرسان وتأهبوا للحرب ورفعوا علم
الدرنش الميمون . وركب بيران من ذلك الجانب ، وتقدم في عساكره . ووقف كل واحد من
الفرقيين بإزاء الآخر . ولم يتقدم أحد من الطائفتين لمبارزة ولا محاربة . فاستجمل هومان بيران
في أن يتأوشم الحرب . فقال له : لا تحتد وتأق وتجنب الترق والمجلة في محاربة القوم . فإنما قد
سددنا عليهم الطرق ، ومنعنا عنهم^(٢) الميرة . وعن قليل يضطرون الى التزول إلينا ، ويستأسرون لنا .
فاعتمدوا على ذلك ورجعوا الى مضاربهم . ولما أصبحوا طلعت الشمس من برج السرطان ووصل
الى بيران رسول أفراسياب يبشره بوصول الأمداد لإنجاده متواصلين ، منهم خاقان ملك الصين^(٣)
في عساكر لا تقلهم الأرض ، ومنهم بهلوان من أهل ما وراء النهر يسمى كاموس الكشاني . وهو
فارس ما تمحضت أم الشجاعة بمثله . في جمع سماهم صاحب الكتاب . وحكى أن أفراسياب ما ترك
من باب اسفيجاب الى حدود الروم فارسا إلا أتى به . قال : فبشر بيران أصحابه ، وقال لهم : قد

(١) في الشاه ، قبل هذا الفصل ، صل ذكره الشاعر تزرج فريردين كيكافوس أم الملك كيشرو . وكان هذا الزواج
كان لإزالة ما بين الملك وعمه من الوحشة التي كانت من تأهبها على الملك . وكان تولية فريرز قيادة الجيش بعد عزل طوس
— كما تقدم — كانت مبهمة لهذا .

- (١) ما بين القوسين من ك ، ط . (٢) ك ، ط : فيه (لا) . (٣) ك ، ط : ك .
(٤) ك ، ط : ومضام . (٥) ك : خاقان الصين . (٦) لفظ «به» من ك ، ك .



فاز قد حكم وورى زنگم . وما بقى عليكم من العناء غير قليل . وستضعون أوزار الحرب عن قريب .
وسافرغ غدا عن هؤلاء المخدولين الذين اعتصموا بهذا الجبل . ثم أقسم المسكر ثلاثة أقسام ؛ فقسم
أسيره الى بلخ حتى يمتوتوا عليها . وقسم أنفذه الى بلاد زابل حتى يملكوها . وأنهى في القسم الثالث
الى بلاد ايران فانحربها وأملك تاجها وتحتها وأقتل رجالها وأسبى ذرارها ونساءها . ثم أوصى هومان
وأصحابه بحفظ الطرق ، والتزول على مخارم ذلك الجبل حتى لا يتهز الايرانيون في النجاة بأنفسهم
فرصة ، ولا يهربوا ليلا . وركب ايران لبقاء ملك الصين وكاموس الكشاني . فرأى الخليم
والسراقات طلاع ذلك الفضاء ، ورأى الرماح والأعلام متشجرة ما بين الأرض والسماء . ودخل
على الخلقان فلما وقع نظره عليه قبل الأرض . فاعتقه الخلقان وأكرمه وأجلسه بين يديه ، وسأله
عن عسكر ايران وعددهم ورؤسائهم وأمرائهم . ثم عزم ايران على النهوض . فأجلسه وقال :
تستريح عندنا هذه الليلة ^(٢) . فبات ايران عنده يشرب معه . قال : وأشرف طوس من الجبل
صباح اليوم المذكور على معسكر الاتراك فرآهم خائفين ساكنين ، فاهتم بسبب ذلك وفرح ، وقال :
لا يخلو عالم من أحد الأمرين ^(٣) : إما أن يكون قد أتاهم خبر سوء فاهم صدام ، وإما أن يكون
قد جاءهم مدد فاشتغلوا بمقدمهم عن الحرب . فإن كان هذا هو الواقع ، والعياذ بالله ، ولم يشتا رستم
فقد انقضت أيامنا وانصرفت أعمارنا ، وسيجمعون علينا هجوم السيل ، سيدوسوننا بسنابك الخيل
(قال : فقام جودرز من وسط القوم وصعد الى رأس الجبل) وأقعد الديديان في أعلاه ينظر ويرقب .
فلما كان بعد زوال الشمس رأى الأرض من ناحية توران تملج بالرياح والأعلام ، وتمور بالخيل
والفيلة . فصرخ واستغاث وسمعه جودرز فصار وجهه كالقار من فرط الحذار فقال : الساعة أدبرت
عنا السعادات والدول ، واقطع عن الحياة رجاؤنا والأمل . قد كان حولي من أولادى وأحفادى
عسكر ، فلم يبق منهم في الطلب بئار سياوخش عين ولا أثر . فبالت أى لم تلدى « ووقع عليه البكاء
والعويل . ثم أمر بإسراج فرسه عازما على أن يودع من بقى من أولاده ، ويستسلم للهلاك . وتفرقت
الأمراء والإصبيذية في سفح ذلك الجبل . وقعدوا حلقا حلقا ، قد علبهم الهموم والكآبة ، بوصى
بعضهم الى بعض ، ويودع أحدهم الآخر ، حين انقطعت عن البقاء أطعاهم وخاب في الحياة
رجاؤهم .

(١) ك : من . (٢) ك : هذه (لا) . (٣) ك : أمرين . (٤) ك : قد (لا) .

(٥) ك : أتاهم . (٦) ما بين القوسين من ك ، طا . (٧) اصل : كالتار . والتصحيح من ك ، طا ،

فينا هم كذلك إذ جامهم الديدبان يشرم بطلوع الرايات والأعلام وظهورها من ناحية ايران . فكدوا يطيرون عند ذلك فرحا وسرورا ، وكانوا أذل من الثعالب فصاروا ضراغم ونمورا . واشتعلت نيرانهم ، وأورقت بعد الذبول أغصانهم . فصاح طوس بأعين العسكر ووجوه الجيش ، وأمرهم بأن يستثمروا القوة على عدوهم . فعمهم السرور والفرح ، وكثرت بينهم التهاني والبشائر في يومهم ذلك . فافاضوا على الديدبان الخلع ، ونثروا عليه الذهب والفضة . وأمر طوس بركوب اليزك لحفظ الطرق .

قال : ولما طلعت الشمس في ثالث ذلك اليوم عبي الخاقان عساكره ، وقال لبيران : نستعد للحرب ونجذب^(٤) الإيرانيين ونبصر طرائقهم . فقال لبيران : نحن كلنا تبع للملك متقادون لأمره ، فيفعل ما يريد . فأمر بدق الكوسات ، وجاءوا بنجسة من الفيلة وأسرجوها بسروج على أقذارها ، مرصعة بالزبرجد ، وغشوها بالسياب^(٥) المذهب . وعلاها الفيالون بالأكاليل الموشحة بالؤلؤ والياقوت ، والأطواق^(٦) . وركب في عسكر عادت تشتعل بأسلحتهم الآفاق ، وتقمر بأشعتها الأحداق . وجاءوا حتى صافوا طوسا في جموعه وصفوفه . ثم قال الخاقان لبيران : ما ترى الآن ؟ فقال : أيها الملك ! قد طويت مراحل بعيدة ، وتحملت تعباً ومشاق كثيرة . وقد أبصرت العدو . والرأى أن ينصرف الملك ويستريح هو وعسكره ثلاثة أيام . ثم يجعل العسكر قسمين ؛ فيحارب العدو من أول النهار الى وقت الزوال أحد القسمين ، ويقاظهم القسم الآخر بعد الزوال . فانه عند ذلك يضيق عليهم الأمر فهجم عليهم فنقتل البعض ونستأثر البعض^(٧) . فانكر ذلك كاموس الكشاني وقال : ما هذا التواني والتهمل ؟ وما بالناس لا تناجزهم مع قلة عددهم وضعفهم ؟ والأصوب أن نصدمهم صدمة واحدة ، ونفرغ منهم ، ثم نقود العساكر الى بلاد ايران فتملكها قهرا ، ونخطبها قسرا . فقال خاقان^(٨) : الرأى ما رآه كاموس . فاستعدوا الليلة ، وبنى أن يكون جميع العساكر وقت تبليج الإصباح حاضرين في هذا الفضاء . فاتفقوا على هذا الرأى ، وانتفضوا من ذلك الموقف . وباتوا ليثهم في الإعداد والاستعداد .

قال : بجاء الديدبان صبيحة الفد الى جودرز ، وبشره بقرب العسكر الواصل من ناحية ايران . فركب جودرز ، وقصد قصد الغبار الذي طلع من طريقهم . فلما خاطله رأى فرسان أهل ايران

(١) لك ، ط ، كو . ضادوا . (٢) ك : أنب . (٣) ط ، كو : نستعد اليوم . (٤) ك ، ط : ونجذب أحسننا مع الإيرانيين . (٥) ك : يدياج . (٦) ك ، ط ، كو : والأطواق والقرطة . (٧) ك ، ط ، كو : كادت . (٨) ك ، كو : انك قد . (٩) ك : وأمر . (١٠) كو : الخاقان .

مقبلين ، ورأى فرى برزبن^(١) كيكالوس قدام العسكر . فترجل له وتعاثا ففزا^(٢) فرى برز عن أولاده (١) وسأيله^(٣) . فبكى جودرز وذكر له ما هم فيه من الضيق والشقة والخوف من العدو . وشرح له كثرتهم وغلبتهم . وقال : إن جميع عساكر طوس بالنسبة اليهم كشجرة بيضاء في جلد بقرة سوداء . وكأنهم ما خلوا من بلاد الصين وسقلاط والهند والروم ذا روح إلا وقد أتوا به إلينا . ثم سأله وقال : متى يصل رستم ؟ فقال : إنه لا يبطئ ، ولعله يصل الليلة . ثم قال لجودرز : فما أصنع الآن ؟ وأين أنزل بهذا العسكر ؟ وأين أقصد بهم ؟ فقال جودرز : فما الذي قاله رستم لك ، وبماذا أشار عليك ؟ فانه لا يحسد عن أمره ، ولا معسل عن رأيه . فقال : إن رستم لم ياذن لي في الحرب ، وقد أمر طوسا بالصبر الى أن تطلع راياته . ثم توجه بمن معه من العسكر نحو الجبل الذي عليه طوس وأصحابه . فلما رأى ديدبان التورانية وريايهم العسكر الذي جاء من صوب ايران ، وانضوى الى أصحاب طوس أخبروا ايران بوصول المدد من صوب ايران . فظم ذلك عليه ، وركب مذعورا الى الخاقان ، وأعلمه بأن طوسا قد جاءه مدد من عساكر ايران ، وأنه بعد لا يعرف مقدار عددهم ولا من المقدم عليهم . فقال له كاموس : قللك أفراسياب سالارية جيشه ، وسير تحت رايتك جميع عسكره ، فما الذي كان بك حتى أقمت في هذه الناحية خمسة أشهر تدور من جانب الى جانب لا تناجز عدوك . ولا تجد في قتاله ؟ والآن حين امتلأت الأرض بالعساكر وأنجدك الخاقان^(٤) والمشور وغيرها من ملوك الأطراف وجوه الأجماد والأجماد فاصبر ولا تقلق حتى يفتح ما أغلقته من الأمور . واعلم أنه لو اجتمع جميع عساكر كابل وزابل ونرجت وحدى اليهم ما وقفوا قدامى ساعة . وقد فزعت من رستم وعسكره^(٥) بجهستان . وأنا قلت أفكر فيهم ، ولا أبالي بهم . »

ولما كان من الفد ركب كاموس في عساكره الى قضاء المعتوك ، وركب طوس من الجانب الآخر فتناوشوا الحرب من أول النهار الى آخره . ولما جنت الشمس للغروب رجع كلا الفريقين الى مضاربهم .

وكان جودرز فوق الجبل بجاءه الديدبان في ناشئة الليل ، وأعلمه بظهور جمع عظيم بين أيديهم الشموع المتقدة والمشاغل المشتعلة ، وذكر أنه لا ينك في أنهم مواكب رستم قد وصل . فركب جودرز ونزل من الجبل . فلما بدا له علم رستم وكفى فرسه نحوه . وحين رأى وجهه ترجل وخديم .

(١) أولاد كجودرز قتلوا في معركة قاتلها فرى برز - كما تقدم في هذا الفصل - فانهزى فرى برز الآن ؟ . انظر مقدمة الفصل في الكلام عن البس في هذه الوقائع .

(١) ك : ابن كيكالوس (لا) . (٢) ك : ط : وعزاه . (٣) ك : عن حاله . (٤) في الشام : المتشور .

ونزل رستم أيضا فتعاقبا واتحبا . وجعل جودرز يدعو له ، ويظهر السرور بمقدمه ، ويقول : إنك أنفع للآيرانيين من الساج والتخت ، وخير لهم من الأم والأب . وقد كنا قبل بجيئك كالحيتان على اليبس . فنحمد الله على أن وصلنا بخدمةك ، وأقر أعيننا بظلمتك ، وفي نظري اليك من الفرح ما يؤن على قتل الأولاد والأحفاد . وبلغ الخبر طوسا وجيوا وغيرهما من الملوك والأمراء ، فركبوا في جنح الليل لتلقيه . فلما رأوه نزلوا وخدموا له ، وأجهشوا إليه بالبكاء والعيول على من قتل منهم من السادة والكبراء فبكى رستم عند ذلك ، ثم أقبل عليهم يعزيهم ويعظمهم . وساروا جميعا نحو الجبل . ونصب سراقده ، وتزلت عساكرهم روز عنده . فدخل السراق وقعد على التخت ، وقعد جودرز وجيوا إلى جانبه ، وقعد طوس من الجانب الآخر ، واصطف سائر الأمراء والاصبيذية قياما على رأسه .^(٢)

قال : وأخذوا طول ليلتهم يحذثونه عن عساكر توران ، وعن الذين أنجمدهم مثل خاقان الصين وكاموس الكشاني ومنتور وغيرهما من ملوك تلك الأقاليم ، ويدكرون ما كانوا عليه من الخطر ومشاركة الهلاك قبل وصوله . ثم حمدوا الله على خلاصهم به من ذلك ونجابتهم بمقدمه . ثم خرجوا من عنده . ولما أصبحوا ارتفعت أصوات الكوسات من الجانبين ، وركب الخاقان وعبي عساكره ، وجعل كاموس على الميمنة ويبران على الميسرة ، ووقف في القلب . فلما رأى رستم ذلك أمر بتسوية الصفوف ؛ فجعل جودرز على الميمنة وفري برز على الميسرة ، وأمر طوسا بالوقوف في القلب . وقال لهم : إن الرخش قد تعب في هذا الطريق . فاني قد كنت أسير عليه في كل يوم مسيرة يومين من غير أن أريحه وأجبه . وأنا أخشى عليه بسبب ذلك . فصابروا العدو هذا اليوم ودافعوه . ثم رجع إلى الجبل حتى صعدته فأشرف على عساكر الترك . فلما رأى وفور جمعهم وكثرتهم نزل ورجع إلى أصحابه ، وأشار عليهم بدق الكوسات والزحف على العدو^(٥) . فتحرك طوس من موضعه ، وزحف كل واحد من الجمع إلى الآخر . فقاتلوا في ذلك اليوم قتالا عظيما . وكان كاموس يمزحض أصحابه ويأمرهم ببذل الوسع في القتال . فتقدم فارس منهم يسمى اسكبوس^(٦) وطلب المبارزة فتصدى له

(١) ك : وأقبل . (٢) في كوفي هذا الموضع : وكأنما عاه الرضى حيث يقول :

آخر الحرب ذاق الزامات وذفته ونال وآلله القنا والقوارس

كان ملوك الأرض حول سريريه بنات وقوف والقطاي جالس

إذا رفقوه فالجفون ككوارس على غير داء ، والربوس نواكس

(٣) في الشاه : منشور . (٤) لفظ الجلالة من كو ، وشاشية طا . (٥) طا ، كو : إلى العدو .

(٦) ك ، طا : فقاتلوا . (٧) في الشاه : اشكبوس .

رهام (بن جودرز) قطاعنا ساعة فهرب منه رهام) وأراد طوس أن يخرج من الصف لمبارزته . فتمه رسم من ذلك ، وقال : الزم مكانك » . وبرز اليه بنفسه وهو راجل ، ويده قوسه ، وقد غرز في وسطه سهاما عدة . فلما رآه اسكبوس صحك متعجبا منه حين تصدى لمبارزته راجلا . فسدد رسم نشابة الى نحر فرسه فرماه بها ، فتقطر منه الفرس على جنبه ، وبقى يقاتل راجلا . فرماه رسم بنشابة أخرى غر ضريرا لوجهه . وانكسرت قلوب الأتراك بسبب ذلك . ورجع كلا الفريقين الى مواضعهم ، فقطعوا ليلهم في حديث الحرب متعجبين من قتل راجل لثقل ذلك الفارس ، وهم لا يدرون أنه رسم .

ولم يزالوا في تهيئة أسباب الحرب حتى أصبحوا . فدعا الخاقان بكاموس وقال : لا ينبغي أن يكون قتالكم اليوم مثل قتالكم بالأمس » . وحثهم وحرضهم على الجد والاجتهاد وإفراغ الوسع والطاقة . وأما رسم فاه قال لأصحابه : إني قد أنزلت الرخش ، وأبشر القتال بنفسى في هذا اليوم . ثم ظاهر بين درع وجوشن ، ولبس فوقها عدة أخرى من جلد البير . (١) وركب وحرض أصحابه . وركب الخاقان ، وعي عساكره على تعيينته بالأمس . وزحف الأيرانيون اليهم على تعيينتهم . فكان أول من تقدم كاموس الكشاني في مثل هيجان الفيل القطم ، وصاح وقال : أين ذلك الراجل الذي بارز بين الصفيين بالأمس . فسلم طوس وجيو وأصحابهما أنهم لا طاقة لهم بمقاومته . فلم يتعزز منهم أحد . وكان في أصحاب رسم الزابليين فارس يسمى ألواذ قد أفنى عمره في معالجة الحروب ، وتعلم من رسم الفروسية وطرائق القتال . فتقدم لمبارزته ، فاكان لإقلا حتى طعنه كاموس طعنة اختطفه بها عن ظهر فرسه ، ورماه الى الأرض قتلا . فلما رأى رسم ذلك اغتاظ وتمزق . (٢) ثم تقدم اليه وفي إحدى يديه الجرز وفي الأخرى الوحق . فقال له كاموس : ما هذا الشقيق والتخيف ؟ وما هذا الإدلال بهذا الجبل ؟ فقال رسم : إن السبع الجائع اذا ظفر بالصيد زار ، وأما هذا الجبل فستخبرك عنه وقتك . فتوزر كاموس فرسه ، وضرب بسيفه رقبة الرخش ضربة عظيمة فلم تؤثر فيه غير قطع التجفاف . فخلق رسم عند ذلك عليه الوحق ، وأطلقه في وسطه ، واجتره اليه ، وتوزر رخشه فاخذ الكشاني أسيرا ، ورماه من ظهر فرسه الى الأرض صريحا لليدين والقم . ثم ترجل عليه وكشفه

(١) في الشاه : "الدرع تحت والجوشن في الوسط وجه البير (بر بيان) فوق" وجه الليرة حرف رسم لبسها في الحرب .

(١) ما بين القوسين من كـ طـ كـ . (٢) كـ : مواطنهم . (٣) كـ : لذلك الفارس .

(٤) كـ : الحرب . (٥) كـ : فوقها . (٦) حمل : الرجل . والتصحيح من الشاه ، طـ ، كـ .

(٧) كـ ، طـ ، كـ : فلما رأى رسم ذلك اغتاظ وتمزق وشنق ثم .

وعاد به الى أصحابه ، وأباحهم دمه ، فأخذته السيوف يمنة ويسرة حتى تناثرت أوصاله وأجزأه ، وتطايرت أعضاؤه وأشلائه § .

فاظلم النهار لمقتله في عيون الأتراك فأتوا الخاقان ، وأخبروه بمقتل كاموس . فعظم ذلك عليه حتى تغير لونه . فدعا بهومان وأمره بأن يخرج من الصف ويسأل عن هذا الفارس وعن اسمه ومولده . فخاف فقير لباسه ، وركب فرسا غير الذي كان عليه ، وخرج من الصف ، وقرب من رسم فهدحه وقزظه ووصف قوته وشوكته . ثم سأله عن اسمه ومولده . فقال له : ما الذي دعاك الى هذا السؤال وما مرادك منه ؟ ولماذا دنوت مني ثلاثي في الكلام وتلاطفتني في الخطاب ؟ فان كان الفرض طلب الصالح وإطفاء نائرة الفتنة فسلموا الينا قاتل سياوخش ومن سعى في دمه ، وقتله الجودرزيين مع الخزان والحليل التي جاء بها سياوخش الى بلادكم . فإن فعلتم ذلك صالحناكم وأمسكا عن محاربتكم . وإن أردت أن اسمي لك المطلولين فأولم كرسوز الذي كان قاذح زند الفتنة وموقد

§ تنتهي هنا قصة كاموس الكشاني في الشاهنامه ، ويصرح الفردوسي بانتهائها وأنه سيقص بعدها نبا خاقان الصين ثم يبدأ القصة بعنوان « قصة رسم وخاقان الصين » . وقصة الخاقان في الشاهنامه ١٥٢٥ يتنا فيها العناوين الآتية وما بين القوسين محذوف في الترجمة :

- (١) علم الخاقان بمقتل كاموس . (٢) [مقاتلة چنكش ورستم] . (٣) إرسال الخاقان هومان الى رستم . (٤) أثمار بيران وهومان والخابان . (٥) مجي بيران الى رستم . (٦) تشاور التورانيين في حرب الايرانيين . (٧) خطاب رسم عسكره . (٨) ترتيب الجيوش الايرانية والتورانية . (٩) توبيخ رسم بيران . (١٠) بدء القتال . (١١) قتال شنكل ورستم وهرب شنكل . (١٢) حرب رسم وساهو . (١٣) قتل رسم كهار الكهاني . (١٤) أسر الخاقان . (١٥) هزيمة جيش توران . (١٦) تقسيم رسم الغنائم . (١٧) كتاب رسم الى كخسرو . (١٨) جواب كتاب رسم . (١٩) علم أفراسياب بما أصاب جيشه . (٢٠) حرب رسم وكافور آكل البشر . (٢١) علم أفراسياب بقدم رسم . (٢٢) كتاب أفراسياب الى پولاد وند . (٢٣) مقاتلة پولاد وند ككيوا وطوسا . (٢٤) قتال رسم وپولاد وند . (٢٥) صراع رسم وپولاد وند . (٢٦) هرب أفراسياب من رسم . (٢٧) رجوع رسم الى الملك . (٢٨) رجوع رسم الى سيستان .

(١) كه ، طا : لكم .

(٧٠)

نارها، وكُروِي زِيَرَه الذي أراق دم سیاوخش بيده، وسعى إليه بقلبه، ثم المناقون من أولاد ويسه، وهم هومان وكلبازد ولُماك وفرشيد ونستين. فتي أحضرتم عندي هؤلاء مقزين في الأصفاذ أغلقت باب قالكَم. وإن أيتَم أن تغفلوا أعدت عليكم الداء القديم، وأقححت الحرب العقيم. وقد جربتموني في هذه المعركة، وشاهدتم آثار سطوتي وبأسي. فمد إلى أصحابك، واحفظ ما ذكرت لك، ونفذ إلى ييران فإن قلبي يميل إليه من بينكم، من حيث إنه لم يحزن على سیاوخش منكم سواء، وليس في أهل توران صاحب رأي وثقة مثله. فرجع هومان منخوب القلب مفضوض الطرف إلى أخيه ييران. وقال له: قد اعتاص أمرنا، وأعضل داؤنا. فإن هذا الفارس هو رسم الزابلي. وقد دنوت منه وكلمته. وهو يطلب الاجتماع بك ويدعوك من بين جميع هذا العسكر. فامض إليه وانظر ما يقول. فمضى ييران إلى الخلقان يجتاح مبيض وقلب كسير، وقال أيها الملك: تأن في الأمر، واعلم أن حالنا غير الحال التي كنا عليها من قبل. فإن هذا الفارس المفسدام الذي قتل كاموس هو رسم ابن دستان الذي يستوى عنده قتال ملء هذا الفضاء من الرجال وقتال رجل واحد. وهو الذي ربي سیاوخش. وقد جاء يطلب بناره طلب الأب الشفيق. وقد أرسل يطلبني وهانا فامضى إليه لأسمع ما يقول. فقال له الخلقان: امض إليه، وجامله في الخطاب، ولاينه في المقال. فإن صالح على ما يبذل له فاجبه، والترم له هدايا وافرة وأموالا كثيرة. وإن أراد غير ذلك فدعه وانصرف حتى نشمر عن ساعد الجذ، وببذل الوسع في قتالهم، ونضيق عليهم، ولا تبال برسم ولا تهتم. فإن معنا بكل فارس معه ثلثائة فارس. وسأكميك شره.

فبرز ييران من الصف، ودنا من رسم، وقال: بلغني أمك دعوتني فبادرت إلى خدمتك. فما حاجتك؟ ومن أنت وما اسمك؟ فقال: أنا رسم بن دستان مرزبان زابلستان. فترجل ييران وقبل الأرض. فأقره رسم سلام الملك كيخسرو وأمه فرى كيس. فأخذ ييران يدعو له ويثني عليه. ثم سألته عن أبيه زال بن سام وأخيه زواره وابنه فرامرز. وقال له بعد ذلك: إن كان لا يطول على البهلوان، ولا يتقل عليه شكوت إليه حالنا فعل الثالث المصدور، والمخرج المهموم. ثم شرع يحكي له حواره على سیاوخش، وإشفاقه عليه، ثم ما يلي به من فقهه وجزعه من بعده. وحكى له قصداً فراسياب لقتل ابنته فرى كيس، وكيفية سعيه في تخليعها منه. ثم أتبع ذلك بذكر ما أبلاه به من تكليفه النهوض

(١) كو: وهو يطلب قاتل سیاوخش، والساعي في دمه وقتل الجورزيس، وعقن في الأول منهم. ولا أراه بطفلاً عليك وهو يطلب الاجتماع بك الخ. (٢) طا: ما يبدل. (٣) كو: ذكر اجتماع ييران برسم وما جرى بعد ذلك، كما في الشاه. (٤) ك: وأخذ. (٥) كلمة «به» من «ك»، طا، كو.

بأعباء الحروب، والتصدى لفواح الخطوب . حتى لا يستريح من بلوى الحروب ساعة ، ولا ينفك من مقارعة الخصوم لحظة ، وأنه لولا طول أذياله ، وكثرة عياله ، وانتشابه في تلك البلاد بسبب علاقته (٣) وأقاربه لتحوّل عنها الى غيرها ، وأن ذلك هو السبب المانع له من مخالطة أفراسياب فيما يستنفضه (٤) من مكاره الأمور ، وأن الضرورة تجله على امتثال أوامره من تحت القرط في حالي الرضا والسخط . ثم حلف بروح سیاوخش أن الموت أحب اليه مما هو فيه من معاناة الحروب وملابسة أسبابها . وهذان (١) الجمعان المتقابلان الآن إن حق بينهما القتال ارتفع في هذه الصحراء جبل من جثث أقوام حشروا الى هذه المعركة من جميع الأطراف سفكت دماؤهم في سبب سیاوخش وهم برآء من دمه ، لا ذنب لهم ولا جرم ينسب اليهم . والصلح خير ، فلا تضيق فيه الأمر وهون الخطب . فإنك بعواقب الأمور أعلم وبالرأى والتدبير أبصر . فلما سمع رسم ذلك شكر بيران وأثنى عليه ومدحه بالعقل والساد . ثم قال : إن الصلح لا يتم بيننا إلا بأمرين : (٦) أن تغدوا قتلة سیاوخش ، ومن سعى في دمه الى حضرة الملك كبخسرو . والثاني أن تقصده أنت بنفسك ، وتهض معنا الى باب . فأفكر بيران فيما قال ، وقال في نفسه هذا شئ لا سبيل اليه . فقال لرسم : أعود وأعرض ما أشار به البهلوان على الخاقان والمشور وغيرها من الملوك الأكابر ، وأنهى ذلك الى أفراسياب . ثم فارقه ورجع الى أصحابه ، فحكى لهم ما قاله رسم . وطلق يعيب أفراسياب ويذمه بسوء فعله حين قبل نعام أصحاب الأغراض ، وقتل سیاوخش بمقالات حسدته ، ففرس بذلك شجرة للعداوة في قلوب الإيرانيين . ثم ركب الى الخاقان ليلفنه ما سمعه من رسم . فلما دخل سرادقه رأى أكابر أصحاب كاموس قد اجتمعوا عنده وهم يقولون : لسا نرضى بهذه المضيمة . ولا بد أن زحف عنا ما لحقنا من العار ونستجد البربر والهند وغيرها ونسقى صدورنا ، وننتقم لكاموس . فقع بيران عند الخاقان ، وحكى له ما جرى بينه وبين رسم . ثم قال : الرأى أن نجتمع الموازنة والأكابر ، ونتشاور في هذا الأمر المشكل والداء المعضل . فلعلنا نجو بأرواحنا مما دهنا . فضايق صدر الخاقان لما أخبره به بيران ، وخامر ضميره الخوف ، وقال : فما الرأى عندك وما التدبير ؟ وبماذا تأمر وتشير ؟ فداخلهما في الحديث شكّل الهندي ، وهو ملك الهند ، وكان حاضرا عنده ، فقال : إن بيران فزع (٧) من رسم حين فعل بكاموس ما فعل . وقوى قلب

(١) هذا قول بيران لرسم ، كما في الشاه . فقد غير المترجم الكلام من الإخبار عن كلام بيران الى قل كلام بيران نفسه .

- (١) ك : ط : ليس يستريح . (٢) ك : ط : الخطوب . (٣) ك : ع : عياله .
 (٤) ما بين القوسين من ك : ط ، كو . (٥) ك : ولا ذنب . (٦) كو : أحدهما أن .
 (٧) ك : ط ، كو : قد فزع .

الخاقان وشجعه، وأبى إلا أن يصلهم نار الحرب. وزعم أنه يتفرد بكسر رستم، ويغل حده، ويطلق وقده، وقال: ما بالك قد ضاقت عليك الأرض خوفا من هذا الجبجي؟ وأخذ يصفر أمر رستم، ويمقره في أعين الحاضرين. حتى عادت اليهم نفوسهم، وقويت قلوبهم. فقاموا من ذلك المجلس مجتمعين^(١) على اختيار القتال، وصدق اللقاء. وأما رستم فإنه جمع أكابر من معه مثل طوس وجودرز وأفرانها. وسرد عليهم ما جرى بينه وبين يران. ثم قال لهم: إن فعلوا ما أشرت به عليهم، واتسته منهم من اغتاذ قتلة سياوخش أجمعين إلى خدمة الملك كيخسرو، ووفود يران بنفسه عليه، وتقبل الخراج الثقيل، والتزام الحملات الكثيرة فالواجب أن نجيبهم إلى الصلح، ونمهد سيف الخلاف، ونكف أيدينا عن سفك الدماء. فقال جودرز: أيها البهلوان! لا يفترك يران بأكاذيبه الموهة، وأباطيله المزخرفة. فإن حديثه باطل، وهو عن حلية الصدق عاطل. وسوف تراه غدا عند إشراق الشمس قدام المسكر يسوى الصفوف ويرتبا، ويشرع الأسته في صدورها ويسددها. ولا شك أنه حين رأى صنيعك بكاموس كيشهم المغوار وقائد الفياق الجزار امتلا خوفا وذعرا، بغاء يتصبص لديك ليتفق بخاريقه عليك. فقال عند ذلك رستم: نحن أولاد ندخل معه في باب الصلح وحسن الظن، ولا نبتدئ بإراقة الدماء. فان عدل هو عن مقاله أريناه جزاء فعاله. ثم قال: إن الليل قد انتصف، فينبغي أن نشرب ساعة، ونروح أرواحنا لحظة، ثم نعود إلى ما كنا عليه من الاشتغال بتدبير الحرب وأسبابه. ثم إنه قال لهم وهم يشربون: إني ساحل غدا ذلك الجز الذي كان يقاتل به جدى سام بن زريمان في وقائع مازندران، فأرفعه على عاتق، وأخوض به غمرة الهيجاء، وأضضع صفوفهم المرصوصة في أسرع من رجح الطرف؛ ثم أستبج سرادات خاقان الصين، وأسلبه تاجه وتحتنه وفيلته وخيله. ثم قاموا إلى أماكنهم وخيلهم. ولما أصبحوا من الفد، وأرتفع النهار ارتفعت أصوات الكوسات من باب سرادق طوس، وركبت السالك فرحفوا إلى المعرك على تعبيتهم التي كانوا عليها بالأمس. وتقدم رستم من بين يدي صفوف أصحابه كالأسد الذي أمهر من غابه. وعبي الخاقان عساكره؛ فجعل على الميمنة ملكا من ملوكهم يسمى كندر وعلى الميسرة أميراً آخر يسمى كهار، ووقف في القلب بفيلته وجنوده وأعلامه وبنوده. وكان يران قدام الصفوف بغاء إلى شنكل الهندي، وقال له: ينبغي أن تنى بوعذك، وتحملى بالصدق في قولك. فقال: لست براجع عن قولي. وسأبرز إلى هذا الفارس المقدام فاغرل جسدته بنوافذ السهام، فأتقم لكاموس منه، وأبغع الإيرانيين به. وقسم العسكر أقساما ثلاثة؛ فجعل في الميمنة ثلاثين ألفا،

(٧١)

(١) طا، كو: مجمين. (٢) صل: عاتقه. والتصحيح من ك، كو. (٣) طا: رسم بين يدي.

وفي الميسرة ثلاثين ألفا وجعل مع القسم الثالث القيلة العظام كأنها أركان رضوى أو هضاب شتام. ثم جعل يحول بين الصنفين كأنه قطعة محاب، وفي كفه سيف كأنه جذوة شهاب، فأعجب ذلك يران وسرته، وارتجى الظفر. ثم تقدم ودنا من رسمه وقال: قد ألفت كلامك الى الخلقان وغيره من الملوك، فذكروا أنهم يتقبلون من الأموال والجمالات أضعاف ما في حسابك. وأما إنقاذ الجناة اليك فذلك شيء لا سبيل اليه. فإنهم أقارب أفراسياب وخواصه. والقبض عليهم على الوجه الذي أشرت اليه شيء لا يحول في خاطر. فاعتاظ رسمه عند ذلك، وخاشته في خطابه. ثم أمر الإيرانيين بالجد في القتال. فاستمروا كالنار الموقدة. وتصدى شكل للبارزة وقال: أين ذلك الرجل السجزي؟ فسمع رسمه صوته فأسرع نحوه، وأشرع في نحره رمحه، وطعنه طعنة أذرت^(١) عن ظهر فرسه. فقام ونجا بنفسه والتجأ الى أصحابه، وقال: إن هذا الرجل ليس بإنسان، وما له في الرجولية ثان. ومن ذا الذي يطبق مقاومته، ويستطيع مدافقته؟ فقال له الخلقان: إن كلامك الساعة لا يشبه كلامك بالغداة. فأمر عساكره أن يحملوا بجملتهم حملة واحدة على الإيرانيين. فانقضت الصفوف وتلاطمت الخوف واختلطت الأرماح والسيوف. فحمل رسم على القلب حملة عظيمة قتل فيها خلق^(٢). ثم عدل الى الميسرة فطعنها طحنا. وتصدى له فارس من أقارب كاموس يسمى ساوه فعلاه رسمه بالحرز فأهلكه. ثم انصرف نحو الميمنة فتصدى له كهار، وبارزه فتقاتلا قتالا عظيما. ثم طعنه رسم طعنة أخرجت روحه، وخرمن فرسه ميتا. فأرسل رسم الى طوس بأمره أن^(٣) ينفذ اليه ألف فارس من نخب الإيرانيين. فلما حضروا حلف بحياة الملك كيخسرو أنه إن تخلف منهم واحد عنه لم يعامله إلا بالصلب والقتل. فصدم بهم الخلقان ومن معه صدمة واحدة، وحلوا عليهم حملة صادقة. فلما رأى الخلقان صعوبة الأمر عليه أرسل اليه فارسا يستكفه، ويطلب اليه الصلح. فأبى ذلك رسم، وحمل عليهم حملة ثانية شق بها صفوف الأتراك حتى وصل الى الفيل الأبيض الذي كان عليه الخلقان. فرمى بالهوق على الخلقان فألقعه به ونكسه من ظهر الفيل^(٤). فبادره أصحاب رسم، وكشفوه وانصرفوا به أسيرا ذليلا. فاستباحوا تلك القيلة المجللة بالجوهر والياواقيت المغشاة بالوشائع والدابيج. قال: ولما رأى يران أصحابه قد تفرقوا أيدى سبا، وصادف شعاع دولته باخ وخبا ولى هاربا. فأدبر من بقى من الأتراك، وتفرقوا كفقود خانها النظام، منهزمين لا يلوى أحد منهم على صاحبه. فرجع رسم والظفر يسير في مواكبهم، والإقبال يحثف بكواكبهم. وأمر أمراءه وأصحابه بأن يسجدوا شكرا لله

(١) ك: كور: أردته. (٢) ك: ك، ط، كور: خلق كثير. (٣) ك: ك، ط، كور: بان.

(٤) ك: ك: من ظهر.

عز وجل على ما أتاح لهم من النصر العزيز والفتح المبين . ولما أصبحوا من ليثهم تلك رأوا سرادقات الترك وخيمهم قائمة لا داعى بها ولا يجيب ، فوقع فيها الإيرانيون يتهبونها . فقال رستم لطوس : قد كان في هذا العسكر عنة من ملوك الأقاليم وأصحاب الأطراف . وكانت معهم خزائن وأموال وافرة . والرأى ضبطها والاحتياط عليها حتى تنفذ الى الملك كيخسرو ما يصلح له منها فركب طوس وأمر العسكر بجمعوا من الذهب والفضة والجواهر والأثواب والأسلحة وغيرها أكراما كادت تضاهي الجبال الفارعة . بقاء رستم وشاهدها ففضى المعجب منها . وأمر الكاتب فكتب كتاب الفتح الى الملك كيخسرو وختم الكاتب ودفعه الى فرى برز ليحمله الى ايران مع الملوك المأسورة والقبيلة المغنومة ، ومع ألف جمل يحمل من صفايا الغنائم . فخرج فرى برز بذلك كله . وشيعة رستم وطوس وجوذرز وجيو وودعوه . ثم إن رستم رحل فيمن معه من العساكر قاصدا قصد أفراسياب فرأى مقدار مرحلتين من الأرض مسودا من قتل العدو ، مملوءا^(١) بالأعلام المنكسة والأرماع المقصدة والأسياف المكسرة . ثم أنفضوا بعد مراحل قطعوها الى رياض مشعبة وغياض متأشبة ، وينابيع متفجرة ، فاستطابوا هوامها ، واستعذبوا ماءها ، وزاوا فيها . فأمر رستم بقسمة بقايا الغنيمة على العسكر ، فانتاشت أحوالهم . وأقاموا في ذلك المنزل مستريحين من العناء والتعب مشتغلين باللهو واللعب والعيش والطرب . وانتالت عليهم رسل الأطراف بالهدايا والتحف والمبار واللفظ . وأما فرى برز فإنه لما دنا من حضرة الملك كيخسرو ركب لاستقباله . وأمر بضرب البشائر . ولما وقعت عين فرى برز عليه ترجل وقبل الأرض . فأكرمه الملك وسأله عن رستم وسائر المتقدمين^(٢) ، فنظر الى المأسورين بين يديه من أولى القوة والبأس الشديد ، ورأى القبيلة والغنائم . فسر بذلك وثنى عنائه ، وعدل عن الطريق ونزل ورفع التاج عن رأسه ومجد شكرا لله تعالى على أن أناله ما تمناه ويسر عليه النصر العزيز والفتح القريب . وجعل يدعو لرستم ويسأل الله تعالى ألا يجمعه به ، ويمتعه ببقائه . ولما عاد الى إيوانه أمر بالإجابة عن كتابه . ثم أعد له خلعة رائعة تستمل على التاج والتخت والطوق والسيوار والمنطقة المرصعة ، الى مائة وصيف وعشرة أفراس بسروج الذهب ، الى غير ذلك من الطرائف والتفائس . وخلع أيضا على سائر أكابر العسكر . وأنفذ الجميع على يدى فرى برز بعد أن خلع عليه . وأمره بالعود اليهم وأن يشير على رستم ألا يفتر عن طلب أفراسياب ليلا ولا نهارا فلعله يظفر به ويحجم بأخذه مادة الشر .

(٢) ك ، كو : المتقدمين .

(١) ك ، ط ، كو : وملوءا .



ذكر ما دبره أفراسياب عند اطلاعه على ما جرى على أصحابه

قال : فاتى الخبر أفراسياب بان رستم وصل من ايران مدد الطوس وأصحابه ، وأن الحرب تبادت بينهم وبين الخاقان أربعين يوما ولاء ، وبأنه قتل كاموس^(١) وأسر الخاقان ، وأفى القتل جميع من حضر تلك الواقعة من أصحابه وأنه لم ينج منهم فارس يتنفع به في قتال . فعظم عليه ذلك ، وأخذ ما بعد وما قرب . فاحضر أكابر حضرته وأعيان دولته ، وأعلمهم بالحال ، وشاورهم في أمره ، وسألهم عن الراى والتدبير . وقال لهم : إن بقى رستم مقدما على عساكر ايران ، وتوغل بهم هذه البلاد لم يبق فيها نبت ولا شجرة ، ولم يترك منهم عينا ولا أثرا . فقالوا : أيها الملك ! إن كان الخاقان^(٢) كسر وأسر فما أصاب من عندك مكروه ، ولا حزينهم محذور . والراى أن تشرعن ساق الجذ وتبذل الوسع في دفع هذا العدو ، ولا تجعل للنفوس طريقا الى قلبك ، وشجعوه وحرصوه . فاستدعى عند ذلك جميع وجوه أمرائه وأعيان فرسانه ، ووصلهم وأعطاهم حتى أرضاهم . فاجتمع له^(٣) عسكر عظيم . وأما رستم فإنه جاءته خلق الملك كيخسرو على يدي فرى برز ، وسائر ما يحبه من أنواع الكرامات وأجناس التحف والمبرات ، ففرح بها وسر . ورحل من منزله حتى وصل الى السغد فأقام بها أسبوعين . ثم ارتحل منها وصادف في طريقه على مرحلة من السغد قلعة حصينة عليها ملك يسمى الكافور^(٤) . وكان من عادته أكل لحوم بنى آدم ، ويذبح له المراهقون من الصبيان الصباح الملاح ، ويتخذ^(٥) من لحومهم أنواع الأطعمة . فسير رستم كسبهم الى قتاله في ثلاثة آلاف من الإيرانيين ، فسار اليها . ونزل الكافور من قلعة ، وصافه . بجرى بين الفتيين قتال عظيم قتل فيه خلق كثير من الإيرانيين . فاستغاث كسبهم برستم فأغاثة بنفسه . فلما جاء ورأى كثرة من قتل من الإيرانيين ، ورأى الكافور كالأسد الصائل لا يقف بين يديه أحد ، صمد له وضربه بامود كان معه فولى هاربا الى القلعة فدخلها ، وأغلقوا بابها ، وأقاموا يذبون عنها من وراء السور . وكانت هذه القلعة من بناء أفريدون . وكان قد عمل عليها طليعات تمنع من نصب المجانيق عليها . وكانت مملوءة بالذخائر والمدد . فقتل رستم^(٦) وأمر أصحابه فأحرقوا بها يرسقونها بتوافد السهام . وأعدوا النقاين في أصول قواعدها ومبانيها ، فعلقوها من جميع جوانبها على الخشب . ثم رمى فيها النفط والنار فاندرت أبراج

(١) ك : كاموس الكشاني . (٢) ك ، ط ، كز : قد كسر . (٣) ك : اليه .

(٤) هو في الشاه : كافور بنير الألف واللام . (٥) ك ، ط ، ي : يتخذ له . (٦) ك : أمر (لا) .

القلعة وتساقطت . فتملكوها ونهبوا ما كان فيها وقتلوا جميع مستحفظيها § . ولما فرغ رسم من ذلك نفذ جيون جودرز في عشرة آلاف من نخب الفرسان الى ديار الخلق لاستباحة أموالهم وشن الغارة عليهم . فسار اليها في ركضة واحدة ، وعاد بعد ثلاثة أيام بمغانم وسبايا كثيرة . وأقاموا على اجتماعهم في تلك الصحراء ثم رحلوا قاصدين قصد أفراسياب . فبلغه أن رسم قد خرب بلاد توران ، وأنه قد قرب من دار ملكه ، فالتوى على نفسه غيظا وحقنا ، وملك الذعر عنان قلبه ، واضطرب الأمر عليه ، وقال لمن حضر : إني قد رأيت رسم وقتاله وجربته كثيرا ، فمن يقدر على مقاومته ؟ وعهدى به على باب الرى وهو بعد طفل غرير قد أخذ بمعاقد منطلقى واختطفنى عن ظهر الفرس . فقال له عنسد ذلك أصحابه : أيها الملك ! لا تبين عن رسم ولا تفكر فيه . فإنك تقدر على أن تطبق السماء على الأرض . وعندك الأموال والعنة والرجال . فلا تستشعر الخوف من رجل واحد ، واستعد للقاء في أصحابك ورجالك . فأمرهم عند ذلك بالإعداد والاستعداد . وأخذ في تهيئة أسباب الحرب . ودعا برجل من أصحابه يسمى فرغار ، وكان جديلا محكما وعذيقا مُرجبا ، قد نجذته التجارب ونبهته النوائب ، وأمره بالمسير الى معسكر رسم والتجسس عليهم والرجوع اليه بأحوالهم . فامثل الرجل أمره . ثم دعا أفراسياب بابنه شيذه ، وقال له : إني خائف من رسم . وقد عزمت على أن أغد خزائني وذخائري وعددى باجمعها الى وادى الماس ، ثم أحاربهم هذه

§ لما عبر اسكندر المقدوني نهر جيحون ، وفتح سمرقند وجاس خلال ما وراء النهر اعترضته قلعة حصينة عالية ، هزئ حماتها بجيش اسكندر ، وقالوا : انما ينال هذه القلعة رجال ذوو أجنحة . وجعل اسكندر جعلا عظيما لمن يبادر الى تسلق القلعة . فسارع جماعة من الشجعان ودقوا في الصخور أوتادا من الحديد حتى أشرفوا على القلعة ومكنوا للاستيلاء عليها .

فكان قلعة كافور الموصوفة في الشاه هي القلعة التي فتحها اسكندر . والشاه نصف هزء حماتها بجيش الايرانيين كما هزئوا بجيش اسكندر من قبل .

وأكل لحم البشر كان معروفًا في قبائل الشمال الوحشية ، كما يفهم من هيرودت . فعل أعلى نهر الدينير كانت تقيم قبائل أندروفكو الذين يظن أنهم من أصل فيني . وكان منهم أكلة لحوم البشر حتى القرون الوسطى . وفي شرق بحر قزوين أقامت قبيلة مسكانه وفي الشمال منهم جنوبي جبال أرال قبيلة إسدون ، وكلتا القبيلتين كانت تأكل لحم البشر .

الكرة وأجرب السعادة. فان ظفرت فقد حصل المراد، وإن كانت الأخرى وظفر رسم لم أقم هاهنا، وعبرتُ الى ذلك الجانب من بحر الصين، وخليت بينه وبين هذه الممالك. فاستصوب رأيه شيذَه وقال: إنك لا تحتاج الى أحد يترنك بمواقب الأمور. وقد تقلت بنا الأحوال وضمضتُنا الحوادث حتى استخذى يران وهومان وغيرهما من الأكابر والملوك فاستولى عليهم الانكسار، وتمكن من قلوبهم الرعب والحدار. « ثم لما أمسوا جامعهم فرغار فمزفهم بأحوال عساكر العدو وكثرتهم وقوتهم. فلما وقف على ذلك جلس مع أصحابه يجاريهم حديث المصاف. فقال له يران: أما نحن فلا بد لنا من بذل الجهد وإفراغ الوسع دون الأهل والولد. فامرهُ أفراسياب بأن يقود العساكر الى وجه العدو. فخرج يران بالفيلة والأعلام، وسار في جيشه اللهام. فشيعه أفراسياب وجهزه ثم نادى الى إيوانه، وخلا بأصحاب رأيهِ وخلصائه، وأمر الكتب فكتب الى جنى يسمى بولادوند كآب استصراخ واستغاثة يذكر له فيه ما جرى على الخلقان وغيره من ملوك سقلاط والصين، ويعرفه بقصد رسم له في عساكر كالجبال السائرة والبحار الثائرة^(١)، وأنه يبذل له إن أغاثه وأنجح مرامه ودفع عنه عدوه، نصف تلك الممالك والخزائن. وختم الكتب ودفعه الى ابنه شيذَه ليحمله اليه. فسار شيذَه كالبرق الخاطف حتى أوصل الكتب الى بولاد الجنى، وسرد عليه أحوال رسم. فأحضر بولاد أصحابه، وذكر لهم ما كتب به اليه أفراسياب. وحشد جنوده، وتزل من الجبل وعبر الماء الذى هناك. ولما اتصل بأفراسياب اجتمع به، ووصف له رسم وقوته، وشدة شوكته، وعناقه وعدته. فساء ذلك وأهمه، وقال: ينبغي ألا نصل بالحرب. فإن هذا الرجل إن كان ذلك الرجل الذى فتح مازندران، وشق خاصرة سيدديو وقتل كولاذ فكيف أطلق مقاومته أو استطاع محاربتَه؟ ولكن أحتال عليه يوم القتال فأحسسه في وسط العجاج، فتحترس به رجالك فلعنا نغابه بالحيلة. وإلا فما قدر عليه. « فسر بذلك أفراسياب، وقعد معه يشرب. ولما تمكن الشراب منه قال: أنا الذى قصصت الحياة على أفريدون والضحاك وجمشيد. وسوف أقطع أوصال هذا الزايل بالحسام المشرق، وأفل حده وأكف شره. ثم لما كان الند ضربت الطبول ودقت الكومات نلى باب أفراسياب فركبت العساكر واصططقت، وأمرعوا الرماح وسلوا السيوف، والجنى يقدمهم بيده الوحق. فجاء رسم راكبا رخسه مظاهرا بين جنته. فاصطاف الجمعان وتمايلا. فحمل رسم على الميمنة وقتل منها خلقا كثيرا. فخل بولاد وهقه، وتمرض لطوس فأخذه بمعاقده منطقتة واختطفه عن ظهر فرسه ورماه الى الأرض. فلما رأى جيو ذلك أقبل اليه فلقى بولاد عليه الوحق

٢٣٣

فأعلقه به . فابتدر يبرزن ورهّام الجنى^(١) ليأخذه ، فتوز فرسه ومدّ يده اليهما ورمهما الى الأرض . وأقبل نحو علم الدرفش الجاويانى حتى وصل اليه فوسطه بسيفه نصفين . فلما سمع رسم ما حلّ هؤلاء الأكابرة الأربعة من ذلك الشيطان المارد ، وأنهم ما تخلصوا من يده إلا بمحاشات قاربت الانصرام ، ومهجات شارفت الحمام ، بعد أن صارت خيولهم كالقنأذ من كثرة ما أصابها من السهام النوافذ — هاله ذلك وأرعد منه ، وتوجه مع ذلك فاصدا قصد الجنى . فلما رآه كالجلجل المنيع ذل كالغلب بن يدى الأسد الأغلب ، فضاقت ذرعا بأمره فالتجأ الى الله تعالى ، وأخذ في قتاله . فتقاتلا زمانا ثم عدلا الى المصارعة فغلبه رسم وحمله وضرب به الأرض ، وركب وهو يظن أنه قد هلك . فلما أحس بولاذ بركوب رسم وثب وركب كالنار نحو أفراسياب حتى انتهى اليه ، ووقع على الأرض مفتشيا عليه ، وبقي كذلك زمانا طويلا . ولما أفاق وثب وركب وقدم بين يديه أصحابه ورجع بهم هاربا . فقال عند ذلك يران لأفراسياب : إنه لم يبق لك وراءك أحد . وقد هرب بولاذ وأصحابه . وأيس وقوفك في هذا الموقف من الصواب . نغل عسكرك وأعلامك على حاملها ، وانج بروحك مع جماعة من خواصك . فان قبالتنا مائة ألف فارس شاكي السلاح ، والساعة يحقدون بنا من جهتي السهل والجبل . « فانهمز أفراسياب ، كما أشار عليه يران ، وتوجه نحو بحر الصين ليعبر الى ذلك الجانب . وأمر رسم عند هرب بولاذ بأصحابه ، باعتزال عوامل الرماح ، ومكافحة العدو بالعمد والصفاح . فانقضوا عليهم كالشواهين والصقور اذا انقضت على بفاث الطيور ، ووقموا فيهم كمواصف الرياح على أسراب الجراد . فاعتصم بعضهم بالفرا ، والتجأ البعض الى ظل الأمان ، بعد أن غودر طلوع ذلك الفضاء ملوئا بأشلاء القتلى وأعضائهم وعددهم . وأمر رسم بالإمساك عن القتل . ثم جمع الفنائم وما انجلت عنه الوقعة من الجواهر والنفائس . ونفذ البعض الى الملك كيخسرو ، وفترق الباقي على العسكر . وبث أصحابه في طلب أفراسياب ، وأمرهم بإقتفاء أثره . وأقام زمانا فلما لم يعثر منه على أثر ولم يقف منه على خبر عزم على معاودة حضرة الملك كيخسرو . فارتحل من بلاد توران طالبا بلاد إيران بما آفأ الله عليه من الخيل والأسلحة وسائر الأجاس والأنواع من صنوف الأموال . فلما أتى الملك كيخسرو أخبره بقدمه استعد لاستقباله ، فأمر بإخراج الفيلة وتزيينها بالديباج والحريز ، وتضميخها بالمسك والعود ، وركب بنفسه وخرج لاستقباله . ولما وقعت عين رسم على تاج الملك ترجل وسجد له . فعانقه الملك وصاحفه ، وأخذ بيده يلاطفه طول طريقه ويسايله . وكان طوس وجودرز وجيو وغيرهم من الأكابر يسرون وراءهما . فلما قرب الملك من

(١) ك : بما حل . (٢) ك : طاء ، ك : أصحابه . (٣) ك : ونج (لا) .

دار الملك ثرت الجواهر على موكبه ، وشر على العسكر المسك والعنبر والذهب والفضة . فدخل الملك بهم الى إيوانه فقبعدوا بين يديه ، وشرع في الحديث مع رسم يسايله عما لا قاد من العدو وعما كابد به من بولاد الجنى في مقاتله ومصارعته ، وسار ما قاساه وعاناه . فاعترض جودرز في الحديث فطلق^(١) يصف رسم وحسن بلائه وكمال عنائه وما تجمله من أعباء تلك الوقائع . ثم قعدوا في مجلس الشرب مستمتعين باستماع الغناء ، وواصلوا ذلك مدة أسبوع . ثم استأذن رسم في الرجوع الى زابلستان للقاء أبيه زال بن سام . فأمر الملك بإفاضة الخلع عليه وحمل رغائب الهدايا والتحف اليه . ولما نرج رسم شيعه الملك مرحلتين ثم انصرف . وهذا منتهى القصة المنسوبة الى كاموس الكشاني .

ذكر قصة رسم مع أكوان الجنى §

قال صاحب الكتاب : اسمع هذه القصة وإن كنت لاتصدق ناقلها ولا تتأق بالقبول قائمها . ولكن ينبئى للعافل أن بغوص بنظر الفكر في معانيها ولا يسفه رأى راويها وحاكها . ثم قال : حكى أن الملك كيخسرو كان يوما من الأيام قاعدا على تخته في الإيوان وقد حضره الأكاير والإصهيدية مثل رسم وطوس وجودرز وجيو وغيرهم من أكابر تلك الحضرة وأركان الدولة . فجاء بعد مضي^(٢) ساعة من النهار الى الدركاه رأس الجوابانية ، وشكا أنه قد ظهر في مراعى الخليل يعفور كأنه أسد

§ يظن الأستاذ نولوكة أن "أكوان" محرف عن "أكومان" وأذا يحتمل أن أكوان هو أكيمان^(٣) . ومعناه الفكر السيئ ، أحد الأرواح الشريرة السنتة التي لتمثل فيها صفات أهرمن ، ونحن نجد في الشاهنامة أن كيخسرو ، حين ندب رسم لقتال أكوان ، أوصاه بالتيقظ والحذر منه مخافة أن يكون أهرمن المنتقم .

ثم قصة أكوان في الشاه ٢٣٧ يتنا فيها العناوين الآتية :

- (١) فاتحة القصة . (٢) دعاء خسرو رسم لحرب أكوان الجنى . (٣) طلب رسم الجنى .
- (٤) رمى أكوان الجنى رسم في البحر . (٥) مجىء أفراسياب لرؤية خيله ، وقتل رسم أكوان الجنى . (٦) رجوع رسم الى إيران .

(١) ك ، طا ، كو ، وطلق . (٢) ك ، طا : والحمد لله رب العالمين .

(٣) صل : بجاءه . والتصحيح من ك ، طا : (٤) الحاشية الإيرانية ص ١٨

هصور، نعيي اللون كأنه خلق من نور الشهاب أو لطح بالسجد المذاب ، يمتد سائلا من كاهله الى مقطع ذنبه خط أسود كالسك السحيق ، مالم الكفل كالحصان الأشكل . وقد أغرى بالجليل يمزق كواهلها ويعيث فيها ويضد . فلم الملك أنه ليس حمار وحش فإن العير لا يبلغ في القوة الى ذلك الحد . فأشار على رسمه (١) بأن يتحمل الصداق في ذلك ويتجشم الاهتمام بكفاية شره ودفع معرته . وأوصاه بالحفظ من شره . فقال رسمت : إن عبيد الملك اذا تحسّنوا بسعادته لم يفزعوا من جن ولا آس . فركب ونخرج الى تلك الصحراء فكث ثلاثة أيام بدور في مروجها ومراعيا ويطلب ذلك العير فلا يحده . ولما كان اليوم الرابع ظهر له . فلما رأى رسمه عبر عليه ماذا في سرعة الريح . فتور الخش في أثره طامعا في اصطياده وحمله حيا الى حضرة الملك من غير أن يصيبه بجراحة . فخل الوحق وعدى خلفه ليربده عليه . فاخفى عند ذلك من عين رسمه (٢) . فلم أنه ليس بوحش ووقع في قلبه أنه أكوأ الجنى . ثم رآه قد ظهر في آخر الصحراء . فوتر قوسه وتوجه اليه . فلما قرب منه ورأى أنه أغرق في نزع القوس اخفى عنه . وبقي يركض خلفه ثلاثة أيام ليلالين فغلبه النوم واحتاج الى الطعام والشراب . فتبدى له روضة معشبة ذات أرض خوّارة وعين خمرارة . فقتل وخلع بلّام فرسه ، وحط عنه سرجه ، وأرسله يرمى . وفرش اللبد على حافة المساء وانكأ ساعة فأخذه بتنوم . فاتاه الجنى ولما رآه نائما في سلاحه لم يحسر على الدنو منه . فقور الأرض من حواله ، ورضه في الهواء . فاستيقظ رسمه وندم على نومه وتركه التحرز والتيقظ . ولما تحرك وأتبه قال له الجنى : أيما أحب اليك : أن أرميك بين الجبال والصحراء أو أقذف بك في وسط المساء ؟ فأفكر رسمه ، وقال في نفسه : إن طرحتني في الجبال والمواضع الوعرة تطايرت أوصالى وتقطعت أعضائى . والماء أسلم . لكن إن قلت له أقذفني في البحر يخافني ولا يرهبنى إلا على الجبال وفي المخارم والشعاب . « وعلم أنه يعمل بضد ما يختاره في ذلك . فاحتال عليه ، وقال : تطرحني على الجبال وفي الفياض والآجام يرى البر والأسد برائى ويشاهدنا آثار شدق وقوقى . فقال له الجنى : وأنت بعد طالب لأن تذكر بالشدة والشجاعة ؟ لأرْمينك في مكان لا ترى فيه حيا ولا ميتا . فرماه في البحر .

(١) في الشاه : أن الملك لم يجد في الحاضرين من ينتخب لقتال أكوأ فأرسل الى رسم في زابلستان بغاه الخ .

(٢) ك : كو ، وهذا . (٣) ك : كن . (٤) ك : كو ، ك : ك ، ط : كو ، حتى يرى .

(٤) صل : ولأرْمينك . والصحيح من ط ، كو .

قال : فلما وقع في البحر قصده التماسيح وسباع البحر ليأخذوه . فاستل يمينه السيف وجعل يذب عن نفسه ، ويسبح باليد اليسرى والرجلين حتى وصل الى الساحل . فخرج وتزع جنته وسلاحه ونشرها على الأرض لتتشف . واغتسل ويحمد شكرا لله تعالى حين نجاه من الخطب العظيم . ثم لبس سلاحه وعاد إلى العين التي كان قد نام عندها ، فحمل السرج والجام واقتنى أثر الرخش حتى صادفه فأسرجه وأجله ثم ركه . وكان ذلك المكان الذي وقع عليه الرخش من مراعى خيل أفراسياب . فساق منها خيلا كثيرا ، وقتل من كان عليها من الجوبانية والحرس . قال : وكان أفراسياب قد خرج في ذلك اليوم لمشاهد الخيل فاعلم بذلك . فاتبع رسمه في خف من عنده وعدة من فيلته . فأدركه فتقاتلا قتالا عظيما ، وقتل أكثر أصحاب أفراسياب . فانهزم وخذل أربعة أفيال فساقها رسمه ورجع بها إلى المكان الذي كان قد نام فيه ، على ما ذكرناه . فجعل يطلب أكوان الجني وينظر يميننا وشمالا . فظهر له وقال : أيا تسأم من القتل والقتال ؟ أبعد أن خطعت من التماسيح وشدائد البحر عدت تطلب القتال ؟ فحمل عليه عند ذلك ورمى عليه بالوهق فأعلقه به ، وأسره وقطع رأسه وعلقه من سموط سرجه ، وكان عظيما كأنه رأس فيل ، وله أنياب كأنها حراب . ثم أقبل راجعا . وأنهى إلى الملك كيخسرو ذلك ، وقيل : إن رسم خرج لصيد حمار الوحش فعاد يصيد الانس والجن وأسراب الخيول والفيول . فتعجب من ذلك وركب وأمر العسكر بالركوب لتلقيه . فاستقبلوه بالكوسات واللبادب ، واجتمعوا في الميدان يلعبون ويتطاردون . ثم دخلوا الايوان وأقبلوا على القصص والعزف يتعاطون كئوس الأرجوان على الورد والريحان إلى تمام أسبوعين . ثم خلع الملك عليه خلة تشتمل على أصناف الكرامات والمبرات . فاستأنذ في زيارة أبية دستان بن سام ، وقال : سوف أعود وأشدّ وسطى للطلب بنار سياوخش . فانالا نرضى في الإنتقام له بنهب الخيول والخيم وقتل الخول والحشم من ممالك أفراسياب . « فأذن له ، فركب ، بعد أن شيعه الملك وودعه ، متوجها نحو زابلستان . قال صاحب الكتاب : وإذا فرغت من قصة أكوان فاستمع لقصة بيزن بن جيو وما جرى عليه وما انتهى أمره إليه .

(٣) ط : الحيل .

(٢) ك ، ط ، كو : جميع أصناف .

(١) ط ، كو : إليه .

(٤) ك : واذا فرغت .

مبدأ القصة §

قال : لله ليلة سوداء ذات جناح أحم كأنه طلى بالمداد أو لبس ثوب الحداد . لا يرى فيه بهرام ولا كيوان ولا عطار ، وكان النجوم فيها مثل العيون رواقدا . قد توارى قمرها بالحاق ، وقطعت ظلمتها أشواط الأحداق . وقد ألقت على الأرض بالجران ، ووقف الفلك فيها عن الدوران . لاحس فيها ولا همس ، كأن الأحياء فيها حالفوا الموت . فاستولى على السهاد ، ونبا بى الوساد . فصحت بالسلام وقلت : قد طال الظلام ، وشرد عن عني المنام . فقم وأشعل الشمعة وهي المجلس وأحضر الشراب واستنطق الجحك والرباب . فقام والنحاس يرنق في عينيه ، والتزف يمسك بعطفه . وجاء بشمعة كالذهب على رأسها تاج من الذهب . ثم جاء برحيق ، ورمز كهر عقيق ، وسفرجل كأنه سرر حبيب ، وأترج كأنه يفوح عن مسك محبب وعنبر فتيق . ففعد بين يدي ينقر الجحك ويترنم ، ويسقيني المدام ويضمم . ثم قال : إن كنت لا تنام فأصنع الى حتى أقرأ عليك من الكتاب الفلهوى قصة لتنظما . وكان يقرأ وأنا أنظم . ولما نظمت الحكاية قلت أرفع سمك الى .

واستمع شرح قصة خضت منها في فنون غريبة الألوان
وحديث كالدر ألقت منه بين نظم الباقوت والمرجان

§ إحدى قصص العشق الطويلة في الشاهنامه ، وهي ثلاث قصص . هذه ، وقصة زال وروذابة التي تقدمت ، والثالثة قصة كشناسب وكايون بنت ملك الروم ، الآتية .

ويرى مول وورز أن هذه القصة مما نظم الشاعر في صباه ، ولها أدلة على هذا سأعرض لها في المقدمة ^(١) .

وقد حذف المترجم أمرا له خطر في القصة وهو القرابة بين بيژن ورستم ، والصهر بين أسرق رستم وكودرز . فيبين ابن بنت رستم ، وامرأة رستم أم ابنة فرامرزي أخت كيو أي بنت جودرز وعمه بيژن . ويكثر في الشعر الفارسي الرمز الى حبس بيژن في البئر .

وقصة بيژن ومنيزه . ١٣٨٧ بيت فيها العاوين الآتية :

- (١) فاتحة القصة . (٢) الارمايون يستغيثون خسرو . (٣) ذهب بيژن لقتل الخنازير .
(٤) كركين يغش بيژن . (٥) ذهب بيژن لرؤية منيزه بنت أفراسياب . (٦) محي بيژن =

والحكاية أن الملك يخسرو كان ذات يوم قاعدا بين خواصه وأصحابه في مجلس الأئس إذ جاء الحاجب وذكر أن على الباب جماعة من أهل أرمان يتظلمون . وأرمان ناحية بين مملكة إيران ونوران . فاذن لهم الملك في الدخول فدخلوا ودعوا له وقالوا : أيها الملك ! إن بلدنا على رأس ممالك بوران ، ونحن قوم ضعفاء . وكانت لنا غيضة شجرها كثيرة الثمار والزروع ، وكنا نعيش بما يحصل منها من الزرع والتمر . والآن فقد ظهر فيها من ذكور الخنازير وفحولها ما أفسد معاشنا وأهلك دوابنا ، وعاث في الناحية جميعها حتى أتلغ أشجارها وأهلك زروعها . فاعثنا يا صاحب التاج والتخت ومالك الأمر والنهي ! فرق عليهم الملك والتفت إلى أصحابه ، وقال : من يكفيننا هذا المهم . ويستأصل شافة هذه الخنازير ، وبحسم مادة شرها عن هؤلاء المساكين ؟ فأمر الخازن بقاء بطبق مملوء من ألوان الجواهر . وأمر بإحضار عشرة أفراس بالآلات الذهب . ثم قال : إن هذا لمن ينتدب لهذا الأمر . فقال بيزن بن جيو : أنا أقوم به . فسر الملك بذلك ، وأمره بالخروج إلى تلك الناحية ، وأمر جرجين بن ميلاد أن يسير في صحبته ، بسبب أن بيزن لم يكن قد وطئ تلك الديار . وهو جاهل بخارمها وطرقها وشعابها . فركب بيزن واستصحب الفهود والبزاة وسار بصطاد والطريق إلى تلك الغيضة . فقدم جرجين يشربان ثم قال له : تنمر حتى تنوغل الغيضة وتقتل الخنازير . فقال له جرجين : أنت الذي أخذت الجواهر والذهب ، والترت هذا الأمر . فاقترده هذه الحرب . فاستشاط بيزن ووثب وترجع بسلاحه

= إلى خيمة منيزه . (٧) منيزه تحمل بيزن إلى قصرها . (٨) حمل كرسوز بيزن إلى أفراسياب . (٩) يران يسأل أفراسياب الإبقاء على بيزن . (١٠) إلقاء أفراسياب بيزن في السجن . (١١) رجوع كركين إلى إيران وكذبه على بيزن . (١٢) إحضار كركين إلى خسرو . (١٣) رؤية خسرو بيزن في الكأس الذي يرى العالم . (١٤) كتابة خسرو رسالة إلى رسم . (١٥) كيو يحمل رسالة خسرو إلى رسم . (١٦) احتفاء رسم بكيو . (١٧) مجيء رسم إلى خسرو . (١٨) مأدبة خسرو للأبطال . (١٩) شفاعته رسم لكركين عند الملك . (٢٠) تعبئة رسم عسكره . (٢١) ذهاب رسم إلى مدينة ختن عند يران . (٢٢) حضور منيزه عند رسم . (٢٣) علم بيزن بمجيء رسم . (٢٤) إخراج رسم بيزن من البئر . (٢٥) رسم يغير ليلا على إيوان أفراسياب . (٢٦) مجيء أفراسياب لحرب رسم . (٢٧) انهزام أفراسياب أمام الإيرانيين . (٢٨) رجوع رسم إلى خسرو . (٢٩) خسرو يادب القوم .

ودخل الفيضة . فأحدثت به الخنازير ، وهي كالقيلة الهائجة توسط بأنيابها الأشجار ، وتقطعها . فوثب واحد منها عليه ومزق دوعه . فرماه بمزراق كان معه فأصاب دماغه ونزح ميتا كأنه خباء مقووس . ففرغ بذلك باقي الخنازير ووقع يبرز فيها وقتل منها كثيرا ، وقطع من أنيابهن جملة ليحملها الى الملك . فركب جرجين ودخل الفيضة خلفه حتى انتهى اليه . فلما رأى ما أبلاه في قتل تلك السباع عظم عليه صنيعه ، وحسده عليه حتى حمله الحسد على قصد اغتياله . ثم إنه أخذ يستحسن فعله ويمدحه ويثني عليه ويصفه بالقوة والشجاعة والجرأة والشهامة . ثم خرجا من الفيضة وقعدا معا يتحدثان ويتفاهكان ، والحسد في قلب جرجين يعمل عمله . فقال ليزن : إن عل مسافة يومين من هذا المكان مروجا ورياضا يناصي البهار بها الأخوان ، ويعانق فيها النرجس الضميران . ومن وصفها كيت كيت . وجعل يصفها ويذكر طيب هوائها وعذوبة مائها حتى جعلها في عينه كعمى الجحش . ثم ذكر له أن ابنة أفراسياب التي تسمى منيرة تخرج في كل سنة في فصل الربيع الى تلك الرياض مع الجوارى الملاح والمغانى الصباح ، فحضر خيمها في أرجائها ، وتقوم مستمتعة بطيها . قال : وإني وصلت اليها مرارا مع رسم وطوس وكسهم وحيو وغيرهم من الأكابر . وكم سينا عنها من أقدار الترك وشموسها . فإن رأيت أن نصير اليها ونسي منها صفايا نهديا الى حضرة الملك فافعل . فأخذ قوله بقلب يبرز ومنعه الترف وغيره الشباب عن التفطن لما أضمره جرجين من الداء الدفين . وكان مع ذلك شابا مولعا بالنساء شديد الميل الى مفاكهتهن . فأجابه الى ما دعاه اليه وأقام في مكانه مشتغلا باللهو والطرب والصيد والطرود الى أن علم جرجين بوصول ابنة أفراسياب الى ذلك المكان . فأشار حينئذ عليه بالركوب . فساروا يومين فلما قربا من المكان قال يبرز لجرجين : أنا أتقدمك وأبصر من نزل في المكان ثم أرجع وأعلمك . ولبس ثياب الوشي وتمنطق بمنطقة الذهب ووضع على رأسه تاجا كان يليه في مجالس الأنس ، فتوجه نحو المكان كالقمر الأزهر . فلما انتهى اليه رأى شجرة سرو بقرب خيمة ابنة أفراسياب ، فنزل في ظلها . فلاحظته من خيمها^(١) فرأت منه قرا منيرا وشابا نضيرا وملكا كبيرا فبهت بجاله وبهائه وكلامه . فعشقتة في الوقت وقالت لدايتها : اذهبي وانظري من ذلك القاعد تحت ظل تلك الشجرة ، وسليه المجيء الى ضيافتنا والترول في خيمتنا ، وقولي : إنك بحسبك فتنت القلوب ، وملكت العيون . فجاءته المرأة وخدمت وقبلت الأرض بين يديه ، وسالته عن اسمه وعن حاله ، وبلغته الرسالة . فقال لها : أنا يبرز بن جيو . وقد خرجت الى هذه الناحية لصيد السباع ، فسمعتُ بحضور الملكة في هذا المكان فحضرت لأقر

(١) ك : قتل . (٢) ك : قتل (لا) . (٣) طاء ، كو : قد وصلت . (٤) طاء ، كو : خيمتها .

عني بلقائها . وأنت إذا جمعت بيني وبينها وهبت لك هذا التاج والمنطقة . فرجعت الى صاحبها وأبلغتها مقالته وأطلعنها على ما أسره اليها . فكانت تطير فرحا وسرورا ، وردتها في الحال اليه تسأله الحضور . فقام من تحت السرو بمشي ميال الأعطاف ، ويتخايل في ملابس الأقواف . فلما قرب من خيمتها تلفته وعافته وجعلت تضمه اليها وتشممه . ثم حلت منطقته ونزعت خفه وقضت عنه غبار الطريق وغسلت أطرافه بالمسك وماء الورد . وأحضروا الطعام ثم فرشوا المجلس بالدباج والحرير واستحضرت الملاهي والمعازف وقعدت تشرب معه . وأقام معها وهي تزداد كل يوم له حبا ، الى أن انقضت مدة مقامها في تلك الصحراء وهمت بالارتحال . فأمرت بعض جواريا فطرحت في الشراب دواء مرقدا ، وسقته بيزن فنام نومة عبود . فأمرت بمحله في مهد . وأرخت عليه الستور ، وضاجته وارتملت به . ووصلت السير والسرى حتى وصلت الى مدينة أيبا أفراسياب . فدخلتها ليلا ، وأدخلت بيزن الى قصرها ، وأمرت فأخلى له موضع . وجعلت على فراشه وتحت الكافور حتى انثب وأفاق من رقدته . فأصاب نفسه في حجر ابنة أفراسياب في بيت أيبا . فانزعج من ذلك واضطرب قلبه وقطع رجاءه عن الحياة ، وعلم أن جرجين كاده ومكر به ، فأخذ يدعو الله عليه ويتظلم منه اليه . فقالت له ابنة الملك : لا تشغل قلبك ولا تضيق صدرك ، فإن الخطوب تتوب الرجال ، فيوما مع البيض النوام ويوما مع البيض الصوام . ثم أحضرت المفاني والملاهي ، وأخذت تشرب على وجهه . فاستراب البواب بعد يوم بمجالحة فتجسس عليها حتى تحقق حقيقة الأمر . ففزع على نفسه من أفراسياب إن لم يعلمه ذلك . فدخل عليه وقال : إن ابتك قد جاءت بزواج من إيران . وحكى له الحكاية . فغاضه ذلك وارتمد غضبا وقال : إن أبا البت لمنحوس الطالع والبخت ، وإن كان صاحب التاج والتخت . واستدعى السالار المعروف بقراخان ، وقال : أشركي برأيك في هذه الخبيثة . فقال : الرأي أن تستكشف حتى تطلع على حقيقة الحال ثم ترى رأيك . فالتفت الى أخيه كرسوز وقال : انظر مالقيتا من إيران ، وما نلقاه من بعد . اذهب بجاعة من فرسانك وكلهم بياض القصر . ثم قش القصر وأمسك من تجد وقبده واحمله الي . فضى كرسوز بأصحابه ، وأحدقوا بالقصر ، ودخل هو ووقف على باب الحجر التي فيها بنت أخيه وتسمع فلم يسمع غير نقر الأوتار من وراء الأستار ، وأصوات المسمعات ، وقول اشرب وهات . فقلع الباب ودخل فرأى بيزن كالسرو الباسق حواليه ثمانية وصيفة كالقمر الشارق . فلما وقع عين بيزن على كرسوز قال في نفسه : كيف أقاتل بلا سلاح؟

(١) ك ، ط ، كو : من تحت السرو كالسرو . (٢) ك ، وأرخت . (٣) ك ، ط ، كو : السير بالسرى .

(٤) ك ، ط ، كو : ضاقت .

فضرب يده الى خفه ، واستل منه خنجرا كان لا يفارقه ، وثب ووقف على الباب ، وقال : أنا بيرژن بن جيو . وأنت تعلم رجوليتي ، وتعرف أهل بيتي وعشيرتي . ولا تقدر أن تصل الى إلا بعد أن أقتل منكم خلقا كثيرا . فاسلك معي طريق الفتوة واحلف لي على أنك تمحلي الى حصرة الملك وتسفع في اليه وتستوهبه دمي . فأجابته الى ذلك وحلف له . فلما أمكنه من نفسه كنفه وحمله الى حصرة أفراسياب . فأمر بأن ينصب جذع على باب إيوانه ويصلب عليه . وهو يبيكي ويتضرع الى الله عز وجل . فلما خرجوا به من الإيوان الى الميدان وأخذوا في نصب الجذع لصلبه طلع ييران قاصدا الى حصرة الملك . فلما دخل الميدان رأى الأتراك يغلطون ويموج بعضهم في بعض ، ورأى هناك جذعا منصوبا وعليه جبل متدل . فسأل فاعلم بالحال ، فأمرع الى بيرژن ووقف عليه ورق لشبابه الناضر وجماله الباهر ، فاستخبره عن حاله وعن السبب الذي أوقعه في تلك المحنة . فشرح له قصته من أولها الى آخرها . فدخل على الملك وخدم واقفا عند تحتة حتى خلا المجلس فتقدم اليه ولاطفه في الكلام . ثم قال : أيها الملك ! لا يخفى عليك ما أصابنا بسبب دم سياوخش . ونحن الى الآن في عقابله ، ولم نتخلص من مكروهه . فلا تضاعف المداوة والشحناء في قلوب الإيرانيين بقتل بيرژن بل استبقه واحسبه في قعر مظلمة لا يخرج منها الى المات . « ولم يزل به حتى لانت عريكته ، وأسمع لما أشار به قرونته ، وقال لأخيه كرسوز : غله بأغلال ثقيلة وقيد بقيود وثيقة ، وألقه في بئر مظلمة لا يسقط فيها ضوء شمس ولا قمر . ثم اجتز بالفيلة الحجر الذي استخرجه أكوآن الجنى من بحر الصين ، وسد به رأس البئر ، وأتركه فيها الى أن يموت . وإذا فرغت من ذلك فادخل على منيزه التي سؤدت وجهي بين الملوك وهتكت سترى بين الخلق . فأنهب خراثتها وأطلق أيدي أصحابك فيها ، ثم جرها وأخرجها الى الصحراء فانزكتها عند معطومة صاحبها لتلازمها ذليلة مهينة . « فبادر كرسوز الى امتثال ما أمره به الملك . وأتمل بيرژن بالأغلال والقيود والسلاسل من الرأس الى القدم ، وطرحه في الحب ، وغطى رأسه بذلك الحجر . ودخل على ابنة أخيه . ونهب جميع ما عندها واستلبها تاجها وزينتها ، وجرحها بقرونها . وأخرجها من المدينة ، كما أمره أخوه . فجاءت الى رأس البئر التي فيها بيرژن . وكانت في الحجر ثقبه تدخل فيها اليد . فكانت تدور طول نهارها تسأل على الأبواب والدكاكين ، وترجع بما تجمع من الكسر الى رأس الحب . وترميها الى بيرژن ، وتبيت عنده على رأس الحب تبكي . ولم يزل ذلك دأبها الى أن فرج الله عنهما ، على ما سيأتى ذكره .

(١) كو : بقره وهو . (٢) ك ه ط ، كو : الى أن . (٣) ط ، كو : من تحتها بقرونها .

قال : وأما جرجين فإنه لما أبطأ عليه بيرزن ندم على ما فعل ، وعض على يديه أسفاً ، ومضى خلفه يطلبه فجعل يدور في تلك المروج والغياض فرأى فرسه منقطع اللجام منكس السرج يرعى في بعض الأودية . فلم أن بيرزن قد وقع في بلية لا ينجو منها . فرجع بالفرس قارعا سنّ الندم منكس الرأس من الهم والأسف ، وعاد الى خيمته . ثم ارتجع عائدا نحو إيران . وحين علم الملك كيخسرو برجوعه أطلع جيواً على حال ولده . فتلقاها والها شبه المجنون . وحين وقع عينه على جرجين ورأى فرس ابنه ولم يره عليه خرم من فرسه مغشياً عليه . وجعل يمزق ثوبه ويقتف شعره ويندب ولده الذي لم يكن له غيره . ثم أقبل على جرجين يسأله عن ابنه وعن حاله ، ويسأله أين فقدته ، وما الذي أصابه ، وكيف حصل على فرسه ؟ فتمحل وقال : إنا لما وصلنا الى غيضة أرمان قاتلنا الخنازير وأفتيناها وقطعنا رءوسها ، واقتلنا بالمسامير أنيابها . ولما فرغنا من ذلك عطفنا الأعنة ورجعنا نصطاد في الطريق . فتصدى لنا حمار وحش من صفته كيت وكيت — وأطال صاحب الكتاب نفسه في وصفه — فخلق بيرزن عليه الوهق وأعلقه به وعدى الفرس خلفه ، وجعل يركض معه ، فثار عجاج عظيم غيهما عن عيني . فركضت خلفه أطلبه فلم أقف له على أثر . وصادفت فرسه مقطوع العنان منكوس السرج . فانخلع فؤادي ، من الهم والحزن ، وبقيت أدور في تلك الصحراء . فلما أيست منه أقبلت راجعا . « فلما سمع مقالته علم أن كلامه غير مستقيم . فتنفس الصعداء وهم بقتله فراجع عقله وكف عنه يده فصاح عليه وشتمه وقال : ما بقي من حياتك إلا مقدار ما تدخل فيه على الملك ثم انى قاطع رأسك بهذا الخنجر . ودخل على الملك وأخبره بحال ابنه وتظلم اليه من يد جرجين . فعظم على الملك فقد بيرزن حتى تغير لونه حين حدثه وذرفت عينه . وقال بلجو : لا يضيق صدرك فان ابنك في قيد الحياة . وكن على ثقة من نجاته وخلاصه . فإن الموابذة والعلماء أخبروني أنى أقود المسافر الى توران طالبا بئار أبي سياوخش ، ويكون معي بيرزن يقاتل الترك بين يدي . » فسأله بذلك . ونخرج ووصل جرجين ودخل على الملك فقبل الأرض ثم وضع عند التخت أنياب الخنازير ، ودعاه . فسأله الملك عن طريقه وعن كيفية حال بيرزن . ففزع جرجين وتستع في كلامه ، وجعل يسرد عليه ما تمحله . فصاح عليه الملك وطرده وقال : لولا خوف من قبح الأحداث لأمرت بضرب رقبتك . وأمر بتقييده وحبس . ثم قال بلجو . سأبت الخيل في الأطراف ، وأبحث عن حال بيرزن . وإذا دخل شهر

(٣) طا : حدثه به .

(٢) ك ، طا ، كو : على الملك ودعاه .

(١) ك : الفرس .

(٤) ك : روض .

هرمز رقصت الجلام الذي ترى فيه الكائنات في الأقاليم السبعة، وأقش فيه عن يزن. فإني إذا نظرت فيه لا يخفى على شيء، فأعلمك بموضعه وحاله. « وكان هذا الجلام قد وضع على شكل عجيب، وفيه صور البروج الاثني عشر والسيارات السبع. وكان الملك إذا نظر فيه اطلع على حوادث الوقت أجمع. قال: ولما دخل شهر هرمز جاء جيو الى خدمة الملك. فليس ثياب البذلة^(٢) ودخل بيت العبادة ووقف يتضرع ويتهل ويدعوا لله عز وجل. ثم خرج الى إيوانه وأخذ الجلام ينظر فيه ويطالع أحوال الأقاليم. فلما انتهى في نظره الى إقليم كركساران رأى يزن مقيدا بالسلاسل والأغلال محبوسا في مطمورة، ورأى منيرة على رأسها تقوم بأمره. فالتفت الى جيو وصحك وقال: طيب قلبك فان ابنك في الحياة، وهو محبوس في بئر في أرض توران، لكنه في ضيق وشدة، وهو يبكي طول الليل والنهار ويتمنى الموت متبرما بمجاثته تلك على ما هو فيه، وقد أيس من النجاة. فن ينهض الآن بكشف هذا الخطب الفادح فيسعى في خلاصه ويتلافى حشاشته؟ ثم قال: ومن يطيق ذلك سوى رستم بن دستان؟ والرأي أن أكتب اليه كتابا أستدعيه فيه، تحمله أنت اليه. وإذا حضر تساورنا في الأمر، ونظرنا في كيفية التدبير في خلاص الشاب. « فاستحضر الكاتب وأمره فكتب الى رستم كتابا يدعو له فيه ويمدحه ويدكر اعتضاده به واستظهاره بمكانه وأنه المفرغ والمستجار في السراء والضراء والشدة والرخاء. ثم ذكر الجودزين وما ثبت لهم في الدولة القاهرة من الحقوق المؤكدة والوسائل الممهدة، وأن الواجب الاهتمام بما يرجع

§ ليس في الشهور الفارسية القديمة ما يسمى شهر هرمز. والذي في الشاه أن كيخسرو قال لـ « لـكـيـو » : « انتظر حتى يحل شهر فروردين، حين تزهى الشمس المعبودة، وتتبرج الحدائق في حلل الورد، وتثر الريح الأزهار على الرعوس ... فادعو هرمز ». والفردوسي يفتح الفصل الذي يقص عن اطلاع كيخسرو في الجلام، بقوله: « فلما حل النوروز ». والنوروز في شهر فروردين أول الشهور الفارسية. ويوم هرمز اسم اليوم الأول من كل شهر. ولست أدرى كيف ترجم المترجم على هذا النسق.

وهذا الجلام يذكر كثيرا في الشعر الفارسي باسم جام جم أي جام جمشيد.

وفي نزهة القلوب^(٤) أن في حدود جنبدق بئر فيها حمام كثير، ولا يعرف أحد غورها. ويهبط فيها الماطب أكثر من ٥٠٠ ذراع ثم لا يستطيع المزيد لشدة البرد. وتقول العامة أن كيخسرو وضع في هذه البئر الكأس التي كان يرى فيها العالم.

بصالح أمورهم وحفظ قلوبهم . ثم ذكر حال بيزن وما حل به في بلاد توران ، وأنه ليس بخفاف
 مائزل يجيو بسببه من الفجعة والمصيبة . وقد جاءك ملتجئا اليك مستصرخا بك . فاذا قرأت كتابي
 هذا فتجشم الحضور بالحضرة لتنظر في هذا الأمر ونجت عن وجه التدبير في تخلصه . فتناول جيو
 الكتاب وسار في جماعة من أقاربه وإخوته ، وتوجه إلى زابلستان يسير ليله ونهاره حتى شارف
 حدود زابل . فأعلم دستان بن سام بطولع جماعة من ناحية إيران يحثون دوابهم جادين في السير .
 فركب وتلقاهم ، ورأى جيوا يركض أمام القوم لحقان حزينا . فقال في نفسه : إنه قد تجدد حادث أحوج
 الملك إلى إنقاذ جيو إلى هذه البلاد . فلما تلاقيا سايله دستان عن الملك والأكابر والأمرء قبله سلام
 الكل ، ثم شكوا إليه به وما أصيب به في ولده ، وبكى . وسايله عن رسم فقال : إنه ركب للصيد ،
 والساعة يعود . فأنزله في إيوانه ، ووفاه شرائط خدمته . ولما أحس برجوع رسم تلقاه في الطريق
 فترجل له وقبل الأرض وآثار اللهف والحزن على وجهه ظاهرة . فارتاع رسم لذلك فترجل له وأعتقه .
 ثم سايله عن الملك وأحوال المملكة ثم عن جودرز وطوس وكردهم وسابور وبيزن وفرهاد وجميع الأكابر
 والسادة . وحين انتهى إلى ذكر (١) بيزن وقع عليه البكاء والزين ثم قال : إن كل من سألت عنه
 مشمول بالصحة والعافية وهم يقرءون عليك السلام غير أنى فقدت بيزن وأصبت به مع كبر سنى بعد
 مائال آل جودرز من عين السوء . وقد بحثت عنه فلم أعرله على خبر حتى دخل شهر هرمزد . (ب)
 فإن الملك دخل بيت النار وتضرع إلى الله عز وجل في أمره ونظر في الجاه فرآه فيه أسيرا في أرض
 توران . فلما وقف على ذلك أرسلنى إلى حضرتك . وهأنا قد جئت لك لحقان مملوء القلب بالرجاء لك ،
 اذ لم أر أحدا أرجوه لكشف هذا الملم سواك . وكان يتكلم وعيناه تسيلان بالدموع ، وسلم الكتاب
 إلى رسم فاغرو ورق عيناه بالبكاء فقال له : لا تهتم فانى لا أحط السرج عن الرخش حتى أخذ بيد
 بيزن وأضعها في يده ، بقوة الله تعالى وسعادة الملك . ثم دخل به إلى إيوانه ففتح الكتاب وقراه
 ثم أقبل على جيو وقال : قد وقفت على الحال وفرحت بمقدمك على ولكن لم أكن أشتهى أن تكون
 على مابك من الجزع والحزن . وأنا أبذل وسعى في هذا المعنى من أجل هذا الكتاب . ثم أقاموا ثلاثة
 أيام . ولما كان اليوم الرابع اختار رسم مائة فارس من الأسود الزابلية ، وركب مع جيو إلى حضرة
 الملك . فلما قربوا منها سبقه جيو إلى الملك وأعلمه بوضوئه فسر وأبتهج بمسارعة إلى امتثال أمره ،

(١) العبارة هنا دكيكة . فان الحكم رسم واليا كى كيو . وبعبارة الشاه : فلما سمع اسم جيو بكى الخ .

(ب) الذى فى الشاه : أن الملك تضرع الى الله فى عيد الجانين - هرمزد فروردين . أى يوم هرمزد من شهر فروردين .
 وهو اليوم الأول يوم التوروز .

(١) طاء ، كو : صلاح . (٢) ك : لحقان القلب مملوءا .

وأشار على طوس وجودرز وفرهاد وغيرهم من الملوك والأكابر بالركوب لاستقباله وتوفية شرائط خدمته . فلقوه بالكوسات والأعلام والإجلال والإعظام . فلما دخل رسم على الملك نهر ساجدا فرفع رأسه ومثل بين يديه واقفا يدعو ويثني . والملك أيضا واقف يصني الى كلامه . فلما فرغ أخذ بيده واستدناه وأقبل عليه يشكره ويثني عليه . ثم سايه عن أخيه زواره وأبيه دستان وابنه فرامرز فقبل رسم الأرض وقال : مشمولون بالصحة والسلامة بسعادتك . وطوبى لمن يحرق ذكره على لسان الملك . ثم أمر باستحضار جودرز وطوس . وفتح باب البستان وقد هيئ للوك فيه مجلس يروق العيون ، وقد فرش بالزرابي الخسروانية والوشائع الأرجوانية ، ونقل اليه تحت الملك وتاجه ، ونصب في المجلس شجرة تظل عليه أصلها من الفضة وأغصانها من الذهب ، قد تهذبت منها شماريخ من اللؤلؤ والياقوت ، ولها أوراق من الزبرجد ، وعليها بازات (١) على شكل الأبرج والسفرجل محشوة بالمسك السحيق معجونا بسلام الرقيق ، وهي مثقوبة بثقب ينثر منها المسك والمنبر إذا ضربها الهواء على رهوس الحاضرين . فجاء الملك وليس التاج وجلس على التخت مع رسم في ظل الشجرة ، واصطفى الوصائف والسقاة على رهوسهم الأكاليل المرسعة وعليهم الملابس المذهبة ، بالأطواق والأقراط ، كالآثمار الطالعة والشموس المشرقة ، في مجمرهم المزاهر ، وفي أيديهم المعازف ، تشرق في أكفهم الأقداح وتقهقه في أوجههم الراح .

وكان مترجم الكتاب ألم بوصفها حيث قال في صفة مجلس مولانا السلطان الملك المعظم ملك ملوك العرب والعجم ، ضاعف الله جلالة وأدام ظلاله ، في كلمة طويلة منها :

واذا تبدى في مجالس أنسه	كلما فيه عنوبة وصفاء
في القصر من جنات غوطة طالما	تجلى عليه القهوة الصبأ
فكانه كخسرو في تاجه	تبدو عليه روعة وسناء
وأمامه من رأيه الجلام الذي	بانت له (٢) في نوره الأشياء
فصلوح في إيوانه مصطفة	قدامه الأملاك والأمرأ
كاليد في كبده السماء وحوله	زهر جلاها من سناء ضياء

(١) في نسخ الترجمة بازات . وأقرب معانيها أن تكون جمع بازى بمعنى لعبة . وفي الشاه : « كل عمرها من الأبرج والسفرجل » . والترجمة بالفارسية بار . فقل المترجم أبقى الكلمة وجمعها على بازات ، وحرفها التاج .

(٢) ك ، ط ، ك : بصفتها . (٣) صل : به . والصحيح من ك ، ط ، ك .

في مجلس تذكى الرحيق حريقه^(١) فيه فيعيق بالاربع هواء
ورنين أوتار ورجع كراين^(٢) تصفى اليه الصخرة الصماء
من لم ير الفردوس غضا نا ضرا فليحضرن فالجنتان سواء

(٧٨)

قال : فاقبل الملك على رسم ، وقال : أيها البهلوان ! أنت لنا كالجنة ، بك تنوق كل شر ، وبك نستجير في كل خطب ، ولم تبرح أنت في تعب وعناء قياما بمصالح هذه الدولة واهتماما بمناجح هذه المملكة . وقد علمت حسن بلاء الجودرزيين في طاعتنا ، وبذلهم الأقس فيما يسع من مهماتنا ، ولا سيما جيواً فإنه على انفراد هو الساعى في الأمر الذى عرف واشتهر ، (١) وأنهم لم يصابوا بمثل هذه المصيبة قط . (ب) فدر الآن هذا الأمر ، وانظر كيف المخلص منه . فإنه لا يقدر على تخليص بيژن من توران غيرك . وهذه العساكر والأموال بين يديك ، فاحكم فيها بما ترى . « نقدم رسم وقال : أيها الملك ! إن أى ما ولدتنى إلا لطاعتك ، وتحمل المكاره فيها هو سبب راحتك . وهأنذا أشد وسطى فى امتثال أمرك ، ولا أسلك إلا سبيل خدمتك ، ولو أمطر الهواء على نارنا ، وتحولت الأشفار فى عيني شفارا . « فشكره عند ذلك الأمراء والأكابر ودعوا له . ثم اندفعوا فيما جلسوا له من اللهو والطرب . قال : وبلغ جرجين قدوم رسم فأرسل اليه يتخضع له ويتضرع ، وقال : قد جرى على قلم القضاء فى هذه الواقعة بالجنة والشقاء . وأنا أضع نفسي على النار بين يدي الملك فلعننى يشملني عفوه ويسعني لطفه وحامه . وسأله أن يتشفع فيه الى الملك حتى يصحبه الى بلاد توران ليتوسل به الى بيژن كي يقبله العثرة وينفر له تلك الزلة . فأرسل اليه رسم يعنه ويعيره على صنيعه ، ويقول له : بعد ما أبديته من الاعتذار والاعتراف أنا أتشفع فيك الى الملك ، وأسى فى خلاصك . ولكن ينبغي أن تعلم أنه إن خلاص بيژن فقد خلصت ، وإلا فانا أول من يأخذ بثاره منك . فدخل على الملك وسأله الإفراج عنه ، ولم يزل به حتى أجابه الى ذلك . ثم إن رسم تسمر للأمر وتجرد له ، وقال : إنه لا سبيل لنا الى خلاص بيژن بالقتل والقتال . وإنما الطريق فيه إعمال المكر والاحتيل . ودخل خزانة الملك وأخرج من الجواهر والثياب والذهب والفضة ما أوفر به مائة حمل ومائة بغل . واختار

(١) هو إحضار كيشرو وأمه من بلاد توران كما تقدم .

(ب) تقدم أن سجين جللا من أبناء جودرز قترا في وقائع كيشرو (ص ٢١٣ من) فكيف يقال هنا أن الجودرزيين لم يصابوا بمثل هذه المصيبة ؟ انظر المقدمة فى جمع الشاه .

(١) صل : رحيق . والتصحیح منك ، طا . (٢) كو : ورنين أوتار اذا هي زمزمت الخ .

(٣) صل : والثياب الذهب . والتصحیح من طا .

من العسكر ألف فارس من المفردين وسبعة من المقتدين مثل جرجين وزنكة وكُستهم وزواره وفرهاده ورُهام وأشكس . وارتحل بهم رستم وسار حتى قرب من حدود توران . فأشار على العسكر بأن يلازموا ذلك المكان واستصحب منهم الأمراء السبعة فألقوا مناطقهم وخلعوا يلامقهم وتزويوا بزى التجار ، فلبسوا الجوخ وملابس الصوف . وأمر بتعليق الأجراس على الدواب ، وسار في هيئة القوافل حتى وصل الى مدينة ييران . وأخذ جاما مرصعا بالجواهر وأهداه الى ييران مع فرسين مجللين بالدبياج والحرير ، فدخل عليه فأكرمه وسأله عن مقدمه . فقال : قدمت الى بلدة الملك للتجارة ، وقد صهني جواهر وثياب أريد أن أبيعها في ظل جاهك ، وأتموض عنها بسعادتك بعوض أعود به . ثم رجع من عنده ونزل في الخان وفتح دكانا . فكان كل يوم يقوم على باب دكانه سوق يجتمع فيها الخلائق ويباعونه ويشارونه .

فسمعت بغيره منيرة صاحبة ييزن بغامت تمدو حتى وقفت على دكانه ، ودعت له ، وقالت : أخبرني عن إيران وعن الملك وعن البهلوان ، وهل بلغهم أن ييزن أسير في قمر مطمورة مظلمة ؟ ففرغ رستم وطردها وصاح عليها وقال : تتحي فإني لا أعرف أحدا من ذكرت ولا دخلت بلادهم قط . فبكت المرأة وقالت : كيف يليق بملك هذا الجفاء ؟ فأمر رستم غلامه فقدم اليها طعاما . وقعدت تأكل ، وجعل رستم يسألها ويقول : مالك وللسؤال عن ملوك إيران ؟ فبكت وقالت : في قصتي طول ، وأنت ملول . فحكيت له جميع ما جرى ، وقصت عليه قصة ييزن ، ووصفت له حاله وما هو فيه من الشدة . ثم قالت له : إن دخلت الى تلك البلاد فاطلب جيو بن جوذرز ، وقل له : إن ابنك محبوس في مكان سقفه حجر وأرضه حديد . فإن كنت تغيثه فبجمل فقد تفاقم الأمر . فأمر رستم لها بطعام ، وأخذ دجاجة مشوية ودفن في جوفها خاتمه ، وعليه اسمه ، فدفعها اليها . فعادت بما أخذت من الطعام ملفوفا في مئزر ، وجاءت الى رأس البئر وألقته الى ييزن . فلما رأى الخاتم ورأى عليه اسم رستم استبشر فضحك حتى سمعت منه قهقهته . فسايلته عن ذلك فكتمها الحال . فجلت تبيك ولم تزل به حتى أعلها ، وقال لها : ارجعي اليه وقولي له : أنت صاحب الرخش أم لا ؟ فعادت اليه وآثار الفرح عليها لأثمة . فلما رآها رستم علم أن ييزن قد أفضى اليها بالسر . فأبلغته رسالة ييزن فقال لها : قولي له : إنه صاحب الرخش ، فأبشر بالفرج . ثم أمرها بأن تجمع حطباً عند رأس البئر فاذا دخل الليل وأظلم الجو أوقدت النار حتى يهتدى رستم بضوئها الى المكان . فرجعت وعملت ما أمرها به رستم ، فأبس سلاحه وركب في رفقائه السبعة الأمراء ، وقصدوا النار

حتى أتوها . فقتل السبعة على الحجر ليدبروه من رأس البئر فلم يقدروا . فقتل رستم فتحاه وحده . ثم أطلع في البئر ، وقال لبيزن : إني قد تحملت بسبك مشاق وكربا ، وأنا أتنشق اليك في جُربين أن تصفح عنه . وإن لم تفعل تركك على حالك وانصرفت . فشغفه فيه وعفا عنه . فدلّ اليه الوهي واستخرجه من البئر فتخى عنه بيده القيود والسلاسل . وحملوه وصاحبه الى منزله الذي كانوا به نازلين . ثم حمل الجبال والبقال ووجهها نحو الطريق مع اشكس ، ونفذ منيره معهم . ولبس رستم سلاحه وتديج مظاهرا بين جُنته ، وركب معه ييژن وأصحابه الآخرون فاستلوا أسياهم وهجموا على باب أفراسياب ، وقتلوا كل من كان عليه من الحرس ، وصاح البهلوان وقال : أنا رستم بن دستان ، وقد أخرجت ييژن . ورفقوا الأصوات . فهرب أفراسياب من إيوانه الذي كان فيه فدخلوا اليه ونهبوا ما وجدوا فيه . ثم ركبوا وساروا خلف الجبال والأنتقال ، وأغذوا السير طردا وركضا حتى اتصلوا بالقوارس الألف الذين أمرهم رستم بملازمة المكان الذي عينه لهم . فأمر رستم^(٢) بأن يتأهبوا للقتال ، وقال : إن أفراسياب لا شك يجمع عسكره ويتبع آثارنا . فكونوا على أهبة لتلايه تمل متاغرة . قال : ولما أصبح أفراسياب اجتمع على بابه الأمراء والملوك ، وقالوا : كيف نفضي على هذه السبة ، وتتقاعد عن هذه المكيدة التي كادنا بها الايرانيون ؟ فركب أفراسياب في عسكر عظيم خلهم . فبينما رستم في منزله ومنيرة قاعدة في خيمة ضربت لها إذ جاءه النذير بظهور العسكر . فسير الأحمال والأنتقال في صحبة منيرة ، وركب وأمر العسكر فتدججوا وركبوا . فلما قرب أفراسياب ورأى العسكر أمر أصحابه فاصطفوا ، فوقف هومان في المينة ، ويران في الميسرة ، ووقف شينمو كرسوز في القلب ، وبقي هو بنفسه يدور ويرتب . فتلاقوا وجرى بينهم قتال عظيم تد رج فيه كثير من رهوس أصحاب أفراسياب ، وتناجست عليهم حملات رستم حتى ولوا منهزمين وعادوا وراهم غزولين مفلولين ، بعد أن أسر منهم ألف فارس ، ونهب ما كان معهم من صامت وناطق . وارتحل رستم عائدا الى حضرة الملك . ولما أتاه البشير برجوعه سالما ظافرا أمر بضرب البشار ، وركب طوس وجوزدز وجيو ، وخرجوا بالبرفش الكبير على أحد جانبيه النور المسلسلة وأسود السباع ، وعلى الجانب الآخر القوارس المدججة وأسود الرجال . فلما بدا لهم رستم ترجلوا ومشوا اليه ، فترل لهم رستم فتصالحوا وتعاقدوا . ثم قال له جوزدز : أيها البهلوان ! إنك قد استعبدت عشيرتنا ، وملكت رقهم بصنيعك . ودعا له . ثم ركبوا جميعا . ولما قربوا من دار الملك تلقاه الملك كيخسرو فقتل رستم وغرله خده في التراب ، فاعتنقه الملك . فأخذ رستم بيد ييژن وقدمه الى الملك ، وسلمه اليه محافظة منه على ما سبق من

(٢) ك ، ط : فأمرهم .

(١) صل : مه . والتصحح من ك ، كو ، ط .

وعده لجيو بذلك . فشكره الملك ودعا له وأثنى عليه ، وقال : ما أعلیٰ جدّ الايرانيين وأرفع شأنهم وأحمى حريمهم ما دمت بهلوانهم ! وطوبى لزال إذ كانت مثلك له خلفا وولدا ! وأنا أعلام جدا وأوراهم زندا حيث أصبحت خادما لتحقي وحاميا لحوزتى . ثم قال لجيو : إن أمرك لمستقيم عند الله سبحانه وتعالى حيث يسر رجوع ولك اليك . فدعا جيو له ولرسم ثم جلسوا في ايوان الملك . فدّوا السباط فطعموا ثم اشتغلوا بالشرب . ولما كان من الغد دخل عليه رسم واستأذنه في الرجوع الى بلاده فأمر له الملك بخلعة منسوجة بالجواهر وجام مملوء من اليواقيت والآلى ، ومائة فرس ومائة بغل ، ومائة وصيف بالمناطق الذهبية ، ومائة وصيفة بالأكاليل المرصعة . فلبس الخلعة وقبل الأرض بين يدي الملك ، وارتحل بتلك التحف الى مجستان . وخلع أيضا على الأكابر الذين خرجوا معه على اختلاف مقاديرهم . ثم استحضر بيژن فجعل يحدّثه بما جرى عليه ويصف ما كان فيه من الشدّة والضيق . فرق الملك لابنة أفراسياب ، وأمر الخازن بخاء بمائة ثوب منسوج بالذهب ، وعشر يدرّ وتاج من الذهب ، وقال لبيژن : احملها الى ابنة أفراسياب : وعاشرها بالمعروف ولا تحاشها ولا تحجب عليها ، وعيشا معا في راحة وسرور ، وغبطة وجور ، ووعظ و نصحه .

ذكر الوقعة المعروفة بيازده رخ

قال صاحب الكتاب : لما انهزم ملك الترك من تلك الوقعة ، يعنى وقعة فولاذ السابق ذكره (١) امتد الى الخلّج . فجلس يوما في إيوانه وعنده أخوه كـريوز وولده شيذه وقراحان ، بشرع يحدّثهم بما جرى له مع الايرانيين ويذكر ما أصابه منهم . وقال : إن من عهد منوچهر لم يكن لهم يد على

§ تسمى هذه القصة في نسخ الشاهنامه التي عندي « حرب دوازده رخ » أى حرب الاثنى عشر رخا . ويسمى المترجم « حرب يازده رخ » أى حرب الأحد عشر رخا . وعدد المبارزين يرتج تسمية المترجم فهم أحد عشر فقط ، إلا أن تحسب مقاتلة كستهم مع هلاك وفرشيد .

و « رخ » معناه الخد والوجه ، ويطلق على بعض أحجار الشطرنج (القلعة) وعلى طائر خراف كالعتقاء ، وفي المعنيين الأخيرين محتمل لتسمية هذه الحرب .

وهى قصة شائعة يكلّف بها الايرانيون لما فيها من البطولة وظفر أبطال إيران . ويتبن للقارئ أن القاص مقبل على ختام هذا الطور العظيم من حروب الشاهنامه ، فهو يقتل أبطال توران =

(١) سبق ذكر بولادند الجنى في قصة الخاقان ورسم .

هذه البلاد . والآن فقد استأسد النعد ، واستنسر البغاث حتى بلغ بهم الأمر الى أن غزونا في عقر دارنا . ونحن إن تفاضينا عن هذا ولم تتلاف الخلل لم يبق من هذه الممالك عين ولا أثر . والرأى أن نستنفر أهل هذه الممالك ، ونجمع ألوف ألوف من آساد الحروب ، وتقاتلهم من كل صوب وأوب . فاستصوب قوله الحاضرون . فأحضر الكاتب وكتب الى بغيور ملك الصين يستنجده ، وكذلك الى سائر ملوك الأطراف . فاجتمع عليه عسكر ضاق عنهم نفاق الحصر . وفتح أبواب الخزائن التي كانت ملوك الترك من عهد تور بن أفريدون يجمعونها ، وأخذ في تفريقها عليهم ليلا ونهارا . فلما انتظمت أحوالهم وأعدوا واستعدوا اختار منهم خمسين ألف فارس ، وجعل عليهم ابنه شيذه ، وجهمهم الى خوارزم . وضم خمسين ألفا آخرين الى يران ، ووجهه الى ايران ، وأمره بسط اليد في القتل والنهب وألا يقرع مع أحد باب الصلح ، ولا يتحاطبهم إلا بلسان السيف . فأتته الخبر الى الملك كيخسرو بأن أفراسياب يريد العبور على جيحون في ثلثمائة ألف فارس قاصدين قصد ايران . فاستحضر أعيان الحضرة وأركان الدولة مثل دستان ورستم وجودرز وجيو وشيدوش وفرهاد ورُهام وبيزن وكردم وكستم وجرجين وزنكه بن شاوران ، وأخبرهم بذلك ، وقال : اذا استعد العدو

= حتى القائد الأكبر يران ، ويقتل قاتل سياوخش الذي كان قتله مثار هذه الحروب ، ويصر على أن ينصر كل مبارز إيراني على قرنه التوراني لتكون خاتمة مجيدة تمحو ما كان من هزيمة الإيرانيين في بعض الوقائع .

ثم حرب يازده رُخ فيها ٢٤٥٥ بيت تنقسمها هذه العناوين :

- (١) فاتحة القصة . (٢) أفراسياب يجمع عسكره . (٣) خسرو يرسل كودرز لحرب التورانيين . (٤) كيويجمل رسالة من كودرز الى يران . (٥) جيي ، كيوي الى يران في ويسه كرد . (٦) مصافة الحبشين . (٧) بيزن يذهب الى كيوي ويلح في بدء الحرب . (٨) هومان يستأذن يران في القتال . (٩) هومان يتحدى رُهام . (١٠) هومان يتحدى فري رُز . (١١) هومان يتحدى كودرز . (١٢) بيزن يسمع بما فعل هومان . (١٣) كيوي يعطى درع سياوخش بيزن . (١٤) هومان يأتي لقتال بيزن . (١٥) هومان يقتل بيد بيزن . (١٦) نستبين بيت الإيرانيين فيقتل . (١٧) كودرز يستمد خسرو . (١٨) جواب خسرو عن كتاب كودرز . (١٩) خسرو يبعي الجيش . (٢٠) يران يكتب الى كودرز =

(١) ك : طا : ر : يهنا في مقر عزنا . (٢) كو : فاستصوب قوله ذلك الأكابر والموايذة وقالوا : الرأى أن نبرجهم ونسكبائل الشط ونواصل الركعات لهم فسكرهم الملك على ذلك وأحضر الكاتب الخ .

فالواجب أن نستعد نحن أيضا . فامر بدق الكوسات وإخراج الخيم والسرادقات . وركب الفيل وخرج وضرب بالحرزة في الجسام إشعارا بالنفير العام . فبرزت المساكر أجمعون . ونادى مناديه ألا يتخلف من يطبق أن يسك عتانا ويحل سيفا وسنانا . وبث الرسل إلى الروم والهند والعرب وقال : من لم يحضر بعد أربعين يوما باب سرادق الملك لم ير إلا ما يكره . فنتالت عليهم المساكر من جميع الأطراف واجتمعت بمحافل ضاق بهم البر والبحر ، ولم يحط بهم العد والحصر ، ممن ينطبق عليهم صفة الطائي حيث يقول :

ومقاتلين اذا انتموا لم ينجزهم	في نصرك الأخوال والأعمام
سفع الدبوب وجوهم فكانهم	وأبوهـم سام ، أبوهـم حام
تخذوا الحديد من الحديد معاقل	سكانها الأرواح والأجسام
مسترسلين إلى الموت كأنما	بين الختوف وبينهم أرحام
آساد غبل مخدرات مالها	إلا الصوارم والقنا آدام

ففتح أبواب الخزائن وأطلق لهم المطايا وأدز عليهم الأرزاق . ثم قسم العسكر أربعة أقسام ، فجعل رسم على ثلاثين ألفا ، وأمره أن يسلك طريق مجستان ، ويتوغل بلاد الهند إلى عزنة فيفتحها ،



= أبزر كشواذ . (٢١) جواب كودرز لكاتب بيران . (٢٢) بيران يستصرخ أفراسياب . (٢٣) جواب أفراسياب لكاتب بيران . (٢٤) حرب الأيرانيين والتورانيين عامة . (٢٥) قتال كيو وبيران ، وإعلاء فرس كيو . (٢٦) كودرز وبيران يتفان على حرب الأحد عشر رجا . (٢٧) بيران يكلم أبطاله . (٢٨) اختيار كودرز وبيران المبارزين لحرب الأحد عشر رجا . (٢٩) فريبرز يحارب كلباد . (٣٠) كيو وكُروى . (٣١) كرازه وسيامك . (٣٢) فروهل وزنكُله . (٣٣) رهام وبارمان . (٣٤) بيزن ودوين . (٣٥) هجر وسپهرم . (٣٦) زنكه بن شاوران وأوحاست . (٣٧) كركسين وأندريمان . (٣٨) برته وكهرم . (٣٩) كودرز وبيران . (٤٠) رجوع كودرز إلى الأيرانيين . (٤١) هلاك وفرشيدورد بيكان بيران . (٤٢) هلاك وفرشيد بربان إلى توران . (٤٣) كستهم يتبعهما . (٤٤) بيزن يلحق كستهم . (٤٥) كستهم يقتل هلاك وفرشيد . (٤٦) بيزن يرى كستهم في البرية . (٤٧) خسرو بنى مقبرة لبيران وغيره من رؤساء توران ويقتل كروى بن زره . (٤٨) التورانيون يستأمنون خسرو . (٤٩) رجوع بيزن وكستهم .

ويرتب ابنه فرامرز فيها، ويدخل الى بلاد أفراسياب من ذلك الجانب. وأعطى لهراسب ممالك ألان، وأمره أن يجمع عساكرها، ويدخل من ذلك الطريق الى توران. وجعل أشكس على ثلاثين ألفا آخرين، وسيرهم تحت رايته الى خوارزم للملاقاة شينه بن أفراسياب. وجعل على القسم الرابع جودرز ابن كيشواز وضم إليه أعظم العساكر مع جماعة كثيرة من الاصبهانية، وهم جرجين وزنكه بن شاوران وكستهم وزواره وفري برز بن كيكلوس وفرهاد وجيو ورازه ورهام. وأوصى جودرز بالالتحامل على من لا يتصدى لقتاله، ولا يتعرض بمكره لمن يسذل له السمع والطاعة، وإذا وصل الى حدود توران يستعمل الرفق والثؤدة، ويتجنب الطيش والتزق، ولا يعمل مثل ما عمل طوس في الوقعة السابقة، وينفذ أولا الى ييران، جريا على مقتضى ما يوجه حاله من الشفقة والحنو، من يظه وينصحه ويخطبه بالإعذار والإنذار. وأوصاه أيضا أن يراقب الله تعالى في جميع أموره، ويستعمل العدل والإنصاف مع كل أحد. فقال جودرز: أيها الملك المظفر! لا أعدل عما تأمر به وتراه. ثم ارتفعت أصوات الكوسات من باب سرلوق جودرز، وارتمل العساكر بين أيديهم ستون فيلا. فأمر الملك بنصب أربعة نخوت من الذهب على ظهور أربعة أفيال. وأمر جودرز بالجلوس على واحد منها. ثم سار في عساكره راكبا طريق خراسان. ولما وصل الى زيبد^(٧) من نواحي بلخ أرسل ولده جيوا الى ييران مع عشرة من أمراء إيران، في ألف فارس، وأمره أن يبلغه حق الملك وعاطفته عليه، ويشير عليه بأن يقتنم السلامة، ولا يلقي بيده الى التهلكة، ويتجاوز الى مملكة الملك كيخسرو ملتجئا الى ظل أمانه وتاركا معاداة الايرانيين، في رسالة طويلة ذكرها صاحب الكتاب. فإن أجاب فهو المراد، وإن أبي فليأخذ أهبة للحرب، وليستعد للقتال. قال: فركب جيو من باب بلخ وسار حتى وصل الى وانجبرد^(٨)، وكان ييران قد عبر الماء وخيم بهذه المدينة. فلما وصل اليه جيو وأدى الرسالة أنهى ذلك الى أفراسياب فأمدّه بأربعين ألف فارس، وعزم عليه بملاقاة جودرز ومناجرتة. فردّ جيوا الى جودرز وقال: إن الملك قد أمرني بالقتال، ولا يمكنني مخالفتة. وأما ما ذكرت من الدخول في طاعة الملك كيخسرو فانعلم أن الموت أحب الي من ذلك. وحين انصرف جيو ساق ييران عساكره، وأقبل حتى خيم في موضع يقال له كيكبد^(٩).

ولما وصل جيو الى أبيه وأعلمه بالخال استدع وتزل من الجبل وخيم في الصحراء، وجعل الجبل خلف ظهره. ووصل ييران في عساكر الترك فنزل قريبا منهم. ولما أصبحوا عي جودرز

(١) طا: جريا على ما يوجه حاله. (٢) في الشاه: ريد. (٣) في الشاه: ريد. (٤) في الشاه: كيكبد.

مدينة ريد. وهو أبو ييران، كما يعلم الفارسي. (٥) في الشاه: كيكبد.

عساكره، وكان على يمينه الجبل وعلى يساره الماء . وكان نزوله في ذلك الموضع من علامات الظفر
ومخايل السعادة . فأمر الرجال الذين كانوا معه فاصطفوا قدام الخيالة ، ورتب خلفهم الفرسان
(أصحاب الرماح ^(١) ومن خلفهم الرجال الباين أصحاب القسي ورماة الحدق ومن خلفهم الفرسان) .
أصحاب الخناجر والسيوف، وأوقف وراء الكل القبيلة المحففة كأنها الجبال الباذخة . ونصب العلم
الأكبر المسمى دِرَقَش جاويان . وكان الملك كيخسرو قد دفع هذا العلم اليه يومئذ . وزعموا أن
هذا العلم لم يكن دفعه أحد من الملوك الى أحد من القواد قبل ذلك اليوم ، وإنما كانوا يجعلونه
في أيدي أولاد الملوك اذا وجههم في الأمور العظام . قال : فرب فرى برز على الميمنة مع برازه
وزواره، وجعل رُهام مع كَرْدَم وكُسْتَم على الميسرة، وأمر جيوا بأن يحفظ ظهر العسكر مع جرجين
وزنكة في ألقي فارس، ووكل بحفظ الجبل ثلثانة فارس مع علم ، ووكل بحفظ الوادي من الجانب
الأخر مثل ذلك، وجعل على رأس الجبل ديدانا حديد النظر يرعى الطريق ليلا ونهارا، بقاء جودرز
ووقف في موضعه في القلب عند العلم الأكبر ^(٢)، وأوقف قدامه فرهاذ، ووراء ظهره شيدوش، وعلى
يمينه هجير، وعلى يساره كتماره . فصار كأنه في حصن من الحديد .

بقاء يبران ونظر الى تلك الصفوف المرصوفة ورأى تلك التعمية الموصوفة في مثل ذلك المكان
الصعب بين الماء والجبل فعظم عليه ذلك ، إذ لم يرموضعا واسعا يتمكن فيه عساكره من الاجتماع
على عدوهم والاستدارة عليهم من ورائهم . فرجع فرتب صفوفه وعي جموعه، فجعل أحاه هومان مع
ثلاثين ألفا من نخب العسكر في القلب، ورتب أخواست ^(٣) وأندريمان مع ثلاثين ألفا في الميمنة، وجعل
لهاك وفرشيد في ثلاثين ألفا على الميسرة وأمر زنكاله وکلباذ أن يحفظا ظهر العسكر في عشرة آلاف
(فارس ، وأمر روين أن يكن مع عشرة آلاف ^(٤)) آخرين، وفرق الطلائع على جانبي الجبل والماء . فرأى
جودرز من الرأي ألا يزال ذلك الموقف ولا بقدر خطوة . لأنه لو تحرك من ذلك المكان لأتاهم روين
بأصحابه من وراء ظهورهم . وكان الديدبان كلما رأى فارسا من الإيرانيين فارق مكانه من الصف رفع
صوته فيفطن لذلك جودرز فينهى . فبقوا ثلاثة أيام بليالين لا يتجاسر أحد من الجانبين أن يتحرك من
مكانه من الصف، أو يخرج . وكان يبران مترددا أن يصجر جودرز فيتحرك من مكانه فيتنهز الفرصة
بعسكره، ويدخل عليه من وراء ظهره . فلما تصابر الفريقان هذه الأيام من غير قتال صجر بيزن فأتى أباه
جيوا شبه المجنون يكاد يطبق السماء على الأرض، فقال له : مالك واقفا قد تحيرت لا تتاجز العدو،

(١) ك، ط، كو : أمارات . (٢) ما بين القوس من ك، ط، والشاه . (٣) ط، كو : من القلب .

(٤) تلفظ : أخاست . (٥) ما بين القوسين من ط، كو، والشاه .

وهذه خمسة أيام قد مضت علينا واقفين؟ فإلى متى نصبر ونقف؟ وقد قيل: إنه ليس بعد رستم في جميع
الإيرانيين بهلوان مثل جودرز. فإياك يا بهلوان قد أحجم هذا الإجماع؟ ولا أشك أنه قد جبن ونخب قلبه
منذ رجع من الوقعة التي قتل فيها أولاده، فصار لذلك يبطئ في اللقاء ولا يجترئ على مكاره الهيباء.
ولا أتعجب منه تعجبي منك إذ أنت صابر على هذه الحالة لا تبارح مكانك، مع قوة بأسك وشدة
مراسك. فتقدم ونأخرهم في هذا الصحو والهواء الطيب قبل هجوم الشتاء ونتابع الأنداء وإلا فاعطى
ثلاثين ألف فارس أنتخبهم من العسكر حتى أبعد شملهم وأفرق جمعهم. فضحك جيو من كلامه
وسر بما أشعر به من شهامته، ودل عليه من تسعره في الحرب وتوقده، فشكر الله تعالى حين أنم عليه
بولد. مثله، فقال له: لا تتكر على جثتك فإنه أعرف بالأمور وأبصر بمواقب الحروب. وكل من حلب
الدهر أشطره، وذاق حلوه ومره لا يحتاج إلى أن يعترف المسالك، ويرشد إلى المنابع. وهو يريد
بفعله هذا أن يستجر العدو حتى يتمكن من ظهره ويدخل عليه أصحابه من ورائه. وأيضاً فإنه يراعى
أحكام النجوم ويترصده أن تقع الحرب في ساعة سعد. قال: ثم جاء هومان من ذلك الجانب إلى بيران
وقال له: ما بالنا قد بقينا سبعة أيام تحت السلاح لا نلقى العدو وقد أكتب الصيد؟ فاطلعنا على
ما نقصد، وأخيراً بما تضرع. فإن كنت على عزم القتال فدونك فأقدم، وإن كنت همت بالانخزال
فأججم. فإن الخلق يضحكون مما نحن فيه، وليس هذا العسكر إلا ذلك العسكر الذين قاتلناهم وقتلناهم
حتى كدنا أن نقتلهم. وليس رسم بهلوانهم حتى تفكر فيه. فإن كنت تخرج من سفك الدماء وتجنب
عن مقابلة الأعداء فكيفني من الأمر حتى أأجزهم. فقال له بيران: خضض عليك واعلم أن جودرز
سيد الإيرانيين وأعجمهم وأدهامهم، وهو موتور منذ فجع بأولاده الذين قاتلناهم في تلك الوقعة، وهو
مادام في جسده عرق يتحرك فليس يسكن عن الحركة في طلب الثأر. ثم إنه كما تراه وقف بين هذين
السدنين، وليس لنا طريق إلى ما نريد منهم، والرأي أن نصبر فلعلهم يسدون بالقتال ويخرجون
من المضيق فيحيط بهم من ورائهم، وعند ذلك يسهل الأمر ويقرب النصر. فقال له هومان:
إن من عادتنا أن تمنحو على وتكفني من القتال والملافة، ولا بد من المباراة، وإني إذا كان الغد
ركبت وقاتلت اليهم. فلما أصبح ركب وتقدم إلى صفوف الإيرانيين فطلب المباراة فلم يتعرض
له أحد من أمراء إيران، وقالوا: إن بهلوان لم يأذن لنا ونحن لا نخرج من الصف إلا بأمره.
فلما دار على البسمة والميسرة ولم يتعرض له أحد أقبل إلى القلب، وقرب من موقف جودرز،
وصاح به وقال: أيها بهلوان المقدم! إني قد سمعت جميع رسالتك إلى بيران على لسان ولدك جيو،

ووقفت على اقتراحك لقتالنا . فما بدا لك الآن حتى قعدت خلف هذا الجبل كأنك صيد قد فزع من صولة السبع ؟ فقال جودرز في نفسه : لو أمرت أحدا بمبارزته لم يفل من أحد أمرين : إما أن يقتل هومان فيضعف قلب بيران فيتأخر من مكانه ويحصن بالجبل فيصعب علينا عند ذلك قتاله ويطول بنا الأمر ، أو يقتله هومان فيتكسر بذلك قلوب عسكرا . ثم قال لهومان : أما علمت أن الأسد الضاري يألف أن ياطخ برأته بدم الثعلب ؟ فقال هومان : هيات هيات ما فيكم فارس يطبق مقاومتي أو يستطيع مبارزتي . فضحك ونعى عنانه منصرفا وعثر في رجوعه على جماعة من حرس الإيرانيين ، فرماهم وقتل منهم أربعة أنفس ، ورجع الى موضعه . فعظم ذلك على جودرز وانتهى الخبر الى بيژن فوثب وركب الى أبيه فشكا اليه جده في تقاعده وتوانيه . فقال له : لا تتحد ولا تشكر عليه فهو أعلم ، وبالرأى والتدبير أبصر . فركض مغتاظا وأتى جده واستأذنه في مبارزة هومان فأذن له . فأخذ من أبيه سلاح سياوخش بعد مشاجرات ومراجعات كثيرة جرت بينهما ، فتدجج وركب واستصحب ترجمانا يعرف لسان الترك^(٢) ، وأقبل نحو العدو . ولما دنا منهم أمر الترجمان بأن يصبح بهومان ، ويعلمه يغى بيژن لمقاتلته ومبارزته . فأجابه بإبعاد وإرعاد . وكان قد قرب الليل فقال : قد دخلت في حماية الليل وأمانه ، فانصرف الآن الى غد . فانصرف بيژن .

فلما أصبح هومان لبس سلاحه وركب واستصحب ترجمانه وتقدم فركب بيژن وقد ظاهر بين جُنته ، واستصحب ترجمانه ، فتلقاه . فقال هومان : لستنا نتقاتل إلا في موضع لا يشرف علينا فيه أحد من العسكرين . فقال له بيژن : اختارأي موضع تريد . فركض وتبعه بيژن فأبعد حتى أتيا فضاء خاليا كأنه لم يطاه أحد . فتعاهدا على أن من يغلب منهما لا يتمرض لترجمان صاحبه بسوء . ثم ترجلا وأوثق كل واحد منهما حزام فرسه وزرر عليه درعه . ثم ركبا وأخذوا القوس وترايبا حتى لم يبق معهما سهام^(٣) . ثم تطاعنا حتى نقصفت رماحهما . واستراحا ساعة ثم تناولوا الدرق وتضاربا بالسيوف ، ولم يزالا يتضاربان حتى تكسرت سيوفهما . ثم جذب كل واحد منهما عموده وتضاربا حتى أثخن كل واحد منهما صاحبه . ثم تشبث كل واحد منهما بالأخر وتماسكا حتى تقطعت من شدة قوتهما سيور ركابيهما . فترجلا وساما فرسيهما الى الترجمانين وتصارعا بكلين تناطعا وسبعين^(٤) تصاولا . فكادا يفرقان في العرق ويحترقان من العطش . فتوافقا على أن ينصرفا الى المساء ويردا

(١) ك ، كو ، ومبر . (٢) صل : لسان الترك ك : لسان الترك . والصحيح من طا .

(٣) ك : وركب . (٤) صل : وتقدم . والصحيح من طا . (٥) طا : فأهدا .

(٦) ك ، طا ، كو : سهم . (٧) ك : أو أسدين طا : أو سبعين .

خليل عطشهما . فصارا الى المنهل وشربا فمسجد بيژن وتضرع الى الله تعالى وسأله أن ينصره . ثم رجعا الى معركتهما وعادا الى المصارعة ، ولم يزالا حتى تمكن منه بيژن فضرب بيده اليسرى الى رقبته وبيده اليمنى الى خلفه فألقاه الى الأرض ، واستل الخنجر وذبحه في الحلال . ثم سجد شكرا لله تعالى ثم رفع رأسه وقال : قد تشفيت لسيلاوخش ولسبعين نفسا من أعمامى . ثم علق رأسه من سموط سرجه فأعظمه الترجمان عند ذلك فسيجدا له . ثم أفكر في كيفية عوده الى أصحابه ونظر فاذا ليس له طريق إلا على الأتراك . فاحتال فأبس سلاح هومان وركب فرسه ونصب عليه وجنب فرس نفسه ، ونكس رأيته ، وأقبل عائدا . فلما رآه الأتراك ضربوا البشار وحسبوا أن الغالب هومان . فلما دنا منهم عدل نحو أصحابه ونكس راية هومان ونصب رأيته . ورجع ترجان هومان نحو أصحابه فأخبرهم بالحال . قال : وأقبل بيژن الى فريقه وأبوه متردد بين اليأس والأمل . فلما رآه الديديان رفع صوته وبشر القوم بسلامته ورجوعه ظافرا . فلتقاه أبوه واعتنقه ، بعد أن سجد شكرا لله تعالى ، وأقبل به الى أبيه جودرز وكاد أن يطير فرحا وسرورا ، فأمر الخازن بقاء بخلمة (١٨٧) منسوجة بالذهب موشحة بالجوهر وتاج ومنطقة ، وخلعها عليه ودعا له وشكر سعيه . ولما علم يران بقتل أخيه ضاقت عليه الأرض بما رحبت وطفق يبكي عليه فأرسل الى أخيه الآخر نستين وقال له : ما أحذرك الآن أن تطلب بثار أخيك ، وتبيت العدو . فاختار عشرة ألف من الفرسان الموصوفين وركبوا ليللا يريدون أن يكبسوا الايرانيين . فلما شارفهم وقت السحر أحس بهم الديديان فأنذر بهم فأمر جودرز بيژن أن يلقاهم في ألف فارس . ولما ألتقوا أمر بيژن أصحابه بأن يرشقوهم بالسهم فوقعت نشابة في فرس نستين فبادره بيژن وضرب رأسه بعدوده فقتله ، فوضعا السيف في أصحابه حتى قتلوا أكثرهم . وأنزمت الباقون أتبعوهم الى مسكر يران . وحين وقف يران على قتل أخيه الآخر بكى وشق ثيابه واحتدت به الحمية فأمر بضرب الكوسات والزحف . فلتاق الجمعان ودام بينهما القتال من طلوع الشمس الى غروبها .

ولما جن الليل رجع كل واحد من الفريقين الى منازلهم فقال جودرز : لا أشك أن يران ينفذ الى أفراسياب ويعلمه بالحال ، ويستجده . فينبئني لي أيضا أن أنهى الحال الى الملك كيخسرو أخذا بالحزم . فأمر الكاتب فكتب الى الملك كيخسرو كتابا يذكر فيه إنفاده جيوا بالرسالة الى يران وجواب يران له ، وأخبره بما جرى على هومان ونستين وبمجن بلاه بيژن ، وذكر أن أفراسياب

(١) صل : عطشهما . والتصحيح من ك ، ط ، كو . (٢) ك : الله عز وجل . (٣) ك ، ط : هومان ونصب الخ .

(٤) ك ، ط : بأن . (٥) ك ، ط ، كو : وكتبوا يريدون . (٦) ك ، ط ، كو : كيخسرو (٧) .

قد قرب من جيحون، وقال : إنه لو عبر الماء واتصل بيران لم يمكن مقاومته إلا أن يتجشم الملك الحضور بنفسه . وإن لم يفعل ذلك فسوف يأتي الخبر حضرة الملك بما يعمل العبد معه . وسأله في الكتاب أن يخبره بحال رسم ولُمراسب وأشكس ، وما صار إليه أمرهم فيما وجهوا له . ودعا ابنه هير وسلم إليه الكتاب ، وأمره أن يسيره إلى الملك عجلا . فركب وتوجه نحو الحضرة في جماعة من خواصه . وسار ليلا ونهارا حتى وصل بعد سبعة أيام فسلم إليه الكتاب وأدى الرسالة . ففرح الملك بما أتاه من خبر الظفر بهومان ونسنيين ، وأمر فحشوا فاه الياقوت^(٢) ، وقرأوا عليه الذهب حتى غمره . ثم خلع عليه وعلى أصحابه ، وكتب إلى جودرز جواب كتابه ، وذكر فيه أن قرب أفراسياب من جيحون ليس مما توهمته بل لأنه استشعر من عساكرنا الثلاثة التي تقدمناها للتوغل^(٣) عليه من أطراف مملكته . وأما ما تشوقت إليه من الوقوف على أحوالهم فأعلم أن رسم قد استولى على جميع ممالك قشмир وكابل وغيرهما . وأما أشكس فإنه هزم شينه بن أفراسياب وكسره ، وتطلب على خوارزم وتلك الأطراف . وأما لمراسب فقد أطاعه جميع أهل ألان إلى أقصى الخزر ، واستوسقت له تلك النواحي . وهما نحن قد أمددناك بطوس (١) ، وسيرناه إليك في عساكره على طريق دهستان . ثم بعد ذلك نجشم مواكبنا النهوض نحوك ، ونطلع عليك براياتنا وفيلتنا المنصورة . ومع ذلك فلا تتقاعد عن قتال بيران ، ونابجه . وأرجو أن تظفر به وتفرغ منه قبل وصولنا . ثم ختم الكتاب بالسلام عليه عن الملك كيكالوس وعن طوس ، وختمه وسلّمه إلى هير ، وردّه إلى أبيه . ثم أمر طوسا بالارتحال بفيلته وجنوده وسلوكه على طريق دهستان إلى خوارزم (ب) . ثم استعدّ الملك وأعدّه ، وسار بنفسه في عشرة آلاف من الفرسان الخاصة . قال : ولما وصل كتاب الملك إلى جودرز فرح به وابتهج فأحضر الأمراء والأكابر ، وأمر فقرئ عليهم . ثم فرق الأسلحة والأموال عليهم ، وأمرهم بالتأهب والركوب لقتال العدو . فركبوا وأخذوا مصافهم ، ونظر إليهم جودرز فأعجبه ما رآه من كثرتهم وهيتهم وقال : لم ير من عهد جمشيد مثل هذا الجمع بهذه الزينة وهذه الهيئة . وسأبلغ بهم بقوة الله وسعادة الملك إلى أقصى الصين .

(١ ، ب) كودرز يقاتل عدو بلخ فكيف يسير طوس إليه على طريق دهستان ذاهبا إلى خوارزم ؟ عبارة الشاه :

وسيرنا طوسا ليستولى على دهستان وجرجان الخ فلم يكن طوس ذاهبا لإمداد كودرز .

(١) ك : فسار . (٢) ك : ط : أتاه . (٣) ك : ط : بالياقوت .

(٤) ك : ط : لما توهمته . (٥) ك : لتوغل طيه .

ذكر مكاتبة جرت بين جودرز ويران

قال : ولما بلغ ذلك ييران خاف ورعب ، والتجأ الى استئصال الحيلة والخديعة ، وشاور وزيره واستورى زناد رآه فيما يكف به حد جودرز . فأشار عليه بأن يكتب الى جودرز كتاب استعطاف . فكتب اليه يستدرجه مفتحا كتابه بمجد الله والثناء والاستعاذة^(١) من الشيطان المارد . وذكر أنه يسأل الله تعالى في السر والعلانية أن يرفع العداوة من بين هاتين الطائفتين فقال : وأنت أيها البهلوان ! إن أردت أن تملأ الدنيا بالفتن والحغن فقد أدركت ما أردت ؛ انظروكم قلت من أصحابي ، وأفئدت من رجالى . والى متى تقطع رعوس الأحياء في نار ميت قد بلى تحت التراب ؟ ألم إن لك أن ترق وتلين وتستريح من القتل والقتال ؟ أما تعلم أن من اشتعل رأسه شيئا فسفك الدماء منه أكثر عيا ؟ وأنا أخاف إن التقى هذان الجمعان مرة أخرى ألا يبقى على وجه الأرض أحد منهم تستقر هذه العداوة بين الحسنين أيد الدهر ، ثم الله أعلم بمقابلة الأمر وبالمخصوص بالظفر والنصر . فإن كان الحامل^(٢) على هذه الفتن ما احتوتنا عليه من البلاد الإيرانية فأعلمني لأكتب إلى الملك أفراسياب وأستأذنه في إعادة قسمة الممالك الى ما كان في عهد منوچهر^(٣)؛ فيفرج لك من هذا الحد الى باب السغد ، وفي الحد الآخر^(٤) يمكن رسم من جميع بلاد الهند الى آخر السند ، ومن الحد الثالث نسلم الى هراسب جميع ممالك الآن^(٥) وانحز الى جبل قاف ، وكذلك أعمل في الحد الذى توجه اليه أشكس . وإذا فرغت من ذلك عاهدتك بالإيمان المغلظة والمواثيق المبرمة على أن تكف اليد عن تخريب البلاد وقتل العباد ، وأنفذ الى الملك كيخسرو جميع ما يريد من الأموال والتخاير ، وأرهنه الرهائن من الأولاد^(٦) والأعزة . ولا ينبغي أن يتوهم الإيرانيون أن دخولى في هذا الباب صدر عن جبن وفشل . فانه غير خاف أنى أكثر منك رجالا ، وأوفر أموالا ، وأضعف قلبا وأرحب صدرا . ولكن قلبي يحترق على هذا الجمع ، وليس غرضي إلا حقن الدماء وحسم مادة العداوة والبغضاء خوفا من خالق الأرض والسماء . وإن أبيت إلا المضي في الفلواة فاحتر جماعة من رعوس الإيرانيين المشهورين بالشجاعة والبسالة ، واختار أنا مثلهم^(٧) من التورانيين الذين هم عندك مجرمون حتى يبارز بعضهم بعضا . ونبارز أنا وأنت أيضا حتى يسلم برآء الفريقين من معزة هذه الفتن . وذلك بشرط ألا يتعرض الغالب منا لمن خلف المغلوب من عساكره . وإن لم تجب الى هذا أيضا فافعل ما تشاء واعلم أن كل دم يسفك فأنت المتقصد

(١) ط : والثناء عليه . (٢) ك ، ط : والاستعاذة به . (٣) حل : انصوص : والتصحيح من ك ، ط .

(٤) ك ، ط : الحامل لك . (٥) ك : لفرج . (٦) ك : الذين .

(٧) ك : الأولاد الأعزة . (٨) فقط «مظلم» من ك ، ط .

لأئمه . حتى ختم الكتاب ودعا بولده روئين ، وأرسله إلى جوزدز . فلما قدم عليه تلقاه وأكرمه ، فسلم إليه الكتاب فقرأ عليه . فحسب الحاضرون من كلام يران وما تضمنته من التوبيه والتصرف في وجوه الاحتيال والخديعة . فأمر بإزالة الإقامة شرائط خدمته . وأشار عليه بأن يقيم عنده أسبوعاً حتى (ينظر فيها) ^(١) يحيب به عن كتابه . ثم استدعى الكاتب وأمر فكتب إلى يران وافتتح الكتاب بحمد الله والثناء عليه . ثم قال فيه : إني قرأت كتابك من أوله إلى آخره ، وعلمت ما فيه ، واطلعت على ما أدرجته في مطاويه . وبلغني روئين رسالتك التي شافهته بها . ثم إني ما رأيت كلامك إلا كسراب يخدع الظلمان ، وما أنا ممن يخدع بذلك . وما تفذت إليك ولدي جيوا في الأول إلا طلباً لحفن الدماء ، وإغماذاً لسيوف الفتنة . فأبئت إلا الشر . وكان من الواجب أن تدرك أولاً ما أدركته آخراً حتى لا يجرى عليك ما جرى ، ولكن شراسة خلقك وخبت ضميرك لا يخلياك أن تجري على قضيات العقول . وليس بمستنكر منك ذلك فإنكم جبلتم على طباع الشر من عهد تور بن أفريدون القاطع رحم أخيه إرج . وقد ظهرت آثار تلك الطبيعة على أفراسياب من أيام نوزد بن منوجهر فإنه أباح دمه . ثم ارتكب في أيام كيقباز من العظام ما ارتكب ، وهلم جرا إلى أيام الملك كيكائوس التي تعاطى فيها ما عرف واشتهر من تخريب البلاد الإيرانية ، وقتل رجالها ، واستباحة أموالها ، وما ختم به آخر الأمر من قتل سياوخش الذي أورث هذا الخطب العظيم . ثم قال فيه : وأما ما ذكرت من أنه يستمتع من المشايخ سفك الدماء ويستعظم فاعلم أن الله تعالى إنما أنسا لي في الأجل ، ومكنني من الخيل والخيول حتى أنتم منكم لسياوخش ولأولادى السبعين الذين أرقم دماءهم . ومهما لم أسع في ذلك فانا لله عاص ، ولأمره مخالف . وأما ما جنحت إليه من السلم فليس الأمر فيه إلى غايي لم أومر إلا بالحرب والقتال ، فإن كنت ترجو عاطفة الملك كيخسرو فنفذ إليه ولدك أو أخاك أو من ترى من الرهائن فإن الطريق إلى إيران مفتوح . وما ذكرت من تسليم البلاد والإفراج عنها لعبيد الملك فقد أراحك الله من ذلك . ولعلك لم تقف على أن ممراسب قد أخذ جميع ممالك الخزر وما يصادقها من النواحي والبلاد ، وأن رسم دقخ جميع بلاد الهند واستأسر ملكها ، وقهذه مقيدا إلى حضرة الملك ، وأن أشكس كسر شيزه بن أفراسياب حتى لم يفلت منه إلا بجريرة الذقن ، وأنه تغلب على خوارزم ودهستان وما والاها . وأما من هذا الجانب فهأنذا أخذ بمحققك ، وقد ذقت مرارة بأسى ، وشاهدت آثار صولتي . وإذا تحركت من مكانك واجترأت على ملاقاتي أرحتك من هذه المقالات ، وخلصتك

(١) ك : ثم ختم . (٢) ما بين القوسين من ك ، كو ، طا . (٣) ك : وأمره .

(٤) ك ، طا : وأمر .

من هذا الصداق بقوة الله ومعاندة الملك . ثم اعلم أنه لا سبيل الى انصراف هذه العساكر التي هي مائة ألف فارس أو يزيدون ، من غير تلاق و حرب ، لمجرد رقتك وخديعتك . ولا طريق ^(١) الى مصالحتي ومعاهدتي . فإنك لم تعاهد أحدا إلا قضت عهده وميثاقه . فلا غرة الله أحدا بمذهبك ودينك . فإنه لم يهلك سبأ وخش إلا اغتراره بيمينك . وأما ما ذكرت من اختيار المبارزين والاكتفاء بملاقاتهم عن تلاق سائر العسكرين فإن الملك لم يأذن لي في ذلك ، وليس يرضاه مني . والراي أن نفقت قتالا عاما ، فإن لم يظفر أحد الفريقين بالآخر عدلت حيثنذ الى ما ذكرت . وبعد فإنك إن كنت تريد بهذه الماطلة والمداغة أن تستمد أفراسياب أو تصلح ما تشئت من أحوالك ، أو تدأوى المجروحين من أصحابك فإني أمهلك الى أي وقت شئت . وإنما قلت ذلك حتى لا تبقى لك حجة ، ولئلا تقول غافضتي واهتبلت غرتي » . ولما تم الكلب أحضر أصحابه فأمر الكاتب فقراه عليهم فاستحسنوه . ثم خلع على روثين ووهبه عتة وخيلا ، وأطلق لأصحابه جملة ، وردّه بالكاتب الى أبيه . فلما أتاه ودفع اليه الكلب وقرأه عظم عليه جواب جوذرز ، ولم يطلع عليه أحدا ، وقال لأصحابه : إن جوذرز يأبى إلا البني والطفليان ، وبجانبه ما يقتضيه الراي والعقل ، وهو مصر على الطلب بئار أولاده . فإذا كان هو كذلك فما بالنا نحن لا نطلب بئار هومان ونستبين ؟ فالواجب أن نشمر للأمر ، ونفرغ وسعنا في قتالهم . ثم أرسل الى أفراسياب ، وأنهى اليه ما جرى بينه وبين جوذرز ، وأخبره بمقتل هومان ونستبين ، وعرفه كثرة عساكر المدوّ وقوتهم وشوكتهم ، وأن الخبر قد أتاه بأن الملك كخسرو عزم على إمدادهم بنفسه . وذكر أنه إن طلعت عليه راياته فلا طاقة له بالوقوف بين يديه إلا أن يطلع الملك أفراسياب في عساكره ، ويأمر الأمر بنفسه . فأتاه جواب أفراسياب يعزبه عن أخويه ، ويسليه بأن الحروب لم تزل بين الرجال بجبالا ، وأنها تستصعب مرة وتسعف أخرى . فلا يهمنك ما جرى . وأما الخبر عن مقدم كخسرو بنفسه فهو إرجاف بلا حقيقة ، وإنما نفذ طوسا على طريق ديهستان . وأنا عازم على عبور جيحون والاجتماع بك . وإذا فعلت ذلك لم أبق منهم عينا ولا أثرا ، ولم أخل من بلادهم حجرا ولا مدرا . وقد أمددتك الآن بشرة آلاف من أساد الترك الذين كل واحد منهم يقبض غناة عشرة من الإيرانيين ، فإذا وصلوا اليك فلا تقعد ساعة ونابجزهم . وإن تحصنوا بالجبل فدوخه بموافر الخيل ، وإذا ظفرت فلا تبقى ولا تذر منهم أحدا ، واحصدهم حصدا .

قال : ولما وقف يراى على ذلك استحضر أمراءه وأصحابه ، وحثهم على القتال ، فذهبوا وركبوا والتقى الفريقان ، ودامت الحرب بينهم من طلوع الشمس الى غروبها . وكانت وقعة عظيمة



قتل فيها كثير من الجبلانيين، وبارز فيها جيو مع يران وكاد يقتله أو يستأثره لكنه ساخت قوائم فرسه فوق^(١) في مكانه . فقال له ولده بيژن : إني سمعت الملك كيخسرو يذكر أن يران لا يقتله إلا جودرز فلا تصدّع نفسك وارجع . قال : ولم يظهر لأحد العسكريين غلبة على الآخر في هذا اليوم فانصرف كل واحد منهم الى مكانهم .

ولما كان الغد ركبوا وعادوا الى المعترك فأقام جودرز كُستهم في موضعه من القلب ، ورتب جماعة في الميمنة وجماعة في الميسرة ، وتقدم لمبارزة يران بعد أن أوصى كُستهم أن يحفظ المعسكر ويتيقظ في ذلك وبأن يثبت إن قتله يران ، ويتأني حتى يلحقه الملك كيخسرو . وأما يران فإنه أقام أخويه فرشيد ولُماك مقامه في القلب ، وأوصى اليهما بالحزم والتيقظ ، وأنه إن أصيب هو ينصرفان بالأسكر ويأدران عبور جيحون . فالتقى هو وجودرز وطال بينهما الحديث .

ذكر مبارزة الإصبهيين من الفريقيين

قال : فاستقر الرأي بينهما على أن يختار كل واحد منهما عشرة من المبارزين ، ويسعدوا عن المعركة الى موضع لا يراهم الديدان . ففعلا ذلك وعدلا الى مكانين تليين ، أحدهما على الايرانيين ، والآخر على الأتراك ، وشارطا أن كل من غلب من الجماعة قرنه انخاز وصعد الى التل الذي على أصحابه ، ويهبط منه اليهم . قال : فتبارزوا وتقاتلوا واشتغل كل واحد منهم بقرنه وجرى بينهم قتال عظيم لم يسمع بمثله ، وكانت الدبرة على الأتراك . وكان أول المبارزين فرى برز بن كيكلوس وقرنه كلباذ بن ويسه ؛ فضربه ضربة قتلت منكبته الى خاصرته ، فوقع الى الأرض ميتا . فزل اليه وشده بالهوق على فرسه ، وأخذ نحو التل راجعا . وكان الثاني جيو بن جودرز وقرنه من الأتراك كروزره الذي أخذ بلحجة سياوخش وذبحه ؛ بجرى بينهما قتال عظيم ، ثم إن جيو ضرب رأسه ضربة دؤخته حتى لم يبق عنده دفاع عن نفسه ، فذل اليه يده ورماه الى الأرض ، ثم نزل وكشفه ، وقدمه بين يديه ، وأخذ نحو التل . وأما المبارزان ثالثا فكان برازه من الايرانيين وسيامك من التورانيين فقبله برازه وقتله ، ونزل وشده على ظهر فرسه ، وصعد به نحو التل رافعا صوته بما تسنى له من الغلبة . والمبارز الرابع من الايرانيين رجل يسمى فروهل . وكان أرمي أهل عسكره ، وقرنه من التورانيين فارس اسمه زنگكه ؛ فرشفه فروهل فأصاب نخذه بنشابة مرق من ظهر فرسه فجا به ، ووقع الى الأرض ومات . فقتل واحترأ رأسه وشده بسموط سرجه ، وصعد الى التل رافعا بالظفر عقيرته . وأما الخامس وهو رهام

(١) ك ، ط ، كز : خلق كثير . (٢) ك ، ط : ووقف به . (٣) فقط «فالتقى» من ك .

ابن جودرز فانه بارز بارمان ؛ قتراميا حتى تغذت سهامهما ، ثم تضاربا وتطاعنا فأصابه رُهام بطعنة في ثغفه أذرتة^(١) عن ظهر فرسه ، فقام وهرب فبعه وطعنه في ظهره بطعنة تغذت الى كبده ، فوقع . فترجل عليه وشده على فرسه ، ورجع به صاعدا الى التل رافعا صوته فرحا وسرورا . وأما السادس وهو بيژن بن جيو وقرنه روئين بن يران فإنهما تصاولا حتى أصابه بيژن بممود زهقت منه روحه وهو على ظهر فرسه ، فوقع الى الأرض متفصا بشبابه الناضر وجماله الزاهر ، فترجل عليه بيژن وحمله على فرسه وصعد به الى التل مُدلا بياسه ورافعا صوته . وأما السابع وهو هير بن جودرز فانه بارز فارسا من أقارب أفراسياب يسمى سيهرم ، وكان من الأعيان المذكورين في عساكر الترك ؛ فتضاربا زمانا طويلا بالسيوف ، ثم إن هير ذكر الملك كيخسرو وسماه ، وحمل بمعادته عليه فأصابه بضربة وقع منها الى الأرض صريعا للدين وللقم . فترجل وحمله على فرسه وصعد راجعا . وأما الثامن وهو زنكه بن شاوران فانه بارز أميرا منهم يسمى أُخَواس^(٢) . فتضاربا زمانا طويلا حتى وقفت بهما دوابهما من كثرة القراع وشدة المصاع ، وغلبهما العطش حتى استكف كل واحد منهما صاحبه ريثما يتقع غلته بشربة ماء . فلما شربا وعادا الى القتال غلبه زنكه وقتله وربطه على فرسه ورجع به نحو التل . وأما التاسع فهو جرجين بن ميلاد ، وكان قرنه من التورانيين فارس يسمى أندريمان ؛ فراماه حتى أصابه بسهم خاط مجته على رأسه ، وأعقبه بنشابة أخرى نخر من الفرس . فترجل واحتر رأسه وعلقه من سموط سرجه^(٣) ، وركب وجنب فرس قتيله ، وعاد نحو أصحابه . والعاشر من الايرانيين فارس يسمى برنه وقرنه من التورانيين فارس يسمى كهرم فتضاربا حتى علاه برنه بسيفه فقده بنصفين فترجل وحمله على فرسه وعاد نحو التل^(٤) .

ذكر مبارزة جودرز ويران وقتل جودرز له

قال : فزحف البهلوانان أحدهما الى صاحبه وتقاتلا زمانا طويلا تارة بالسيوف وأخرى بالرماح ، ومرتة بالخنجر وأخرى بالعمد ، حتى كَلَّ كُلُّ واحد منهما ومَلَّ ، قتراميا فأصاب جودرز فرس يران بنشابة خرقت التجفاف ومرقت فيه ، فاقلب على يران فانكسرت يمين يديه ، فقلب في التراب ثم وثب وعدا هاربا نحو جبل هناك فارتقى فيه وهو يرجو ألا يتبعه جودرز . فنظر اليه جودرز فأذرى دمه ، واستشعر الخشية من تصاريף الأيام علما منه بأن الدنيا غدارة دأبها الخفاء

(١) ك ، ط ، كو : أذرتة . (٢) يقظ : اخاست . (٣) ك : فترجل عليه .

(٤) في الشاه ، كو : يرحي . (٥) ك ، ط : وعاد به .

٢٦٤

وعادتها الصدر وقلة الوفاء ، فصاح به وقال : أيها البهلوان المذكور ! مالك تقزى بين يدي راجلا ؟ أما زعمت أنك لا ترى لنفسك مساجلا ؟ أين ذلك الفيلق الجزار ؟ ما بالك لا يفتك منهم أحد ؟ أين عدتكم وشوكتكم وأين بطشكم وقوتكم ؟ لقد أدبرت السعادة عنك ، وانكسفت شمس أفراسياب بما حدث بك . وإذا بلغ بك الحال الى هذا فينبغي لك أن تسأل الأمان حتى أحملك حيا الى الملك كيخسرو فإنك شيخ مثل أشيب الرأس ، وقد رق قلبي عليك ، ولست أريد قتلك . فقال : حاشاى من هذا ومن أن أذل لأحد من الأنام . إني لم أولد إلا للهام ، فلا أحب أن أموت إلا مينة الكرام . فترجل جودرز ، ورفع الترس فوق رأسه ، وصعد اليه ، فرماه ييران بمزراق كان معه فأصاب عضد جودرز ، وهرق منه . فاستشاط جودرز عند ذلك ورماه بمزراق فى ظهره فنفذ الى كبده ، فغار الدم من فيه ، ووقع الى الأرض يتفرغر بحشاشته حتى قضى نغبه . فصعد اليه جودرز وغرف من دمه غرفة وتشربها تشفيا لسياوخش ولأولاده السبعين . وهم بأن يحترق رأسه فأدركته رقة منعه من ذلك . فتركه وغرز عليه عند رأسه ليحوى وجهه عن حر الشمس ، وركب وطاد الى عسكره والدم يفيض من عضده فيضا . قال : وكان الإيرانيون قد فزعوا حين أبطأ جودرز ، وتوهموا أنه قتل فجزعوا وجعلوا يركبون . فبيناهم كذلك ادترأى عليه من بعيد ، ففرحوا وضربوا البشائر . فلما قرب منهم حسبوا أن ييران أعجزه فانصرف عنه ، حتى حكى لهم عند وصوله ما جرى له مع ييران فأشار الى مصرعه بإصبعه ، وأمر ابنه رهام بأن يذهب الى ذلك المكان ، ويحمله بعذته وجثته على فرسه ، ويأتى به الى المعسكر . ففعل ذلك وجاء به مربوطا على فرسه . فأتى الإيرانيون عند ذلك على جودرز وشكروه . ثم قال لهم : إني لما توهمت أن أفراسياب يبر الماء تقذت الى الملك كيخسرو وسألته للحاق بنا ، ولست أشك أنه يصل عن قريب . فخلوا هؤلاء القتلى مربوطين على ظهور الخيل حتى يصل الملك ويأمرهم على هذه الهيئة . فبيناهم كذلك اذ صاح الديدبان من ذروة الجبل وبشرهم بطلوع مواكب الملك كيخسرو وظهور راياته . فاستبشروا وضربوا البشائر . وسيأتى ذكر مقدمه من بعد إن شاء الله تعالى .

ذكر اطلاع فرشيد وملك على مقتل ييران وما جرى عليهما بعد ذلك

قال : بفاء ديدبان التورانيين الى فرشيد وطسك وأخبرهما بصعود البارزين من عسكر إيران الى التل الذى يليهم ، وأنهم ظفروا بالتورانيين وقتلهم ، وأعلمهما^(١) أيضا بطلوع عسكر عظيم مقبل من صوب إيران . قال : فصعدا الى مربا الديدبان فشاهدا بأعينهما ما أخبرهما به من طلوع العسكر ،

(١) حل : أعلمهم . والتصحيح من ك .

وتحقق عندهما قتل أخيهما ييران ومن كان معه ، فوقع فيهما البكاء والمويل ، واجتمع اليهما الأمراء والوجوه فقالوا لهم : إن المحذور قد وقع . وأتم مخيرون بين ثلاث : إما أن تولوا الأدبار منهزمين ، وإما أن تستامنوا اليهم أذلة صاغرين ، وإما أن تقاتلوا عدوكم مشمرين عن ساق الجدد أجمعين ، وتكونوا منتظرين لوصول المدد من أفراسياب ، فإن ييران كان قد أرسل اليه واستمده ، وسيصل المدد عن قريب . » فقالوا : إذا ذهب الراعي تفرق القطيع . وحينئذ فلا يحصى ما تذكران ، ولا عار في طلب الأمان . وبعد أن جرى ما جرى فسواء عندنا أفراسياب وهذا التراب . فإنه لو كان له شفقة علينا لأغاثنا بنفسه كما أغاث كيخسرو أصحابه . » فعلما عند ذلك أنه فشا فيهم الفشل ، واستولى على قلوبهم الخوف والوجل ، فاختارا عشرة من أعيان الفرسان ، وسارا فيهم قاصدين حضرة أفراسياب ، فصادفوا في طريقهم جماعة من طلائع الإيرانيين ، فاعترضوهم وجرى بينهم قتال عظيم فقتل سبعة أنفس من الإيرانيين والعشرة الذين كانوا معهم من الترك ، وخلصا وحدهما وأخذوا في طريق توران . فراهما الديبدان فأعلم جودرز بأن فارس قد ركباً طريق توران يفدان السير طريداً وركضاً . فقال جودرز : إنهما لا يكونان إلا هلاك وفرشيد يردان الخاق بأفراسياب . ومتى سلما حتى يصلا إلى توران تضررنا بذلك . » فالتفت إلى أصحابه وقال : من يكسب اسماً رفيماً وصيتاً جليلاً فيلحق بهما وينجي عليهما ؟ فما أجابه غير كستهم فإنه قال : أيها الهلوان ! إنك لما خرجت إلى المبارزة أقتنى مقام نفسك في العسكر فلم يحصل لي من الاسم ما حصل لغيري . فاني إذا أتتدب لهذا الأمر . فضحك جودرز ، ومرّ بقوله ومدحه وأثنى عليه ، واستعجله ، وقال له : تأهب . ودعا له بالظفر فوثب كستهم ، وليس درعه وركب وودع من رأى هناك من أصحابه ، واقتنى أثرهما يطرد كالريح العاصف . فبلغ ذلك بيژن بن جيو فأتى جده وأنكر عليه إنفاذه لكستهم وحده إلى فارسين مثلهما في قوتها وشجاعتها . فندم جودرز وقال : من يرافق كستهم وسينه عليهما ؟ فقال بيژن : أنا ، ولا يتولى ذلك غيري . فان قلبي يرق عليه وأستحي منه إذا تخلفت عنه . » فتمنه جده من ذلك . فأبى إلا المضي ، وقال : إن لم تأذن لي قطعت رأسي بهذا الخنجر . » فأذن له عند ذلك . فركب وطار يجتاح الركن خلف كستهم . فلما بلغ أباه جيوا صنيعة ذلك تبعه حتى لحقه ، وثنى بالعنف عنانه ، وقال : كم تمذّبي وتؤذي قلبي ، وكم تلقى بيدك إلى التهلكة ! وجعل يوبخه ويقزعه ، وهو يأبى إلا الاستمرار في طريقه . وقال لأبيه : إنه لا يليق بك أن تنسى ما ثبت له علي من الحقوق ،

وكأنك نسبت ما أسداه إلى من الجبل في وقعة لآون (١) . فلا أفارقه اذا في سراء ولا ضراء . فقال له عند ذلك : وأنا أيضا آتي مملك . فقال : لا كان أبدا انتداب ثلاثة منا لتركين قد أشرفا على الموت . وحلف وأقسم عليه بحياة الملك ورأسه وحياة البهلوان أن يرجع ويدعه وشأنه . فأجابه إلى ذلك ورجع . ومضى لسيله وانطلق . قال : وقطع الفارسان المطلوبان سبعة فرائخ في أقرب زمان ، وانتهيا إلى غيضة فيها ماء ، فربما عدّة من الغزلان وشويا من لحومها ، وطعيا . فنام أحدهما على حافة الماء ، وقعد الآخر ينظر . فوصل كستهم إلى ذلك المكان ، وأحس فورسه بحاسة الشم بفرسهما ففصل بجأوه فرس لملك ، فأحس بالشر ، وأيقظ أخاه ، وقال له : عجل فقد لحقنا الطلب . فربكا ونحرا إلى فضاء بين أيديهما فترأى لهما كستهم ، فوقفا ساعة وتبصره فلم يريا خلفه أحدا . فقالا : إنه رجل واحد ، ولا ينبغي أن نهرب ، بل نثبت له . وليس يمكن أن نجو منا إلا أن يدركنا الشقاء فيظفره بنا . ولما قرب كستهم صاح عليهما صياحا شديدا ، ورشقهما بالسهم فأصاب فرشيذ بنشابة وقع منها إلى الأرض ومات في الحال . فلما رأى أخوه ذلك حمل عليه وتقاتلا قتالا عظيما ، وجرح كستهم جراحات ، ثم إنه مع ما به من الجراحات ، ضرب لملك بسيفه ضربة أطارت رأسه . وانتهى بقتلهما أمر الترك ، ونحمد جرمهم ، وصاروا رمادا تذروه الرياح . قال : وبقي كستهم على ظهر فورسه مشخنا بالجراحات وكاد أن يتلف لكنه تماسك وساق حتى اتبى إلى ماء وظل فقتل وشرب من ذلك الماء ، وشذ فورسه بشجرة ، ورمى بنفسه إلى الأرض وجعل يتترغ في التراب ويسأل الله تعالى أن يحركه قلب بيژن بن جيو أو قلب غيره من الإيرانيين حتى يلحقه ويحمله إلى المعسكر حيا أو ميتا ، ويحمل رموس الفارسين إلى حضرة الملك حتى يعلم أنه لم يمت إلا عن بلاء حسن . وبقي طول ليله يئن ويتقلب في التراب مقللا من فرط الوجع . ولما أصبح وصل بيژن إلى ذلك المكان ، وأخذ يدور حوالى ذلك المرج يطلب كستهم كالناشد لضائه . فرأى فورسه منكس السرج مقطع الجسم ، فجعل يتحبب ويبكي ويندبه . وانبج أثر الفرس فانتهى إليه فوجده مقطع الجوش ممزق البدن مضرجا بالدم معفرا في التراب . فقتل ونزع عنه سلاحه وقياءه ، فرأى بدنه قد اصفر من زرف الدم ، فوضع خده على تلك الجراحات وهو يبكي . فتحرك كستهم عند ذلك ، وتنفس الصعداء ، وقال : أيها الحبيب الناعم ! لا تحمل على نفسك كل هذا فإنه أشد عليّ مما أنا فيه . واسترجع رأسى بالترك (ب) ، واجتهد في حملى إلى حضرة الملك . فإن قصارى بغيتى وغاية أمني أن

(١) هي الوقعة التي هزم فيها الإيرانيون ، وقتل أولاد سكودرز وكان قائدها فربرز بن كيكاروس . انظر ص ٢١٣ من .

(ب) ترك : الخوذة أو القلنسوة .

(١) حمل : وقلب . والصحيح من ط ٥ .

أترؤد منه بنظرة ، وأقر عني بطلمته ولو لحظة . وإذا مت بعد ذلك مت وليس في قلبي حسرة .
 فإني لم أولد إلا لوت . ومن أدرك أمله فكأنه لم يمت . وأيضا تجتهد فلعلك تستطيع أن تحمل
 هذين العدوين اللذين أهلكهما الله على يدي إلى المعسكر . وإن لم تقدر فاحمل رءوسهما وعدتهما
 حتى تعرضها على الملك ليعلم أني ما هلكت في غير شيء . » وأشار له إلى الموضع الذي قتلها فيه ،
 وأراه مصرعهما . ولما فرغ من ذلك اعتقل لسانه فاضطرب يئز على رأسه ساعة ثم وثب يئز
 وجاء بفروسه ، وحل حزامه ولبيه ، وأخذ لبدته وفرشه تحته ، ومزق أذيال قرطفه ولف نرقها على
 مواضع جراحاته . وركب وأصعد فرأى فرسان الأتراك منفترقين في الطريق فأمر منهم تركيا ، وأعطاه
 الأمان . وصار إلى مصرع القتيلين فرأى فرسيهما واقفين عندهما ، فأمر التركي لخمليهما على فرسيهما
 وشدهما ، وجاء إلى كسنتهم فأركبه على فرسه وأردفه التركي يمسكه ، وأقبل به يسوقه رهوا رهوا رجاء
 أن يوصله إلى الملك وبه رمق .

ذكر وصول الملك كيخسرو واتصاله بعساكره وما جرى بعد ذلك

قال : فوصل الملك كيخسرو فاستقبله الإيرانيون ودعوا له وأثنوا عليه ووصفوه بالفضل والعلم
 والقوة والشجاعة وغيرها من الفضائل . ووقف زمانا على ظهر الفرس حتى رآه جميع العسكر . ودعا لهم
 وأثنى عليهم وشكر سعيهم . فجاء جودرز من بعد ومعه المبارزون العشرة الذين ذكرنا قصتهم . فلما
 دنا من الملك نزل وسجد له ثم رفع رأسه ودعا وأثنى عليه ، فأراه القتلى المذكورين ، ونسب كل واحد
 منهم إلى قاتله . وجاء جيوبن جودرز بقرنه الذي أسره وهو كرو قاتل سيباوخش ، فقتل الملك
 في الحال وكشف رأسه وجعل يشكر الله تعالى على أن ظفره به ، ويمجده وهو واقف على رجله .
 فشكر جودرز وأصحابه ومدحهم ، وقال : أتم الآن شركائي في الملك والمملكة . ثم نظر إلى القتلى فلما
 وقع عينه على يران بكى وفاضت دموعه لاسلف له إليه من الإحسان ، وتوجع لمصابه وتحرق عليه
 كالجر في التهاب . وضرب له وهو يبكي مثلا فقال : إن الشقاوة تعبان يلتهم الأسد ، ولا ينجو
 بالرجولية منه أحد . إن هذا طول عمره كان يعني بأمرى ويتحمل المشاق والمكاره من أجل ،
 وكان موجع القلب في وقعة أبي . ثم ملك الشيطان قياده ، وبأغواء حتى أنساه رشاده . وكتم وعظته
 ونصحته فلما نجحت فيه موعظة ولا نفعته نصيحة . وكنا أردنا أن نجازيه بغير هذا حتى أعدنا له

(١) ك : بالعلم والفضل . (٢) ك : منهم (٣) ك : وقت .

التاج والتخت . والان قد سبق السيف العذل ، وبهذا جرى قلم التقدير في الأزل . ثم أمر
 فحشوا دماغه بالمسك والكانفور ، وكفنوه في الدياج والحريز ، ووضعوه على تخت في ناووس
 بنوه له . ونظر الى قاتل أبيه فرأى له وجها مشوها وشعرا مفرعا كأنه غول . فقال : ما أدرى أى
 ذنب أذنب كيكاوس حتى سلط الله مثل هذا الشيطان على ولده سیاوخش ؟ ثم أمر نخلعوا مفاصله
 ثم قطعوا رأسه ورموه الى الماء . وبقي الملك أياما في ذلك المكان يدير أمر المسكر نخلع على الأمراء ،
 على اختلاف مراتبهم ، وأحسن اليهم على تغلوت طبقاتهم . ووهب لجودرز ممالك أصهبان ، وأعطاه
 بها تحت السلطنة وتاجها . وأرسل عسكريان الى الملك كيخسرو رسولا يذكر أنهم يطلبون الأمان
 ويتصلون من إساءتهم في إقدامهم على مقاتلة جودرز ، ويذكرون أنهم اضطروا الى ذلك وحملهم
 عليه الخوف من معزة أفراسياب على أولادهم وأهاليهم . فأنهم الملك على أرواحهم ، وقال : من
 أراد منكم أن يقيم في خدمتنا فليقم ، ومن أراد أن يلحق بأفراسياب فليلحق . فجاءوا وحلفوا بالآيمان
 المغلظة أنهم لا يتزعون أيديهم عن طاعته ما عاشوا . ففرقهم في أطراف ممالكه ، وفذل كل طائفة
 الى ناحية منها ، وقسم على عسكره ما أفاء الله عليه من المغنم . قال : ثم إن الديديان أخبر بطلوع
 فارسين مع ثلاثة أفراس وعليهما ثلاث جثث . واذا يرثن قد طلع على الهيئة التي سبق ذكرها فسجد
 للملك . فسأله عن حاله فأخبره بحال كُستهم وقتله لفرشيد وهلاك ، وقال : إن أمنيته أن ينظر الى وجه
 الملك فظرة . فأمر بإحضاره ، فأحضر ، فتوجع له الملك وعظم عليه ما نزل به ، وكان من الألم بحيث
 يتوهم أنه لم يبق فيه نفس . فلما قسم ربح قرب الملك فكأنه أحس بأدنى إفاقة . فنظر الى الملك
 فأذرى دمه . وكان مع الملك خرزة قد ورثها من الملوك السانقة من جم الى أوشهنج الى طهمورث (١) .
 فشدها على عضد كستهم ، ومسح مواضع جرحه بيده المباركة ، ورتب عنده الأطباء الذين كانوا في محبته
 من بغداد الى الروم والهند وسائر البلاد . فبرأ كستهم بعد أسبوعين ، فجاءوا به الى حضرة الملك ففرح
 بسافته ، وحمد الله وأثنى عليه ، وقال : إن الله تعالى أجرى أموري على السداد ، وقضى لي بمحصول
 المراد ، ولم يبق علي موارد نعمة هذا الظفر بموت كستهم . وليس هذا كله إلا من فضله الواسع
 ولطفه الشامل .

(١) نسق هذه الأسماء الثلاثة لا يوافق التاريخ المعروف — كما بينهم ما تقدم .

(٢) ك : قلم التقدير . (٣) ك : نجزت قصة كزرقة المروقة برفعة يازميرج .

ذكر وقائع الملك كيخسرو وشرح فتوحه ومقاماته التي شهدها بنفسه §

قال مترجم الكتاب : لما انتهت الى هذه الترجمة رأيت الفردوسي قد افتتحها بأبيات نظمها في الثناء على من عمل له كتابه ، وهو السلطان أبو القاسم محمود بن سبكتكين ، يصف فيها مفاخره ، وبأثر ماثره . فرأيت أنا من توجت أسماء الملوك في كتابي باسمه ، ونشرت معاملهم برسمه ، مولانا السلطان الملك المعظم ملك العرب والمجم ، أبا الفتح عيسى بن السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، أعلى الله شأنه وغلده سلطانه ، أحق بالحمد والثناء من محمود ، وأحرى بالتقدم على كل ذي طالع مسعود ، لما فضله الله تعالى به عليه وعلى غيره من ملوك الأرض من خصوصية علمه الذي طمس صوى الضلال ، وأثار منار الاسلام ، وأقام بالناس على المحجة البيضاء في أحكام الحلال والحرام ، ثم لجلالة دوحته المليء التي تهطلت من أغصانها قطوف السعادة ، وتوشجت عروقها في أرض العز وتفرعت أفنانها في سماء السيادة . فلم يبق قطر من أقطار ممالك الاسلام إلا وتظله من هذه الدوحة الكريمة شعبة سراق ظلها بمنند ظليل ، وللخلاق في سوايح أفيانها وكنف رخائها ملجأ ومقيل . ثم لروعة سلطانه ونفامة شأنه ، وما شمل العالمين في أيامه الزاهرة من فضله وإحسانه ، وما حصل لهم من اطمأنينة في جنبه أمنة وأمانه . حتى إن الراكب لو سار في أطراف ممالك هذا البيت الكريم التي هي

§ بهذا الفصل تنتهي الملاحم العديدة التي بدأت أيام أفريدون بقتل ايرج ، وأزنها قتل سیاوش بعد . والنهاية ، كما يرى القارئ ، أن يظفر كيخسرو وجده كيكاوس بأفراسياب نفسه فيقتل هو وأخوه كرسوز الذي أمر من قبل في وقائع الملك كيخسرو . وبهذا يتغير سير الوقائع في الشاهنامه ، كما يبين بعد في فصل لمراسب .

ثم هذا الفصل ٣٢٠٠ يت فيها العناوين الآتية :

- (١) مدح السلطان محمود . (٢) خسرو يعي جوشه لحرب أفراسياب . (٣) أفراسياب يعلم بمقتل يران وأن كيخسرو يستعذله . (٤) خسرو يسمع أن أفراسياب قادم لحربه .
- (٥) شينه يأتي الى أبيه أفراسياب . (٦) أفراسياب يرسل رسولا الى خسرو . (٧) خسرو يهيب أفراسياب . (٨) خسرو يبارز شينه بن أفراسياب . (٩) شينه يقتل بيد خسرو .
- (١٠) اللقاء الجيشتين . (١١) هرب أفراسياب . (١٢) خسرو يغرب كلوس بالنصر .
- (١٣) أفراسياب يذهب الى كنهك جهشت (جنة كلك) . (١٤) خسرو يعبر جيجون .

مسيرة سنة أو كادت لما تنفس الصعداء ، ولم ير إلا النعم والرخاء ؛ سياسة حبس بها خوادر الآساد في الأخياس والأجم ولا كنوانس المختبرات في الأستار والكلل ، وهية كادت النار ترتدع بها عن التثبث بذيل الكبريت ، ويتجر الهواء عن استباحة أرج المسك الفتيت ، وتواضعا لله تعالى في رفع أرغم أناف الأكاسرة الماضين ، وكما أدنى ثمار أياديه لجنتها الدانين والقاصبين ، ومعدلة رفعت عن العالم اسم المظلوم والظالم ، ورأفة ترق فيها البزاة أفراخ الحائم . ثم لا خفاء على كل ذى بصيرة أن ما اختص به هذا السلطان ، خلد الله ملكه ، من فضله الزاهر ، وأصله الطاهر ، وعدله الظاهر فضائل من ^(١) قواعد السلطنة ومباني الملك والمملكة ، ولم يرزقها محمود على ما نطقت به ألسنة التواريخ . فلو عاش الفردوسي وأدرك أيام هذه الدولة القاهرة لود أن تكون مدائمه عليها موقوفة ، وإلى ذكر محاسنها مصروفة ، ولا حذر اعتذار أبي نواس بقوله :

إذا نحن أثينا عليك بصالح فانت كما ننثي وفوق الذي ننثي
وإن جرت الألفاظ يوما بمدحة لغيرك إنسانا فانت الذي ننثي

وقد أثبت في هذا المكان ، اقتداء بالفردوسي ، قصيدة كنت نظمها في مولانا السلطان ، أعز الله أنصاره ، وضاعف اقتداره ، وأنشدتها في حضرته العالية في ذى الحجة سنة عشرين وستمئة .

= (١٥) خسرو يواقع أفراسياب المرة الثانية . (١٦) أفراسياب يعتصم بجنة كك .
(١٧) أفراسياب يستجد فففور الصين . (١٨) خسرو ينزل على جنة كك . (١٩) جهن يأتي رسولا من أفراسياب الى خسرو . (٢٠) خسرو يحيب جهنا . (٢١) خسرو يحارب أفراسياب ويأخذ جنة كك . (٢٢) هرب أفراسياب من جنة كك . (٢٣) خسرو يؤمن أسرة أفراسياب . (٢٤) خسرو ينصح الإيرانيين . (٢٥) كتاب الفتح من خسرو الى كاوس .
(٢٦) خسرو يسمع بقدم أفراسياب وجيوش فففور . (٢٧) رسالة من أفراسياب الى خسرو .
(٢٨) حرب الإيرانيين والتورانيين . (٢٩) أفراسياب يبيت الإيرانيين فيهمزم . (٣٠) فففور الصين يرسل الى خسرو . (٣١) أفراسياب يعبر البحر . (٣٢) خسرو يرسل الأمرى والمغانم وكتابا الى كاوس . (٣٣) جواب كاوس الى خسرو . (٣٤) رسالة خسرو الى فففور الصين ، وملك مكران . (٣٥) خسرو يحارب ملك مكران فيقتله . (٣٦) خسرو يحتاز البحر .
(٣٧) خسرو يبلغ كك دژ . (٣٨) خسرو يرجع من كك دژ الى سياوخش كرد . =

وهي تشتمل على ذكر بعض سيره وطرف من مفاخره . ليقف عليه الناظر في هذا الكتاب ولا يستعظم ما يتر به عن الملوك الماضين والسلاطين الأولين . والقصيدة هذه :

خضعت لرغبة قدرك الجوزاء	وتقاصرت عن فضلك الدأماء
سدت الملوك جلالة فهم الرى	فينا وأنت الذروة السماء
بشعاع دولتك المنيرة في الورى	ظهروا وزايلهم بذلك خفاء
لولا جهور الشمس مشرقة السنا	ما كان يظهر في الهواء هباء
ما إن أقل الأرضُ مثلك مالكا	بين الأنام ولم تظل سماء
فاذا انتطقت ثققلت أسدالشرى	واذا نطقت تبيلل الفصحاء
لما دجا للجهل ليل مطبق	فوق الورى وتمادت الظلماء
حتى لو ان الشمس فيها أشرقت	خبطت كما قد تخبط العشواء
أدركتهم بصباح فصل ساطع	فاضت على الدنيا به الأضواء
ونشرتهم بمد المات وإنما	أنفاس عيسى دأبها الإحياء
لله منك أثم متجع الذرى	في راحيته المنع والإعطاء
كرم ولطف صورا قمتلا	بشرا عليه رونق وبهاء ^(١)

= (٣٩) خسرو يرجع الى إيران . (٤٠) خسرو يرجع الى جدّه . (٤١) أفراسياب يؤسر بيد هوم من نسل أفريدون . (٤٢) أفراسياب يخلص من هوم . (٤٣) كاوس وخسرو يجهان الى هوم . (٤٤) أفراسياب يؤسر مرة أخرى ويقتل هوو كرسوز . (٤٥) كاوس وخسرو يرجعان الى ولاية فارس . (٤٦) موت كاوس . (٤٧) خسرو يضيق بالحياة . (٤٨) الملأ يسألون لماذا احتجب خسرو . (٤٩) الإيرانيون يدعون زالا ورستم . (٥٠) خسرو يرى سروش (ملك) في المنام . (٥١) زال يعظ خسرو . (٥٢) خسرو يعجب زالا . (٥٣) زال يوبخ خسرو . (٥٤) جواب خسرو واعتذار زال . (٥٥) خسرو يعظ الإيرانيين . (٥٦) خسرو يوصى الى كودرز . (٥٧) زال يسأل خسرو منشورا لرستم . (٥٨) خسرو يعطى كيو منشورا . (٥٩) منشور طوس . (٦٠) خسرو يستظف لهراسب . (٦١) خسرو يودع جواريه . (٦٢) ذهب خسرو الى الجبل واختفاؤه في البرد . (٦٣) البرد يهلك الأبطال . (٦٤) علم لهراسب باختفاء خسرو .



وصفت مهابتَه فألمبت اللفى
في الطامنين وفي العصاة جميعهم
للأملين على خزائن جوده
تشفى غايل بشره ظلل المنى
ويرى له في بسطه باع الندى
أما العلوم فهن طوع قياده
جاراه فيها السابقون فاقصروا
فاذا انتدى يوم الندى وأحدثت
يلقون بحرا ساكنا وهم له
فاذا طما غمروا لديه كما اختفى
واذا هذا قاموا بلاء صدورهم
وكذا الخضم اذا طفا متلاطما
ملك له يومان يشمل فيهما
فاذا بدا يوم اللقاء رأيتَه
سنان آلاف لديه وواحد
مصمصاه في كفه متجزدا
إن أريدت يوم التزال تدققت
واذا تجلى في مجالس أنسه
فكأنه كيخسر^(١) في تاجه
وأمامه من رأيه الجلام الذي
في مجلس يذكي الرحيق حرقه^(٢)
بالقصر من جنات غوطة طالما
ودنين أوتار ورجع كراين
من لم ير الفردوس غضا ناضرا
فتراه في الايوان تشرق وقفا

ذكرت لطافه فسال الماء
نظراته السراء والضراء
في كل يوم غارة شعواء
فلقاؤه للاملين ثراء
من كل أمانة يد بيضاء
قد راض ريشها عليه ذكاء
عن شأوه فهم لديه بطاء
بساطه العلماء والحكماء
متظامنون كأنهم أحساء
في زارة الأسد المحصور ثناء
حكما بها تفهوا^(١) وضاق إناء
سال الجدلول وهي منه ملاء
أهل البسيطة راحة وعناء
أسدا وآساد العرين ظباء
فهم الجراد وبأسه التكباء
برق جلته مزنة وطفاء
منها على أرض المدودماء
كللاء فيه عذوبة وصفاء
تبدو عليه روعة وبهاء
بانت له في نوره الأشياء
فيه فيعقب بالأريج هواء
تجلى عليه القهوة الصبأ
تصنى اليها الصخرة الصماء
فليحضرن فالجئاتن سواء
قدماه الأملاك والأمرءاء

(١) كء طاء كو : تفهوا . (٢) صل : رحيقه والتصحيح من كء طاء .

كالبدري في كبد السماء وحوله	زهر جلاها من سناه ضياء
فهم الحواريون وهو بفضلله	عيسى . فعاشوا ما يشاء وشاءوا
تمت ياملك الملوك بجهم	بل متموا بك ما أقام حراء
فهم كأجساد وأنت حياتهم	لم يملكك لا يزال بقاء
فتمل هذا الميد وابق غلدا	يسمو بذكرك رفعة وعلاء
واذبح عداك مضحيا بهم فهم	بقر اذا ما خالفوك وشاء
واعطف لعبد ماله متمك	إلا رجاؤك واليد السحاء
استغرت خدماتكم أنفاسه	ومدأخ يعني بها وشاء
جهد المقل لمكثر من أنعم	ما إن يحيط بوصفها البقاء

[مدح السلطان^(١) محمود]

لله نر الملك الكبير ، الذى يزهى به التاج والخاتم والسرير . صاحب الصيت الذائع وخزائن الذهب ، وحليف الدرع والسيف والنصب . الذى تثن كنوزه من فيض العطاء ، ويظل مجده وجهه فى علا . وجنده من البحر الى البحر يحول ، والعالم فى ظل من تاجه ظليل . لم يبق فى معادن الأرض ذهب ، إلا قرأ منشور جوده فذهب . يسلب العدو ويمنح الصديق ، والله له نعم الناصر والرفيق . هو فى المآذب يتلاف معطاء ، وفى الهيجاء حمال الأعباء . وقد أثمرت به غصون العقل والدين ، وسبق ظنه العقول الى اليقين ... قوى حشر الجند أفواجا ، فلم تجد الرياح بينهم أدراجا . يتبع عسكره سبعائة فيل ، والله مولاه وجبريل . يسوم الجزية كل أمير . وكل ملك نابه وبطل كبير . فإن لم يعطوا صاغرين الخراج ، أعطوا الممالك والكنوز والسرير والتاج . من ذا الذى يستطيع أن يأتى عن عهده ، أو يصدف عن أمره ؟ ملك أضاء به سرير العالم ، وجبل فى الدرع يوم التصادم . « أبو القاسم » الملك الشجاع الأصيل ، الذى يغلب على العير برائن الأسد . ملك العالم «محمود» مسعر الهيجاء ، وناثر رموس الأبطال على القراء .

فراش مبسوط على الزمان ، لا يطويه الحدتان . مكان السرير من ذلك البساط المهد ، مجلس «الفضل بن أحمد» ، الذى نشر فى المملكة الطمأنينة ، وأرجى الى الكبراء العقل والسكينة . ماظفرت

(١) أثبت هنا ترجمة القطعة التى حفظها المترجم . وقد حفت قليلا منها إيجازا . وترجمتها مسجومة لتقارب الأصل بعض المقاربة . وقد التزمت أن أترجم كل شطرين بسبعين .

الملوك بمثله وزيرا، حزنا وجودا ودينا ورأيا منيرا . طاهر اليد فصيح اللسان، مخلص لله وللسلطان .
لقد كشف عنى الغم والحزن، ذلك الوزير العادل رب الفطن .

نظمت هذا الكتاب المين، عجا من أحاديث الغابرين . ليكون عونى فى الكبر، ويمدنى بالمال
والمجد والصيت الأغر . فلما رأيت ملكا معطاء ، على سرير الملك وضاء . فتنظرت أن يظهر جواد
مفضل، لا تضرب دون نواله الأفعال . حفظ على الدين أمين وبالتاج وسرير العاج قمين . قوى على
جلاد الأبطال، عالم نجيا بالأحوال . قضيت من عمرى نحسا وستين وأنا فى الفاقة والنصب رهين .
وحينا علت على الستين نحس، ترنحت كالثمل تحت الستين والنحس . وعاد الوجه الموزد كالشمس،
وكالكافور هذا المسك البهيم . وأنحى المشيب على قدى فناء، وفاض فى الترجستين الضياء . وحينا كنت
فى الثامنة والنحسين ، وبى بقية على رغم الستين ، سمعت ضجيجا دوت به الأرجاء، أن الرهوس
والأجسام فارقتها الشقاء . وحى فريدون ذو القلب السليم ، وخضع الزمان والأرض لعبودية الملك
الكريم . فسخر العالم بالعدل والجود ، وطأطأت له الملوك الصيد . وتلاأت آثاره بكل مكان ،
خلد الله ملكه وسعيه على مر الزمان . فلما وعى أذننى هذا الدناء، صمت بعدد عن كل نداء .
فوصلت باسمه هذا الكتاب، — يسر الله له فى العلاء كل صعب — لياخذ بيدى فى الكبر، رب
السيف والعرش والتاج الأغر . وأسأل الخالق العظيم ، أن يمدنى فى الحياة غير سقيم ، حتى أتم
الكتاب، باسم الملك رفيع الجناح . ثم الجسم بعد ذلك فى التراب يغور، والروح السارية الى المعدن
الطاهر تسير

”محمود“ ملك العالم يرفعنى فى الدنيا عن الحاجات، ويخلى بين الكبراء رفيع الدرجات
عبودية أقدمها أيها الملك، تنى لى الذكري ما دار الفلك . كل بناء يناله الدمار، بوجه الشمس وسيل
الأمطار . ولكنى وطدت قصرا عظيم الخطر، يهزأ بعصفت الريح والمطر . تنز على هذا الكتاب
السنين، ويتلوه كل حكيم فطين . فيحمدون الملك الكبير — لا أخلى الله منه التاج والسرير . وتلك
مآثره عليه مثنيات، وملء العالم آثاره الناطقات

ثم أعود الى كتاب الماضين ، وأوصل القول من أنباء الصادقين . وأقص من غير الزمان،
وحسبى معلما كراحدثان . وقد عرضت قصة كيخسرو العظيم، فاستمع منى السحر المقيم . بهذه
القصة أمطر الدرر ، وأنبئت الشقائق فى الحجر . نظمت الآن هذا النظام . إذ ملكت من قبل
روح الكلام .

إليه أيها البصير بالتجارب، ومن أحلت وأمرت له النواثب ! وأها لهذه القبة سريعة الدوران، التي تطلع كل يوم على القلب يجديد الأحران . حظ واحد منها شراب وعسل، والرافية والدلال ونيل الأمل . وحظ آخرهم ونصب وملال، وضيق الصدر في دار الزوال . وآخر يضرب في بهما الجدة، يهبط تارة ويصعد . ذلك نصيبنا من الزمان وأفلاكه ، وأكثر من نضرة وردة ونخز أشواكه . ومن أوفى على الستين، فهو بالياس قين . ولا يتوز السبعين غير قليل، وتلك تجارب العمر الطويل . وإن جاوزها فهو شرله ، حياة جدية بالكاء ، ويله . ولو أن شبكة الستين شبكة صائد، نخلص منها الحازم الجاهد (١) . أين المفتر من الفلك الدوار . ومن خالق الشمس والقمر، القهار . والملك المسلط يجهد ويحذ، وينتقم ويكتر ويمتد . ولا بد أن يرحل إلى الدار الآخرة، ويخلف سعيه في الحياة البائرة . نغذ من سيرة كيخسرو المبر، وجتد بالذكرى ما درس وغبر . فقد انتقم لأبيه من جدّه، بمكره وحربه وحشده . قتل جدّه ثم لم يخلد بعده، ولا أطاع الزمان حله وعقده . كذلك دأب دار الفناء، فأربأ بنفسك من هذا العناء] .

(ب) والآن نعود إلى ترجمة الكتاب ونقل ما حكاه الفردوسي . قال :

ثم عزم الملك كيخسرو على السير بنفسه في طلب أفراسياب، فقسم القيل على تحت من الميروزج قد وضع على ظهره، وحرك الحُرزة في الحمام إشعارا بالغير العام . فحرم المقام على جميع الملوك في جميع الأطراف . فنفروا وأقبلوا إلى خدمته . وكتب إلى رُسَمَ ومُراسِب وأشكس بأمرهم بالمبادرة إلى الخدمة فاجتمع عليه عساكر البر والبحر . فركب وطاف في العسكر حتى علم حال كل واحد من الملوك والأمراء، ومقادير حظوظهم من العدة والعتاد . ثم اتخَب ثلاثين ألف فارس يعضون على الزُبر، ويفلقون بالأسياف مفارق الحجر، وأمرهم بأن يكونوا معه في القلب لا يزالونه مستعدين للضرب . ورتب على أحد جانيه طوس بن بوزر مع جماعة من أصحاب الأطراف، وجعل على الجانب الآخر أولاد الملوك الذين ينسبون إلى كيقباز، وأمر بيزن بن جيو ورُهام بن جودرز بأن يحفظا ظهره مع جرجين بن ميلاد في عساكر الرى . ثم سلم الميمنة إلى رُسَمَ ، وضم إليه جميع عساكر زابلستان وممالك دستان ، وجعل جودرز بن كشواذ على الميسرة مع ولديه هجر وفرهاد في عساكر نفوت العتد والحصر . وأمر فنصبوا على ظهور القيلة صناديق وشمعونها برادة الحسبان (ج) ووكل بحماية كل فيل ثلثائة فارس . وأمر زنگه بن شاوران مقدم عساكر بغداد بأن يخرج جماعة من فرسان الكرخ الرواة

(١) في الفارسية كلمة شست تدل على الستين وعلى الشبكة . فهذا زين الشاعر أن يقرن الستين بالشبكة .

(ب) هذا كلام المترجم .

(ج) يريد المترجم بكلمة «رطة الحسبان» أنهم يرمون الفلن فلا يحفظونها . والعبارة ليست في الشاه .

عن الجرخ ليكبوا ظهور القبيلة ، ويتقدموا أمام الجيش . وضم ثلاثين ألف فارس الى فرى برز بن كيكلوس مع جماعة من رماة الكرخ ، ورتبهم على اليسار . وأمر كل واحد منهم أن يحفظ^(١) مقامه من الموقف . وضم الى جيون جودرز عساكر عظيمة . وجمع بين زواره وقارن ورتبهما في أصحابهما قدام المسكر . وفرق الطلائع ، وبث الجواسيس . وأمر طوسا بأن يطوف على المسكر جميعهم ، ويأمرهم بكف أيديهم عن الظلم ، ويقول : إن من احتاج الى شيء من الماء كؤل والملبوس فلا يطلب إلا من أصحاب الأرزاق المرتين في ديوان الملك . ثم أوفر بالطعام عجلا كثيرة تجزها آلاف من الجواميس أمام المسكر ، وجعلها مسجلة لكل من يحتاج الى الطعام من رجاله العسكر وغيرهم من المحتاجين .

ثم أنه لما فرغ من ذلك كله رحل وجعل يسير بهم رهوا رهوا على تودة وسكينة . وأما أفراسياب فإنه كان نازلا في موضع يسمى بالقهلوية كُندز وبالفارسية بيكند (١) وكانت هذه المدينة مما بناه أفرديون في الزمان الأول (ب) ، قال وكان في أثنى ألف فارس ، وهو يريد الخاق بيران وإمداده . فبينما هو ذات ليلة في ذلك المكان إذ وصل فارس وقت السحر فأنهى اليه ما جرى على بيران وأصحابه ، وتلاه بعد جماعة من الجرحى المنهزمين فقصوا عليه القصة ، وسردوا له حديث ما جرى على بيران وأخويه فرشيد ولماك وسائر من قتل من الأمراء والقواد ، وأعلموه بوصول كيخسرو في عساكره ، واستئمان عسكر بيران اليه . فأظلمت الدنيا في عين أفراسياب حين سمع ذلك ، ونزل من التخت وضرب بتاجه على الأرض ، وبكى وانتحب ، وضع عسكره لما ورد عليهم من الرزة العظيم . ثم خلا بأقاربه ، وجلس يبكي ويندب قتلاه ، ثم حلف بأيمان منظلة ألا يقتر حتى يطلب بثار أصحابه من كيخسرو ، ويتقم منه . فبينما هو كذلك إذ جاءه النذير بأن الملك كيخسرو قد عزم على عبور جيحون في عساكره العظيمة الماثلة . فجمع الأمراء والقواد وفاوضهم في معنى الذي جرى على بيران وأخويه فرشيد ولماك ، وحرضهم على الانتقام وإفراغ الوسع في طلب الثأر . ففتح أبواب الخزائن ، وأطلق لهم الأرزاق ، وأدثر عليهم العطايا والصلوات ، وأمر بإحضار جميع ما كان له من الخيول السائمة

(٨٩)

(١) بيكند مدينة بين بخارى وهر جيحون ، على ٤٤ كم الى الجنوب الغربي من بخارى . ويعلم القارى أن موقعة يازدهرخ المشاحبة كانت في نواحي بلخ . فكيف بين أفراسياب وبيدا عن جيشه في هذه الحرب الطاحنة ، لاها في بيكند ؟

(ب) في الشاه : أن أفرديون كان جعل فيها بيتا للثأر ، وكعب على جدرانها كتاب زندهاستا بالذهب . وهذا من أغلاط الشاه . وأين تختلئ الزند من عهد أفرديون ؟

(١) في الأصل : طأ أن يحفظوا . والصحيح من ك ، كو . (٢) ك : الجرحى والمنهزمين .

في المروج والرياض ففرقها على العسكر . ثم اختار عشرة آلاف من الفرسان وسيرهم الى بلخ ، وكان عليها من جهة الايرانيين كُستهم بن نوذر . واختار ثلاثين ألف فارس آخرين وأمرهم بأن يعبروا ويقفوا في وجه العدو حتى لا يهتبلوا الغرة ويتنزوا الفرصة فيعبروا الماء ليلا . وجهاز الى كل جانب عسكرا ، واحتال من كل نوع ، واحتاط من كل وجه . لكن الله تعالى قضى بهلاكه حين جار واعتدى ، وأفسد في الأرض وعنا . وقضاؤه الغالب لامرّده له . قال : وقد ذات يوم مع وزرائه وتشاوروا فاستقرت آراؤهم على أن يعبر بنفسه جيحون . فدعا بأكبر أولاده قراخان ، وسلم اليه نصف عسكره ، وسيره الى بخارا ليكون قريبا منه اذا عبر فيواصل إمداده بالميرة والرجال ، وركب في النصف الآخر . حتى اذا انتهى الى شاطئ جيحون ألقى آلافا من السفن والزواريق على وجه الماء فعبر بمن معه في مقدار أسبوع ، غنم على صحراء أمل الشط ، فرتب عساكره وعي ميامنه وميامره ، فضم الى ابنه بَشَنَك ، وكان يلقب لحسن وجهه شيذه التي هي الشمس ، مائة ألف فارس (وأضاف الى ابن له آخر يسمى جهنا مائة ألف فارس) فجعل الأول على الميمنة والثاني على الميسرة ، ورتب مائة ألف في القلب ، وجعل أخاه كرسبوز مع أربعين ألف فارس من فرسان الصين على القبيلة ، وجعل ابنه له آخر على ألوف من الفرسان وأمره بحفظ ظهر العسكر ، ورتب الباقين من الملوك والأمراء من أقاربه وأصحابه على الساقة والجناحين ، وبث الطلائع والجواسيس .

ولما انتهى خبره الى الملك كيخسرو ركب في جموعه وسار في مثل البحار المائجة والجبال المائرة ، وجعل يحل ويرحل حتى نزل قريبا من أفراسياب . فركب يوما مع رستم وطوس وجودرز وجيو وجماعة من الفرسان ، وأتى قريبا من تخم جدّه فنظر الى سواده وكثرة بحافله ، وتدبرهم وتأملهم حتى اطلع على أحوالهم . فرجع الى معسكره وأمر خفقروا حول المعسكر خندقا وطحروا فيها الماء . وبقي الفرغان يومين وليلتين مصطفين متقابلين لا يقدم منهم أحد على الآخر ، وكل واحد من الملكين قد استحضر المنجمين بزيجاتهم واصطرلاباتهم ينتظرون ساعة سعد للقتال . ولما تطاول وقوفهم على هذه الحالة جاء شيذه أباه ، وقال : أيها الملك ! إنك كنت قد اتخذت سياوخش ولدا لا يؤثر عليه أحدا ، ولم تزل تحسن اليه وترفرف يميناح الحق عليه الى أن سمع عندك أنه يريد أن يبتزك التاج والتخت فتداركت بقتله الأمر . وهذا المشوم ابنه الذي جاء لقتالك أحسنت اليه أيضا وربته حتى قوى جناحه واشتدت قوامه طار من توران الى ايران ، ثم نسى ما عامله به يران من الحق

(١) ك : في صحراء . (٢) ما بين القوسين من ك ، طا ، كو . (٣) ك : ويرتحل .

(٤) ك ، كو ، فيه . (٥) كذا في نسخ الترجمة . وينبغي أن تكون حتى اذا .

والشفقة عليه ، ولما تمكن منه قتله القتلة الشنيعة . وها هو أقبل عامدا لقتال جده ليس يريد ملكه وإنما يريد نفسه وقطع رحمه بإرافه دمه . لا جرم لا تطول مدته ، وسيهجم عليه أجله . وأنت فلا تفكرن في الإيرانيين ، وضع فيهم السيف ، ولا تتظرفي قتالهم حكم المنجمين ، فالسيف أصدق أنباء من الكتب ، ورجوم الأسته أمضى أحكاما من السبعة الشهب . وإن أذنت لي أمرت العساكر المرتين معي في الميمنة فرشقوهم بالسهام الصوائب ، ودلفوا إليهم بالسيوف القواضب حتى لا يبقى منهم أحد^(١) . فقال له أبوه : لا تعجل ولا تطش . فإنك تعلم ما كان يستظهر به يران من الشجاعة والصرامة والجرأة والإسالة ، ثم إنه قتل بالأمس ، وقد انكسرت قلوب عساكرنا بسبب ذلك . فالرأى أن نصبر حتى يفصحوا أعينهم ويشاهدوا العدو مرة بعد أخرى بحيث تقل هيبتهم في عيونهم ، وتزول الروعة من صدورهم ، ويرى الإيرانيون أيضا كثرة عساكرنا . ثم بعد ذلك نلقاهم ويرز إليهم المبارزون منا ونقاتلهم^(٢) . فقال له : إن كان هكذا فانا أول المبارزين . وسأبارز كيخسرو ، ولن يسلم مني مهما بارزني^(٣) . فقال أبوه : إن كيخسرو لا يخرج إلى مبارزتك ، وإن خرج فلا ينبغي أن يبارزه أحد سواي . فان غیری لا يقدر على مقاومته^(٤) . فقال له شيذه : لا كان يوم تخرج بنفسك إلى مبارزة العدو وبين يديك خمسة بنين كالأسود الحواطم والسيول الحواجم .

ذكر رسالة أفراسياب إلى كيخسرو على لسان شيذه ومبارزتهما

وقتل شيذه وانتهزام أفراسياب^(٥)

ثم إن أفراسياب حل ابنه هذا رسالة إلى كيخسرو ، وأمره بأن يعيره أولا ويقبح عليه صنيعه ، ثم يقول : إن كنت قد جئت في قتل سیاوخش فاذهب يران وأخويه حتى يستوجبوا ما جرى عليهم من القتل الشنيع ؟ واعلم أنك مهما نسبتي إلى الشر والغدر وعيرتي بهما فانما تعير نفسك . لأنك شعبة مني وغصن من دوحتي . فكل قتال وهذا الأمر إلى كيكاورس وجودوز . فان الحافد لا يحسن به أن يقاتل الجلد . واعلم أني لست أقول ما قلته مخافة منك ، فاني أكثر منك عسكرا ، وأوفر عتادا وعدة ، بل تخرجنا من قتل من يكون برياً من الفريقين . وإن كنت تأنف من الانصراف دون لقائي ، وترى ذلك حارا فصالحني وعاهدني لا كون لك في ممالك توارن كالآب ، ويكون أولادي لك كالأخوة ، وأفرج لك عما في أيدينا من ممالك إيران ، وأتخذ اليك ما يفوت العدو والحصر من الخزائن والذخائر والخيول والأسلحة . وفي ذلك حسم مادة هذه الفتن . وإن كنت تأبى ذلك وتلقني إلى الشيطان قيادك ، وتصبر على إرادة القتال فأبرز إلى وحدك لأبرز إليك وحدي وتلاق ، فان قتلتني

(١) ك : كمر : قد أبل . (٢) ص : خمس بنين . (٣) ك : ويقتل . (٤) ك : قد حبل .

فالدنيا أمامك، وعساكرى عساكرك، وأولادى أقاربك . وإن قتلتك فأمرأؤك إخوانى، وأصحابك أصحابى أبسط عليهم ظلال الأمان وألقاهم بالعطف والإحسان . وإن كرهت مبارزتى فهنا ولدى شيدى مبارزك على الصفة المذكورة . وإن كنت لا ترى ذلك أيضا فوعدنا للقتال غدا عند تبليج الإصباح . يتبارز المبارزون من الجانبين، وبعد غد يكون القتال العام حتى نبصر لمن يكون الظفر، وعلى أى جانب يميل ^(١)القدر» فاستصحب شيدى ألف فارس وأقبل حتى إذا قرب لى بعض أصحابه بعض طلائع الإيرانيين فتقاتلوا فاستكفهم شيدى ثم صاح ببعض المتقدمين من الطلائع وقال : بلغوا كيخسرو أنه قد وصل رجل مذكور اسمه شيدى ومعه رسالة إليه من جدّه أفراسياب . فساروا إلى إلام الملك بذلك . فاستحى الملك من مشافهته وقال : هو خالى . فأخذ قارن إليه وأمره بأن يلفه سلامه ، ويسمع رسالته ، ويعلمه بها . ففعل قارن ذلك ، وعاد بما سمعه منه من الرسالة وعرضه على الملك . فتبسم وقال : إن أفراسياب قد قرع سن الندم على عبور جيحون وهو يريد أن ينفلت من حبالنا بالحيلة والخديعة بغاء يفزعنا بكثرة جنوده وجموعه ، وأرى أن أخرج إليه بنفسى فأبارزه . ففنع أصحابه من ذلك وقالوا : لا ينبغي أن يضر الملك بكلام هذا الساحر ويخضع لاحتياله ^(٢)ويلقى بنفسه إلى التهلكة . وأما مبارزة شيدى فإك إن قتله فغاية ما فيه أن ينقص فارس من الترك، وإن أصيب الملك، وحاشاه، من ذلك بمكره فمن يستمكانه من الكيانية ؟ ومن يتحلى بتاج الملك ويتسم سرير السلطنة ؟ فعند ذلك فلا يبقى من ممالك إيران عين ولا أثر، ويأتى القتل والأسر على أهلها فلا يبقى منهم أحد . بل رأى أن تجميعهم إلى الصلح وتقبل منهم ما يبدلون من الخزائن والأموال، وتسترد منهم البلاد التى كانت لنا . فاستصوب جميعهم هذا رأى، وتراضوا به إلا رستم فإنه لم يوافقهم على ذلك ، وأبى أن يكون غير السيف فيصلا . فسكت الملك ساعة ثم قال : ليس من رأى أن نزع من وجهنا هذا إلى إيران غير موفين بما أبرمناه من العهود والمواثيق ^(٣)فى الأخذ بنار سبيلوخش . وإذا فعلنا ذلك فبأى ناظر نبصر وجه كيكالوس ، وبأى شئ نمتنر إليه ؟ وما لكم قد ضعف قلوبكم ؟ وفيهم اصفرت وجوهكم بقول تركى خذاع جاءنا يزعم أنه يطلب مبارزتنا ؟ ثم قال : إن شيدى هذا فارس شجاع قد ألبسه أبوه سلاحا من السحر والشر والحيلة والمكر ليس يطبق أحد منكم مقاومته ومبارزته ، ولا يؤثر سلاحكم فى عدته وجته . وليس أحد غيرى يتمكن من الوقوف قدماه ، ولا ينبغي أن يكون قرن حافد أفريدون غير ابن كيقباد . وإنى إذا بارزته بفعت به أباه أفراسياب كما بلغ هو كيكالوس بسبيلوخش . ثم أمر قارن بأن يبلغ شيدى جواب رسالة أبيه ، وقال

(١) ط : قال فاستصحب . (٢) صل : وقد يريد . والنصحيح من ك : كوك ، ط . (٣) ك : كوك ، ط : فليق .

(٤) ك : من الأخذ .

له : قل له ليقول لأفراسياب إن المطال بالحرب قد طال ، وما هذا من عادة الرجال في القتال . ولا حاجة بنا إلى أموال جمعتموها من الظلم والعدوان ، واكتسبتموها من البني والطغيان . على أنها مع رجالك وتحك وتناجك صائرة إلى إن ساعدتني السعادة . وأما ما ذكرت من مبارزتي لشيدته فهو غدا ضيفي عند الصباح ، وسيرى آثار مسطوئي عند الكفاح . وإذا ظفرت به يكون ما أمرت به من تبارز المبارزين من الجانبين على الخصوص ثم يكون بعده القتال بين الجمعين على العموم . فامتثل قارن الأمر ، وبلغ شيدته ذلك فعاد إلى أبيه فبلغه جواب كيخسرو . فعظم عليه واتزعج له وتذكر النمام الذي كان قد رآه فيما مضى من الزمان ، على ما سبق ذكره في موضعه ، وأمر شيدته بأن يمسك عن القتال يومين وبالإيثار كيخسرو ، فلم يطعه . ولما أصبح أمس عدته وركب ودفع علمه إلى فارس آخر ، وأقبل حتى دنا من عسكر إيران . فلما أعلم الملك كيخسرو بذلك ظاهر بين جنته وركب ودفع علمه إلى رهام بن جودرز ، وأمر عساكره بحفظ مواضعهم وملازمة مواضعهم ، وركل فرسه يزداد ، وبرز إلى قرته . فتوافقا على أن يعدلا عن الطريق وينحازا إلى مكان بعيد من الصفين ، وتحالفا على أن الغالب منهما لا يتعرض لحامل راية صاحبه بسوء ، ودحبا إلى موضع خال في سفح جبل فقطاعا إلى أن استوى النهار ، وتقصفت رماحهما فعذلا إلى العمد وتضاربا بها زمانا طويلا . ثم إن شيدته لما قلبى شدة مراسه وذاق مرارة بامسه وشاهد قوة بطشه دمعت عينه وخاب ظنه وعلم أن في طينة الرجل قوى إلهية وأن معه سعادة سماوية . فداخله الرعب ^(٢) . وقد عطش فرسه حتى كاد يتلف . فاحتدل وقال : أيها الملك إن الرجال كثيرا يتطاعنون ويتضاربون . وإنما أريد أن ترجل حتى تتصارع . فقال الملك : إنى لم أسمع أن أحدا من الملوك الليكانية قاتل راجلا . ولكن إذا كانت نفسك تميل إلى ذلك فلا أخالفك . فقتل بعد أن منعه رهام ، وسلم فرسه إليه . ونزل شيدته ، وتصارعا كأنهما فيلان يتصاولان أو جبلان يتناطحان . ثم غلبه كيخسرو وأخذه ورماه إلى الأرض حتى تناثر فقار ظهره ، فاستل خنجره وشق صدره ثم رق له تنففس الصعداء . وعاد وركب موجع القلب ، وقال لرهام : إن هذا الفارس الخفيف الرأس كان خالي ، فاشفقوا عليه ، واعملوا له ناووسا على آيين الملوك . فبادر حامل راية شيدته إلى الملك وسجد له وسأله الأمان فأمنته ، وقال : بلغ إلى أفراسياب ما جرى على ولده .

وكان أمراء الأتراك ينظرون رجوع شيدته فاتاهم ناعيا له فشق أفراسياب عند ذلك الثياب ، وأخذ يذرف من عماره الدماء ، ويتفح لحيته البيضاء . ولما كان الغد اصططف الفريقان فخرج قارن ^(١) أنظر المتن ١٦٣ (٢) حمل : تدخل . والتصحيح منك ، كوه . (٣) حمل : رجلا . والتصحيح من ط . (٤) ك : فركب .

وَكُسَّتَهُم من الایرانیین ونرج جهن بن أفراسیاب من ذلك الجانب فتناوشوا الحرب من أول النهار إلى وقت الغروب، ولم يتحرك الملكان من موضعهما . ولما غابت الشمس رجع كلا الفريقين إلى مضاربهم وابتأوا طول ليلهم في تدبير الحرب .

ولما طلعت الشمس من اليوم الثالث، وكان طلوعها من برج الثور، التقى الجمعان جمع، وكانت وقعة لم يسمع أن مثلاً كان على وجه الأرض . ثم أن الدبرة وقعت على التورانيين، وكثر فيهم القتل . ولما ألقت الشمس يدها في كافر جاء كرسبوز أخاه أفراسیاب فصادفه قد خاض غمرة الحرب بنفسه، فاستكفه . فانصرف بمن معه إلى غيمه، واحتال للهرب من ذلك المكان، وأمر مناديه أن يقول : إنما تنصرف لمجوم الظلام، وسترون صنيعةا بكم في غد . ولما أظلم الليل أركب عشرة آلاف من الفرسان على رسم الطليعة وقال : إذا علمت مني بعبور الماء فبادروا العبور ورأى . ثم ركب في أصحابه ومن بقي من أولاده وخواصه وعبر جيحون . وتتابعت خلفه بقايا المسكر .

ولما طلع الصبح جاء البشير إلى الملك كيخسرو بانضمام أفراسیاب وتخليته الخيم قائمة بحالها ، والأنفال باقية في مكانها . بفلس على التخت معتصبا بالتاج ، ودخل عليه الملوك والأمراء يهنئونه بالفتح (والتصرف أمر بناء الحال إلى كيكلوس فكتبوا إليه كتاب الفتح^(١)) وذكروا فيه ما جرى على التورانيين من القتل والأسر، وأنهم قد عبروا الماء منهزمين، وأدبروا إلى إقبالهم ناديين .

وأما أفراسیاب فإنه اتصل بابنه قراخان فتشاورا^(٢) . وانفقت آراؤهم على أن يرجعوا وراعم ويتلوا من وراء الشاش في موضع حصين . حتى إذا أتاهم كيخسرو فأتوهم على قوة ومنعة . ففعلوا ذلك وساروا إلى مدينة يقال لها كل زربون فأقام بها أفراسیاب ثلاثة أيام حتى استراح من وعناء السفر وما لاقاه من المشاق والتعب . ثم رحل وسار إلى أن نزل في جنة كك^(٣) التي هي دار ملكه ومستقر تخته وأقام بها إلى أن هجم عليه كيخسرو وعلى ما ذكره .

§ تقدم أن سیاوخش بنی كك دژ أى قلعة كك . ويظهر أنها جنة كك . المذكورة في هذا الفصل . ووصف الشاعر الثانية يقارب وصفه الأولى .

وأما كك دژ الآتي ذكرها في هذا الفصل والتي وصفها الشاعر وراء البحر فلا تشبه كك دژ الموصوفة في فصل سیاوخش . ولعل الشاعر لفق قصتين مختلفتين بعض الاختلاف فذكر جنة كك ثم كك دژ أى قلعة كك^(٤) .

(١) ما بين القوسين من ك، كو، طا . (٢) ك : قشاوروا . (٣) ك، كو، طا : عن . ك : قانوه .

(٤) ك : حتى نزل . (٥) انظر حاشية ص ١٥١ و ١٥٢ .

ذكر عبور الملك كيخسرو الى ما وراء جيحون وما تيسر له من الفتوح بعد ذلك

قال : فعبر كيخسرو جيحون بساكره مع كثرتها، وسار . ولم يكن يخلو كل منزل يتزله من طائفة من التورانيين يلقونه ويسألونه الأمان ويتابعونه^(١) . ولما وصل الى السغد أطاعه أهلها، ونزل بها وأقام فيها شهرا، ونظر في أحوال عساكره وتفقدتهم، ونزق عليهم أموالا كثيرة وأعطاهم عطايا وافرة . ثم ارتحل منها مشربا نحو أفراسياب وقاصدا قصده، وأمر أصحابه بأن يكفوا يد العدوان عن كل من يتلقاهم بالطاعة من أهل تلك البلدان، وأن يقتلوا من يقاتلهم منها . فامتثلوا أمره، وكانوا يقصدون^(٢) القلاع والمدن فاكان منها يتنعم أهلها عليهم سلطوا عليهم يد القتل والنهب، وعليها يد الخراب والهدم . وقطع مسافة مائة فرسخ وذلك دأبهم وصنيعهم، حتى انتهى الى مدينة كل زريون فذهب أفراسياب عند ذلك للقاءه وخرج بساكره . وزحف اليه الملك كيخسرو بمجموعه وجنوده فالتقوا وقامت الحرب بينهم على ساق، وجرت وقعة عظيمة . فلما احمر البأس تعيى الملك ونزل، ونحى التاج عن رأسه ونحر ساجدا يدعو الله تعالى ويتبذل اليه ويسأله النصر على عدوه، فتارت ريح عاصف تحنو^(٣) (التراب في وجوه) التورانيين حتى ملأت عيونهم . وكان أفراسياب اذا رأى واحدا من أصحابه قد انصرف (من المصاف)^(٤) ضرب رقبته . وثابت عليهم عصفات الهواء الى أن جن الليل وقد قتل من الترك خلق وأسرا خلق . فاحتاز كل واحد من الفريقين ونزلوا في مضاربهم وأوقدوا النيران وجعلوا يتصايحون ويشبون ويدقون الكوسات والطبول . قال : وكان الملك كيخسرو قد نفذ من كل زريون رستم لقتال قراخان بن أفراسياب، وكسهم لقتال بعض أمرائه . فورد في هذه الليلة البشير^(٥) ببحر ظفر رستم وأنه لم يفلت من ذلك العسكر غير قراخان وحده . وانتهى الخبر أيضا الى أفراسياب بما جرى على ولده فركب في جنح الليل وترك مضاربه وخيمه على حالها وهرب .

فلما قرب من دار ملكه شاور بعض وزرائه في نزوله فأشار عليه بأن يدخل المدينة ويتحصن بها، وقال : إن لك مثل هذه المدينة التي طولها ثمانية فراسخ في عرض أربعة فراسخ، وهي مملوءة بالعدد والأموال والأسلحة، وعليها سور لا يقدر العقاب أن يعاوه، يرى من شرفاتها الزاجل من مسيرة عشرين فرسخا، وفيها ذخائر كثيرة ومياه غزيرة فلا تعدل عنها . فاستصوب رأيهم ودخلها .

(١) ك : ويأمنونه . (٢) لفظ « يقصدون » من ك، كره ط . (٣) ما بين القوسين من ك، كره ط .

(٤) ك : ط : ببحر ظفر .

وكان له فيها قصر رفيع يكاد يمس السماء علواً ، وفيه إيوان شاهي . فجلس فيه وأذن للناس إذنا عاما بالدخول . ففتح أبواب الخزائن ووزق على الناس أموالاً^(١) ، وأمرهم بالإعداد والاستعداد . وجعل الطلائع والحفظة على طرق البلد . وكتب إلى بنور ملك الصين يستجده ويستنصره ويسأله أن يمتد بنفسه ، وإن لم يمكنه ذلك فبصاكره . ثم نصب العرادات والمجانيق على أبراج^(٢) المدينة وشحنها بالرمات وآلات الحصار ، وأمر فعملوا كفواً محجة من الحديد فشدها على رموس رماح طوال ورتب لها قوما يحترقون بها من يقرب من السور . ثم جلس يشرب غير مفكر في عدوه .

قال : ثم وصل الملك كيخسرو في عساكره فرأى مدينة حصينة متصلة من أحد جانبيها بجبل ليس إليه طريق ومتحصنة من الجانب الآخر بواد عميق وماء كثير . فغيم على ظاهرها قتل رسمه على الجانب الأيمن من المدينة ، ووزل فرى برز بن كيكالوس على يسارها ، ووزل جودرز على جانب من المدينة . ولما جئ الليل قامت القيامة من خفق الطبول ونترات الحرس من جميع أطراف البلد . وحين أصبح الملك كيخسرو ركب وطاف في^(٣) العسكر وقال لرسم : إن أفراسياب قد فرق الرسل في الأطراف يستجد الملوك ، وقد متحصنا بهذه المدينة . والرأى أن نجهذ ونجهد حتى نفرغ من أمره وأخذ يله قبل وصول مدده . وظلوا محاربة يومهم ذلك يحيلون الآراء ويتشاورون . ولما كان الند فتح باب المدينة وخرج جهن بن أفراسياب رسولا إلى الملك كيخسرو . فلما قرب من باب سرادقه وأعلم الملك بجيئته أمر منوشان أحد أصبهيدته بفرج إليه وأخذ بيده ودخل به . فلما قرب من خدمة الملك حياه وسجد ثم رفع رأسه ودعا له ، وهناك بمقدمه إلى تلك الممالك . ثم قال : إن معي رسالة من أبي فإن أذن الملك أوصلتها إلى مسامحة الكريمة . فأمر الملك فتنصبا له بين يدي تحته سريراً من الذهب وجلس عليه ، فقال : إن أفراسياب يقول : الحمد لله الذي أعلى راية ولدنا الذي ينتمى بأبيه إلى كيقباز ومن أمه إلى تور ، وأدخل في طاعته ملوك الأرض أجمعين ، وملكه نواصيم شرقاً وغرباً . وبعداً وقرباً . ثم إنى متعجب مما أوقني فيه الشيطان حين غير رأياً في ابن كيكالوس بعد حثوي وشفقتي عليه ، حتى جرى ما جرى من هلاكه على يدي . وأنا من ذلك جريح القلب سليب النوم . وما أنا قتلته ولكن الشيطان قتله . وليس ينفع الندم بعد أن زلت القدم . وأنت الآن ملك عاقل مثاله . فانظروا كم تحرب في هذه الوقائع من البلاد ؟ وكم قتل فيها من العباد ؟ حتى

(١) ك ، ط : أموال كثيرة . (٢) ك : على أبراج سور . (٣) ك ، ط : على جانب آخر ولما الخ .

(٤) ك ، ط : على . (٥) ك ، ط : نجته . (٦) صل : على ذلك . والصحيح من ك ، ط ، ك .

(٧) صل : وليس أن . والصحيح من ك ، ط .

لم يبق في هذه المملكة الفسيحة ضيعة معمورة ولا بلدة مسكونة . ^(١) فلا تقفل عن تصارييف الزمان
وبواق الحدائق . والخط حصولك في هذا الفضاء وسعته ، وحصولنا في ضيق هذا الحصار وشدة .
ثم اعلم أنى مستقر في هذه المدينة وهى جتنى ، وقد شيدتها حتى صارت دون المطلوب جتنى ،
وهى دار ملكى ومستقر مرير سلطتى ، وفيها زرعى وحصادى وعدتى وعادى . وأما أنت فنازل
تحت السماء في هذه الصحراء . وزمان الصيف قد انقضى . وغدا يهجم الشتاء وتنتاع الأنداء حتى
تجدد الاكف على الريح ومقايض الصفاح . وإن كنت تحال أنك تأخذ ممالك الصين ، وتطبق
السماء على الأرض ، وتقبض على وتأسرنى فهذا خيال محال . فإنه اذا التقت حلقتا البطان واشتد^(٢)
الأمر خلقت شهابا في أعنان السماء ، وركبت بجر كياك^(٣) ، وعبرت الى القلعة المعروفة بكك دز ،
وخليت بينك وبين هذه الممالك . حتى اذا علمت أن السعادة قد أقبلت على والزمان قد اعتذر الى
نزلت وحشدت جنود البر والبحر ، وانتقمت منك . وإن أنت أخرجت الخلاف من راسك ،
وأقصرمت عن شماسك فتحت لك أبواب الخزائن التى ضن بها تور على إبرج ، وألقيت اليك مقاليدها ،
ثم كنت لك في كل حادث عوناً وظهيرا ، ولم أسمك إلا ملكا كبيرا . وإن لم تقبل ما ذكرت فافعل
ما تشاء . قال : فلما فرغ جهن من أداء الرسالة تبسم الملك كيخسرو وقال له : قل لأفراسياب :
أما شكرك على انتظام أحوال مملكتنا واتساق أسباب دولتنا فإن ذلك من فضل الله الذى آتانا ذلك
مثنى وموحدا ، وإنا لترجو فوق ذلك مصعبا . ثم إنك ذو بيان سمحار ولسان غرار ، مع أنك غير
ظاهر القلب ، ولا ناصح الجيب . وكل من كان يتحلى بمكارم الخلال فينبغى أن يكون الفعال منه
أحسن من المقال . ولم يستطع أقربيدون أن يصير نجما في السماء ولا أن يعلو شجرا في الهواء . وأنت
تزعم أنك تصير في السماء نجما ، وتطير في الجوى سعيا ، ولست تستحي من هذا الكلام . وليس يخفى
على الناقد البصير والعالم الخبير هذه الأقاويل المزهة والأكاذيب المزخرفة . ثم ذكر صنيعه بأنه بعد
قتل أبيه سياوخش من ضربها بالسباط طلبا لأن تسقط وهى حامل به ، مع غير ذلك مما سبق
ذكره . وذكر أيضا تسليمه الى الرعاة مع ما اتصل به من سوء معاملته إياه ، على ما سبق شرحه .
ثم قال : ولم تزل من عهد منوهر الى هذه الغاية سيئ الظن خبيث الباطن وقد ورث^(٤) هذا الخبيث
من تور . فقتلت الملك نوذر وقتلت أخاك لإغريرث . وأما حوالتك فلعلك بسياوخش على تسويل
الشیطان وتفريره فإن الضحك وحشيد لم أيسا من الحياة تلالا أيضا بهذه العلة فلم ينفعهما ذلك

(٢) ك : كهك .

(٣) طا : واشتد في الأمر .

(١) ك : طا : ولا تقفل .

(٤) ك : قد ورثت .

(ولم تصرف منهما بوائق الزمان باعترافهما بطاعة الشيطان^(١)) وكيف أصدق مقالاً وأنا ذا ذكر أفعالك؟ ثم إنه ليس بيني وبينك إلا السيف . والسلام .

قال: وخلق على جهن وأعطاه تاجاً مرصعاً بالجوهر وأعطاه قرطين وسوارين، وردّه الى أبيه . فلما وقف أفراسياب على جواب الرسالة احتدّ واحتدم وأمر العساكر بالإعداد فكانوا طولاً ليلتهم في أخذ الأهبة للقتال . ولما طلع الصبح دقت الكوسات والطبول فركب الملك كيخسرو وأمر رسمَ وكُتبتهم وجوّدز فركبوا من الجهات التي تليهم، فعملوا خندقاً حوالى معسكرهم خوفاً من البيات واهتبال الأتراك للفرقة فيهم . فطاف الملك حول المدينة، وأمر فقصبوا على كل باب من أبوابها مائتي عرّادة ومائتي منجنيق، وكلّ بكل واحد منها جماعة من المقاتلين، وربّ مائتي فيل لنقل الأعواد والأخشاب، وربّ على كل باب مائتي رام من الرماة عن الجرح . ثم إن الثّاقين تمكنوا من السور فعلقوا الأبراج من جوانب المدينة . وتعيى الملك^(٢) الى ناحية من الصحراء، ونزل وسجد لله تعالى وسأله أن ينصره ويخذل عدوه ويسهل عليه الفتح ويعجل له الظفر . ثم عاد وليس جوشنه، وأمر الأمراء المولكين بجوانب المدينة بصدق اللقاء وإفراغ الوسع في الكفاح . وأمر بإفراغ النفط على الأخشاب التي علق عليها الأبراج وطرح النار فيها، وبإعمال المجانيق والمزادات معاً على توافقي وتزادف، فأنهم ركن من أركان المدينة، وحصلت به ثلثة فبادروا رسمَ بأصحابه . وبلغ الخبر بذلك الى أفراسياب فأرسل الى تلك الثلثة معظم عسكره وأمدّ كيخسرو رسمَ بالرجالّة الكثيرة ثم بالفرسان، فجرت عند ذلك وقعة عظيمة . فصعد رسم في الثلثة الى السور، ونكس راية سوداء كانت عليه من رايات أفراسياب، ونصب عليه علم الملك كيخسرو، وأسر جهن بن أفراسياب وكرسيوز أخاه . وهما الهلوان اللذان كان جدّ التورانيين بهما صاعداً، وجرهم واقداً . فدخل الآريانيون الى المدينة وبسطوا في أهلها يد الأسر والقتل والغارة والنهب . فارتفع بها ضجيج الرجال وصياح النساء، وجعلت القيلة تدوسهم بأخفافها وتحطّفتهم بمخراطينها وأنيابها . فصعد أفراسياب فوق قصره وأشرف على المدينة، وشاهد ما جرى فيها فزل وبكى على مسكنه، وودّعه وخرج من باب مَرّ فيه تحت الإيوان الى الصحراء في جماعة من أصحابه وخواصه . ومضى ولم يعرف له خبر، ولا وقف منه على أثر . ثم صعد كيخسرو في الحال الى ذلك القصر المنيع، ودخل الى الإيوان الرفيع وجلس على تحت جده بسعادة جده، ونقب عن أفراسياب، وسأل أخاه كرسبوز وابنه جهنا عن مهربه ليغث في أثره فلم يجبر بشيء من

(٢) ك، كو، طا : الملك كيخسرو .

(١) ما بين التوسين من ك، كو، طا .

(٢) ك، طا : ما يجري .

ذلك فاستدعى الموابذة والثقات، وجعلهم على خزائن أفراسياب، وأمرهم بحفظ مستودعاتها، وأوصاهم
بالأمانة. فأتوا أحدا يقرب من أبواب حجره، ولا أن يسمع أحد صوت أحد من حرمه. وأخذ من يختلط
على خيله، وأمر الحفظة بضبط أسبابه وخلفاته. وأمر بالآية تعرض لأقربائه بسوء ولا يصابوا
بمكرهه، فعل من ملك فأصبح، وقدر فاعتق، وأسر فأطلق. فقال الإيرانيون بعضهم لبعض :
كأن كخسرو جاء إلى ضيافة أبيه، ونزل بين أهله وذويه. فما باله لا يضع سيف الانتقام،
ولا يدير عليهم كأس الحمام ؟ ولا يهدم القصر والايوان، ولا يطرح في مساكن عدوه النيران ؟
وشاع هذا الكلام فاستدعى وجوه العسكر وعقلاءهم وقال : لا يجوز استهال العنف والشدة في كل
موطن. والسد أولى بنا في طلب الثار، وتحقيق بنا طلب حسن الأعدوة عند الاقتدار.
فإن الذكر الجليل خير ما يخلقه المرء في هذه الدنيا الفانية. ثم أمر في السر بدخول حرم أفراسياب
عليه. فدخلت عليه زوجته، وكانت ملكة نساء توران، ومعها بناتها الأبنكار كأنهن الأقمار، وعلى
رءوسهن أكاليل الياقوت، وبأيديهن أطباق من الذهب مملوءة بالمسك والعنبر، وهن نواكس الأبصار
خواضع الأعناق هيبة له. فتقدمت الملكة وسجدت له وأجهشت بالبكاء واتحبت وقالت : أيها
الملك ! ارحم من لم يعود غير الترف والدلال، ولم يتفلسف قط عنه ظل الشرف والجلال. ما أحسن
ما كان يكون لو قدمت إلى ممالك توران وأنت غير موتور ولم يكن سياوخش مقتولا، ولكن قضى الله
أمرا كان مفعولا. وإن أفراسياب لم يترك للصلح موضعا. وقد أراق بسوء صنيعه ماء وجهه
فليس يستطيع أن ينظر إليك. وكلم نصحته فما نفع، ووعظته فما ارتدع. والله شاهد لي أنني بكيت
بين يديه غير مرة من أجل سياوخش. وكذلك ولدى جهن أسيرك وقريبك. وكلم قرعنا مسامحة
بالتخويف والإنذار في معناه فتولى وأعرض حتى أتاه مثل هذا اليوم فقلب ملكه ظهرا لبطن،
وعكس عليه كل أمر. « ولم تزل تنزع إليه وتخضع له وتلطف في كلامها حتى رق لها الملك
ومن حضر من الأمراء. فأتتهن وصرفهن إلى خدورهن وأحسن إليهن. وأمر الساكر بأن يكفوا
أيديهم عن القتل والأسر والنهب، وألا يتعرضوا لأهل بيت أفراسياب. ثم أمر بأن يفرق عليهم
جميع ما حصل من المغنم وذخائر الملوك التورانية عامة، سوى خزائن أفراسياب خاصة، فإنها كانت
صنية الملك من المغنم. وانتال على حضرته أمراء الترك من جميع النواحي والأطراف بأذنين السمع
والطاعة، منسلكين في ملك الخسوع والضرعة. فقبلهم وحقق آمالهم. ثم أقطع أصبهذيته وأمراءه
بلاد توران، وأعطى كل واحد منهم ناحية منها. وأقام في جنة تلك ملكا مطا، وأضحى ملوك تلك

الأقاليم له أتباعاً وأشباعاً . فكتب الى كيكلوس كتاباً بالفتح ، وأنهى اليه ما يسر الله له من النصر ،
وقيض لمدوّه من الخذلان والحزى .

ولم يزل مقياً بهذه المدينة مواسلاً بين أسباب اللهو والطرب الى أن طلعت طلّام الربيع
الناضر ، وتصرمت مدّة الشتاء الباسر . وكان قد فرق العيون والجواسيس في جميع الأطراف ليؤتى
بخبّر أفراسياب . ^(١) بغاه الخبر بدخوله إلى حُتَن وبلاد الصين ، وأنه استنجد الخاقان وبشور ، وأنه
مقبل في العُلم والرّم وجموع كالليل الملم ، فراجع إليه من عساكره جميع من كان قد استأمن إلى
الملك كيخسرو . فجهز الملك عند ذلك للقائه ، وأخرج الطلائع ، ورتب السّاكر . وأمر جودرز
ابن كشواذ وولده فرهاذ وضيّرهما بالتيقظ والتشمر . وخرج من كك وسار بساكره حتى نزل على
مرحلتين من تخيم أفراسياب فأقام أسبوعاً يمدّ ويستعد . ثم إن أفراسياب زحف إليه . وأناه الخبر
بذلك فصف عساكره على أحسن ترتيب وتعيّة . ووصل أفراسياب وصف صفوفه بإزائه . ثم
أرسل الى كيخسرو رسولين برسالة تشتمل على التماس المصالحة والمسألة والإسالك عن إراقة الدماء ،
على أنواع من الأموال كثيرة بينها له . ^(٢) والتمس على تقدير عدم الإجابة الى ذلك أن يخرج اليه كيخسرو
بنفسه فيأرزه على الصفة المعتادة في التبارز في كلام طويل . فلم ينجح الملك كيخسرو الى السلم ، وأبى
إلا الحرب ، وعزم على إجابته الى ما التمس من مبارزته بنفسه ، فتمه رسم من ذلك وقال : لو كانت
الملوك تبارز بعضهم بعضاً ، ويقاثل أحدهم خصمه بنفسه لم يكن بهم حاجة الى جمع السّاكر وجر
المجاهل . فردّ اليه في الجواب أن عندنا من يصلح لمبارزتك ومقاومتك غيرى وهو إما رسم بن دستان
أو جيو بن جودرز . فمن اخترت مبارزته منهما فهو بين يديك . فلما سمع أفراسياب ذلك الجواب عظم
عليه ، واضطر الى الحرب . فتراحف الفريقان ، والتحم القتال بينهم من أوّل النهار الى وقت الغروب ،
ثم رجع كل واحد من الفريقين الى تخيمهم . واستدعى الملك كيخسرو رسم وطوسا وجودرز وجيواً
وقال : إن أفراسياب يبيتنا الليلة فاكثروا له ، فأمر رسم بأن يركب في جمع كثيف ويكون في ناحية
السهل ، وأمر طوسا أيضاً بأن يكون في جمع آخر في ناحية الجبل ، وأمر العسكر لحفروا فيما على التورانيين
حفيرة وجعلوا فيها الماء ، وأمر الحرس بالآيوفندوا النيران ولا يرضوا أصواتهم تلك الليلة . وركب
ووقف بنفسه مع القيلة والسّاكر من وراء الحفيرة . فلما أظلم الليل نفذ أفراسياب جواسيسه
فرجعوا وأخبروه بأنهم لم يروا لليرانيين حساً ، ولم يسمعوا لهم همساً . كأنهم شربوا طول نهارهم

(١) بغاه الخبر . (٢) صل : وغيرهم . (٣) ك : له (٤)

(٤) ك ، كى ، ط : فرجعوا اليه .

المدام حتى حالفوا ليلهم الماتم . فارتاح لما سمع واستحضر رموس الأجناد، وذكر لهم ما ابتلى به من الإيرانيين وتسلبهم عليه ، وقال : الرأى أن نهبيل الليلة غرتهم وتوسمهم بحوافر الخيل ، ونيتهم عند ركوب الصباح أعجاز الليل . فاختار منهم نحسين ألف فارس ممن نجتهم الحروب وضرتهم الخطوب ، ووجههم لذلك . فلما قروا من معسكر الإيرانيين نرج عليهم رسم من أحد الجانيين ، ونرج اليهم طوس من الجانب الآخر ، وتلقاهم الملك بالقبيلة فيمن معه . فوضعوا فيهم السيف فلم يسمع غير صليل الصوارم فوق الجماجم ، وشهيق اللهازم في الصدور واللاهزم . حتى لم يفلت منهم من العشرة إلا واحد . فانزعج أفراسياب واضطرب ، وقال لأصحابه : الرأى أن نزحف اليهم ونصددهم صدمة واحدة فأما ملك وإما هلك . فارتفعت أصوات الكوسات والطبول من الجانيين ، والتقى الجمعان ، والتحم القتال في مسافة ثلاثة فراسخ . قال : فتلاطمت أمواج الدماء في ذلك الفضاء . فثارت ريح عاصف لم يسمع بمثلها فكانت تحفر التراب وترمي في وجوه التورانيين وتسلب لشدتها البيض من رموسهم . فعند ذلك حمل الملك كيخسرو مع رسم حملة صادقة أدرجت أكرهم تحت القتل والأسر . فقطع أفراسياب عند ذلك رجاءه ، وثنى عنانه مع ألف فارس من أقاربه وخواصه ، وترك بقية عسكره بين أشدق المنون . وأخذ في بعض عوادل الطرق سالكا طريق البرية . ثم إن بقايا التورانيين لما فقدوا الراية السوداء من القلب ، وعلموها هرب أفراسياب طلبوا الأمان من الملك كيخسرو ، ورموا الأسلحة . فعطف عليهم وأمنهم وأحسن اليهم . ورجع الى عجمه فاعتزل من المعسكر ، وخلا بنفسه في مكان خال ، ومثل قائما بين يدي ربه عز وجل يحمد ويدعوه ويشكره على ما أسدى اليه وأنعم به عليه ، من أول الليل الى أن طلعت الشمس . ثم رجع الى المعسكر ، وأمر بدفن من قتل من الإيرانيين وجمع القنائم وتفريقها على العسكر . ورجع الى مدينة كلك فأقام بها . فجاءته رسل بنبور ملك الصين بالهدايا والتعحف مستأثما معتذرا عما صدر منه من إمداد أفراسياب ، ومتصلا عن ذلك . فقبل الملك هداياه وآمنه وقال للرسول : قل لبغبور لا ترق ماء وجهك عندنا ، ولا تمكن أفراسياب من الاعتضاد بك والاتجاء اليك . فرجع الرسول الى بنبور وبلغه ما قال ، فأخذ الى أفراسياب وقال له : تباعد عن ممالك الصين ، ولا تقربن هذا الإقليم . فغاب عند ذلك ظنه ، وهام على وجهه الى أن وصل الى جبل اسبروز ، ورجع منه سائرا

حتى وصل الى بحر زره ، فركب السفن بمن معه وتوجه راكبا لجة البوار ، تسوق مراكه
دبور الإibar الى أن حصل في قلعة كك دز فاستلقى فيها آتئا ، وأقام بها ساكنا . وقال : إذا
أحسست من طالبي بسعادة صبرت وحسدت وطلبت بثأرى . قال : ولما علم كيخسرو بذلك
قال لأصحابه : إن المدوقد عبر الماء وحصل في مأمن ، ولا بد لنا من أن نسجن بلاد الصين
وبلاد مكران بالمساكر ، وركب البحر ونقع أثره وتقصد قصده . فداه الأمراء ذلك واهتموا من
أجله ، وقالوا : كيف يمكن العبور بهذا العسكر العظيم على بحر لا يقطع على تقدير السلامة ؛ في ستة
أشهر ؟ فصار كل واحد منهم يقول شيئا . فأقبل عليهم رستم وقال : أيها السادات الأكابر !
لا ينبغي أن تؤثروا الراحة فيضيع سعيكم ويتعش المدوقد فيعظم الخطب . وحشم ووعظهم . فقاموا
في حضرة الملك وقالوا : نحن كلنا عبيدك المخلصون ولأوامرك في البر والبحر ممتثلون . ففرح الملك
وشكرهم وأثنى عليهم وأحسن إليهم ، وعزم على الرحيل ، كما سيأتي ان شاء الله تعالى .

في تقدم أن جن مازندران أسروا كيكاوس عند جبل اسبروز فهو إذا أحد جبال مازندران^(٢)
ومن الأنهار التي تصب في بحر قزوين نهر اسيدروذ . ولعل " اسبروز " محرفة عن " اسيدروذ "^(٣)
فالبحر الذي يسمى هنا بحر زره ينبغي أن يكون بحر قزوين . وقد سماه أفراسياب في هذا الفصل
بحر كياك^(٤) . ويقول المسعودي عن بحر قزوين : « وما يصب الى هذا البحر من الأنهار العظام
المشهوره نهر أرتيش الأسود ونهر أرتيش الأبيض . وهما عظيمان يزيد كل واحد منهما على دجلة
والفرات . وبين مصبيهما نحو من عشرة أيام . وعليهما مشق ومصيف الكيماكية والغزية من الترك » .
وهذا يرجح أن بحر كياك هو بحر قزوين أو نهر يصب فيه .

وتسميته هنا بحر زره وهم من القصاص ؛ ظنوه اسم بحر بعينه . و " زره " في اللغة القديمة
معناه بحر .

ثم يمد القارئ في فرار أفراسياب وتعقب كيخسرو إياه خلطا جغرافيا كالذي تقدم في طواف
كيكاوس ومسيره الى ائين (هلماوران)^(٥) .

(١) صل : توتر . والتصحيح من ك ، ط . (٢) انظر المتن ص ١١٢ (٣) التيه والاشراف ص ١٢

(٤) المتن ص ٢٨٤ (٥) المتن ص ١١٩

ذكر إغناذ الملك كيخسرو جيو بالأسارى والغنائم إلى خدمة كيكاوس، ودخوله
الى الصين وبلاد مكران، وركوبه البحر خلف أفراسياب

قال: وأمر الملك ففتحوا أبواب خرائن أفراسياب فأقر ألف حمل من الذهب والفضة والجواهر
والثياب . وأدخلوا عشرة آلاف ثور تحت العجل وأوقروها بالآلات الحرب . وأمر بإخراج مختدرات
أفراسياب جميعهن في جنح الليل بالهاريات والمهود الى الميدان، وتجهيز مائة نفس من الأكابر
الصييد من أقارب أفراسياب ومائة نفس من أكابر أهل تلك الأقاليم من الذين كانوا رهاثن عنده .
ثم أمر بإخراج ولده جهن وأخيه كريسوز قيودهما، وحملهما في المهود . وسلمهم جميعهم الى جيون
جودرز بن كشواذ وأمره أن يستصحب عشرة آلاف فارس ويسير بهم ويجمع ما سبق ذكره
الى حضرة الملك كيكاوس . وكتب اليه كتابا ذكر فيه محاصرته لمدينة كك ، ومدة الحصار ، وكيفية
الأخذ، وهرب أفراسياب، وأنه على جر المجاهل الى بلاد الصين ثم المصير منها الى بلاد مكران ليتركب
منها نحو كيكاك . ويتطلب أفراسياب حتى يظفر به . فسار جيو على الجملة المذكورة . ولما وصل^(١)
الى حضرة كيكاوس وثب وقلقه ومسح وجهه بيسده، وسأله عن أحوال ولده . فسرد عليه جيو
جميع ما جرى له ثم أدخل الأسارى عليه . فأمر بإدخال المختدرات الى ما وراء الستور . وأمر بأن
يرتب لجهن بن أفراسياب موضع يليق به ليحمل محبسا له . ففعلوا ذلك ورتبوا له خدما يخدمونه .
وأودعوا كريسوز مطمورة مظلمة . وفزق تلك المغانم على الفقراء والمحتاجين، وسألم أن يدعوا للملك
كيخسرو ويشكروه . ثم أمر بأن يكتب الى أطراف البلاد بفتح محالك توران وجلوس الملك
كيخسرو على سرير السلطنة بها . ثم خلع على جيو ورذه الى الملك كيخسرو بجواب كتابه . فرجع
جيو الى حضرة وهو بعد بمدينة كك ، ففرح بكتاب جدّه وجلس في مجلس الأئس مع الملوك
والأمراء ثلاثة أيام . ولما كان اليوم الرابع فزق السلاح على العسكر، ونخرج من المدينة متوجها
نحو الصين، وأقام كسّتهم بن نودر في عسكر عظيم هناك . وسار الى أن وصل الى المدينة التي بناها
أبوه سياوخش فدخل بستانا كان له وجعل يتوجع ويبكى (بلقاء الى الموضع الذي أنزع فيه دم
سياوخش فطقق يبكى^(٢)) ويتضرع الى الله تعالى ويسأله أن يمكنه من أفراسياب حتى يقتله ويفرغ
دمه على الأرض على تلك الهيئة .

(١٥٦)

(١) ك : ولما حضر . (٢) ك : وأدخل عليه الأسارى . (٣) ك : يبكى ويتوجع عليه .

(٤) ما بين القوسين من ك : كوك ، ط :

ثم أرسل رسلا الى الخاقان وغبور وصاحب مكران وغيرهم من ملوك تلك الأطراف، وأمرهم أن يبذلوا له الطاعة ويتلقوا مواكبه اذا قدم الى بلادهم، ويهيئوا لساكره الأتزال في المنازل . فقابلوا أمثله بالامثال، وتلقوا رسله بالإعظام والإجلال، وأظهروا السرور والابتهاج بملكه وسلطانه سوى صاحب مكران . فإنه استخف بالرسول وقال له : قل لصاحبك إن كنت تريد أن يفتح لك الطريق فيبذل لك ذلك . وإن كان في نفسك قصد دار ملكا ومقر عزنا فليس بيننا وبينك غير السيف . فلما رجع الرسول وأخبر الملك بذلك ساق العساكر وسار الى ختر . فاستقبله الخاقان وغبور في جميع أكابر الصين وقد ملأوا المنازل بالأتزال والتحف ، فلما استأنس بغبور استضاف الملك فاجابه ودخل الى قصره فنثر عليه ثلاثين ألف دينار صيني . وأقام الملك ثلاثة أشهر هناك وغبور وأكابر الصين قائلون بشرائط خدمته . ولم يكن يخلو يوم من أن يخدمه بهدية مستجدة وتحفة مستطرفة . فلما استهل الشهر الرابع ترك رسم هناك وساق العساكر قاصدا قصد مكران . فلما قرب منها نفذ اليها رسولا بالإعذار والإنذار ، فلم يجب صاحبها الى الطاعة . فقصدته وسار اليها فوجد جميع ممالك التيز ومكران مملوءة من العساكر ، فقاتلهم وقتل صاحب مكران مع أنفي فارس ، وأسرمه ألفا ومائة وأربعين أميرا . وانهمز الباقون ، وتركوا من المغنم والخيول والأسلحة والفيلة ما يفوت العد والحصر . فأتى الملك البلد ، وبسط في أهله يد القتل والنهب ، وأحرقوا^(١) الدور والقصور ، ونهبوا الحصون والصور ، وسبوا الإماء وقتلوا الذكور . ثم اجتمعت عباد تلك المدينة ومشايخها ، واستفتاوا الى الملك وقالوا : نحن قوم ضعفاء لا جرم لنا ، ولم نزل مظلومين . فإن تعطف الملك علينا فإنما يرحم قوما مساكين . فأمهم الملك وكف عنهم يد القتل والأسر . وأقام سنة ، واستحضر الصناع ، واستعمل سفنا وزوارق كثيرة وأشار على أشكس بأن يقيم في ذلك الإقليم ، ويستقل فيه بالتدبير . وساق الجحافل وسار الى أن وصل الى ساحل البحر ، فأمر بحمل طعام سنة كاملة . واعتزل هو الى موضع ومجده لله تعالى وتضرع اليه وقال : أنت مالك الثريا والثرى ، والحافظ برا وبحرا . احفظني وعساكري وتاجي ونحقي . وكان هذا البحر اذا سارت فيه السفينة ستة أشهر رقتها الرياح المختلفة وألقتها الى موضع يسميه الملاحون فم الأسد ، فيتعذر خلاصها منه . فغرت سفنه ومراكبه بسعادته على هدوء وسكون من الماء والهواء . وشاهدوا في البحر عجائب كثيرة كالأسود والثيران وإنس الماء بالشعور المتهدلة كالجبال متسربلين بالأصواف والأشعار لبعضهم رموس كرموس الجواميس ويدان من خلف ورجلان من قدام . وآخرون رموسهم كرموس

التامسح، وأبدانهم كأبدان النور، وأرجلهم كأرجل حُرَّ الوحش. فكانوا يقضون العجب، ويسبحون خالقها ويقدسون رازقها. فقطعوا هذا البحر المائل في سبعة أشهر. ولما خرج الملك الى البر رأى بلادا عامرة على ترتيب بلاد الصين وناسا لسانهم كلسان أهل مكران. فقلد تلك الممالك جيوا، وتركه فيها وسار، وأرسل الى جميع بلاد ذلك الإقليم فكانوا يتلقونه بالسمع والطاعة، ويلقونه بالخضوع والضرعة. فاستخبرهم عن أفراسياب فأعلموه بمحصنه بقلعة كُك، وأن بينه وبين تلك القلعة مائة فرسخ. فسار الملك فأصدا قصده. ولما أطلع أفراسياب على عبور كيخسرو وبحر كيماك أسر الخبير في نفسه، ولم يعلم بذلك أحدا من أصحابه. ولما جنة الليل ترك أصحابه ورجاله، واتخذ الليل جملا وهرب مملئ القلب هما وأسفا. فلما وصل الملك الى القلعة المعمورة، ورأى تلك الأراضي العامرة، والبساتين الناضرة، والحدائق الزاهرة، والعيون المتفجرة، والأزاهير المتفتحة استطابها واستطاب ماعها وهواءها، وأقام فيها. وفرق العساكر في طلب أفراسياب فلم يقفوا له على خبر ولم يعثروا منه على أثر. غير أنهم وجدوا خلقا كثيرا من أصحابه المتخلفين عنه فقتلوه. وأقام الملك بها سنة من الزمان مستروحا الى طيب ذلك المكان. فاجتمع عليه أمراؤه وأصحابه وقالوا: طال مقام الملك في هذه البلاد. والرأى أن نزع الى ممالكنا أخذنا بالحزم، وجريا على مقتضى الاحتياط. فان كيكاوس قد طعن في السن، واستولى عليه الضعف، وحضرته خالية عن الرجال والأموال، وقد خضى حال أفراسياب عنا، فلو حشد جمعا وقصد تلك الممالك لم يكن هناك من يقاومه ويثامنه، فشتتة شوكته ويملو أمره، ويضع عند ذلك سعيئا في هذه المدة المديدة. فاستصوب الملك كلامهم وعزم على الرجوع. فاختار من تلك المدينة رجلا صلح للرياسة والسياسة فخلع عليه، وفوض أمور تلك الممالك اليه، وأوصاه بالعدل والاحسان ومجانبة الظلم والعدوان. ثم ارتحل منها راجعا وراه. فلما قرب من بلاد الساحل تلقاه جيو بن جوزدز فأكرمه الملك وأخبره بما رأى في تلك القلعة. ثم أمر بإعداد السفن والزوارق فركب البحر في عساكره، وعبر سالما الى هذا الجانب في سبعة أشهر. فلما خرج محمد لله تعالى وشكره وحمده، ثم خلع على الملاحين وأعطاهم أموالا وافرة، وسلك طريق البرية متوجها الى مكران. فلما قرب منها تلقاه أشكس في جميع أكابر المدينة بالتحف والهدايا الكثيرة. ثم اختار من أكابر مكران رجلا مترشحا لللك متحليا بالخلال الحميدة والسير المرضية فخلع عليه وولاه تلك الممالك. واستصحب أشكس، وأقبل الى أن قرب من بلاد الصين فاستقبله رستم بن دستان فماقه الملك وأكرمه، وجعل يخبره بما رأى من عجائب البحر. فاقام بالصين في ضيافة رستم أسبوعا. ثم ارتحل

(٩٦)

بسأكزه حتى وصل الى مدينة سیاوخش كد بقاء الى مصب دم آیه، وطفق یبکی ویسوج ویشتر على رأسه التراب ویضرب صدره ویلطم وجهه . ووضع رسم خدّه على ذلك التراب أيضا، وجعل یبکی . فقال کیخسرو وهو یبکی : آیها الشهريار ! إنك قد خلقتنى فى هذه الدنيا ولم أزل فى العناء والتعب للطلب بئارك حتى نكست رایة أفراسیاب، وأزعجتہ عن سریر ملكه . ولست أفرحنى أظفر به وأقص منه » .

ثم انصرف الى الموضع الذى كان فيه كتر سیاوخش ، وكانت أمه قد أخبرته به، ففتح بابه وأطلق منه أرزاق العسكر، وأعطى رسم منه مائتى بدره، ووهب لحيو أيضا مالا كثيرا . فأقام بهذه المدينة أسبوعين ثم ارتحل منها . وعلم كستهم بن نوذر بمقدمه فاستقبله على الرسم ، وقابله الملك بالإكرام والاحترام . وجاء حتى نزل فى جنة كلك . وكان لا يزال يتقب عن أفراسیاب لیل ونهارا، وهو لا یقف على شئ من حاله . فاعتسل ذات لیل وأخذ كتاب الزند معه، وخلا بنفسه فى مكان خال، ولم یزل طول لیلته ساجدا لله تعالى یبکی ویترضع اليه سبحانه ویقول: إن هذا العبد الضعیف^(١) الموجه القلب والروح طاف الدنيا فسلک رملها وقفارها، وقطع جبالها وبحارها طالبا لأفراسیاب الذى أنت تعلم أنه سالك غیر طریق السداد، وسافك غیر الحقی دماء العباد . وأنت تعلم أنى لا أقدر علیه إلا بحولك وقوتك . فكنى منه . وإن كنت عنه راضیا، وأنت تعلم ولا أعلم، فأصرفنى عنه، وأطف من قلبى نائرة عداوته وقف بى على سواء الطريق والنهج القويم . ثم انه أقام سنة مریحا نفسه من تحمل أوزار الحرب ومتباعدة عن شواغل القلب .

ذكر انصراف الملك کیخسرو من بلاد توران وعوده الى ایران

وما تعقب ذلك من ظفروه بأفراسیاب

ثم إنه اشتاق الى لقاء كيكائوس فسلم الى كستهم بن نوذر تلك الممالك من بختار الى منتهى ساحل الصين،^(٢) وضم اليه عساكر كثيرة، وأوصاه بالتيقظ والتحرز، وأمره بتفريق أصحاب الأخبار فى أطراف بلاد مكران والصين وغيرها من البلاد . وأمرهم بالبحث عن أفراسیاب . وأمر بشد العجل على أربعين ألف ثور، وأن تحمل عليها الأثقال والغنائم من الذهب والجواهر والمسك والعنبر والملابس والمفارش والأسلحة والعُد وسائر ما یجلب من أرض مكران والصين، الى غیر ذلك من الخيل والجواری والغلمان . فقدم كل ذلك بين يديه، وسار فى عساكر تجل وجه الأرض ،

(١) ك : الضعیف (لا) . - (٢) ك : وى : وصل عن . (٣) ط : بحر الصين .

وكانوا من الكثرة بحيث اذا ارتحلت الساقه من منزل تزلت المقسمه في المنزل الآخر . ولما اتى الى السغد أقام فيها أسبوعا . وارتحل منها الى بخارا فدخل بيت النار الذي بناه تور بن أفرينون هناك ، فأعطى الموابنة ذهباً كثيراً ، وثر على النار جواهر . وارتحل منها الى بلخ وأقام فيها شهرا . ثم ارتحل منها بعد أن ترك فيها إصبيذا وعسكرا ، وكذلك فعل في البلاد الأخر المذكورة ، فوصل الى الطالقان ومرو الروز فاستقبله الأكابر ينثرون على مواكبهم المسك والزعفران واللؤلؤ والمرجان . وأقبل منها بفيلته وعساكره الى نيسابور فأقام بها وفترق فيها أموالا كثيرة على فقرائها . وارتحل منها في الأسبوع الثاني متوجها الى الري حتى وصل اليها وأقام بها أسبوعين مستمرا على عادته في الإحسان والإتعام على الفقراء والمحتاجين . ثم أقبل منها الى بغداد ، وفزع التجاجين الى كيكلوس بأرض فارس فأظهر بمقدمه الفرج والسرور ، وأمر بضرب البشار ونصب القباب على الطرق وتجليها بالدياج والحرير . ثم خرج كيكلوس عند مقدمه لاستقباله . ولما وقعت عين كيكسرو على جده ركض اليه فقاما وبكا من الفرح فدعا له كيكلوس وأثنى عليه وقال له فيما قال : إنه من عهد جمشيد ثم من عهد أفرينون من بعد لم تر الميون صاحب تاج وتحت مثلك . فقال له كيكسرو : هل أنا الا شعبة من دوحتك ؟ وهل حصلت هذه الفتوح إلا بسعادتك ؟ ثم إن كيكلوس أمر فنثروا عليه الباقوت والذهب حتى غمر النار قوائم الثعث . ثم تحوّلوا للطعام الى إيوان مذهب ، وجعل يحدث جده بما جرى له في البر والبحر والحزن والسمل . ثم لما رفع السباط أحضروا الشراب واستنطقوا بالحنك والراب . وأقاموا على ذلك أسبوعا . ثم فتح كيكلوس أبواب كنوزة ، ورتب الخلع للأمرء والملوك الذين كانوا في خدمة كيكسرو فأفاض على كل واحد منهم ما يليق به من الخلع الفاخرة والتحف الوافرة . ثم أذن لهم في الإنصراف الى بلادهم . وبعد ذلك تفزع لمسكره الخاص فأطلق لهم أرزاق سنة ، وأدع عليهم العطايا والصلوات .

وخلا الملك كيكسرو ذات يوم يجمه وقال له : إن هذا الظالم قد خفى أثره بعد تحمل المشاق العظيمة في طلبه ، وإنه إن عاد الى كك وأقام بها ولو ساعة واحدة ثابت اليه عساكره ، وقوى أمره وعلا كعبه فنتحتاج الى استئاف قتاله والنهوض الى بلاده . فقال له كيكلوس : الرأي أن أركب أنا وأنت معا ونصير الى بيت نار آذر كُشَسب — وهو بيت نار بأذربيجان — فنبتل الى الله تعالى وتتضرع اليه فلعله يهدينا الى الموضع الذي هو فيه . فلبسا ثياب البياض ، وربا وسارا الى ذلك المتعبد بقلوب ملومة من الخوف والرءاء . فلما دخلا بيت النار جملا بيكان ويتضرعان الى ربهما ، ويسالانه ، وينثران

(٩٧)

الجواهر على الموابنة . وأقاما أسبوعا في بيت النار . وزعم صاحب الكتاب أنهم لم يكونوا يعبدون النار وإنما يعبدون الله عز وجل والنار لم كالقبة . قال : وأقاموا في أذربيجان شهرا حتى أظفرهم الله تعالى بأفراسياب .

وكان من خبره أنه لما جرى عليه ما جرى هام على وجهه يحول في البلاد وهو ممثلي خوفا ورعبا ، ولم يكن يأمن على نفسه ساعة ، وكان يطلب موضعا يأمن فيه على روحه . فحاء الى برذعة . § وكان في بعض جبالها المنقطعة مغارة لم يدخلها أحد ، ولم يطأها قط قدم ، بعيدة عن العمرات قريبة من البحر . وهذه المغارة تسمى هنك أفراسياب فنقل اليها من المأكول ما يقوته ، وتوارى فيها . وكان في ذلك الزمان رجل من أولاد أفرينون عابد منقطع الى الله تعالى يسمى هوما ، وله في ذلك الجبل متعبد في بعض الكهوف يغلو فيه ويعبد الله عز وجل . فسمع ذات ليلة صوت نائم في جنح الليل ينوح باللسان التركي على نفسه ويندها ويقول مخاطبا لنفسه : يا سيدا ساد الأكابر عزنا وشرقا ! ويا ملكا حكم على جميع الملوك نافذا في الشرق والغرب حكمه ، وماضيا في الصين والترك أمره ! أين تاجك وتختك ؟ وأين خيلك ورجلك ؟ وأين تلك الرجولية والبسالة ؟ وأين تلك الروعة والجلالة ؟ كيف انتهت بك الحال الى أن تعوضت من جميع الممالك مغارة مظلمة تواريت فيها هاربا من بوائق الزمان وطوارق الحداث ؟ فلما سمع هوم العابد ذلك قال في نفسه : إن هذا الصوت لا يكون غير صوت أفراسياب . فقام وتشمروا وخلع العباء الذي كان به متخللا ، وحل زنارا كان في وسطه ، وتبع الصوت حتى دخل المغارة فهجم على أفراسياب ، وكشف يديه بزواره ، وشد وثاقه ، وأخرجه من المغارة يسوقه مهينا ذليلا بعد أن كان مهيبا جليلا . قال صاحب الكتاب : وما أجدر كل من كان صاحب ملك وجلالة أن يقضى العجب من هذه الحالة ، فلا يؤثر غير حسن الأحدثة في الدنيا القانية ودولها المستعمارة . قال فلما رأى أفراسياب إرهابه وإياه وعنفه به قال له : أيها العابد ! ماذا تريد من رجل اختفى في مغارة ضيقة ؟ فقال له لا ترق دماء الملوك والسادات وأنت في غنى

§ برذعة بلد في أتران كانت مصرا كبيرا . وعلى تسعة فراسخ منها بلدة اسمها كنجة أو جترة ^(٢) . وقد تقدم أن أفراسياب هرب الى كنجة دثر أي قلعة كنجة . وقلت أنها تشبه أن تكون في بحر قزوين . فقدم أفراسياب الى برذعة بعد فراره من كنجة يؤيد ما ظننت عن موقع كنجة ، ويجعل على الظن أن كنجة هي كنجة أو جترة . وهي من مدن أتران . وأتران في الشمال الغربي من أذربيجان يفصلهما نهر الرس . وهي من إرمينية .

عن سكنى الكهوف والمغارات . من ذا الذى قتل من ملوك العالم أخاه ، وبارز الله بالعداوة وتاواه ؟
ألسنت قاتل أغريث الناصح ، وسافك دم نوذر الراجح ، وقاطع رحم سياوخش الصالح ؟ فقال : بهذا
جرت على أقلام قضاء الله فى الأزل . ومن المعضوم فى هذه الدنيا الغدارة من الزلل ؟ فارحم عاجزا
ظلم نفسه كثيرا ، واعطف على من كان ملكا كبيرا فصار هكنا بين يديك أسيرا . وإن كنت لاتمن
عليه بالإطلاق فغل عليه قليلا من هذا الوثاق . فرق له هوم ونفس قليلا من خناقه ، وأرني يسيرا
من وثاقه . وكان يسير به على ساحل البحر المعروف بمنجست (١) . فاهتبل أفراسياب غرة من هوم
حين أحس بأنه قد رق له وتحنن عليه ، ورى بنفسه فى البحر واختنى من عين هوم . واتفق
أن جوذر بن كشواذ وولده جيوا خرجا خلف الملك كيخسرو فوصلا إلى ذلك الساحل . فرأى
جودرز العابد بيده جبل وهو يمشى على ساحل البحر متلهفا وعلى ما فاتته متأسفا . فقال : كأن هذا
صياد قد صادف أعجوبة من عجائب البحر . فصاح به وقال : مالى أراك مهموما ؟ أظهر لى أمرك ،
ويج إلى بسرك . فدنا منه وحكا له الحكاية فقضى جودرز العجب من ذلك وسار إلى حضرة
الملك كيخسرو وسرد عليه الحديث . فركب الملك كيخسرو وجاء مع جودرز إلى ساحل البحر حيث
كان هوم فاستخبره عما جرى له فأعلمه بالحال . فبقى الملك على الساحل مع العابد زمانا طويلا .
ثم إن هوما لم يزل يخال على أفراسياب بكل حيلة حتى تمكن منه فى البحر ، وأسره واجتره إلى
الساحل فسلمه إلى أصحاب الملك كيخسرو . ثم تغيب عن أعينهم حتى كأنه طار مع الريح
فى الهواء . فبغاه الملك مجزدا لل سيف ممثلا من الفيظ . فلما رآه أفراسياب قال : إني رأيت هذا

ف نقلت آنفا طرفا مما تذكره الأستاق عن كيخسرو وظفره بأفراسياب وراء بحيرة أرمية (٢) . وأنقل
هنا نصوصا تبين عن أصل هذه الأسطورة أسطورة أفراسياب فى المغارة وظفر هوم به الخ .
”قرب اليها (إلى أردنى سورا أاناها) السفاح التوراني فرنسكرسيان قربانا فى كهفه تحت
الأرض بمائة حصان وألف ثور ، وعشرة آلاف حل .

سأله نعمة قائلا : استجنى هذه ، أيتها الخيرى أردنى الخ . لعل أظفر بهذا المجد الذى يمجج
فى بلجة بحر ثور وكشأ ، والذى هو للأمة الآرية من ولد منهم ومن لم يولد ، وللقديس زرتشترا (٣) .
والبحر المذكور هنا متصل ببحيرة هسروه التى هى على خمسين فرسخا من بحيرة أرمية (٤) .

(١) هى بحيرة كاككس ، التى سبق ذكرها . وقد حُرف اسمها فى النام من جيجست الى خنجست (أفستا ، ج ٢ ص ٦٦) .

(٢) ك : كو ، طا : عليه (لا) . (٢) ك : عن عين . (٣) المتن ص ٢٠٠ حاشية .

(٤) أفستا ، ج ٢ ص ٦٤ ، ٢٠٠ ، المتن ص ٢٠١ ح .

اليوم في المنام، والآن تحقق وإن تطاول مدى الأيام . ثم صاح بحافده وقال : أيها الخبيث الحقود ! لا تقدم على قتل جدك . فقال له كيخسرو : يا سيي الظن ، ويا مستحق التعنيف واللوم ! أما قتلت أخاك أغريبرت الذي لم يسفك دما قط ؟ أما ضربت رقبة نوذر الذي كان عن الملوك خلفا ؟ أما قطعت وريدى سياوخش الذي بلغ السماء عزرا وشرفا ؟ إن هذا يوم الجزاء وستسقى بالكأس التي سقيت بها هؤلاء . فقال له : أيها الملك ! إن الكأس قد كان، وحين الحائن قد حان . اصبر على مقدار ما أنظر إلى وجه أمك ثم امض لأمرك . فبادره الملك وضرب رقبة بالسيف . فذاق وبال أمره وحق به سوء عمله . فلا تكن أيها الماقل لباب الشر مفتاحا . ومن كان من الملوك مخصوصا بناية الحق فلن يحمله الغضب على أكثر من القيد والحبس . ومهما صار سفاكا للدماء فلا محالة من يروما ير به .

= ويتبين من هذا أن كهف أفراسياب لم يكن ملجأ آوى إليه خوفا من كيخسرو كما في الشاهنامة، بل كان مقر ملك يقترب القرايين العظيمة طمعا في الظفر يحد الآرين . ولذلك نجد في الروايات القديمة أن هذا الكهف كان قصرا تحت الأرض جدرانه من الحديد، وله مائة عمود، وارتفاعه ألف قامة^(٤) . وأما هوم العابد الذي أمسك أفراسياب فتقول عنه الأستاق : ” قرب إليها هوما قربانا — هوما المنعش، الشافي، الجليل، الملك... .. وسألها نعمة أن امحني هذه أيتها الخيري درقاسيه ! لعل أغل السفاح التوراني — قرنك كرسيان، ولعل أجرة مغلولا ولعل آتى به مغلولا إلى الملك هُسر وهُسر . لعل الملك هُسر وهُسر يقتله وراء بحيرة كاتيكسته العميقة المالحة لئلا يراه سيوشرانه الرجل ولا غريته شبه الرجل“ .

وتفسير هذا أن هوما اسم إله في عبادة الطبيعة القديمة . وقد صار عند الإيرانيين القدماء اسم شراب مقدس يقرب إلى الآلهة ، واسم الروح المسيطر عليه ، وإليه يعزى إهلاك الشياطين لأنه أقوى عنصر في القرايين التي يتوسل بها إلى إهلاكهم . فانظر كيف صار هوما الذي في الأساطير القديمة العابد هوما في الشاهنامة .

ثم محاولة أفراسياب الفرار وارتماؤه في البحر الخ بقية محزنة مما في الأستاق . ففينا أن أفراسياب حاول مرارا أن يظفر بجحد الآرين الذي يموج في البحر ، فتجزد من ثيابه وألقى بنفسه في الماء ولكنه رجع خائباً^(٦) .

(١) ك، ط، طال . (٢) ك، كو، ط، لم تقدم . (٣) صل : الذي . والتصحيح من ك، ط .

(٤) أنفا، ج ٢ ص ٣٠٠، ٦٤، ٣٠٠، ٢٠١ ص ٢٠١ . (٥) أنفا، ج ٢ ص ١١٤ . (٦) = ص ٣٠٠ .

قال : ولما فرغ من أفراسياب أحضر كرسوز ، وأشار إلى السيف فوسطه بالسيف نصفين ، ورمى بيمينته على جثة أخيه ، ثم انصرف من الساحل نحو بيت النار المذكور ، وطفق يزمرم حول النار ، ويثر الذهب على الذهب ، ويشكر الله تعالى ويمجده . وأقام فيه يوما وليلة ثم أمر الخازن أن يرفع على الموازنة والمراودة خلعا رائقة ، وأفاض عليهم أموالا كثيرة . وأمر أيضا بتفريق خزائن أخرى على فقراء البلدة والمحتاجين . ثم جلس على التخت ، وأمر بإقتناء الكتب إلى مشارق الأرض ومغاربها باستئصاله لشافة الفتنة ، وجه لستمها وغاربها . ثم دخل إلى إيوان كان له عند بيت النار ، وأقام فيه مع جده كيكلوس أربعين يوما لا يفيقان سكرًا وطربًا ، ولا يفتران من تفريق الأموال شكرًا وكرمًا . ثم عادا في أكابر الدولة إلى بلاد فارس . وكان كيكسرو وكلما مر بمدينة تلقاه السؤل وأهل الحاجة فأغنهم من خزائنه . ولم يزل ذلك دأبه حتى استقر في دار ملكه ومقر عرشه .

ذكر وفاة الملك كيكلوس

قال : ولما بلغ كيكلوس نهاية وطره في إدراك ثار ولده جعل ينجى ربه ويدعوه ويمجده ويبقى عليه ويشكره . وكأنما ألم الشاعر بحاله في ذلك حيث يقول :

إذا المعارج كم سألتك نعمة ففتحها لي بالذنوب الأوفر
أى العوارف منك أشكر فضله ؟ عجز المقل وزاد طول المكثر
أكفاني ما قد حذرت وقوعه أم ما كفيت من الذى لم أحذر

ثم قال : ألمى ! أما إذ بلغ عمرى إلى مائة وخمسين سنة ، واشتعل رأسى شيئا ، وتاد مسك عارضى كانوا بعد أن بلغت نهاية الآمال ، وقبضت لى مثل كيكسرو ولدا تسم ذروة الجلال ، وجلل طلاع الأرض بالإحسان والإنفضال فأتقنى إلى جوارك الكريم وجناك العزيز . فلم يمس عليه إلا قليل من الزمان حتى قضى نحبه ولقى ربه . فعقد الملك كيكسرو له ماتما ونزل من التخت وجلس على التراب . وحضر عنده جميع الملوك والقوادى فى ملابس الحداد وثياب السواد . وأمر ببناء قبة عظيمة عالية فى السماء وجعلها له ناووسا ، وكفنه بالثياب الدىقية والديابيج الرومية بعد أن ذروا فيها المسك والكافور والديق . ووضعوه على تخت من الساج^(٢) وسدوا عليه باب التربة . وجلس الملك أربعين يوما لعزائه ثم عاود التاج والتخت بعد اقضاءه ، وجلس على تخت^(٣) العاج معتصبا بالتاج ، واصطف على رأسه جميع الملوك والأكابر ، وشروا على تاجه أطباقا من الذهب والجواهر . وهنوه

(١) ك : خز . (٢) صل : تحت الديابج . والتصحيح من ك ، طا ، كو . (٣) ك : ك ، طا ، ك : تخت من العاج .

باجتماع الملك الطارد والتالد . وأقام هذا الملك على تخت السلطنة ينهى ويأمر ، ويعطى ويمنع حتى استوفى ستين سنة من ملكه . ولما استوى شمس حاله ، وتسم ذروة كماله أذنه داعى الرجل بارتحاله .

ذكر انقضاء مدة الملك كيخسرو وخاتمة أمره

قال : ثم استولى على الملك كيخسرو الفكر في حاله وتقلب غير الدهر به ، فجعل يقول في نفسه : إني قد طفت جميع المسالك والممالك ، وسخرت جميع ملوك الشرق والغرب ، ودخلت تحت حكمي ممالك البر والبحر ، وقضيت أوطاري وأدركت ثاري فلا ينبغي أن يملك العجب مقادى ، ويستولى على شيطان الطغيان فأصير مثل الضحاك وحشيد وأفراسياب وكيكاوس . فالأولى أن أتبذل إلى الله تعالى وأتضرع إليه فلعله يحولني إلى دار القرار ، وينقلني إلى جوار الأخيار . فأمر حاجب بابه ألا يمكن أحدا من الدخول عليه . فأغلق الباب ، وحل الملك منطقتة ، وابث ثياب البياض . ودخل متعبدا له وجعل يناجي ربه ويستودعه دينه ونفسه ، ويسأله أن يرزقه قربه . فبقى أسبوعا قائما بين يدي ربه ليلا ونهارا يدعو سرا وجهارا . فخرج في اليوم الثامن وقد ظهر عليه أثر الضعف من العبادة فجلس على تحتة وأمر الحجاب برفع الحجاب . فدخل عليه الملوك والأكابر خاضعين له وضارعين . وهم طوس وجودرز وجيو ويژن وجرجين ورحام . فلما رأوا وجه الملك سجدوا . ثم رفعوا رؤسهم ودعوا له وأثروا عليه وقالوا : أيها الملك ! إنك قد ملكت الأرض وأهلكت العدوفا من ملك إلا وهو في رق حكك ، وما من مدينة إلا وهي تحت أمرك ، وما ندرى من أى وجهة دخل على قلبك الفكر ، وقبض من عنان نشاطك الهم والحزن ، وهذا أوام تمتعك بالملك والمملكة وسرورك بالمر والسلطة ؟ إن كان قد صدر منا ما أوجب تغير خاطر الملك فليعلمنا لنسمى في إزالته ونعتذر . وإن كان له عدو كاشع فلا يخفيه عنا حتى نجهتد بأموالنا وأنفسنا في إبادته واستئصال شافته . فقال الملك : أيها الأكابر ! إنه لم يظهر لي عدو ، ولا صدر من واحد منكم جرم . فاستمتعوا برغد عيشكم وطيب حياتكم . وأنا فإن لي إلى الله تعالى حاجة قد عرضتها عليه وأقيمت في استجازها أسبوعا بين يديه ، فآتبهوا إليه وسلوه فلعله يرضيها ويستجيب دعائي فيها . ففصرهم بهذا الكلام وأمر حاجبه ثانيا أن يفتح الباب ويسبل الحجاب ولا يفتح إليه طريقا لأحد ، سواء كان من الأقارب أو كان من الأجانب . ودخل متعبدا ، وخلا بنفسه يدعو الله تعالى ويتضرع إليه . ففضى عليه أسبوع آخر . وكان الملوك والأمراء يجتمعون على بابه ويضجون من طول احتجابه وامتناعه عن الظهور لأصحابه . فخلا طوس بجودرز وخاضا في حديث الملك كيخسرو ، وذكر ما استولى عليه من الضجر والسآمة ، وأخذ^(١) يميلان

الآراء في ذلك فاتفقا على إغناذ جيواى زابلستان ، وإعلام رستم ودستان بحال الملك واستنهاضهما الى حضرتة ليكلماه ويصرفاه عما هو عليه . فسار جيواى زابلستان ، وأخبر رستم بما دهاهم من حال الملك . فاهتم رستم وذكر الحال لأبيه ففتقا الرسل في أطراف ممالكهما وجمعا الموازنة والمتجمين ، واستصحباهم الى ايران . قال : ولما مضى على احتجاب الملك أسبوع أمر في اليوم الثامن فرغعت الحجب ، وأذن في الدخول عليه فدخل عليه الملوك والأمراء فأكرمهم وأزل كل واحد منهم منزله في الخدمة . فما قدم منهم واحد . وقالوا : أيها الملك الكبير ! إنا نصحاؤك وعبيدك فأعرب لنا عما انطوى عليه ضميرك ، وأى جرم صدر منا حتى سد علينا الطريق اليك ومنعنا من المتوليين يديك ؟ لقد طال هذا الاقتباس وأظلم علينا لأجله النهار . ولأى معنى لا يسيح لنا الملك بسره ، ولا يستمدح آراءنا في أمره حتى لو اعتراه ذلك من بحر استغفناه أو من جبل نسفناه ؟ وإن كان يحتاج في إزالته الى مال فتحن كلنا حفظة أمواله وذخائره وخزنته كنوزه ورغائبه . وإذا علمنا بالحال أقمنا جميعها في سبيل مرضاه حتى تفرج عن الملك ما هو فيه . فقال لهم : إنه ليس بى شئ ، مما تذكرون . ولكن في نفسى أمنية أرجو أن أبلغها من الله عز وجل . وهانا أسأله ذلك طول الليل والنهار . وسأبرزها لكم عند قضائها من مضيق الكتان الى فضاء الإظهار . فارجموا الآن ولا تحملوا على قلوبكم كل هذا الاضطراب والقلق . « فخرجوا وأمر بإسبال الحجب ، وعاد الى عبادة الله تعالى وبقي خمسة أسابيع بين يدى الله عز وجل يبكي ويتضرع ويسأل الله تعالى أن يمكن له في جواره وينقله الى دار قراره . ففقا غفوة ذات ليلة وقت الفجر ورأى في المنام كأن ملكا نزل عليه وقال له في أذنه : أيها الملك السعيد ! انك قد أعطيت ما سألت فتجهز الى جوار الله الكريم ، ولا تهم في هذه الدنيا الكدرة ، وفرق الأموال على المحتاجين والفقراء والمساكين ، واعهد الى ملك عادل يقوم مقامك من السلطنة ، واعلم أنه لم يبق من مقامك إلا القليل . « فانتهى الملك وهو غريق في عرقه فسجد باكي بين يدى الله عز وجل يشكره على قضاء وطره وإنجاز أمله . فتجى التاج عن رأسه وخلع السوار وليس ثوبا جديدا وجلس على التخت . فوصل رستم وأبوه في خلق من الموازنة والمرايضة فاستقبله الإيرانيون . ولما لقي طوس رسم أجشش اليه بالبكاء ، وذكر له ما اعترى الملك من تقيره عن الحالة المعهودة . فأقبلوا الى بابه فرغعت الحجب . ولما رأى الملك رسم وزالا بادرها بالمصافحة والمعاقبة ، وتهلل مستبشرا الى من كان معهم من الموازنة والمرايضة ،

(١) ك ، كو ، طا : طوال . (٢) ك ، كو ، طا : قائما بين . (٣) التبت الكلمة على كتاب الأصل . فكتب « الجبر » وكتب في الحاشية « كأنه السر » . والتصحيح من ك ، طا . وفى كو : السر . والشاه : وقت طلوع القمر . (٤) صل : الطوق جديدا . طا ، ك : الطوق حديثا . والتصحيح من الشاه : كو .

ورتب كل واحد منهم في منزله . فأتى عليه زال وقال : أيها الملك ! إنه بلغنا أنك حجت الملوك واعتزلت وآثرت الخلوة وازويت فبادرت حضرتك بعد أن جمعت موازنة تلك البلاد ومنجميها لأقف على حال الملك وما انطوى عليه حتى أسعى في إزالة وحشته وإعادة أنسه . فقال له الملك : أيها الشيخ الحليل ! اعلم أني مثل بين يدي الله عز وجل خمسة أسابيع أدعوه وأنضرع اليه وأسأله أن يفر ما سلف من ذنبي وينور قلبي ويقتلني من هذه الدنيا الغزارة الى جواره الكريم قبل أن أعدل عن سنن السداد ، ويزغني الشيطان عن لقم الرشاد مثل من سبق من الملوك . والآن قد قضيت حاجتي وأجبت دعوتي . وقد غفوت البارحة بخاءني الملك وقال : تجهز فقد حان الرجل . وقد انقضت مدتي وبلغت أمدى . فاهتم عند ذلك الجماعة وضاعت عليهم الأرض بما رحبت ، وتفس زال الصعداء لما سمع من كلامه فقال : إن هذا الرجل قد اختلط عقله وفسد رأيه . واني من أول عمري الى يومى هذا لم أر أحدا من الملوك تكلم بمثل هذا الكلام . وكأن الشيطان قد استحوذ عليه . وينبغي لنا ألا نرضى له بمثل ما سمعنا من كلامه » . فقالوا له : أنت لساننا بلخاوبه بما تستصوبه فقله لا يزع عن المنهج الاحب ، ويعاود ما كان عليه من رسم السلطنة وآيين الملك » . فقام زال وقال : أيها الملك العادل ! اسمع كلام الشيخ الطاعن في السن العالم بتسايف الدهر ، ولا تستوحش مما يخاطبك به من مر الحق ومكره الصدق ؛ اعلم أنك من أحد طرفيك تنتمى الى أفراسياب الذى كان لا يرى غير السحر في المنام ، ومن الطرف الآخر الى كيكوس الذى كان معروفا بشراسة الخلق بين الأنام . وهو الذى ملك ما بين الخافقين واستولى على ممالك المشرقين فأراد أن يصعد الى السماء . وكم وعظته ونصحته فلم يقبل من ذلك شيئا حتى فعل ما فعل ولقي ما لقي كما عرفت . وأما أنت فقد نهضت في مائة ألف مقاتل شاكي السلاح كالأسد الجائع عند الكفاح فصفتهم وعبثهم في صحراء خوارزم ثم خرجت وحده وبارزت شيذه بن أفراسياب وترجلت لمصارعته . ولو أعطى الغلبة وظفرك^(١) لم يبق من إيران عين ولا أثر ، ولم يسلم من رجالها ونسائها أحد . فخلصك الله تعالى من يده ، وأظفرك به . ثم قتلت الذى كنت تخاف معرفته وتخشى باثقتة - يئى أفراسياب - فكان وقت رفاهيتك واستمتاعك بالملك والمملكة وتفرغك للجلوس على تحت السلطنة . فقلبت الأمر على الايرانيين بما هو أصعب وللشر أجلب ، فطويت طريق الحق والسداد ، وملت الى الزيف والفساد . والله عز وجل لا يستحسن منك ما أنت عليه ، ولست تتفع بما أنت فيه . وإن استقررت على هذه الحالة وأصررت على ما أنت عليه من الجهالة والضلالة لم يدر أحد حولك ،

ولم يسمع في خير ولا شر قولك . هذه نصيحتي . فإن قبلت فقد أفلحت ، وإن لم تقبل سلبت التاج والتخت » . فقال الإيرانيون : إنا موافقون لهذا الشيخ فيما يقول ، ولا يخفى ما تقتضيه العقول . فأطرق كيخسرو عند ذلك ساعة وجعل يتفكر في نفسه وقال : إن خاشته في الجواب لم يكن حسناً عند الله ولم آمن موجد رستم . فالأولى أن الأطفه ولا أكر قلبه . ثم أقبل على الحاضرين وقال : قد سمعت كلام دستان وهانا أحلف بخالق الزمان والمكان أني لست في طاعة الشيطان ، ولست أميل إلا إلى طاعة الرحمن . وقد أبصرت بنور قلبي المتور ذلك العالم ، وتحصنت بعقلي عن المكارة . « فأقبل على زال وقال : وأنت فلا تحته ولا تجاوز في كلامك الحد . أما ما زعمت من أنه لم يولد ذو عقل بتوران فإني من الشجرة الكيانية : سلالة سياوخش وحفيد كيكلوس . وأنسب من جهة الأم إلى أفراسياب حفيد أفريدون . ولا عار في الانساب اليه . واعلم أن هرعير الملوك ينشأ من البطل والفضول . وبعد أن أدركت ثاري في أبي ، وبلغت من عدوى نهاية أربي فلا حاجة لي في هذه الدنيا التي إن طال فيها أملى وتراخى أجلي وامتدت فيها مدة ملكي خشيت على نفسي من الزيف واتباع هوى النفس مثل من سبق من الملوك كالضحاك وجمشيد وتورين أفريدون الذين سفكوا الدماء ونهبوا الديار . وأما ما أنكرت من الإقدام على مبارزة شيد ه فإما باشرت بنفسي ذلك لأنني لم أر في جميع الإيرانيين من يقوم بمقاومته ويقدر على مطاولته . ثم إنني قد سمعت التاج والتخت والأمر والنهي ووقفت بين يدي رب في هذه الأسابيع الخمسة ، أنضرع اليه وأسأله أن يخلص روعي من هذه الأرض المكدره حتى استجاب الله تعالى دعوتي وحقق أمل . وأنت تزعم أن الشيطان قد نصب لك الحباله وأمال قلبك إلى الزيف والضلالة . فلا أدري بأي المكارة والأسوءه نجازي على ذلك يوم الجزاء ؟ » فأظلمت الدنيا عند ذلك في عين دستان ووثب قائماً واعترف بذنبه واعتذر وسأله الصفح والعفو . فقبل الملك معذرتة وأوسع ذنبه صفحا وعفوا . ثم أشار عليه بأن يبرز مع رستم وطوس وجورزر وجيو وجميع الملوك والأمراء والقواد بالسراذقات والخيم ، ويخيموا في الصحراء ، ويخرجوا معهم الألوية والأعلام فامتلوا أمره في ذلك . ثم خرج بخلس في سرادقه على تحت من الذهب وعلى أحد جانبيه زال ورستم وعلى الجانب الآخر طوس وجورزر ورهام وسابور وجرجين قد طأطأوا الأعناق مطرقين . فتكلم عليهم وعظهم ونصحهم وقال لهم : اعلموا

...

(١) ك : ط : الله عز وجل . (٢) ك : قس فيها . (٣) ك : ف أدري .

(٤) ك : الصفح والصفح . (٥) ص : ك ، ط : بالألوية . ومقتضى السياق هنا وفي النسخ : حذف الباء .

(٦) ك : ط : جورزر مع جيو ورهام . ك : وجيو ورهام .

أنه لا بد لنا من مفارقة دار الفناء . فما بالنا نتحمل بسببها كل هذا التعب والعناء ؟ فاستشعروا
الخلوف من خالق الأرض والسماء :

أين الأكاسرة الجبابرة الأولى كثروا الكنوز فما بقين ولا بقوا ؟
من كل من ضاق القضاء يمحشه حتى توى فحواه لحدّ ضيق

وكم من ملك كفر وطني ، ولوى رأسه عن طاعة ربه وعنا . وهل أنا الا واحد منهم ؟
ومن أجل ذلك قلعت قلبي من هذه الدار^(١) الثانية ، وأعرضت نفسي عن الملك والسلطنة . وسأفرق
على الإيرانيين جميع ما أملك من صامت وناطق ، وأقسم أقاليم العالم بين الملوك أولى التخت والمناطق .
فلاني قد صممت عزمي على الرواح ، وفزغت قلبي من عالم المساء والصباح .

فلما سمعوا ذلك تحيروا في أمره ونسبوه الى الجنون . وبعد أسبوع جلس متبدلاً لهم على التخت ،
وأوصى وقسم الممالك وكان ذلك لأمره^(٢) فذلك :

ذكر إيصائه الى جوذرز ، وكيفية قسمة الممالك على الأكابر ،
وعهده الى الحراسب الى آخر أمره

ولما^(٣) عزم على المفارقة والارتحال فتح باب كتر من كنوزه ، وسلمه الى جوذرز بن كشواذ ،
وأوصى اليه بإنفاقه في عمارة الخانات^(٤) والقناطر والمعابر التي خربت في عهد أفراسياب ، وأن ينفق منه
على الأيتام والأرامل وأهل التجمل الذين تحيقت أحوالهم السنون وهم من السؤال يستحيون ، وأن
يديم ذلك عليهم ولا يقطعهم عنهم . وسلم اليه كنزا آخر يسمى باذاور ، وكان مملوءا من الجواهر
والأكاليل والحلي ، وأمره أن يصرفها الى عمارة الآبار والقفن المطموسة في أقطار الممالك^(٥) وأمره
أن يفتح باب الكثر المعروف بالعروس الذي كثره كيكلوس في مدينة السوس^(٦) ، ويقسمها على رستم
وأبيه وجيو . ثم سلم ثيابه وأسلحته الى رستم . وأعطى خيله ورعيه طوس بن نوذر . ووهب بستانه
وجلسه لجوذرز بن كشواذ . ووهب سرادقه وخيمه ودوابه المربوطة عنده لفريز بن كيكلوس .
وسلم الى ييزن بن جيو طوقا مرصعا وخاتمين من الياقوت مكتوبا عليهما اسمه ، وقال : خذ أنت
هذه تذكرة .

(١) في الشاه : الى عمارة المدن الخربة ، وبيوت النار المظلمة ، والشيخ الذي لم يذخروا مالا لشيخوختهم ، والآبار
الطمورة . (١) ك ، كو : الدنيا . (٢) كو : بذلك والسلام . (٣) طا ، كو : قال
ولما عزم . (٤) ك ، طا ، كو : الخانات والمصانع . (٥) في الشاه : مدينة طوس .

ثم قال للآريانيين : سلوني ما تريدون فقد قارب وقت انفضاض المجلس . فرفعوا أصواتهم بالبكاء والعويل لمرافقة ذلك الملك الجليل . فوثب دستان وقبل الأرض ووقف ما تلا بين يديه وقال : أنت تعلم أيها الملك صانع رسم مع الآريانيين ، وحسن بلائه في حالي السراء والضراء ، والشدة والرخاء . ومن ذلك نهوضه الى مازندران وقتله للملك الجن وتخليصه لكيكاوس وجودرز وطوس ، وقتله لولده سهراب في طاعة كيكاوس ثم ما فعل في وقعة كاموس ، الى غير ذلك من مقاماته المشهورة ووقائعه^(١) المذكورة في خدمة هذه الدولة القاهرة . فإذا يكون بعدك لهذا الولي^(٢) الناصح ؟ فقال : ان آثاره في خدمة هذا البيت أكثر من أن يحيط بها الوصف أو يفصح عنها اللسان ويعرب عنها البيان . فأمر فكتبوا له عهدا بسلامية رسم ، وبأن يكون هو المقدم في جميع العالم ، وأن يكون له ممالك نيم روز بمخازيرها وسائر ما يضاف اليها ويمتد من نواحيها . وأمر لكل واحد من الموابنة الذين استصحبهم زال بحف فائحة وصلات وافرة .

ثم قام جودرز وقال : إني من عهد منوچهر الى هذا العهد المبارك لم أحل من وسطى نطاق العبودية ، ولم أقصر يوما واحدا في الخدمة . وكان حولى ثمانية وسبعون ولدا فلم يبق منهم غير هؤلاء الثمانية وقتل الباقون تحت الراية المنصورة . ثم لولدى جيو من الحقوق ما يعرفه الملك ، من دخوله الى بلاد الترك وتقبله سبع سنين في أطرافها حتى فعل ما فعل ، ثم ما أتقى له بعد رجوعه الى ايران من الخدم المرضية كما عرف واشتهر . فهو يتوقع ملاحظة عين العناية . فقال الملك : إن أفعاله أكثر من أن تذكر . وأمر بأن يسجد له على ممالك قم وإصهبان ، وكتب له منشورا بذلك . ثم قال للحاضرين : اعلوا أن جيوأ تذكركم عندكم ، ووديعي بين أظهركم . فلا تخالفوه فيما يأمر ، واتبعوه فيما يأتي ويذر . فقام جودرز .

وقام طوس وقبل الأرض وقال : أيها الملك ! أنا المتني الى أفريزون من بين هؤلاء الأكابر . ولم أزل مشدود الوسط في خدمة الآريانيين . وذكرك مقاماته ووقائعه ثم قال : فإذا يكون لي بعد الملك ؟ فمدحه كيخسرو وأثنى عليه وعقد له على جميع ممالك خراسان ، وأقره في مرتبته من سالارية الدرفش الجاوياني والمداس الذهبي .

ولم يبق أحد غير لمراسب فأمر الملك بيژن بن جيو بأن يحضره . فلما دخل عليه وثب قائما له وأثنى عليه . ثم زل من التخت وأخذ التاج عن رأسه ووضعه على رأس لمراسب وأقدمه في مكانه من السرروهناء بالسلطنة وقال : إني قد سلمت إليك تاج الملك فلا تمزك لسانك إلا بالعدل .

(١٦)

(١) ك ، ط ، ووقاعة . (٢) صل : والى . والتصحيح من ط ، ك . (٣) ك : وما أتقى .

فإنك به تكون منصورا مسرورا . ولا تجعل للشيطان الى قلبك سبيلا إن أردت أن يكون حظك من الملك موفورا . واتب الحق ولا تؤذ الخلق ، وكن حافظا للسانك .

فصعب على الايرانيين عهده الى هراسب واختياره لللك دونهم . فقام زال وأنكر عليه ذلك في كلام من جملته أن قال : إن هراسب قدم ولم يكن له إلا فرس واحد ، ففخذ الملك الى قتال الآن ، وأعطاه السالارية والكوس والعلم . فكيف بلغ به الحال الى أن أهله لولاية المهدي وترك هؤلاء الأكابر الذين ينتهون الى الشجرة الخسروانية والدوحة الكيانية ؟ وكيف نخطب بالسلطنة من لا نعرف نسبه ولا حسبه ؟ (١) فكثرت لفظ الايرانيين ووافقوا زالا فيما قال . فلما سكتوا قال انلك لزال : لا تعجل ولا تتحد . فإن من قال غير الصواب تعرض للعذاب . وإن الله تعالى إذا خص أحدا بالسادة وجعله مستحقا للسيادة حبا بالدين والحياء ، والروعة والبهاء ، وجمع له بين المعدلة والأصالة ، والسماحة والبسالة . والله شاهد على لسانى أن هذه الخصال الحيدة والسير المرضية مجموعة فى هراسب . وهو حامد أوشهنج الملك الطاهر الذليل الناصح الجيب . وهو الذى يقطع دابر السحرة من وجه الأرض . ويظهر الطريق الى الله عز وجل ، ويرجع به الى الزمان شبابه الناصر . ويخلفه فى ذلك بعده ولده الطاهر . حيوه بحجة الملوك ، ولا تخالفوا موعظتى الصادرة عن الشفقة والخلوص . فإن من يخالف وصيتى كان سعيه هباء منثورا وكان بره كفورا ، ولن يزال مدة حياته مرقعا مذعورا . فندم زال على ما قال ، وقام وخطب هراسب بالسلطنة ، ودعا لللك وقال : من ذا يعرف انتساب هراسب الى أوشهنج أولا الملك ؟ واعتذر اليه وسأله الصفع والمفو . فقام عند ذلك الملوك والأكابر ، وحيوه بحجة الملوك ، ونشروا على تاجه الجواهر . ثم قام الملك وقال : شاعكم السلام أيها الكرام . فعاق كل واحد منهم وودعهم ، وهم سيكونون يرضجون ، وكأنهم بلسان حالهم يقولون :

وداعك مثل وداع الحياة وفقدك مثل افتقاد الديم
عليك السلام فكم من وفاة تفارق منك وكم من كرم

ثم ركب الى إيوانه وودع جواريه ونساءه . واستحضر هراسب وأوصاه بهن وأمره بمراعاتهن واحترامهن والقيام بكفالتن . وأن يقترن فى الدار التى كن بها حينئذ . وقال : عليك ألا تخجل إذا لقيتني وسياوخش عند تحولك من هذه الدار الى مستقر الأبرار . فتقبل هراسب وصيته . ثم خرج

(١) يذكر هراسب لأول مرة فى الشاه فى موقعة يازده رخ السابقة حين يوليه الملك كيخسرو قيادة جيش الى بلاد اللان .

(١) ك طاء ، كوى : القتل . -

وركب وطاف على الإيرانيين وعزاهم عن نفسه ووعظهم ونصحهم . ثم أمر لمراسب بالانصراف عنه والعود إلى تحت الملك وقال : إياك أن تززع في الدنيا غير الخير . ومتى رأيت أن نفسك قد رغبت في الراحة ، وزهدت في الملك والمال فاعلم أن وقتك قد انتهى فلا تعدل عن العدل والإنصاف ، وخلص نفسك عن المكاره والأسواء . فقل لمراسب وقبل الأرض وودعه .

وسار الملك ، وصحبه رعوس الإيرانيين مثل دستان ورستم وجودرز وجيو وبيزن وكستمهم وفري برز وطموس ، وسار إلى أن صعد إلى جبل فأقاموا عليه أسبوعاً . ونرج في أثره لساء الإيرانيين ورجالها زهاء مائة ألف نفس سيكون ويضجون حتى طق بصياحهم وعويلهم السهل والجبل . ثم بعد أسبوع أشار الملك على الأكابر والسادات بالانصراف من ذلك المكان ، وقال : إن أماناً طريقاً صعباً لا ماء فيه ولا عشب . فانصرف دستان ورستم وجودرز ولم ينصرف عنه الباقون . فسار الملك وساروا معه حتى وصلوا إلى ماء فترلوا هناك . وقال لهم الملك : إذا طلعت الشمس غدا حان وقت المفارقة . فباتوا ليلتهم عند العين . ولما كان في الثلث الأخير من الليل قام الملك ودخل العين واغتسل . ثم ودعهم وقال : إن التلج غدا يسد عليكم الطريق فلا تهتدون إلى الرجوع إلى إيران .

ولما طلعت الشمس ركب الملك وغاب عن أعينهم فهموا على وجوههم في تلك الجبال والرمال يطلبونه ويكون عليه . فلما لم يروا منه أثراً عادوا إلى تلك العين فترلوا ساعة ، وقالوا : نستريح ثم نرتحل راجعين . وجعلوا يتعجبون من الحالة التي شاهدها ، ويقولون : لم نسمع قط بأن أحداً في حالة حياته ينتقل إلى جوار الله الكريم . وبقوا على تلك الحالة سيكون ويتأسفون ثم تناولوا شيئاً كان معهم وتاموا ساعة . فتغيث السماء ، واشتد الهواء ، ومطروا ثلجاً غابث فيه من كثرته رماحهم القائمة . وبقوا يضطربون تحت الثلج حتى هلكوا أجمعين § .

§ قصة انقباض كيكسرو واعتزاله وإصعاده في الجبل وارتفاعه إلى السماء حيا تشبه قصة في الحامسة الهندية العظيمة (المهابهارته) حيث يهترم يدهشراً أن يعتزل الملك ، ويقتدى به إخوته ويودعهم الرجال والنساء ثم يرجع المودعون ، ويستمر السائحون في رحلتهم حتى تعترضهم صحراء عظيمة فيهلكون في رمالها ما عدا يدهشراً . فيسير قد لا يلتفت إلى شيء ، ومن وراءه كلبه ، حتى يدخل السماء حياً .

وأما زال ورستم وجودرز فانهم أقاموا ثلاثة أيام على ذلك الجبل الذي ذكرنا مفارقة الملك إياهم عليه، سيكون ويتحبون . ولما طلعت الشمس عن^(١) اليوم الرابع، وانكشف الغيم وصحا الجو قالوا : قد طال مكثنا ها هنا ، وإن كان الملك قد هلك فما بال من كانوا معه لم يعودوا ؟ فأقاموا أسبوعا آخر فأسوا منهم، وأخذوا في البكاء والمويل ، وطلق جودرز يضرب نحره ويتف شعره ويقول : من لقي مالميت من نزية كيكلوس ؟ قد كان حولي من أولادى عسكر فقتل أكثرهم بسبب الطاب بنار سياوخش ، وقد أصاب هؤلاء الباقين مع هذا الآخر ما أصابهم . وجعل ينوح عليهم ويندبهم . فأخذ زال يمزيه ويسليه . ثم رجعوا .

ولما علم لهراسب بحالهم ورجوعهم جلس على تختة فدخل عليه الأكابر والأمراء . فقال : يا قواد العسكر ! إنكم قد سمعتم مواعظ الملك السعيد كيخسرو ووصاياه . فمن يكن منكم بولايي غير مسرور ولا ممثّل لأوامر الملك فإني بكل ما أمرني به قائم، وجميع مراسمه ممثّل. وأتم فلا تخالفوه أيضا ولا تخفوا من حالكم مني شيئا . فإن من نبذ وصية الملوك وراء ظهره يكون مخالفا لله في سره وجهره . فقال دستان : إن الملك قد سماك لهذا الأمر، وقبلت وصيته ولست تراجع عن ذلك ولا رستم . فالآن أنت المتبوع ونحن التابعون، والأمر ونحن المطيعون . فأثنى عليه لهراسب وقال : إن الملك قد عقد لكم على نيم روز، فالآن كل ما قدرتم على أخذه واستضافته اليها فقد سلطتم عليه . وأقبل على جودرز وقال : ماذا تقول أيها البهلوان ؟ فقال ماذا أقول وأنا رجل وحيد ؟ فذكر أولاده بهرام وجبوا وبيزن ، ومزق ثيابه ، وبنى ساعة يندبهم وينوح عليهم . ثم أفاق وقال : أنا موافق لدستان فيما قال وممثّل لأمر الملك كيخسرو فيما دبر واختار . أنت الملك ونحن كلنا لك أتباع وأشباع . فأثنى على لهراسب سائر من حضر من الأمراء والقواد، وخدموه ثم انصرفوا . وانشرح صدره بما استتب له . من ذلك الأمر لكنه أخر التوج بتاج السلطنة الى يوم المهرجان اقتداء بأفرينون .

وهذا آخر الحديث عن ملك كيخسرو وسلطانة . ونتجعه بذكر نوبة لهراسب ووقائمه إن شاء الله تعالى، بمساعدة مولانا السلطان الملك المعظم ، ملك ملوك العرب والعجم أبي الفتح عيسى بن السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب لا زال تاج الملك منورا ببهائه وجماله ، وسرير السلطنة مزينا بروعته وجلاله ما تعاقب الملوان ويتأوب الجديدان .

ذكر نوبة لهراسب وما جرى في عهده . وكانت مدة

ملكه مائة وعشرين سنة §

قال صاحب الكتاب^(١) : ولما كان يوم المهرجان تسنم لهراسب سرير الملك ، واعتصب بتاج السلطنة فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال : أيها الحاضرون ! استشعروا الخوف من الله المزه القاهر الذى أجرى البحار ، ونصب الجبال ، ورفع السماء ، وجعلنا فى الأرض ذات الطول والعرض كنهال دارجة على كرة فى مقر الفلك . ثم وعظهم ونصحهم ووعدهم من نفسه بسط جناح الرأفة عليهم ، ومد يد الإحسان إليهم . فآثنى عليه الحاضرون وخدموه . وبقى لهراسب على سرير الملك

§ رأى القارئ أنفا أن الملاحم المتأدية ختمت بقتل أبطال التورانيين ثم قتل أفراسياب وأخيه ، وأن أبطال إيران الذين أبقتهم الحرب أهلكهم البرد حين خرجوا يشيعون كيخسرو ، ما عدا زالا ورستم وجودرز . ويعيش رستم وأبوه ليعاديا الملوك لا لينصراهم كما عهدناهما فيما مضى . وهكذا تختم القصة هذا العهد لفتح عهدا جديدا بيدوه الملك لهراسب . وقد عرفنا أن الإيرانيين لم يستحسنوا أول الأمر اختيار لهراسب لتلك قائلين أنه رجل مجهول النسب فأخبرهم كيخسرو أنه من نسل أوشهنج . فهذا فاروق آخر بين المهديين .

وسرى أن باعث الحرب يتغير ويمادبها . ثم يزيد ما بين المهديين من تخالف أن العهد الآتى فى الشاهنامة يشتمل على ألف بيت نظمها الدقيق قبل أن يشرع الفردوسى فى نظم الكتاب .

ويذكر لهراسب فى الأبتاق باسم أرطط أسبه ويسمى فى بعض الكتب كيلهراسب ، ويلقب البلخى . ونسبه فى فارس نامه : لهراسب بن فنوخى بن كيمش بن كيفاشين بن كيلبته بن كيقباد . وفى الآثار الباقية أن كيمش ابن كيقباد^(٢) .

(١) فى حاشية الأصل ، ك فى هذا الموضع : ذكر المسعودى فى تاريخه أن بخت نصر الذى فتح بيت المقدس ووطئ الشام وسبى بنى إسرائيل كان أحد مراربة لهراسب هذا . والمرزبان عبارة عن صاحب ريع المملكة . وكان قد دخل المغرب أيضا ودوخ البلاد . وأهل التواريخ والقصاص يملكون فى أخباره . وأصحاب الزيجات يحملونه ملكا برأسه . وليس كذلك إنما هو مرزبان والله أعلم . وقد أؤرخ بطليموس صاحب المجسطى من عهد بخت نصر مرزبان المغرب .

(٢) ج ٢ ص ٧٨ (٣) انظر فارس نامه ص ١٤ ، والطبرى ج ١١ وحزرة ص ٢٧ ، والآثار ، ص ١٠٤

ينهى ديامر ويعطى ويمنع حتى تمهدت له بذكائه وعقله قواعد السلطنة ، وأشرقت بأنوار معدلته أطراف المملكة ، وفترق الرسل الى الصين والمهند والى جميع أطراف الأرض فبدلوا له السمع والطاعة . ثم سار الى بلخ وبني بها شهرستانا ، وأنشأ بها متعبدات وبيوت نار ، وعمل فيها بيت نار خاصة يعرف بأذر برزين . ولهذا النار فيها بينهم الذكر الرفيع والصيت الجليل . وكان له من بنت كيكالوس ابنان كأنهما قران يتاهل كل واحد منهما للتاج والتخت والأمر والنهى ، لما فيهما من المروءة والشجاعة والجرأة والبسالة . وكان أحدهما يسمى كشتاسب والآخر زريز . فاتفق أن لهراسب قعد ذات يوم فى مجلس أنسه بفارس وحضر كشتاسب . ولما دار عليه الكأس وتمكن منه السكر قام وقبل الأرض بين يدى أبيه ، وقال : أنت تعلم أنه بعد رسم بن دستان ليس على وجه الأرض من يساجلنى فى الشجاعة ويطاوئلى فى البسالة . وأنا أريد أن تسمينى للسلطنة ، وتعهد

= ويروى أن مختصر - وكان ابن عم لهراسب ، أو ابن كيو بن جوذرز - كان إصهيد العراق من قبل لهراسب ، وأن لهراسب أول من وضع ديوان الجند وجعل للرازمة سررا وحلالم بالأسورة . واتخذ السراقات^(١٣) .

ومن آثاره مدينة بلخ أو سورها ، والأخبار التى بناها ليحبس بها الأسمى الذى أتى بهم نجت نصر من بيت المقدس^(١٤) .

ثم قصة لهراسب فى الشاهنامه ٩١٦ بيت فيها العناوين الآتية :

- (١) بناء لهراسب بيت نار ببلخ . (٢) ذهاب كشتاسب مغاضبا لهراسب .
- (٣) رجوع كشتاسب مع زريز . (٤) ذهاب كشتاسب الى بلاد الروم . (٥) بلوغه بلاد الروم . (٦) دهقان يضيف كشتاسب . (٧) قصة كايون بنت قيصر . (٨) إعطاء قيصر كايون لكشتاسب . (٩) ميرين يخطب بنت قيصر الأخرى . (١٠) كشتاسب يقتل الذئب . (١١) أهرن يخطب بنت الملك الناشة . (١٢) قتل كشتاسب التين ، وإعطاء قيصر ابنته الى أهرن . (١٣) كشتاسب يظهر مزياه فى الميدان . (١٤) رسالة قيصر الى إلياس وطلب الخراج منه . (١٥) حرب كشتاسب وإلياس ومقتل إلياس .
- (١٦) قيصر يطلب من لهراسب خراج ايران . (١٧) زريز يحمل رسالة لهراسب الى قيصر .
- (١٨) رجوع كشتاسب مع زريز الى ايران ، وإعطاء لهراسب إياه تحت ايران .

(١) كوء ، طا : فيها . (٢) كء ، طا : كوء : زريز . (٣) حزة والأخبار الطوال ومروج الذهب والطبرى الخ . (٤) حزة ص ٣٧ ونزهة ١٥٥

الى حسب صنيع الملك كيخسرو بك . وأكون مع ذلك متصفا بعبوديتك وملازما لخدمتك . فقال له أبوه : إنك بعد في ريعان الحداثة وغرة الشببة . فدع طلب هذه المرتبة ، ولا تقل إلا ما يستحسنه العقل ويقضيه الذكاء . فمظلم ذلك عليه . وكان له ثلثة فارس فركب فيهم وقت المساء ، وفارق خدمة أبيه متوجها الى حضرة ملك الهند . وزعم أنه جاءه منه كتاب يستدعيه . ولما أصبح أبوه وقف على حاله ، واهتم لصنيعه ، وأحضر نصحاء وأصحاب رأيه ، وفأوضهم في أمر ولده ، وشكا إليهم صنيعه ، وقال : ربيته حتى شب وترعرع ، ولما دنا وقت الانتفاع بمكانه بادر الفرار ونقص على العيش والقرار . فعدا بولده الآخر زريور ونفذه في ألف فارس على طريق الهند ، ونفذ كُستهم في جمع على طريق الروم ، ونفذ برازه^(١) على طريق الصين ، وأمر كل واحد منهم بالخذ في طلبه واسترجاعه قبل أن يصل إلى مهر به .

قال : فسار كشتاسب الجاني حتى وصل الى أطراف كابل فرأى رياضاً معشبة وغياضاً متاشبة وأنهاراً جارية وصيداً كثيراً فزل فيها واشتغل بالشرب في ليله ثم أدبج بالزاة والفهود والحوارج في طلب الصيد . فلقحه أخوه في ذلك المكان . ولما رأى وجهه ترجل وقبل الأرض ، وأجش اليه بالبكاء ، وتماقاً^(٢) ورجعا الى الخيم فقعدا فيه وتناوشا أطراف الحديث ، فقال له أخوه المذكور : أيها الأمير الكبير ! إن الموايدة والمنجمين في أرض إيران يخبرون بسعادتك وعلو جددك ، وأنتك تبلغ مرتبة الملك كيخسرو . وإذا دخلت الى بلاد الهند احتجت الى خدمة ملكها الذي لا يبعد إليك وليس على دينك . فافكر في أمرك ، وانظر كيف يقتضى العقل هذا ، وهل يحسن بمثلك أن يدخل تحت طاعة ملك الهند ؟ هذا مع أنك لك الحينى عند أبيك ، والعتي بعد تأبيك . ولا ندرى من أى جهة تكهرته ومالته . فقال : إن وجوهنا لا ماء لها عند أبنائنا ، وهو شرس الخلق ولا يميل إلا الى الكاوسية ومن ينتسب الى تلك الجرثومة ، وليس لى ولا لك عنده مكانة ، وهو لا يرشحنا إلا للعبودية والخدمة . ولكنى أرجع من أجلك ، فإن جعل لى تاج مملكة إيران وقفت في خدمته على القدم ، وخدمته خدمة الوثنى للصنم . وإن لم يفعل ذلك فارقت أباه ، وهجرت جنابه ، وسرت الى موضع لا يهتدى اليه . ثم رجع مع أخيه . فلما بلغ أباه رجوعه ركب لاستقباله فترجل لأبيه وقبل الأرض . فضاقه أبوه ولاطفه ودعا له . ثم عاد به الى إيوانه . وأقام عنده زمانا لا يصل الى مراده منه ، ويرى أكثر اعتناؤه بأمر الكاوسيين . فكان يتقلب على جمر الهموم ويخرج حرارة

(٣) ك ، ط ، كز : مع أن لك .

(٢) ك ، ط ، كز : فضاقا .

(١) ك : براره .

(٤) ك : من أى وجه .

﴿١٢﴾

القصص . فعزم على مفارقتها وقال في نفسه : إن استصعبت عسكرى علم بى وأنفذ خلقى وردنى .
فركب وحده ذات ليلة وحمل معه من الجواهر ما أراد ، وتوجه قاصدا إلى بلاد الروم .

ذكر مسير كشتاسب إلى بلاد الروم ، وما جرى عليه ^(١)

قال : ولما أصبح أبوه واطلع على حاله أحضر زهير ، واستدعى الموابنة ، وذكر لهم حال كشتاسب . فقال له أحدهم : فرق العسكر في طلبه فاذا رآوه اليك فلا تجفل عليه واعهد إليه . فهو يستحق ذلك بما فيه من الشهامة والصرامة . « . ففرق الأكابر في طلبه فطافوا في أطراف المملكة فلم يلقوه له على خبر ولا عرفوا منه على أثر فعدوا خائبين .

وأما كشتاسب فإنه سار حتى قرب من البحر . وكان الموكل بالسفن رجلا عاقلا يسمى هيشويه فسأله مرجا يبر فيه ، وقال : أنا كاتب من أرض إيران ، وأريد الدخول إلى بلاد الروم . فقال : ما أرى ^(٢) شمائل الكلاب . وما أراك ، لما أشاهد عليك من البهاء والأبهة ، إلا من الملوك . ولا سبيل لك إلى العبور إلا بأن تصدقنى عن حالك أو تعطينى بعض ما معك . « . فأرضاه بمال وهبه له وعبر . وكانت هناك مدينة بناها سلم بن أفريدون في طول ثلاثة فراسخ ، وهى مستقر سرير قيصر ملك الروم . فدخلها كشتاسب وبقى فيها مدة مديدة حتى أفاق جميع ما كان معه ، وضافت يده فدخل إلى ديوان قيصر وقال لبعض الأساقفة : إني كاتب من أرض إيران . وسألم أن يستكتبه أو يستقبوه في بعض الأعمال . فنظروا إلى أعضاده الشديدة ، وتفترسوا في شكله وقوته ، وقالوا : إن هذا لييكى قلم الحديد من مخافته ، ويحترق القراطيس من مهابته ، ولا يصلح له إلا فرس يعلوه وسلاح يعاينيه . « . ولم يقبلوه فرجع مهموما ينتفس الصعداء فصار نحو جوان قيصر وسأله أن يستخدمه فلم يقبله أيضا ، وقال : أنت رجل أجنبي ولا أتمك على الخيل . فتركه وصار إلى الساربان ، وسأله أن يقاطعه على خدمة الجمال . فقال : لا يليق بك أن تكون جمالا . ولو دخلت إلى دار قيصر وراك لأغناك عن هذا . فاقصد بابه ولا تمدل عنه . « . وعزم عليه في ذلك .

فانصرف ودخل البلد وهو حزين كئيب فدخل سوق الحدادين ، وجلس على طرف دكان حداد يسمى بوراب فاطال القعود عنده . فاستعرض حاجته . فقال : إن رأيت أن تستعلمنى في تطريق الحديد فافعل . فإني أقوم به وأغنى غناء حسا . فأجابه إلى ذلك ، وطرح في النار بيضة من الحديد حتى إذا احمرت وصارت كورح النار اجتزأها ووضعها على السندان ، وأعطاه الفطيس فلم يزد ^(٣) على

(١) ط : فيها عليه . (٢) ك : ط : ما أرى عليك . (٣) ص : لم يزد أن . والتصحيح من ك : ك : ط .

أن ضربها ضربة واحدة رض بها الحديدية وقلق السندان فطارت الحديدية شعاعا وتفرقت فرقا .
فطن السوق بحديثه ، واجتمع عليه خلق ففرع بوراب وقال : أيها الشاب ! إن السندان لا يطبق
قوتك ، وأنت لا تصلح لهذا العمل . فرمى الفطيس وخرج من دكانه وهو جائع لا يجد مطما ولا يرجع
الى مسكن ، وقد غلبه الهم والحزن . وقد وصف صاحب الكتاب حاله بما أعرب عنه الشاعر
بقوله حيث يقول :

بلونا ما تجميء به الليالى	فلا صبح يدوم ولا مساء
وأفضينا المدى طربا وهما	فما بقى النعيم ولا الشقاء
إذا كان الأسى داء مقيا	ففى حسن العزاء له شفاء
وما ينجى من القمرات إلا	طمان أو ضراب أو رما
سَيُقطعك المتقف ما تمنى	ويعطيك المهند ما تشاء

قال : فخرج من المدينة الى ضيعة قريبة منها كثيرة الماء والشجر . فتفأ في صحرائها بظل شجرة ،
وأطرق يفكر في حاله ويبيك . فتر به رجل من أهل تلك الضيعة حميد السيرة مرضى الخلق ، فراه
على تلك الحالة فاستخبره عما به ولاطفه في استعلام حاله ، واستدعاه الى ضيافته . فسأله كشتاسب
عن عتده وأصله . فقال له : أى غرض لك في هذا السؤال ؟ فلم يجبه حتى أخبره بأصله ^(١) وأنه
من ذرية أفريزون . فنهض معه عند ذلك الى منزله . وجعل يخدمه خدمة الأخ الشقيق . وبقى عنده
على ذلك أشهرا من الزمان .

وكانت عادة قيصر في ذلك الزمان أنه اذا أدركت إحدى بناته وحان حين تزويجها ألا يزوجهما
إلا ممن تختار وتريد ، فتجلس في إيوان ويجتمع إليها الأمراء والخواص والعوام . فمن وقع عليه
نظرها ورضيته لنفسها أعطته باقة ريحان . فترج حينئذ منه . وكانت لالك ثلاث بنات وصوفات
بالجمال والأدب والعقل . فدخل وقت تزويج كبراهن وكانت تسمى كايون . فرأت في المنام أنه احتفل
لها الناس على عادتهم فحضر رجل استنارت به الأرض كأنه قر زاهر أو سرو ناضر غير أنه غريب
كئيب ، فأعطته هي باقة ريحان وأعطاهما هو باقة أخرى . فانتهت ، ولما طلعت الشمس اجتمع
الناس على عادتهم فبرجت في ستين جارية مع كل واحدة منهن باقة ورد وريحان فتأملت في جميع
الحاضرين فلم تقع عينها على أحد ترتضيه ، فانصرفوا . ولما كان الغد قال الذى نزل عنده كشتاسب
له : ما بالك قاعدا مهموما ؟ فقم واذهب وتفرج على اجتماع الناس لعرس بنت الملك . فخرج معه

وصار الى إيوان قيصر ، وقد اجتمعوا اجتماعهم بالأمس . ففقد كشتاسب في زاوية من المجلس . فبرجت كايون وطافت على الحاضرين ، فلما انتهت الى كشتاسب أعطته مامعها من الورد والريحان . فارتفعت الأصوات وبادر الوزير الى الملك وقال : إن كايون اختارت من القوم رجلا رشيق القدر صبيح الوجه قد أعطاه الله روحا وهاء ، وكساه أبهة وجلالا . غير أنا لا نعرفه ولا نعرف أصله ومجته . فعظم ذلك على قيصر وقال : لا عاشت البنت فإنها تجلب النار والشار . كيف أزوج بتي من رجل خامل الذكر غير معروف بفخامة الأمر وجلالة القدر؟ والرأى أن تقطع رأس المختار والمختارة من وراء الستارة . فأنكر الأسقف عليه ذلك وقال : هذا طريق ما سلكه أحد من آبائك . فلا تسلك أنت فيه فإنه غير مبارك ولا مرضى عند الملوك . وصرفه عن رأيه ذلك واستقر الأمر على أن يزوجهها إياه . فزوجها منه وقال لها : انجى معي ولا حلى لك عندى ولا حلى ولا تاج ولا طوق ولا سوار . فقال لها كشتاسب : مالك لم تختارى واحدا من هؤلاء الملوك والأمراء حتى لا يتغير فيك رأى الملك؟ ومالك احترت رجلا غربيا مسكينا؟ فقالت له : إذا كنت قد رضيت بك مع هذه الحلة فمالك تكثر الفضول؟ فخرج . وطيب قلوبهما بالدهن الذى كان أتزله في منزله ، وأخلى لها دارا ، وقام بخدمتهما . وكانت مع كايون جواهر لها قيمة فأعطته فصا من الياقوت فباعه بسنة آلاف دينار . فاشتري منه ١٠ احتاجا إليه من الممارش والملابس وغير ذلك . ومال كل واحد منهما الى صاحبه ، وأخذوا يزجيان أوقاتهما § وكان الصيد والقنص معظم ما يشتغل به كشتاسب ، فلم يكن يفارقه القوس

§ عرفت هذه القصة منذ زمان الاسكندر المقدوني في رواية تخالف ما في الشاهنامة بعض المخالفة : نقل أشوس عن جارس المثلثي^(٤) . وكان جارس في حاشية الاسكندر ، وكتب تاريخه في عشرة كتب لم يبق منها إلا شذرات في بعض الكتب — أن هسپيس وزريدريس كانا أخوين جميلين جدا حتى زعم الناس أنهما ابنا أفروديت . وكان هسپيس وهو أكبرهما ، ملك مديا . وكان زريدريس ملكا على الأرض التي فوق البحر القزوينى حتى نهري تيس . وكان وراء هذا الهر منازل قوم اسمهم المرائى ، ولهم زعيم اسمه أمريس . وكان لهذا الزعيم بنت اسمها أداتيس كانت أجمل نساء آسيا . رأت أداتيس في منامها زريدريس فشغفت به حبا ورأها هو في منامه فهم بها . ولما خطبها الى أبيها أبى أن يزوجهها منه إذ لم يكن له ابن ، وكان يريد أن يزوجهها من بعض بطانته . وبعد حين جمع أكابر مملكته ليحتفلوا لنزويجها دون أن يعرف من تزوج . وبينما القوم في طهرهم دعا أمريس =

(١) لفظ «قال» ليس في الأصل . والصحيح من ك ، كو ، طا . (٢) حل ، ك ، طا : لم يتغير . والصحيح من كو .

(٤) (Thares, Athencus)

(٢) ك : الدهنداء ، وفي الشاه : كخدائى .

والتركش . فخرج يوما على عادته الى الصيد فرجع ومعه عنة من أنواع الصيد . فاتفق مرورهم على هيشويه المتولى للبحر الذى سبق ذكره فعرفه فلقاه وأكرمه . فقدم إليه كشتاسب مامعه من الصيد ، وحصلت بينهما صداقة عظيمة ومودة أكيدة . وكان كل يوم إذا رجع من الصيد يحضر عنده ويقدم له بعض ما اصطاده ، وإذا انصرف الى ضيعته قدم بعض ما صحبه من الصيد الى صاحب الدار ، وفترق الباقي على أهل الضيعة .

قال : وكان في قواد قيصر أمير كبير من بيت كبير من الوجوه المشهورين . فخطب الى قيصر بنته فقال : إني قد تركت ما سبق لنا في هذا من الرسم والآيين . ولست أزوج بتي إلا بمن يفعل فعلة عظيمة مذكورة ؛ فيركب الى أجمة قاسقون^(١) فإن فيها ذنبا أغبر في ضراوة ثعبان وقوة فيل — في أوصاف ذكرها صاحب الكتاب منها أنه كان له قرن — فن قتل هذا الشيطان أجبتة الى ما يريد ، وصاهرته . فضاعت الأرض على الأمير الخاطب بما رحبت ، فرجع الى إيواته ، وخلا بنفسه ،

= ابنه وقال : يا أدانس ابني ! نحن مجتمعون لزواجك فانظري فن راقك في هذا الجمع فاملئي له كأسا ذهبية وناوليه . فنظرت في الحاضرين ثم ارتدت باكية اذ لم تر بينهم زريدرس ، وكانت قد أنباته بهذا الحفل . وكان هو معسكرا على نهر تيس قترك جيشه مسارعا اليها ليس يصحبه إلا سائق عجنته . واجتاز النهر يطوى المسافات النائية لا يلوى على شيء حتى بلغ المدينة قترك العجلة والسائق وتقدم الى المحفل فاذا أدانس بجانب المسائدة تبكي وتلأ الكأس متباطئة ترجو أن يحضر حبيبها قبل أن تملأها . فاقترب منها وقال : هانذا كما أمرت يا أدانس ! أنا زريدرس . فالتفت فاذا رجل باهر الطلعة كالذى كانت تراه في منامها فناوته الكأس . وحملها الى عربته وفزبها . وبعد قليل تفقدها أبوها فإل الخدم وهم يعرفون جلية الأمر : لا يعرف أين ذهبت .

ويقول المؤرخ : إن قصة عشقهما شائعة بين الأسويين ، وقد اتخذوا منها صورا في معابدهم وقصورهم ودورهم . وكثير من الكبراء يسمون بناتهم أدانس .

ولا يخفى على القارئ أن هستيسيس وزريدرس في هذه القصة هما كشتاسب وزرير اللذان في الشاهنامه .

تم اختيار المرأة زوجها على هذه الشاكلة كان دأب الهند القدماء . وفي كتاب المهابرة قصة تشبه هذه القصة^(٢) .

وأخذ يطالع الكتب فرأى في كلام بعض علمائهم المتقدمين أنه يأتيهم في الزمان الفلاني رجل من أهل إيران فيتيسر له ثلاثة أمور: أن يتزوج بابنة قيصر، وأن يقتل في أرض الروم سبعين قد عظمت أذيتهم للناس . وكان الرجل قد علم من حال كشتاسب اتصاله بگايون بنت قيصر ومصاحبتة هيشويه ومصادقته له ، فركب الى هيشويه ، وذكر له حاله ، وحكى له مآرأه في كتاب الفيلسوف . فقال له : إن هذا الرجل الذي وصفته لم يأتي بالأمس ، وهو يأتي الساعة فلا ترح . فأحضر^(١) الشراب والمغاني . ولما دارت عليهم الكأس أربع دورات ظهر لهم كشتاسب من الطريق . فركب هيشويه مع ميرين ، وهو الأمير المذكور ، وتلقاه . ولما قربا منه ترجلا له وقبل هيشويه الأرض بين يديه . وعدلوا الى جانب وأحضروا الطعام والشراب ، واندفعوا في الأكل والشرب . ولما ثمل كشتاسب أقبل عليه هيشويه وقال : إن ميرين هذا رجل عاقل عالم منجم قد نظرفي كتب الفلاسفة ، وهو عالم بأحوالهم . وهو مع هذه الخصال ينسب الى سلم بن أفرينون ، وعنده حصصاة سلم التي كانت لا تفارقه . وهو فارس مقدم . وقد أراد التشرف باتصاله بقيصر فخطب اليه ابنته ، فزعم أنه لا يزوجه إياها إلا بعد أن يقتل الذئب الذي من صفته كيت وكيت . فإن كفته هذا المهم ، وقتلت له هذا السبع كنت لك عبدا ، وكان هذا الأميرك نسيا وحيا . فقال له كشتاسب : إن هذا أمر هين . فهاتوا فرسا قويا ، وهاتوا سيف سلم الذي وصفتموه . فركب ميرين الى منزله ، وأخرج فرسا أدهم . وحمل السيف مع درع وخوذة ، واستصحب تحفا من الجواهر والثياب وغيرها . وجاء بذلك هيشويه . فلما جاء كشتاسب من منزله قدم ذلك بين يديه فقبل الفرس والسيف ، وهب البقية لهيشويه . ثم لبس الخفقتان وركب الفرس ، وتوجه نحو الأجمة ، وأمامه ميرين وهيشويه حتى دنوا من الأجمة المذكورة . فأراد هيشويه مريض السبع ، ورجع مع ميرين القهقري وراءهما ، وقعدا . يتلهفان على كشتاسب حيث ألقى بيده الى التهلكة . وأما كشتاسب فإنه نزل عند الفيضة وسجد لله تعالى واستنصره واستعانه . ثم ركب ودخل الأجمة فزار زارة كاد يترق من هولها وشذتها مرائر السباع التي هنالك . فلما رآه الذئب مهمهم كالسحاب الراعد ، وأقبل اليه يشق الأرض بأظافيره . فوشقه بسهام صائبة بفرجه . فربض مما ناله من ألم الجراح واستراح ساعة ثم حمل على كشتاسب وشق بقرنه بطن فرسه . فترجل كشتاسب وعلا رأسه بسيفه فلقى هامته حتى انتهى الى زوره ، ووقع صريحا . وخر كشتاسب ساجدا لله عز وجل شكرا على ما أولاه . ثم قلع سنين من أسنان الذئب كأنهما حربتان مؤللتان ، وكثر راجعا راجلا الى صاحبيه . وكانا قد أقاما اللامم عليه . فلما تراءى لهما

(١) ك : ط : فأحضره . (٢) ك : ط : وتلقاه . (٣) ط : ك : الى جانب الماء . (٤) ك : ط : بذلك كله . ك : ط : بذلك كله الى . (٥) كلمة "شكرا" ليست في الأصل . رف ك : ط : ساجدا لله تعالى شكرا على الخ .

من بعيد وثبا مبادرين اليه فعاثاه، واستخبراه عما جرى له، فأعلمها بما يسر له من قتل ذلك السبع، وأشار عليهما بدخول النيصة ليشاهداهما العجب. ففعلوا ورجعا اليه وقد انشרכת صدورهما بذلك. فانصرفوا وقدم ميرين تحفا كثيرة وهدايا وافرة لكشتاسب فلم يقبل منها إلا فرسا ركه وعاد الى منزله. وبادر ميرين الى حضرة قيصر وقال: أيها الملك! قد كفيت أمر ذلك السبع العظيم. وقد قددته من مفارقة الى زوره بنصفين. ففرح له قيصر واستبشر وأمر بأن يخرج من الأجمة على العجل الى الميدان. فلما شاهده الملك صفق بيديه فرحا وسرورا. ثم أحضر الأسقف وزوج ميرين ابنته. وأمر بتفريق الكتب الى بطارقة الروم يخبرهم بما تسنى لميرين من كفاية شر ذلك السبع المهائل والتين الصائل.

قصة كشتاسب مع أهرن

قال: وكان في بلاد الروم أمير آخر يسمى أهرن ذا بيت في الشرف أصيل وعرق في المجد عريق. فأرسل الى قيصر يخطب اليه ابنته التي بقيت عنده، ويقول: أنت تعلم أني أشرف من ميرين حسبا، وأكرم منه نسبا، وأطول منه باعا، وأرحب منه ذراعا. فأرسل اليه الملك يقول: إنه لا يخفى أني لم أزوج ابنتي من ميرين حتى فعل بالسبع ما فعل. فإن كنت راغبا في هذه المصاهرة فلا بد لك من مثل ما فعله ميرين. في جبل سقيلا ثعبان قد ضيق على الخلق هذا الإقليم. فإن قتله وكفيت الروم شره أجبك الى ما سألت. قال: فافكر أهرن ففطن أن قتل الذئب ليس من صنع ميرين، وأن تلك الضربة ليست ضربته. وقال: الرأي. أن أركب الى هذا المحتال، واستخبره عن الحال فعساه أن يصدقني الخبر. فركب في موكبته وجاء الى باب إيوان ميرين، واستأذن ودخل فلقاه ميرين بأتم إعظام وإكرام. ثم خلا به وقال: إني جئت لأستخبرك عن شيء، ولا بد أن تكشف الغطاء وتصدقني عنه. فضمن له عن نفسه الصدق فيما يسأله. فقال: إني خطبت الى قيصر ابنته فأجابني على شريطة أن أقتل الثعبان. فأخبرني الآن كيف كان حرب السبع، وداني على وجه الحيلة فيه. فأطرق ميرين عند ذلك ساعة مفكرا، وقال في نفسه: إن لم أخبره بمصدوقة الحال لم يخف الأمر عليه. والصدق هو رأس مال الفتوة، والكذب مباين للروعة. والرأي أن أدله على الرجل فلعله تحسم على يده أيضا مادة شر هذا الثعبان، وأعتصد بأهرن ونكون بين الروم يدا واحدة لئلا يتمكن منا عدو، ثم تدبر على هذا الفارس قتله ليخفى الأمر ولا يطلع عليه أحد.

(١) ك، ط، و، جيل. (٢) ك، كو، ط: فساه يصدقني. (٣) صل: ثم قال. والتصحيح من ك، كو، ط.

(٤) ك: فقتله.

ثم استخلف أهرن على الكتمان خلف له . فكتب الى هيشويه كتابا ، وذكر فيه أن أهرن من أولاد القياصرة ، وأنه ممن لا يخفى شرفه . وقد خطب الى الملك ابنته فأجابته وشرط عليه أن يقتل الثعبان الذي في جبل سقيلا . ولأن فقد توسل بي اليك لتدبر أمره . فعمل أهرن كتابه الى هيشويه فضمن له ذلك . فأقبل كشتاسب فتلقاه مع أهرن وخدامه . ولما نزل عرض عليه ما تجشم لأجله أهرن^(١) بعد أن ذكر حسبه ونسبه ورغبته في مصاهرة قيصر . فقال : استعمل حربة طولها خمسة أذرع في كل واحد من طرفيها سنان مؤلل كأسنان الحية رأسه كإبرة الشوك . وأحضرتي فرسا وجوشنا حتى أكفيهم أمر هذا الثعبان الهائل بإذن الله عز وجل . فعمل أهرن ما أشار به عليه ، وحمله وجاء الى هيشويه . وجاء كشتاسب وركب وركبا معه وساروا حتى قربوا من ذلك الجبل . فوقفا وصعد كشتاسب الجبل ، وقد طلعت الشمس ، فرأى ثعبانا متغيظا قد فزع فاه عن مثل الجحيم ، واجترأ اليه كشتاسب بنفسه . فرماه بالنشاب ، ولما قرب منه وضع الحربة ما بين فكليه . فعض عليها فدخلت في حلقه فأخذ يفرغر ويقذف السم من فيه حتى كاد يفروجه الأرض بسمه . ثم علا رأسه ، وضربه ضربة أفرغت دماغه ما بين تلك الحجارة . فترجل وقلع من^(٢) شقيقه نابن طوليين ، وانصرف شعوعين هناك واغتسل وسجد يبكي ويعفر وجهه في التراب يدعو الله تعالى ويشكره على إعانتة إياه على ذلك السبع العظيم ، وهذا الثعبان الهائل ، ويسأله أن يجمع شمله بأبيه وأخيه . ثم ركب مخضل الوجه بدموعه ، وعاد إلى صاحبيه ففرح بذلك أهرن ، ولما عاد إلى منزله أهدى له هدايا كثيرة من التحف والثياب والجواهر والخيل والأسلحة . فلم يأخذ لنفسه منها غير فرس وقوس وعدة سهام . ووهب الباقى لهيشويه . فركب أهرن إلى منزله ، وانتشر الخبر في المدينة بأن أهرن قتل الثعبان . وحمل الثعبان على العجل إلى ميدان قيصر . وكان كقطعة جبل . فاجتمع الناس ينظرون إليه ، واتبع قيصر لذلك ، واتخذ ذلك اليوم عيدا . ولما كان من الغد استدعى الأسقف والبطارقة والجائليق ، وسلم ابنته إلى أهرن . وكان يظهر التبرجح به وبالحنن الآخر الذي يسمى ميرين . وبنى قصرا مشرفا على الميدان فكان يجلس فيه وينظر إلى لبيها في الميدان بالكرة والصوبلجان حتى مضى على ذلك زمان . فاتفق أن ابنة قيصر^(٣) التي نحت كشتاسب قالت له ذات يوم : مالك لا تركب إلى ميدان الملك وتنفس ساعة وتلقى عن نفسك بعض هذا المم والحزن ؟ فاستحضر مركوبه ، وركب ودخل الميدان ، ووقف ساعة ينظر إلى مطاردة من هناك من الأمراء وملاعبتهم بالكرة . فاستدعى صوبلجانا ، وتقدم ولاعبهم فقلب الكل غلبة ففوزوا منها العجب .

(١) لفظ «أهرن» من ك، كو، طا . (٢) لفظ «من» من ك، ك، طا . (٣) طا : التي هي .

ثم شرعوا في النضال والمراعاة ففضلهم كشتاسب . فتحجب قيصر منه واستحضره واستدناه واستخبره عن اسمه وحاله ومولده . فقال : أنا ذلك العبد الذليل الذي طرده الملك من المدينة ، وجفا ابنته حيث اختارته غريبا نازح الوطن بعيدا عن الأهل والسكن . وهو الذي قتل السبع المائل والعبان الصائل ، وكفى الروم شر هذين الشيطانين . ثم قال : وهيشويه دلتى عليهما . وأنيابهما بعدُ عندي في البيت . فان رأى الملك أن يسأل هيشويه عن ذلك فليعمل ليعلم أنه ليس في مصاهرتي عار ولا في مواصليتي شار . فجاء هيشويه وشهد بذلك ، وأحضر هو أنياب السبعين بين يدي الملك ، فغضب على أهرن وميرين ، وقال : كيف كان ينبغي هذا الأمر ؟ ثم اعتذر الى كشتاسب واعترف بالتقصير في حقه . وقال : أين ولدي كايون فقد ظلمتها كثيرا ؟ فحضرت في الحال بين يديه فاعتذر اليها عما سلف ، ولاطفها وقال لها : هل سألت زوجك عن حاله وأصله ومحمد ومولده ؟ فقالت : إني سألته كثيرا عما يقوله الملك ولكنه ليس يخبرني عن مصدوقة الحال ، ولا يطمئني على حقيقة الأمر . ولا أشك أنه من بيت عظيم وعرق كريم . فانصرف قيصر الى إيوانه . ثم أتاه كشتاسب من الغد ودخل عليه فأجلسه يجنبه على تحت من الذهب ، فأحضروا له منطقة وخاتما وتاجا قيصريا . فقبل التاج ووضعوه على رأسه واعتذروا اليه ، وقال لأصحابه : كونوا كلكم مطيعين لفترخ زاذ — يعني كشتاسب ، وكان قد تسمى عندهم بهذا الاسم وأخفى اسمه الأول — ولا تخافوه في قوله ولا فعله ، وكونوا أيقاظا في خدمته .

ذكر ما جرى بين إلياس ملك الخزر وبين قيصر

قال : وكان إقليم الخزر أقرب الأقاليم الى بلاد الروم . وكان ملكهم إلياس ابن الملك مهوراس . فكتب اليه قيصر كتابا يرق فيه ويرعد حتى كأنه قطر بقله دما ، وقال : إنك قد استوليت على ممالك الخزر في هذه المدة المديدة ، وقد انتهت الآن أيام استبدادك بها . فنفسد البنا الخراج والحل ورهائن من أولادك . وإلا ففترخ زاذ يسير اليك ، ويدوخ بلادك ، ويملك تحتك وتاجك . فاغناظ إلياس حين قرأ الكتاب ، وأرسل اليه يقول : إنا ما سمعنا قبل اليوم بكل هذه الرجولية والشجاعة في الروم . وأنت أما ترضى ، إذا لم أطلب منك الخراج ، أن تبجو مني رأسا برأس ؟ وأراك قد تهت وأعجبت بنفسك منذ استأمن اليك هذا الفارس . وهذا الرجل الوحيد ولو كان جبل حديد فليس إلا من حبالتك وأشرارك التي نصبها الشيطان لهلاكك . ثم لا تجشمه النهوض الى فاني لا أمانر

(١) صل : الملك قيصر . والصحيح من ك ، كو ، طا . (٢) في نسخ الترجمة كلها : فترخ زاذ غير فاء .

(٣) ما بين الشرطين ساقط من ك . (٤) «أراك» — الى — الفارس . ساقط من ك .

عن المسير إليك . وبلغ جوابه هذا الى أهرن وميرن فأرسلا الى قيصر وقالا : إن إلياس ليس كالسبع والتمبان . فاحذر أن يخلف ظنك فرخ زاذ اذا تضرمت نار الحرب ، وانتصب إلياس للظمن والضرب . فاعتاظ قيصر من كلامهما واستحضر فرخ زاذ وقال له : اعلم أن إلياس رجل شجاع مسمر يحطم الأسد بيباسه ولا يصطلى أحد بناره . فان كنت تقدر على مطاوعته وتستطيع مقاومته فأعلمني ، وإن كان غير ذلك فأعلمني أيضا لأرى رأيا آخر ، وأصرفه بالرفق والمداراة عما عزم عليه . فقال له : أى حاجة لك الى هذا التطويل والقال والقليل ؟ إني اذا علوت ظهر القرس لم أفكر في جميع رجال الخزر . غير أني لا آمن المخامرة من ميرن وأهرن . فتعاون أنت وابنك على حماية ظهري في ملتحم القتال . فاني بحول الله وقوته لا أبقي إلياس ولا جيشه ولا تاجه ولا نخته .

قال : ولما كان من الغد وصل عسكر إلياس فأشار قيصر على كشتاسب بأن يبرز بعسكره من المدينة ويزحف إليهم . فبرز بهم الى المصاف . ولما رآه إلياس ، وشاهد شدة أعضاده وبجالة صدره وكيفية كره وقوه أرسل اليه فارسا ، وقصد أن يخدعه ويصرفه عن وجهه بمال يعطيه أو ولاية يجعلها له . فأجابه كشتاسب وقال : إنك تضرب في حديد بارد . وما أنا بمن يخدع لك ، وتؤثر فيه رقيقتك .

ولما طلعت الشمس من الغد ركب عسكر الروم وجاء قيصر وعبي الصفوف ورتبها ، فحلف ميرن وأهرن لحفظ الأنفال وما وراء العسكر ، ووقف في المينة ، ورتب ولده المسمى سقبل في المبرة ، وجعل كشتاسب في القلب . فتراحف الفريقان والتقى الجمعان . ولما رأى إلياس كشتاسب قال لأصحابه : انما طلب قيصر منا الخراج لكون هذا الفارس على بابي . قال : وتلاقى إلياس وكشتاسب فسدد اليه إلياس سهما فأخطاه ، وبادره كشتاسب فطعنه طعنة أذرتة عن ظهر الفرس ، ثم مده ^(٢) وأخذ بأطواقه واجتره من بين فرسانه ، وركض به الى قيصر فسلمه اليه . ثم عاود المعترك وزحف بجموعه الى صفوف الخزر فزحزحهم عن مواقعهم ، وبدد جموعهم ومزقهم كل ممزق ، بعد أن قتل منهم مقتلة عظيمة . ثم ترك الروميين في أفضيتهم ، وانصرف نحو قيصر فلتقاه قرير العين منشرح الصدر فشكر سعيه وقبله بين عبيه . ثم انصرفوا الى دار الملك مظفرين منصورين . وخدمت الروم كشتاسب بالهدايا والتحف وأنواع المبار والخدم . ثم بعد مضي أدوار من الزمان شاور قيصر كشتاسب في إنفاذه رسولا الى هراسب ومطالبته بأداء الخراج وإيذاته بالحرب . فقال له كشتاسب : رأيك أصوب وأحكم . فافعل ما ترى .

(١) صل : وقال : والتصحيح من ك ، كو ، طا . (٢) ك : يده اليه . (٣) طا ، كو : ملوك الروم .

ذكر مراسلة قيصر لهراسب بذلك

قال : وكان في أصحاب قيصر رجل عاقل معروف بالشهامة والصرامة مذكور برصانة الرأي ورزاقته العقل يسمى قالوس . فأرسله الى لهراسب وأمره أن يقول له : أذ البنا خراج ايران ليقب عليك ملكك . وإن لم تفعل ذلك تفدت اليك فرخ زاذ فيدوخ ديارك وبمالك بلادك . ففضي الرسول الى لهراسب . فلما وصل أعلم بوصوله ، فجلس على تخت من العاج ، واعتصب بالتاج ، ومثل بين يديه الأمراء والقواد سماطين . ثم أمر بإدخال الرسول . فدخل وأدى اليه الرسالة فغظم عليه ذلك . ثم أمر بإزالته في موضع يليق بجلالة قدر مرسله . وفرشوا له البسط المنسوجة بالذهب ، وقدموا له الهدايا والتحف ، وبلغوا في إكرامه وإعظامه الغاية . فلما كان الغد جاء الرسول باب إيوان الملك واستأذن فأذن له . فدخل وخلا به لهراسب وقال : أيها الرجل العاقل ! إني مسألك^(١) عن أمر فلا تعدل عن الصدق فيه . ثم قال : إنا لم نسمع بكل هذه الرجولية في الروم قبل يومنا هذا . وكان ملكهم أضعف الملوك . فمن أين تجدد الآن لقيصر هذه القوة والشوكة حتى يبلغ به الأمر الى أن صار ينفذ كل حين الى إقليم ويطلب أهله بأداء الخراج وقبول الجزية ويهددهم ويخوفهم سطوة بأسه ، وحتى إنه أسر إلياس ملك الخزر مع جلالة قدره وغمامة أمره ؟ فقل لي من أي جهة شخ بأفقه ، واستعلم أمره ؟ فقال قالوس : أنا كنت الرسول الى ملك الخزر ، وترددت رسولا غير مرة الى غير واحد من الملوك ، وما سألتني أحد منهم عما سألتني الملك عنه . وقد أنعم الملك علي بما لا أقدر معه على مخالفته فيما يشير به . ليعلم الملك أنه اتصل بقيصر رجل يصيد الأسود بيده ، ويضحك على جميع الرجال بقوته وبطشه . وقد أصبح بين الروم كالنار على علم . وسرد عليه حكايته وقصته في قتل السبع والثعبان . فقال له لهراسب : فيمن تشبه هذا الرجل ؟ فقال كأنه ولدك زرير وجها وقدا وشماثل وشكلا . فسرى عن لهراسب وذهب عنه بعض ما أحاط به من الهم ، وأعطى الرسول بدرا من المال وعدة من الجوارى والعلمان . ثم قال : أعلم قيصر أنني متاهب لقتاله ومصمم عليه . فانصرف الرسول .

وأحضر لهراسب زرير وقال له : إن هذا الرجل ليس غير أخيك كشتاسب . فدبر الأمر ولا تبطئ ، واحمل اليه التاج والتخت . فإني قد وهبت له السلطنة ، وقلدته الملك . ولا تظهر في العسكر إلا أنك خرجت لقتال قيصر . فبرز زرير في جميع أولاد الملوك والأمراء ، وسار يطوى المراحل حتى وصل الى حلب فغيم في محاربتها فانتلث بالليل والرجال . واستخلف مكانه بهرام من

(١) ك، ط ، رسالة قيصر . (٢) ك، ط ، إني مسألك .

الذرية الجودزوية (١)، وركب في خمسة من غلمانه، ومضى الى قيصر في زى رسول . ولما دخل عليه وجد عنده قالوس وكشاسب . فقدمه وخدم جميع من حصر من الأمراء، ولم يلتفت الى كشاسب . فقال له قيصر : مالك لا تقبل على فرخ زاذ ؟ فقال : لأنه عبد أبى من الملك لمراسب جاء اليك فبكته من خدمتك ، ووطأت له كنفك . فلم يجبه كشاسب بشئ . ثم قال له : لمراسب يقول : إن عدلت عن طريق السداد، ورغبت عن الطاعة والانقياد تركت المقام بأرض ايران وجعلت بلاد الروم مستقر سرى . ثم أعلم أن أهل إيران ليسوا كالخزر، ولا أنا كإلياس الذى تسلطت على بلاده، وتمكنت منه . فقال قيصر : أنا على عزيمة اللقاء . ثم صرف الرسول وخلا بكشاسب وقال له : لماذا سكت ولم تجبه بشئ؟ فقال : إني خدمت لمراسب زمانا طويلا، وحافى غير خاف عليه . ثم الأولى أن أمضى اليهم رسولا حتى أبلغ لك فيهم ما تريد، وأبلغك ما تطلب وتروم . فقال له قيصر : أنت أعلم . فركب وأقبل الى نعيم زرير . فلما بدا من الطريق ورأه وجوه العسكر والأمراء تلقوه رجالة ، وخدموا وسجدوا واستبشروا ، وقالوا : قد انتهت دولة الأسى والأسف ، وأقبلت دولة السرور والفرح . ثم جاء زرير فرجل وقبل الأرض بين يديه . فناقته كشاسب ونزل وجلس على التخت مع أكابر إيران وأمرائها . فدعا له زرير وقال له : إن أباك قد طعن في السن — لازلت ممثما بالشباب — وزهد في الملك وقوضه اليك . وما هو قد نفذ اليك التاج والتخت . ورضى من الدنيا بزاوية يعتزل فيها وبعد الله عز وجل . ثم قدم اليه التاج والطوق والسوار . فلبسها وتسمن التخت وأصطف بين يديه الجودزويون مثل بهرام وساو ورويو (ب) ، وغيرهم من أولاد الملوك، وحيوه بتحية الملك، ودعوا له كما يدعى للسلطين .

ثم نفذ كشاسب الى قيصر وقال : إن مقصودك قد حصل . وزرير ووجوه العسكر يتوقعون منك المجيء وحدك الى معسكرهم ليماهدوك^(٢) ويصالحوك . فلما أتى الرسول قيصر ركب وأقبل الى معسكر الايرانيين فرأى كشاسب جالسا على تخت من العاج معتصبا بتاج^(٣) من الفيروزج . فقام كشاسب وتلقاه وعانقه ولاطفه . فعلم قيصر أنه سلالة الملك لمراسب، فقدمه وقبل الأرض بين يديه ثم طفق يتنذر اليه ويقضى العجب مما شاهد منه . فقبل كشاسب معذرتة وعانقه وقاله له : جهز لنا صاحبنا التى اختارتنا فإنها تعبت تعباً كثيراً وتحملت بسببنا عناء قبيلا . فانصرف قيصر مطرفاً من

(١) ليس في الشاه أن بهرام هذا من ذرية كودرز . وقد تقدم أن بهرام بن كودرز قتل . انظر المقتض ٢١٤

(ب) عبارة الشاه : لا تميز أن هؤلاء الثلاثة من نسل كودرز .

(١) ط : ك ، وجاء . (٢) ك ، ط : وراثة . (٣) ك ، ط : حتى يماهدوك .

(٤) فقط «تاج» من ك ، ط . (هـ) ط : انه كشاسب سلالة الخ .

انجمل ونادما على ما سبق منه من سوء العشرة فغذ الى كايون كترًا من الذهب وتاجا وجواهر كثيرة وأحالا من الثياب وألف وصيفة . وجعل على جميع ذلك فيلسوفا ارتضاء لحفظه . ونفذ مع ذلك الى كشتاسب أسلحة وخلفا فاحرة يرسم من عنده من الأمراء . فلما وصلت كايون الى كشتاسب ارتحل من حلب متوجها الى بلاد إيران . فشيعة قيصر مرحلتين ، ثم حلف عليه كشتاسب وردّه . وسار الى إيران فتلقاه أبوه لهراسب وعانقه واعتذر اليه ، وقال : إن الله تعالى كان قد قدر غيتك عن هذا الإقليم الى هذه الغاية . ثم قبل التاج ووضع على رأسه فقال له كشتاسب : أيها الملك ! لا خلت منك المملكة ولا نخلت إلا بك السلطنة . فاعتزل لهراسب ، وتقلد كشتاسب الملك . على ما ذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر واقعة للفردوسي ناظم الكتاب أخبر بها في هذا الموضع

قلت : كان الدقيق الشاعر أول من شرع في نظم أخبار ملوك الفرس فنظم من أخبار كشتاسب وواقعه مقدار ألف بيت . ثم اخترته المنية لجاء الفردوسي رحمه الله ، وبدأ بأولهم فنظم ما قد نقلناه وأوردناه حتى انتهى الى هذا المكان فأورد ما نظمه الدقيق مكتفيا به . وذكر السبب في ذلك فقال : رأيت في المنام كأن على يدي جاما من المدام ، وكأن الدقيق قد بدا لي وناداني بصوت رفيع وقال : اذا شربت الراح فلا تشرب إلا كما كان يشرب كيكالوس وعلى رسمه وآيئته ^(١) من أجل أنك في خدمة ملك يفخر به التاج والتخت ، وتبجح منه السعادة والبحث . وهو الشاهنشاه محمود أخذ البلاد وجال السمرور الى قلوب العباد ، الذي سوف يطأ بخيله بلاد الصين ، ويستولى فيها على أسرة السلاطين . ثم إنه ما أسرع نظمك لهذا الكتاب ! وبعد أن وصلت الى هذا المكان فلا تجزل على واكتب ما نظمته من قصة كشتاسب وأرجاسب . فإنه إن مرّ بمسامع هذا الشاهنشاه حصلت لي به سعادة ، وتمهد لي به شرف وسيادة . قلت : وأنى للفردوسي والدقيق بمثل ما حصل لهذا العبد من السعادة بخدمة مولانا السلطان الملك المعظم ملك ملوك العرب والعجم أبي الفتح عيسى ابن السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، وحصوله من حضرته العالية

حيث شمس الحلال تطلع منه	مشرقا من ضيائه الأفاق ^(٢)
حيث روض العلوم ريان يهي	فيه للفضل وابل غيداق
حيث صيد الملوك مدّوا سماطين	منولا يعمهم إطرارق

(١) صل : وآيئته . والصحيح منك ، ط ، والشاه .

(٢) في حاشية الأصل : « هذه الأبيات لترجم الكتاب ، وك ، ط ، تزيد « من نصيدة سلطانية » .

هية دون طامح الطرف سام دخلت تحت رقه الأعناق
شرف الدين مالك الأرض عيسى من حياه بفضل الخلاق
ملك ملك من سواء لدى الله م مجاز وملكه استحقاق

فهو الذي لو عاش محمود لاحتاج الى خدمة بابه وملازمة ركابه وتعلم آدابه - لا زال خلفا عن ملوك المشرق والمغرب، قارعا هضاب المغائر والمناقب، ممتعا بولده الملك الناصر داود الأرميى السرى ابن السرى أبقاه الله تعالى فى سماء السيادة قرا يستمد من أنوار شمس أبيه ، واصلا تحت ظل سعادته نهاية آماله وغاية أمانيه ما أثار التيران ورفد الرافدان ^(١) .

١٥ - ذكر نوبة كشتاسب بن لهراسب . وكانت مدة ملكه مائة وعشرين سنة §

قال الدقيق : لما سلم لهراسب سرير السلطنة الى ولده كشتاسب سار الى نوبهار بلغ . وكانت متعبه عبادهم يقصدونها للجاورة، وينقطعون فيها للعبادة . وكانت عند الفرس بمنزله مكة الطاهرة المحروسة عند العرب . فدخلها لهراسب وخلا بنفسه وأغلق عليه باب متعبه ولبس المسوح ولازم الخضوع والخشوع وطرح سواره وسدل شعره على عادنهم . وقام على ذلك ثلاثين سنة . يعبد الشمس تأسيا بمجشيد، الى أن انتهى أجله - كما يأتى ذكره .

١٥ § - كشتاسب

الخامس من الملوك الكيانيين، والخامس عشر من ملوك الشاهنامه .

ويمتاز عهده برسالة زردشت، والحروب التى أثنىها هو وابنه اسفنديار لنشر الدين الجديد .

ويسمى فى الأبتساق "فستاسبه" و"كفى فستاسبه" . وينسب فى بعض المواضع الى أسرة نوفر ^(٢) .

ويذكر فى الكتب العربية باسم فستاسف وشتاسب . وقد ذكره بشار باسم فستاس :

قوى اغبقينا فما صيغ الفتى حجرا لكن رهينة أحجار وأرماس
رقى مشاشى فان الدهر ذو عبر أنفى قباذا، وأوهى ملك فستاس ^(٤) =

(١) كور: روقد القرقدان . (٢) ك: وضع سواره . (٣) أفتاء، ح ٢ ص ٧٧ (٤) الفر: ص ٣٧٧

ولما تسلم كشتاسب سرير الملك واعتصب بتاج أبيه قال : إن الله تعالى إنما حباني الملك
لأنشرلواء العدل وأبسط جناح الأمن ، وأظهر الأرض من كل من عاث وأفسد^(١) ، وأحمى القطيع
من الذئب والأسد ، ولا أمد يد الأذى الى سالكي طرق الاقياد ، ولا أضيق الأرض على الأحرار
أهل الخير والساد . « فأنارت الأرض بأنوار معدلته ، وانعمرت برأفته ورحمته حتى صارت الدنيا كما
قال مترجم الكتاب في صفة عهد مولانا السلطان وما ظهر فيه من الأمن والأمان :

برأفته طاب الزمان فقد غدت تخاصر آرام الصريم ضراغمه
وتربض في حجر السراحين شأؤه وتضرخ في وكر العقاب حمامه

ثم إنه رزق من بنت قيصر ولدين أحدهما يسمى إسفنديار والآخر يشوتن . واستتب له الملك ،
ودخل تحت أمره جميع الملوك ، وأدوا اليه الخراج وبذلوا له الجزية . ما خلا ملك توران المسمى
أرجاسب . فإنه كان ملك الصين والمستعبد لرقاب الشياطين ، وكان بسبب ذلك يأخذ الإتاوة من
أرض إيران .

ثم بعد مضي سنين مضت من ملك كشتاسب ظهر زردشت وادعى النبوة فقال لكشتاسب :
إني رسول الله اليك . وهو يقول لك : اقبل الدين ، وتفكر في هذه السماوات والأرضين ، وانظر هل
= وقد خصص له فصل في الأبتاق يسمى باسمه خلاصته أن الله قال لزردشت : اذهب واقرا
هذا الكتاب أمام الملك كشتاسب لعله يؤمن . خذ مواعظي كلها واذكرها له كلمة كلمة .
فذهب زردشت وتقدم الى الملك ودعا له وبارك عليه . ثم قرأ عليه الزندقستا وقال : تعلم سبلها ،
واسلك فيها . فان رغبت في شرعها فأواك الجنة في السماء . وإن أعرضت عن وصاياها فستلحق
الى الأرض رأسك المتوج ، يغضب الله عليك ، ويحول سعادتك شقاء . ثم تهبط من بعد الى جهنم
إن لم تستمع لهداية القادر^(٢) .

ويذكر في مواضع أخرى منها :

” نعبد روح الملك المقدس كشتاسب المقدام ، الكلمة المتجسدة ... الذي طرد الكذب
فأفصح للدين المقدس ... والذي جعل نفسه عضدا وعونا لهذا قانون أهرأ ، لهذا قانون زرتشترا .
الذي أخذها (الشريعة) واقفة موقفة من أيد الهونو ، فكأن لها لتجلس في سواء الأرض عاليا
حكما ، غير متقهقرة ، مقدسة ... الخ^(٣) .
=

(١) صل : فسد . والصحيح من ط . (٢) ك : الدنيا كلها . (٣) أنشتا ، ج ٢ ص ٣٢٨ فقلان

زرتشت تامه . (٤) = ٢٠٥

يقدر على خلق هذه الأشياء غير رب العزة والكبرياء؟ فإذا وضع لك الأمر فاقبل دين هذا الرسول وتعلم منه طريق اليقين». • قامن به كشتاسب وجميع من كان بمحضرة من الملوك والأمراء وسائر الموابذة والمهراينة • وبني للثاريوتا كثيرة وجعل لها قبابا رفيعة • ثم غرس على باب بيت (١) نار بكشمير شجرة سرو، وكتب على ساقها: «إنا كشتاسب قبل دين الحق وأشهد على نفسه هذا السرو». • ثم بعد مضي أدولة^(١) من الزمان استعمل السرو واستغلف وارفع في السماء فأمر كشتاسب فبنوا عليه قصرا في طول أربعين ذراعا وفي عرض مثلها • وجعلوا سقفه من الذهب، وأرضه من الفضة، وترا به من العنبر • ورسعوا حيطانه بالجواهر والياقوت الزواهر • وصوروا فيه صورة جمشيد وأفريدون • ثم عملوا حوالى القصر سورا من حديد • ثم اتخذ الملك كشتاسب هذا القصر مجلسه^(٢)، وادعى أنه يصعد منه إلى السماء. وتفرق الرسل إلى أطراف البلاد، وكتب إلى الملوك يأمرهم بالمصير إلى خدمة هذا السرو، وباستماع مواعظ زردشت والدخول في دينه وترك عبادة الأصنام والأوثان، فأجابته الناس إلى ذلك ودخلوا في دينه طوعا وكرها • ثم بعد مدة أخرى قال زردشت لكشتاسب: إنه لا يحسن في ديننا أن ندل ملك الترك ونعطيه الجزية • فقال: أمثل أمرك،

= وفي بعض المواضع نرى زردشتا يقرب قربانا إلى أناهنا لتؤيده حتى يجعل الشجاع فشتاسبه بن أرقط — أسبه يفكر بالشرع، ويتكلم به، ويعمل من أجله • فأعطته الإلهة ماء^(٣) سال •

وفي موضع آخر أن المجد الملكي تجسد في فشتاسبه فصار يفكر بالشرع ويتكلم به ويعمل من أجله • وطرده الباطل فأفسح للدين الإلهي^(٤) •

ويرى فشتاسبه (كشتاسب) في موضع آخر من الأبنساق يقرب قربانا داعيا أن يقتصر على أعدائه • ويذكر أحيانا اسم هؤلاء الأعداء ومنهم أرككت — أسبه (أرجاسب)^(٥) •

وأما تاريخ زردشت ودينه فأين وأطول من أن ألم به هنا •

ويحس القارئ حين يبلغ هذا العصر من عصور الشاهنامة أنه قد خرج من ظلمات الأاطير إلى سُدفة التاريخ حيث يجد أسماء وأفعالا وأحوالا تشبه ما يعرف في تاريخ الأكينيين: فالكتب العربية تذكر، في الكلام عن كشتاسب وبهم، اسم كيرش وداريوش • وأين من هذا ما في تاريخ =

(١) هي نارهريرزين كما في الشاه • وكشمير التي تذكر هنا هي كشمير من قرى نيسابور •

(١) كو: أدوار • (٢) ك: منزله • (٣) ٧٨ = (٤) ٢٠٦ =

(٥) ٧٩ =

(١٤٠)

ولا نوذى اليه بعد هذا شيئا . فافق أن بعض الشياطين سمع ما جرى بين الملك وبين زردشت فأهسى ذلك في الحال إلى أرجاسب ملك الصين ، وقال : إن كشتاسب قد مرق عن الدين . وقد خرج في أرضه شيخ طاعن في السن ، وادعى أنه نبي مرسل اليه فقبل دينه واتبعه وخلع ربة طاعتك ، وعزم على النهوض لمقاتلتك . فكتب أرجاسب ملك الصين كتابا طويلا — أوردته البقي على طوله — ومقصوده أنه عنف كشتاسب ووجنه وسفه رأيه وعقله ، وأمره بأن يترك دين زردشت ويرجع إلى ما كان عليه من دين آبائه وطريقة أسلافه ، وأنه إن لم يفعل ذلك نهض اليه في عساكر الصين ، ودوخ بلاده وحرب دياره ، ولم يبق منها حجرا ولا مدرا ولا زرا ولا شجرا ، ويعلم عيونها ويقطع أنهارها ويقتل رجالها ويسبي نساءها . وختم الكتاب وفذه على يد ساحرين من دهاة أصحابه . فلما وصل الكتاب إلى كشتاسب استحضر وزيره جاماسب ، واستدعى الأمراء والإصبيذية ، وأحضر زردشت ، وأحضر كتابه . ثم قرأ كتاب ملك الصين عليهم فوثب أخوه زرير ، وكان بهلوانه ، وولده اسفنديار ، وسلا أسياقهما ، وقالا : كل من لم يبيع دين الملك ولم يمتثل أمره قتلناه بأسياقنا . وطبقا يرقان ويرعدان . ثم استأذن زرير كشتاسب في أن يجيب عن كتاب أرجاسب . فأذن له^(١)

= هر دوت الذى يذكر في نسب الأكيلين هتسپس أبا لدارا . وهتسپس هو قشتاسب في الأبتاق ، وكشتاسب في الشاهنامه .^(٢)

ويرى ورزان الشبه بين كشتاسب ودارا قوى : فلهراسب الذى اعتزل الملك لابنه كشتاسب ثم حارب أرجاسب في بلغ يشبه هتسپس أبا دارا ، الذى كان حاكما على برتيا في ملك ابنه فلما ثارت عليه الثورات أبلى فيها بلاء عظيما . ثم الحروب الدينية أيام كشتاسب تشبه النزاع الدينى الذى كان حينما تار سمرديس على قبيز وآيده المجوس . وقد انتصر دارا على السائرين . وحرب دارا والاسكيت في الشمال تشبه حرب إسفنديار وأرجاسب في قصة هفت خوان . وهناك أدلة على أن دارا غير دينه أثناء تملكه .^(٣)

ويمكن أن يزداد لتأييد هذا رأى أن دارا تزوج أموسا امرأة قبيز . وفي الأبتاق ذكر هتوسا التى من أسرة نوذر . وأنها قربت قربانا لتكون عزيزة مكومة في بيت الملك قشتاسب .^(٤)

(١) ك : فائق . (٢) ك ، ط ، كز : أرجاسب عند ذلك كتابا . (٣) ط : فأذن له فيه .

(٤) انظر الطبرى ومروج الذهب في الكلام على لهراسب وكشتاسب وأروشتاسب ويمن ، وانظر براون (Browne)

فقام هو واسفنديار وجاماسب ، واعتزلوا ناحية وكتبوا جواب كتاب أرجاسب ، وحننوه بالفاظ كبر اللهازم تخرق حجاب الصدور ، ولبات كظبات الصوارم تقطع أغشية القلوب . وذكروا فيه أنهم حازمون على المسير اليه لاستئصال شائقه في ألوف ألوف من رجال الحرب وأبناء الطعن والضرب . وجاءوا بالكتاب الى خدمة كشتاسب . فنظر فيه وكتب عليه اسمه ورعى به الى الرسولين ، وقال : لولا أن قتل الرسل غير مستحسن عند الملوك ولا جائز في شريعة صاحب الزند لنكلت بكما وقطعت أيديكما وأرجلكما . ثم ردهما بالخزي والهوان فانصرفا .

ولما وصلا الى صاحبهما أرجاسب وقرأ جواب الكتاب عظم عليه ذلك ففرق الرسل في أطراف ممالكه ، وجمع جموعا وحشر جنودا لا تحصى ولا تحصى ، وانتخب منهم ألف أمير وفزق عليهم القبيلة والأعلام . ثم قسم فيما بينهم ثلثمائة ألف فارس . ثم جعل أخاه المسمى كهرم على أحد جناحي العسكر، وجعل أخاه آخر يسمى أندريمان على الجناح الآخر . وعهد الى تركي آخر طاعن في السن قد أفنى عمره في الغشم والظلم ، وتربى في القتل والنهب ، وولاه قيادة عساكره . وجعل أميرا آخر يسمى خشاش على الطلبة ، وأمر بالآلا يتقدمه أحد في المسير . ودعا بشيطان آخر وأمره أن يكون

= وأرى أنه لا يمكن في هذا العهد الذي لا يزال الظلام مسيطرا عليه أن نقول إن كشتاسب هو دارا . ولكن أظن أن هناك مناسبة بين لهراسب ومن بعده من الملوك الكيانيين في الشاهنامة وبين الاكيانيين الذين يعرفهم التاريخ .

ويمتاز هذا العهد كذلك بأن في أيدينا كتابا فهلويا يسير الشاهنامة فيما قصه . ولعله أقدم سند في هذا الموضوع . ذلكم كتاب "باتكار زريان" أي "ذكرى زريز" الذي يقص من أبناء الحرب بين إيران وتوران وقتل زريز الخ .

ويرى ورنر أن حرب الدين هذه كانت حربا بين فتيين من الإيرانيين . ويستدل بنشابه الأسماء واتهاها بكلمة "اسب" وهي فارسية معناها الفرس . ويمكن أن يزداد تأييد رأي ورنر هذا أن قصة الدقيق لا تستقيم إلا على هذا الفرض ، فما كان الملك الصين أو الترك أن يحارب كشتاسب من أجل تركه دينه الى دين زردشت . فان الترك لم يكونوا يدينون بدين الفرس حتى ينقموا على كشتاسب المروق منه . على أن العالي يحمل هذا الإشكال برواية أن كشتاسب هو الذي بدأ بدعوة أرجاسب الى الدخول في دينه . ثم المقارنة السالفة بين هذا العهد وعهد دارا الذي كان فيه النزاع الديني بين الإيرانيين أنفسهم يزيد في هذا البحث الغامض حجة أخرى .

على ساقفة العسكريسير وراعم ، فإذا رأى واحدا منهم تأخر وانصرف من العسكري يضرب رقبتة في موضعه كائنا من كان من غير أن يدعه أن يجاوز موضع قدمه . فأقبل بالساكر كذلك حتى وصل الى إيران كالنار المحرقة لاسقى ولا تذو . فأتته الخبر الى كشتاسب فطير الكتب الى أطراف ممالكه ، وأمرهم بالإقبال الى بابه . فاجتمعت عليه عساكر ملأت الحزن والسهل ، وغمرت البر والبحر . ففتح أبواب الخزان ، وأطلق لهم أرزاق ستين . ثم ركب فيهم وسار الى أن وصل الى بلخ ومنها الى جيحون . ووصل أرجاسب من ذلك الجانب ، وتدانى ما بين الفريقين . فجلس كشتاسب ذات يوم ودعا وزيره جاماسب العالم — وكان رأس الموابنة ، وملك علمائهم ، وهو المنظور اليه في مجالسهم ومجامعهم ، العالم بأحكام التجويم المتكلم على ما يكون من الكشائت — فسأله كشتاسب عن عاقبة قتال العسكريين ومآل أمر الفريقين . فمظم ذلك عليه وقال : يا ليتي كنت رجلا جاهلا حتى لم يسألني الملك عن هذا . ولا يتصور أن أخبر عما يكون في هذه الحرب من الوقائع . ولو أخبرت لم آمن سطوة الملك إلا أن يعاهدني ألا يسئ بسوء . « خلف له على ذلك فقال : اعلم أيها الملك أنه اذا التحم القتال واحمر البأس فأقول من يخوض غمرة الحرب يكون ولده أردشير

= وأما أبطال هذا العهد وعظماؤه فهم في الإيرانيين :

(١) زدير أخو الملك . وتذكره الأبتساق باسم زير قيرى . ويعد من القديسين ، ونجده فيها مقربا بعض القرايين للانتصار على كشتاسب .

(٢) واسفنديار . ويسمى في الأبتساق سبتو — داته . وليس له فيها المكانة التي تلائم مكانته في الكتب الأخرى التي تجعله بطل دين زردشت . وهو أعظم أبناء الملك ، وبطل الأبطال في هذا العهد . وسيرى القارئ ما كان بينه وبين رسم بطل الأبطال في العهد الماضي . وقد نقلت عن ابن هشام فيما تقدم أن سيرة رسم واسفنديار كانت معروفة بين العرب إبان ظهور الاسلام . ومن مآثر اسفنديار التي أغفلتها الشاهنامة بناء سد في وجه الترك من وراء سمرقند عشرين فرسخا .

(٣) ويشوتن أخو إسفنديار الذي يسمى في الأبتساق يشوتو . وفيها دماء لللك كشتاسب بأن يبرأ من المرض والموت مثل يشوتو . وذلك أن زردشت سقاه ضربا من اللبن ففسى الموت . وهو أحد السبعة الخالدين . وكان حاكما في ككك^(٥) دز .

(١) ك ، ط : واتهى . (٢) ك : جاهلا لم يسألني . (٣) ك ، ط : على أن لا .

(٤) البلدان : ص ٢٩٠ ، وتاريخ حزة ص ٢٧ (٥) أفتا ، ح ٢ ص ٣٢٩ والحاشية ، قلنا عن زردشت

ناه وبعدهش . وانظر المتن ص ١٥٢

فيغني غناء حسنا، ويقتل خلقا كثيرا ثم يُقتل بالآخرة . ويتلوه في ذلك ولدك الآخر المسمى شيداسب طالبا بنار أخيه . فيقتل طائفة أخرى من الترك ثم يقتل أيضا . ثم يتقدم ولدى لطلب نار شيداسب فيغني غناء حسنا فيرى الدرفش الجابيان قد سقط في المعترك فيرفمه ويمسكه بأستانه طاضا عليه ويقاتل بيده . ثم يأتيه سهم غريب فيقتله . ثم يتقدم ابن زرير فيقتل ستين نفسا من آساد الصين، ثم ينصرف فيصيبه سهم فيقتله . ثم يخوض غمرة الحرب أخوك زرير فتجري في المعترك سيول الدماء، ويكون له في العدو نكايات عظيمة ثم يكن له توراني اسمه بيذرفش فيرميه بمزراق مسموم فيهلكه . ثم تنقض الصفوف، وتستجر الرياح والسيوف فيكثر القتل في الطائفتين . ثم يتقدم قاتل زرير فيلقاه ولدك اسفنديار فيقتله، ويقع في عساكر العدو، ولا يزال يدير عليهم رحي الطعن والضرب حتى يزلزل أقدامهم، ويسد صفوفهم، ويفرق جمعهم فينهزم أرجاسب حينئذ، ويفزع إلى الصين في خف من العدد خائبا خاسرا . واعلم أيها الملك أن ما قلته كائن من غير قصص ولا زيادة . ولما سألني الملك عن هذا البحر المظلم لم أستطع أن أخالفه ولا أخبره . ولولا ذلك لم أكتشف الغطاء عن هذا الأمر، ولم أهلك السر عن هذا السر . نغر الملك صمعا عند ذلك . ثم أفاق وأخذ في البكاء والمويل . وقال ماذا أصنع بعد هؤلاء الأعززة بالتاج والتخت؟ فقال لجاماسب : إن كان الأمر على ما تقول أشرت

= (٤) وكُـرِزَم يذكر في الأَبَسْتاق باسم كَفَارِزَم . وهو أخو اسفنديار الذي أفسد بينه وبين أبيه . والشاهنامة تجعله من الأقرباء فقط .

(٥) ثم بنو كشتاسب كثيرون؛ في الأَبَسْتاق يدعو زردشت له قائلا : "لعله يولد لك عشر بنين، ثلاثة سدة نار، وثلاثة محاربون، وثلاثة حارثون . ولعل واحدا منهم يكون مثل جاماسب يباركك بسعادة عظيمة تزداد كل يوم" وفي الشاهنامة أنه قتل من أبنائه في موقعة واحدة ثمانية وثلاثون .

(٦) ونسطور بن زرير . ويذكر في باتكار زريران باسم بستور الذي تار لأبيه . ويسمى في الفرر بستور بالباء أيضا . فهو إذا المذكور في الأَبَسْتاق باسم بستقيرى وينبغي أن أقرأ في الشاهنامة بستور، بالباء .

(٧) وهما بنت كشتاسب التي تذكر في الأَبَسْتاق باسم المقدمة هما .

ملهم بالكف عن القتال . فقال جاماسب : إن تخلف هؤلاء فن يقدر أن يقاتل عسكر الصين ؟ ثم إن هذا أمر أله الذي لا مفتر عنه ^(١) ، ولا ينبغي الحذر منه . فإن الكائن لا محالة كائن ، والمحذور لا بد واقع . ثم وعظه ونصحه وعزاه وأمره بالصبر . فقبل مقالته ، وصم على قتال ملك الترك . ولما أصبح ضربت الكوسات ، وركبت العساكر قرب الميامن والمياسر . وأقبل العدو في الطم والرّم . وتزاحف الفريقان والتقى الجمعان . وقامت الحرب بينهما أسبوعين على ساق — فزعم الدقيق أن الأمر جرى على ما ذكره جاماسب الحكيم ، على التفصيل الذي سبقت الإشارة إليه . فلم نطول نحن بإعادته — قال : فانهزم أرجاسب ، واتخذ الليل جلا ، وتوجه إلى بلاده . ولما علم من بقي من جنوده بهربه رموا القسي ، ولادوا بأطراف الأمان . فاقنهم كشتاسب بعد أن قتل منهم مقتلة عظيمة .

(٨) ثم جاماسب الوزير الأكبر يذكر في الأبهستاق باسم كاماسب بن هفوقه ^(٢) ويعمل من المحاربين أحيانا . وقد تزوج إحدى بنات زردشت وكتب الأبهستاق وخلف زردشت على أمور الدين .

وأما أبطال التورانيين فهم الملك أرجاسب وأخوه أندرميان وكهرم ابنه ثم بيدرفش وطرخان . ويذكر الأولان في الأبهستاق باسم أركت — أسبه وقندرميني ، نجدهما يقربان القرابين لبتصرا على كشتاسب وزرير والآرين فلا يستجاب لهما ^(٣) .

ولا نصف الأبهستاق أرجاسب بأنه توراني كما نصف أفراسياب . بل تسميه السفاح الهفويونا . وتذكر كذلك أم هفويونا ^(٤) . ويسمى هؤلاء "الخيون" في الكتب الفهلوية وفي يانكار زيرران ^(٥) . ويظن بعض المؤلفين أنهم قبائل هندية — فوالذين يذكرون في تاريخ الصين ، أو جيوتنا الذين ذكرهم أميتوس ^(٦) ووصف ما كان بينهم وبين الملك سابور الثاني .

وشجرة السرو التي غرسها كشتاسب أو غرسها له زردشت تصفها الشاهنامه بأنها من الجنة . وفي بعض نسخ الكتاب أن القصر بنى حول الشجرة لا فوقها ^(٨) .

(١) حل : مه . والتصحيح من طا . (٢) ٢٠٧ = (٣) ٧٠ = (٤) ٨١

(٥) ١١٧ = (٦) ورز ٥ ص ١٣ (٧) (Amminius Marcellinus) . أنظر

ورز (Warner) ٥ ص ١٣ (٨) أنظر مول (Mohl) ٤ ص ٣٠٤

ثم لما أصبح ركب مع وجوه أصحابه وجاء إلى المعترك يبكي على قتلاه . وجعل يقف على واحد واحد حتى انتهى إلى أخيه زرير . فلما وقعت عينه عليه مرقق ثيابه ، ونزل عن ظهر الفرس ، وطلق يبكي عليه وينسده . ثم رفعه بيده وجعله في تابوت من الذهب . وجعل أيضا أولاده المقتولين في التوابيت . ثم أمر فسدوا القتل فبلغ عدد قتلى الإيرانيين ثلاثين ألفا . منهم ألف ومائة وثلاثة وستون نفسا من الوجوه والأكابر . سوى من جرح منهم ، وعددهم أربعة آلاف ومائتان وأربعون نفسا . ثم بعد ذلك أشار كشتاسب على آين أخيه زرير ، وكان يسمى نسطور ، أن يعود بالعساكر إلى إيران . فانصرفوا معه راجعين إلى بلادهم . ثم عاد كشتاسب (٣) إلى إيران . وزوج ابنته هُمای من ابنه إسفنديار على الملة الفهلوية . ثم قدم نسطور على عشرة آلاف فارس من الرجال المذكورين ، وأنفذه إلى ولاية أنياش وخلق ، وأمره بالركض إليهم وشن الغارات عليهم . وأقام في مستقر سريره ودار ملكه .

= و يروى أن هذه الشجرة بقيت إلى زمن الخليفة المتوكل العباسي ، وأنها ذكرت له وهو يني ساهرا فتشوف لرؤيتها ولم يستطع الذهاب إلى خراسان فكتب إلى الوالي أن يقطعها ويحملها على العجل إلى بغداد . فاجتمع الناس حول الشجرة يبكون ويضعجون وعرضوا على الوالي خمسين ألف دينار فداء للشجرة فلم يقبل . فلما قطعت الشجرة أحربت كثيرا من الأبنية وبجاري الماء ، وانبعثت ضروب الطير التي كانت معشاة فيها صائحة تحجب النور لكثرتها . ونجحت البقر والشاء وغيرها من البهائم التي كانت تأوى إليها . وبلغت نفقة نقل الشجرة إلى بغداد خمسمائة ألف دينار . وحملت أغصانها على ألف وثلاثمائة جمل . ولما كانت الشجرة على مرحلة من الجسفرة قتل المتوكل قبل أن يراها (٥) .

وفي بعض الروايات أن زردشت أتى بشجرتي سرو من الجنة غرس واحدة في كشمير والثانية في طوس .

وعهد كشتاسب في الشاهنامه زهاء ٥٤٠٠ بيت نظم الدقيق منها زهاء ١٠٢٠ . ويمتاز في هذا العهد أربعة أقسام :

١ - مجيء زردشت إلى كشتاسب وما تبعه من حرب إيران وتوران . =

(١) ك : ولما أصبح . (٢) ك ، ط : القتل من الإيرانيين . (٣) ط : عاد كشتاسب إيران .

(٤) ك ، كو : إيتاس . (٥) روزر (Warnar) ح ٥ ص ٢٨ قلا عن دبستان .

ثم جمع عساكره كلها على ولده إسفنديار^(١) ودار في جميع الأقاليم حتى إقليم الروم والمهند واليمن، وقطع البحر والظلمة حتى قزر في جميع البلاد دينة. وتواترت الكتب من جميع الأطراف إلى كشتاسب بأنهم قد أطاعوا لابنه إسفنديار، ودخلوا في دينة. فغذ كشتاسب إلى كل إقليم زندا — قلت: وهو الكتاب الذي جاء به زردشت. وذكر أبو جعفر الطبري في كتابه عن بعضهم أن زردشت كان من أهل فلسطين. وكان خادما لبعض تلامذة أرميا النبي عليه السلام خاصا به أميرا عنده. فخافه وكذب عليه فدعا الله عز وجل عليه فبرص. فلقى ببلاد أذربيجان، وشرع بها دين المجوسية. ثم توجه إلى كشتاسب وهو ببلخ. فلما قدم عليه وشرح له دينة أعجبه فقرر الناس على الدخول فيه. وذكر أيضا عن بعضهم أن ظهور زردشت عند كشتاسب كان بعد ثلاثين سنة من ملكه وأنه أتاه بكتاب الذي

= ٢ — قصة هفتخوان .

٣ — قصة إسفنديار ورستم .

٤ — رستم وشغاذ .

وفي القسم الأول العناوانات الآتية . وما بين القوسين محذوف في الترجمة :

- (١) الفردوسي يرى الدقيق في المنام . (٢) لهراسب يذهب إلى بلخ وكشتاسب يجلس على العرش . (٣) ظهور زردشت وقبول كشتاسب دينة . (٤) كشتاسب يمنع الإناوة عن أرجاسب . (٥) رسالة أرجاسب إلى كشتاسب . (٦) أرجاسب يرسل رسولا إلى كشتاسب . (٧) زري بريحب أرجاسب . (٨) الرسول يعود برسالة كشتاسب . (٩) كشتاسب يجمع جيوشه . (١٠) جهاد سب يتكهن بعقبى الموقعة . (١١) كشتاسب وأرجاسب يصفان الجيوش . [(١٢) بدء القتال بين الإيرانيين والتورانيين وقتل أردشير وشيرويه وشيدسب . (١٣) قتل كرام بن جاماسب ، ونيوزار . (١٤) بيدرفش يقتل زريز أخا كشتاسب . (١٥) إسفنديار يسمع بقتل زريز . (١٦) إسفنديار يسير لحرب أرجاسب . (١٧) فسطور وإسفنديار يقتلان بيدرفش] . (١٨) أرجاسب يهرب من الموقعة . (١٩) تأمين إسفنديار الترك . (٢٠) رجوع كشتاسب إلى بلخ . (٢١) كشتاسب =

(١) كو : وأعطاه الخناز والأموال ومكة من جميع أسباب السلطة سوى التاج والتخت فانه قال : لم يأن لك هذا بعد . وأمره بأن يجر المساكين ويعد في جميع أطراف الممالك ويلزم الناس بالدين بدينة . صار إسفنديار الخ .

(٢) كو : بحر الظلمة .

ادعاه أنه أوحى إليه فقبله فكتب في جلد اثني عشر ألف بقرة حفرا في الجلود ونقشا بالذهب ، وصيره كشتاسب في موضع من اصطخر يقال له زربيشته (١) ووكّل به الهرايزنة ومنع من تعليمه العامة . وحكى أبو جعفر أيضا في موضع آخر أن كشتاسب وأباه هراسب كانا على دين الصابئين حتى أنهما زردشت بما أنهما - عاد بنا الكلام ، قال الدقيق : فطاف إسفنديار في أطراف العالم حتى استوى له جميع الممالك ، وأطاعه جميع الملوك . فرجع إلى مكانه وقعد فيه واختار الراحة ودعا أخاه المسمى فرشيد ورد ، وأعطاه بلاد خراسان وعقد له عليها ونفذه إليها .

ذكر قبض كشتاسب على ولده إسفنديار وحبسه إياه

قال : وكان في خدمة كشتاسب رجل يسمى كرزَم (ب) ، باقة من البواقع من نَجْدته الحروب وحنكته الخطوب . وكانت بينه وبين إسفنديار عداوة قديمة . وكان كلما ذكر إسفنديار أطلق فيه لسانه ، وقبح صورته وذكر مساوئه . فاتفق أنه كان ذات يوم جالسا عند كشتاسب بغيرى حديث إسفنديار فقال : إن الولد عدو فلا ينبغي أن يرفع قدره ويفخّم أمره . فإنه لا يؤمن شره عند ذلك . والأمّرش (٢) إذا جاوز الحد فينبى أن يقطع رأسه حتى يؤمن معرته . ولما سمع كشتاسب ذلك خلا به واستنطقه . فقال : إن حقوق نعمة الملك على كثيرة . ولم أستجز معها أن أخفى عنه سرا أعلمه . ثم قال له : أعلم أيها الملك أن إسفنديار بهم بك ، ويريد أن يقبض عليك ويستبد بالسلطنة والتاج والتخت . وقد اجتمعت عليه العساكر . وهو من تعرفه ولا يخفى عليك بأسه وبطشه . وقد

= يبعث إسفنديار إلى الأقاليم كلها فيقبل الناس دين الخير منه . (٢٢) كرزَم يسعى بإسفنديار . (٢٣) ذهب جاماسب إلى إسفنديار . (٢٤) كشتاسب يسجن إسفنديار . (٢٥) كشتاسب يذهب إلى سيستان وأرجاسب يعني جيوشه كره أخرى . [(٢٦) الفردوسي يمدح السلطان محمود وينقد الدقيق] . (٢٧) هجوم أرجاسب على بلخ وقتل هراسب . (٢٨) كشتاسب يسمع بمقتل هراسب ويقود الجيش إلى بلخ . (٢٩) كشتاسب ينهزم أمام أرجاسب . (٣٠) جاماسب يبعث إلى إسفنديار . (٣١) [إسفنديار يرى أخاه فرشيدور] . (٣٢) إسفنديار يأتي إلى الجبل حيث يسكن كشتاسب . (٣٣) كشتاسب يرسل إسفنديار مرة أخرى لحرب أرجاسب .

(١) كذا في النسخ كلها . وأخطأ دزبشت . أي حصن الكعب . — انظر أوراق أسبوية ص ١٥٢ وما بعدها .

(ب) هو في الفردي : كرم .

(١) كره : ولا يفهم . (٢) صل : والأمّرش . كره : ط : والأمّرش . كره : والبردوس . الشا : العبد .

أدبت اليك ماسمت وتحققت . والآن أنت أعلم وبالرأى والتدبير أبصر . فأخذ كلامه بقلب الملك ، واهتم من أجله ، وترك الطعام والشراب ، وأرق ليلته يفكر في أمر إسفنديار .

ولما أصبح استدعى جاماسب وأمره أن يركب الى غنم اسفنديار ، ويذكر أنه قد عرض حاجة يحتاج فيها الى حضوره ، وأن ينصرف في الحال معه من غير مكث ولبث . وكتب اليه مع جاماسب كتابا في هذا المعنى يستعجله فيه ويأمره بأن يحضر في الحال ولا يمكث طرفة عين . لحمل جاماسب الكلب الى إسفنديار . وكان في تلك الساعة في متصيد له ، ومعه أولاده الأربعة . وهم بهمن ، وآذرافروز ، ونوشادز ، ومهرنوش . فسمع صوت هانف يقول : إن كشتاسب قد أرسل جاماسب . فلما سمع ذلك تعجب ضاحكا . فسأله بهمن عن صحبه فقال له : اعلم يا بني أن الساعة يأتي رسول من عند الملك . وقد أفسدوا قلبه علي ، وغيروا رأيه في . فبينما هو مع ولده في هذا الحديث إذ طلع جاماسب فاستقبله إسفنديار . فقتل وتاوله الكلب ، وذكر أن الشيطان قد أضل أباه . وأعلمه بالحال فقال له إسفنديار : فما ترى أيها العالم ؟ فقال له فيما قال : لا بد من امتثال أمر أبيك والحضور بين يديه . فانه هو الملك وأمره المطاع . فلم يحضره الى ولده بهمن ، وأقامه مقام نفسه . فلما علم الملك بوصوله جلس على التخت معتصبا بالتاج ، وأحضر الأمراء والقواد ، وأمر الموازنة بالحضور . وجاءوا وجلسوا على الكراسي في مراتبهم . وجاءوا بكنابهم ووضعوه بين يدي الملك . فدخل إسفنديار وخدم ومجد ثم مشى بين يدي أبيه . فقال الملك للأمراء والعلماء والموازنة والإصبيذية : ماذا تقولون في حق رجل يرى ولده فيحسن تربيته ، ولا يزال يعنى به حتى يعلمه جميع الآداب ، ثم يمل أمره ويرفع قدره حتى يجعل اليه أمور العباد والبلاد ، ويفوض اليه جميع الممالك ، ويرضى هو من سلطانه بتأج ، ويقعد هو في صورة حافظ رجل . ثم لا يقنع الولد ذلك حتى يهيم بقتله ويسعى في التدبير عليه . فما قولكم في حق هذا الولد ؟ وما الذي يستحق أن يجازيه به الأب ؟ فقالوا أيها الملك ! أى شيء أشنع وأقطع من طلب الابن مكان الأب وهو بعد في مهلة الحياة ؟ فقال : هذا هو ذلك الولد . ولكني سأعاقبه عقوبة يستبرجها أهل المملكة ، وأقيد به لم يقيد به أحد . فقال إسفنديار : أيها الملك ! ما عندى من هذا خبر ، ولا هممت به . ولو فعلت ذلك لم أكن من أصل طاهر . ثم أنت السلطان ، وأمرك المطاع ، وحكمك النافذ . وأنا بين يديك فاعمل ما تشاء . فأمر الملك بإحضار الحدادين والقيود والأغلال والسلاسل . ف قيد

(١) ك : ذكره . (٢) ك ، كو ، ط : لا بد لك . (٣) كو ، ط : وركب مع جاماسب في عدة من

خوامه وتوجه الى حضرة أبيه . (٤) نو : بتاج ونخت . (٥) ك ، كو ، ط : ذلك منه .

وغل وسلسل. ثم أمر بجملة على الفيل وإتقانه الى قلعة شبدز. ورأيت في بعض الكتب أنها القلعة المعروفة بـ ^(١) كوه § — فحملوه اليها . وأقاموا في عهده أربع سوار من الحديد، وشدوه بالسلاسل الى تلك السوارى . ووكلوا به جماعة من الحرس . وركب كشتاسب وسار نحو زابلستان وأقام في ضيافة رستم ستين . وأما بهمن بن إسفنديار فإنه لما علم أن جدته حبس أباه ترك المعسكر، وركب ^(٢) في إخوته الثلاثة، وساروا نحو أبيهم إسفنديار، ولازموه يؤنسونه ويخدمونه ويطلبون قلبه .

وانتهى الخبر الى أرجاسب ملك الصين بأن كشتاسب قبض على إسفنديار وحبسه ، وأنه ترك البلاد خالية وراءه، وسار الى زابلستان وأقام بها، وأنه ليس غير لهراسب في مدينة بلخ مع سبعة نفس من عبدة النار، وطاقمة من السدنة والحرس . فقال لأصحابه : انتهزوا في إدراك النار، واهتبلوا غرة الايرانيين فإن كشتاسب حبس إسفنديار، وسار الى زابلستان . ونفذ جاسوسا الى بلخ ليقف على حقيقة الأمر ويرجع اليه بصحة ذلك . فرجع اليه بصحة الأمر، وأعلم أرجاسب بذلك فهم أن يطير فرحا وسرورا، وأطلق من المم قلبا كان مأسورا . هذا آخر ما نظمته الدقيق .

ذكر مقتل لهراسب من كلام الفردوسي (١)

[لما ظفرت بهذا الكتاب ، عقلت يدي بالأسباب . نظرت فاذا النظم ضعيف ، واذا كثير من الأبيات سيخيف . وقد كتبتهما لكي يرى الملك ، ريك الكلام كيف سبك . وقد قدم الجوهري

§ الذي في الشاه : أهم حبسوه في قلعة كُنْدَان . وفي الأستاق ذكر جبل "سپتو — داته" وهو المذكور في الكتب الفهلوية باسم "سپندياد" أي جبل إسفنديار . وهو كما في بُندَهش قرب جبل ريوند ^(١) . وفي معجم البلدان أن ريوند من نواحي نيسابور . ويؤيد هذا ما في ورزغن جبل سپندياد أنه قرب جبال بار الى الشمال الغربي من نيسابور ^(٢) .

وأما كرد كوه، فهي، كما يقول ميرخزند، في روزبار . وهو، كما في معجم البلدان، اسم أمكنة كثيرة منها قصبة في بلاد الديلم . ويقول ورزغان كرد كوه قرب قزوین وأنها صارت بعد من قلاع حسن الصباح ^(٣) .

وفي الفرر : أن إسفنديار سجن في قلعة كَنْدَان ^(٤) . وأظنه تحريف كَنْدَان .

(١) حذف المترجم هذه المقطعة ترجمتها وأثبتها ها ليعرف رأى الفردوسي في الدقيق، ولما فيها عن الشاهنامه والطلال محمود.

(١) طا : كرده كوه . (٢) طا : مع إخوته . (٣) كو : انتهزوا القرعة .

(٤) أفتا، ج ٢ ص ٢٨٩ (١٦٥٥) ورز (Warner) ج ٥ ص ٣٠ (٧) الفرر : ص ٢٨٠

جوهري^(١)، واستمع الملك الى الكلامين . إن لم يكن غير هذا الكلام في وسعك ، فدعه ولا تشق على طبعك . ماعناء الأرواح والأجسام ، في حفر معدن ليس فيه إلا الرغام ؟ وإن لم يملك الطبع بالوزن المسبوك ، فلا تمدن يدك الى كتاب الملوك . إن كظم الفم على المسغبة ، خير من وضع مائة غير معجبة . رأيت كتابا يفيض بالسير ، ويتضمن الحقائق والعبر ، مثورا غنى عليه الزمان ، ولم ينشط لنظمه انسان . وما رأيت أحدا يتحدث بنظمه ، فطويت القلب الفرج على غمه . وإن تسأل عن عمره الزمان ، فقد كثر عليه من الأعوام ألفان .

قد أحسن القائل^(٢) المنطقي ، بما مهد لناظم الطريق . ان كان لم ينظم إلا سطورا قلائل ، واحدا من آلاف الوقائع^(٣) والمحافل فقد كان الدليل الخير ، الذى وضع الملك على السرير . وقد تلقاه الأكابر بالجاه والمال ، وجنى عليه ذم الخلال . ولقد كانت مداح الملوك ، يتوجه بذرّه السلوك . غير أنه كان واهى النظام ، فلم يجتهد به دارس الكلام .

وقد استشرت بهذا الكتاب فالأ ، وحملت أعباء أعواما طويلا . ولكنى لم أر أبيا معطاء على عرش الملوك وضاء . فنامت نفسى بالنعاء ، ولم يكن غير الصمت دواء .

بصرت بجنة غناء ، يتبوأها السعداء . ولم أجد الى داخلها سبيلا ، ولا رأيت سوى الملك فيها أكليلا . ولم يكن يد من سبيل على قدرها ، لا تضيق بنصرتها وروائها . فلبثت عشرين عاما أدنر الكلام ، وأقش عن الجدير بكتة التؤام ، أبى القاسم الملك الكريم ، الذى ازدان به تاج السلاطين ، ملك العالم محمود رب الأبهة والجود ، الذى يقابله القمر وكيوان بالسجود .

قد استوى على عرش العدالة ، فن ذا الذى رأى بين الملوك مثاله ؟ وقد توجت باسمه الكتاب ، وأضاء قلبى المظلم الجناح ، ما عرف العالم مثله عظيما ، مهيبا أدبيا جوادا عليا . فاق الملوك أجمعين وتزهت سيرته عن العائين . سواء عنده الدنيا والتراب ، مقدم فى الوقائع والمآدب لايهاب . فى الوقائع السيف وفى المآدب الذهب ، لا يرضن على طالبهما ولا يرهب^(٤) .

قال : فامر أرجاسب ابنه كههم بأن يتقدمه فى ألف فارس من نخب السكر ، ويركض الى بلخ ويقتل من يجد فيها من الموازنة والمرابذة ، ويحرق ما كان بها من دور كشتاسب وقصوره وإيواناته ، وأن يقتل إسفنديار إن كان هناك محبوبا . وذكر أنه لا يبطئ عن الحاق به ، ويطير بجناح الاستعجال

(١) معنى الدقيق الشاعر . (٢) يحتمل المعنى أن يكون المعنى : "أفأ من أنباء الوقائع والمخايل" أى ألف بيت .

(٣) ك : ويهض .

في أثره . فركب وسار في مثل عصفة الريح حتى خيم بصحراء بلخ . فضاقت الأرض على لهراسب بما رحبت ، والتجأ الى الله تعالى^(١) وفوض أمره اليه . وخرج وجمع من أهل السوق وأوباش البلد مقدار ألف رجل لايصلحون للحرب ، وليس خفتانه وركب ، وخرج ، مع ضعفه وشيخوخته ، إلى قتال كهرم ، وجعل يحمل عليهم يمينا وشمالا حتى نكأ فيهم نكابات عظيمة . فلما رأى كهرم ذلك أشار على أصحابه بأن يحرقوا به فاطفأوا^(٢) به ورشقوه بالسهم فأصابته منها عدة أسهم ، ونز من فرسه الى الأرض ، وبادروه بالسيف وقطعوه . وكانوا يحسبونه شابا فلما رمقوا المخفر عن رأسه وأوا كافور شبيه مغلقا بخلق دمه . فعرفه كهرم وقال : إنه لهراسب^(٣) ، وبعد أن قتل فقد انكسر ظهر ابنه . ثم دخلوا الى بلخ وقصدوا بيوت النار والقصور المرفوعة عليها فهدموها وأحرقوها بما فيها من كتب الزند . وكان في بيت النار المسمى نوش آذر ثمانون هريذا فقتلهم وأحرقوا دماءهم حتى أطفأوا بها نار زردشت التي كانت فيه (١)

وكانت لكشاسب امرأة عاقلة في بلخ . فلما رأت هجوم العسكر على المدينة أخرجت فرسا من مرابط خيول لهراسب ، وركبته وخرجت من وسط القوم ، ونجت بنفسها راكضة الى مجستان حتى وصلت الى كشاسب فأعلمته بهجوم عسكر الصين على مدينة بلخ ، وبأنهم قتلوا لهراسب وأحرقوا بيوت النار وقتلوا الهرايزدة وأطعموا التيران التي لم تكن تطفأ ، وأنهم سبوا بنتيه هُمساي وبه آفريد . فعظم ذلك على كشاسب وأخذ المقيم المقعد ، ورمى بالتاج عن رأسه وجعل يبكي على أبيه . واستحضر الأمراء والقواد ونفذ الكتب الى أطراف ممالكه ، واستدعى عساكره واستمجلهم . فاجتمع عليه جمع عظيم فسار بهم الى بلخ وباميان . ووصل من ذلك الجانب أرجاسب بعساكر كادت تملأ ما بين الخانقين . فصادفه كشاسب وجعل ولده فرشينورد على الميمنة وابن أخيه نستور على الميسرة ، ووقف في القلب . وأما أرجاسب فانه جعل كهرم على ميمنته وكُنُدر على ميسرته . فالتقى الجمعان وتلاطم البحران ، واتصلت الحرب بينهما ثلاثة أيام^(٤) . ووقفت الدبرة على الإيرانيين فقتل منهم خلق عظيم . وكان لكشاسب ثمانية وثلاثون ابنا فقتلوا عن آثرهم في تلك الوقعة . فاضطر كشاسب الى الانهزام فغنى عنه ورجع بمن معه من عساكره . وصادف في طريقه بعد يومين جبلا عظيما عليه عيون من الماء وليس اليه طريق إلا من موضع واحد فصعد اليه بعساكره ، وأعد طائفة

(١) في بعض نسخ الشاهنامة كلاما يحتمل أن زردشت قسه قتل في هذه النار . ويرى على هذا مولود ورتي ترجمتها . ولكن لا أجد كلام الشاهنامة في هذا .

- (١) ك ، كو ، طا : الله عز وجل . (٢) صل : طافوا . والصحيح من ك ، كو ، طا . (٣) ك ، كو ، طا : لهراسب أبو كشاسب . (٤) ك : ورمى التاج . (٥) ك ، كو ، طا : بلابن .

منهم على ذلك الطريق بعد أن حفروا دونهم حفرة . فجاء أرجاسب يحنوده وأحاطوا بهذا الجبل من جميع جوانبه ، وحاصروهم وضيقوا عليهم حتى فنت أقاتهم وكانوا يذبحون خيولهم ويزجون بلحومها أوقاتهم^(١) . فاستحضر كشتاسب جاماسب ، وقال له : أخبرني عن أسرار الفلك ، ودلني على من يكون معاضدي ومعاوني والآخذ بيدي حتى ننجي عنى هذه الغمة ، وتنكشف عن وجه سعادتي^(٢) الظلمة . فقال له جاماسب : إن كان الملك يصدقني ويقبل قولي فليعلم أنه لا يرزق الظفر على هذا المدو إلا بأن يطلق إسفنديار . فسر كشتاسب بذلك وقال : لقد ندمت في الساعة التي قيدوه فيها وسلسلوه ، على ما بدر مني في حق ، وإصغائي إلى قول حاسده الذي قد ذاق وبال أمره — يعني أنه قتل في تلك الوقعة — والآن من يقدر على المصير إليه ليطلقه من عبسه ؟ فقال جاماسب : أنا أتجود لذلك . فقال : افعل وبلغه مني السلام واعتذر إليه عما سبق ، وقل له يبادر ويتلافى هذه الدولة ويدفع عنها هذا المدو . وإلا زالت واضمحلت . ثم إني أشهد الله على نفسي وأشهدك أيها الحكيم العالم ! أنه إن فعل ذلك فوضت إليه الملك ، واعتزلت مترويا في بعض المتعبدات كما فعل لهراسب .

فلمس جاماسب قباء تركيا وتريا بزيم ، ونزل من الجبل ليلا ، وتوسط عسكر أرجاسب وانسل فيا بينهم ، وسار إلى القلعة التي كان فيها إسفنديار محبوسا . فلما وصل إليها دخل على إسفنديار وخدم وقبل الأرض ، وبلغه سلام أبيه وأدى إليه رسائله ، وأخبره بقتل لهراسب وإحراق بيوت النار وهدمها . وقتل الموابدة فيها وإطفاء النار الموقودة بها ، وسى أخته من مدينتها^(٣) . ثم أعلمه بما جرى على أبيه كشتاسب في الوقعة التي جرت بينه وبين أرجاسب ، وبمقتل إخوته الثمانية والثلاثين ، ثم انهمز كشتاسب وتحصنه بالجبل وإحداق عسكر المدو به وما هو فيه من الضيق والشدة . فامتنع من الخروج وقال : إنهم لم يذكروني في الرخاء والرفاهية فلا أذكركم في حالة البؤس . وحسب هذا القيد شاهدا عند الله عز وجل على ظلم كشتاسب لي . بغرت بينهما مفاوضات ومناظرات . ثم قال له^(٤) : أما ترق لأخيك فرشيدورد الذي لم يزل كان وقيد القلب من أجلك متأسفا على فراقك ، وقد مزقوه في هذه الوقعة كل ممزق ؟ فأثر فيه هذا القول وقال : هلا أعلمتني بهذا من قبل ! وغشي عليه . ثم لما أفاق بكى عليه ساعة . وأمر جاماسب بإحضار الحدادين ليفكوا عنه أغلاله وقبوده . فحضرُوا

(١) صل : أوقاتهم . والصحيح من ك ، كو ، طا . (٢) ك : هذه الظلمة . (٣) ك ، كو ، طا :

الموابدة والمرابطة . (٤) ك ، كو ، صل : مدينتها . والصحيح من طا . (٥) صل : يته وأرجاسب .

والصحيح من ك ، كو . (٦) كو : قال له جاماسب .

وطفقوا يريدونها بالمبارد . فضجر من ذلك وجاش فقطعها بيده ووثب كالسبع المخرج . ثم لما أصبح دخل الحمام وخرج ، واستحضر سلاحه وعقده وفرسه ، وركب مع ابنين له : أحدهما بهمن والآخر آذرافروز . وقدمهم جاماسب يدهم على الطريق . فلما أحضر نزل وسجد ودعا الله عز وجل ثم نذر أولاً أن يطلب بثأر هُراسب ولا يذكر شيئاً مما عامله به أبوه من الحبس والقيود وأن يراعى قلبه ، وأن يبنى مائة بيت ناري في البلاد ومائة خان في الصحارى المسبعة والطرق الخالية . ثم ركب وسار حتى وصل إلى معسكر الأتراك . فعبر عليهم بالليل حتى صعد إلى الجبل نحو أبيه ، بعد أن قتل من طلائعهم خلقاً كثيراً . فلما دخل عليه قبل الأرض بين يديه وسجد . فوثب أبوه إليه وعانقه واعتذر إليه عما سبق منه ، وأخذ يلين كُرْزَم الذي أفسد قلبه عليه . ثم قال : يا بني لا تذكر ما سلف ولا تتوان في الطلب بالنار . فإني قد ندرت لله عز وجل أني إن رزقت الظفر بهذا العدو فوضت إليك التاج والتخت ، واعتزلت في ناحية من الأرض ، وازويت متقطعا إلى الله عز وجل . فقال له إسفنديار : إن رضاك عني هو التاج والتخت ، وبذلك تم لي السعادة والبخت . وإن أسس بما فيه قد عبر ، والمضاي قد عفا ودثر . وبعد هذا إذا سللت سيفي وانحدرت من هذا الجبل لم أبق من رجال العدو أحداً ، ولم أترك من بلادهم عينا ولا أثراً .

وعلم الإيرانيون بوصول إسفنديار فأقبلوا بالليل إلى سرادق كُشتاسب ، ودخلوا عليه فامتثلوا لهيئته فرحاً وسروراً . وكأنهم كانوا أمواتاً فصادفوا بمقدمه نشوراً . فخرّضهم إسفنديار وحشهم على الصدق في القتال والتشمير للانتقام . فنشطوا للقاء بنيات صادقة وقلوب بإدراك الظفر واثقة . وباتوا طول ليلهم يعدّون ويستعدّون (١) .

قال : وانتهى الخبر إلى أرجاسب باتصال إسفنديار بأبيه ، واختراقه عسكره في جنح الليل ، ونكباته في طلائعه فعضم ذلك عليه حتى أظلم عليه النهار ، وخانه الصبر والقرار ، وعزم على الانصراف إلى بلاده ، والاكتفاء بما حصل له من الاسم في قتل هُراسب وكسر كُشتاسب . وصمم على ذلك حتى سلم جميع ما نهبه من بلخ وما حصل له من المغنم في تلك الوقعة إلى كُهرم حتى يتقدم به ويسير هو وراءه . فجاءه رجل من أمراء الصين وقوادها يسمى كُركسار فقال : أيها الملك ! كيف يجوز

(١) ما أشبه قدم إسفنديار على الإيرانيين وهم محصورون على الجبل بقدم رستم عليهم وهم محصورون على جبل هماون .

وفي هذه وأشباهها يحس القارئ أن القصة تريد أن تلحق إسفنديار بطول الدين برستم . انظر المتن ص ٢٢٢

(١) طا : ضاقه . (٢) ك : خبر . (٣) صل : صاروا . والتصحيح من ك : طا . (٤) ك : كور ،

طا : أظلم في فيه .

الانحياز عن قوم كسرناهم ونهبناهم ؟ فلا تحمل ذكرك بانصرافك عنهم . وإن كان قد دخل قلبك شيء من أجل حضور إسفنديار فأنا غدا بين الصفين قرنه ، وسأبارزه وأقتله . فلما سمع أرجاسب هذا منه عاد قلبه اليه وسكن جأشه ، وقال : إن فعلت ذلك فلك الحكم على بلاد توران الى بحر الصين ، وأجعل اليك قيادة السكار ، ولا أخرج من أمرك . ووعدته ومناه وحرصه ثم جمعه على عسكره . وابتوا ليلتهم تلك في تبينة واستعداد .

ولما طلعت الشمس نزل إسفنديار من الجبل بمساركة فوقف نسطور في الميمنة ، ووقف إصبهذ آخر في الميسرة ، ووقف كشتاسب في القلب ، وهتتم إسفنديار . وسوى أيضا أرجاسب صفوفه ورتب جنوده ؛ فوقف كهم في ميئته ، ووقف ملك جيكل المسمى قاما (١) في ميسرته . ولما رأى أرجاسب إسفنديار صعد الى رابية مشرفة ينظر منها الى المصاف ، وأمر ساربانته بأن يحضر جماعات كثيرة حتى إنه إذا أحس بتوجه غلبة على أصحابه ركبه في خواصه وأقاربه وجنّوا الخيل واستقبلوا بها طريق الصين . وأما إسفنديار فإنه برز الى ما بين الصفين كفيل هائج فجعل على القلب وقتل منهم في حملة واحدة ثلثمائة نفس ، ثم عدل نحو الميمنة فقتل منهم مائة وستين فارسا ، وفز كهم من بين يديه . ثم رجع الى الميسرة وقتل مائة وخمسة وستين فارسا . فلما رأى أرجاسب ذلك التفت الى كركسار وتقاضاه إنجاز ما وعده . فبرز من الصف وأخرج نشابا فصلها فولاذ ، وسددها نحو إسفنديار فوقعت من جوشته في موضع ثغرة صدره فتطامن على سرجه يريم أن النشاب قد خلصت اليه . فسل كركسار عند ذلك صمصامه وأسرع اليه يريد قتله . فاستوى في سرجه وتطامن ورماه بوقه أنشبه فيه ، وأسره ورماه على وجهه الى الأرض . ثم جره في التراب وسلمه الى بعض أصحابه ليحمله الى حضرة كشتاسب . وأوصى بالاجل بالقتل . ثم زحف بجميع عساكره الى العدو فهزمهم . وفز أرجاسب وخواصه وأمرأؤه على تلك الجنازات ، وتوجهوا نحو خلج . وترك جنوده بين أشدق المنون . فأمر إسفنديار أصحابه فوضعوا فيهم السيف حتى امتلأ ما هناك من الفضاء بأشلاء القتلى وجثثهم . فهرب من أمكنة الحرب ، واستأن الباقون الى إسفنديار ، وتضرعوا اليه وبكوا . فكف عنهم . وانصرف الى أبيه غريفا في دماء القتلى وقد لزقت يده على قائمة السيف . فصبوا عليها اللبن الحليب حتى خلصت من مقبض السيف . ثم خلعوا عنه خفاته وزعوا منه السهام التي أصابته . ثم اغتسل ولبس ثياب بنية وعمد هو وأبوه الى متعبد ، وأقاما فيه أسبوعا يشكران ربهما سبحانه وتعالى على ما أزل اليهما من تلك النعمة .

(١) ليس في نسخ الشاه والترجم التي بيدي نسخة هذا الملك .

(٢) صل : في جوشته . والتصحيح من ك ، كو ، طا . (٣) ك : فطامن اسفنديار يريم .

ثم خرج إسفنديار في اليوم الثامن وجاءوه بكر كسار فقال: أيها الملك! إن أبقيتني كنت لك عبدا ناصحا أرشدك الى مصالح الأمور، وأدلك على روتين دز التي هي دار ملك أرجاسب ومستقر تخته ومدفن دفائنه وذخائره. فأمر بأن يرد مقيدا الى محبسه. ورجع الى المعرك وأمر بتفريق ما حصل من الغنائم على عسكره. ثم رجع نحو أبيه فساله أن يقصد قصد أرجاسب ويدخل بلاد الترك ويطلب بثار إخوته ويخلص أخواته المسبيات من بلخ. ووعد بأنه اذا فعل ذلك يقلده الملك ويعتزل، كما سبق به الوعد. فامتثل إسفنديار أمره وأعدوا استعداد وحشد واحتشد، وسار قاصدا بلاد توران فكانت الحرب المعروفة بهفت خوان. وهذه قصتها نذكرها إن شاء الله تعالى:

ذكر وقائع هفتخوان^(١) وما يتعلق بها من فتح روتين دز، وقتل أرجاسب §

قال: فسار (١) إسفنديار من بلخ قاصدا قصد توران. فاتهى في مسيره الى مكان يتشعب منه طريقان فقتل عنده وأمر بمذ السباط. ثم قعد للشراب وأمر بإحضار كركسار الأسير. ولما حضر أمر قتابوا عليه أربعة أقذاح من الزاج ثم قال له: إن صدقتني عما أسألك عنه من أحوال ممالك توران وطرقها المقضية اليها آمنتك على نفسك وأصحابك وأولادك، واذا رزقت الظفر جذبت بضبعك، ورفضت من قدرك، وملكتك بلاد توران. وإن كذبتني لم يخف كذبك علي وقتلك ومثل بك. فقال: إنك لا تسمع مني غير الصحيح. فرفع جاما من الشراب فشربه على اسم كشتاسب

§ هفت خوان معناه « سبع موائد ». وأظن « خوان » محرف عن خان ومعناه المنزل. فهي إذا هفت خان، كما في الفرر، أى سبعة منازل. يحس القارئ أن هذه القصة قصة هفتخوان انما وضعت محاكاة لقصة رسم المسماة بهذا الاسم^(٢). فكلا البطاين يعدل عن الطريق البعيدة الى طريق قصيرة مملوءة بالخواف فيلق سبعة خطوب منها قتل سبع وستين وامرأة ساحرة. وكلاهما يشرب الخمر ويفنى على المزهر قبل أن يلقى الساحرة. وكلاهما يستدل أسرا يهديه الطريق وإن كان رسم يستدل الأسير بعد اجتياز العقبات السبع. ثم تخليص إسفنديار أخته من الأسر وقتله أرجاسب يقابل تخليص رسم كيكالوس وقتله سيدنديو. واحتيال إسفنديار لدخول حصن أرجاسب لا نظير له في قصة هفتخوان رسم ولكن يشبه ما فعله رسم في فتح الجبل الأبيض^(٣). وفي قصة بيژن وميژر =

(١) حذف المترجم آياتا في مدح السلطان محمود. - وهي مدح عام لا يسعده منه المؤرخ شيئا غير قول الشاعر أنه ينظم بتأييد السلطان محمود.

(١) فقط هفتخان. - (٢) المتن ص ١١٠. (٣) ص ٧٨ حاشية.

ثم أقبل عليه وقال : أعلمني الآن عن رويين يز ، وأخبرني في أى المواضع هى ، وأخبرني عن الطرق
المفضية إليها والسهل والوعر منها ، وعن كية أهلها وكيفية وضعها . فقال : إن من ها هنا
الى هذه القلعة طرقا ثلاثة : أحدها يقطع في ثلاثة أشهر وفيه المنازل العاصرة والبلاد الآهلة .
والثاني يقطع في شهرين وفيه مراعى معشبة ومياه عذبة ولكن ليس فيه عمارة ولا قرى . والثالث
يقطع في أسبوع . ولكن هذا الطريق مملوء بالذئباب والسباع والثعابين التى لا يخجو من معرفتها
أحد . ثم مع هذا في هذا الطريق امرأة ساحرة خطبا أعظم ونكايتها أفظع من الجميع . وهذا كله
مع ما فيه من مكاره البرية والمقنا والبرد والزمهرير . ثم يفضى الى القلعة وهى قلعة رأسها في عنان
السماء ، وأسفها في قعر الماء . وهى مملوءة بالعناد والمدة مخفية بواد عميق كثير الماء بحيث اذا أراد
أرجاسب الخروج منها لم يمكنه ذلك إلا على السفن . ثم إنه لو أقام فيها مائة سنة لم يحتج الى شىء
يحمل اليه من خارج . فان له فيها الزرع والثمار والأشجار . فلما سمع إسفنديار ذلك أطرق ساعة
ثم قال : لا طريق لنا سوى الطريق المختصر . فقال كركسار : إنه لم يسلك هذا الطريق قط
إلا من مل الحياة وسُم البقاء . فقال له إسفنديار : إن كنت معى فسترى العجائب . ثم قال له :
فإذا الذى نلقاه في هذا الطريق في اليوم الأول ؟ فقال يتصدى لك ذئبان ذكر وأثنى كأنهما فيلان

= ويظهر أن القاص يريد أن يفضل إسفنديار على رسم فهو يقتحم به أهوالا أفظع مما اقتحم رسم .
وقد يكون في قتل إسفنديار المتقاء ما يشعر بفرض القاص في تصوير البطالين عدوين متنافسين .
فأثر المتقاء على أسرة زال معروفة مما تقدم .^(٢٢)

وقد تقدم التنبيه إلى التشابه بين إتهاد إسفنديار أباه وجيشه محصورين على الجبل وإتهاد رسم
الإيرانيين على جبل هماون^(٢٣) .

وسرى القارئ بعد النقاء البطالين في الحرب وظفر رسم على قرنه بحيلة المتقاء .

وقد مهد الثعالي في الفرر لهذه القصة بقوله :

” هذه القصة الى متهاها من بقية قصة رسم مما لا يقبله العقل ولا يصدقها الراى ، ولكنى أوتر
ألا يخلو كتابى هذا منها مع شهرتها وتداول الناس إياها ، وبينهم اليها ، واستطابة الملوك عجائبها
واستكثارهم في الصحف والأبذية من تصاويرها ، ومع اتصالها بما تقدم من قصص الكتاب ، وحاجته
الى سياقها ” .

قوة وشكلا . ولما قرون كقرون الأوعال يكادان يتقضان بهما مباني الجبال . أضراسهما عظيمة وأكثافهما غليظة وأوساطهما دقيقة . ثم أمر بأن يذُكَّر كسار الى موضع الحبس في حر كاه نصبت له ثم اندفع في شربه مع ندمائه وأصحابه .

ولما أصبح من الغد ركب سالكا للطريق المذكور المسمى هفتخوان في جموعه وجنوده . ولما قرب من المنزل خلف وراءه العسكر وأمر أخواه يشوتن بأن يسير بهم وراءه على سكون وقوة . وتقدمهم وسار فاعترضه النشبان كأنهما غماتان . فأخذ القوس ورشقهما بالسهم حتى أنخضهما بالجراح ثم بادروهما فزعهما بالسيف كل ممزق . ثم ترجل وعمدا الى ماء هناك واغسل . ثم استقبل الشمس وجعل يتمرغ في التراب ويمرض عجزه على الله تعالى ويتضرع اليه ويشكره على ما من به عليه من كفاية معرة السبعين . ثم وصل يشوتن بالعساكر فرأى إسفنديار في الصلاة ففضى العجب مما شاهد . واجتمعت الأكابر والأمرء وأشوا ودعوا له . ثم نصبت الخليم وسنوا السباط فأمر إسفنديار باحضار كُركسار ، بجاء يسف في قيوده . فأمر فسقوه ثلاثة أقداح من الشراب الصرف . ثم سألهم وقال : مانا نرى غدا في المنزل ؟ فقال : يتعرض لك أسدان هصوران انا تقيظا وجاشا في الناب كادا يحرقان في الجوز منع العقاب . فقبس إسفنديار وقال : ستعلم غدا صنيع هذا الأسد بذلك الأسد .

ولما أن جنَّ الليل وأظلم أمر بالرحيل . فرحلوا وتقدمهم هو ، وترك العسكر مع أخيه كما فعل بالأمس . وسار الى أن ارتفع النهار فاعترضه في طريقه سبعان كأنهما ناران تلهبان^(١) . فبادر إسفنديار

= وقصة هفت خوان في الشاهنامة تتضمن العناوين الآتية :

- (١) مدح السلطان محمود . (٢) المنزل الأول : إسفنديار يقتل ذئبين . (٣) المنزل الثاني : إسفنديار يقتل أسدين . (٤) المنزل الثالث : إسفنديار يقتل ثعبان . (٥) المنزل الرابع : يقتل ساحرة . (٦) المنزل الخامس : يقتل العقاء . (٧) المنزل السادس : يختار التلج . (٨) المنزل السابع : يسبر النهر ويقتل كُركسار . (٩) يذهب الى رومين دژ (القلعة النحاسية) في زى تاجر . (١٠) أخنأ إسفنديار يعرفانه . (١١) يشوتن يحجم على رومين دژ . (١٢) إسفنديار يقتل أرجاسپ . (١٣) إسفنديار يقتل كُهرم . (١٤) إسفنديار يكتب الى كشتاسب فيجيبه . (١٥) إسفنديار يرجع الى كُشتاسب .

(١) كلمة «تلهبان» من له، ط، كو .

أحدهما بالسيف فشق من مفرق رأسه الى زوره بنصفين . وارتاع^(١) الآخر لذلك وصال عليه فتلقاه بالسيف وألحقه بصاحبه . وعدل ونزل وطفق يدعو الله تعالى ويشكره . فطعنه أخوه وتلاحق الأمراء والقواد فقتلوا ونصبوا النخيم . وقعد إسفنديار واستحضر الأسير وعامله معاملته بالأمس . فلما طابت نفسه قال له : أيها الشقي ! ماذا تلقى غدا في المنزل الذي بين أيدينا ؟ فقال ما أدري كيف يكون حالك غدا ؟ إن أمامك شعبان يستخرج بنفسه الحوت من البحر ، ويستزل العقاب من الجوّ . عيناه كالنار المشتعلة ، وكأن بين فكيه حفرة من حفر المحجم ، وكأن مابين منكيه ركن جبل عظيم . ولو قبلت مني أيها الشهريار لرجعت عن هذا الطريق ، ولم تلق بيديك الى التهلكة . فقال له ياسيئ الظن ! ساجرك بهذه الحالة حتى ترى العجب وتعلم أن هذا الشعبان لا ينجو من سيفي . فأمر التجارين فعملوا له عجلة وركبوا في أطرافها فصولا ممتدة . ثم أمر فعملوا له صندوقا كبيرا ، وسروه على العجلة ، وربطت على فرسين قويين . وقعد في الصندوق وساق الفرسين لينظر كيف مشيهما بها . فخرأها وجريا بها كالرعد والبرق .

ولما كان الند دقت الكوسات وارتحلوا . فبغل عليهم أخاه وتزكهم وراءه ، وتقدم بالعجلة والصندوق . فلما سمع الشعبان جمجمتها انخط من رأس الجبل متحدرا . فتوارى إسفنديار في الصندوق . فلما أمهل ففرأه وابتلع الفرسين مع الصندوق والعجلة . فنشبت النصول المركبة فيها في حنكه وفكه فبقى لا يستطيع ابتلاعها ولا قذفها . ففرغر وأفرغ من فمه السم بمحرا أخضر . فأنسل إسفنديار من الصندوق بيده السيف مسلولا فعلا دماغه بالسيف حتى شققه ، وسطع من نار سمه دخان في الهواء فهلك . ونح إسفنديار صعبا من روائح السم . فوصل بعد ساعة أخوه وأصحابه فرأوه مغشيا عليه . ثم أفاق وقام كأنه وستان أو سكران فخلع خفتانه لما أصابه من السم ، ولبس ثوبا آخر . وطفق يتبتل إلى الله تعالى ويدعوه ويشكره على السلامة والظفر . ثم خيموا على حافة نهر هناك . واستحضر كركار وسأله عما يراه من غده في المنزل الذي بين يديه . فقال : اذا نزلت غدا تأتيك امرأة ساحرة تريك البر بمحرا والبحر برا . وقد رأت عساك كثيرة فما بالت بها ولا أفكرت فيها . فقال إسفنديار : سأقتلها غدا وأقصم بقتلها ظهور السحرة أجمعين .

ثم لما كان الند سار وخلف أخاه على العسكر . واستصحب مزهرا وظرف شراب وقدهح ذهب ، وسار حتى وصل إلى أرض شجرها فيها عيون جارية وأزهار زاهرة ، وحدائق بأحدق

الزرجس ناظرة . فاستظل بظل شجرة ، وملأ جامه من الشراب وحطه بين يديه ، وأخذ المزهر
بجس أوتاره وغنى بما يقرب معناه من قول مترجم الكتاب :

يا طيب لتتسا بالأمس في نعم بين المدام وبين الناي والمود
في حجر سحابة^(١) الألحاظ فاتنة كلام من غصون البان أملود
يا ليتها حضرتني اليوم تطربني نفسى الفداء لها من غادة رود

فلما سمعت الساحرة صوته استبشرت وفرحت وقالت : قد ظفرت بصيد . ثم تصورت
في صورة حورية بيضاء ذات مقلة كحلاء وقامة ميلاء ، وجمرت وحضرت لديه . فظهر الفرج بها
وسقاها قدحا من ذلك الشراب . وكان معه سلسلة يزعم أن زردشت أتى بها أباه من الجنة . فالتقاها
على الساحرة وخفقها بها . فاستحالت في الحال في صورة سبع عظيم . فقال لها إسفنديار : لا تنفك
الآن معي حيلة ، ولا أهالك ولو صرت جبلا . فظهرت في صورتك التي أنت عليها . فنبذت عجوزا
شوهاء شطاء ، متقلصة المشافر ، غوليّة المعارى والمحاسر . فعلاها بالسيف وطير رأسها . فوصل
بشوتن وأصحابه وخيموا في تلك الفيضة . وأمر إسفنديار باحضار الأسير فسقوه ثلاثة أقداح من
الشراب الخسروانى . ولما طابت نفسه قال له إسفنديار : انظر أيها الشقى ! إلى رأس السارية
معلقا على تلك الشجرة ، وأخبرنى عن المنزل الآخر وما يعترضنا فيه . فقال : إن الأمر فيه أصعب
وأعظم . فكن فيه أيقظ وأحزم . إن أمامك غدا جبلا شاهقا عليه طائر يعرف بالعنقاء . وكأنه جبل
يمز في الهواء (١) . ولو رأيت في الأرض فيلا تدلت عليه واختطفته بمخلبها ومزقته بمنسرها . ولما
فرخان متشابهان سيفان اذا أسفت ، ويحلقان اذا حلقن . والأولى بك أن ترجع ولا تتعرض لشرها .
فقال إسفنديار : سأخيط جناحها بالنشاب ، وأقطع رأسها بالسيف .

ثم لما أن رأى الليل قد اعتكر ارتحل بالأسير وسار طول الليل حتى طلعت الشمس وارتفعت
وصارت كجاج على قمة الجبل . غلف العسكر وراءه واستصحب العجلة والصندوق^(٢) . فرأى العنقاء
فاقنضت عليها كأنها سحابة سوداء تقطى عين الشمس وتحجب ضوءها . فوقع على العجلة لتنشب
فيها مخالبها وتحلق بها ، على عاداتها في الصيد . فدخلت تلك النصول في أجنتها ورجليها . فضمعت
فوها وسقطت الى الأرض تضطرب . وانسل إسفنديار من الصندوق ووضع فيها السيف ومزقها .

(١) عبارة الشاه : كأنه جبل طائر .

(٢) لك : ساحة الأملاط . (٣) كوكب : والصندوق على الهيئة المذكورة السابقة . وسار ضايف جبلا رأسه في أعنان

البها . فوقف في سفحه بالقرس والعجلة والصندوق فرأى العنقاء الخ .

ثم سجد شكراً لله تعالى . فوصل أخوه بالسر وأصحابه وأولاده فخموا وبسطوا فرش الديباج وبسط
الحرير . وجلس إسفنديار واستحضر أسيره بجاء مصفر اللون لما رأى من نكيات إسفنديار في تلك
السباع . فقال له إسفنديار : أخبرني أيها الخليل ! عما نرى في المنزل الآخر . فقال : غذا تقع
في خطب لا ينجيك منه سيف ولا سنان ؛ يطر عليك من الثلج ما يغمر الرمح فتبقى مع هذا المجفل
الجوار تحت الثلج عاجزين . ويهب هواء بارد شديد يكاد يمزق بزهره لحاء الشجر ، ويخمد النار
في قلب الحجر . ومع ذلك فليس بعجب من سعادتك أن تسلم^(١) منه كما سلمت من غيره . ثم إنك تفضي
بعد ذلك الى برية في نحو ثلاثين فرسخا تلهب من حر الشمس ، رملها مائرا يذب فيها غلة ولا يدرج
فيها طائر ، ولا توجد فيها قطرة ماء ولا طاقة حشيش . فاذا قطعت وراء هذه الأرض أربعين فرسخا
تجئذ تبدولك القلعة . ووصفها بمعنى قول أبي فراس (١) حيث يقول :

لنا جبل يحمله من نجيره منبع يرد الطرف وهو كليل
رما أصله تحت الترى وسما به الى النجم فرع لا ينال طويل

فضج الايرانيون حين سمعوا ذلك وقالوا : أيها الملك ! لا تدر حول البلاء ما استطعت .
وكلام كركسار إن صح فعن لم نأت هذا الموضع إلا للاستسلام للهلاك والموت . والرأى أن نعدل
من هذا الطريق الى طريق آخر . فغضب إسفنديار وقال : إن كنتم قد ستمت وملتم فارجعوا
وراءكم فاني لا أحتاج اليكم في هذا الأمر . ويكفيني أخى وولدى عونى في هذا الخطب . فلما رأوا
غيره اعتذروا اليه وقالوا : نحن عبيدك ونصحاؤك ، وأرواحنا ونفوسنا فداؤك . وما قلنا ما قلناه
إلا طلبا لسلامتك وجريا على مقتضى النصيحة لك . فقبل معذرتهم .

ثم لما تبليج الصبح ارتحلوا وساروا الى آخر النهار . فزل في منزل هواؤه كهواء الربيع صافى
الجو مصحى السماء فصبوا فيها الخيم ونزلوا . فبيناهم كذلك اذ أظلم الجو واشتدت الريح ونشأت
سحابة أبرقت وأرعدت وأطبقت عليهم ثلاثة أيام بليالين تيسل عليهم الثلج هिला حتى امتلأت
الأودية . فصاح إسفنديار بأخيه يشوتن وقال : قد اشتد علينا الأمر وليس ينفعنا الآن رجولية
ولا قوة . والرأى أن نلجأ الى من لا ملجأ منه إلا اليه . فإنه الكاشف للضر والقادر عليه . فاجتمعوا
ورفعوا أيديهم وتضرعوا الى الله تعالى مبتلين ودعوه دعوة الصادقين . فسكن الهواء وانجلت السماء .
فأقاموا هنالك ثلاثة أيام .

(١) الأبيات للسومل . وفي حاشية الأمل ، ك : ط : الأبيات للسومل وهي من أشعار الحماسة .

(١) ك : أن تحجروه وتسلم كما . (٢) ك : طاء ، فزلوا .

ولما طلعت الشمس من اليوم الرابع أمر بجمل الأزواد والاستظهار بالطعام والشراب . وارتحل بهم وسار الى أن عبر نصف الليل فسمع صوت الكركى فاستدعى الأسير وقال : أما قلت أنه لا ماء في هذه البرية؟ فقال : ها هنا ماء ملح وبعده ماء آخر زقاق تشربه الوحوش^(١) . فساروا وتقدم إسفنديار وسار فأفضى الى بحر لا قعر له ولا ساحل . فتقدم الساريان بالجمل الذي كان يقدم القطار وخاض الماء لعبرفرق الجمل . فأدركه إسفنديار فأخذ بأخذه واجتره واستخرجه . فوقف ووقف الجميع فاستحضر كركسار وسأله عن الخاض ، وأمره بأن يتقدم في العبور . فقال : كيف يمكنني ذلك مع ما في رجل من أمثال الحديد؟ فأمر برفع قيوده عنه . فأخذ بزمام الجمل وخاض الماء وعبر ، وتبعه العسكر حتى حصلوا من ذلك الجانب فغيموا ونزلوا للطعام والشراب . فأحضر كركسار وقال : اذا أخذت مدينة أرجاسب فقتلته وقتلت أولاده وسبيت ذراريه ونساءه كيف يقع ذلك منك ؟ أيسرك أم يسؤوك ؟ فضاق صدره وسفه على إسفنديار وشبهه . فعلاه بالسيف وقتله ورماه الى البحر . فركب وحده . وكان بينه وبين المدينة عشرة فراسخ . وسار وصعد الى بعض الجبال فرأى القلعة فاستعظم أمرها واستعصل داءها فأطرق مليا يقرع سن الندم على تقححه في تلك المهالك الصعبة ، وتورطه في تلك المسالك الوعرة ، حين رأى حصانة حصارها ، ووثاقة أسوارها ، وكثرة رجالها ، وفسحة مجالها . فنظر فرأى تركين معها كلاب للصيد في سقع ذلك الجبل . فانحط عليهما وأسرهما ، وجاء بهما الى مخيمه واستخبرهما عن أحوال القلعة والطرق المفضية اليها وعدد من فيها من المقاتلة . فأخبراه عن أرجاسب وجميع أحواله ، وذكر له أن فيها ثلاثين ألف فارس ، وأن فيها من الذخائر ما لا ينفد في عشرين سنة ، وفيها الجيوب مدخرة في سنابلها . فضاق إسفنديار ذرعا بما سمع منهما فقتلها . ثم خلا بأخيه وقال له : إن هذه المدينة لا تنفتح بالمحاصرة والمقاتلة . ولا بد في ذلك من أعمال الحيلة ، والاتجاه الى المكر والحديسة . فكن متيقظا ، وفزق طلائعك ، وأقصد على بعض المراسد ديدباناً . فإذا أخبرك بأنه رأى بالنهار دخاناً متراكماً ، وبالليل نارا عالية على القلعة دأبم أن ذلك من صنعني فأركب وأقبل الى القلعة بخيلك ورجلك . ثم استدعى الساريان وأمر بإحضار مائة راحلة فأوفر عشرة منها بالذهب ، وخمسة بالجواهر ، وخمسة بالثياب . وأحضر مائة وستين صندوقاً ، وأقصد (١) في كل صندوق رجلاً موسوما بالشجاعة والجرأة من ر-اله بحدده وسلاحه . وحملها على ثمانين راحلة . ثم غير زيه ، وجعل على الجبال عشرين رجلاً من شجعان أصحابه وأقامهم مقام الجمالين ، وتربوا بزيمهم . ثم ذهب بهم الى القلعة . فلما قرب منها استقبله الناس وأهل الأسواق ،

(١) يشبه هذا ما فعله نصير ليقيم من الزبائن ملكة الجزيرة الخ .

(١) ك ، ط ، الوحوش والسياح .

(١١٦)

واشتهروا بمقدمهم ، وحسبهم غير تجارة ، وسألوهم عما معه من الأقمشة والأمتعة . فقال : لست أخبركم بشيء ما لم أدخل على الملك وأخبره بحالي . فحينئذ أعاملكم وأبابعكم . فخط الحمول تحت القلعة ، وأخذ طاسا مملوفا من اللؤلؤ الشاهي وفرسا وعشرة أثواب ديباج ، وصعد . فأدخل على الملك فقدم وقدم تلك التحف وقال : أيها الملك ! إني رجل تاجر . وكان أبي مملوكا تركيا ، وأمي من الأحرار (١) وقد صهتني أحمال من كل نوع من الجواهر والمفارش والملابس . وقد قصصلت بابل حتى أبيع وأبتاع بيمالك وتحت ظلك . وقد تركت الأحمال تحت القلعة . (وأتوقع من الملك أن يأذن في إصعادها الى هذه القلعة^(١)) . فقال : اشرح صدرك وطب نفسا . وأمر بأن يعطى دارا في القلعة ودكانا أمام الدار حتى يتزل فيها ويبيع ويشترى كما يريد ويستهي . بغاء الجمالون وحملوا الصناديق والأحمال وصعدوا بها الى القلعة . فقال واحد وقال لبعض الجمالين : أي شيء في هذه الصناديق ؟ فقال له الجمال : ما ندرى غير أننا قد حملنا أرواحنا على أكافنا . « وحط أحماله في تلك الدار .

قال : فحمل إسفنديار نخوتا من ثياب الوشي ، ودخل على أرجاسب وقال : إن مع العبد أشياء تصلح لخزانة من الأطواق والمناطق والأسورة والقلائد وغيرها . فليحضر الوكيل ولباخذ ما يريد . وقدم الثياب بين يديه فأكرمه الملك وأحسن إليه وأمر المجاب ألا يمتنعه من الدخول عليه مهما أراد . ثم استخبره عن اسمه فقال : اسمي نرّاد . فسايله عن أحوال إيران وإسفنديار فقال : فارقت تلك البلاد من خمسة أشهر وكل من الناس يتحدث على حسب هواه ؛ فطائفة يقولون : إنه وقع بين إسفنديار وبين أبيه . وجماعة يقولون : إن إسفنديار يسلك طريق هفتخوان . فضحك أرجاسب وقال : إن السور لا تستطيع أن تطير في هراء هفتخوان . واستبعد ذلك . ثم إن إسفنديار قام وخرج وفتح الدكان ، واجتمع عليه أهل المدينة ، ونفقت سوقه وطفق يبيع ويشترى الى آخر النهار . فلما خلا وجهه رأى أخته حافيتين حامرتين على كتف كل واحدة منهما جرة وهما خارجتان لنقل الماء . فوقتا على دكان إسفنديار فغطى وجهه عنهما بطرف كبه . فقالت إحداهما : أيها الساربان ! من أين أقبلت ؟ وما الذي عندك من خبر إسفنديار وكشتاسب ؟ فإن كان عندك خبر فأخبرنا به . فأنما من بنات الملك كشتاسب ، وقد وقعا في الأسر ، وحلنا الى هذه القلعة . ونحن كما ترى تحت المهانة والذلة نبتذل في الخدمة على رهوس الاشهاد . وبيا طوبى لمن مات فواراه التراب — قلت وهذه حالة عبرت عنها ابنة النعمان بن المنذر حيث قالت :

(١) في الشاه : « أبي ترك وأمى من الأحرار » فالمراد بالأحرار هنا القروس .

(١) ما بين القرويين من ك ، ط .

بيننا نسوم الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة تنصف
فأف لدينا لا يدوم نعيمها تقلب تارات بنا وتصرف

قال : فصاح عليهما إسفنديار، وطردهما . فعرفته إحداهما بصوته، وهي هُماي، لكنها سترت
وكتمت طلبا للستر عليه . وجعلت تبكي وتذرف الدموع . فلم إسفنديار بأنها قد عرفته فنجى
طرف الكم عن وجهه وبكى ساعة . ثم قال لهما : اصبرا على ما تقاسيانه من الشدة والبلاء أياما أخر .
وصرفهما من عنده . ثم أغلق دكانه وجاء باب أرجاسب فدخل وقال : أيها الملك ! إنا لما توسطنا
البحر في متوجها الى هاهنا عصف علينا الهواء، وهاج علينا البحر وأشرقتا على الموت . فنذرت أني
إن سلمت عملت دعوة عظيمة . وأرجو أن يشرف الملك عبده ، ويحضر مع الأمراء والخواص .
فأجابه الملك الى ملتصقه، وقال لأكابر أمرائه وأصحابه : احضروا غدا عند نُراد . فقال أيها الملك !
إن منزلي يضيق . فأصعدُ السور وأوقد النار، على ما يقتضي حال هذا الشهر (١) المبارك، وأفرج
الأمراء والحاضرين بالمنادمة على الشراب . فقال : الأمر اليك فأقبل ما اشتيت . فوثب ممرورا
وأتى منزله وأمر بإصعاد الأحطاب الى السور . فرقوا اليه حطباً كثيرا . وذبح خيلا وغنا وأوقد النار
حتى ارتفع الدخان واستوى الطعام . فحضر الملك والأمراء فطعموا وجلسوا للشراب . ولما جن
الليل وعملوا انصرفوا فأشعل إسفنديار بقية الأحطاب، واستنار الجوّ بضوء النار . وحين رأى الديدبان
الموكل من جهة أصحاب إسفنديار ارتفاع الدخان بالنهار، واستضاءة النار بالليل سعى الى بشوتن
أنحى إسفنديار، وأخبره بالحال . فأمر ببق الكوس^(٢) إشعارا بالرحيل . فساروا يسوقون نحو القلعة .
فأعلم أرجاسب بأن عسكرا عظيما قد قدم من إيران . فتأدى في المدينة بالنفير . فركب كُهرم بن
أرجاسب في المقاتلة وخرج بهم . فصافوا الإيرانيين فرأى كُهرم بشوتن أخا إسفنديار في القلب فحسبه
إسفنديار . فالتقت الفئتان فقتل نوشاذر بن إسفنديار طرخان أحد أمراء أرجاسب أو أولاده (ب)
فانهزم كُهرم موليا الى القلعة، وأخبر أباه بمكان إسفنديار وكونه صاحب الجيش القادم . ووصف له
شكله وهيئته وعدته . فاهتم لذلك ، وأمر جميع العسكر بالخروج من القلعة وبصدق القتال وبذل
الوسع في الدفاع . فخرجوا عن آخرهم حتى خلت القلعة من المقاتلة .

(١) في النشاء : أنه شهر تير . وهو الشهر الرابع من السنة الفارسية القديمة وهو يوافق شهر يونيو ويوليو .

(ب) هذه العبارة : « أحد أمراء أرجاسب أو أولاده » ليست في النشاء .

(١) ك : فأشرفنا . (٢) ك ، ط : المبارك (لا) . (٣) ك : فاستضاء .

(٤) ك : الكوسات .

فلما دخل الليل وأظلم الحق أخرج إسفنديار رجاله من الصناديق، وأطعمهم وسقامهم ثم قال لهم : إن هذه الليلة ليلة فشمروا عن ساق الحدّ وحصلوا لأنفسكم ذكرا يبقى أبد الدهر . وقسمهم ثلاثة أقسام : فوكل البعض بياب القلعة، ورتب البعض في وسطها، وهم بالباقيين على باب أرجاسب (١) ووضع السيف في الحرس ومن كان على الباب . فلما أحس أرجاسب بذلك قام وهو سكران (ب) ولبس سلاحه، وقام في وجه إسفنديار، وتضاربا وتصادما فأصابا أرجاسب جراحات أثخنته فسقط وقتل . وارتفع الصراخ عليه من قصره . ثم وكل إسفنديار بداره وحرمة بعض خدمه . وعُدل إلى مرابط خيله وأخرج خيولا عربية فركبها . وترك في القلعة جماعة يحفظون بابها . وأمرهم أن يرفعوا في آخر الليل أصواتهم وينادوا بشعار إسفنديار . ثم خرج من القلعة إلى عسكره وأصحابه وهم نزول بقرب القلعة . وسمع كههم أصوات الايرانيين ولغظهم من القلعة فاهتم وأحضر أخاه أندريمان، وتفاوضا في موجب تلك الأصوات (٢) . فلما رأوا الصباح في الازدياد انصرفوا راجعين نحو القلعة ليخرجوا المدوّ عن وسط دارهم في الأوّل . فلما وصلوا إلى باب القلعة لحقهم إسفنديار بجنوده ورمى بعض من كان من أصحابه في القلعة برأس أرجاسب من أعلاها . فانكسرت قلوبهم، واتقصمت ظهورهم، واستسلموا للموت ، وصلوا نار الحرب حتى امتلأت الأرض بيجث القتلى وأشلأتهم وسالت الأودية والشعاب بدمائهم . وأسر إسفنديار كههم فولوا هارين . ونجا من لم يحضر أجله وسبق به فرسه . واستأمن الباقيون . فلم يؤمنهم إسفنديار . وكان سفاكا للدماء، فوضع فيهم السيف حتى حصدهم حصدا .

ثم خيموا دون القلعة ونزلت العساكر واشتغلوا بالأكل والشرب واللهو واللعب والعيش . ثم أمر بنصب خشبتين عند باب القلعة فصلب عليهما كُهرمَ وأندريمان ابني أرجاسب . وعند ذلك انقضت دولتهم وتقصت أيامهم وأتمت آثارهم . وكذلك سنة الله في الذين خلوا من قبل . ولن تجد لسنة الله تبديلا . ثم فوق إسفنديار أمراءه وأصحابه في أطراف توران ، وأطلق أيديهم في القتل والأسر والنهب . ثم كتب إلى كشتاسب كتاب الفتح ، وذكر فيه ما يسره الله تعالى له من الظفر والنصر وأخذه بنار هراسب ، واقتصاصه لمن قتل من أولاد كُشتاسب . وطير العجب والمجن بالآب إلى إيران ، وأقام منتظرا ما يأمر به أبوه . فلم يمض إلا قليل حتى ورد جواب كتابه من

(١) في الشام : أنه حين بلغ نصر أرجاسب صاح . فخرجت اخناه فأمرهما أن يسيرا إلى دكانه حتى تحبل الموقفة .

(ب) ليس في الشام أنه كان سكران بل كان نائما . وكلا الأمرين مجيب في هذه الحال .

(١) صل ، ط : ينادون . (٢) ط : الأصوات الأجنبية .

حضرة أبيه . وفيه ، بعد حمد الله ، أنه قد طال شوقنا إليك ولا صبر لنا عنك . وقد قضى الله وطرك وحقق أملاك . فأقبل إلينا مظفرا منصورا ، واقدم علينا منشرح الصدر مسرورا . فلما ورد عليه الكتاب تجهز وفزع جميع المقامات وما حصل من الذخائر من خزائن أقارب أرجاسب وأمرائه على المسكر حتى أغناهم ، وزادهم في ذلك على مناهم . ولم يبق غير خزانة أرجاسب خاصة فإنه تركها يرسم الملك كشتاسب ، فأوفر منها مائة حمل من الجوهر ، ومائة من الأكاليل والحل والحلل ، وألفا من المفارش والمطارج ، وثلثمائة من الحمامات الصينية المدهونة والمخروطة . واختار وصائف كآتهن الأقمار ، وأرسلهن في الهاريات في صحبة بتي كشتاسب . ومن جعلهن أخنا أرجاسب وبناه وزوجته . ثم أمر ، بعد تفرغ القلعة ، بتخريبها وهدمها ففعلوا ذلك .

ثم انصرف راجعا في طريق هفتخوان . ولما قارب بلاد إيران تلقاه أولاده الثلاثة وأمرأه أبيه . ثم تلقاه أبوه كشتاسب . واتخذوا يوم الاجتماع عيدا وكادوا يطيطون فرحا وسرورا . واجتمعوا في مجلس الأنس والطرب ، وجعل الأب يشرب على اسم الولد ، والولد على اسم الأب . وهذا آخر قصة هفتخوان والحمد لله رب العالمين .

ذكر ما جرى بين رسم وإسفنديار وما أفضى إليه حالهما §

قال : وانصرف إسفنديار من مجلس أبيه ذلك إلى إيوانه وهو واجم مهموم . فنام عند أمه كآيون ابنة ملك الروم . فلما انتصف الليل استيقظ وطلب جام شراب فأحضر فشرب . وجلس مع أمه وشكا إليها أباه ، وذكر أنه وعده أنه إذا أخذ بنار هراسب ، واستخلص المسيات من أخواته أن يوليئه الأمر ، ويسلم إليه التاج والتخت ، وأنه قد وفى بذلك ، ويريد أن يدخل عليه من الغد

§ قد رأينا فيما تقدم محاولة القصة منافسة رسم بإسفنديار ، ومعارضة مآثره بآثره . وفي هذه القطعة يتجلى حرص القصة على إنصاف البطالين جهد الطاقة مؤثرة إسفنديار حين لا يكون بد من تفضيل أحد البطالين على الآخر : كلا البطالين يريد خيرا بصاحبه ، ولكن وراءهما كشتاسب قد أصر على أن يُجمل رسم إليه مقيدا ، ويأبى إسفنديار التقي البار إلا أن يمثل أمر أبيه على كره . ورسم بطول الأبطال في العهد الماضي يأبى كل الإباء أن يرى في الأغلال . فلا مناص إذا من الحرب . ولا بد أن يعاقب كشتاسب بما فعل بابنه إسفنديار ، وأن يُجمل إسفنديار بطل الدين شهيدا ، ولا بد =

(١) طا ، وأوفر . (٢) ك ، طا : واجبا آخذا . (٣) في الأصل فرحا وفرحا . والتصحيح من ك ، طا .

إذا أصبح^(١)، ويذكره قوله، ويستجزه وعده . وقال : لا أرضى منه بدون ذلك وإن أعطاني جميع الممالك . وعلمت أمه أن أباه لا يفعل ذلك فتهت عنه وقالت : ما تصنع بالتاج والتخت ؟ ألا ترى أن جميع الممالك تحت حكمك ، وجميع الخزائن في قبضتك ، وأمور السلطنة مفوضة إلى رأيك وتديرك ؟ وهل بقي لك شئ من غير تاج أنت المتوج به معنى ، وتخت أنت الجالس عليه - كما ؟ وسيصير ذلك إليك أيضا . وأى شئ أحسن من أن يكون الولد مائلا كالأسد بين يدي والده يحى حريمه ويصون عرينه ؟ فغفل كلامها على إسفنديار، وكرهه وقال : ما أصدق ما قيل : لا تفض إلى النساء شرك ولا تطعن فاك لا تجد فيهن ذات رأى .

ثم إنه لازم أباه على المعاقرة والمنادمة فأحس كشتاسب بما في نفسه فأحضر جاماسب العالم وجميع الكهنة الذين كانوا من أصحاب لهراسب . فحضروا بالكتب والزيجات ، واستخبرهم كشتاسب عن طالع إسفنديار وعن مدة عمره وعن حسن سيرته ، وأنه هل يلبس التاج ويمتدع بالملك أم لا ؟ وأنه هل يموت على فراشه أو يقتل ؟ فنظر جاماسب في زيجاته القديمة ثم اغرورقت عيناه بالدموع ، وقطب ما بين عينيه . فقال له كشتاسب : أخبرني بالحال عاجلا فقد أمررت عيشي بهذا العلم . فأخبره بأن إسفنديار يقتل في زابلستان في حرب تكون بينه وبين ولد دستان . فقال : لو أعطيته

= مع هذا أن تحفظ له بطولته وغلته . فتجهد القصة أن تنظر إسفنديار برسم ، ثم تلجأ إلى حيلة العقاء لقتل إسفنديار . ويكي رسم على إسفنديار بعد أن رماه الرمية المصمية ، ويقول إسفنديار لرسم : لم تقتلني أنت وإنما قتلتني كشتاسب حين أكرهني على قتالك ، فيصطليح البطلان في الساعة الآخرة . ويمهد المقتول إلى القاتل بقرية ابنه بهمن فيعود رسم إلى تربية أبناء الملوك كما ربي سياوخش من قبل . ثم يرى القارئ في الفصل الذي يلي هذا أن رسم يؤخذ بجنائنه على إسفنديار فيموت ميتة فظيمة . ولا ريب أن القارئ يحس سعة الخيال والاحتياال البليغ لتخلص من هذا المأزق الذي التقى فيه البطلان وجها لوجه . ولكن جمال القصة وروعها إنما يدرهما قارئ الشاهنامة نفسها .

ثم قصة إسفنديار ورسم في الشاهنامة تنقسمها هذه العناوين :

- (١) إسفنديار يطعم في الملك ، وأبوه يستشير المجملين . (٢) إسفنديار يطلب الملك من أبيه . (٣) جواب كشتاسب . (٤) كتابون تصيح إسفنديار . (٥) إسفنديار يقود جيشا إلى زابلستان . (٦) إسفنديار يبعث بهمن إلى رسم . (٧) بهمن يحى إلى زال =

تاج السلطنة وسلمت اليه تحت الملكة لازم مكانه وأمن مما تذكره من صروف الزمان وطارق الحدتان .
فقال جاماسب : إن الكائن سيكون ، وسواء انا حققت المتون الحركة والسكون . ثم إن القدر
المحتوم أسبل على قلب كشتاسب حجاب الغفلة حتى أخذ إسفنديار الى زابل لقتال رستم . وذلك
أنه جلس ذات يوم في إيوانه ، وحضرت الموابنة والأمراء والأكابر وأركان الدولة ودخل إسفنديار
وخدم ووقف في مقامه من الخدمة فدعا لأبيه ، وأخذ يعتد مقاماته ووقاته وما سبق له من
الحروب ، وما ناله من جلائل الخطوب ، وما ابتلى به من الحبس على تلك الهيئة الفظيعة والصورة
الشيعة . ولما فرغ من تعداد ذلك استعجز أباه ما وعده ، وسأله الوفاء بما أطمعه فيه . وقال :
لاني لأستحي من الأكابر اذا قالوا : أين كنوزك وأين جنودك ؟ فأى حجة بقيت لك وهل بقي سبب
تنجي به ؟ فقال أبوه : لا معدل من الصدق . وقد وفيت بأكثر مما التزمت ، ولم تترك لي على
وجه الأرض صلوا إلا أفنيته ، ومالك في الأرض قرن غير ابن دستان الجاهل الذي استبد ببلاد زابل
وغزنة وبُست ، وأخل بالخدمة والطاعة بعد أن كان كالعبد في خدمة كيكلوس ، وبعده في خدمة
كيسفرو .^(١١) وقد بلغ به الأمر الى أن قال : ملك كشتاسب طريف مستحدث ، ومليك تليد متقدم .
ولا أجد في توران ولا إيران من يساجلني ويقاومني .^(١٢) فلا بد من أن تنهض الى مجستان لتأق به
أسيرا مع ولده وأخيه . واذا فعلت ذلك فوحق واهب الحول والقوة ، ومنور الشمس والقمر إلى
لا أستروح الى عذر ، ولا أغل بعله ، وأقلدك الأمر وأسلم اليك الملك . فقال إسفنديار : أيها الملك !

١١٨

= (٨) بهمن يبلغ الرسالة الى رستم . (٩) رستم يجيب إسفنديار . (١٠) بهمن يرجع .
(١١) لقاء رستم وإسفنديار . (١٢) إسفنديار لا يجيب رستم الى ضيافته . (١٣) إسفنديار
يعتذر من قعوده عن ضيافة رستم . (١٤) إسفنديار يعيب نسب رستم . (١٥) رستم يرد كلام
إسفنديار ويذكر حسبه ومآثره . (١٦) إسفنديار يفخر بأجداده . (١٧) رستم يفخر بشجاعته .
(١٨) رستم يشرب الخمر مع إسفنديار . (١٩) رستم يرجع الى قصره . [(٢٠) زال ينصح
رستم] . (٢١) رستم يحارب إسفنديار . (٢٢) زواره وفراهرز يقتلان ابني إسفنديار .
(٢٣) رستم يهرب الى الجبل . (٢٤) رستم يشاور أهله . (٢٥) اللقاء تعبد رستم .
(٢٦) رستم يعود لقتال إسفنديار . (٢٧) رستم يصيب إسفنديار في عينه بسهم .
(٢٨) إسفنديار يوصي الى رستم . (٢٩) رستم يحمل نعش إسفنديار الى كشتاسب .
(٣٠) رستم يرجع بهمن الى إيران .

(١) ك : ط : الملك كيسفرو . (٢) ط : لا بد لك .

هذا منك ترك للرسم القديم، وصدول عن الطريق المستقيم . واللائق بك أن تنازع أصحاب الأقاليم، وتطلب ملك صاحب الروم أو صاحب الصين لا أن تتمرض لمنازعة شيخ كان كيكائوس يسميه صباد الأسود ووهاب تحت الملوك وصاحب الرخش . وليس من نبغ في هذا الزمان بل هو بهلوان كبير وورث السيادة كائرا عن كائرا، ومعه عهد الملك كيخسرو . فان كان عهد الملوك لا يقول عليه فلا يقول على عهدك أيضا . ثم قال كشتاسب : إن أردت السلطنة نفذ طريق صجستان وافعل ما أمرتك به . فنضب إسفنديار وقال : ما بك قصد رسم ولا دستان ، ولكك تريد إبعاد إسفنديار لأن نفسك لا تسمح بتفويض الأمر اليه . فلا زلت تمتعا بالتاج والتخت . وأما أنا فيكفيني زاوية من الأرض أعتزل فيها ، وأكون مع ذلك عبدا مطيما لك ممثلا لأمرك . فقال له أبوه : لا تحتد وخذ المسكر وامض . وهذه الأموال والخليل والأسلحة بين يديك تغذ منها ما اشتيت . ولا تنوان في الأمر . ففرج ودخل الى إيراوه فأثته أمه وهى تبكى وقالت : قد أخبرنى بهمن بأنك تريد الخروج الى زابلستان لقتال رسم بن دستان . فلا تتمرض له ولا تلق بيدك الى التهلكة . فانه الرجل الذى لا يصطلى بناره ، ولا يجارى في مضماره . فقال لها : إنه كما ذكرت . ولكن كيف أخالف أمر الملك كشتاسب ؟

فركب في عساكره وتوجه نحو زابلستان ، وسار حتى وصل الى طريق يتشعب منه طريقان : أحدهما يقضى الى زابلستان . والثانى الى قلعة جُنبدان . فركب الجبل المتقدم من جمال الأتقال ولزق بالأرض . وجعل الساربان يضرب على رأسه وهو لا يتحرك ولا يشور . فتطير إسفنديار من ذلك ، وأمر بأن يقطع رأسه مكانه ففعلوا به ذلك . ثم سار إسفنديار وهو مهمم حتى وصل الى هيرمند نفيم بها . وأرسل ولده بهمن الى رسم ، وأمره أن يقول له : من علت في الأرض^(٢) درجته ، وترقت في الجلالة مرتبته فالواجب عليه أن يمد الله عز وجل على ما أنعم به عليه من ذلك حتى يزيد من فضله ويمتعه بما أولاه . ومن عرف الدنيا وخبرها دارى الملوك ، وتجنب مخاشقتهم . ومن زرع شيئا حصد زرعه . ومن سمع منه قول سمع مثله . وقد تعاقبت عليك الأزمان والمصور ، وأفنيه عمرك في خدمة الملوك . فلو نظرت بعين العقل لعلمت أن الأليق بك غير ما أنت عليه . ولم تحصل من أسلافنا وأجدادنا على هذه الجلالة^(٣) والسيادة إلا من حيث إنك كنت تفرغ وسعك في طاعتهم ، وتبذل جهدك في خدمتهم . ولما تقلد لهراسب صرت حارس بيتك ، وأعرضت عن خدمته . ولما تولى ولده كشتاسب جريت على ذلك السنن ، ولم ترفع به رأسا حتى لم تكتب اليه

(١) صل : وأكون عبدا مطيما . والتصحيح من ك ، طا . (٢) ك ، طا : في الأرض (لا) .

(٣) صل : الجلالة . والتصحيح من طا .

الى هذه الغاية ولا كتابا واحدا . ولا يخفى أنه لم يتسلم سرير الملك من عهد أوشهنيج الى هذا العهد ملك مثله في حسن سيرته وسداد طريقته . وقد تيسر له من الفتوح ما لم يتيسر لغيره حتى دخل تحت حكمه جميع ممالك المشرق والمغرب ، وصار العالم ككرة شح في يده ؛ فاما من ملك إلا وقد أدى اليه الجزية ، واما من مدينة إلا وحمل اليه خراجها . وقد ضاق صدره مما تعامله به من إخلالك بخدمته وقلة احتفالك بيمينه ، وركونك الى الاعتزال والنجول . وما أنت ممن ينسأ الملوك أو تتغافل عنه ، ولا ممن يقتفر له تقاعده غبا . وقد اغتاظ ذات يوم من صنيعك خلف أنه لا بد أن ترى في سرادقه مقيدا مكبلا . وما جئت إلا لهذا الأمر . فاحذر عاقبة خطئه وغضبه . فاجتمعوا جميعا أنت وأبوك ووليك وأخوك على التشاور في الأمر ، وعلى النظر في وجه الرأي . ولا تحسروا بيوتكم فيشتت الأعداء بكم . واذا حملتك مقيدا اليه سمعت في رضاه عنك ، وتلطفت في أن يعود الى أحسن ما كان عليه معك .

فسار بهمن متحملا هذه الرسالة . فلما تجاوز هيرمند أخبر زال بقدمه فركب . ووصل في الحال بهمن ولم يكن يعرف دستان . فلما رآه قال : أيها الدهقان ! أين سيد القوم رسم بن دستان ؟ فهذا إسفنديار قد قدم وخيم على حافة النهر . فقال له دستان : انزل واسترح فان رسم وأخاه في متصيد لما في جماعة من الفرسان . فقال بهمن : إن إسفنديار لم يأذن لنا في هذا . ولكن ابست معنا من يدلنا على المكان الذي هو فيه . فسأله دستان عن اسمه ، فقال : أنا بهمن بن إسفنديار ، حفيد الملك كشتاسب . فترجل دستان له وخدمه ، فترجل بهمن أيضا . وسأيله وحادثه ثم نفذ معه فارسا حتى يدلّه على موضع رسم . فتوجه نحوه فلما رآه رسم مقبلا من بعيد ركب مع أخيه واستقبله فترجل له بهمن وخدمه . فسأله رسم عن اسمه فأعلمه فاعتقه ولطفه وسأيله ، وذهب به الى مخيمه . فلما جلسوا بلغه بهمن سلام الملك ، وأعلمه بوصول إسفنديار وزوله على نهر هيرمند . قال : ومضى رسالة من إسفنديار أعرضها إن أذنت . فقال رسم : قد تعب ابن الملك وجاء من مكان بعيد . فنا كل أولا ما حضر من الطعام ثم الأمر اليك ، والعالم بمحكك . فبسطوا السفرة . وكان مما أحضر حمارا وحش وضع أحدهما بين يدي بهمن والآخر بين يدي رسم . وكان رسم يأكل كل مرة وحده حمار وحش . فنظر الى أكل بهمن فنهشم وقال : كيف سلكت طريق هفتخوان بهذا الأكل ؟ وكيف تكون قوة بأسك وأكلك هذا الأكل ؟ فقال بهمن : من كان من

(١) صل : ولا يتغافل . والصحيح من ك ، طا . (٢) ك ، طا : واجتمعوا . (٣) ك ، طا : وجه الرأي في ذلك . (٤) ك : حتى (٧) . (٥) طا : هيرمند .

شجرة الملك لا يكون كثير الأكل^(١) ولا كثير الكلام . و ينبغي أن يكون الأكل قليلا والحد كثيرا . فضحك رستم وقال : أبت الرجولية إلا ظهورا . وملأ جاما من الشراب فشربه ، وملأ جاما آخر ناوله بهمن فتوقف ولم يمصر على شربه . فأخذ زواره الخام من يده وشرب بعض ما فيه ثم رده اليه فشرب . وأخذ يقضي العجب من رسم وشربه وأكله وقته وشكله . ثم ركب رستم وبهمن يسييران فأدى اليه بهمن رسالة إسفنديار . فامتلا دماغه فكرا وأطرق ثم رفع رأسه وقال : أبلغ إسفنديار سلامي وخدمتي ، وقل له : إني كنت آتني على الله تعالى أن أرى وجهك ، وأجتمع بك ، وأشهد هبتك وأهبتك ، وأنادلك وأعاقرك . والآن فقد حقق الله تعالى هذه الأمنية . وأنا صائر الى خدمتك ، ومستمع شفاها منك رسالة الملك كشتاسب . وسأحل معي عهود الملوك من عهد كيقباز الى عهد كيخسرو حتى تنظر فيها وتنظر في أخرى ؛ فإن كان جزاء ما عاملت به الملوك من الأنفال الجيلة ، وما تحملته لهم من الأعباء الثقيلة في الدولة القباذية وما بعدها ، القيد والحبس فقيد رجل - ويدى بالجلال والأصفاد . وإن لم تبد مني جناية توجب ذلك فلا تتأبني بكلام يوغر صدري ويوحش قلبي ، ولا تقل قولاً لم يقله قط أحد ، ولا تمنع بحبس الريح في القفص ، ولا تلج معي فإن الهياج دأبى ودينى ، ولم ير أحد رجلى في القيد ، وأفل معي ما يليق فعله بالسلطين ، وطهر قلبك بفضيلة الرجولية من دنس الداء الدفين ، وأشرح صدرك ، وأبر المساء الينا . وكن ضيفنا حتى أصبر لك عبدا كما كنت لكيقباز من قبل . وإذا فعلت ذلك وأقمت في هذه البلاد شهرين استريح فيما أنت ومن معك فتحت لك أبواب الخزان التي ملأتها بحمد السيف ، وأجنتك لإياها ، وإذا عزمتم على الرجوع لم أفارقكم وأسير في خدمة ركابك حتى نصير معاً الى حضرة الملك كشتاسب فأعترض اليه ، وأستسل ما في قلبه من نخمة ، وأقبل رأسه ويده ورجله ، وأتلف حتى يقبل معذرتي . ثم قال لبهمن : احفظ ما قلته لك ، وأذه الى إسفنديار .

فانصرف راجعا الى أبيه . وبقى رستم في موضعه ، واستحضر أحاه زواره ، وولده فرامرز ، وأرسلهما الى أبيه دستان ، وأمرهما أن يقولاه : إن إسفنديار قد وصل . فانصبوا له في الأواوين التخوت الذهبية ، واسطوا المعارض الخسروانية ، وافعلوا ما فعلتم في ضيافة الملك كيكاوس بل أكثر وأحسن ، وأعدوا الأطعمة . وهاتان ذاهبا اليه داعيا له مستضيئا . فإن رأيت في رأسه خيرا لم أبجل عليه بشئ ، من الكنوز والذخائر والجواهر والخيل والأسلحة وإن ردتى ولم يجب دعوتى ما يكون يومى معه بالير المضي . ثم لا ينبغي أن الغلبة لمن تكون . فقال له زواره : لا تشغل شرك

بهذا . فانه لا يختار مكاشرتك ومخاصمتك . ولست أرى في الأرض شهيئارا مثله سماحة وبسالة وشهامة وحرامة . والعاقل لا يصدر منه الشر . فتوجه زواره نحو زال، وتوجه رسم نحو هرمند فوقف على شاطئ النهر ينتظر مجيء بهمن اليه .

وأما بهمن فانه لما دخل على أبيه وقف ماثلا فسأله وقال : ما الذي رد عليك ذلك البهلوان الشجاع؟ فجلس بين يديه ، وأورد ما سمع من جوابه . قال : وها هو قد جاء الى شاطئ النهر بلا جوشن ولا عدة ولا سلاح . . ووصف بهمن ما شاهد من شهامته ومهابته وقوته وشدة . فصاح إسفنديار عليه ، ولم يعجبه وصفه لرسم بمحضر من حضر من القوم . وأمر بإسراج فرس له أدهم ثم ركب واستصحب مائة فارس وسار حتى وصل الى شاطئ النهر . فصل الأدهم من هذا الجانب وصهل الرخش من ذلك الجانب . ففاض رسم الماء وعبر الى إسفنديار فترجل له وخدم ودعا وأثنى ثم قال : إني طامع كنت أتمنى على الله تعالى أن أرى الشهيئار قادما علي حتى أجالسه وأفأوضه . وأستشهد الله ، ولا يستشهد كاذبا إلا من يكون بمجل الغواية جاذبا ، أنى لو رأيت سياوخش لم أسر برؤيته سرورى برؤيتك . ولست تشبه إلا ذلك الملك المتوج - يعنى سياوخش - فطوبى لكشتاسب إذ رزق ولدا مثلك ، وطوبى لأهل إيران إذ يخدمون تاجك وتحتك ، وتبا لمن تجاسر على قتالك . فترل إسفنديار واعتنقه ودعا له وأثنى عليه وقال : أحمد الله حين أقر عينى بطلعتك ، وكل ناظرى برؤيتك . فاستضافه رسم وسأله إجابة دعوته وإكرامه بمنادمته ومعاشرته . فقال : لست أخرج عما حدث لى الملك ، ولا أخالف ما اقتضاه أمره سرا وجهرا . وإنه لم يأمرنى بالمكث فى زابل ، ولا بقال أهل كابل . والمرجو منك أن تفعل ما يستحل فى العاقبة ثمرة ، ولا تخالف حكم الملك وأمره . فانه مهما رآك وقد أدخلت عليه مقيدا قرع سن الندم وتقر فى ذيل الخجل ، ولم تبق فى القيد الى الليل . ولا شك أنه لا ينجى منه شر ولا ينالك منه مكروه وضير . فقال رسم : قد سألت الله مثل هذا اليوم لأفرج بلفانك وأسر برؤيتك ، والآن فقد حفت عين السوء وأن ينتهز الشيطان فرصة ويفرك بتاجك وتحتك . ثم إنك اذا امتنعت من إجابتي ولم تحضر دعوتى جر ذلك على عارائى أثره مدى الدهر . واذا أخرجت الحلف من رأسك واجتهدت فى إصلاح ذات البين أعطتك فى جميع ما تشير به على ولم أحافك فى شيء غير القيد . فانه أمر فظيع وحالة شنيعة لا أرى طليهما ما عشت .

ثم إن إسفنديار وعده بالمصير الى داره ، وإجابته الى ضيافته . فركب رسم وانصرف واجبا ، وأمر بترتيب الأاطمة وتهيئة أسباب الضيافة . وجعل ينتظر حضوره فأبطأ حتى فات وقت الحضور .

(١١٠)

فغضب رسم وأغاظ وأمر أخاه بأن يذ السباط، ويحضر أصحابه ويقدم اليهم ما أعتوه لإسفنديار.
وركب متوجها الى مصركه، وعبر اليه الماء ودخل عليه فشكا من تأخره عنه وقال له: إنك تعظمت
ورفعت قدرك عن المصير لي . وكأنك تستصغرن في شجاعتى وتستخف بي فى رأى وأدى . فاعلم
وتحقق أنى رسم المتسمى الى سام بن نيرم . وكمن أسد اختطفته عن ظهر فرسه بهذا الوحق ؛
مثل كاموس الكشاني ، وخاقان الصين الى غيرهما من القروم الصعاب . وأنا حافظ ملوك إيران
ومعنيهم على أعدائهم أجمعين . وأراك بتلقى اليك وتواضى لك قد ظننت الظنون وتوهمت أن
فعل ذلك عن ضراعة وعجز واستكانة وخوف . وأنا أكره قتالك لما أرى فيك من الأبهة والجلالة،
ولا أريد أن يتلف شهريار مثلك . وقد توليت بهلوانية العالم زمانا طويلا ، وما رآنى أحد خاضعا
لأحد ذليلا . وقد طهرت وجه الأرض من كل ضد ، وتمحلت في ممارسة الحروب كل عبه .
والحمد لله إذ لم أمت حتى رأيت لى قرنا يتصدى لقتلى والانتقام منى » . فقبس عند ذلك إسفنديار
وقال : يا ابن سام بن نيرم ! أرى صدرك قد ضاق بتأخرى عن ضيافتك . ولم يؤخرنى عنها إلا الخز
الشديد والطريق البعيد . وكان فى نيتى أن أحضر من الفدا كرا ، وأعذر من تقصيرى ، وأقر
عنى برؤية دستان بن سام ، وأشرب معكم يوما . فتجشمت وتعبت . لنفص الآن عليك
واسكن ، وتناول الكأس ، وازك هذه الخلة والطيش . فمكن له ليجلس عن يساره فقال :
لا أقعد إلا حيث اشتهيت . ثم لما استوى بهم المجلس قال له إسفنديار : إنى سمعت من الموايزة
أن دستان الخليث الجوهر إنما تجتبه الجنى فأخفته النساء عن سام لقيح صورته وسماجة شكله .
ثم إن ساما لما علم به أمر بإخراجه الى البحر لتأكله دواب البحر . فانقضت عليه العتقاء ورفعته
الى وكرها ، وطرحته عند أفراخها . وكان يطعم من فضلات جيف ترفعها الى أن ترعرع وكبر .
فحملته الى باب ييستان قبله سام واستلحقه لجهله وحرقه وجنونه ولأنه لم يرزق ولدا . فحمله
ذلك على قبوله وإلحاقه بنسبه ليستظهر به . ثم إن أكابر أسلافنا ونصحاء أجدادنا اعتنوا به
ورفعوا منه وجدوا بضيمه حتى سمى قدره وطال باعه . فولد له رسم الذى طاول الكيوان وقهر
الأقربان ، ولم تزل مرتبته ترتقى حتى بلغ به الأمر الى مخالفة السلطان والخروج عن طاعة الرحمن .
فقال له رسم : ما أراك إلا وقد اخترت الزين واتبعت الشيطان . فلا تقل إلا ما يلقى بالملك .
وهم لا يبدلون فيما يقولون عن سنن الصدق ومنهج الحق . وإن أباك أعلم بدستان ، ويعرف أنه
بهلوان كبير القدر عزيز العلم ، وأن ساما هو ابن نيرم ، وأن نيرم ولد أوشهنيج ثالث ملوك العالم .

ويعلم أن أمى أبنه مهراپ ملك الهند الذى كان الضحك خامس آياته ، ومن له أصل مثل هذا الأصل ، وهو الأصل الذى لا ينكر شرفه ذو عقل . وأما شرفى فى نفسى لجميع الأكابر يعلمون إلى فى الآداب ، ومحتاجون إلى تعالما منى . ومعى عهد كيكائوس ومنشوره الذى لم يبق لأحد على حجة ، وعهد كيكسرو الذى لم يكن له فى الملوك مثل . وكم من ملك ظالم قتل ! وكم من موقف حرج وقفت ! وهذا عمرى^(١) وقد أناف على ثلثائة سنة ولم أزل بهلوان العالم . ومنذ شددت منطقة الخدمة استراحت الملوك وكفيتهم العناء والتعب . ثم إنى لم أقل ما قلت إلا لأنك وإن كنت عظيم القدر شديد البأس فأنت حديث السن قريب العهد ، ولأنك لا ترى فى العالم غير نفسك ، ولست مطلعا على الأسرار الخفية . هذا وبعد أن أطلنا الكلام فأحضر أيها الساقى المدام ، وحث الأقداح وروح الأرواح » . فتبسم إسفنديار وقال : قد أسمعنى وقائع وأخبار مقاماتك . فاسمع حالى ، واعلم أنى شممت أولا عن ساق الجسد فى أمر الدين حتى ظهرت بساط الأرض عن عبدة الأوثان ، وغطيت بدمائهم الأرض . ثم ذكر وقائمه وما سبق شرحه من تقطيعه السلاسل والجوامع عند إرادتهم إطلاقه من الحبس ، وما جرى له فى محاربة أرجاسب وكسره إياه وسلوكه طريق هفتخوان وإيقاعه به ، وأنه صادف أهل بلاد توران يبدون الأصنام فأبادهما وسدقتها وعبادها ، وأوقد فيها نار زردشت التى يزعم أنه جاء بها من الجنة (١) فبحر وأظهر بتلك البلاد دينه ولم يترك بها عدوا . ثم قال : وأنا ابن كشتاسب بن طراسب ابن أروند الذى كان فى مملكته صاحب تاج وتخت . وهو ابن كى بشين بن كيقباز وهلم جرا إلى أن يصل طرف النسب بأفريزون الذى هو مقشعب أغصان الكيانية ، وجرثومة الشجرة الخسروانية . وأمى هى ابنة ملك الروم المتصل نسبه بسلم بن أفريزون . وأنت تعلم أنك وأسلافك عبيد أسلافي وخدمهم ، وأنت ما استفدت هذه السلطنة إلا بخدمتهم ، وما اكتسبت هذه المناقب إلا بطاعتهم ، وإن كنت الآن^(٢) حائما ربة الطاعة . ثم قال إسفنديار : الحديث ذو شجون يجز بعضه بعضا ، وأنت عطشان أيها بهلوان فاشرب شربة . ثم مد إسفنديار يده إليه مازحا وأخذ بيده وقال له : قد صدق من قال : إن أعضادك كأفخاذ المزير وصدرك كصدر الثعبان ، ووسطك كوسط النمر . وعصر يده فى أثناء الحديث حتى كادت أنفايره تقطر دما . فلم يتغير وجهه رسم ، وجعل يضحك ويقول : طوبى لكشتاسب اذ رزق مثلك . ثم عصر يده حتى توردت وجناته ، وكادت أنامله تحلب بالدم أيضا . فضحك إسفنديار وقال : أيها الفارس المقسدام ! اليوم نمر وغدا أمر . خذ الجلام فانك تنسا غدا ، واشربه فلن ترى بعده عيشة وغدا .

(١) فى الشاه : « التى أتى بها من الجنة فى بحر » وكلمة يزعم من المترجم .

(٢) ك : عمرى قد . - (٢) كلمة الآن من ك : طا .

وإني سوف أختطفك برعى من ظهر فرسك إذا بارزتك غدا، ولا تبقى حينئذ طالبا نزالا ولا نصالا أبدا . ثم أحملك مقيدا مكبلا الى خدمة الملك فأشفع فيك اليه ، وأبسط عنك لديه حتى أطلقك فتعود الى الراحة من بعد العناء، والى الرخاء بعد الشقاء . فقال له : سيمثل هذه الحرب . فالتك بعد ما رأيت شدائد القتال ، ولا حضرت وقائع الرجال . وسوف أحملك عن ظهر فرسك غدا وأحملك الى الى إيوانى فأجلسك على التخت ، وأتوجك بالتاج الذى أعطانيه كيتباد ، وأفتح لك أبواب الخزان وأفرغها عليك وعلى عسكرك ، ثم أقدم بك على كشتاسب فأضع على رأسك تاج السلطنة وأشد على خصرى بين يديك منطقة الخدمة مثما فعلت فى خدمة الملوك الماضين . وإذا صرت أنت الملك وأنا البهلوان لم يبق لنا عدو فى جميع الأرضين . فقال إسفنديار : قد انتصف النهار وقد غلبنا الجوع فها تولى الطعام . ثم حكى صاحب الكلب شيئا من صفة أكلهما وشربهما ، وأن رسم تملق له بعد أن نمل وعادو استدعاه الى ضيافته ، وأن إسفنديار امتنع من إجابته ، وقال له : ارجع الى إيوانك فاستعد للقتال . فانصرف رسم بعد أن أعذر وأبذر ووعظ ونصح — فى كلام طويل أورده صاحب الكلب — قال : فاجتمع يشون بأخيه إسفنديار ، ونصحه أيضا وقال : الرأى أن تركب غدا الى إيوان رسم ، وتداريه وتجمع الى السلم ، ولا تلق بيدك معه الى التهلكة . قال : كيف أخالف أمر كشتاسب ، وأخرج من طاعته ؟ وهو لم يأمرنى إلا بتقييده محمولا الى حضرته . ومهما لم أف بذلك ضاع سعي فى الدنيا والآخرة ، وكان ذلك عصيانا منى لزرُدشت حين أمر بطاعة الملك ، وذكر أن مخالفته توجب النار . فسكت عنه أخوه .

(١٢١)

وأما رسم فانه لما عاد الى منزله طلب من أخيه زواره أن يحضره سلاحه وعتاده ، وأمره بالركوب غدا مع العسكر . ولما أصبح ظاهر بين جنته ، وركب وأقبل نحو نهر هيرمند . وركب إسفنديار من ذلك الجانب فى عساكره وجاء حتى لقي رسم . فعدلا الى موضع خال لينبارزا منفردين . وأمر كل واحد منهما أصحابه بالإمساك عن الحرب ، وثبات كل فى مكانه ، وتعاهدا على هذه الجملة . ثم زحف كل واحد الى صاحبه ، وتطاعنا بالرمح زمانا طويلا حتى تقصفت رماحهما . فاستلوا السيوف وتضاربا زمانا حتى تكسرت . ثم تضاربا بالعمد والدبابيس وتعارعا حتى تشظت البيض على رءوسهما . ثم انفرد كل واحد منهما عن صاحبه بعد أن أجهدا وتشققت عنهما الجواشن ، وتمزقت على خيلهما التجانيف . ولما أبطل رسم على أصحابه خاف أخوه زواره عليه فزحف وأقبل

(١) ك ، ط : وأفرغها . (٢) صل : تلق . والتصحيح من ط . (٣) ط : حيث أمر .

(٤) « فى عساكره » من ك ، ط .

الى عسكر الايرانين فسفه عليهم . فاغناظ نوشآذر بن إسفنديار وقال : أيها السجزي الجاهل ! إن إسفنديار ما أمرنا بالقتال . فان ابتدأتم به رأيتم صنيع الرجال . فبدأ الزابلون وأوقدوا نار الحرب . فقتل زواره نوشآذر ، وقتل فرامرزين رسم أخاه مهنوش . فبادر بهمن الى أبيه وأخبره بمقتل ابنه ، وأن الزابلين هم الذين بدءوا بالقتال . فصالح إسفنديار برسم وقال : أيها الخائن المادر ! اما عاهدتسا على ألا يجرى بين العسكرين قتال ؟ وقد قتل اثنان من أصحابك اثنين من أبنائي . اما تستحي من الله تعالى ثم مني ؟ لحف له رسم أن ذلك لم يصدر عن أمره ولا عن رأيه ، وأنه يقبض في ساعته على ولده وأخيه ، وينفذهما مقيدين الى حضرته . قال : ثم تراميا فرمى إسفنديار رسم بنشابة فصلها من الألباس فخلصت اليه ، وكانت سهام رسم لا تخلص الى إسفنديار ، فأصابه غير مرة حتى جرحه وجرح رخشه بحيث ضعفت قواهما . فاضطر رسم الى النزول فترجل وهرب الى جبل كان هناك . وولى الرخش يعدونحو إيوان رسم .

فلما رأى إسفنديار رسم يرقى في الجبل والدم يسيل منه قال له : أعطني يدك حتى أحملك مقيدا الى حضرة الملك ، وأستوهبك منه وأتشفع فيك . ففكر به رسم وأظهر إجابته الى ذلك حتى أمهله إسفنديار وأعطاه الأمان الى القد . فقتل رسم من الجبل وهو مشخن بالجراح فعب الماء ومضى الى منزله . ورجع إسفنديار الى معسكره فوضع بين يديه رأسى ولديه فأخذ يذرى عليهما دموع الجزع ويندبهما وينوح عليهما . ثم أمر بوضع كل واحد منهما في تابوت من الذهب . ونفذهما الى أبيه كتناسب . وأرسل اليه رسولا ، وأمره أن يقول له على سبيل التعنيف والتوبيخ : إن هذه نتيجة رأيك في قتال رسم . وهذا أول الأمر . وانه أعلم بما يكون من بعد .

وأما رسم فانه لما دخل إيوانه طرح نفسه متمللا مما به ، وأحرق به أبوه زال وأمه وزواجه وأخوه وولده سيكون عليه . والرخش عنده واقف ناكس الرأس ، وبه مائة من الجراح . فقال زال : انى سأدبر أمرك ، وأستعين بالمقاء على معالجتك . فاستصحب ثلاثة أنفس بثلاثة مجامر ، وأخذ معه ريش العنقاء التي ذكرنا قصصا في خبره على ما سلف في الجزء الأول من الكتاب . فصعد الى جبل هناك ، وأوقد النار في بعض تلك المجامر وأحرق بها بعض تلك الريشة (١) فلما انتصف الليل (١) اذا هو بهمة من الجلو واذا بالمقاء قد نزلت اليه . فسأله عن حاله فأخبرها بحال ولده رسم وما به

(١) لم تذكر تلك الريشة من قبل ، والمذكور في عبارة المترجم «ريش المقاء» . عبارة الشاه : أن زالا صعد على الجبل فأحرق

ريشة وأشعل النار وأحرق قطعة من تلك الريشة .

(١) صلي : انتصف النهار والصحيح من ك ، ط . وعبارة الشاه : فلما مضى هزيع من الليل .

من الجراحات التي أصابته من إسفنديار، وأخبرها أيضا بأن الرخش أصابته سهام تكسرت فيه وتفلطت في جسمه . فأمرته العقاء بإحضار رسم ورخشه . ففقد زال إليه حتى صعد مع فرسه إلى الجبل . فلما رأته العقاء رفرفت عليه متطفلا وتحنا فأدخلت مقارها في جراحاته ، وأخرجت منها نصالا أربعة . ثم مسحها بمناحها فالتأمت . وأعطته ريشة وأمرته أن يلبسها باللين ويمسحها بها ويشدها فانها تبرأ . وصنعت مثل ذلك بالرخش واستخرجت منه بمقارها ستة نصال . فوجد في الحال خفة ، وانتفض وحجم . فتمل رسم فرحا بسلامة الرخش . ثم قالت لرسم : لأى معنى تعرضت لقتال إسفنديار وهو رجل مذكور وشجاع بطل ، وقاتله لا يرى الخير بعده ، وتبطل سعادته ، وتحالفه شقاوته ، وتقصير مدته ، ويلقى العناء بقية عمره ، وينوق العذاب بعد موته ؟ فإن رضيت بهذه الحالة فاركب وأبصر العجب . فركب رسم وسار إلى ساحل البحر . فأسفت العقاء على شجرة من الطرفاء فقالت له : أقطع من هذه الشجرة قضيا مستقيا يكون أحد طرفيه أغلظ من الآخر ، فإن فيه يكون هلاك إسفنديار ، ثم قومه بالنار ، وركب عليه نصلا عتيقا ، واجعل له قنذا . ثم اذا جاء إسفنديار يطلب قتلك فضرع إليه وابك بن يديه فطعك تصرفه عن قتالك بالمقال الحلو . فاذا لم يفعل فوتر قوسك ، وسدد نحو عينه هذا السهم ، بعد أن يكون قد نغمته في سلاف الخمر . فانه يصيب عينه ، ويكون في ذلك حينه . وأرشدته على الطريق حتى عاد إلى إيوانه . ثم ودعت زالا ، وحلقت في جو السماء . ولما رجع رسم فصل ما أمرته به العقاء ، وركب الرخش مصبعا ، وتكب القوس مدججا ، وأقبل نحو إسفنديار . فبلغ الخبر إسفنديار بأن رسم قد عاد إلى القتال . فقال ما حسبته أنه يقدر أن يصل إلى إيوانه . ورجوعه الآن ليس إلا برقى دستان الساحر . فاستحضر جنته وعدته ، وركب نحوه . فلما تقاربا قال له إسفنديار : أيها السجزي ! كأنتك قد نسيت صنيعي بك بالأمس . وكان ظنى أنك تكون اليوم محولا إلى الرمس . ولم تبرأ إلا برقية أيبك وبحره . وسأسد عليك اليوم سبيل حيلته ومكره ، فأجعل بدنك كالغزال بصاردات النبال ، وأتركك بحالة لا ينفعك معها رقية أيبك زال . فقال رسم : إني ما جئت اليوم للقتال ، وإنما جئت لأضرع إليك عساك تمنح إلى السلم ، وتطفئ من قلبك نار الحقد .

١١٢

قال : وجعل يتضرع إليه ويسأله الكف عن المحاربة ويستتره عن غلوائه في المباشنة . فما زاده ذلك إلا غلوا في غوايته ، واستمرارا على جهاته . فلما علم رسم إصراره وإدلاله بما أوقى من الشدة والبسالة أخذ القوس ، ورماه بالفتابة التي سبق ذكرها فأصابت حدقته فاقلب عن ظهر الأدم

مضرجا بالدم وغشي عليه . ثم أفاق واستوى قاعدا وأخذ برأس النشابة واترعا بيده . فجاءه أخوه
 يشوتن وولده بهمن راجلين . فلما وجداه على تلك الحالة شقا اللثياب، ووضعوا على رؤوسهما التراب،
 وضماهما الى صدورهما، وجعلوا يمسحان الدم عن وجهه، وطفق يشوتن يندبه وينوح على مآثره ومقاعره،
 ويلهف على محاسنه ومكارمه، ويلعن التاج والتخت، ويدعو على صاحبهما كشتاسب حيث عرض
 ولده للهلاك بسبب ضئته بهما عليه . فقال له : لا تكثر الجزع فانه لم يكن نصيبي من الملك غير
 ما ترى ، وإن الموت غاية كل حي . وقد اجتهدت في أمر الدين وتعبت في نصره تعباً طويلاً حتى
 شيدت بنيانه ورفعت أركانه . ثم كباي طرف الأمل ، واخترمتني محتوم الأجل . ولعلني أحصد
 ما زرعت في دار القرار ومثل الأبرار . فانظر الى هذا العود الذي يسدى ، واعلم أن ابن دستان
 ما قتلتني به بالرجولية بل بحيلة دستان ودلالة المتقاء . وكان رسم واقفا منه برأى ومسمع فقال :
 ما قتلك إلا الشيطان حين ملك عليك قيادك ومنعك رشادك . فقال : قد وقع المحذور فادن مني
 وتقبل وصيتي . فترجل رسم ودنا منه متوجعا . وكان الخبر قد انتهى الى زال وزواره وفراشزي .
 فحضروا رجاله وجعلوا ييكون بضجيج ونحيب . وقال زال لرسم : جزى عليك الآن أكثر من جزى
 على إسفنديار . فقد بلغني عن عالم الصين وسائر المنجمين أن من يقتل إسفنديار يقتل ولا تطول
 مدته ، وتحق في الدارين شiquوته . قال : فقال إسفنديار لرسم : قتلى لم يكن بريك ولا بحيلة المتقاء .
 ولم يقتلني سوى كشتاسب حيث أكرهني على قتالك . وكان الله قد كتب على ذلك . والآن فهذا
 ولدي وقرة عيني بهمن . فقسامه مني ، وتقبله قبولا حسنا ، واحمله معك الى زابلستان ، ور به تربية
 الوالد لولده » . فصفق رسم يده على يده وقال : أمثل أمرك وأربيه وأؤدبه وأسى له حتى يملك
 التاج والتخت .

ثم أقبل إسفنديار على أخيه وقال له : انا قاضت نفسي فارجع الى الوالد بالمسك، وقل له :
 قد أدركت وطرك، وتلت أملاك حين أوردتني موردا صفوه كدر، وما لوارده صدر . فلك الآن التاج،
 ولي الهم والحزن . ولك التخت، ولي التابوت والكفن . وستجتمع ضدا عند الله ونحتمك .

ولما قضى مقاتله تنفس نفسا شديدا خرجت معه روحه . فأحرق به الزابليون والارانيون
 جميعا ليكون عليه . ثم أحضروا له تابوتا من الحديد، وكفنته بالدياج والحرير، وضخخوه بالمسك
 والمبير، ووضعوه فيه . وأحضر رسم أربعين رجلا برسم تابوته ليعاقب بينها في حمله . وقبروا بن
 جملين منها، ووضعوا التابوت عليهما . واحتف به أصحابه وساروا وعليهم ثياب السواد وملابس

الحداد . ويقاد بين يديه فرسه الأدم مقطوع العرف والذنب ، ينكس السرج ، ملقا عليه عموده وخنجره وجوشنه ومغفره . فانصرف أخوه بشوتن على هذه الجملة الى حضرة كشتاسب . وأقام ولده بهمن بزابل في كفالة رستم .

ولما بلغ الخبر كشتاسب مزق ثيابه ، ورمى بالتاج عن رأسه . ولما قرب بشوتن ووصل تلقته أمه وأخواته يتدبنه ويحن عليه ويتفنن الشعور ويلطمئن بين يديه الحدود :

رمى الحداد نساء آل حرب بمقدار سممدن له سمودا
فرّد شعورهنّ السود بيضا وردّ خدودهنّ البيض سودا

قال : فدخل بشوتن على كشتاسب فما خدمه ولا سجد له على العادة ، وقرب من التخت وقال رافعا صوته : الآن انقسم ظهرك ووهى أمرك . وسجد جزاء فلك ، وتذوق وبال ظلمك حين أسلمت ولدك لوت متمسكا بهذا التاج والتخت . ثم أقبل على جاءاسب ولعنه وعلمه ، وسفه رأيه وعقله . ثم أدى الى كشتاسب ما قال له إسفنديار . وأخبره بوصيته الى رستم بترسية ولده بهمن ، وإقامته بزابلستان . وأقيمت المآتم على إسفنديار وتمادت حتى استمرت الندبة والنياحة عليه في تلك الديار سنين .

وبقي بهمن بزابل يربيه رستم ويعلمه الآداب الملوكية والمراسم الكيانية حتى برع فيها . ثم كتب بعد ذلك الى كشتاسب كتابا استشهد فيه الله على أنه استكف إسفنديار غير مرة عن قتاله ، ووعظه ونصحه ، وسمح له بجميع ما يملكه من صامت وناطق وما حوت يده من التيجان والمناطق . واستشهد على ذلك بشوتن أخا إسفنديار ، وذكر أنه واقف على الحال . ولكن جرى قلم التقدير بما جرى عليه ، وقضى القضاء بما سبق اليه . وليس لأمر الله دافع ولا لحكمه مانع . وقد ريت هذا الشهريار الذي هو عندى ، وأدبته وهذبته . والملك إن حلف لى وبسط عذرى واغفر سيئاتى فأنا بين يديه بالبدن والروح ، وبما أملكه من الأموال والكنوز . ولما وصل الكتاب الى كشتاسب حضر بشوتن وشهد عنده بصدق رستم فيما قال . فعفا الملك عنه وتجاوز عما بدر منه ، وأجابه عن كتابه بحبلا فيه ما جرى على إسفنديار ، على غير الزمان وتماريه . وقال فيه : إن بشوتن صدّك في مقالك ، وقد عفونا عنك وغفرا لك . وأنت لدينا مكرم كما كنت بل أكثر ، وأثير كاللدى من قبل بل أثر . ولك الحكم على بلاد الهند وقنوج . وإن استردت زدناك .

قال : ثم إن بهمن ترعرع وكبر حتى فاق الملوك أبهة وجلالة . فأشار جاماسب على كشتاسب باستدعائه وجعله وليّ عهده ، لما أدركه من طامه أن السلطنة ستصير إليه من بعده . فاستصوب الملك ذلك ، وكتب إلى رسم كتاباً يأمره فيه تجهيز بهمن وإخاذه إلى حضرته . وكتب إلى بهمن كتاباً أتريأمره فيه بالمبادرة . فاعذله رسم ما يحتاج إليه أولاد الملوك ويليق بهم ، وجهزه إلى حضرة كشتاسب . فلما وصل إليه سر يقاظه ، وأظهر الاعتداد بقربه ، وسماه أردشير فعرف به . واستحنه فوجده فارساً كنياً شهماً ذكياً فهما عالم فطنا عابداً لربه سبحانه وتعالى . وكان طويل النجاد طويل اليد ، إذا انتصب قائماً وأرسل يديه تجاوزت أصابعه وركتيه بمقدار قبضة . وكان لا يفارقه ولا يصبر عنه ساعة ، ولا يطيق البعد عنه لحظة .

ذكر مقتل رسم

قال صاحب الكتاب : كان عند أحمد بن سهل بن ماهان بمرور رجل كبير طاعن في السن يسمى سروا . وكان ينتسب إلى سام بن نيرم . وكان حَفَظَةً لأحوال آبائه وأخبار أسلافه فحكى أنه كان لزال بن سام جارية مغنية فقبلت منه فولدت ابناً يسمى المنظر مهيب الرواء كأنه سام بن نيرم . فسربه أبوه واعتده لظهوره قوة ومن تصاريف دهره جنة . فاستحضر المواعدة والعلماء والمنجمين فحضرُوا بكتبهم وزيجاتهم فنظروا في طالع المولود فوقفوا على سر الفلك في طامه وما كتب من هلاك أخيه على يده . فجعل بعضهم ينظر إلى بعض . ثم قالوا لزال : أيها البهلوان الجليل ! لا تنتظر إلى هذا المولود بعين المحبة فإنه إذا بلغ مبلغ الرجال أهلك نسل سام بن نيرم ، ويبدد شمل هذه العشيرة ، وملأ أرض

§ حذف المترجم هنا أبياتاً في مدح السلطان محمود ، يعيننا منها هذه الشذرات :

”إن بقيت في هذه الدار الحائلة ، وهذاني العقل والحكمة ، أنيت هذا كتاب الماضين ، وتركت لي ذكراً في الآخرين ، باسم محمود ملك العالم الكبير ، أبي القاسم نغر التاج والسرير ... أخذ الضعف بعين وأدق ، وأمنى الفقر والكبر على . وكذلك قيدي الحظ الجائر ، وعلى من السنين الكزة والجلد العائر . أرتل الحمد ليل نهار ، لملك الأرض العادل المختار . وأرى الناس مع حامدين ، إلا لثيم التجارسي الدين . فهو منذ استوى على العرش الأغمر ، أطلق باب العدا غل يد الشر ... أعجل له ذكراً على الزمان ، لا يزول ما بقى إنسان . بهذا كتاب الملوك السالفين ، وسجل الأكابر والأبطال الغابرين . واني لمرتقب بتخليد ذكراه ، أن أقال الدينار من عطايه . حتى يبقى لي بعد الموت أثر ، من كثر ملك الملوك الأكبر“ .

سجستان شرا وقتنة، وتنص على كل أحد عيشه . ولا تطول مع ذلك مدته، وتذكره على القرب شقوته . فعظم ذلك على زال وتنفس الصعداء . والتجأ الى الله تعالى وفوض أمره اليه، واعتصم بحسن الظن فيه، وسماه شغاذ . وكان يريه حتى شب فنفذه الى ملك كابل قترعرع عنده وصار كالنخل الباسق والليث الباسل . ففتّس فيه ملك كابل استعداداه للتقدم لما رأى فيه من الأبهة والجلالة فزوجه ابنته اعتضادا بمكانه واستظهارا به . وكان رسم يأخذ كل سنة من أهل كابل ملء مسك نور ذهباً . وكان ظن صاحب كابل أنه اذا صاهر شغاذ ترك رسم ذلك الرسم . فلما كان وقت أداء الخراج طالبه رسم على الرسم المعلوم، وأجحف بأهل كابل حتى أدوا الإتاوة المهدودة . فعظم ذلك على شغاذ فأمره في نفسه، وخلا بصهره وقال : اذا كان هذا الأخ لا يحترمني ولا يستحي مني فأيس على مراعاته، وهو وأجنبي آخر سيان عندي . والرأى أن نحتال عليه ونكرهه حتى نتكبر منه . فأخذنا يفكران في وجوه الحيل وأسباب المكر، ونسيا قول القائل : من حفر حفرة لأخيه وقع فيها^(١)، وإن من يروما يربه . وقعدا ليلة يفكران في ذلك من أولها الى أن بزغت الشمس . فقال له شغاذ : الرأى أن تعمل دعوة عظيمة يحضر فيها جميع أكابر كابل، وتجلس للشراب بين المعازف والمزاهر، ثم تستنى على رموس الأئمة، وتامر بإنراجي ذليلاً مهاناً حتى أجعل ذلك سيلاً الى الخروج الى زابل وأشكوك الى رسم، وأذكرك عنده بفساد السرية ودخل الطوية، وأحمله على قصدك وارتفاع الملكة من يدك . وأما أنت فاعمد الى متصيد في طريقه، واحفر فيه جباً على قدر رسم ورخشه، واغرز في قعر تلك الجباب نصولاً محددة وحرباً مؤلة ثم غط رهوسها . وإياك أن يطلع على بعض هذا السر أحد . فتوافقا على هذا الرأى . ثم إن ملك كابل جلس يوماً للشراب واستحضر جميع أمراءه وأكابر مملكته، وحضر شغاذ . فلما دارت الكؤوس، وطابت النفوس أخذ شغاذ يفخر بأبيه ويتجفع بأخيه . فصاح به الملك وقال : أقصر عن هذا الكلام فليست من شجرة

= وقصة رسم وشغاذ في الشاهنامة فيها العنوانات الآتية :

- (١) الفاتحة وفيها مدح السلطان محمود . (٢) رسم يذهب الى كابل من أجل أخيه شغاذ .
- (٣) حفر ملك كابل آباراً في المتصيد، وسقوط رسم وزواره فيها . (٤) رسم يقتل شغاذ ويموت .
- (٥) سماع زال بموت رسم وزواره، وإحضار فرامرز تابوت أبيه، ووضعه في القبر .
- (٦) فرامرز يقود جيشاً ليثار لأبيه ويقتل ملك كابل . (٧) رذابه تتوله حرتاً على رسم .
- (٨) كشتاسب يستخلف بهمن ثم يموت .

(١) ك : وهو الأجنبي سيان . (٢) ك : من حفر لأخيه نلياً أرضه الله فيه قريبا .

دستان بن سام . وإن رسم ليستكشف من أخوتك ، وكذلك دستان يأتف بتوتك . وأطال النفس في هذا النوع من الأذى . فانتظار شغاذ وخرج من المجلس متوجها الى زابل . فلما اجتمع بأخيه سايله وقال : كيف حالك مع الكايل ؟ فقال : إنه كان قبل هذا يرعى جانبي ويمتدني . والآن فقد تغير عما كانت عليه حتى جفاني على رعوس الملاء ، وفعل وصنع . وأغرى رسم به وحمله على قصده . فسار في جيش نحو كابل . فلما قرب منها أرسل شغاذ الى صهره يأمره باستقبال رسم والتصل اليه عما عرف به . فلقى رسم ولما دنا منه رمى من رأسه شارة هندية كانت عليه ، وزرع خفيه ، وهوى بوجهه الى الأرض بين يديه ، وسعى في ركابه حافيا حاسرا ، وجعل يستقبل العثرة التي صدرت منه في حالة السكر . فعفا عنه رسم . ثم نزل في بعض نواحي كابل عند ماء وخضرة وأرض طيبة . فقدم اليه ملك كابل أنواع الأطعمة ، وأحضره الشراب والمغانى . ثم قال لرسم : ^(١) إن لنا هاهنا متصيذا ملووا يعافير وغزلانا . فإن نشطت نهضنا اليه . فوقع ذلك من رسم موقع الارضاء ، وجبب ذلك اليه محوم القضاء . فتهلل وجهه وارتاح للصيد فأمر بإسراج الرخش . وشد عليه عدته وركب ومعه أخواه زواره وشغاذ وجماعة من الخواص . فساروا حتى وصلوا الى ذلك المريج الذي حفر فيه الحفائر . فجعل الرخش يشم التراب ويرتاع ، ويتروى بمضه الى بعض ويشب ، ويمحش الأرض بمخافه . فضجر منه رسم وضربه بالسوط ضربة وثب منها فوقع به في حفيرة من تلك الحفائر فتمزق بطنه وخصرته بما فيها من الحراب والنصول . وأصاب رسم أيضا فأسرعت في صدره وسائر جسده . ووقع زواره في حفيرة أخرى . فاجتهد رسم وتحامل حتى خرج من تلك الحفيرة ورمى بنفسه على شفيرها ممزق الصدر مشخا بالجرارات . فنظر في وجه أخيه شغاذ فلم أن ذلك من فعله وخبثه . فقال له : أيها الخبيث ! ستندم على ما جررتك على نفسك . فقال : إن تصاريف الزمان قد انتقمت منك لكثرة ما كنت تكل به من قتل الناس وسفك الدماء . وقد انتهى الآن أمرك وتصرم شرك . ثم تصدى له ملك كابل فقال له على وجه الاستهزاء : أيها البهلوان ! ما هذا الذي أصابك في هذا التصيد ؟ أما نجمع لك الأطباء ليعالجوك فطعك تبرا وتصح . فقال له رسم : أيها الخبيث الختال ! أما أنا فقد انتهى زمامي أسوة من مضى من الملوك السالفة مثل جمشيد الى سياوخش . وأنت فلا تبقى بدي إلا قليلا ، وسترد من فذك موردا ويلا . ثم قال لأخيه شغاذ : بعد أن أنقضت الى هذه الحالة ، وصرت بهذه الصفة فأحضرنى قومي مع نسابتين لأؤدو بها السباع عن نفسي الى أن تخرج روحي . فتناول شغاذ قوسه وترها ، وتمدح مدة ثم حطها بين يديه مع نسابتين . فتناولها رسم ففرغ منه شغاذ فترس بشجرة ذئب كانت هناك مجوفة قد أتت عليها

السنون . فرمى رستم الشجرة بإحدى النشابتين فتفتت فيها وخلصت الى شفاذ وخاطته مع الشجرة فتأوه آهة خرجت معها روحه . ففرح رستم وحمد الله على ما يسره له من إدراك تأره بيده وقبل موته . ثم خرجت في الحال روحه . ومات زواره أيضا في الحفرة التي وقع فيها . ولم يسلم ممن كان هناك من الزابليين غير فارس ركض الى زابل وأخبر دستان بما أصاب ولده رستم . فقامت القيامة عليه وعل جميع عشيرته ، وشملهم الصياح والعيول . نفذ فرامرز بن رستم في عسكر كثيف لنقل رستم من مصرعه الى زابل . فلما وصلوا الى ذاك الشجر الخسرواني حلوا عنه المنطقة الكيانية فخطوا بجراحاته وعضلوه ، ووضعوه في تابوت من الساج . واستخرجوا زواره من مصرعه أيضا ، وحفظوه وكفنوه . ثم استخرجوا الرخش وخطوا بجراحاته وكفنوه في النسياج ، وعلموا له تابوتا ووضعوه فيه ، وحملوه على فيل عظيم . وتوجهوا بالجميع نحو زابل والخلائق تضيح ، والأرض ترجيح لوقع ذلك الرزة العظيم والخطب الهائل الجسم . فعملوا له في بستانه ناووسا عظيما ، ووضعوا تابوته فيه على تحت من الذهب ، وسدوا باب الناووس . ودفنوا الرخش أيضا . وأقيمت المآتم عليه في زابل حتى لا تكاد تسمع في أقطارها غير عويل التوادب ونحيب النوائح .

ثم إن فرامرز فتح باب بعض كنوز أبيه ، وأعطى العسكر وأرضاهم ، وتوجه بهم للطلب بئار أبيه رستم . فنتلقاه ملك كابل وقامت الجرب بينهم على ساق . ولما وقعت عين فرامرز عليه في القلب حمل عليه في أصحابه الزابليين الموتورين فأخذوه أسيرا وعاد به الى معسكره . ووضع السيف في أصحابه حتى أتى على أكثرهم جرحا وقتلا . وقبض على أربعين نفسا من أقارب ملك كابل . ثم جاء به الى ذلك المنصيد وساخ من جلدة ظهره مثل وتر فملقه به منكسا في بعض تلك الحفائر . وأحرق أقاربه هناك . وعمد الى الشجرة التي تستريح شفاذ فوضع فيها النار فأحرقها واحترقت جثة شفاذ معها أيضا . ثم وضع السيف في أهل كابل حتى لم يبق منهم أحد . ثم انصرف وعاد الى مملكته وجلس في عزاء أبيه . وتعمدى المآتم على أهل سجستان الى تمام سنة كاملة . ولم يزالوا فيها في ثياب الحداد وملابس السواد . وعظم الرزة على رذابه أم رستم حتى تذرت ألا تقرب الطعام والشراب حتى تلحق به . فامسكت عن الطعام والمشرب أسبوعا فأظلمت عينها وضعفت ، وزال عقلها . ثم إنهما وثبت ودخلت المطبخ فوجدت حبة ميتة في ماء هناك فذت إليها يدها لتأكلها فحال بعض جواربها بينها وبين ذلك . فحملوها الى إيوانها وأحضروها الطعام فطعمت . وأقلعت عما عزمتم عليه ، وسلمت ورضيت بقضاء الله . وقررت ما كان لها من الحبايا والدفائن على الفقراء والمساكين . وبقيت تدعو الله تعالى لرستم وتساله أن يجعل لجنة مأواه ودار الخلد مثواه .

١٦ - ذكر نوبة بهمن بن إسفنديار، وكانت مدة ملكه ستين سنة §

قال : ولما دنا وقت وفاة كُشتاسب أحضر جاماسب العالم وقال له : لم يطب عيشي منذ قتل إسفنديار ولا يوما واحدا . وقد رأيت تنويص الأمر الى ولده بهمن ، ويكون عمه يشوتن دستور و صاحب سره . فعليك بالسمع والطاعة . ثم أحضر بهمن وسلم اليه مفاتيح الكنوز ومقاييد الخزائن وتنفس الصعداء وقال : قد وليت السلطنة مائة وعشرين سنة ، وقد شارفت الأجل وتصرم عمرى . قسّم التاج والتخت عليك بالعدل والإحسان ، وملزمة سبل السداد ، ومصاحبة أهل العقل والرشاد . فلما فرغ من وصيته خرجت روحه . فدفنوه وعقدوا له المآتم على عادتهم . ثم جلس بهمن^(١) على سرير الملك واعتصب بتاج السلطنة قائما مقام كشتاسب .

قلت : قال غير صاحب الكتاب : كانت أم بهمن تنسب الى بنيامين بن يعقوب بن إصحاق ابن إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وكانت زوجته أم ولده ساسان تنسب الى سليمان بن داود عليهما السلام . وتفسير بهمن بالعربية « الحسن النية » . وكان متواضعا تخرج كتبه : من أردشير عبد الله وخادم الله السائس لأموركم . ويقال أنه غزا الرومية الداخلة في ألف ألف مقاتل . وكان فيما قالوا من أعظم ملوك الفرس شانا وأفضلهم تدبيرا . ومن آثاره الباقية القرية المعروفة بهمينيا من الزاب الأعلى ، والأبلة ، وكان سماها حين بناها بهمن أردشير .

١٦ - بهمن §

السادس عشر من ملوك الشاهنامه ، والسادس من الملوك الكيانيين .

وأصل بهمن في الأبتاق "فهو - مانو" أى "الفكر الطيب" . وهو أحد القوى الست (أَمْشَسِيْتَا) التى تلى إله الخير أهرامزدا . ويسمى اليوم الثانى من كل شهر من الشهور الفارسية باسم بهمن لأنه الملك المسيطر عليه . وفي الأبتاق فصل مسمى باسمه . وله في أدعية الثلاثين يوما (مى روزه) دعاء أوله :

"تقرب الى فهو - مانو ، الأَمْشَسِيْتَا ، تقرب الى السلام الودود النفس ، والذي هو أقوى على الإهلاك من المخلوقات الأخرى كلها" .

وفي عهد بهمن يزيد التشابه بين ملوك الشاهنامه والأكيين الذين يعرفهم التاريخ . فالتشابه بين بهمن أردشير وبين الملك الخامس من الأكبيين الذى يسميه اليونان أرتاكزيس (Artaxerxes) =

(١) كلمة « بهمن » من ط . - (٢) أفتاء ، ج ٢ ص ٦٣

(١٢٥)

قال الفردوسي : ثم إن بهمن لما تمكن من الملك فوق على عساكره أموالا وافرة وأباحهم ذخائر كثيرة . ثم جلس ذات يوم في حفل عام ، واستحضر جميع وجوه أصحابه وأمرائه وقواده ، وقال لهم : إنه لا يخفى عنكم حال إسفنديار وما عمل به رسم وأبوه الساحر . وابنه فرامرز متصف بعداوتنا في السر والعلن . وأنا تمتلئ القلب من الهم والحزن . ومالي هم إلا بإدراك نار أبي وإخوتي الذين قتلوا بزابل . وكل ولد كان من الماء الطاهر سلك مسلك أفريدون حين اقتص من الضحك بجمشيد ، ومنوچهر حين اقتص لا يرج من قتله ، وكيسرو حين اقتص لسياوخش من أفراسياب ، وفرامرز حين اقتص من ملك كابل لرسم . والآن أنا أولى الناس بالانتقام لإسفنديار الذي لم ير فارس مثله في الأرض . فماذا ترون وماذا تقولون ؟ فرفعوا أصواتهم وقالوا : نحن عبيدك المخلصون . وقلوبنا مملوءة بمحبتك ، ونفوسنا مجبولة على طاعتك . وأنت أعلم بالرأى والتدبير . فافصل ما ترى فتحن لك تبع . فلما سمع منهم ذلك الجواب ازداد حقه توجها ، وأمرهم بقصد سجستان . فاستعدوا لذلك ، وارتحل في مائة ألف فارس ، وسار حتى نزل على هيرمند فأرسل إلى دستان وأعلمه أنه قد جاء طالبا لثأر أبيه وإخوته . فرد إليه في الجواب : إن الملك أعلم بحال إسفنديار وما جرى بينه

= أين وأقوى مما بين كُشتاسب ودارا . ويرى مؤلف باستان نامه ، ويوافقه مول (Mohl) ، أن بهمن أردشير هو أرتزركس . ويقول نولدكه (Noldke) أن الإيرانيين سمعوا بأرتزركس من بعض المؤلفين السريان الذي كان ينقل عن مؤرخي اليونان ، فادعوا أنه بهمن . وكان الأول يلقب عند اليونان "طويل اليد" فترجموها ولقبوا بها الثاني فقالوا "دراز دست" .

ويؤيد قول الأستاذ نولدكه أن البيروني يلقب بهمن بكلمة مقروشر ، وهي الكلمة اليونانية . ويفسرها بطويل اليد . ولا يلقب بالكلمة الفارسية .

ويرجح أن بهمن هو أرتزركس المسائل الآتية :

(١) اتحاق الاسم واللقب في الفارسية واليونانية . فإردشير هو باللغة القديمة أرخشِيرشا وقد حرفها اليونان إلى (Artaxerxes) . ودراز دست هو معنى (Longmanus) التي لُقِب بها هذا الملك عند مؤرخي الغرب ترجمة للكلمة اليونانية . والكتب العربية كذلك تكتبه طويل اليد أو الباع . وتفسره بنفوذ أمره وبعد مغازيه .

(١) ط : اهتمام . (٢) أظن ص ٢٢٦ حاشية . (٣) الحاشية الإيرانية ص ٢٢

(٤) انظر الطبري ، ج ٢ ص ٤٣ ، البيروني ص ٣٧ ، وحزق ص ٢٨

وبين رسم، وأنه كان أمرا محتوما وقدرا مقدورا. فعند عليه حقوق رسم على آباءه عامة وعليه خاصة إذ كفله ورباه حين فقد أباه . ووعد، إن كف عنه، أن يعطيه جميع ما احتوت عليه يده من الكنوز والخزائن والدفائن الطارف منها والتالد . فلم يقبل بهمن ذلك منه وتوغل بمجستان . فلقاه زال ولما قرب منه ترجل ومجد لديه وعفر لحيته البيضاء في التراب بين يديه . ثم قال : أيها الملك ! إن هذا وقت الرحمة وأوان الرأفة . اذكر سؤالي حقوقنا وسوايق خدمتنا ، وأخرج من قلبك الداء الدفين ولا تنزع بالتأثر ناسا مقتولين . وارحم عجز دستان بن سام ووقوفه هكنا ضارعا ذليلا بين يديك . فغضب بهمن من كلامه، وأمر به فقيده وحبس، ولم يسمع فيه شفاعة أحد من أصحابه . ثم استخرجوا من قصور دستان وكنوزه أحمالا من الذهب والجوهر والمسك والعبر واليخا والمناطق والملابس والمفاشر وغير ذلك من الخليل والأساحة وسائر ما اقتناه رسم مدة عمره، واكتسبه من الملوك الماضين الى آخر عهده . ثم أطلق أيدي أصحابه في الأسر والنهب في جميع نواحي زابل . وبلغ الخبر بذلك الى فرايرز وهو في ناحية بُست . فركب في عساكره وجنوده يريد قتال بهمن . فلقاه بهمن والتقوا في موضع يقال له كورابذ . فقامت الحرب بينهم على ساق ، واتصل القتل والقتال فيما بينهم الى تمام ثلاثة أيام بليالين . ولما كان اليوم الرابع ثارت ريح عاصف في وجه فرايرز وأصحابه ،

= (٢) وقول البيروني عن بهمن أردشير أنه ابن أخشوريش .

وأظن أخشوريش هو خشيشا أي إكزركس (Xerxes) فاردشير بن أخشوريش يقابل ارتزركس ابن إكزركس .

(٣) وقول المسعودي عن أبقراط : "كان قبل الاسكندر بقریب من مائة سنة ، في أيام أرطخشست من ملوك الفرس الأولى . وأرى أنه بهمن بن إسفنديار بن كيشتاسب ابن كيهراسب . وقد ذكر ذلك جالينوس الخ" . وأرطخشست هو ارتخشتر أو ارتخشيشا أعني ارتزركس . وقد حكم ما بين سنتي ٤٢٥ و ٤٦٥ وذلك قبل الاسكندر بقریب من مائة سنة كما يقول المسعودي .

(٤) . وقد أدرك بعض الكتاب شيئا بين حوادث رسم وإسفنديار وبهمن كما ترويه الشاهنامه ، وبين ما عرف في التاريخ من قتل ارتبانوس قائد حرس إكزركس بإياه ، وتوليته ارتزركس مكان أبيه ، ثم بطش هذا بارتبانوس . كما قتل رسم إسفنديار وربي ابنه بهمن حتى ولي الملك ثم بطش بهمن بأسره رسم^(٤) .

وكانت عليهم دبور الأدبار، قنع بهمن الرمح الثائرة، وحمل بأصحابه على صفوف فرامرز، ووضعوا فيهم السيف فولوا الأدبار فلم يبق منهم غير فرامرز . فإنه ثبت في مستنقع الموت مع عدة من أسود رجاله ، وما زال يضرب بالسيف حتى أسر . حمل الى بهمن فأمر به فصلب وهو حي ثم رشقوه بالسهم حتى مات .

قال : ثم إن يشوتن عم بهمن أتاه ، وهو موجه القلب من قتل فرامرز وما جرى على دستان ابن سام ، فقال : إنك قد أدركت ثار أبيك ، وبلغت في ذلك غاية أمانيك . فأقل من هذا النهب الذريع والقتل الشنيع ، واستشعر الخوف من الله عز وجل ، وانظر الى تصارييف الزمان وما صنعت بإسفنديار حين قصد زابل ، ورستم بن دستان حين يم كابل . ولا تؤذ أحدا ينسب الى أصل كريم ، ويتقى الى بيت قديم . وإن دستان بن سام بن زريمان إن دعا الله عز وجل عليك ، وردة الحكم فيما بينك وبينه اليه لأثرفك وإن كنت قوى الطالع على النجم صاعد الجحد . ثم إن هذا التاج لم يصل اليك إرثا عن أبيك وجدك . وإنما حصل لك بسبب رستم الذي

= على أن في الكتب العربية أن بهمن هو كورش أو أنه الذي أمر كورش برد الاسرائيليين الى بيت المقدس ، الى غير هذا من الخلط واللبس . ويقول المسعودي في الاشراف : ^(٣) والامرائليون يزعمون أن بهمن يسمى باقتم في كتب أخبارهم كورش . وفي الطبري ومروج الذهب والأخبار الطوال وغيرها أن أم بهمن من نسل طالوت وزوجه من ذرية سليمان . وهذا مثال من اللبس بين أساطير الفرس والساميين .

ثم أولاد بهمن ، كما في فارس نامه والطبري ، هم ساسان ودارا ونحاي وفرنك وبهمن دوخت . ومن آثاره ، فيما زعموا ، مدينة آباد أردشير وهي همينيا ، وبهمن أردشير وهي الأبله ، وعمارة هرة وهمدان وعسكر مكرم ^(٤) .

ثم أخبار بهمن موجزة في الشاهنامه ، كما يرى القارئ ، ولكن سيرته نظمت مطولة جدا في كتاب من كتب الحماسة التي نظمت بعد الشاهنامه اسمه بهمن نامه .

وقصته في الشاه ١٦٧ بيت فيها المناوين الآتية :

(١) انتقام بهمن لإسفنديار . (٢) بهمن يكل زالا . (٣) بهمن يقاتل فرامرز ويقتله .

(٤) بهمن يطلق زالا ويعود الى إيران . (٥) بهمن يتزوج ابنته هُمَي ويحملها ولية العهد .

(١) ط : فكانت . (٢) ط : من . (٣) ص ٢٠٠ . (٤) أنظر الطبري وفارس نامه وأوراق أسبوية .

قزوه بالسيف على كيقباد ومن بعده من الملوك . فاقب الشر من قلبك ، وأطلق هذا الشيخ الكبير من حنك . « فادرك بهمن الندم ، وأطلق دستان وأمر العسكر بالإمساك عن القتل والنهب . ثم رجع عائدا إلى إيران ، وأقام في مستقر ملكه ينهى ويأمر ، ويعلى ويمنع . وكان له ابن شجاع يسمى ساسان ، وبنت تسمى هُمای ذات رأى وعقل ، وكانت تلقب جهرآزاد . فبنى بها أبوها بمقتضى الملة الفهلوية ، وكان يحبا لفرط حسنها وجمالها . فحملت منه وضعفت ونحفت . فعظم ذلك على بهمن حتى أمرضه . وازداد مرضه فاستحضر ابنه هُمای ، واستدعى الأكابر والأعيان ، وقال : إني قد فوّضت الأمر إلى ابنتي هُمای ، وعهدت إليها حتى تكون هي بعدى صاحبة التاج والتخت ، والأمر والنهي إلى أن تلد فيصير ذلك لولدها ذكرا كان أو أنثى . فرضوا بذلك .

ثم إن ولده ساسان لما رأى ذلك عظم عليه ، وحار في أمره وملكه ألم فترك أباه وهرب وصار إلى نيسابور فترّج بها بعض بنات أكابرها . وكان يكتم أمره ولا يمتزف أحدا بنسبه . فحملت منه زوجته وولدت ابنا فسماه ساسان أيضا . ثم مات هو بعد زمان يسير . فترعرع ولده ساسان وكبر فلم يصادف عنده ما يزيج به وقته فأحوجه الفقر إلى أن صار راعيا لصاحب المدينة يرعى بين تلك الجبال والشعاب . فيقال هو جد الساسانية . وسيأتى تمام خبره من بعد .

§ ١٧ — ذكر نوبة هُمای جهرآزاد بنت بهمن بن إسفنديار^(١)

وكانت مدة ملكها ثلاثين سنة

قال صاحب الكتاب : وبعد بهمن جلست ابنته هُمای على سرير الملك واعتصبت بالتاج ، ووعدت الخلق بالعدل والإحسان ، وقالت : بارك الله لنا في الملك ، وجعل أفعالنا أفعال خير ، ولا أرى أحدا منا سوءا .

§ ١٧ — هُمای

السابعة في الملوك الجكيين ، والسابعة عشرة من ملوك الشاهنامه . وقد تقدّم في فصل كُشتاسب ذكر هُمای ابنته التي تزوّجت أخاها إسفنديار . وتسمى هُمای ونحمانى وتلقب جهرآزاد . وفي مروج الذهب أن ذلك اسم أمها .

ثم في قصة هُمای الملكة — كما رأى ورزق^(٢) — شبه بأسطورة توت عن سميراميس ، رواها كيتسيا الذي كان طبيبا عند ملوك الفرس بين سنتي ٣٩٨ و٤١٧ ق م .

(١) حل : بهمن إسفنديار . والتصحيح من طا . (٢) Warner) ج ٤ ص ٢٩٣

ثم إنها ولدت ابناً فأخفته من الناس، وأظهرت أن ولدها مات بعد أن وضعت، مصنّة بالسلطنة . واستأثرت بالملك والأمر والنهي، وجندت الجنود . وأطاعها الملوك وأصحاب الأطراف رغبة ورهبة . ولم يكن لها شغل إلا نشر العدل، وملاحظة أحوال الرعية، ومعاملتهم بالحسنى والرفقة . قال : وكان ولدها كأنه كُشْتاسب في صورته . فلما أنت عليه ثمانية أشهر أمرت فصنعوا له صندوقاً وبطنوه بالديباج والحرير، ووضعوا فيه جملة من اللائق والجواهر والذهب . ووضعوا الصبي فيه، وشدّوا على عضده جوهراً نفيساً له قيمة، وأطبقوه عليه وأوثقوا رأسه . وأمرت به فأتى في الغرات في أوّل الليل فكان طول الليل يمر في مثل حال السفينة ترفعه الأمواج وتخفضه . فلما طلع النهار وقع إلى ساقية ضيقة كان يأتيا كل يوم قصار ينسل فيها الثياب . بقاء القصار على عادته فوجد ذلك الصندوق فأخذه وفتح رأسه فرأى طفلاً كاقمر متوماً بين الذهب والجواهر . فسره وردّ رأس الصندوق وغطاه بنباه . وكان قد مات له ابن في تلك الأيام، وهو موجع القلب بسببه . ففسل الثياب، وبجّل وحملها مبلولة مع الصندوق، وعاد مسرعاً إلى بيته فبشر زوجته وقال : عوضك الله من ولدك خيراً منه مع أموال وافرة وجواهر فاخرة . فكشفت المرأة رأس الصندوق فبهت لما رأت من حسنه وجماله فأخذته فضمته إلى صدرها وألصقته ثديها . فسما القصار داراب

= وقد أوجرها ديدور . وخلاصتها أن أم سميراميس ألقتها في الجبال حين ولدتها ففدتها الحمام . ثم عثر عليها بعد سنة رعاة ملك آشور . فأخذها رئيس الرعاة سمّاس وتبناها وسماها سميراميس . فلما كبرت رآها أنس وإلى سورية من قبل الآشوريين فأحبها وتزوجها وولدت له ابنين . ثم أحبها ملك آشور نينوس فاتمخر زوجها وولدت له نيناس . فلما مات الملك خلفته على العرش وامتد سلطانها . وبنّت مدينة بابل ومصانع أخرى . ولما بلغت الثانية والستين من عمرها، بعد اثنتين وأربعين سنة من ملكها، ولت ابنها مكانها واتمخرت هي أو انقلبت حمامة ولحقت بسررب من الحمام .

يرى ورزان في قصتي همای وسمیرامیس تشابهاً : في كلتا القصتين طفل يرى ثم يعثر عليه . ومملكة تخلف زوجها على العرش ثم تخليه لابنها . وولتا الملكتين مولودة بتشديد الأبنسة العظيمة . ثم يروى المسعودي أن أم همای كانت يهودية أى سورية . هذه أوجه التشبه التي رآها ورز . وأنا أزيد عليها أن "همای" عند الفرس اسم طائر إذا وقع ظله على إنسان صار ملكاً . فهذا يقابل انقلاب الملكة حمامة في قصة سميراميس . ثم حمزة الأصفهاني يقول أن همای اسمها شميران . والقزويني =

لأنه وجده في الماء (١)، وقام بتريته. ثم إنه قال ذات يوم لزوجته: إن بقيت هذه الجواهر عندنا هكذا مكتومة فسواء هي والتراب. والرأى أن نهاجر إلى مدينة لا يعرفنا فيها أحد فتمكن من الانتفاع بهذه الجواهر. فارتحل بزوجته ولقيطه وأداته، وصار إلى بلدة أخرى. فكان يبيع من تلك الجواهر وينفق على نفسه وعلى الصبي. فصرع وشب، وكان يخرج ويلعب مع الصبيان ويصارعهم فيقلب الكل. فضجر القصار من يده (ب) وحمله الكارة وألزمه القسارة. وكان كل يوم يهرب من يده، ويطلق عليه شغله، ويدور خلفه في طلبه فيصادفه وهو في الصحراء ويبيده القوس والنشاب فيجفوه ويصبح عليه، ويأخذ منه قوسه. فقال له ذات يوم: يا أبا! قد علمتني كتاب الزند فسلمني إلى من يعلمني طرفا من الأدب. فاني إذا فرغت من ذلك اشتغلت بصناعتك ولم أخرج من طاعتك. فسلمه إلى بعض المؤدبين فتعلم الأدب حتى برع فيه. فقال له ذات يوم: اعلم أنه لا تنجى مني القسارة ولا حل الكارة فسلمني إلى من يعلمني الفروسية فاني لأصالح لغيرها. فاختار القصار رجلا بصيرا بأداب الفروسية وأنواعها فسلمه إليه. فكث عنه زمانا طويلا حتى تعلم منه جميع آداب الفروسية وصار يجيئ إذا جال في الميدان فاق جميع الأقران. نغلا يوما بالقصار وقال: إني مخبرك بأمر كنت أخفيه عنك؛ اعلم أني لست أجد في طبعي وقلبي ميلا وتزوعا إليك. وليس بيننا مشابة

= يقول أنها كانت تسمى سمرة. وفي شميران وسمرة شبه بسميراميس. ثم الشاه تجعل حكم همای قبل اسکندر بستة ونمسين عاما. وذلك قريب جدا من العهد الذي عاش فيه كتيسيا في بلاد الفرس. ومن آثار همای، فيما زعموا، ثلاثة إيوانات: أحدها وسط مدينة اصطخر والثاني على المدرجة التي يسلك فيها من اصطخر إلى خراسان، والثالث على طريق دارا يجرد على فرستين من اصطخر. ويقول حمزة أن هذه المصانع تسمى بالفارسية هنارستون (الف عمود) وأن باصفهان رستاقا يسمى تيمره من آثار همای. وفي فارس نامة أنها بنت جربادقان^(٢).

ثم قصة همای في الشاهنامه ٣٢٠ بيت فيها هذه العناوين:

- (١) همای تترك ابنها في صندوق بنهر الفرات. (٢) تربية القصار داراب. (٣) سؤال داراب امرأة القصار عن نسبه، ومخاربه الروم. (٤) رشواد يعرف أمر داراب. (٥) حرب داراب وجيش الروم. (٦) همای تعرف ابنها. (٧) همای تجلس داراب على العرش.

(١) معنى «دراب» بالفارسية «في الماء».

(ب) كذلك في نسخ الترجمة. وفي الشاهنامه: من ضله.

(١) حمزة ص ٢٨ ونزهة ص ٦٨ (٢) الأخبار الطول ص ٢٩ والطبری وحمزة.

وانى آتف من الانتساب اليك والعمود على الدكان بين يديك . فاصدقنى عن حقيقة حالى معك . فصاح عليه القصار وسففه فيما قال . وقال : إن كنت تجحد فى قلبك من الانتساب إلى شكا فسائل أمك حتى تخبرك من نجلك^(١) . فسكت على ذلك . ثم إن القصار خرج ذات يوم فى شغلله . فأغلق الباب على زوجته وسل عليها السيف وأوعدها وتهدها وقال لها : اصدقينى عن حالى ، وأخبرينى عن أصلى ، وبالسبب الذى أصارنى الى بيت هذا القصار . نخافت وسألته الأمان وأخبرته بالحال وحدته بمحدثه وحديث الصندوق والجوهر والذهب . فأطرق مليا مفكرا ثم قال لها : وهل بقى من ثمن تلك الجواهر شئ . أشتري به مركوبا ؟ فأعطته قدرا من الذهب فأشتري فرسا وعدة رنة رخيصة .

وكان لتلك الناحية مرزبان فقصده وأتصل بخدمته . وأتفق أن عسكر الروم غزوا تلك الناحية فملكوها ونهبوها وقتلوا المرزبان الذى كان عليها . فأنهى ذلك الى هُماى ملكة العالم فجذرت لغتال الروم إصهبذا يسمى رشتواذ^(٢) وكان ذا شرف صميم وبيت فى الإصهبذية قديم ؛ وضم إليه المساكر . وقصده داراب وأتصل بخدمته ، وأثبت كاتب الجيش اسمه فى جريدته . ثم إن الملكة هُماى أمرت رشتواذ بمرض الجيوش ، وركبت ونحجت بنفسها ، فجلس الجيش يمز بها فوجا فوجا . فعبر داراب رافعا على كاهله عمودا بهلوانيا وكأنه قد ملا الميبدان أبهة وبهاء وروتقا وسناء . فنظرت الملكة الى قدته الكيانى وشكله الخمروانى فتحلب تسميا لبنا . فقالت : من أين هذا الفارس ؟ ولست أشك أنه من أصل كريم وبيت قديم . وما هو إلا فارس بطل إلا أن عدته لا تليق به .

قال : فسار الإصهبذ قاصدا قصد الروم . فأظلمت السماء ذات يوم بسحابة وطفاء ذات برق ورعد ووايل وودق ، فنصبوا الخيم ومدوا السراشق . وجعل المطر يتدفق كأفواه القرب ، والحبل تسوخ فى الوحل الى الركب . فأوى كل منهم الى خيمة أو فارة أو نحر كاه ، غير داراب فإنه لم يكن له مأوى يأوى إليه . فرأى هناك طاق ينله قد طال عليه الأبد يريد أن ينقض فالتجأ إليه ونزل تحته وهو مبتل الثياب حليف الاكتئاب . فجلس على التراب قائما بالمتزل الخراب ، وربط فرسه عنده والمطر يفيض فيضا . فعبر الإصهبذ على ذلك الحائط فسمع هاتفا يقول : أيها الطاق المستهدم اثبت مكانك فإن تحتك ملكا كبيرا نجله أردشير . ولا تخف من المطر ، وأحفظ ما تقول لك . وهتف بهذا ثلاث مرات . فتعجب الإصهبذ من ذلك ، ونفذ بعض أصحابه حتى يأتيه بنجر الذى نزل تحت الطاق . فغاء ورأى شابا ذا رواء ومنظر قد أبتسل ثوبه وفرسه ، وهو ممتد على التراب . فأخبر

(١) طا : من الذى نجلك . (٢) فى الشام : رشتواذ بالنون . (٣) طا : ضمت .

الإصبيذ بذلك فأمر بإحضاره . فمادوا إليه وأيقظوه وأعلموه بطلب الإصبيذ له . فقام وركب . فلما استوى على ظهر فرسه وقع الطاق . فجاؤا به الى سرداق الإصبيذ فأكرمه وعلقاه . وأخلوا له خركاهة^(٢) وأوقدوا له بالمندل الرب ناراً وأوسعوه إعظاماً وإكباراً . ولما أصبحوا من الغد وعزم الإصبيذ على الركوب أمر وزيره فقتل إليه دست ثوب وفرسا بعة ذهب ، ومنطقة وسيفاً . وسأله عن أصله ومولده فأخبره داراب بقصة القصار ومبدأ أمره معه على ما سمعه من مرضعته . فنفذ الإصبيذ في الحال فارساً لإحضار القصار وصاحبه مع الجوهرة التي كانت مشدودة على عضد داراب إذ هو في الصندوق . قال : بفعل رشتواذ داراب مقدم طليعته ، وركب ومضى في طريقه ففانصهم طلّاع الروم وألتقوا وجرت بينهم وقعة عظيمة . فقتل داراب منهم خلقاً كثيراً وهزمهم وركب أكتافهم ، وتبعهم يضرب أعناقهم الى قرب معسكر العدو . ورجع الى الإصبيذ مظفراً فشكره وأثنى عليه ودعا له وقال : لا خلت عساكر الملكة منك ، ولا زالت مشدودة الأزر بك . ولما دخل الليل أخذ الإصبيذ في تهيئة أسباب الحرب ، وداموا طول ليلهم في الإعداد والاستعداد للقاء العدو من الغد . ولما اصطبلوا اصطف الجمعان ، وتقدم داراب الصفوف ، ووقع في جيوش الزوم كالذئب الفارث في سائمة الغنم ، والليث اثائر في سائمة النعم . فقلب القلب وفزق شمل الميمنة والميسرة ومعه الآساد الإيرانية يقدمهم وهم خلقه بالعمد الحاطمة والدبابيس القاصمة . فغلبت الروم ونكصوا على أعقابهم ، وصواعق السيوف تحط على رقابهم . فقتل داراب منهم أربعين جاثليقا . وثنى عناه ويده صليهم (١) . ولما أتى الإصبيذ شكره وشكر سعيه ، وحكه في جميع الثنائم ليستصفي لنفسه ما يريد ، ويفزق على الجيش ما يريد . ثم ركب الإصبيذ وتوغل بعساكره بلاد الروم بغاسوا خلاها ودوخوا أقطارها . حتى اضطر قيصر الى الترام الخراج فصالحهم على مال حمل اليهم وهدايا كثيرة أحضرها لديهم . ففعل الإصبيذ ومعه داراب أخذين في طريقهم الأول . فلما وصلا الى مكان الطاق المذكور صادفا القصار وزوجته مقبلين ومعهما الجوهرة . فاستخبرهما الإصبيذ عن حال داراب فسردا عليه خبره من أول يوم وجد الصندوق الى أن انتهى . فبشرهما بالخير ووعدهما بالنفي والأمان من الفقر . ثم كتب الإصبيذ كتاب الفتح الى الملكة ، وذكر فيه أحوال داراب وما شاهد من

(١) هذا بعض أغلاط الشاه . فان هذه المواقف كانت قبل المسيح . ولا ريب أن ما ترويه الشاه عن الفرس والروم في هذا المورد مشوب بما كان بين الآتين أيام الساسانيين .

(١) طا : ولما . (٢) طا : خركاهما . (٣) صل : أوقد . والنصح من طا .

(٤) صل : ضرب . والنصح من طا . (٥) طا : وجدا .

عجائب حاله ، وما سمع من الهاتف بالطاق المنهار ، ثم ما حدثه به القصار وزوجته . ووصف آثار
نكباته في المدوّ في غزوته تلك . وختم الكتاب ونفذه مع تلك الجوهرة الى الملكة . فلما أتاها
الكتاب ووقفت على ما فيه ورأت الجوهرة فاضت عنها بالدموع ، واستعرت نار الشفقة منها بين
الضلوع ، وعلمت أن ذلك الشاب الذي أخذ بقلبها يوم العرض لم يكن إلا ولدا . فحمدت الله
تعالى وشكرته حين ردّ عليها ولدا وقرة عنها ففرقت كثيرا من الكنوز على الفقراء والمساكين وسائر
الناس أجمعين ، وقضت جملة الى بيوت النار ومن بها من الهراينة والموابدة . ثم وصل الإصهيد
بعد عشرة أيام ومعه داراب والأمراء والأكابر . فأنرت الإذن لهم في الدخول إليها متدار أسبوع .
فأمرت أن يعمل لداراب تخت من الذهب ، وكريسان من الفيروز واللازورد ، وتاج مرصع
بالجواهر الشاهية ، وطوق وسواران ، وثوب منسوج بالذهب والجواهر . وأمرت المنجمين
باختيار يوم مبارك للإذن . ثم إنها أذنت فلما دخل داراب تلقته ومعها جام مملوء من الباقوت ،
وجام مملوء من الزبرجد فترتبا عليه ، وضمتها الى صدرها ، وقبلت عينه ، ومسحت بيدها وجهه ،
وأخذت بيده وأجلسته على التخت . ثم جادت بالتاج الكياني وقلبه ووضعت على رأسه ، وبشرت
الناس بسلطته . واعترفت له بالإساءة^(١) إليه ، وقالت : سكر الشباب ، وحب الأموال ، وموت
الوالد ، وعدم ذى رأى في الملكة يرجع اليه — أمور اجتمعت فحملتني على ما سبق مني اليك . وجعلت
تعتذر اليه وتستقبله العثرة . فرضى عنها داراب . فاستحضرت موبذ الموبذان وجميع الأكابر
والأمراء فحكّت لهم ما سبق منها الى داراب بأثمة بذلك على ربوس الملأ . وأخبرتهم بندامتها على
ذلك . ثم قالت : اعلّموا أنه لم يبق لبهم ولد غير هذا ، وهو وارث الملك ، وصاحب التاج والتخت .
فاتبعوا أمره ، وتقوا بالسمع والطاعة حكمه . فتقبلوا ذلك وسروا بسلطنته ، وثرأ عليه الجواهر
حتى كاد ينغمر فيها . فطابت القلوب ، وانتشرت الصدور ، ونتاجت التهانى والإشائر . فدخل
القصار فيمن دخل على داراب فهناه بالملك الجديد والपाल السعيد . فأمر بإحضار عشرين
الذهب ، وجام مملوء من الجواهر ، وتحوت من أنواع الثياب ، ووهب له الجميع . وقال : أيها
القصار ! اجهد كل الجهد فلعلك تجد في الماء صندوقا آخر يحتوي على طفل مثل داراب .
واتهت عند ذلك غصة القصار ، وأغناه فيض الدرهم والدينار عن مقاساة الماء والنار .

١٨ - ذكر نوبة داراب بن بهمن بن إسفنديار .

وكانت مدة ملكه اثنتي عشرة سنة §

قال صاحب الكتاب : لما جلس داراب على تخت السلطنة ، واحتفل مجلسه بالأكابر والأمرء والأعيان قال : إنا لم نرزق هذه الدولة بسبى ولا جهد بل الله تعالى تفضل بها علينا عفوا . ولم ير أحد أعجب من أمرنا أمرا . فلا تؤدى شكر هذه النعمة إلا بالعدل والإحسان وما يخلد لنا الذكر الجليل الى آخر الزمان . والله تعالى يجعل قلوب الرعية بنا مسرورة وصدورهم بأيامنا مشروحة .

قال : فدخلت الملوك تحت طاعته ، وحملت الإتاوات من الهند والروم وغيرها من الأقاليم الى حضرته . ثم إنه ركب ذات يوم إلى الصحراء يشاهد الخيول السوائم في المروج والرياض فصعد في الطريق إلى جبل عال فرأى تحت الجبل بحرا عظيما . فأمر بإحضار المهندسين من بلاد الروم والهند . وأمرهم أن يشقوا من تلك البحيرة نهرا فامتثلوا أمره . ثم أمر ببناء مدينة كبيرة على ذلك النهر وسماها داراب كرد . وهى معروفة بدارابجرد من بلاد فارس . وبني بها بيت نار . وأسكن المدينة أصحاب الحرف والصناعات .

١٨ - داراب §

الثامن من الملوك الكيانيين ، والثامن عشر من ملوك الشاهنامه . وقد بينت في فصل بهمن أردشير المشابهة بينه وبين الملك أرتخشيش أو أرتكر رِكس الأول الملقب بطويل اليد . فان صدق الحساب وكان بهمن الشاهنامه هو أرتكر رِكس التاريخ أمكن تشبيه داراب الذى يجعله الشاهنامه أبادارا الأخير ، بدارا الثانى الذى ولى من سنة ٢٤٤ الى ٤٠٤ ق م . والذى يلقب «أخوص» . وأوجه الشبه بينهما ما يأتى :

(١) داراب هو ابن بهمن فى الشاهنامه ، ودارا هو ابن أرتكر رِكس فى التاريخ . وقد حسبنا من قبل أن بهمن هو أرتكر رِكس .

(٢) كلاهما ولى بعد أخيه الذى ولى بعد أبيه : داراب بعد أخيه هماغى التى وليته بعد أبيها بهمن ، ودارا بعد أخيه اكر رِكس الثانى الذى تولى بعد أبيه أرتكر رِكس الأول .

(٣) داراب ولى وأخته (أو أمه) حية ، ودارا غصب الملك من أخيه اسمه سفديانوس وقتله . =

(١٢٨)

ولما استقر على سريره بث الجنود في جميع أطراف الممالك ، واستسخر جميع الملوك . ثم إنه نخرج عليه رجل من العرب يسمى شعيب بن قتيب فجمع مائة ألف فارس من أولى النجدة والبأس ، وأبناء الرماح والصفاح . فنهض اليهم داراب في عدد كثير فالتقوا واتصل الحرب بينهم ثلاثة أيام . ولما كان اليوم الرابع انتهزت العرب وقتل شعيب . فأطاعه مائرملوك العرب والزموا أداء الخراج اليه . فنفذ داراب الى بلادهم من يأخذ منهم خراج السنة الماضية مع خراج السنة الحاضرة . وسار من ذلك المعتزك بجوهره وجنوده متوجها نحو بلاد الروم . وكان ملكهم يسمى فيلقوس^(١) فنهض اليه من عمورية في أكابر حضرته وأركان دولته مع عسكر عظيم فالتقوا وجرت بينهم وقتان عظيمتان . ولما كان اليوم الرابع هرب فيلقوس وأصحابه وتركوا جميع ما كان معهم من الخيل والأسلحة والعتاد والعتة ، ومضوا ورماح الإيرانيين في أدبارهم حتى دخل فيمن سلم الى عمورية فحصب بها (١) . وأرسل الى داراب بعض دهاة حضرته مع صندوقين من الجواهر الشاهية وتحف ومباز وممالك وجوار^(٢) يسأله أن يحميه الى الصلح ويمنح معه الى السلم ، ويقول : لما قصد الملك قتلى وتوغل ببلادى وعزم على أخذ عمورية التي هي دار ملكي ومقر عزى لم أجد بدا من ملاقاته وممانته . وبعد أن جرى ما جرى فليعمل الملك الآن ما يليق بكرمه وحسبه ونسبه . قال :

= (٤) داراب ثامن الجانيين ، ودارا ثامن الأكينيين إذا عدنا سفديانوس المقتول .

وكذلك يقول مول (Mohl) أن داراب هو داربوس أخوس . وإن صح هذا فقد حذف الشاهنامه بين داراب (الذى هو دارا لثاني) وبين دارا الأخير ملكين : هما أرتزكر ركن الثاني وأرتزكر ركن الثالث . أى حذف كل من سمي أردشير بعد أردشير الأول أعني بهمن أردشير . وليس يبعد أن يتبس الأمر على الرواة في هذه القصص المملوءة بالخرافات .

ثم داراب لا يذكر في الأستانق فيتم الانفصال بين الكتاب المقدس وبين الشاهنامه في هذا المهد . وقصة داراب في الشاهنامه ١٣٥ بيت تنقسمها العناوين الآتية :

(١) بناء داراب مدينة دارا مجرد . (٢) داراب يهزم جند شعيب . (٣) محاربة داراب فيلقوس ، وتزوج ابنته . (٤) إرجاع داراب ناهيد (بنت فيلقوس) وولادتها الإسكندر .

(١) المعروف في التاريخ أن المقدونيين حاولوا الاستيلاء على آسيا الصغرى أيام فيليب فلم يستطعوا . ثم ارتدوا حين جاءهم نفي فيليب . (سيكس Sykes ج ١ ص ٢٤٥) .

(١) حل : فارس أولى النجدة . وكو : من قبائل العرب أول الخ . (٢) كلمة « كثير » من كو ، طا .

(٣) فيلقوس بالهاتف في نسخ الترجمة . وفي الشام : فيلقوس بالهاء . (٤) حل : ويسأله . والتصحيح من كو ، طا .

فاستحضر داراب عند ذلك أعيان حضرته وأرباب دولته، وعرض عليهم رسالة صاحب الروم، واستشارهم في الأمر . فقالوا : إن الملك أعلم وهو بالرائى والتقدير أبصر . وإن وراء ستارة هذا الملك بنتا في غاية الحسن كأنها الشمس الطالعة، ذات قد كالسرو الباسق، وشعر كالليل الفاسق، وتقر كاللؤلؤ المتناسق . فإن رأى الملك خطبها اليه . فاحضر الرسول وأمره بأن يقول لقيصر : إن كنت تريد ألا ينفك ستر الحشمة من وجه حالك فزوّجني ابنتك ناهيد التي هي وراء سترك، وجهها إلى مع ما تقرر من الخراج . فرجع الرسول بهذا الجواب إلى قيصر فسر بما القسه من المصاهرة، وترددت السفراء بينهما في تقرير الخراج وكتبته . فاستقر الأمر على أن يؤدى إلى داراب كل سنة مائة ألف بيضة وزن كل بيضة أربعون مثقالا من الذهب الأحمر . فقسما قيصر على جميع أمراء الروم . ثم أمر جميع فلاسفة بلده أن يستعدوا للتأهب للخروج في صحبة ابنة . ثم خرجت في مهبها محفوقا بالأساففة يقدمهم سكوبا وهو أعلمهم وأزهدهم . وخلف المهدي ستون جارية بالأكاليل والشنوف، على يد كل واحدة منهن جام من الذهب مملوء من الجوهر، مع عشرة أحمال من الديباج الرومي المنسوج بالذهب والجوهر، وثلاثمائة حل من الملابس والمقارش، إلى غير ذلك من النفائس التي تجلب من الروم . فلما وصلت العروس وسامها سكوبا إلى صاحبها داراب تخى عنانه وعاد إلى بلاد فارس .

قال : فاتفق أن ابنة قيصر كانت ذات ليلة مضطجعة مع داراب في الفراش فتنفست فشم من نكهتها رائحة كريهة فنفرت نفسه منها واهتم بسبب ذلك . فجاءوا بالحكماء والأطباء فعالجوا تلك العلة منها بدواء يسمى الاسكندر في بلاد الروم فنشيت وطابت نكهتها، غير أن تلك الفترة استمرت على قلب داراب . وكان لا يميل إليها ولا يقرب منها، وبلغ به الأمر إلى ردها إلى أبيها . فانهضت مهمومة حزينة وقد احتوت على حمل منه ولم تطلع عليه أحدا . فلما تم لها تسعة أشهر ولدت ابنا قسمته أمه الاسكندر تيمنا باسم الدواء الذي وجدت عليه الشفاء . فلم يظهر ملك الروم أنه ولد داراب، وأظهر أنه ولده . ثم إنه شب وترعرع فكان تظهر عليه الشبائل الخسروانية، وتسمع من منطق المعاني البهلوانية . وكان قيصر يحبه ويؤثره على ولده إلى أن كبر وليس وجهه طوق الشهامة (١)، وطال منه نجاد الصرامة . فجعله قيقوس ولي عهده والقائم مقامه من بعده، وعلمه جميع الآداب الملوكية حتى صار لا يصلح إلا للسلطنة والجلوس على سرير المملكة .

(١) هذه الجملة من إنشاء المترجم، وليست ترجمة عبارة فارسية .

(١) طا : عن . (٢) صل : وكتبها . والصحيح من طا . (٣) طا : كل سنة إلى داراب . (٤) كو : طا : على أمراء . (٥) طا : سكوبا الذي صحبا إلى داراب . (٦) طا : إلى أن ردها . (٧) طا : لم تطلع .

قال : وكان لداراب ولد ذو شكل ومنظر سماه دارا باسمه . ولما مضت عليه اثنا عشرة سنة من ملكه مرض فأحضر أرباب دولته ، وقال : إني قد عهدت الى دارا وجعلته ولي عهدي فاسمعوا له وأطيعوا . ثم مات وصار الأمر بعده لولده .

١٩ - ذكر نوبة دارابن داراب . وكانت مدة ملكه أربع عشرة سنة §

قال صاحب الكتاب : كان دارا هذا ملكا قوى البطش ، صعب العريكة ، ريبض الطبع ، ذلق اللسان ، مهيب المنظر . فلما جلس على السرير^(٢) قال لمن حضر من أعيان الأمراء والأكابر : ألا من خلع ربة الطاعة^(٣) خلعتنا رأسه من جسده . ومن أضمر سوءا أخرجناه بالسيف من خلده . ولست أريد وزيرا ولا مدبرا وظهيرا ، بل أنا الملك والوزير ، والمستشار والمشير . واستحضر الكاتب وأمره فكتب الى كل ملك من أصحاب الأقاليم كتابا كأنه خنجر يكاد يقطر دما مشحونا بالتهديد والإبعاد^(٤) والمحافظة على طرائق السداد والرشاد . ثم فتح أبواب خزان أبيه ، وأطلق أرزاق العساكر ، وفوق لهم شمل الخبايا والذخائر . ثم عرضهم وجعل كل طائفة منهم تحت راية إصهبد أصيل ، وأمير كبير . وفقد كل واحد منهم الى طرف . وأطاعه جميع ملوك الأرض ، وانتالت على حضرته رسل الهند والصين والروم وسائر الأقاليم بالهدايا والتحف والإتاوات والخدم . وبني بالأهواز مدينة سماها

§ ١٩ - دارا

هو تاسع الملوك الجكانيين ، والتاسع عشر من ملوك الشاهنامه . وهو أول ملك تاريخي في الكتاب ، تتفق القصة والتاريخ في اسمه ومعظم حوادثه . ويسمى في كتب الأوربيين دارا كدومانوس (Darius Codomanus) . وقصته في الشاهنامه ٥٩ بيت في العناوين الآتية :

- (١) ملك دارا بن داراب . (٢) موت فيلقوس وجولوس الاسكندر على السرير .
- (٣) مجيء الاسكندر الى دارا في زى رسول . (٤) حرب دارا والاسكندر وهزيمة دارا .
- (٥) الموقعة الثانية بين دارا والاسكندر . (٦) الموقعة الثالثة بين دارا والاسكندر ، وهرب دارا الى كرمان . (٧) كتاب دارا الى الاسكندر في طلب الصلح . (٨) قتل دارا بيد وزيرائه .
- (٩) إيهاب دارا الى الاسكندر وموته . (١٠) كتاب الاسكندر الى أكابر إيران .

(١) طا : من بعده . (٢) طا : سرير الملك . (٣) كو : ربة الطاعة من عنقه .

(٤) كو : والاباد والاذار يأمرهم فيه بسلوك سبيل الطاعة والالتقياد والمحافظة الخ .

زرنوش . وبني بأرض الجزيرة مدينة أخرى واسعة وسماها دارنو . وهي التي تسمى اليوم دارا ، على ما قاله غير صاحب الكتاب .

قال : ومات في عهده قيلقوس صاحب الروم فاضطربت بموته أمور بلاده حتى قعد الاسكندر مقعد جدّه من السلطنة فأصلح الماسد ولم الشعب . وكان في ذلك العهد في بلاد الروم الحكيم سطاطائيس ذو الذكر الشهير . فدخل على الاسكندر (١) . وقال : أيها الملك ! إن هذا التخت قد رأى مثلك كثيرا ، ولا يدوم مع من تسنمه إلا قليلا . وأجهل من تحت السماء من لا يقبل مواعظ العلماء . وإنا من التراب خلقنا وله ولدنا . وعجز بنا أن نميل إليه ونعصر عليه . فإن أحسنت بقي ذكرك ودام ملكك . وإن أسأت لم نحصده غير ما زرعت . وعن قريب تفارق التاج والتخت . وليس يأخذ بيد الملوك إلا الإحسان وبالإسادة يحرم الخير الإنسان . فاستحسن الاسكندر كلامه ، واستغفر فضله . فصار لا يصدر إلا عن رأيه ، ويبالغ في إكرامه حتى يجلسه معه على تخته . فجاءه رسول دارا لطلب الاتاة المعينة المذكورة فعظم ذلك على الاسكندر ، واستشاط من الغضب مسترا كاللهب وقال للرسول : أخبر صاحبك بموت الطائر الذي كان يبيض بيض الذهب . وقل له إنه قد مات وإن حظك قد فات . فارتاع الرسول لجوابه وانصرف محتفيا الى صاحبه . فجمع الاسكندر جيوشه وقرق عليهم ذخائر جده وكنوزه . وأعد واستعد ، وخرج يخفق على رأسه لواء أخضر . فجاء الى مصر ونزل عليها فانفصل الحرب بينه وبين صاحبها أسبوعا فغلب الاسكندر واستأنم الى أكبر أهل مصر وانضموا اليه . فارتحل بهم من مصر قاصدا قصد إيران . فاتهى الخبر بذلك الى دارا فخرج من اصطخر في جنود قد سدوا بالرماح طريق الهبوب على الرياح . وسار حتى نزل على الفرات . ووصل الاسكندر وخيم بإزائه بحيث لم يكن بين العسكرين أكثر من فرسخين . فتنكر الاسكندر وركب في زى رسول واستصحب عشرة من خواصه يعرفون لسان الايرانيين . وكلّ حَوْلُ قُلب . وقصد بذلك أن يقف على حال عدوه عيانا . فأتى خيم دارا فانهى اليه أن رسولا من صاحب الروم قد وصل فأذن له . فدخل وقبل الأرض ومثل قائما ودعا له وقال : إن الاسكندر يقول : إني لم أقصد قتال الملك ولا منازعته في ملكه ، وإن غرضي أن أجوب البلاد ، وأجول في أقطارها وأشاهد عجائبها . ولم أضمر غير الحسنى . فان كنت تضن بتراب أرضك أن أدوسه وتمانني بخيالك ورجلك غير مطلع على ما في ضميري ومصمما على قتالي فانا موافقك على ما تختار . فاختر يوما للاتاة . فلست بالمتنكب عن مقاتلة الملوك وإن كانوا في العدد الكبير والجلم الغفير . قال :

(١) يروي التاريخ أن فيليب دعا أرسطو لتعليم اسكندر حينما بلغت سنة أربع عشرة سنة .

فلما وقف دارا على عقله ورأيه وشهامته وذكائه ورآه كأنه داراب أبوه قاعدا على نخسه في تاجه وطوقه قال له : ما اسمك ؟ وإلى من تنسب ؟ فقد أعجبتني بما أرى فيك من الشماثل الجاينية . وما أظنك إلا الملك الاسكندر (١) . وكأنك لم تخلق إلا للتخت ، ولست تصلح إلا للتاج والطورق . فقال : كيف يقدم على هذا مثل ذلك الملك مع ما خص به من الدهاء والعقل ؟ وإنما هذه الرسالة هو الذي حملها كما تحملت . فأمر به الملك فأزل في موضع يليق به . ثم لما مدوا السباط استدعاه فحضر . ولما رفع السباط جلس للشراب فأخذت السقا في إدارة الأقداح الذهبية . فكانت النوبة كلما انتهت إلى الرسول شرب ووضع القدح في حجره ، ولم يردّه إلى ساقبه . حتى اجتمعت عنده أقداح عدّة . فأعلم الساق الملك بصنيعه . فقال : سلّه عن السبب فيما صنع . فلما انتهى إليه قال له : أيها الشهيديار ! لم تحط هذه الحمامات في حجرك ؟ فقال : هكذا رسم ملوك الروم أن الرسل إذا شربوا عندهم كانت الظروف لهم . فإن كان رسم إيران على خلاف ذلك فرتّها إلى خزانة الملك . فضحك الملك لمقاتته ، وأمر بإحضار جام مملوء من الجواهر الشاهية فوضعه في يده . قال : فاتفق أنه حضر المجلس رجل كان دارا قد أنفذه إلى الروم لطلب الخراج فبطش به الاسكندر . فلما نظر إلى الاسكندر عرفه فدنا من الملك وأطلعته على الحال وقال : إن هذا هو الاسكندر الذي مضيت إليه أطلبه بالخراج فأهانني فخرجت من عنده وهربت . وإنه لإدلاله بقوّته أقدم على هذه الحركة ليعاين أحوال الملك ويقف على كية العسكر . فأكثر دارا عند ذلك النظر إلى الاسكندر . فأحس بذلك وتعبّر إلى أن قرب وقت الغروب فاهتبل غرة الملك ، وقام إلى الدهليز وخرج فركب في أصحابه ونجوا بأنفسهم طردا وركضا . قال : فالتفت الملك إلى مكانه فلم يجدّه فنقذ إلى خيمته فما وجد فيها . فأركب في طلبه ألف فارس فاتبعوا أثره فقاتهم ولم يدركوه وانصرفوا بعد أن شاربوا طلائع الروم . وعادوا وقد قاتهم الملك اليقظان وطرف سعادتهم ناعس وستان (ب) .

قال : ولما طلعت الشمس ركب دارا وعبر الفرات في جيشه أجمع . فصافّه الاسكندر في جنوده يقدمهم فيقول كشمّ الهضاب ودكن السحاب . فالتقوا ودارت رحى الحرب بينهم أسبوعا . ولما كان اليوم الثامن ثارت دبور الإديار فطلعت وجوه الإيرانيين بسجاج أغلش نهارهم ، وأعمى أبصارهم .

(١) في النسخة السريانية من قصة اسكندر أن رسل دارا إلى اسكندر الذين طلبوا منه الجزية ، كما تقدّم ، صوّروا اسكندر وقدّموا الصورة لدارا حيا ربحوا . (ورنر Warner) ج ٦ ص ٢٠ . والشاهد ذكر هذا في قصة نيزانه الآتية .

(ب) في الروايات الأخرى اليونانية والسريانية أن الاسكندر عبر في قراره نهرا متجدا ذاب تلجه بعد أن بلغ الإسكندر الشاطئ ، وغرق حصانه . ولم يستطع القوس إدراكه لذلك .

(١) طا ، كو : فوضره .

فغلبت الروم بعد أن كانت مغلبة ، وانهزم الإيرانيون . فبعثهم الاسكندر في عساكره الى شاطئ الفرات فقتل منهم خلقا كثيرا . وانصرف الى عجمه وقد شرع أمر الروم في الاعتلاء وأخذت نار الفرس في الانطفاء . ولكل أجل معلوم ، ولا يدوم إلا ملك الواحد القيوم .

قال : ففرق دارا رسله في أقطار بلاده ، وطير كتبه الى أطراف ممالكه ، وحشد وحشر خلقا عظيما ، واستأنف الأمر فعاد بعد انقضاء شهر وجبر الفرات . ونهض اليه الاسكندر فالتقوا واصل الحرب بينهم ثلاثة أيام . فقتل من الإيرانيين خلق ، وكانت الدبرة عليهم . فدارت على دارا دائرة السوء فولاهم ظهره ، وركب الاسكندر كالرجم العاصف أثره . وأمر بأن ينادى نداء الأمان في المنهزمين ، وأوعز باستماتهم أجمعين . فاستظل الإيرانيون عند ذلك بظل أمانه ، وتمسكوا بعصم إحسانه . فأقام الاسكندر بعد هذه الوقعة في مكانه ذلك أربعة أشهر . وفرق ما غنم من الإيرانيين على عساكره .

وسار دارا حتى وصل الى جهرم . فاستقبله أكابر الفرس متوجعين لما أصابه فضى الى اصطخر ، وكتب الى أصحاب الأطراف وإلى الأمراء والأعيان يستحضرهم فحضروا فجمعهم في إيوانه . وقال : إن ملوك الروم كانوا من قبل صيدا في أيلينا وأضحوا الآن يصيدونا ، وإنهم كانوا أذل من الثعالب فصاروا كالغور ، وكانوا أعجز من البغاث فعادوا كالصقور . وقد رضوا من قبل أن يتركوا في أطوار انخمول ضارعين فصاروا الآن جبابرة في ملابس القهر رافلين . فإن تماضت متوازين وتظافرت مظاهرين كفينا شرهم ونفينا ضرهم . وكانت عينه في أثناء خطابه تدمع ، وقلبه يكاد يتصدع . فوثب الحاضرون وقالوا : إنا ملاقو عدونا وباذلون جهدنا في الدفاع عن أنفسنا وأهاليها . ونصاب العدو ، ويشد^(١) كل منا ذيله بذيل صاحبه (١) . فأمر دارا بتفريق الأموال والخليل والأسلحة عليهم حتى تجهزوا وأخذوا أهبتهم . فبلغ الخبر الاسكندر ، وهو بالعراق ، باستعاش دارا وارتياشه وإصداه واستمداده . فأقبل الى فارس فاستقبله دارا في عساكر كثيرة لايحويهم المحصر لكنهم قلوا حين خاتمت السعادة وفاتهم النصر . فالتقوا وجرت بينهم وقعة أخرى عظيمة فانهزم دارا أيضا وهرب الى كرمان (ب) . وأقبل الاسكندر حتى استولى على اصطخر التي كانت مستقره ومستقر الملوك الماقيين قبله . فأمر فنادى متاديه : ألا من لاذ بعصمة الأمان ، وآثر الطاعة على العصيان أو طأناه

(١) ترجمة العبارة الفارسية : يقدم دامن بك اندر دكر .

(ب) المعروف في التاريخ أن دارا بعد وقعة إربل فرأى هزانا .

(١) ط : كل واحد منا

بساط النعم ، وأمناء من مخاوف النعم ، وأسونا كلمه ، ورقعنا خرقه . ومن لم يقابل أمرنا بالامتنال
عركناه عرك الرحي للنفال .

وأما دارا فانه لما وصل الى كرمان افتقد من أصحابه مقدار الثلثين . وجمع من حضره من وزرائه
وقال لهم : ماذا ترون ، وبماذا تعالجون هذا الداء العضال ؟ فقالوا : أيها الملك ! اتسع الآن خرقنا
على الزارع ، وغمرت أموال الدواهي والبيوت . وصارت نساءنا وأولادنا في أسر الاسكندر ونحت
يده . واحتوى أيضا على مخدرات الملك وكنوزه وكنوز آبائه الماضيين وذخائر أسلافه الأكرمين . وقد
انفسدت علينا الأبواب سوى باب المسألة والمداراة والرضى بأن تكون مرعبا لا راعيا ، وعكوما
عليه لا حاكما . فكتب اليه في هذا المعنى كتابا تدفع به الشر عنك في العاجل الى أن يفرج الله في الآجل .
ولا يمتنع الملك من مخاطبته بذلك ، ولا يضيّق به جناحه ، فإن من يذكر النار لا يحترق لسانه .
فكتب اليه كتابا مشحونا بالخضوع والضرعة والطواعية والاستكانة . فسأله فيه أن يكف حد
بأسه عنه ويمنح معه الى السلم ، ويعد فيه أنه إن ردّ اليه مخدراته وحرائره سلم اليه دفتان كشتاسب
وذخائره ، ولا يخرج بعد ذلك عن طاعته ، ولا يعدل عما يعود بمظاهيرته ومعاضدته . فلما وصل
الى الاسكندر كتابه كان من جوابه له أن قال : إن مخدرات الملك مستقرات بأصبهان . ومعاذ الله
أن يتعرض لمن أحد ، أو يمتد الى ذخائره من أيدي . وأنت إن نشطت الى الرجوع الى إيران فليس
لك من ذلك مانع ولا دافع ، والممالك كلها لك وبمحكك ، ونحن مطيعون لأمرك . فلما وصل
الجواب الى دارا قضى العجب من تصاريف الزمان ودوائر الحداث ، وقال : أصعب من
القتل عندي أن أشدّ في خدمة الرومي وسطى . وإذا آل الأمر الى ذلك فالموت ولا هذا الصوت ،
والقبر ولا هذا الصبر . وإذا طمأ البحر زاحر العباب فلا موقع عنده لقعطر السحاب .

ثم انه لما عجز عن جميع وجوه الحيل كتب الى فور ملك الهند كتابا يذكر فيه مآداه من الباقية
التي لم تبقى له باقية ، والداهية التي صارت ممتة لها واهية ، ويسأله أن ينجده على أن يحمل اليه من
الجواهر ما يلائم كنوزه ويغني جنوده (١) . فبلغ ذلك الى الاسكندر فركب وطار بجناح الركض الى
كرمان ، فصافه دارا بمن كان معه من أصحابه فانتفضسوا في أسرع من رجع الطرف ولمع البرق ،
واستأمن الى الإسكندر أكثرهم . وهرب دارا في ثمانية فارس .

(١) في الروايات اليونانية والبربرية أن دارا طلب من فور أن يلقاه عند شباب قزوین ، وأنه وعد نصف الثنائم
وصان الاسكندر — بفسوس (ورنر Warner) ج ٦ ص ٣١) انظر الكلام على فوري وقائع الإسكندر الآتية .

(١) كذا في نسخة الأصل ، ط . وأخطأ ، يسأله .

وكان معه دستوران § لا يفارقانه ليلا ولا نهارا ويصحبانه سرا وجهارا، يسمى أحدهما ماهيار والآخر جانوشيار^(١). فقال أحدهما لصاحبه : إن هذا الشقي لن يرى بعد هذا التاج والتخت . والرأى أن نقتله . وتتوسل بقتله الى الاسكندر . فإنه يرفع بقدرنا ، ويتوه بذكرنا ، ويوليننا بعض الأقاليم . فتوافق الغادران على ذلك . فلما جئ الليل بينا دارا يسير بينهما إذ ضربه جانوشيار بمزراق فأخذه فيه فأقلب عن ظهر الفرس صريحا . فتركاه على حاله وأقبلنا الى الاسكندر ، وهو على الأحرار ، فقالا له : أيها الملك ! إنا قتلنا عدوك منافصة ، فلهنك التاج والتخت . فقال : إن كنتما صادقين فأوقفاني على مصرعه . فسارا بين يديه الى أن أوقفاه على دارا . فقلل اليه الاسكندر ، وأمر بأخذهما والاحتياط عليهما في حفظهما . فرفع رأس دارا ووضعته في حجره ، ومسح وجهه بيده ، وبكى حتى تساقطت عبراته على خده ، ورفع التاج عن رأسه ، وحل أزرار جوشته ، وأخذ يلاطفه ويقول : أيها الملك ! إن استطعت قم واقعد في المهد ، وإن قدرت فاركب الفرس فإني أجمع عليك أطباء الروم والمهند حتى بالجوك . وإذا شفيت سلمت اليك التاج والتخت وأفوض هذه الممالك اليك . وسأبكي عليك دما لما أراه بك وكيف لا يكون هذا وأنا وأنت تترعنا من جرثومة واحدة وقددنا من أديم واحد . وسأصلب الفاتكين بك المفتالين لك . فلما سمع دارا ذلك منه دعا له وأثنى عليه

§ سار الاسكندر ، بعد أن فتح بابل وسوسه واصطخر الى همدان . فلما قاربها سمع أن دارا فر الى شعاب قزوین^(٢) . فأقام أياما ثم سار في نجدة من جنده يقتنى دارا وكان يرجو أن يدركه في الرى . فلما بلغها سمع أن دارا جاوزها مميا الشرق . فاستراح الاسكندر خمسة أيام ثم استأنف السير مشرفا على الطريق المعروفة طريق البريد اليوم بين طهران ومشهد التي تسير من همدان الى بلخ . فلما بلغ شعاب قزوین سمع أن بسوس مترب بلخ ابن عم دارا ، وستراب سيستان ، وقائد الفرسان انمروا على الملك فأسروه . فأسرع متعبا الجيش الفارسي . وبلغه على الطريق أن الجيش الفارسي كله استحسن أسر الملك ، وأن المرتقة اليونان اعزلوا سائر الجيش واعتصموا بالجبال حين عجزوا عن نصرة الملك . فلما شارف الاسكندر الجيش الفارسي أمر بسوس أن يقتل دارا ثم هرب . فالتى الاسكندر عربة عليها جثة دارا تقطعها الجروح ، ملقاة في نهر . وذلك في يولييه سنة ٣٣٠ =

(١) اسمه في الشاه : جانوشيار . (٢) صل : هما . والتصحیح من طا . (٣) كلمة « اليك » من طا .

(٤) صل : ما طلب . والتصحیح من طا . (٥) شاب قزوین التي يذكرها أريان (Arrian) يرى بعض

المؤرخين أنها شعب مردوه (روزنه ٩ ص ٣٢ ، سيكي (Bykes) ١ ص ٢٢٢) .

(٦) روزنه (Warner) ٥ ص ٣٢ ، سيكي (Bykes) ١ ص ٢٦١ وما بعدها .

(مطبعة دار الكتب المصرية ٨٩٧/١٩٣٠/١٢٠٠)

سجدة التأليف والترجمة والنشر ١٩١٤

الشَّاهُنَامَةُ

نظمها بالفارسية و ترجمها نثرًا
أبو القاسم الفردوسي و الفتح بن علي البنداري

و
قارنها بالأصل الفارسي، وأكمل ترجمتها في مواضع، وصححها وعلق عليها، وقدم لها

الدكتور

عبد الوهاب عزام

المدرس بالجامعة المصرية

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٥٠ هـ - ١٩٣٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

١

كنت أسمع عن الشاهنامة كما أسمع عن القصص الكبيرة الأخرى . وكنت أمتنى نفسى قراءة الكتاب ، وأشتط فى التأمل أحيانا فأمنيتها ترجمته حين يتاح لى علم اللغة الفارسية . وكنت أمتنى درس الفارسية فى حداثتى ؛ أمنية نشأت فى نفسى بعد أن مضيت سنين فى درس التركية أو محاولة درسها . وأحسبى شرعت التقط بعض الألفاظ التركية من الأفواه ومن الكتب وأنا فى سن الرابعة عشرة . ثم عرفت بعد أعوام طوال ، ولا أدرى كيف ومتى ، أن الشاهنامة ترجمت الى العربية . وكنت أحسب ترجمتها من الآثار التى نذ بها الزمان ، وطوتها ظلمات القرون . وكان هذا ظن من يعرف الشاهنامة ويعرف أنها ترجمت الى لغتنا من الأدباء حتى البستاني مترجم الالباذة . فهو يقول فى مقدمة إلباذته :

” ثم إنه لا يخفى أن الشعر إذا ترجم ثرا ذهب روقه ، وبهت رواؤه . والظاهر أن هذا الحكم انطبق على تعريب الشاهنامة فأهملها الناس . وإلا فما ذهب ضياعا ، وبقيت أثرا بعد عين ؛ فقرأ عنها فى كتب التاريخ وليس فى الأدباء من روى لنا منها حديثا مذكورا^(١) “ .

٢

وبينا أقرأ فى كتاب الأستاذ براون ” تاريخ الآداب الفارسية “ وكان هذا منذ ستة اعوام فيما أظن ، عرفت أن نسخة من الترجمة العربية فى مكتبة كبردىج فسرت فى نفسى هزة الفرح والظفر وقلت : ” لقد كُفيتُ ترجمة الشاهنامة وإنها لمبه فادح “ . وصح العزم حينئذ أن أحصل الكتاب ثم أنشره .

(١) الالباذة ص ٦٧

سافرت الى لندن سنة ١٩٢٧ م معترفا بالذهاب الى كبردج للاطلاع على الكتاب ، بعد الفراغ من العمل الذى سافرت من أجله . فلما كان يوم ٧ ديسمبر ، وهو آخر أيام العمل ، قابلت الأستاذ نكلسون فى مدرسة الدراسات الشرقية ، وكان جاء اليها يومئذ لامتحان . وجمعتنا بعد الامتحان حفلة مدرسية فقلت للأستاذ الصديق المأسوف عليه السير توماس أرنولد : إني أريد أن أذهب الى كبردج للاطلاع على كتاب الشاهنامة المعرب . فكلم الأستاذ نكلسون فى هذا وسأله أن يسنى لى الاطلاع على الكتاب فواعدنى الأستاذ أن أقابله فى داره بكبردج .

ذهبت الى كبردج يوم الاثنين تاسع ديسمبر وأمت الدار المعمورة حيث شرفت بقاء الأستاذ . ثم واعدنى اللقاء صباح الغد للذهاب الى المكتبة . فلما جئته فى الموعد سرنا الى المكتبة العظيمة وتوغلنا فى أروقة كبيرة حافلة بالكتب حتى وقف الأستاذ على أحد عمال المكتبة فكلمه بفناء الكتاب بعد قليل . فوضعه الأستاذ بين يدي وسلم وانصرف . فله الشكر مضاعفا مكررا .

تصفحت الكتاب فاذا آخره : ” وهذا ما انتهى الينا من أخبار رسم . والحمد لله على التمام والكمال والله تعالى أعلم الخ “ . فعرفت أن الكتاب ناقص ، وأوجست خيفة أن يكون المترجم قد وقف عند هذا الحد . وقد ظن الأستاذ براون من هذه الحادثة أن الكتاب لم يترجم كله . وسيأتى وصف هذه النسخة

مررت ببأريس فى طريقى الى مصر فقابلت العالم الفاضل محمد بن عبد الوهاب القزوينى فأخبرنى أنه رأى فى مكتبة برلين نسخة من الكتاب وأنه عسى أن تكون نسخة أخرى فى مكتبة بأريس .

عدت الى القاهرة فسارعت فعرضت الأمر على ” لجنة التأليف والترجمة والنشر “ فانفقنا على أخذ الأبهة لطبع الكتاب . وطلبت من مكتبة الجامعة المصرية تحصيل نسختى كبردج و برلين . وسيأتى وصفهما .

وبينا أنتظر تصوير النسختين وإرسالها عثرت بدار الكتب المصرية على نسخة من الكتاب منقولة بالتصوير عن نسخة فى مكتبة كوبرلى فى الآستانة . فتصفححتها فاذا الترجمة تستوعب الشاهنامة كلها فسررت كل السرور بما علمت أن الترجمة العربية كاملة . واستعرت الكتاب وقرأته فرأيت فيه من الغلط والتحريف والسقط ما أيقنه حين أصف هذه النسخة بعد .

ثم جاءت مصقورات كبردج وبرلين فاذا نسخة برلين كاملة متقنة ذات فهرس ، لا تقاس بها نسخة كبردج الناقصة ولا نسخة كوبرلي السقيمة . فاتخذتها أصلاً وشرعت في نسخها تمهيدا للطبع . ولما سافر الأستاذان الفاضلان أحمد أمين وعبد الحميد العبادي الى الآستانة سنة ١٩٢٨ م . وتبقيا في مكاتبا عن نفائس الكتب العربية اطلعا على نسخة من الكتاب كاملة والجزء الثالث من نسخة أخرى في مكاتب ”طوب قيو سراي“ - وهي مكاتب السلاطين التي لما تفتح للطالعين حتى اليوم ، ويرجى فتحها عما قليل بعد الفراغ من ترتيب فهرسها وكتبتها - فلما رجع الأستاذان وعرفاني بما عثرا عليه أرجأت طبع الكتاب حتى أحصل على هاتين النسخين .

سافرت الى الآستانة صيف ١٩٢٩ م وصعيت للاطلاع على النسختين وتصويرهما فقتنى لي ما أردت باذن العالم العاضل خليل أدهم بك مدير متاحف ”طوب قيو سراي“ فله الشكر الجزيل . اجتمع لي إذا ثلاث نسخ كاملات : نسخ برلين ، وكوبرلي ، وطوب قيو سراي (السلطان أحمد) ، ونسختان ناقصتان : نسخة كبردج التي تحتوى نحو نصف الكتاب الأول ، ونسخة طوب قيو سراي (قصر روان) وفيها الثلث الأخير من الكتاب .

٣

وهذا وصف النسخ على ترتيب كمالها وجودتها :

(١) نسخة برلين . وهي التي اتخذت أصلاً . ويرمز اليها هكذا : ص .

وهي حسنة الخط متقنة . وسقطها قليل إلا في النصف الثاني حيث يكثر السقط الناشئ من تشابه الهائيتين ^(١) .

ومن سفها في الرسم أنها لا ترسم الألف بعد واو الجماعة إلا في مواضع قليلة تشبه أن تكون سهوا من الناسخ . وأن الهمة التي بعد مد لا ترسم إلا نادرا مثل سماء وصحراء . والهمزة المكسورة ترسم ياء منقوطة ، والهمزة التي يليها مد تكتب ألفين مثل شأ ايوب وما أرب . ويظهر أنها ترسم الهمة بحسب حركتها في مثل حياة وجاؤوا وملجاؤنا ، وملجاء . ولا تطرد فيها قاعدة لرسم الهمة اضطرادا تاما .

كتبت هذه النسخة سنة ٦٧٥ هـ عن نسخة المؤلف - كما يرى القارئ في نهاية الكتاب - في ٥٢٢ صفحة مرقمة بعدد الأوراق لا الصفحات . فأخر رقم فيها ٢٢٧ . وتسطيرها ٢٧ . وقد كتبت

(١) أى تشابه الهائيتين . وذلك يؤدي أحيانا الى ترك النسخ نهاية الأول الى نهاية الثانية .

في الحاشية العليا من الصفحة العاشرة : " الثاني من معرب شاه ناماه " وعلى الصفحة العشرين : " الثالث من معرب شاه ناماه " وهكذا كل عشر صفحات . وعلى حواشي بعض الصفحات : " بلغت المقابلة بالأصل المكتوب بخط المترجم " . وفي حاشية الصفحة الأخيرة : " بلغت المقابلة بالأصل المكتوب بخط معرّبه " .

وفي صفحة العنوان بخط يشبه خط الكتاب :

كتاب شاه ناما للفردوسي نقله — فتح الأصفهاني من لسان الفارسي الى العربي — رحمهم الله جميعا وغير لكتاب هذه — الأحرف وقوله مراده — وهو الحسين بن ابراهيم الخالدي سنة — ٧٧١ هـ ^(١) — هجرية .

ويظهر أن التاريخ كتب ٨٧١ ثم أصلح فصار ٧٧١

والذي يقرأ هذه الديباجة ويقرأ الخاتمة يرى اختلاف الكتاتين والتاريخين ؛ فالكتاب في الأولي الحسين بن ابراهيم الخالدي ، والتاريخ ٧٧١ ، والكتاب في الثانية يوسف بن سعيد المروى والتاريخ سنة ٩٧٥ . وهذا احتمالان : أن يكون الحسين بن ابراهيم كتب النسخة التي بأيدينا ، ويوسف ابن سعيد كتب نسخة نقلت عنها هذه النسخة ، ويكون الحسين نسخ اسم الكتاب الأول والتاريخ كما وجدتهما .

والثاني أن يكون الحسين بن ابراهيم إنما كتب كلمات في صفحة العنوان ومن أجل هذا سمي نفسه " كاتب هذه الأحرف " . وأرجح أن السطرين الأولين من العنوان كتبهما يوسف بن سعيد ؛ وأن " رحمهم الله جميعا الخ " زادها هذا الحسين بن ابراهيم بخط قريب من الأول . ولذلك نجد سياق العنوان مضطربا ؛ فبعد ذكر الفردوسي والأصفهاني في السطرين الأولين نجد صيغة الجمع " رحمهم الله " . ويؤيد هذا أن النساخ لم يتعمدوا أن يكتبوا أسماءهم في صفحة العنوان بل في آخر الكتاب . فيوسف بن سعيد إذاً هو كاتب هذه النسخة سنة ٩٧٥ هـ .

ويظهر أن هذه النسخة هي التي رآها كاتب جلبي حينما كتب " كشف الظنون " فقد ذكر في آية أن تعريب الشاهنامة انتهى سنة ٩٧٥ . وهذا غلط كما يعرف من تاريخ المترجم والسلطان الذي ترجم له الكتاب . وإنما هذا تاريخ نسختنا . فكان صاحب كشف الظنون ظن أن تاريخ النسخة التي بأيدينا هو تاريخ تعريب الكتاب . ويؤيد هذا أن النسخة ، كما يفهم من أسماء مالكيها ،

(١) الخطوط القصيرة التي يراها القارئ تدل على نهاية السطور في الأصل .

كانت في استانبول في حياة كاتب جلبي المتوفى سنة ١٠٦٨ هـ . وسيأتى بيان هذا . وقد لفت نظري الى هذا الفاضل العلامة محمد بن عبد الوهاب القزويني في رسالة من باريس عام ١٩٢٨ م :

وفي يمين صفحة العنوان بجانب السطر الثاني من العنوان هذه الجملة : ” الله حسي . من كتب أبي بكر بن رستم بن أحمد الشرواني “ . وبعده ، في ثمانية سطور قصيرة مائلة مشطوبة ، هذه الكلمات : ملكه من فضل الله العبد الفقير المعترف — بالذنوب والتقصير أقل عباد — الله ، وأحوجهم الى رحمة الله الحاج أحمد — بن الحاج محمد بن الحاج أحمد بن الحاج — علي بن الحاج حسن الشهير بابن الزينيه (٤) — الشرايقي بحلب المحروسة بسوق الصابون — . غفر الله لمن نظر فيه وقرأ له — الفاتحة . وأسفل من هذا الى اليسار بخط جميل في خمسة سطور : ” هو — استصحبه العبد الآثم — جلبي زاده اسماعيل عاصم — جعل الله سبحانه التقي زاده — ووفر سره وزاده — خلال سنة ١١٣٨ “ .

وتحت هذا في أربعة سطور : ” ثم استصحبه العبد الكتيب السيد محمد منيب — جعل الله تعالى التقوى زاده — وعامله بالحمى وزيادة — آمين “ .

ويهمنا هنا اسمان : أبو بكر بن رستم بن أحمد الشرواني . وجلبي زاده اسماعيل عاصم . اسماعيل عاصم هو شيخ الاسلام المؤرخ الشاعر المتوفى سنة ١١٧٣ هـ . وأبو بكر بن رستم مشهور باقتناء الكتب النفيسة النادرة . توفي في استانبول سنة ١١٣٩ ودفن في حظيرة جامع السلطانية . ويظهر لي أنه ملك الكتاب قبل اسماعيل عاصم ثم ملكه اسماعيل عاصم سنة ١١٣٨ كما ذكر . وأما السيد محمد منيب فإظنه مترجم السير الكبير المتوفى في أيدين سنة ١٢٣٨ ، والشرايقي اسم أسرة معروفة في حلب .

ثم الصفحة الأخيرة من الكتاب مكتوبة الى نحو نصفها فقط . وفي ظهرها أبيات عربية وفارسية كتبها أحد القراء . ثم ورقة مكتوب في صفحتها فهرس للكتاب ، وفي أعلى الصفحة الأولى منها الى اليمين اسم أبي بكر بن رستم ، كما في صفحة العنوان ، والى اليسار اسمان كتبنا قبل كتابة الفهرس : ” صاحب العبد الفقير — مصطفى عفى الله عنه — بعونه “ . وتحت هذا الجملة في خمسة أسطر : ثم دخل في سلك ملك الفقير — الى الفنى التقدير عطاء الله الشهير — بنوعى زاده القاضي — سابقا غفر لها — في سنة ١٠٣٣ — وثمة ١٥٠٠ “ .

وبعد ذلك صفحة فيها أبيات من الشاهنامة في ثلاثة أسطر .

ونوعى زاده هو أحد علماء القرن الحادى عشر الهجرى ومؤلف ذيل الشقائق النعمانية .
ويظهر مما تقدم أن نوعى زاده أقدم الملاك الذين كتبوا أسماهم على الكتاب بعد مصطفى الذى
لا نعرفه . وهذه الأسماء لا ترجع بالنسخة الى ما قبل القرن الحادى عشر .
(٢) نسخة كبردج . ^(١) وهى التى يرمز اليها بالحرف ك .

وهى نسخة ناقصة فيها من أول الكتاب الى مقتل رسم ، مكتوبة فى ٢٩٧ صفحة . كل
صفحة ٢٥ سطرا . وخطها واضح ولكنه ليس جميلا . ويرى لذلك وريو أنها كتبت فى القرن الثامن
الهجرى . ومن سفنها فى الرسم أنها ، كنسخة برلين ، لا ترسم الهزمة بعد الألف الممدودة فى مثل السما
وتضع علامة على الراء والسين ، وهى مضطربة فى رسم الهزمة .

وعنوانها مكتوب فى حلية جميلة ، فى أعلاها مستطيل فيه : ” كتاب امتثال أمر الملك المعظم
فى أخبار ملوك العجم ” . ولكن المستطيل لم يتسع لكلمة ” العجم ” فكتبت وحدها فى دائرة منقوشة
الى اليسار .

وفى أسفل الحلية دائرة فيها الأسطر الآتية :

وهو تعريب كتاب شاه نامه — مما ارتجزه باللسان الفارسمى الأمير الكبير الأديب — الحكيم
المطلع البليغ المفتى أبو منصور بن الحسن الفردوسى — رحمه الله وعفا عنه بكرمه — للسلطان الأعظم
السعيد الشهيد محمود بن سبكتكين — رحمه الله تعالى وأثابه الجنة بمنه — واعتنى بسجع تعريه
الشيخ الإمام الجليل البليغ الفاضل — الفتح بن على بن محمد بن الفتح البندارى الأصبهانى — رحمه الله
تعالى وتجاوز عنه بفضله .

وآخر النسخة : ” وهذا ما انتهى اليها من حديث رسم ، على التمام والكمال . والله تعالى أعلم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم . والحمد لله رب العالمين ” .

وفى حواشى صفحة العنوان أسماء سبعة مالكين . يظهر أن أقدمها اسمان ؛ على يسار الديباجة :
” دخل فى نوبة العبد الفقير محمد الخفاجى المصرى عفى عنه سنة ١٠٢٩ ” . ومحمد الخفاجى هذا أظنه
أبا شهاب الدين الخفاجى المصرى الشاعر العالم المعروف المتوفى سنة ١٠٦٩ ، وفوق الديباجة فى سبعة
أسطر قصيرة ” مما ساقه سائق التقدير الى نوبة — عبد الرحمن الفقير الى رحمة ربه الخطير — الشهير

(١) (Cambridge, Ms. QQ. 46) (٢) الحاشية الإيرانية ص ٧٧ ، ويهرس المخطوطات الإسلامية لبراون

بقاضى زاده بلغ فى — الدارين مراده — فى سنة خمسين بعد الألف — من الهجرة بقسطنطينية العظمى — بثمان قدره ٩٥٠ عثمانى .

ويقال صفحة العنوان صفحة بيضاء، قبلها صفحة كتب فى أعلاها فى الوسط : ” من كتب العبد الفقير اليه سبحانه — محمد أمين بن صنئى عفى عنهما “ . وفى زاويتها العليا اليسرى فى سطرين : ” ترجمه شاه نامه فردوسى بزبان عربى “ وتحت هذه الجملة خمسة أسطر مائلة الى اليمين فيها : ” تاريخ صلاح الدين يوسف بن — أيوب ونور الدين الشهيد يعرف — بكتاب زهر الروضتين فى أخبار — الدولتين لمولانا أبو شامه وهى — فى الخزانة المحمودية يطلب إنشاء الله “ وتحت الأسطر ختم

ويقال هذه الصفحة صفحة بيضاء . وقبل الصفحة البيضاء صفحة كتب فى زاويتها اليسرى العليا : ” مما من الله به على العبد الفقير — مصطفى بن محمد — ابن ؟
وفى أعلى الصفحة المقابلة لها الى اليمين : باره غروش
١٠٠

(٣) نسخة طوب قيو سراى (كتب السلطان أحمد — تاريخ ٢٠٧ — ٢٩٩٦) . وهى الرموز اليها بالحرف طا . وهى فى ٣٧٤ ورقة . وتسطيرها ٢٥ ، حسنة الخط مشكولة شكلا كاملا لا يخلو من الغلط والاضطراب . ومن خصائصها رسم الألف بعد واو الفعل فى مثل يدعو ، ويرجو ، ونقط الياء المنتزعة فى مثل الذى ووضع نقطة تحت الدال وثلاث تحت السين .

وفى صفحة الديباجة ثلاثة قشوش جميلة متوالية من أعلى الصحيفة الى أسفلها : مستطيل فدايرة فمستطيل . وعلى يسار المستطيل الأعلى حلية تشبه الخاتم . وبين قشوش المستطيل الأول فى سطرين : ” امتثال أمر الملك المعظم — فى ترجمة أخبار ملوك المعجم “ . وفى الدائرة : ” صنعه المملوك الأصغر الفتح بن على بن محمد البندارى الأصفهاني “ .

وفى المستطيل الأسفل أربعة أسطر : ” برسم خزانة صاحب المخدم — المعظم نجم الحق والملة والدين — اقتدار الملوك والسلاطين — أعز الله أنصاره بمحمد وآله “ .

والكتابة فى المستطيل الأخير تلوح كأنها نقش فلا تقرأ إلا بتأمل . وتحت الزاوية اليسرى السفلى من المستطيل الأعلى إمضاء يشبه الطغراء تيننت فيه : ” أحمد مصطفى “ أو ” أحمد مصطفى خان “ .

وتحت المستطيل الأسفل ختم . وفى أعلى الصفحة بخط أحد المطالعين أو الملاك : ” كتاب تواريخ ملوك المعجم بالعربية “ .

وفي الزاوية اليسرى العليا : "نظر في هذا الكتاب محمود بن محمد الاقصرأى الحنفى عامله الله تعالى بلطفه الحنفى .

وفي أسفل الصفحة بيان المكتبة في ثلاثة أسطر : "تاريخ - ٢٠٧ - ٢٩٩٦" ثم : "عدد الأوراق ٣٧٤" .

وفي الصفحة الأولى من الكتاب ، في الزاوية العليا اليمنى خاتم فيه "الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله" . ثم طغراء فيه : "وقف السلطان أحمد بن محمد خان الثالث . وفي الصفحة التى قبل صفحة العنوان الكلمات التى فى العنوان نفسه بقلم رصاص . وتحتها : هو ترجمه الشاهنامه للفردوسى الى العربية بأمر السلطان أبى الفتح عيسى بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب . ثم إمضاء "أحمد زكى" . وأظنه صاحب السعادة أحمد زكى باشا .

وفي آخر الكتاب :

وهذا آخر الكتاب . قال معزب الكتاب رضى الله عنه فى نسخته المقتول منها هذه النسخة المباركة : وقع الفراغ من تعريسه وتحريره فى عاشر شوال سنة إحدى وعشرين وستمائة . وكان الانتاج به فى أوائل جمادى الأولى من سنة عشرين وستمائة بدمشق المحروسة . والحمد لله تعالى .

نجزت فى سابع المحرم سنة اثنتين وتسعين وستمائة الهلالية على يد العبد الفقير الى رحمة الله تعالى على بن أحمد الموصلى معبد المدرسة النظامية المعروف بابن الشهرستانى تقدمهم الله جميعا برحمته وغفرانه وتعمدهم بلطفه واحسانه .

والحمد لله رب العالمين وصلواته — على سيدنا محمد النبي الأسمى وآله وصحبه — وسلامه وتحياته وإكرامه " .

وتحت هذا مستطيل فيه :

"بلغت المفاصلة بنسخة المعزب المقتول منها رحمه الله تعالى — ووافق الفراغ منها آخر نهار الثلاثاء سابع عشر صفر ختم — بالخير من السنة المؤرخة لله الحمد على نعمه وإحسانه" .

ويرى القارئ عناية الناخب بنقل خاتمة المعزب ، وتاريخ النسخة ، وتاريخ مقابلتها بنسخة المعزب عناية لا تدع مجالاً للشك والبحث .

ويتبين مما تقدم أن هذه النسخة أخذت عن نسخة المترجم بعد إحدى وسبعين سنة من تعريب الكتاب، وأنها كتبت بعد النسخة الأولى بنسخة برلين بسبع عشرة سنة . فليس يبعد أذاً أن كلا الناحيتين قد نقل من نسخة المعزب كما يدعيان .

ويتبين كذلك أن هذه النسخة لم تكتب لخزانة الملك المعظم ، وأن النسخ نقل العنوان الذى وجده على نسخة المعزب فكتب "صنعه الملوك الأصغر الخ" .

(٤) نسخة طوب قيو سراى (قصر روان ١٦٠٨) . وهى المرموز اليها بالحرف طر . مكتوبة بخط جميل مشكول . ولكنها كثيرة السقط . والذى فى يدنا منها هو الجزء الثالث فقط . وهى فى ٣٧٦ صفحة . وتسطيرها ١٥ ، ورسمها كرم طاء ، وكأنها مأخوذة عنها .

وصفحة الديباجة تشبه ديباجة كبردج شها قريبا ؛ كتب فى مستطيل أعلى الديباجة : "الجزء الثالث من امتثال أمر الملك المعظم فى أخبار ملوك العجم" سطرا واحدا . وفى دائرة كبيرة فى بقية الديباجة صيغة العنوان الذى على نسخة كبردج مع تغيير قليل ، فى تسعة أسطر : "وهو تعريب — كتاب شاه نامه . مما ارتجزه باللسان الفارسمى — الأمير الكبير الأديب الحكيم المطلع البليغ المتقن — المغنن ، أبو القاسم منصور بن الحسن الفردوسى رحمه الله تعالى — وعفا عنه بمنه وكرمه . للسلطان الأعظم السعيد الشهيد — محمود بن سبكتكين رحمه الله تعالى . واعتنى بسجعه — تعريبه الشيخ الامام الجليل البليغ المتقن الفاضل على — ابن الفتح البندارى الأصفهانى رحمه الله تعالى — وتجاوز عنه بفضله" . وفوق الديباجة سطر مشطوب فيه : "المجلد أخير من كتاب ترجمة كتاب الفردوسى بالعربية فى التواريخ" !! . وتحتة : "نسخ ١٥" .

والى يسار الزاوية العليا اليسرى من الديباجة الخاتم السلطانى الذى تقدم وصفه فى الكلام عن النسخة الثالثة (طا) . وتحت الخاتم سطران : "مجلد ثالث من ترجمة شاه نامه — فردوسى بالعربية بخط نسخ" . وتحتة : "سطر ١٥" . وتحت ذلك : "ورف ١٨٨" و "صحيفة ٣٧٦" .

وفى آخر الكتاب : "وهذا آخر الكتاب . قال معزب الكتاب رحمه الله فى نسخته المتقول منها نسخة هذه النسخة المباركة : وقع الفراغ الخ العبارة التى فى آخر نسخة طاء" . ثم تاريخ النسخة فى أربعة أسطر : "وافق الفراغ منه فى يوم الخميس ثانى عشرى شهر الله المحرم سنة اثنين وسبعين وسبعمائة بدمشق المحروسة . الحمد لله رب العالمين . وصلى على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . وحسبنا الله ونعم الوكيل" .

وبعد الصفحة الأخيرة أربع صفحات فيها أبيات تركية على غير نظام .

فهذه النسخة مكتوبة بعد النسخة الثالثة (طا) بثمانين سنة .

ورسم هذه النسخة يشبه رسم (طا) . وهي توافقها حين تختلف النسخ بل توافقها في الغلط والسقط . فإذا نظرنا الى هذا والى الخاتمة الى نقلت فيها خاتمة المعرب في النسختين ، ونظرنا الى أن كاتب طا يقول أن نسخته نقلت من نسخة المعرب ، وكاتب هذه النسخة يقول أنها نقلت من نسخة منقولة عن نسخة المعرب ، ونظرنا الى أن النسختين كلتاهما مكتوبتان في دمشق رجحنا أن تكون هذه النسخة (طر) منقولة من طا . ولكن ديباجتها لا تشبه ديباجة طا التي نقلت فيها ديباجة المعرب نفسه ، بل تشبه ديباجة ك كما تقدم . و (ك) ليست كاملة فليس عندنا تاريخها ولا خاتمتها . والجزء الذي في يدنا من ك لا يشارك الجزء الذي عندنا من هذه النسخة فلا نستطيع أن نبين الصلة التي بينهما إلا هذا التشابه بين الديباجتين والعنوانين .

(٥) النسخة الخامسة نسخة كوبرلي (مكتبة كوبرلي باستانبول رقم ١٠٦٤) وهي المرموز اليها بالحرف كو .

اجتمع فيها رداءة الخط والسقط الكثير الذي يتناول أحيانا أسطرا كثيرة ، والتحريف الشنيع ثم التصرف في عبارة المترجم للسجع أو التفصيل أو اختيار كلمة مكان أخرى ، أو التمثل بأبيات .

فن أمثلة الزيادة ما جاء في فصل قباد الأول ؛ فالنسخ تنفق على هذه العبارة : "إن خلصتني من هذا الحبس اتخذتك صاحبا ووزيرا" وهذه النسخة تزيد : "وكنت لك ما عشت ناصرا وظهيرا" (١) . وفي فصل مزدك : "الذي يمنع الناس عن سلوك طريق السداد" تزيد بعدها : "فيردّهم عن الاستقامة على منهج الرشاد" (٢) وأمثال هذا كثير جدا . ويقول المترجم في بعض المواضع : "قلت" فتضع مكانها : "قال الفتح بن علي بن محمد البنداري مترجم الكتاب" (٣) .

وأما التحريف فكان ينجيل إلى وأنا أظالمها أن كاتبها كليل البصر سريع النسيان يجهل اللغة العربية فكلف نسخ الكتاب . فهو لا يرى الكلمات على حقيقتها ، ولا يقرأ ما يراه على حقيقته . ثم ينسى ما قرأه حين يكتب . وهذه أمثلة من التحريف الشائع في كل صفحة من الكتاب :

(١) ص ٢٩٠ كج ٢ . (٢) ص ٢٩٣ كج ٢٩٢ و ١١٩ ج ٢ من هذا الكتاب . (٣) ص ٢٩٠ ج ٢ كو .

(٤) انظر ٢٤٩ و ٢٣٨ و ٢٨٤ ج ١ كو ، الخ .

”وكان ذا عناية بمن يكون“ تحزف الى ”وكان داعيا به نحن يكون“. ”ووراء سترى أربع صغار“ تحزف الى ”وقد اشترى أربع صغار“. ”واحتفال أهلها“ تحزف الى ”واستئصال أهلها“. ”وأن نعطيه ترمذ وواشجر“ تحزف الى ”يعطيه ما يريد وأشجر“. ويت المترجم :
بحافل قد سقوا السكالك بعثر تلبد حتى باض فيه قشاعه
يحزف الى :

بحافل قد شدوا الشكال بعثر تلبد حتى فاض فيه قشاعه
وكان من سوء الحظ أنى حصلت. على هذه النسخة قبل غيرها فقرأت معظمها متامسا معانيها من وراء أغلاطها .

وفي صفحة الديباجة أعلاها سطر واحد : ”كتاب تاريخ مولانا شاهنامة“ !!! وفي أسفلها سطر آخر : ”للعامة الفردوسى كان بالمعجمى“. وفي الوسط : ”عربه علامة الزمان وترجمان الأوان شرف الدين الفتح بن على بن محمد بن الفتح البندارى الأصفهاني رحهما الله تعالى“ .
والى يسار الديباجة من أعلاها خاتم فيه : ”هذا ما وقف الوزير أبو العباس أحمد بن الوزير أبي عبد الله محمد . عرف بكوبرلى أقال الله عثارهما“. وتحت هذا رقم ١٠٦٤
وفي الصفحة الأخيرة :

وهذا آخر الكتاب . والحمد لله حق حمده . وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين آمين آمين آمين .

وكتبه العبد الفقير الحقير الراجى غفر له القدير نجم الدين الأزهرى الشافىي منزها والشعراوى عقيدة غفر الله تعالى له ولوالديه ولئن دعا له بالرحمة آمين آمين آمين . سنة ٩٦٧

ثم صفحة بها أسطر قصيرة فيها هذه الجمل المضطربة المتناقضة :
”يقول محزور هذه الأحرف الضعيفة وسطر هذه الكلمات الظريفة محمد بن أحمد بن محمد الشهير بسكيكو بين البرية، الخطيب :

يوم تاريخه بالعادية بحروسة حلب المحمية طالعت هذا الكتاب بقصصه مسليا النفس بما رأيت من أخبار ما لقي الأكابر فى الدهر من جوهر وغصصه .

وأنا يومئذ محروسة القسطنطينية أجمع القصص لأمر دنية دنياوية . وكان إتمامي لحنى ثماره بعد انقضاء أزهاره عشية السبت رابع رمضان من شهور سنة اثنين وثمانين وتسعمائة أحسن الله ختامها . وكنت قد طالعت مرة أخرى قبلها . وهو عارية عندي لشمس الفضائل وبدر الأمان محمد جلبي الشهير بنسبه الكريم بابن يرمحمد افندي القاضى يوم تاريخه محروسة شيزر من أعمال حلب . فان قضى الله بالموت وأذن بالقوت قبل إصعاله اليه بجزى الله خيرا من رده عليه . قال ذلك بضمه ورقه بقلمه العبد المذكور أعلاه بلغه الله مناه ، وهو يومئذ بخان پرتو باشا الواقع بوقا ميدان من محروسة إسلام بول .

٤ رمضان سنة ١٩٩٤

وبعد هذا : "طالع ما فيه الخطيب محمد سنة ١٩٩٠"

وقد فهمت من هذه الجمل المضطربة أن الرجل كتب هذه الكلمات باستانبول ووضع تحتها تاريخ ختمه الكتاب في حلب ، وعنى هذا التاريخ بقوله : يوم تاريخه الخ .

مقارنة النسخ الخمس إجمالاً :

تبين مما تقدم صفات كل نسخة وعلاقة بعض النسخ ببعض . والخلاصة أن نسخة برلين تخالف النسخ الأخرى في أكثر مواضع الخلاف . وما عدا برلين فتشابه رواياتها ، وأحسب النسخ الثلاث — نسخة كبريدج ونسخنا طوب قيو سراى مأخوذة بعضها من بعض أو مأخوذة من أصل واحد . ثم النسخ كلها ما عدا كوبرلى المحزنة المضطربة متقاربة جداً ، حافظ نساخها على الأصل على قدر طاقتهم ، ولكنهم لم يسموا من الغلط والسهو . والنسخ يصحح بعضها بعضاً ويكمل بعضها بعضاً وأكثر خلافاً في ألفاظ لا يختلف المعنى باختلافها .

٤

جعلت نسخة برلين أصلاً للكتاب إذ رأيتها أقدم النسخ وأجملها تاريخاً ، ولم يبدو من الاتفاق في كتابتها ومقابلتها بالأصل .

وأثبت اختلاف النسخ الأخرى في الحاشية إلا أن تكون رواية أحم من رواية النسخة التي جعلتها أصلاً ، فأدخلها في سياق الكتاب وآين هذا في الحاشية ذا كرا النسخة التي صححت منها دون النسخة التي توافق الأصل .

٥

وكنيت أريد أن أقابل الترجمة كلها بأصلها الفارسي ولكن وجدت هذا متعذرا أو مستحيلا .
فاكتفيت بمراجعة الأصل حين يضطرب سياق الترجمة ، أو ينمض الكلام ، وحين أجد معنى
لا يشبه أن يكون من معاني الشاهنامة ، وحين أعرف أن المترجم قد اختصر أو حذف . وقد اهتمت
في هذا بمناوئين الشاهنامة التي أثبتتها كلها في الحواشي ، وبالفهارس المفصلة في ترجمتي ورز ، ومول ،
وبما أعرف عن الكتاب من قبل .

وقد أكلت الترجمة في مواضع كثيرة فأنثت فصولا أو نبذنا حذفها المترجم كلما رأيت فائدة
في إثباتها . وأثبت ما ترجمته في الحاشية إلا أن يكون فصلا كاملا فأنثته في متن الكتاب بين قوسين
كبيرين مبينا هذا في الحاشية أيضا . وقد نظمت مما ترجمت فصولا أردت أن تكون نموذجا من
شعر الشاهنامة ^(١) .

٦

ورأيت الكتاب في حاجة الى التعليق لشرح غامضه أو لمقارنته بالأصل الفارسي ، أولرد بعض
أساطيره إلى أصلها ، أو تبين ما بين تاريخه والتواريخ الأخرى من اتفاق واختلاف . وقد استلزم
هذا مراجعة كتاب زردشت (الأبستاق) وكثير من المصادر العربية والفارسية والأوربية .

٧

وأردت أن يطبع التعليق بحرف صغير ولكن صموبة شكل الكلمات بهذا الحرف ، وإرادة
التيسير للقارئ أوجبتا طبعه بحرف كبير .

وجعلت التعليق الطويل في الحاشية الأولى معلما بهذه العلامة § والتعليقات القصيرة ، وهي
شرح كلمة أو جملة أو بيان لخلاف صغير بين الترجمة والأصل ، كتبت مع اختلاف النسخ في الحاشية
السفلى بحرف صغير .

وأردت أن يميز القارئ بين علامات التعليقات الصغيرة وعلامات اختلاف النسخ فجعلت علامات
التعليق حروفا وجعلت علامات اختلاف النسخ أرقاما . فان كثيرا من القراء لا يبالى باختلاف النسخ
على حين يعنى بقراءة التعليقات فلو كانت العلامات نمطا واحدا لوجب على القارئ أن ينظر كل

(١) انظر ص ١٤٧ ج ١ الآية ، وص ٢٩ ج ٢ الخ .

علامة في الحاشية ليرى أمي للتعليل أم لبيان الاختلاف . على أن هذا لا يكون إلا في متن الكتاب .
وأما الحواشي فلها علامات متجانسة ، وهي الأرقام فقط لأنه ليس فيها اختلاف نسخ .

 \wedge

كتابة الأعلام الفارسية وشكلها :

حيثما ير القارئ في الكلمات الأجنبية هذه الكاف ڪ فلفظها كالجيم في لغة أهل القاهرة
أى مثل الكاف الفارسية والتركية في مثل كُمل (الورد) وكُرف (ز) في مثل (Garde) في الفرنسية
والانكليزية .

ووضعت لشكل الأعلام الأجنبية قواعد يسيرة نافعة أود أن يشيع الاصطلاح عليها وهي :

(١) الحروف الذى يليه حرف مد لا يحتاج إلى شكل .

(٢) والحرف في أول الكلمة إذا لم يشكل فهو مفتوح لأن الفتح أكثر الحركات وأخفها .

(٣) والحرف الذى ليس أول إذا كان ساكناً لا يشكل .

(٤) والرابعة، وهى قاعدة لم أعتد عليها كثيرا تخفيفا على القارئ، أن الحرف الذى يقع بعد حرف ساكن، لا يشكل إذا كان مفتوحا . ومعنى هذا أن الحرف فى أول المقطع كالحرف فى أول الكلمة؛ فإن لم يشكل فهو مفتوح .

(٥) الهمزة تكتب تحت الألف إن كانت مكسورة، وفوقها إن كانت مفتوحة .

بهذه القواعد اليسيرة الطبيعية يستغنى عن ضبط معظم الحروف . كما يتبين من هذه الأمثلة :

أفريديون : لا يحتاج إلى شكل قما، ولا تقرأ بهذه القواعد إلا أفريديون ؛ الألف مفتوحة لأنها أول الحروف، والراء والدادل بعدهما مة، والفاء غير مشكولة في الوسط فهي ساكنة .

سياوخش : تشكل فيها السين فقط : الياء بعدها مذ، والواو مفتوحة لأنها في الوسط بعد سا كن
أى لأنها أول مقطع، والهاء سا كنة لأنها في الوسط وليست بعد سا كن .

أفراسياب : تشكل فيه السين فقط؛ الهمزة مفتوحة لأنها أول الحروف ولأنها فوق الألف . والفاء ساكنة لأنها وسط وليست بعد ساكن ، والراء والياء بعدهما مد .

روزابه : لا تحتاج الى شكل ولا تقرأ الا رُوَبايه .

جشنید : د د د • الا جشنید .

أنوشروان : تشكل فيه الشين فقط .

بهرام : لا يحتاج إلى شكل ويقرأ بهرام .

جودرز : » » » جودرز .

كشواذ : تشكل فيه الكاف فقط ويقرأ كشواذ . وهلم جرا .

وإذا طبقت هذه القواعد في اللغة العربية استغنيانا عن شكل كثير جدا . مثلا في قوله تعالى :
﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ لا نحتاج إلا إلى
الشكلات التي يراها القارئ . وإذا راغبنا اللغة والنحو استغنيانا عن أكثرها كذلك .
ثم إذا تكررت الكلمة في الصفحة تضبط مرة واحدة .

٩

ورموز الحاشية كما يأتي :

صل = الأصل أي نسخة برلين التي اتخذت أصلا .	كو = نسخة كوبرلي ^(١) .
طا = نسخة طوب قبو سراي — السلطان أحمد .	ز = زيادة بعض النسخ كلمة أو جملة .
طر = » » » قصر روان .	لا = قص » » » .
ك = » كبردج .	حا = حاشية الكتاب .

= توضع بعد رقم من أرقام المراجع للدلالة على أن المرجع هو ما تقدم في الرقم السابق .
ثم كلمات "المتن والحاشية، والسابقة، والآية" تدل على أن المرجع هو هذا الكتاب نفسه .
وأما فهرس المراجع فينظر في آخر الكتاب .



ولا ينبغي أن أختم هذه المقدمة دون أن أوجه التناء والشكر إلى حضرة محمد مصطفى نديم أفندي
ملاحظ مطبعة دار الكتب المصرية، وإلى مساعديه . فقد شقت عليهم، وسلكت بهم في ترتيب
الكتاب مسلكا غير مألوف فلم يذخروا جهدا في العناية والاتقان . واني لأرجو أن تبلغ الطباعة العربية
بهم وبأمتلهم الغاية المرجوة .

(١) انظر ص ٥ و ٨ و ٩ و ١١ و ١٢ السابقة .

فهرس مدخل الكتاب

نتيجه — أعداد صحف المختل موضوعه في الفيل .

صحيفة

٢١	الملاحم	الفصل الأول
٢٥	القصص الفارسي	» الثاني
٢٧	أصول الشاهنامه	» الثالث
٣٦	نظم الشاهنامه المشورة	» الرابع
٤١	تاريخ الفردوسي	» الخامس
٧٠	الشاهنامه	» السادس
٩٦	المترجم والترجمة	» السابع

مدخل

الفصل الأول - الملاحم

١ - نشوء الملاحم :

لكل أمة ذات أدب نصيب من القصص منظومة ومثورة . وإنما تختلف الأمم في الاختار والاقبال ، والإجادة والتقصير . وليس يوافق الشعر القصصى أمة إلا بعد تجارب ووقائع تبيع حميتها ، وتثير فيها الإعجاب بآثارها ، والفخر بأحسابها فتفتي بمناقبها وأفاعيل أبطالها ، وتنسج حول الحادثات كثيرا من الخرافات يحد فيها كبرياء الأمة وخيالها مجالا أرحب من مجال الحقيقة المحدود . فتنشأ قصص شتى مثورة ومنظومة . وقد يتاح لهذه الحادثات الشيتية ، والأساطير المتفرقة شاعر يؤلف أشناتها ، ويسلكها كلها في نظام واحد فيجد الناس شعره ترجمان مشاعرهم ، وجماع أقاصيصهم الموروثة قد أعطيت من النظام والجمال ما لم يمهده من قبل . فيكفون بهذه القصص ويتخنونها سمرهم وأغانيم في محافل لمومهم ونفرهم . فتخلد على الزمان حديث الخاصة والدعماء ، وذخر الآباء للأبناء . ولأستاذ مول مترجم الشاهنامه إلى الفرنسية كلام في نشوء الملاحم أعرض على القارئ خلاصته :

إن البحث في أصل الملاحم من أشوق المباحث الأدبية وأصعبها . كل الأمم لما قصص ، فإن أمة لا تنشأ وتشب دون أن تجتاز مراحل من المخاوف فتجلى فيها أعمال الأبطال ، ودون أن تنشأ رجالا يثيرون إعجابها وخيالها ، وجدت هذه الملاحم في جزائر بحر الجنوب حكايات مسجوعة تسجل الوقائع وزمانها ، وعرفت عند الاقوسيين والاعريق الحديثيين في صورة أغاني تاريخية أنشئت ذكرى لمآثر متفرقة من مآثر الأبطال . وعند الجركس تراجم منظومة لبعض العظماء أنشدت رثاء لهم ثم حفظت في أسرهم وقبائلهم ، وإذا جمعت فهي تاريخ الأمة كلها . وعند الأسبانيين والعرب تتقارب هذه الأغاني حتى لا يميزها إلا أواصر قليلة لتصير ملاحم .

وكذلك نشأ تاريخ الأمم كلها : فالناس يقصون ويتغنون قبل أن يكتبوا . وعلى هذه القصص اعتمد المؤرخون الأولون . ونحن نرى طابع الملاحم في أخبار هردوت الماثورة عن العصور الأولى . لا يلجأ المؤرخ إلى هذه القصص إلا حين يلقى وتموزه الأنباء . ولكن القاص يجد فيها كل ما يريد فيؤلفها إثارة أدبية حافظا مادتها وصورتها جهد طاقته . فان مكتبته مواهبه من الإبانة عن مشاعر

(١) مول مقدمة الشاهنامه ص III وما بعدها .

الناس وحاستهم تلقف الناس قصته الجديدة، وغنّوا بها عن الأفاصيص التي انطوت فيها . فتضيع هذه الأفاصيص حتى يتعذر على مر الزمان المقارنة بين الروايات والملاحم التي نسجت منها . ولكن تنلب الملاحم عليها وسرعة نسخها دليل على أنها صورتها .

وكثيرا ما رأينا شاعرا اخترع ملحمة لم يأخذ مادتها من أفاصيص أمته فصّد عنها الجمهور وأعرض . قد أعجب الأدباء بمعانيها وعباراتها ولكن جمالها لم ينف عن العامة شيئا . ذلك هو المحك الوحيد للملاحم كلها ؛ إذا أقبل الناس على ملحمة وتلقفوها وأنشدوها في محافلهم فهي ، ولا ريب ، مؤلفة من عنعنات ^(١) صحيحة وليس فيها للشاعر إلا حسن التصوير والتصرف فيما عرفة الناس من قبل . وغير مثال لما أسماه الملحمة الصحيحة والملحمة الزائفة منظومتا هوميرو ، ومنظومة فرجيل ؛ فقد أراد فرجيل أن يكل من خياله قصص المنعنات التي وجدها ولكن بلاغته كلها وجمال أسلوبه لم يجعل الانبياد (L'Énéide) ككأبا وطنيا دائما .

وقد يعجب الانسان أن قليلا من الأمم أنشأت ملاحم على حين كل أمة عندها عناصر الملاحم . ولكن تفسير ذلك بين : يكثر عند الأمم في بداوتها عناصر الملاحم ولكن لا يتاح لها شاعر مطبوع قادر على أن يلهم القطع المتفرقة ويصوغها قصة شعرية . فاذا تزعرت آدابها فقد ينبغ فيها شاعر يدرك الأفاصيص قبل أن تنسخها الآداب الخاصة فيخلق منها ملحمة قومية . وعلى قدر تقدم الآداب وتمكنها في نفوس الجماهير تحي من نفوسهم الكآف بالملاحم ، وتحمل الآداب المدرسية والكتب محل القصص . فتضيع الأغاني العامة ويغيب ينبوع الشعر الفصيح . حتى إذا مل الناس الصنعة ، كما في زاننا ، والتفتوا الى الأفاصيص القديمة لا يجدون فيها من الحياة ما يؤهلها العمل جديد... انلخ . اه هذه آراء قيمة ، كما يرى القارئ . ولكني أحسبها لا تنطبق آداب الأمم كلها ، فالقصص العربية الجاهلية مثلا ، لم تؤلف منها ملحمة ، ولم تضع بل حفظها التدوين . ولا تزال في بطون الكتب كافية لتأليف قصص طويلة . والشاهنامه مثل آخر ، حفظت لها الأساطير الفارسية قرونا عديدة حتى جاء الفردوسي فنظمها .

٢ - الملاحم الكبيرة :

عرفت القصص المنظومة عند كثير من الأمم القديمة والحديثة : في الآثار المصرية قطع من الشعر تدل على قصص واسع منها شعر بنتاهور . وللمبران ملاحم حفظت التوراة بعضها . وعند الهند

(١) يسمى كتاب الترك كلمة عنعنات في ترجمة الكلمة الأوربية (tradition) . وهي مأخوذة من اصطلاح المحدثين . فهم يسمون الحديث الذي في سنة : عن فلان من فلان الخ الحديث المعنى .

القدماء قصتها مها بهارتا وراماينا . ولليونان ملاحم قبل الالايذة حتى قبل إن الإلياذة والأڈيسية وغيرهما مما عرف من ملاحم اليونان ليست الصورة الأولى ولا الثانية ولا الثانية عشرة من نوعها .^(١) وقبل إنه قد عدّ لقدماء شعراء اليونان سبعون منظومة كالإلياذة والأڈيسية .^(٢)

ولقدماء الجرمان والسكندنافيين ملاحم كانت ذا خطر عندهم . وللرومان ملاحم كبيرة بدموها بترجمة الأوڈيسية ثم تاجوا فيها حتى كان فرجيل فنظم قصته المعروفة بالانباذة (L'Énéide) . بدأ فنظمها سنة ٣٠ ق م . ومات بعد تسع سنين . وقد أوصى أن تحرق مسودات الانباذة إذ كان يموزها فنظم ثلاث سنين حتى تم . ولأهم أوربا الحديثة ملاحم كثيرة جدا منها أغاني رولان عند الفرنسيين ، وقصة هليدبرند الجرمانية . ثم مهزلة دنتي الطلياني ، وفردوس ملتن الانكليزي . وللفنلنديين منظومات كثيرة جمعها الياس لئرت سنة ١٨٣٥ م فصارت ملحمة كبيرة . واسمها كآلولا .

وللعرب قصص في جاهليتهم وإسلامهم ولكن ليس فيها قصة يسوغ أن تسمى ملحمة . ولو أتيح لأيام العرب الجاهلية شاعر كالفرديوسي لنظم منها ملحمة رائعة . هذا الى ما يقوله بعض الباحثين عن سفر أيوب في التوراة أن أصله عربي .^(٣)

وللفرس قصص كثيرة أعظمها الشاهنامة ، وقد نسج الترك العثمانيون على منوال القصص الفارسية فنظموا كثيرا .

والشاهنامة ليست ، كهذه القصص ، تدور على بطل واحد أو أسرة واحدة أو حرب واحدة بل هي ، كما سيأتى ، تاريخ أمة من أقدم ما وعت أساطيرها حتى المتع الاسلامي . ويقول لذلك عنها أنها ملحمة لا نظير لها عند أمة أخرى . فاذا فسنا الشاهنامة بأعظم الملاحم الأخرى وأبعدها صيتا تبين الفرق بينها . واليك الأمثلة :

(١) الإلياذة والأڈيسية .

محور الإلياذة غضبة أخيل بطل اليونان على قومه ثم حيته لم . وكان قد اعترلم في حرب طرواد نقمة على أغاممنون زعيم اليونان الذى غصبه فتاة أسيرة . فالقصة لا تناول ، على سعتها ، إلا وقائع الأيام الأخيرة من عشر السنين التى حاصر فيها اليونان مدينة طرواد . وطرواد تسمى اليوم واليا نسبت القصة إذ سميت (إلياس) .^(٤)

(٣٤١) دائرة المعارف الانكليزية (Eipio) . (٤٠٢) الإياذة البستاني ص ١٦٧ ، ٦١

(٥) انظر في إجمال القصة الإياذة البستاني ص ٣٢ - ٣٤

وموضوع الأذينية تيه أوديس ملك جزر ايثاكة، وبداية الاغريق، عشر ستين على بلحة الماء اذ حاجت المواصف على سفنه راجعا من حرب طرواد .

(ب) المها بهارته والراماينا .

فاما المها بهارته فهي زهاء مائة ألف بيت، وهي قصص موصلة . والقطب الذي تدور عليه تنافس بنى العلم من بنى بهارته . وهما بيتا كورقا وباندقا ، تنافسوا على الملك، وبعد غير شتى تحاربوا ثمانية عشر يوما على أرض كركشترافى مملكة متسيا . واتمى الجلال بقاء بيت كورقا . وتنتهى القصة بزهد الأمراء الباقين أمراء باندقا، واعتزلهم العالم، ورحلهم الى جنة إندرا الخ .

فهى قصة واحدة وقائعها متصلة وزمنها قصير .

وفى الراماينا زهاء ثمانية وأربعين ألف بيت، ومعظمها لشاعر واحد . وبطلها راما بن ملك أوده، ولآه أبوه المهدي فسعت أم أخيه بهراتا حتى عزم الملك على أن ينفية أربعة عشر طما . فانصاع راما وعاش فى البرية وأبى أن يرجع حين دعى ليتولى الملك . ثم إن ملك الجن فى جزيرة سيلان، واسمه رافنا، أحب سيتا زوج الأمير راما فخطفها . فذهب راما لاستخلاصها . وأغانه ملك الفردة على عبور مضيق سيلان . وكذلك ناصره أخو ملك الجن . واتمى القتال بأن قتل راما ملك الجن، واستولى على مدينته، وأجلس أخا ملك الجن على عرشها . ثم رجع راما وزوجه سيتا ظافرين الى أوده . وكانت بعد حوادث أخرى . وفى هذه القصة شبه بقصة كيكلوس وملك الجن فى مازندران التى فى الشاهنامه^(١) . فهذه القصة، كما يؤخذ من اسمها، قصة رجل واحد هو الأمير راما .

(ج) الانياذة، وهى قصة فرجيلوس الشاعر الرومانى، موضوعها متصل بموضوع الانياذة .

وبطلها أنياس أحد حلفاء الطرواد : رحل فى جماعة من قومه يتراد أرضا حتى بلغ قرطاجه ثم إيطاليا حيث أكرمه الملك لايتنوس وزوجه ابنته ثم استخلفه على الملك . وكان من أعقابه، فيما يقال، روملوس مؤسس رومية .

فموضوع هذه القصص وغيرها من الملاحم الكبيرة حوادث متتابعة فى سنين قليلة، كقصة واحدة من قصص الشاهنامه — كالحرب بين بنى أفريدون، أو حرب كيكلوس والجن فى مازندران، أو قصة سهراب ورستم، أو قصة سيباوخش بن كيكلوس . ولعل ملحمة الشاعر الرومانى إنيسوس التى نظم فيها حوادث روما كلها تشبه الشاهنامه فى عموم موضوعها^(٢) .

(١) انظر ص ١٠٥ وما بعدها ج ١ — الآتية . (٢) دائر المعارف البريطانية (Epic) .

الفصل الثاني - القصص الفارسي

الفرس مولعون بالإطناط في شعرهم، كلقون بالقصص والإسهاب فيه . يقول الشاعر العربي :

ولا يقسم على ضمير ياد به إلا الأذلان : عير الحى والودت
هذا على الخلف مربوط برقته وذا يشج فلا يرى له أحد

لا يبعد في ذلة الودت إلا أنه يشج . ويقول الشاعر الفارسي :

دشمنانت همجو ميخ خيمه ميخواهم مدام تن بخاك وسر بسنك وريسمان بر كودنش
أى "أود أن يكون أعدائك كودت الخيمة أبدا : جسمه في التراب، ورأسه للحجر، والحبل
في عنقه" . فقد أدرك ثلاثة أشياء في مذلة الودت . وهذا يصلح مثلا للفرق بين الأدب الفارسي
والعربي في التفصيل والإسهاب .

ومن آيات هذا أن قصة يوسف التي قصها القرآن، وقصة ليل والمجنون المعروفة في الأدب العربي
لم يتصد لنظم أحدهما شاعر عربي على حين نظمهما شعراء الفرس مرارا، واقتنوا فيهما اقتنا .
واقصدى بهم شعراء الترك . وأنوار سهيل، وهو ترجمة كلية ودمنة الى الفارسية، يبلغ زهاء أربعة أمثال
الأصل العربي بما فصل فيه الوصف، وكررت العبارات .

يقول ابن الأثير في خاتمة المثل السائر في تعدد الفروق بين الكتابة والشعر :

« والثالث أن الشاعر إذا أراد أن يشرح أمورا متعددة ذوات معان مختلفة في شعره، واحتاج
الى الإطالة بأن ينظم ما تى بيت أو ثلاثمائة أو أكثر من ذلك فانه لا يبعد في الجميع ولا في الكثير منه
بل يبعد في جزء قليل، والكثير من ذلك ردى غير مرضى . والكاتب لا يؤتى من ذلك بل يطيل
في الكتاب الواحد إطالة واسعة تبلغ عشر طبقات من القراطيس أو أكثر وتكون مشتملة على ثلاثمائة
سطر أو أربعائة أو خمسمائة . وهو يبعد في ذلك كله . وهذا لا نزاع فيه لأننا رأينا وسمعنا وقلنا .
وعلى هذا فاني وجدت المعجم يفضلون العرب في هذه النكتة المشار اليها . فان شاعرهم يذكر
كتابا مصنفًا من أقوله الى آخره شعرا، وهو شرح قصص وأحوال . ويكون مع ذلك في غاية الفصاحة
والبلاغة في لغة القوم، كما فعل الفردوسى في نظم الكتاب المعروف بشاه نامه . وهو ستون ألف بيت
من الشعر يشتمل على تاريخ الفرس . وهو قرآن القوم : وقد أجمع فصحاؤهم على أنه ليس في لغتهم
أفصح منه . وهذا لا يوجد في اللغة العربية على اتساعها، وتشعب فنونها وأغراضها، وعلى أن لغة
المعجم بالنسبة إليها كقطرة من بحر » .

وقد عرف القصص في الأدب الفارسي الحديث منذ نشأ :

(١) فابو جعفر الرودى أقدم شعراء الفرس العظام المتوفى سنة ٣٢٩ نظم كلية ودمنة بالفارسية .

- (٢) والعنصرى المتوفى سنة ٤٣١هـ، شاعر السلطان محمود الغزنوى نظم قصة وامق وعذراء وأربع منظومات أخرى . ولا ندرى آخذ عن كتاب سهل بن هارون الذى سماه الوامق والعذراء أم لا . وقد نظمها فى البحر المتقارب كالشاهنامة .
- (٣) وأبو عبد الله الأنصارى الشاعر الصوفى المتوفى فى هراة سنة ٤٨١هـ كتب قصة يوسف وزليخا ثرا .
- (٤) ونغرى الجرجانى شاعر السلطان طغرل بك السلجوق نظم قصة ويس ورامين .
- (٥) ونظامى الكنجوى المتوفى فى حدود سنة ٦٠٠ نظم خمس قصص عرفت باسم خمسة نظامى منها لىلى والمجنون . واقتدى به من بعدُ بعض شعراء الفرس والترك فحرصوا على أن يكونوا أصحاب "خمس" .
- (٦) والأمير خسرو الدهلوى المتوفى سنة ٧٣٥ نظم خمسة منها لىلى والمجنون أيضا، وزاد قصصا أخرى .
- (٧) وآدرى أحد شعراء السلطان شاهرخ بن تيمورلنك، نظم يوسف وزليخا .
- (٨) وعبد الرحمن الجامى الشاعر الصوفى الكبير المتوفى سنة ٨٩٨ نظم أكثر من ست قصص منها يوسف وزليخا ولىلى والمجنون .
- (٩) ومكتبى الشيرازى المتوفى سنة ٨٩٥ نظم قصة لىلى والمجنون .
- (١٠) وهاتفى الجامى المتوفى سنة ٩١٨، ابن أخت عبد الرحمن الجامى، نظم "خمس" أيضا منها لىلى والمجنون، وزاد قصصا أخرى .
- (١١) ووحشى الكرمانى البزدى المتوفى سنة ٩٩٢ نظم قصة خسرو وشيرين وغيرها .
- (١٢) وناظم المروى المتوفى سنة ١٠٥٨ نظم قصة يوسف وزليخا .
- (١٣) ونامى من شعراء القرن الثانى عشر، فى عهد الملك نادر شاه، نظم لىلى والمجنون، ووامق وعذراء، وخسرو وشيرين .
- والصوفية من شعراء الفرس كثيرا ما يتخذون القصص وسائل لبيان طريقتهن ، وشرح ما دق من إدراكهم وإحساسهم ؛ فالطار كتب منطق الطير وقصصا أخرى ، وجلال الدين الرومى مولع بضرب الأمثال من القصص يتقلد من واحدة الى أخرى حتى يوفى بالقارئ على الغاية مما يريد . وفى هذا برهان ما فى طباع الفرس من الولوع بالقصص ، وقد صار هذا سنة فيهم جرى عليها المطبوع وغير المطبوع منهم .
- هذا عدا الشاهنامة والملاحم التى نظمت عما كاة لها كما يأتى .

الفصل الثالث - أصول الشاهنامه^(١)

١ - في الشاهنامه قسم تاريخي، هو تاريخ الساسانيين، وبعض قصة دارا واسكندر المقدوني، وفيها قسم خرافي ليس فيه إثارة مما عرّفه التاريخ في آثار الفرس وكتب اليونان إلا حدسا وتخيّنا. ويرى الفارسي في التعليقات على ملوك الپيشداديين والكيانيين في هذا الكتاب أن معظم الملوك يذكرون في كتاب الأستاق محاطين بكثير من الأساطير الدينية. ويرى الفارسي كذلك أن معظم الملوك من كيو مرث الى كي خسرو يذكرون في الأساطير الهندية أيضا فهم بقايا من الأساطير الارية حفظها الهند والفرس على خلاف فيها.

حفظت الأستاق، كالنوراة، روايات أمة قديمة تُسجّت حول أبطال تدل أسماءهم أنهم كانوا من قوى الخير والشر في الدين الآري القديم الذي قام على عبادة الطبيعة. طال الأمد على الإيرانيين بعد زوال ملك الكيانيين بحروب اسكندر، وأخى من ذكرياتهم تاريخ ملوكهم القدماء في خمسة القرون التي مضت بين اسكندر وأردشير مقيم الدولة الساسانية. فلما نهض بهم أردشير، وجمعهم تحت لواء واحد، وأحيا دين زردشت كذلك، وترجمت الأستاق الى الفهلوية - خطوا بالبقية القليلة التي وعوها عن ملوكهم الأقدمين، وبما عرفوا من تاريخ الأشكانيين ما رواه لهم كتاب دينهم. فانقلب الأبطال وأشباه الآلهة في الأستاق ملوكا قدماء سيطروا على إيران. وأضيف الى هذا ما عرّفه الفرس عن عداء الأشوريين والعرب والتورانيين من أساطير قديمة أو وقائع حديثة رذوها الى عهد قديم. وزيد على هذا وذلك ما اخترعه خيالات الجماهير. فصار هذا كله قصصا حماسية احتفظ بها الدهاقين وحذّثوا بها، وأنشدوا الناس في محافلهم وأعيادهم^(٢).

أضيف الى هذا تاريخ الساسانيين، ودون هذا كله في كتاب سمي باستان نامه (كتاب القدماء) أو خدای نامه (كتاب الأمراء).

(١) أعظم مصادر هذا الفصل لذلك : الحماسة الإيرانية ، ومقدمة بايسفر ، والآثار الباقية البيروني .

(٢) مولج ١ : مقدمة ص ٦٠ وما بعدها .

٢ - مقدمة بايستقر :

و خلاصة ما ترويه مقدمة بايستقر^(١) على ملاتها ، أن الساسانيين كانوا مولعين بجمع أخبار أسلافهم وترتيبها . وكان أنوشروان أكثرهم اهتماما فكان يرسل إلى الأطراف لجمع الأخبار وحفظها في مكتبته . واستمر هذا في عهد الملوك بعده حتى أيام يزجدر الأخير . فأمر الدهقان دانيشور أحد أكابر المدائن أن يربأ الأخبار المجموعة ويضع لها فهرسا ويكلمها ، من كيومرث إلى آخر عهد پرويز (جد يزجدر) . فرتب الدهقان ما وجده وسأل الموازنة عما لم يجده وجمع تاريخا كاملا . فلما غم سعد بن أبي وقاص خزائن يزجدر أخذ الكتاب فيما أخذ . فلما أرسل إلى عمر أمر مترجما أن يخرجه بما فيه . فاستحسن القصص التي تروى عن عدل الملوك وحسن سياستهم فأمر أن يترجم إلى العربية . ولما سمع غير هذا من عقائد عبدة الشمس والنار والصابئين ، وخرافات زال والعنقاء قال : إنه كتاب غير جدير بالقراءة لأنه يشبه الدنيا . فسل كيف يشبه الدنيا ؟ فقال : سمعت الرسول يقول : إن الدنيا هانت على ربها فخلط حلالها وحرامها . يعني أن هذا الكتاب خليط من جد وهزل وحق وباطل .

قسمت الغنائم وانتهى الكتاب إلى الحبش فقدم إلى ملكهم مع نفائس من خزائن يزجدر فأمر فترجم وسكن إليه الملك ، وتداولته الأيدي في بلاد الحبش والهند حتى كانت دولة يعقوب بن الليث الصفار في خراسان .

استحضر يعقوب الكتاب ، وأمر أبا منصور عبد الرزاق بن عبد الله فرخ الذي كان معتمد الملك ، أن ينقل إلى الفارسية ما كتبه دانيشور بالفهلولية ، وأن يلحق به الأحداث من بعد پرويز . فأمر أبو منصور وكيل أبيه ، مسعود بن المنصور المعمرى ، وأربعة آخرين فترجموا الكتاب سنة ٥٣٦هـ وانشرت نسخته في خراسان والعراق .

والأربعة الذين شاركوا المعمرى في الكتاب هم ، على كثرة التحريف في أسمائهم :

(أ) تاج بن خراساني ، من هرة .

(ب) يزدان داذ بن شابور ، من سيستان .

(١) مقدمة كتبت للشاهنامه بأمر بايستقر حفيد تيمورلنك . وهي في كثير من النسخ المخطوطة وفي طبعة مكن (Maeen)

وطبعة تيريز . (٢) صيغ الأسماء هنا مأخوذة من مقدمة الشاهنامه طبع تيريز سنة ١٢٧٥ هـ . ومن تلكه : الهامة

الابراية ص ١٢ ههنا من مقدمة أخرى للشاهنامه غير مقدمة بايستقر - وقد رجحت بعض الصيغ على بعض .

(ح) ماهوى خورشيد بن بهرام، من نيشابور .

(ء) شادان بن بُزَين، من طوس .

ولما كان عهد السامانيين أمروا الدقيق أن ينظمه فنظم ألف بيت ثم قتل . وكان السلطان محمود الغزنوى يتقيل الساسانيين ، ويعنى بالعلوم ، ويسجب بأخبار ملوك العجم . وأراد أن يعمل عملا لم يسبق إليه فأمر بنظم الكتاب .

ويقال إن أحد أبناء الملوك من ذرية أنوشروان ، واسمه خورفيروز ، هاجر من موطنه فارس ، وساقته غير الزمان الى مدينة غزنى ، وودّ أن يعلم السلطان بحاله فطاف بالقصر فقابل رجلا حسن السمى ، وكان إمام السلطان ، فعرض عليه حاله فتقبل أن يرغى الى السلطان أمره . ثم تسنى لخورفيروز أن يدخل على السلطان فرأى الشعراء مجتمعين ، ثم رآهم أخذوا طومارا من المنصرى الشاعر وعرضوه على السلطان فاستحسنه وأكرم الشاعر وأمره بنظم الكتاب . قال خورفيروز : أى أب ؟ قال الامام : إن السلطان مولع بالشعر ، وقد جلب اليه كتاب من مجستان فيه سير بعض الملوك ، وأراد الملك أن ينظم ، ومن أجل هذا ازدحم الشعراء هنا . وقد بدع المنصرى . فقال : لو أسعدنى الجدد لأحضرت الكتاب معى . فأثنى قوله الى السلطان فأرسل رسول الى موطن الرجل وعشيرته فأتى بالكتاب ، لحفظى خورفيروز عند السلطان .

ويقال إن ملك كرمان سمع بتصدى محمود لجمع الكتاب ، وكان يخطب مودته . وكان فى كرمان رجل من نسل شاپور ذى الأكلاف ، حريص على جمع أخبار العجم . فأرسله ملك كرمان الى السلطان محمود . وكان بهر ورجل اسمه كُرد آزاد من نسل زال ، يعرف أخبار زال وسام ورسم فحمل ما عنده الى محمود أيضا “ .

هذه خلاصة ما فى مقامة بايستقر . وهى ، كما يرى القارئ ، مليئة بالغلط والخرافات . ولكن فيها أخبارا ينبغى ألا يغفلها الباحث :

٣ - نقد هذه الأخبار :

فأما جمع الساسانيين أخبارهم وأخبار أسلافهم فالتاريخ يؤيده . فالمؤرخ الشاعر اليونانى أكتيئاس ، وهو معاصر أنوشروان ، يروى أنه كان عند الفرس أيام خسرو الأول سجلات يعنى بحفظها ، تضمن أسماء الملوك الساسانيين وتاريخهم . ولا ريب أن هذه السجلات حوت أسماء الملوك قبل الساسانيين من لدن كيومرث . ولولا هذا ما اتفقت الروايات على نسق الملوك وكثير من

حوادثهم . ولم يكن الفرس إذ ذاك يفترقون بين الخرافات والتاريخي من هذه الأخبار ، كما كان
الاثينيون في القرن الرابع ق . م . يصدقون بوقائع الأمازون تصديقهم بوقائع سلاميس ومراثون .
وما كانت روايات الفرس عن القدماء اختراعا محضا بل كانت تطوّر أساطير وعنعنات قديمة . ومن أجل
ذلك نجد في الشاهنامه الاكثار في تاريخ بعض الملوك والاقلال في تاريخ بعضهم إقلا لا يخل بالتناسب
بين العصور .^(١) ثم يروى الفردوسي وغيره أن هر مزد أبا پرويز حينما خلع وسملت عيناه طلب من ابنه
أن يحضره رجلا يقص عليه من أنباء الوقائع السالفة ، وآخر عالم بأخبار الملوك يقرأ عليه كتابا
في أخبارهم .^(٢) وكان خلع هر مزد سنة ٥٩٠ م .

وكتب أخرى تتضمن بعض قصص الشاهنامه كتبت بين القرن الثاني والقرن الثامن الميلادي .
وفي هذا دليل على قدم هذه الأساطير ، فقصّة كُشتاسب وكايون لها نظير في كتاب المؤرخ
اليوناني أنثيوس (Athenaus) الذي عاش في أواخر القرن الثاني الميلادي وأوائل الثالث ، والكتاب
الفهلوي "باتكار زريان" فيه قصة زريرا طول ما في الشاهنامه ، وقد كتب حوالي سنة ٥٠٠ م .^(٣)
والكتاب الفهلوي الآخر "كارنامك أردشير" الذي كتب حوالي ٦٠٠ م يعتبر أصلا لما في الشاهنامه
والكتب العربية عن أردشير مقيم الدولة الساسانية .^(٤) وبعض أخبار رسمت عرفت فيما كتبه موسى
القوريبي الأرمني الذي كتب في القرن السابع الميلادي أو الثامن .^(٥) وأخبار رسمت واسفنديار كانت
معروفة عند العرب قبل الاسلام .

على أن قصة دارا والاسكندر في الشاهنامه تلاق ما عرفه التاريخ في القرن الرابع قبل الميلاد .
وهناك أبطال في الشاهنامه مثل كودرز وابنه جيو تشبه أسماؤهم وأفعالهم أسماء بعض الأسراء
الأشكانيين وأفعالهم . فأن يكن بعض ما قصه الشاهنامه عن دارا وهؤلاء الأبطال ذكرى وعاما
الفرس بالرواية الشفوية أو المكتوبة من عهد الاسكندر أو الأشكانيين فليس بعيدا بالقياس على
هذا ، أن تكون أساطير كيكائوس وكيكسرو ومن قبلهما ومن بعدها قديمة جدا أو بقايا محرفة من
حقائق بعيدة العهد أفلتت من قيود التاريخ .

وبالحلصة أن هناك دلائل تثبت قدم القصص التي في الشاهنامه ، ولا يسع الباحث إلا أن يظن
أن هذه القصص دوّنت قبل زوال الدولة الساسانية .

(١) نذكر : الحماسة الإيرانية ص ١٢ (٢) أنظر فيما يأتي ص ١٩٧ و ١٩٨ ج ٢ ، والشاهنامه أول عهد پرويز :

مولج ٧ ص ٩٤٨ (٣) ص ٣١٣ ج ١ الآتية . (٤) ص ٣٢٧ ج ١ الآتية . (٥) ص ٥٠٠ ج ٢ الآتية .

(٦) الحماسة الإيرانية ص ٢٠

وأما أمر يزجرد بكتابة أخبار الملوك من كيومرت الى پرويز، كما تقدم، فذكره كذلك المقدمة الأخرى التي تصدريها بعض مخطوطات الشاهنامه، وتريد على دانشور رجلين آخرين : فرخان الموبد الكبير في عهد يزجرد، ورامين خادم الملوك . ويقول لذلك في تأييد هذا أن اتفاق الكتب العربية والشاهنامه ظاهر الى آخر عهد پرويز، وهذا دليل على أن المصدر الذي أخذ عنه كتب بعد هذا العهد قليل ، وأن ما في الكتاب من عصبية للفرس ، وانتصار للوك يشمر بأنه كتب في رطاية الملك قبل زوال الدولة . ثم تعظيم پرويز ولعن ابنه شيرويه الذي قتل أباه وأخوته، وفيهم شهریار أبو يزجرد ، يؤيد أن الكتاب جمع في عهد يزجرد . وكأن تنويج هذا الملك في اصطخر العتيقة المقدسة في حاية رسم كان إيذاناً باتهاء الفوضى وإقبال عهد سعيد . وهذا يلائم جمع تاريخ رسمي لابراي . وليس يمكن أن يكون هذا الجمع وقع بعد حرب القادسية .

ولا ريب أن هذا الكتاب جمع باللغة الفهلوية إذ لم يكن غيرها يكتب في ذلك العصر . والظاهر أنه عرف عند الفرس باسم خندای نامه (خَوَتای نامک) أى كتاب السادة، فان الكتب العربية كثيرا ما تذكر هذا الاسم في الكلام على كتب أخبار الفرس التي ترجمت الى العربية .

وأما أخذ سعد بن أبى وقاص الكتاب وإرساله الى عمر غرارة مينة ، وكأنها متصلة بالخرافات الأخرى التي اخترعها بعض الناس بنضا لعمر . أريد بها أن يكون عمر قد أخذ كتابهم كما فتح بلادهم . كما اتهموا اسكندر المقدوني أنه أحرق كتاب الأبتاق حينما فتح إيران . ولكن الأسطورة وقفت بعمر موقفا وسطا، فما أمر بإحراق الكتاب ولا قال : إنه كذب كله . بل جعله شبه الدنيا يختلط حلالمها بحرامها . وهى شهادة للكتاب لا عليه . وكأن منخرى الأسطورة أو روايتها أرادوا ألا ينفر من الكتاب بإسحق حفيد تيمورلنك، الذي جمعت له مقدمة الشاهنامه .

ونقل الكتاب الى الحبشة من عجائب الخرافات، ولكن قول الراوى بعد هذا : وتداولته الأيدى في بلاد الحبش والهند يفسر هذه الخرافة . فاتصال الأساطير الإيرانية بالأساطير الهندية بين قديما وخطا (البوفان ومن أخذ عنهم، بين الحبشة والهند، كما يرى في فصل اسكندر الآتى في الشاهنامه .^(٢٢) وانظر كيف أجاب أنوشروان سيف بن ذى رزن حين قال له : غلبتنا على بلادنا الأغرربة . . قال أنوشروان : أى الأغرربة ؟ الحبشة أم السند .^(٢٣)

(١) لذلك : الحاشية الإيرانية ص ٢٣ ، ومقدمة ترجمة الطبرى، انظر ترجمة خدا بخش لكتاب

The Iranian Influence on Moslem Literature. ص ١٤٥ .

(٢) ج ٢ ص ١٩ ، الآتى . (٣) ابن هشام ج ١ ص ٦٢

٤ - تاريخ الفرس القدماء ، في العهد الاسلامي :

(١) في اللغة الفارسية :

استمر الفرس ، بعد الفتح الإسلامي ، على رواية تاريخهم القديم ، واحتفظ به المجوس وغيرهم ، وقلبت به الأطوار حتى انتهى الى الفردوسي . يقول الاصطخري : "وقلعة الحص بناحية أرتجان فيها مجوس وبادكزارات الفرس . وأيامهم تدارس فيها^(١) " . ونحو ذلك في ابن حوقل^(٢) . ويقول الاصطخري في موضع آخر : "وبناحية سابور جبل قد صور فيه صورة كل ملك ، وكل مرزبان معروف للعجم ، وكل مذكور من سدنة التيران وعظيم من موبذ وغيره ، وسابع صور هؤلاء وأيامهم وقصصهم في أدراج . وقد خص بحفظ ذلك قوم سكان بموضع بناحية أرتجان يعرف بحصن الحص " . ويقول المسعودي عن كتاب آئين نامه (كتاب الرسوم) : " وهو عظيم في الألوف من الأوراق لا يكاد يوجد كاملاً إلا عند الموبذة وغيرهم من ذوى الرياسات . والموبذ لهم في هذا الوقت المؤرخ به كتابنا ، وهو سنة ٣٤٥ ، بأرض الجبال والعراق وسائر بلاد الأعاجم ، أنماذ بن أشهرشت^(٣) " . ويقول في موضع آخر^(٤) : " ورأيت بمدينة اصطخر من أرض فارس ، في سنة ٣٠٣ عند بعض أهل البيوتات المشرفة من الفرس ، كتاباً عظيماً يشتمل على علوم كثيرة من علومهم وأخبار ملوكهم وأبنيتهم وسياساتهم لم أجدها في شيء من كتب الفرس تخدای نامه وآئين نامه وكهننامه وغيرها ، مصور فيه ملوك فارس من آل ساسان ، سبعة وعشرون ملكاً منهم خمسة وعشرون رجلاً وامراًئان . قد صور الواحد منهم يوم مات شيخاً كان أو شاباً ، وجليته وتاجه ومخط لحيته وصورة وجهه ، وأنهم ملوك الأرض أربعاًئة سنة وثلاثاً وثلاثين سنة وشهراً وسبعة أيام ، وأنهم كانوا اذا مات ملك من ملوكهم صوروه على هيئته ورفعوه الى الخزائن كيلا ينفى على الخى منهم صفة الميت ، وصورة كل ملك كان في حرب قائماً ، وكل من كان في أمر جالساً ، وسيرة كل واحد منهم في خواصه وعوامه ، وماحدث في ملكه من الكوائن العظيمة والأحداث الجليلة الخ " .

وقد كان عند الفرس كثير من كتب التاريخ تختلف فيها الروايات . وعرف بمحقق تواريخهم بعض الموبذة مثل بهرام بن مردانشاه موبذكورة سابور من فارس الذي روى عنه حمزة الأصفهاني أنه قال : " إني جمعت نيفاً وعشرين نسخة من الكتاب المسمى خدای نامه حتى أصلحت منها

(٤) التتبيه والاشراف ص ١٠٤

(٢) ص ١٥٠

(٢) ص ١٨٩

(١) ص ١١٨

(٥) ص ١٠٦

تواريخ ملوك الفرس من لندن كيومرت والد البشر الى آخر أيامهم بانتقال الملك عنهم الى العرب ^(١) . وقد ذكره ابن النديم فيمن ترجموا من الفارسية .

وقد بقيت كتب فهلوية الى وقتنا هذا منها "يادكار زديران" و "كارنامك أردشير بايكان" .

ثم كتبت بالفارسية الحديثة شاهنامات منها شاهنامة المؤيدى ^(٢) . وشاهنامة أبى على البلخى التى ذكرها البيرونى فى الآثار الباقية ^(٣) ، والشاهنامة التى كتبت بأمر أبى منصور بن عبد الرزاق الطوسى حوالى سنة ٥٣٤٦ هـ . وهى أصل شاهنامة الفردوسى فيما يظن .

(ب) فى اللغة العربية :

عن العرب بنقل أخبار الفرس منذ أول عهدهم بالترجمة ؛ يقول المسعودى فى التنبيه والاشراف ^(٤) عن الكتاب الذى رآه فى أصطخر مشتملا على تاريخ ملوك الفرس وصورهم : "كان تاريخ هذا الكتاب أنه كتب مما وجد فى خزائن ملوك فارس ، للنصف من جمادى الآخرة سنة ١١١٣ ، ونقل لهشام أبى عبد الملك بن مروان عن الفارسية الى العربية" . وروى صاحب الفهرست أن جبلة بن سالم ، وهو كاتب هشام ، ترجم كتاب إسفنديار ورسم . وترجم ابن المقفع كتاب خدای نامه ، وليس بعيدا أن يكون هو الكتاب الذى جمع فى عهد يزيدجرد ، وترجم كتباً أخرى منها كتاب مزدك ، وكتاب التاج فى أخبار أنوشروان ، وكتاب آئين نامه ^(٥) . ويقول المسعودى عن آئين نامه ، وأحسبه يصف الأصل الفارسي لا ترجمته : "وهو عظيم فى الألوف من الأوراق ، لا يكاد يوجد كاملا إلا عند الموازنة وغيرهم من ذوى الرياسات" ^(٦) . وترجم محمد بن الجهم البرمكى كتاب سير الملوك كذلك . ويظهر من كلام صاحب الفهرست أن أبان بن عبد الحميد اللاحق نظم سيرة أردشير ، وسيرة أنوشروان . ولعل أبى عبيدة الريمانى ، وهو من أصحاب المأمون ، كتاب كيكهراسف الملك . وإسحاق بن يزيد نقل من الفارسية كتابا آخر فى تاريخ الفرس ^(٧) . ويقول حمزة الأصفهاني فى كتابه تاريخ سنى ملوك الأرض والأنياء ^(٨) : "وتواريخهم (يعنى تواريخ الفرس) كلها مدخولة غير صحيحة لأنها نقلت بعد مائة ونمسين سنة من لسان إلى لسان . ومن خط متشابه رقوم الأعداد الى خط متشابه رقوم العقود ، فلم يكن لى فى حكاية ما يقتضى هذا الباب ملجأ إلا الى جمع النسخ المختلفة النقل . فاتفق لى ثمانى نسخ وهى : كتاب سير ملوك الفرس من نقل ابن المقفع ، وكتاب سير ملوك الفرس من نقل محمد بن الجهم البرمكى ،

(١) حمزة ص ١٩ (٢) تاريخ طبرستان : الترجمة الانجليزية ص ١٨ (٣) ص ٩٩ (٤) ص ١٠٦

(٥) الفهرست : ابن المقفع . (٦) التنبيه ص ١٠٤ (٧) الفهرست فصل الثقة من الفارسية (٨) ص ٩

وكتاب تاريخ ملوك الفرس المستخرج من خزانة المأمون ، وكتاب سير ملوك الفرس من نقل أو جمع محمد بن بهرام بن مطيار الأصبهاني ، وكتاب تاريخ ملوك بني ساسان من نقل أو جمع هشام بن قاسم الأصبهاني، وكتاب تاريخ ملوك بني ساسان من إصلاح بهرام بن مردانشاه موبد كورة شابور من بلاد فارس . فلما اجتمعت لى هذه النسخ ضربت بعضها ببعض حتى استوفيت منها حق هذا الباب ” وقد روى حمزة الأصفهاني عن موسى بن عيسى الكسروي قوله : ” إني نظرت في الكتاب المسمى خدای نامہ ، وهو الكتاب الذي لما نقل من الفارسية الى العربية سمي « كتاب تاريخ ملوك الفرس » فكررت النظر في نسخ هذا الكتاب وبجتها بحث استقصاء فوجدتها مختلفة حتى لم أظفر منها بنسختين متفقتين . وذلك كان لاشتباه الأمر كان على الناقلين لهذا الكتاب من لسان الى لسان ^(١) ” .

ويذكر البيروني عن البلخي الشاعر أنه صحح كتاب الشاهنامه من خمسة كتب . منها أربعة من التي ذكرها حمزة ، والخامس كتاب سير الملوك لبهرام بن مهران الأصبهاني ، وأنه قابل ذلك بما أورده بهرام الهروي المجوسي ^(٢) .

ومن هذا كله يتبين أن المترجمين الى العربية لم يترجموا من كتاب واحد ، بل وجدوا كتباً عديدة في أخبار ملوك الفرس كلهم أو سير بعضهم . ولو كان أمامهم كتاب واحد ما احتاجوا أن ينقلوه الى العربية ثمانى مرات ، وما كان بين التراجم هذا الاختلاف الذي يصفه حمزة الأصفهاني وتشهد به الكتب العربية . هذا الى اختلاف الترجمة عن الكتاب الواحد . يؤيد هذا قول هذا المؤرخ في أول الفصل الخامس من الباب الأول : ” وهو في حكاية جمل مما في خدای نامہ لم يحكمها ابن المقفع ولا ابن الجهم بفتح بها في آخر هذا الباب ليحريها من يقرأها مجرى أحاديث لقمان بن عاد ^(٣) . ” وكان ابن المقفع وابن الجهم حذفوا ما لا يلائم الدين والعقل فهذه الجمل التي ذكرها حمزة أساطير دينية منقولة من كتاب الأستاق وغيره .

وقد عرفت هذه الكتب بين فضاء العربية وذاعت ولا سيما ترجمة ابن المقفع . ويذكر الجاحظ حكاية عن الشعوبية ما يبين عن هذا الكتاب بعض الإبانة إذ قالوا : ” ومن احتاج الى العقل والأدب ، والعلم بالمراتب والمبر والمثلثات ، والألفاظ الكريمة ، والمعاني الشريفة فلي نظر الى سير الملوك ^(٤) . ” وفي كتاب عيون الأخبار وكتاب المعارف لابن قتيبة وغيرهما نبذ من كتاب ابن المقفع .

(٣) حمزة ص ٤٣

(٢) الآثار الباقية ص ٩٩

(١) حمزة ص ١٥

(٤) البيان والبيان ط القاهرة سنة ١٣٤٥ ج ٣ ص ٧

٥ - الشاهنامه التي أمر بجمعها أبو منصور بن عبد الرزاق الطوسي :

تقدم، في خلاصة مقدمة بايسنقر، أن يعقوب بن الليث الصفار حصل كتاب ملوك الفرس وأمر أبا منصور عبد الرزاق بن عبد الله بن فرخ الذي كان معتمد الملك أن ينقله من الفهلوية الى الفارسية سنة ٣٦٠ هـ .

وينبغي قبل بحث هذا الموضوع أن نبعد اسم يعقوب بن الليث . فذكره هنا غلط بين . بعض النسخات الفارسية تجعل يعقوب بطلا إذ كان أول أمير فارسي استقل عن الخلافة العباسية، ويرى أن أول ما عرف من الشعر الفارسي الحديث شطريت مهمم به ابن رضيع ليعقوب . فكانت يعقوب هذه زينت لرواة مقامة بايسنقر المليئة بالخرافات أن يقرنوا اسم يعقوب بالشاهنامه المنتورة التي كتبت في القرن الرابع . يعقوب توفي سنة ٣٦٥ فلا يمكن أن يكون قد أمر بجمع الشاهنامه التي كتبت سنة ٣٦٠ . وإذا أخذنا برواية للنسخة التي نقل عنها مول ، وصححتا التاريخ بفعلناه ٣٦٠ فأبو منصور بن عبد الرزاق عاش في القرن الرابع ولم يدرك يعقوب . بقي أن يقال أن هذا "أبا منصور عبد الرزاق بن عبد الله فرخ" الذي يذكر في مقدمة بايسنقر ليس هو أبا منصور بن عبد الرزاق والى طوس المعروف . فشاهنامه يعقوب بن الليث غير الشاهنامه التي جمعها أبو منصور بن عبد الرزاق وذكرها البيروني كما يأتي . ومهما يقل فبعد أن يعني رجل كيعقوب بن الليث بجمع تاريخ الفرس القديم في عهده القصير المضطرب . ولم يخبر هذا أحد من الثقات . وليس يلزم المؤرخ التعويل على رواية بحجة تنفرد بها مقدمة بايسنقر المملوءة بالأغلاط والخرعبلات ، على أن المقدمة الأخرى تسمى جامع الكتاب "أبا منصور بن عبد الرزاق" (١) أيضا .

يقول البيروني في الآثار الباقية أشاء الكلام عن الملوك الأشكانيين : "ووجدنا تواريخ هذا القسم الثاني في كتاب شاهنامه المسمول لأبي منصور بن عبد الرزاق على ما أودعناه أيضا في هذا الجسول" (٢) .

ويقول في موضع آخر : "كما فعل لابن عبد الرزاق الطوسي من اقتعال نسب له في الشاهنامه ينتمي به الى متو شجر" (٣) .

فلا ريب إذا أن شاهنامه جمعت لرجل اسمه أبو منصور بن عبد الرزاق الطوسي . فمن أبو منصور هذا ؟ هو محمد بن عبد الرزاق الذي ولي خراسان من قبل السامانيين ، وجمله منصور بن نوح قائد

(١) الحاشية الإيرانية ص ٢٦ (٢) الآثار ص ١١٦ (٣) الآثار ص ٣٨

خراسان سنة ٣٥١ هـ، ومات بعد هذا بقليل . وأظنه لم يدرك سنة ٣٦٠ هـ، وهو تاريخ جمع الشاهنامه في مقدمة بايستقر، كما تهدم . وفي المقدمة الأخرى أنه أمر بجمع الكتاب سنة ٣٤٦ هـ^(١) فهذا يلائم تاريخ أبي منصور .

ويمكن أن يقال أن هذا الكتاب حوى ما في خدای نامه وأشباهها من كتب سير الفرس، وأن معظمه نقل من كتب فارسية قديمة كتبت في عهد الساسانيين، وأن جامی الكتاب ومترجمه أضافوا إلى ذلك كثيرا من القصص والأمثال والخطب . فما كانوا ليتركوا أثارة من سير آباؤهم الأولين . ومن ذلك، في رأى الأستاذ نللكه، أكثر الحكايات القصيرة التي تروى عن بهرام كور والتي لا تلتقى في الكتب العربية التي أخذت عن خدای نامه . وكذلك أدخل في الكتاب قصص أجنبية لم تكن في خدای نامه كقصصة اسکندر التي في الشاهنامه . فان تعظيم اسکندر وإدخاله في عداد الإيرانيين حدث في العصر الإسلامي^(٢) .

ونحن نجد اليوم بعض قصص الشاهنامه في كتب فهلوية وفارسية متأخرة مثل قصة نقل الشطرنج إلى إيران التي يظن أنها كتبت في العصر الإسلامي . فلا يبعد أن تكون مثل هذه القصص زيدت عند جمع الكتاب، على ما كان في خدای نامه .

والخلاصة أن هذا الكتاب، فيما يظن، جمع ما وعاه علماء المجلوس بالحديث أو الكتابة، من تاريخ الفرس القدماء .

الفصل الرابع - نظم الشاهنامه المنشورة

١ - يقول الفردوسی في مقدمة الشاهنامه^(٣) :

« كان من آثار الفارین كتاب مملوء بالقصص قسمته أبدى الموازنة، وحرص كل عاقل على قطعة منه . وكان من نسل الدهاقین بطل عاقل ذكى جواد يتقزى آثار الأولین، ويتتبع قصص الماضین . فدعا إليه كل موبد قد وعى أثارة من هذا الكتاب، وسألم عن أسباب الملوك والأبطال النابین ... فلما سمع منهم شرع يؤلف من ذلك كتابا عظيما الخ » .

ليس يبعد أن يكون هذا « البطل العاقل الذكى الجواد » هو أب منصور بن عبد الرزاق الذى ذكر آنفا . وكان جمعه الشاهنامه في حياة الفردوسی . ثم هو يمدح في المقدمة صديقا أغدق

(١) الحماسة الإيرانية ص ٢٦ (٢) الحماسة الإيرانية ص ٢٧ وما بعدها . (٣) ص ٦١، الآية .

عليه من ماله حتى يفرغ لنظم الشاهنامه . وهذا المدح تحت عنوان "مدح أبي منصور بن محمد" في بعض النسخ . وفي بعضها "أبو منصور محمد" . ولكني أحسب هذا أبا منصور غير أبي منصور ابن عبدالرزاق، وأظن ابن عبدالرزاق مات قبل أن يشرع الفردوسي في نظم الكتاب . على أن الفردوسي لم يسمه جامع الكتاب .

ثم الأربعة الذين ترجوا الكتاب، وقد ذكرت أسماءهم آنفا، كانوا مجوسا كما يتبين من أسمائهم . ولم يكن غير المجوس إذ ذاك يعني بالفهلوية ويمجد قراءتها . والفردوسي يذكر اسم واحد منهم : شادان بن برزین في أول قصة كلية ودمنة كأنه الذي حدثه بهذه القصة^(١) . ويرى الأستاذ لذلك أن شاهوى الذي يذكره الفردوسي راويا في مفتتح قصة وضع الشطرنج قد يكون تحريف ما هوى أحد الأربعة المترجمين، وأن مائتا مرزبان هراة الذي يروي الفردوسي عنه سيرة هرمزد بن أنوشروان^(٢) يمكن أن يكون هو تاجا أحد هؤلاء الأربعة، وفي اسمه اختلاف كثير^(٣) .

فإن صح هذا فهو، إلى ما يذكره الفردوسي في المقدمة، يرجح أن الفردوسي نظم الشاهنامه التي جمعت لأبي منصور بن عبد الرزاق .

٢ - الدقيق ونظم الشاهنامه :

ترعرعت الاداب الفارسية في القرن الرابع وأحان على نمائها وازدهارها الملوك السامانيون فنظم الشعر في موضوعات شتى، وأمر السامانيون بترجمة تاريخ الطبرى وتفسيره، وترجمة أخبار الفرس من الفهلوية إلى الفارسية الجديدة . والسامانيون ينسبون إلى بهرام جوين القائد الفارسي الذي ثار على كسرى پرويز .

شرع الدقيق الشاعر ينظم الشاهنامه فبدأ بتاريخ كُشَناسَب (كُشَناسَب نامه) ويقال أنه نظم امتثالا لأمر الملك نوح بن منصور الساماني . فهو إذا لم ينظم قبل سنة ٣٦٥ وينبغي أن نذكر هنا طرفا من أخبار هذا الشاعر :

أبو منصور محمد بن أحمد الدقيق^(٥) من شعراء القرن الرابع الهجرى . يقول عوفى في لباب الألباب^(٦) أنه كان في خدمة الأمراء الجفائين ويروي أبياتا له في مدح الأمير أبي سعيد محمد بن مظفر

(١) الشاهنامه : مولج ٦ ص ٤٤٤ (٢) = ص ٤٠٠ (٣) ص ١٧٠ ج ٢ ، الآتية .

(٤) الحماسة الابراتية ص ٢٨ (٥) يختلف في اسمه واسم أبيه، ويرى لذلك أن هذا الاسم الاسلامى اختراع من

يتكون أنه زردشتى . (٦) ج ٢ ص ١١ و ١٢

ابن محتاج الجفاني (المتوفى سنة ٣٢٩) . وكذلك يروى من مدائحه في الأمير السعيد منصور بن نوح الساماني (٣٥٠ - ٣٦٥) والأمير الرضى نوح بن منصور (٣٦٥ - ٣٨٧) . ويقول صاحب تاريخ كُزَيْدِه أنه كان معاصراً للأمير نوح بن منصور^(١) . ويُؤخذ من ذلك أنه عاش الى سنة ٣٦٥ ، ويرى بعض المؤلفين أنه توفى ما بين ٣٦٧ و ٣٧٠

ويختلف الرواة في مولده بين طوس و بلخ و بخارى و سمرقند . ولو كان طوسياً لذكر الفردوسي في مقدمته أنه من بلده .

وقد اغتاله أحد عبيده ليلاً ، ويقول الفردوسي في مقدمته الشاهنامه :

”ولكن سوء الخلق كان خدن شبابه فكان يقطع أوقاته بالبطالة وصحبة الأشرار حتى بفته الموت فتوجه بتاجه الأسود“^(٢) .

ويرى بعض الكتاب ، ومنهم الأستاذ نذكه ، أن الدقيق كان على دين زردشت ويستدلون ببيتين روايا عنه ، ويقولون لذلك أن بده بقصة زردشت حينما شرع ينظم أخبار الفرس ، وتعظيمه دين زردشت فيما نظم يؤيد ما يفهم من هذين البيتين . وهما :

دقيق چار خصلت بر كزیده است بکیتی آزمه خوبی و زشتی
لب یا قوت رنک و ناله چنک می خون رنک و دین زردهشتی^(٣)

أي ”الدقيق اختار أربعة أشياء من كل الخير والشر في الدنيا : الشفة في لون الياقوت ، وزمزمة العود ، والجرم القانية ، ودين زردهشت“ .

ويرى الأستاذ براون ، ورأيه أشبه بالصواب ، أنه لا ينبغي التعويل على هذين البيتين كثيراً فلعل الشاعر اختار دين زردهشت لأنه يبيع شرب الخمر لئلا يدين به^(٤) .

على أنى أخذتني الريبة في الدقيق حين قرأت قوله عن نوبهار بلخ في مفتتح ما نظمته :
که آتش پرستان بدان روزگار مر آن خانه را داشتندی چنان که مر مکه را تا زیان ابن زمان
أي ”الذي كان عند عباد النار في ذلك العهد كككة عند العرب في هذا الزمان“ . وشتان بين هذا وبين كلام الفردوسي عن الكعبة في قصة اسکندر .

(١) تاريخ كُزَيْدِه ص ٨١٨ (٢) ص ٩٠ السابقة . (٣) مولد ج ١ ، XVIII

(٤) تاريخ آداب الفرس لبراون ج ١ ص ٤٥٩

كان للدقيق صيت في الشعر ذائع بين القدماء، فالعتي يقول في كتابه اليمنى، عن شعراء السلطان محمود الغزنوى: "لازدحام شعرائها (شعراء الفارسية) على باب الرقيق بقصائدهم التي قد غثروا بها في ديباجة الروذكي، وصنعة الخسروى والدقيق"^(١). ويروى نظائى العروضى في كتابه چهار مقاله أن العميد أسعد وزير الأمير أبى المظفر الجفائى حينما قدم إليه الفرغى الشاعر قال له: لقد جئتك بشاعر لم ير أحد مثله منذ وارت الأرض الدقيق^(٢).

وقد اقترن اسم الدقيق باسم الفردوسى إذ كان السابق إلى نظم الشاهنامه فنظم ألف بيت ثم حالت المنية دون أتميته. وقد أدرج الفردوسى ما نظمه الدقيق في الشاهنامه إجابة لرجاء الدقيق في الرؤيا^(٣).

وينبغى ألا يلتفت إلى قول عوفى في باب الألباب أن الدقيق نظم عشرين ألف بيت وزاد الفردوسى ستين ألفا، وقول صاحب تاريخ كُريده أنه نظم ثلاثة آلاف بيت، فهما روايتان تكذيبهما الشاهنامه، ورواية ثقات المؤرخين.

٣ - الفردوسى والشاهنامه :

يقول الفردوسى في مقدمة الشاهنامه، عن الدقيق الشاعر « فلما قرئت هذه القصص على الناس أعارتها الدنيا سمعها وقلها، وأولع بها العقلاء والحكماء. حتى ظهر قتي فصيح اللسان، حسن البيان، ذكى القواد فقال: سأنظم هذا الكتاب ففرح الناس به أى فرح ... ثم انقلب به جده فقتله أحد عبيده؛ نظم ألف بيت عن كُشناسب وأرجاسب ثم انتهى عمره فذهب والكتاب لم ينظم ». ثم يقول: « فلما يئس قلبي منه (الدقيق) توجهت لتقاء ملك العالم لعل أظفر بهذا الكتاب فانظمه. سألت أنا ما لا يحصيه العد وأنا أوجس خيفة من غير الزمان، وأخشى ألا تمتد بي الحياة فاتركه لغيرى ... وكان في المدينة صديق لى كأتى وإياه نفس واحدة فقال: لقد هديت للرشاد، وسارت قدمك في سبيل السداد. أنا كفيل بهذا الكتاب الفهلوى فلعلك لاتمام عنه ... فلما أحضر إلى هذا الكتاب أضاعت روحى المظامة الجتاب ... لما ظفرت بهذا الكتاب أتبع إلى أحد الكبراء قتي من ذرية الأبطال عاقل حازم ذكى شديد رأى، شديد الحياء، فصيح المنطق، حلوا الحديث. قال: ما ذا أعمل ليفرغ بالك للنظم؟ ساواسيك بما تملك يداى، ولا أنفضى إلى أحد بما جئتك. فلبثت في كنفه كالتفاحة الغضة يحاذر أن يمسنى من الرياح ضر ». ثم يذكر أن

(١) ج ١ ص ٥٢ (٢) ص ٣٩ (٣) ص ٣٢٢ ج ١ الآية .

هذا الصديق قتل . ويقول إنه كان نصحنى فقال : « اذا يرافقه لك هذا كتاب الملوك فأهده الى الملوك » .

فهذا برهان أن الفردوسی نظم من كتاب — كتاب أخبار ملوك الفرس الذى بدأ الدقيق نظمه قبل . والفردوسی يعلن أثناء الكتاب ، فى أوائل بعض القصص وخواتمها ، أنه نظم ما سمعه من الدهقان أو من فلان، وأنه يستقصى ما يروى له فلا يدع منه شيئاً . وفيما يأتى أمثلة :

يبدأ فصل كيومرث، وهو فاتحة القصص ، بقوله : « ما ذا يقول الدهقان الفصيح » ثم يقول : « كذلك قال الذى عنده كتاب الماضين، المحدث عن سير الأبطال^(٢) » .

ويقول فى مقدمة قصة سياوخش :

زكفتار دهقان چنین دامستان تو برخوان وبرکوی ازیستان

”اقرأ من قول الدهقان قصة كهذه ، وحدث عن الماضين“ . ويبدأ القصة بقوله : ”كذلك قال الموبد^(٣)“ .

وفى مقدمة قصة كاموس الكاشانى يقول :

کنون رزم کاموس پیش آوریم زدفتر بکفتار خویش آوریم
بکفتار دهقان کنون باز کرد نکر تاجه کویدجهاننده مرد

”الآن نشرع فى حرب كاموس ونقلها من الدهقان الى كلامنا ، فارجع الان الى قول الدهقان لننظر ما ذا يقول الرجل المجرب“ . ويقول فى آخر هذه القصة :

سر آوردم این رزم کاموس نیز درازست وفتاد زویک پیشیز
کرازداستان یک سخن کم بدی روان مرا جای ماتم بدی

”ختمت هذه الحرب حرب كاموس أيضاً، وما سقط منها، على طولها ، قطمير . ولو ضاع من هذه القصة كلمة واحدة، لقام عليها بنفسى ماتم^(٤)“ .

وهو يتحدثنا فى أول قصة يزن ونيزه أنه أرق ليلة فصاح بالغلام بقاء بالشراب والرباب وشرع يسقيه ويغنى ثم قال له : ”إن كنت لا تنام فأصغ إلى حتى أقرأ عليك من الكتاب

(٢) انظر ١٦ ج ١ ، ج ١ الآتية .

(١) انظر ص ١٠ ، ١١ ، ١٢ — الآتية .

(٤) مولج ٢ ص ٢٦٨

(٣) شاهنامه : مولج ٢ ص ١٩٤ ، ١٩٦

الفهلوى قصة لتنظيمها . وكان يقرأ وأنا أنظم . ولما نظمت الحكاية قلت : أرفع سمعك الى الخ^(١) ويقول في آخر هذه القصة :

تمأى بحكمكم من ابن داستان بديفسان كه بشيدم از باستان^(٢)
« أتممت هذه القصة كما سمعتها عن الفابرين »

وكذلك يقول في قصة مقتل رستم : « كان عند أحمد بن سهل بمرور رجل طاعن في السن يسمى سروا ، وكان ينتسب الى سام بن نيرم . وكان حَفَظَةً لأحوال آبائه وأخبار أسلافه فحكي الخ^(٣) . وقد اختصر البندارى في ترجمة هذه العبارة ، والأصل الفارسي يبين أن سروا هذا كان عنده كتاب الملوك وأن الفردوسي نظم عنه ما وجد^(٤) .

وأما هذا في الشاهنامه كثير . وليس يحتاج الباحث الى دليل آخر ليعرف أن الفردوسي كان ينظم قصصا مكتوبة لا يحيد عنها .

وأما ذكر الفردوسي هؤلاء الرواة كأنهم حدثوه أو حدثت عنهم فلا يدل على شيء أكثر من أن القصص التي أمامه أسندت في الكتاب الى هؤلاء . ومن أجل هذا نجد يقول فيما تقدم أنه ينقل من الدهقثم يقول : فارجع الآن الى قول الدهقان . وكذلك نجد يروي عن سرو الذي كان عند أحمد ابن سهل . وأحمد هذا مات سنة ٣٠٧ هـ . أى قبل مولد الفردوسي .

الفصل الخامس - تاريخ الفردوسي

أعرض على القارئ خلاصة ما روى عن الفردوس ، في مقدمة بايستقر التي ذكرت آنفا ، ثم أبين جوده من زائفه ، أخذا ، ما استطعت ، تاريخ الشاعر من كلامه ؛ وأنا أفصل هذه الروايات بالأعداد ثم أقدما على ترتيبها :

(١) هو أبو القاسم منصور بن مولانا نضر الدين أحمد بن مولانا فرخ الفردوسي .

ولما ولد الفردوسي رآه أبوه في المنام على سطح عال متجها تلقاء القبلة يصبح فيسمع رجوع صوته من كل جانب . فذهب الى الشيخ نجيب الدين ، وقص عليه الرؤيا فبهى بها بأن الفردوسي سيكون نصيبا يسمع صوته في أربعة أركان العالم فيلقاه الناس بالقبول . ولما بلغ الفردوسي سن التعلم شغل بالعلم وفاق أقرانه ، وعكف على قراءة الكتب .

(١) ص ٢٢٨ ج ١ الآية . (٢) مولد ٣ ص ٤١٠ . (٣) ص ٣٦٥ ج ١ الآية .

(٤) مولد ٤ ص ٧٠٠ . (٥) ابن الأثير حوادث سنة ٣٠٧ .

وكان يجب اليه الجلوس على جدول يرفده نهر طوس ، ويأنس بالماء الجارى ، ويتم كلما طفا السيل بجرف السد فاقطع الماء . وكان يتمنى أن يبنى سد الماء بالمجارة والآجر والحديد ، ونذر أن ينشق في هذه السيل ما يحصله من مال .

(٢) ويقال إنه سمع أن الدقيقى الشاعر كان ينظم الشاهنامه وقتل ، وأن السلطان محمودا يود أن ينظم الكتاب . وكان الفردوسى يتطلع الى نظمه ويطمع الى بلوغ أمه من بناء مجرى الماء . فصنع عزمه حينئذ على الاضطلاع بالعبء الباهظ .

ولم يكن لديه كتاب الملوك كله فاستشار صديقا له اسمه محمد لشكرى فرغبه وحرصه على ما تصدى له ، وأخبره أن لديه الكتاب كاملا . فذهب الشاعر يستمد الشيخ محمدا معشوقا أحد أولياء طوس فبشره بأنه سيبذل ما يريد . ووثق الفردوسى ببشارة الشيخ .

(٣) بدأ الفردوسى فنظم حرب أفريدون والضحاك فأولع الناس بنظمه . وكان أبو منصور والى طوس من قبل السلطان . فلما سمع شعر الفردوسى أعجب به وأحسن اليه وأمره بالمضى فى عمله ، والتم له مجاباته . مات أبو منصور فوهن الفردوسى . وصرية أبى منصور فى مقدمة الشاهنامه ، بعد ذكر محمد لشكرى .

(٤) أرسل السلطان بعد أبى منصور أرسلان خان واليا على طوس . وكان السلطان قد سمع بالفردوسى فأمر أرسلان خان بإشغافه الى غزنة ، فاعتذر الفردوسى ، واستغنى فلم يجده ذلك . ثم تذكر قصة الشيخ معشوق فعزم على الاجابة . حتى اذا بلغ هراة أتاه من غزنيين خبر ساءه فتوقف هنالك ؛ ذلك أن بديع الدين صاحب ديوان الرسائل قال للعنصرى والرودى^(١) ! ! أن قدوم الفردوسى واضطلاعه بنظم الكتاب يغضب من شعراء السلطان .

فأرسل الى الفردوسى أنه لا فائدة فى قدومه ، فان السلطان لا يذكره قط . فتردد الفردوسى ثم خاف أن تكون خدعة فلبث أياما فى دار أبى هكر الوراق . ثم كان بين العنصرى وبديع الدين مشاقة فقال العنصرى لصاحبه : أنت رددت الفردوسى عن غزنة . وخشى بديع الدين مؤاخذه السلطان فأرسل الى الفردوسى أن الرسالة الأولى كانت من حسد العنصرى والرودى . فان كان يستطيع أن يجاريهما فى مضار البلاغة فليحضر . فكتب فى الرسالة أبياتا يعتد فيها بنفسه ويذكر أن العنصرى والرودى لا خطر لهما عنده . ثم سار من هراة الى غزنة .

(١) ذكر الرودى هنا خطأ . فالرودى توفى سنة ٣٢٩ ، ولم يدرك الدولة الغزنوية .

وتروى في قلوبهم الى غزنة رواية أخرى : ذلك أن الفردوسى سار الى غزنة متظلماً من عامل طوس . فلما بلغها نزل في بستان ليصلى . وكان السلطان قد فرق سبع قصص من كتاب تاريخ الفرس على سبعة شعراء ليرى أيهم أجود نظماً فيكل اليه نظم الكتاب . فاتفق أن العنصرى والفردوسى والمسجدى نزلوا في ذلك البستان وخلوا في ناحية منه . فلما رآهم الفردوسى قصد قصدهم فكروا أن يجلس معهم ، وحسبوه زاهداً ثقيلاً ، وأرادوا أن يدفعوه عنهم بأية وسيلة . فاتفقوا أن ينظم كل منهم شطراً على قافية نادرة ثم يكلفوه بالشطر الرابع . فنظموا أشطراً ثلاثة في الغزل تنتهى بالكلمات "روشن ، كلشن وجوشن" فأجاز الفردوسى : "مانندستان كيودو جنتك پشن" (أى مثل سنان كيو في موقعة پشن) يشير الى قصة من قصص الشاهنامه . فلما عرفوا فضله سدوا عليه السبيل الى السلطان محمود . وكان للسلطان نديم اسمه ماهك لى الفردوسى في هذا البستان وحادثه فأعجب بعلومه وفصاحته فدعاه الى داره . ثم سأله عن موطنه ومقصده فأخبره الفردوسى خبره كله . وأخبره النديم باهتمام السلطان بنظم كتاب الملوك . فسر الفردوسى وأخبره أنه شاعر ، وسأله أن ينهى أمره الى السلطان . وظل ماهك سبعة أيام لا يجد الوسيلة الى إخبار السلطان خبر الفردوسى . فسأله الفردوسى أن يبلغه حضرة السلطان . وأخبره ماهك أن الشعراء اجتمعوا وعرضوا شعرهم على السلطان فبثهم العنصرى بيتين من قصة رسم وسهراب . فنظم الفردوسى القصة خفية ثم قال لما هك : إني نظمت كتاب الملوك من قبل ، وعندي قطعة منه هي أبلغ من شعر العنصرى . وأعطاه القصة فأبلغها السلطان ، وأخبره بكل ما علم من أمر الفردوسى . فأمر بإحضاره فسأله : أنظمت كتاب الملوك . قال الفردوسى ، بعد الدعاء للسلطان : إني رجل غريب من طوس ، فرغت الى عند السلطان . فلما سمعت قصة كتاب الملوك نظمت هذه الحكاية . فرح السلطان وسأله عن طوس وأهلها . ثم سأله عمر بن طوس . فقال : طوس بن نودر . وذكر خبر فرود بن سیاوخش كما في الشاهنامه^(١) . فلما عرف السلطان أنه عالم بسير ملوك العجم أمر بإحضار الشعراء السبعة وقال لهم : هذا رجل شاعر قد نظم قصة رسم وسهراب . فتحير الحاضرون من بلاغة نظمه . وخلع عليه السلطان . وقبل العنصرى يد الفردوسى . ثم اقترح السلطان على الفردوسى أن يتجمل بيتين في طرة أياز خادمه ففعل وأعجب بهما السلطان وعهد اليه أن ينظم كتاب الملوك .

هـي للشاعر مكان في قصر السلطان ، وعلفت فيه آلات الحرب ، وصور الأبطال وملوك إيران وتوران . ولم يؤذن لأحد أن يدخل عليه غير غلام وأياز^(٢) وكان السلطان يثني على شعره ، ويقول :

(١) ص ٢٠٥ ج ١ الآية .

سمعت هذه القصص مرارا ولكن نظم الفردوسى شيء آخر. وقال له : إنك صيرت مجلسنا فردوسا .
ولقبه الفردوسى .

وأمر السلطان الميمندى الوزير أن يعطيه ألف مثقال ذهب كلما نظم ألف بيت . وكان
الفردوسى لا يأخذ المال ؛ يبنى أن يدخره لبناء سد طوس ، كما تقدم .

(٥) أكل الفردوسى الشاهنامه ، وسلمها الى أياز فعرضها على السلطان فاستحسنها وأمر أن يعطى
حمل فيل ذهب . فقال الميمندى للسلطان : إني أخشى أن يقتله الفرح إذا مُنح هذا المقدار .
وقال آخر : حرام أن يعطى شاعر فردستون ألف مثقال ذهب . حسب مثلهما فضة . فأمر السلطان
أن يعطى ٦٠ ألف مثقال فضة . وأرسلها الميمندى مع أياز . وكان الفردوسى إذ ذاك فى الحمام .
فلما رأى الفضة قال : ما بهذا أمر السلطان . فأخبره أياز بما كان بين السلطان والميمندى . فغضب
الفردوسى وقسم المال أثلاثا بين أياز والحامى وفقاعى شرب من عنده شربة فقّاع . ثم قال لأياز :
أبلغ السلطان أنى ما تجملت هذا العناء للدرهم والدينار ولكن للثناء الحسن والذكر الخالد .

غضب السلطان على الميمندى وقال : عرضت عِرضى لألسنة الشعراء . قال الميمندى : إن
منحة السلطان تشريف كثرت أم قلت . ولو أرسلت اليه قبضة من تراب لوجب أن يقبلها
ويكتحل بها . فثار ثورة السلطان وقال : لأرمن هذا القرعنى تحت أرجل القبيلة غدا . وأجمعه
عظة لسيئ الأدب .

خاف الفردوسى وتخبر . فلما خرج السلطان فى الصباح الى المتوضأ ارتبى على قدميه وقال :
إن الحاسدين قرفونى عند السلطان بما أنا منه براء . واعتذر عما فعل بمطية السلطان . وقال :
هبنى واحدا من المجوس أو اليهود والنصارى الذين فى مملكك .

رضى السلطان وعاد الفردوسى الى مسكنه فأحرق بضعة آلاف بيت فى مسوداته . ثم ذهب
الى المسجد الجامع وكتب على الجدار عند مجلس السلطان بيتين معناهما أن حضرة السلطان كالبحر
الذى لا قرار له . فان غصت فيه فلم أعظم بالآلئى فذاك ذنبى لا ذنب البحر .

وأعطى أيازاً كتابا وأوصاه أن يسلمه للسلطان بعد ٢٠ يوما ثم ودّع أيازاً وخرج راجلا ليس
معه من زاد السفر ومتاعه شيء . وخاف الناس أن يزودوه للسفر ولكن أيازاً أرسل وراءه ليزاد
خفية . وبعد عشرين يوما قدم أياز الكتاب للسلطان فاذا فيه الهجاء المشهور (فغضب السلطان
وأمر بتعقبه ، وجعل ٥٠ ألف درهم لمن يأتيه به . ولكنه فات جهد الطالبين) .

(١) ما بين القوسين من المقدمة الثانية ، مولج ١ XL

(٦) شاع أمر الفردوسى، وألم الناس لما أصابه . وبلغ الخبر قهستان . وكان واليها ناصر لك معجبا بالفردوسى فأرسل جماعة من خواصه بجأوا به الى قهستان فأكرمه . وكان الفردوسى يريد أن يججو السلطان فاحتال ناصر حتى عدل به عن الهجاء، وأعطاه مائة ألف درهم . وسكنت ثائرة الفردوسى فقدم على الأبيات التى أنشأها .

ثم كتب ناصر الى السلطان يعجب من حرمان شاعر كالفردوسى بعد تحمله هذا العناء . ويبين للسلطان فقر الشاعر واحتياجه .

بلغ كتاب ناصر يوم الجمعة . وكان السلطان لم يذهب الى الجامع منذ خرج الفردوسى من غزنة الا ذلك اليوم فقرأ على جدار المسجد اليتيم اللذين كتبهما الفردوسى ثم رجع الى قصره فإذا كتاب ناصر . واغتم الفرصة جماعة من مقرضى السلطان، المعجبين بالشاعر فقدم السلطان وغضب على من أشار عليه بالذى فعل، وعنف الميمندى وقتله .



(٧) حرب الفردوسى الى مازندران، وأصلح الشاهنامه وألحق بها مديح^(١) والى مازندران . وكان إذ ذاك من أبناء شمس المعالى قابوس بن وشمكير بن منوچهر بن شمس المعالى^(٢) (؟) وابنه صهر السلطان، وهو ابن بنت مرزبان بن رستم بن شروين مؤلف مرزبان نامه . وكان من غلاة الشيعة . فسرت^(٣) الوالى به وبالف فى إكرامه، وأراد أن يسكه عنده لولا خوف السلطان محمود . فوصله واعتذر اليه وأمره بالرحيل .

(٨) فتوجه تلقاء بغداد وبقى فيها أياما حتى لقيه بعض أصدقائه من التجار فوعده أن يبلغه حضرة الخليفة . ثم اتصل الفردوسى بالوزير ومدحه بقصيدة عربية بليغة فأعجب به الوزير وأنزله فى داره، ومناه مكانة عند الخليفة . ثم رفع أمره الى الخليفة فأمر باحضاره وأكرمه فنظم فى مدحه ألف بيت .



(٩) فلما أقام ببغداد وعلم أن الخليفة والناس لم يستحسنوا كتابه فى ملوك المجوس نظم قصة يوسف وزليخا فأعجب بها الخليفة وأهل بغداد وزادوه إكراما .

(١) ليس فى الشاهنامه أثر من هذا المدح . (٢) له يريد فلك المعالى منوچهر بن شمس المعالى قابوس .

(١٠) تحسّس السلطان محمود حتى عرف مستقر الفردوسى فأرسل الى الخليفة يهتده أن يها
بغداد بالفيلة إن لم يرسل اليه القرمطى . فكتب الخليفة على ظهر كتاب محمود : ”ألم والسلام“ .
تخبر السلطان فى رسالة الخليفة حتى فسرت له بأن الخليفة أراد أن يحجب تهديد السلطان إياه بالرمز
الى سورة الفيل : ألم تركب على ركب باحجاب الفيل الخ .
(١١) ثم كان شقاق بين محمود وبعض الأمراء فأراد أن يكتب اليه مهتدا بالحرب . فاستشار
وزيره فيما يكتب اليه فكتب ينت الفردوسى :

أكر جزبكم من آيد جواب من وكرز وميدان وأفراسياب
(إن لم يات الجواب كما أريد فانا والدبوس والميدان وأفراسياب) .

فقال السلطان، وتذكر الفردوسى : إن هذا المسكين لم يظفر منا بشئ ثم أمر أن يعطى
ستين ألف دينار وخلمة، ويعتذر اليه . وسمع الفردوسى بعطف محمود فسار من بغداد الى طوس .
(١٢) وكان يسير يوما فى سوق طوس فسمع صبا يندب بيتا من هجائه :

أكر شاه را شاه بودى پدر بسر بر نهادى مرا تاج زر
(لو كان للآب فى الملوك لوضع على رأسى تاجا من الذهب) .

فتحسر الفردوسى وغشى عليه فحمل الى داره فاذا هو ميت . وبينما يسار بالشاعر الى قبره
جاءت صلة السلطان محمود .

(١٣) عرضت العطية على ابنته فلم تقبلها، وقالت أخته : إن أختى كان يود أن يبنى سد طوس
بالبحر والحديد ليبقى ذكرا له فأففقوا المال فى هذا . ففعلوا . ويسمى هذا السد سدة عائشة نزع،
وآثاره باقية . وذكر ناصر خسرو فى كتابه سفرنامه أنه فى سنة ٤٣٨ هـ مر بطوس فرأى رباطا كبيرا
حديث البناء فسأل فقيل : إنه بنى من صلة السلطان محمود للفردوسى . وقيل : إن السلطان لما علم أن
الفردوسى مات، وأن وارثه لم يقبل المال أمر أن يبنى به عمارة .

(١٤) دفن الفردوسى فى بستان له . وأبى الشيخ أبو القاسم الجرجانى أن يصل عليه بما أضرع
عمره فى سيرة عبدة النار . و رأى الشيخ فى منامه الجنة، وبصر فيها بقصر عظيم فدخل فاذا سرير
من الياقوت . فسأل لمن هذا السرير ؟ فأجاب رضوان : للفردوسى . وتبذى الفردوسى حيثنذ
فى لباس من سندس وتاج كالزمرد . فسأل الشيخ : يا فردوسى من أين هذه العظمة ؟ قال : بيتين
قلتما فى توحيد الله . وذكر بيتين من الشاهنامه . فلما استيقظ الشيخ ذهب فصل على قبر الفردوسى
وأخبر الناس برؤياه . اه .



هذه خلاصة مقدمة بإسفر كيا في نسخة تبريز . وهي ، بنض النظر عن خرافاتها ، مضطربة بعض الاضطراب . فبعد أن تقص علينا شفاعاة ناصر لك عند السلطان محمود وندم السلطان على ما فعل بالفردوسي ، وقتله الميمندي من أجل ذلك^(١) تصف لنا الشاعر مذعورا هاربا الى مازندران ثم بسداد ، وتصف محمودا متقبيا عنه مهيدا الخليفة من أجله . ثم تصف موت الفردوسي حسرة حينما سمع الصبي ينشد بيتا مما قاله في هجاء السلطان بعد أن تذكر أنه رجع الى طوس طالما أن السلطان أمر له بالعطاء . فان كان السلطان قبل شفاعاة ناصر لك وقتل الوزير الميمندي من أجل الفردوسي ثم أمر بعد بأن يعطى ستين ألف دينار فقيم هرب الفردوسي وموته حسرة ؟ في شأيا المقدمة أبيات متفرقة تسير القصة ويظهر أنها سيرة منظومة تقص عن الشاهنامه والفردوسي . ومن هذه الأبيات يظهر أن الفردوسي سافر من غزنه الى مازندران لا الى قهستان . وهذا يوافق ما في الروايات الأخرى : أن مسيره الى قهستان وشفاعة ناصر لك كانتا بعد مفارقة بسداد^(٢) . بهذا يستقيم سياق القصة بعض الاستقامة .

وفيا على نقد هذه الأخبار ، والاستشهاد بكلام الفردوسي نفسه في تبين سيرته ونظمه الشاهنامه وعلاقته بالسلطان محمود الغزنوي وغير ذلك .

وسأسير في النقد على نسق الأعداد ، التي تقسمت الأخبار المتقدمة .

نقد هذه الأخبار وتحقيق سيرة الفردوسي :

لا بد قبل نقد هذه الروايات أن نتحيز مولد الفردوسي حتى اذا جزمنا فيه برأى اهتدينا به في تحقيق كثير من أخباره :

إذا اتخذنا خاتمة الشاهنامه مبدأ البحث ، كما فعل مول ونلدكه ، فالخاتمة في نسختي مول وتبريز وترجمة ورز تتضمن هذه الأقوال : "حينما آتى على خمس وستون سنة زدت همي ونصيبي ، واحتجت الى تاريخ الملوك وأتخر كوكبي " ثم "ولما بلغت السنون إحدى وسبعين علا على الفلك شعري . لبثت نحسا وثلاثين سنة في هذه الدار الحائلة أحمل النصب من أجل الذهب . فلما ذروا نصبي مع الريح ذهبت الخمس والستون سدى . والآن يقارب عمري الثمانين وقد ذهبت كل آمالي أدراج

(١) لم يقتل السلطان الوزير الميمندي ولكن حبسه سنة ٤١٢ ، لأمر آخر .

(٢) مول ج ١ ص ١١١١ وما بعدها .

الرياح . انتهت الآن قصة يزدجرد في يوم أرد من شهر سفندارمذ . وختمت هذا الكتاب الملكي حين مضى من الهجرة أربعمائة عام^(١) .

ظاهر هذا الكلام أنه زاد اهتمامه بنظم الكتاب وهو في سن خمس وستين ، وأنه حينما بلغ الاحدى والسبعين كان قد أمضى نحسا وثلاثين سنة في نظم الكتاب ، وأن سنه حين ختم الكتاب سنة ٤٠٠ كانت تقارب الثمانين . ولكن القارئ يعجب من ذكر هذه الأعمار المختلفة على هذا النسق في خاتمة الكتاب ، ويرى في الخاتمة بعض الاضطراب . ويتبين هذا الاضطراب والتناقض بمطالعة خاتمة الكتاب في مخطوطات مختلفة : في بعض المخطوطات أن ختم تاريخ يزدجرد ، وأظن المراد ختم الشاهنامه كلها ، كان سنة ٣٨٤ . وهذا التاريخ نفسه يذكر وحده في خاتمة الترجمة العربية في النسخ التي رأيتها كلها . ثم خاتمة أخرى قدم بها الكتاب إلى أحمد بن محمد بن أبي بكر الخالنجاني تبين أن ختم الكتاب كان سنة ٣٨٩ . فهل الأعمار الثلاثة المبينة فيما تقدم بقايا ملفقة من خواتم للكتاب مختلفة ، في التواريخ الثلاثة : سنة ٣٨٤ ، ٣٨٩ ، ٤٠٠ ؟ هذا يظهر عند النظرة الأولى رأيا سديدا ، فإن تكن سن الشاعر كانت ثمانين سنة ٤٠٠ فقد كانت سنه قريبا من إحدى وسبعين سنة ٣٨٩ ، وقريبا من خمس وستين سنة ٣٨٤ . ولكن إن استقامت هذه الأعمار المختلفة في قياسها إلى السنين المختلفة فليست تتنم مع أخبار أخرى يحدث بها الشاعر نفسه في ثنايا كتابه :

فأما سن الثمانين فلا تلائم ما يذكره الشاعر عن عمره في مواضع أخرى ، وقد سبق إلى إدراك هذا مول في مقدمته للشاهنامه : ^(٢) ذلك بأن الشاعر يقول في فاتحة حرب كيخسرو وأفراسياب أبيتا في مدح السلطان محمود يفهم منها أنه كان في سن ثمان ونحسين حينما ولي محمود الملك . ومحمود تولى سنة ٣٨٧ . فإن يكن قد كان في سن ٥٨ سنة ٣٨٧ فكيف بلغ سن الثمانين سنة أربعمائة ؟ ثم هو يقول في بعض المواضع أن سنه ثلاث وستون^(٣) ثم يتبع هذا بمدح السلطان محمود . ولو كانت سنه ثمانين ، سنة ٤٠٠ لكان في السابعة والستين عام تملك السلطان ، فكيف مدحه سلطانا وهو في سن ٦٣ ؟ لا يمكن إذا أن نقبل أن سنه كانت ثمانين عام ٤٠٠ إلا بتأويل : محمود ولي خراسان من قبل السامانيين عام ٣٨٤ . فإذا فرضنا أن هذه الولاية هي التي عنها الشاعر حين قال أنه سمع بولايته وهو في سن الثامنة والخمسين فعمره سنة ٤٠٠ كان زهاء أربع وسبعين . وهذا يسوغ للشاعر

(١) هذا يوافق ٢٥ فبراير سنة ١٠١٠ م (٢) مولج ١ ص XXII وما بعدها .

(٣) آخر قصة بهرام بهراميان و بهرام بن شاپور ص ٧٣ ج ٢ الآتية - مولج ٥ ص ٤١٤ و ٤٩٠

أن يقول أنه قارب الثمانين . فقد اتينا إذا إلى أن سن الشاعر لم تكن ثمانين على أي فرض، على خلاف ما ذهب إليه نلذكه، وأن أقصى الفروض لا يزيد بها على أربع وسبعين . وهذا يقربنا من العمر الثاني . ويحتمل أن الأبيات التي يذكر فيها الثمانين ألحقت بالخاتمة بعد سنين من ختم الكتاب ومغاضبة السلطان . وبهذا يفهم قول الشاعر أن كل آماله ذهبت أدراج الرياح . فما كان ليقول هذا في خاتمة يقدم بها كتابه إلى السلطان آملا في عطائه أكبر الآمال .

. ننظر في السن الأخرى المذكورة في الخاتمة وهي إحدى وسبعون . هل تلائم إخبار الشاعر عن نفسه وتلائم ما نعرف من أحواله ؟ لا يمكن الفردوسي كان في سن ٧١، سنة ٤٠٠ فقد كان في سن ثمان وخمسين، سنة ٣٨٧ ؛ وهي سنة تملك السلطان محمود . وقد صرح هو بذلك، كما تقدم .

و يؤيد هذا أن الشاعر يقول أنه كذ في نظم الكتاب ٣٥ سنة . فان تكن سنة كانت ٧١، سنة ٤٠٠ هـ فقد بدأ النظم وسنة ٣٩٦ سنة . ولو كانت سنة ٨٠ في السنة نفسها لكان بدؤه في سن ٤٥ ؛ والأول أجدر بما عرف عن الشاعر من كلف بنظم تاريخ الفرس .

هذا، فيما يظهر، أرجح الآراء وأجدها بالثقة . فيمكن أن يقال أن الشاعر ولد سنة ٣٢٩ هـ . وهذا يقارب ما يروى أنه مات سنة ٤١١ وهو في سن الثمانين أو الثلاث^(١) والثمانين . وعلى هذا الرأي أسير في تحقيق سيرة الفردوسي .

(١) تُنفق الروايات على أن شاعرنا لقبه الفردوسي، وكنيته أبو القاسم . ثم تختلف في اسمه بين منصور وحسن وأحمد، وفي اسم أبيه بين علي ونفر الدين أحمد وإسحاق . وبعضها يسمى جدّه فرخ وبعضها يسميه شرفشاه . وليس في الشاهنامه ذكر اسمه ولا اسم أبيه . و"الفردوسي" لقبه الشعري كدأب شعراء الفرس . ويقال أنه نسبة إلى بستان في طوس اسمه الفردوس كان لعميد خراسان سوري بن المغيرة، وكان أبو الفردوسي خادمه^(٢) . وليس حقا أن السلطان محمود لقبه بهذا حين أعجب بشعره فأسطورة محمود واهية كلها كما يأتي :

ولا شك أنه طوسي . يقول نظامي المروزي في چهار مقاله : "من قرية اسمها باز من ناحية طبران . وهي قرية كبيرة تخرج ألف رجل" . ويقول ياقوت عن طبران : "إحدى مدينتي طوس .

(١) مول ١ ص ١٤١، XLIV، ورج ١ ص ٤٦ (٢) بران ج ٢ ص ١٣٢ و ١٣٩، نلذكه :

الحلاسة الإيرانية ص ٣٩، چهار مقاله، تاريخ كزیده، هارستان جاي الخ .

لأن طوس عبارة عن مدينتين أكبرهما طابران والأخرى نوقان". ومثل ذلك ما يقوله عن نوقان :
 "إحدى قصبتى طوس . لأن طوس ولاية ولها مدينتان إحداهما طابران والأخرى نوقان" .

وفى بعض الروايات أن الفردوسى من شاداب^(١) . وفى دولتشاه أنه من قرية رزان قرب طوس .
 ويقول المروضى أن الفردوسى كان من دهاقين طوس ، وكان له شوكة عظيمة فى قريته .
 وكان فى غنى بما تنله ضياعه^(٢) . ويظهر من الشاهنامه أنه كان صاحب زرع ؛ فهو يشكو من البرد
 الذى أتلف الزرع وأهلك الغنم ولم يدع له شيئا ، وجعل الأرض كقطعة من العاج ، إبان الخراج^(٣) .
 ويظهر فرحه فى موضع آخر بأن السلطان أسقط خراج سنة^(٤) . ويؤيد هذا قول المروضى أنه دفن
 فى حديقة له فى طبران^(٥) . ولكنا نجد الشاعر يقول فى المقدمة أن ماله لم يكن كثيرا ، وأن صديقا له
 تكفل بحاجاته ليفرغ لنظم الشاهنامه ، ويجده يردد شكاته من الفقر أثناء الكتاب : يقول ، وهو يمدح
 السلطان محمودا : أمضيت نحسا وستين سنة (وذلك عمره حينئذ) فى الفقر والبؤس والنصب^(٦) .

"چنين سال بكذا شتم شصت وپنج بدرويشى وزندگانی ورنج"

ويقول دولتشاه أنه كان فقيرا وأنه فرالى غزنة من ظلم والى طوس ولبت يرتق باناشاد الشعر
 حتى عرفه المنتصرى فقدمه الى السلطان^(٧) . فان يكن الفردوسى كان دهقاناً ، كما يقول المروضى ،
 فكلامه لا يدل على أنه كان غنياً . وليس بعيداً أن يكون بعض الرواة قد لبس الأمر ، فكلمة "دهقان"
 تدل على صاحب الأرض وتدل على القاص أيضاً .

وأما نشأة الفردوسى وتعلمه فليس لدينا عنهما خبر . ولكن الشاهنامه تبين أنه درس ما كان
 يدرسه أمثاله من أدباء ذلك العصر . ويظهر أن تاريخ الفرس شغله منذ صباه . ويدرك قارئ
 كتابه أنه لم يكن واسع الاطلاع على التاريخ والجغرافيا . وسيأتى بيان هذا فى مبحث أغلاط الشاهنامه .

(٢ و ٣ و ٤ و ٥) علاقته بالسلطان محمود ، ونظم الشاهنامه الخ .

محور هذه الأخبار صلة الفردوسى بالسلطان محمود ، ونظمه الشاهنامه بأمره ثم حرمانه مما
 أتمه ، وسخطه على السلطان وهجاءه إياه وهربه . ومعظم هذه الأخبار خرافات ملفقة . وحسب

(١) نذكه ، ص ٤٠ (٢) چهارمقاله ص ٤٧ (٣) ووزج ١ ص ٢٥

(٤) أول قصة الأشكانيين ، مولج ٥ ص ٢٦٦ (٥) چهارمقاله ص ٥١ (٦) مولج ٤ ص ٤

(٧) براونج ٢ ص ١٣٩

القارئ أن يعلم أن الفردوسي أمضى زهاء عشرين سنة في نظم الشاهنامه قبل تملك السلطان محمود . وبراہین ذلك كثيرة؛ فهو يقول في كتابه أنه نظم خمسا وثلاثين سنة . وقد ختم كتابه سنة ٤٠٠ هـ . فقد شرع في نظمه إذاً حوالي سنة خمس وستين وثلاثمائة وذلك اثنتان وعشرون سنة قبل وفاة سبكتكين وولاية محمود، على أن محمودا لم يستقل بالملك إلا بعد ستين من ولايته حينما زالت دولة السامانيين سنة ٣٨٩ . والفردوسي نفسه يقول في مدائح السلطان أنه لبث عشرين سنة ينتظر ملكا كفوا لكتابه^(١) . ويقول في موضع آخر أنه انتظر كثيرا ، وفي آخر أنه كان ينظم خفية لا يعلم به أحد^(٢) .

ودليل آخر: أن الفردوسي شرع ينظم الكتاب بعد وفاة الدقيق . وكانت وفاته حوالي سنة ٣٦٥ . ينبغي إذاً ألا نبالي بكل ما يروى ، فيما تقدم ، عن شروع الفردوسي في نظم الكتاب بأمر السلطان، وبقائه في قصره أمدا طويلا مكبا على عمله .

وينبغي هنا أن نفرغ من هذه المسألة : متى بدأت صلة السلطان والشاعر ؟

بينت ، فيما تقدم ، أن الفردوسي كان في سن الثامنة والخمسين حين تولى محمود ، والشاعر يذكر سنة في مواضع مختلفة من الكتاب ، ويمدح السلطان محمودا في قطع كثيرة .

وأول قطعة يترجمها قارئ الكتاب ، بعد المقدمة ، تتضمن أبياتا يقول فيها الشاعر أن سنه خمس وستون^(٣) ، وأنه لما كان في سن الثامنة والخمسين سمع بمجاعة عظيمة يفهم القارئ أنها تملك السلطان . ولكنا نجد يقول بعد ذلك في آخر فصل بهرام بهراميان وآخر فصل بهرام بن شابور أن سنه ثلاث وستون ، ويتبع هذا في فصل بهرام بن شابور بمدح محمود . فهذا يثبتنا أنه كان ينظم لمحمود وسنه ثلاث وستون . وليس عندنا دليل صريح يبين اتصاله بمحمود في سن قبل هذه . ولكن يستطيع الباحث أن يقول إن الفردوسي أتى في عطاء محمود ، وعزم على أن يرسل إليه كتابه حينما فتح محمود نراسان واستولى على طوس . وكان ذلك سنة ٣٨٩ ، ويؤيد هذا ما تقدم عن مقدمة بإستقر أن السلطان أمر أرسلان خان وإلى طوس أن يشخص إليه الفردوسي ويقول ابن الأثير في حوادث سنة ٣٨٩ أن السلطان ولى أرسلان الجاذب على طوس . فأغلب الظن أن الفردوسي لم يتوجه شطر محمود إلا بعد أن جاوز الستين .

(١) ص ٢٣٦ ج ١ — الآيتة . (٢) ص ٢٧٤ ج الآيتة ، مولج ٦ ص ٤٨٤

(٣) مولج ٤ ص ١٣ — (٤) = ج ٥ ص ٤١٤ ، ٤٩٠

تاريخ نظم الشاهنامه :

عرفنا فيما تقدم أن الشاعر نظم كتابه في خمس وثلاثين سنة آخرها سنة ٤٠٠ أو قبلها بقليل . فهل يؤخذ من الشاهنامه ما يدل على تاريخ نظم القصص المختلفة أو بين في أى السنين نظم الشاعر معظم كتابه ؟ لا يجد القارئ ذكر السلطان محمود بعد المقدمة ، وقد كتبت بعد انتهاء الكتاب ، إلا في مفتح حرب كيخسرو وأفراسياب . وذلك قرب منتصف الكتاب . ثم تخطل الكتاب بعد هذا مدائح محمود مسببة وموجزة ، حتى تبلغ عند الخاتمة خمس عشرة . والشاعر يتحدث عن عمره في مواضع . ففي القسم الأول الذى لا يذكر فيه اسم محمود يذكر أن عمره ٥٨ سنة ، يذكر هذا في موضعين : في أول قصة سیاوخش ، وأول القصة التى تليها ^(١) . وفي آخر القصة الأولى ما يشعر أن الثانية نظمت بعدها فوراً . ولكن في أثناء هذه القصة ، في فاتحة بناء سیاوخش قلعة ~~كـ~~ ، يذكر الشاعر أن سنه ٦٥ ، وهذا عجيب . فاما أن تكون هذه السن غلطاً من النساخ . وإما أن يكون الفصل قد نظم بعد سنين وألحق بموضعه من القصة . ثم لا نجد حديثاً عن عمره حتى القسم الثانى الذى تكثر فيه مدائح محمود . فيظن إذاً أن الشاعر نظم هذا القسم ، أى من ~~كـ~~ يوم مرت الى حرب كيخسرو وأفراسياب ، قبل استيلاء محمود على خراسان ، وقبل أن يفكر الشاعر فيه .

وفي القسم الثانى يكثر مدح محمود وهو مفرق في المواضع الآتية :

(١) فاتحة حرب كيخسرو وأفراسياب ويذكر فيه أن سنه خمس وستون ^(٢) .

(٢) وفي أول القصة التى نظمها الدقيق وهى التى تلى القصة السابقة ، وبعدها حيث ينفد شعر الدقيق ويصفه بالركاكة ^(٣) .

(٣) وفي فاتحة قصة هفتخوان ، وهى تلى نظم الدقيق ^(٤) .

(٤) وفي قصة رستم وأخيه شغاذ . وهى كالمتصلة بما قبلها . وفى ذلك يشكو الضعف والكبر والحمرمان ويسأل السلطان مالا ^(٥) .

(٥) وفي أول تاريخ داراب ، ولا يفصله عن القصة السابقة إلا عهد بهمن وابنته نحائى ، وليسأ طويلين (١٦٧ بيتاً و ٣٢٠) .

(١) مقدمة قصة سیاوخش ، ومقدمة رجوع كيخسرو الى ايران ، مولج ٢ ص ١٩٠ و ٢٢٢

(٢) مولج ٤ ص ٥ - ١٣ (٣) = ص ٣٥٨ ، ٤٤٨ (٤) = ص ٤٨٨ (٥) = ص ٧٠٢

(٦) وفي أول قصة اسكندر، وهي كالتصلة بالسابقة لا يفصلهما إلا أبيات عن دارا .
وفي آخر قصة الاسكندر يشكو الكبير .

(٧) وفي فاتحة القصة التي تلي قصة اسكندر، وهي تاريخ الأشكانيين . وهنا يمدح محمود وأخاه نصرا القائد^(١) .

(٨) وفي آخر عهد أردشير، وهو الذي يلي عهد الأشكانيين^(٢) .

(٩) وفي آخر قصة بهرام بهراميان وبهرام بن شاپور . ويذكر فيها أن عمره ٦٣ سنة^(٣) .
وكذلك يذكر هذه السن في آخر قصة شاپور ذي الأكتاف .

(١٠) وفي آخر قصة نوشزاد بن أنوشروان أبيات قليلة في مدح السلطان يخطبها رجاء الشاعر أن ينعم عليه السلطان حين يسمع كلامه^(٤) .

(١١) وفي آخر قصة كلیلة ودمنة في عهد أنوشروان بيت واحد معناه لولا رجال السوء لستر قلبی من السلطان محمود .

(١٢) وفي آخر توقيعات أنوشروان يمدح السلطان ويقول أنه أخفى نظمه زمنا طويلا ويذكر فتح الهند . ومثل هذا في آخر نصيحة أنوشروان ابنه هُرمزد^(٥) .

(١٣) وفي أول قصة خسرو وشيرين يمدح السلطان ويقول أنه لم ينظر في كتابه^(٦) .

(١٤) ثم المدح في خاتمة الشاهنامه كما يرى الفارسي في الحاشية آخر هذا الكتاب .

ويذكر الفردوسي سنة في موضعين آخرين ليس فيهما مدح السلطان : في آخر عهد قباد الأول يقول أنه جاوز الستين، وفي رثاء ابنه يذكر أن سنه ٦٥ ، وهذا الرثاء في فصل كسرى پرويز، قبيل نهاية الكتاب^(٧) .

فيظهر من هذا كله أن الشاعر نظم ما بين حرب كيكسرو، التي يذكر فيها محمود لأول مرة بعد المقدمة، إلى آخر الكتاب في عهد محمود، وفي العقد السابع من عمره .

وهو، فيما يظهر، لم ينظم الكتاب على ترتيبه الحاضر . وروايات بايستقر تدل على هذا . فقد تقدم أنه نظم أول ما نظم، حرب أفريدون والضحاك، وأنه نظم في غزوة قصة سهراب ورسم . وبعض

(١) مول ج ٥ ص ٢٦٦ (٢) ص ١٩١ ج ٦ (٣) مول ج ٥ ص ٤١٤ ، ٤٩٠

(٤) مول ج ٦ ص ٢٥٦ (٥) = ٤٨٤ ، ٤٩٠ (٦) ص ٢٣٨ ، ٢٤٢ ج ٢ الآتية،

مول ج ٧ ص ٢٩٤ (٧) ص ٢٢٠ ، ٢٢٢ ج ٢ الآتية، مول ج ٧ ص ١٩٠

التواريخ التى فى أثناء الكتاب تدل على هذا؛ فمن نجد سنة ٦٦ وهو ينظم بناء قلعة ~~كـ~~ وهو فى ثلث الكتاب الأول ، ونجدها ٦٥ فى حرب كيخسرو وأفراسياب ، ثم نجد فى عهد الساسانيين يذكر ٦٣ . ولكنى أظن معظم الكتاب نظم على ترتيبه المعروف الآن ، وهو الترتيب التاريخى .

ويرى مما تقدم أن الفردوسى نظم معظم كتابه بين الثامنة والخمسين والحادية والسبعين من عمره أى بين سنتي ٣٨٧ و ٤٠٠ من الهجرة ، وإن كان قد شرع فى النظم قبل ذلك بعشرين سنة . وهو يصرح فى الخاتمة بأنه زاد كده واحتياجه الى كتاب الملوك حين بلغ الخامسة والستين . وكان الشاعر حرصا على إتمام الكتاب يخشى أن يموت قبل أن يتمه ، وقد أعرب عن هذا فى المقدمة ومواقع أخرى ، وأنه لا يبالى بالموت بعد ذلك . ووصف فى مواضع عدة حاله بعد الستين ، ومقاربة الموت بل قال أنه بعد أن جاوز ثمانيا وخمسين لا يفكر إلا فى الموت . فليس عجيبا من شاعرنا جده وكده بعد الستين من عمره لا يكمل الكتاب الذى اتخذ عدة لأيام الشيخوخة . ثم هو يقول فى حكاية رؤيا الدقيقى فى المنام أن الدقيقى قال له : ما أسرع ما تنظم هذا الكتاب . ولا ريب أنه كان سريعا فى نظم بعض القصص إن لم يكن فى القصص كلها . ولو أرخ القصص كلها لأمكن أن نعرف مقدار نظمه كل سنة . ولكننا نستطيع أن نعرف بالتواريخ القليلة التى نجد فيها أثناء الكتاب أنه نظم قصة سياوخش فى أثناء سنة واحدة ، حينما كانت سنة ٥٨ ، وهى زهاء ٢٨٠٠ بيت . ويحتمل أنه نظم غيرها فى السنة نفسها . وكذلك نعرف أنه نظم تاريخ شابور ذى الأكاف وبهرام بن شاپور وبهرام بهراميان أثناء سنة ، حينما كانت سنة ثلاثا وستين ، كما تقدم فى هذا الفصل . وهذه القصص لا تقل عن ألفى بيت .

هذا ولعل درسا آخر للشاهنامه ، والاهتداء الى مصادر أخرى لتاريخه تعين على تاريخ الكتاب تاريخا أدق وأوضح .

كيف قدّم الفردوسى كتابه الى السلطان :

لا يجوز أن نفرض أن الفردوسى أرسل الشاهنامه الى السلطان محمود بحلة واحدة . فإكان الفردوسى ليثبت أكثر من عشر سنين ينظم للسلطان ويمدحه فى أثناء النظم دون أن يلفت

(٢) مولج ٢ ص ٤٢٢

(١) ص ٨ ج ١ الآية ، مولج ٤ ص ٨ و ٣٥٦ و ٧٠٠

(٣) مولج ٤ ص ٨

السلطان إليه ، ويتمجل بعض عطائه . فلا ريب أن الشاعر كان كلما فرغ من قصة كبيرة أو عدة قصص يبعث بها إلى السلطان . ويحتمل أنه سار إلى غزنة بنفسه أحيانا وإن لم نجد في مدحه ما يدل على ذلك . كما يحتمل أنه قدم بعض الكتاب إلى السلطان حينما دخل طوس سنة ٣٨٩ ، أو في أوقات أخرى . وفي الشاهنامه ما يدل على أن الشاعر أرسل إلى السلطان بعض كتابه قبل أن يتم ؛ فهو يقول ، أول قصة خسرو وشيرين ، أن السلطان أعرض عن كتابه بسعاية المفسدين ولم ينظر فيه .^(١) وقريب من هذا ما ذكره في ختام قصة كليله ودمنة .^(٢)

ويمكن أن نفرض أن المدائح الطويلة التي تصدر بها بعض القصص كانت فواتح قطع من الكتاب أرسلها الشاعر إلى السلطان . ومن ذلك مقدمات حرب كيخسرو وأفراسياب ، وقصة الدقيق وهفتخوان واسكندر والأشكانيين .^(٣)

ختم الكتاب وسفر الفردوسي إلى غزنه :

يقول نظامي العروضي في كتابه چهار مقالة ، وهو أقدم كتاب يروى من أنباء الفردوسي ، أن الشاعر كان له نساخ اسمه على الديلمى ، ورواية اسمه أبو دلف ، وكان عامل طوس حين ابن قتيبة حفيّا به فأسقط عنه الخراج . ويروى العروضي أبياتا نجلها في خاتمة الشاهنامه ، تتضمن هذه الأسماء الثلاثة . ولكن الفردوسي يقرن هذه الأسماء بعضها ببعض في نسق واحد ، ويعدها من كبراء المدينة . فإذن النساخ والرواية إلا كانا من الأدباء طوعا لمعونة الفردوسي إعجابا به ، وعصبية لأدب الفرس وتاريخهم القديم . ولو كانا ماجورين ما عدهما من الكبراء وذكرهما قبل عامل طوس الذي أراحه من تكاليف الخراج .

يقول العروضي : « كتب على الديلمى الشاهنامه في سبعة مجلدات . وأخذ الفردوسي أبا دلف وتوجه تلقاه غزنه ، وتوسل بالرئيس الكبير أحمد بن الحسن الكاتب . وكان السلطان محمود يعرف له أياديه ، ولكن الرئيس الكبير كان له منافسون يداؤون على الإيقاع به والنقض من قدره . فسأل محمود هذه الجماعة ماذا نعطى الفردوسي ؟ قالوا : خمسين ألف درهم ، بل هذا كثير . لأنه رجل رافضي ومعتزل » . وروى العروضي الأبيات التي اتخذوها دليلا على اعتزاله ورفضه ، وهي مثبتة في مقدمة الشاهنامه . « وكان السلطان محمود رجلا متعصبا فعملت فيه هذه السعاية ، وأصنى إليها . فأرسل إلى

(١) مولج ٧ ص ٢٩٤ ، ص ٢٣٨ الآية الجزء الثاني . (٢) مولج ٦ ص ٤٥٦

(٣) مولج ٢ ص ٥٥ و ٤٨٨ ج ٥ ص ١٠٠ و ٢٦٦

الفردوسي عشرين ألف درهم . فاعتم جدا وذهب إلى الحمام ثم خرج وشرب قنعا ، وقسم هذه القضة بين الجماعي والفقاعي . وكان يعلم سطوة محمود قفارق غزنه بليل ، وتزل بهرة في دكان اسماعيل الوراق والد الأزرق (الشاعر) ، وتوارى في داره ستة أشهر حتى بلغ طلاب السلطان طوسا وعادوا .

رواية العروضي هذه تشبه أن تكون منشأ الروايات المسببة التي قدمت خلاصتها عن مقدمة بإستقر . والعروضي ، لاريب ، أجدر بالثقة ، وأقرب الرواة إلى عهد الفردوسي ، وقد زار قبره في طوس بعد قرن من وفاته ، سنة - ٥١٠ هـ . فكأنه يروى ما عرف عن الشاعر في بلده بعد مائة سنة من وفاته .

وأول خلاف يعتنا بين العروضي وبين رواية بإستقر يدور حول الوزير الميمندي ؛ العروضي يجعل الميمندي وسيلة الشاعر إلى السلطان ، ويروى بعد أن كان شفيح الشاعر إلى السلطان بعد أن وقعت بينهما النفرة ، وكذلك في دولتشاه أن الميمندي كان محسنا إلى الفردوسي . ومقدمة بإستقر تجعل الميمندي عدو الشاعر وحاسده الذي أفسد قلب السلطان عليه . ونفق الروايتان على أن الميمندي لم يبلغ الشاعر ما أمله .

والذي نعرفه من أخبار الوزير الميمندي والوزير الذي كان قبله — أبي العباس الفضل بن أحمد — يمتعنا أن نقبل رواية العروضي في عطف الميمندي على الشاعر ، ويرجح رواية بإستقر أن الميمندي سعى في حرمان الشاعر من نوال السلطان أو لم يبال به :

كان وزير محمود سنة أربع مائة من الهجرة ، وهي سنة ختم الشاهنامه ، أبا العباس الفضل بن أحمد ، والفردوسي يمدحه مع السلطان في أول مدح يصادف قارئ الشاهنامه بعد المقدمة ، وفي أثناء هذا المدح يذكر الفردوسي أن سنة ٦٥٠ هـ ، فهو قد مدح الفضل قبل ختم الشاهنامه . ولما ختم كتابه كان الفضل لا يزال وزيرا . فكيف توسل الشاعر بالميمندي الذي لم يمدحه دون الوزير الذي مدحه ؟ نعرف من تاريخ المتي أن النفرة وقعت بين السلطان ووزيره حوالي سنة ٤٠١ هـ إذ قل الخراج وطالب السلطان وزيره بالمال وانتهى الأمر إلى أن حبسه وغزوه مائة ألف دينار . وبقي محبوسا حتى قتله الناس في غيبة السلطان في غزوة ناردن بالهند سنة ٤٠٤ هـ . والميمندي إذ ذاك صاحب الحول والطول ، وقد استخلفه السلطان على أمور الدولة وإمداده بالمال في غزواته ، ثم ولاة الوزارة مكان أبي العباس . فلا ريب أن الميمندي كان من الشامتين في الوزير ، وقد قُتل الفضل وهو يمدح من أجل المال ، والأمر كله في يد الميمندي . فان كان الفردوسي بلغ غزنه بعد أن فسد الأمر بين السلطان والفضل

فوصل بالميمندى فما كان أحراه ان يخيب . فالميمندى كان إذ ذاك فى شغل بترين عمله عند السلطان والخط من الفضل ومن تحزب اليه . ثم الميمندى لم يكن يعنى باللغة الفارسية عناية الفضل . يقول العتي : "وكان الوزير أبو العباس قليل البضاعة فى الصناعة ؛ لم يعتن بها فى سالف الأيام ، ولم يرض بنائه بخدمة الأقاليم . فانتقلت المخاطبات مدة أيامه من العربية الى الفارسية . حتى كسدت سوق البيان ، وبارت بضاعة الاجادة والاحسان ، واستوت درجة العجزة والكفاة ، والتقى الفاضل والمفضول على خطى الموازاة . ولما سمعت الوزارة بالشيخ الجليل أسعد الله به جود الأفاضل ، ووژد بمكانه خدود الفضائل ، ورفع ألوية الكتاب ، وعمر أفنية الآداب . فجزم على أوشحة ديوانه أن يتنكبوا ويتعاشوا الفارسية إلا عن ضرورة من جهل من يكتب اليه ، وعجزه عن فهم ما يتعزب به عليه . فطارت توقيعاته فى البلاد ولا شوارد الأمثال ، وأبيات المعانى من القصائد الطوال" .

وأحسب اضطراب أمر الفضل كان من أسباب حرمان الشاعر . وخلو الكتاب من ذكر الميمندى ، وإبقاء الفردوسى على اسم الفضل فى كتابه يدل على أن الشاعر بلغ غزنه فى عهد الفضل وتوصل به الى السلطان لا بالميمندى ، ولكن حاجة السلطان الى المال إذ ذاك ، وشدة محاسبته الوزير لم تكن ملائمة لإجزال العطاء للشعراء . والسلطان محمود كان حريصا على المال ؛ يقول ابن الأثير فى حوادث سنة ٤٢١ عن محمود : « ولم يكن فيه ما يعاب إلا أنه كان يتوصل الى أخذ الأموال بكل طريق . فن ذلك أنه بلغه أن إنسانا من نيسابور كثير المال عظيم الثنى فأحضره الى غزنة وقال له : بلغنا أنك قرمطى . فقال : لست بقرمطى ، ولى مال يؤخذ منه ما يراد ، وأعطى من الاسم . فأخذ منه مالا وكتب معه كتابا بصحة اعتقاده ^(١) » .

وليس بعيدا ، مع هذا ، أن يكون الناس اتهموا الفردوسى بالشيع والاعتزال كما يقول العروضى . وفى الشاهنامه أبيات كثيرة تين عن كلف الشاعر بحب آل البيت بل فى مقدمة الكتاب يسمى عليا « الوصى » وفى بعض مدائح محمود يذكر عليا بعد الرسول ، ولا يذكر غيره من الصعابة ^(٢) . والأبيات التى روى العروضى أنه اتهم من أجلها بالرفض والاعتزال نجدها فى مقدمة الشاهنامه ^(٣) . فإشار على بالمدح ، والمغالاة فى الثناء عليه كانا جديرين أن يتخذها الحساد وسيلة الى سحق السلطان ، وإن كان الشاعر قد مدح الخلفاء الأربعة فى المقدمة . وأحسب أن السلطان لو ترك رأيه ما أخذ الفردوسى بالإطتاب فى مدح آل البيت . فابن الأثير يخبرنا أن السلطان «جدد عمارة المشهد بطوس الذى فيه

(١) كتاب الميمنى ص ١٧٠ ج ٢ (٢) مولج ٦ ص ٢٤٢ (٣) ص ٨ ج ١ الآتية .

قبر على بن موسى الرضا والرشيد ، وأحسن عمارته . وكان أبوه سبكتكين قد أخربه . وكان أهل طوس يؤذون^(١) من يزوره .

وينبئ ألا ننسى رواية بايسقر فيا تقدم أن الشاعر كان يرسل قصصه الى الأمراء والكبراء ، وأنه أُرسل الى نحر الدولة البويهية قصة رستم واسفنديار فأرسل اليه جائزة ، ووعدته الاكرام إن قدم اليه . فهذا ، إن صح ، كان سببا الى سخط السلطان وسعى المفسدين لحرمان الشاعر .

ما أعطاه السلطان للفردوسي :

في شأيا الشاهنامه مدائح كثيرة يوصف فيها السلطان محمود بالجلود والسناء ، وأن الذهب والتراب سيان عنده . ويصرح الشاعر في المدائح أنه يرجو نوال السلطان ، وأنه أعد الكتاب ليدّر عليه المال في شيخوخته . ولكنا لا نقرأ للشاعر بيتا واحدا يشكر فيه السلطان على منعة ، أو يحدث فيه بأنه ظفر ببطائه . فأحسب إذا أن السلطان لم يمنح الفردوسي شيئا أشاء نظم الكتاب ، وأن الشاعر صبر ، وادخر كل آماله فذهب بها الى غزنة بعد أن ختم كتابه . ولا شك أن الفردوسي لم ينل ما رجاه ؛ انقضت على هذا الروايات ، وسار في الأدب الفارسي مسير الأمثال . وفي مقدمة بايسقر ، كما تقدم ، أنه أمر للشاعر بستين ألف دينار فأشار اليميني أن يعطى ستين ألف مثقال من الفضة . والعروضي يقول أعطاه عشرين ألف درهم .

وفي الهجاء المروى عن الفردوسي بيت غامض يروى في نسخة تبريز هكذا :

كف شاه محمود على تبار نه اندر نه آمد سه اندر چهار

ومعناه فيا يظهر لي : إن في كف الملك محمود ، على النسب "تسعة في تسعة" صارت "أربعة في ثلاثة" فهل يؤخذ من هذا البيت أنه كان يرجو دنائير قيمتها واحد وثمانون ألف درهم فأعطاه السلطان اثني عشر ألفا ؟ وقد تكون الإحدى والثمانون رمزا الى الخطوط التي في الكف اليسرى . ومهما يكن فعطية السلطان كانت أقل من التي رجاها الفردوسي فخاب رجاءه وتارت تأثرته .

تتفق الروايات على أن الشاعر قسم المال بين بعض الناس ازدراء ، وغضباً على السلطان . وأحسب قصة الحماني والفقاعي أوحث بها أبيات في الهجاء المنسوب الى الشاعر كما يأتي ؛ فهو يقول : "إن الملك فتح لي كتبه ليكافئني فأعطاني إلا ثمن شربة قُحّاق . استحققت من كثر الملك فقاما فاشتريته على الطريق " . وإنما يقول الفردوسي هذا استهزاء بمنحة السلطان . وأظن الفردوسي أخذ ما نال من السلطان ثم خرج مغاضبا .

٧٦ - هرب الفردوسى، ومسيره الى مازندران :

يقول العروضى بعد الذى تربته آنفا : "فلما أمن الفردوسى توجه من هرة الى طوس، وحمل الشاهنامه وسار الى طبرستان، الى الأصهبذ شهریار الذى كان ملك طبرستان، من آل باوند . وهى أسرة عظيمة يتصل نسبها بيزدجرد بن شهریار . فكتب فى السباجة مائة بيت فى هجاء محمود . وقرأها على شهریار وقال : "سأحول هذا الكتاب من اسم محمود الى اسمك . فان هذا الكتاب كله أخبار أجدادك وآثرهم" . فتلطف شهریار وأكرمه وقال : "يا أستاذ إن محمود قد حمل على هذا، ولم يعرض عليه كتابك كما ينبغي وسعى بك . ثم أنت رجل شيعى . وكل من تولى آل النبی لم تستقم له أمور الدنيا اذ لم تستقم لهم أنفسهم . ومحمود ملىكى . فدع الشاهنامه باسمه، وأعطني الهجاء لأغسله، وأعطيك شيئا سيرا . سيدعوك محمود ويسترضيك . ولا يضيع جهد كتاب مثل هذا" . وفى اليوم الثانى أرسل اليه مائة ألف درهم وقال : اشترت كل بيت بالف درهم، فأعطني مائة البيت هذه، واراض عن محمود . فأرسل الفردوسى الأبيات فأمر (شهریار) بغسلها، وغسل الفردوسى مسودتها أيضا . وضاع الهجاء وبقيت منه هذه الأبيات الستة . (يثبت العروضى هنا ستة أبيات سياى الكلام فيها) . والحق أن شهریار قدم الى محمود يدا عظيمة وقد عرف له محمود حقه .

هذا يوافق فى جوهره ما نقلته عن بايستقر فيما تقدم ؛ فالروايتان تتفقان على أن الفردوسى لما إلى أحد الاسراء، وأراد أن يقدم إليه الشاهنامه، ويخواسم محمود ويهجوهم فعذل به الأمير عما أراد تقربا إلى السلطان . فلتنظر أى الروايتين تلائم التاريخ : روايات بايستقر تذكر أميرين : الأول ناصرلك والى قهستان الذى شفع للفردوسى عند السلطان حتى أرضاه عنه وعدل بالفردوسى عن هجائه كما فعل شهریار فى رواية العروضى . والثانى أمير مازندران الذى أكرم الفردوسى وأمره بالرجيل من بلاده خيفة من محمود . وظاهر أنهما روايتان متناقضتان . فلو أن السلطان قبل شفاعته ناصرلك ما احتاج الشاعر أن يهرب من مازندران، وما خاف أمير مازندران من إقامته فى بلاده . نرى إذا قصة ناصرلك الذى لا نعرفه وناخذ الرواية الثانية لنقربها برواية العروضى ؛ هذه الرواية تجعل أمير مازندران إذ ذاك من أبناء قابوس بن وشمكير على اضطراب فى ذكر الاسم ، وتجعل ابنه صهر السلطان وابن بنت مرزبان بن رستم بن شروين مؤلف كتاب مرزبان نامه . ونحن نعرف من تاريخ آل زیار أن ابن بنت مرزبان بن رستم منهم هو اسکندر بن قابوس والد کیکاوس الملقب بعنصر المعالى، مؤلف كتاب قابوس نامه . وأن صهر السلطان محمود منهم هو کیکاوس بن اسکندر، وعمه منوچهر

فلك المعالى ، فالذى ابنه صهر السلطان هو قابوس أو اسكندر^(١) . والذى ابنه صهر السلطان وابن بنت مرزبان هو قابوس فقط . واذا نظرنا الى أن الفردوسى ختم كتابه سنة ٤٠٠ ، والى أن هربه ينبغى أن يكون فى السنة نفسها أو التى عليها فأميز ما زندان اذ ذاك هو قابوس بن وشمكير نفسه . واذا فرضنا أنه تأخر الى سنة ٤٠٣ فالأمير منوچهر .

وأما رواية العروضى فيها أن الشاعر ذهب الى مازندران عند شهریار . وليس فى چهار مقالة التى بيدى ذكر اسم أبيه . ولكن براون فى ترجمة أخبار الفردوسى عن چهار مقالة يذكر شهریار بن شروين^(٢) . وكذلك ابن اسفنديار فى تاريخ طبرستان ؛ عقد ملوك آل بوند حتى شهریار بن شروين ثم قال : وكان شهریار معاصرا للسلطان محمود الغزنوى وقابوس بن وشمكير ، ونقل رواية العروضى عن ذهاب الفردوسى الى مازندران^(٣) . ومحمد بن عبد الوهاب القزوینى فى حواشى چهار مقالة يقول أنه وجد فى أصل الكتاب شهرزاد أو شیرزاد مكان شهریار ، ويجزم بأن هذا خطأ ، وأن الحاكم اذ ذاك كان شهریار بن شروين بن رستم^(٤) الخ . ويظهر لى أن كل هذا نشأ من تشابه الأسماء فى آل بوند . فالعاصر لمحمود وقابوس ليس شهریار بن شروين بل شهریار بن دارا بن رستم بن شروين (٣٥٨-٣٩٦)^(٥) . وهو الذى عنه العروضى ، فيما يظهر . ولكن هذا لا ينهى المسألة . فشهریار هذا حكم الى سنة ٣٩٦ ، وهرب الفردوسى كان بعد سنة ٤٠٠ ، وحاكم مازندران اذ ذاك من آل بوند هو رستم بن شهریار (٣٩٦-٤١٩) فقد وضع العروضى شهریار مكان ابنه رستم . والذى يعيننا من هذه الروايات المختلفة أن الفردوسى ذهب الى مازندران ، وليس لدينا ما يدعوا الى التأكيد به . وليس يعيننا كثيرا أنه قصد أميرا من آل زیار أو من آل بوند . ولا يبعد أن يكون الشاعر ذهب الى الأميرين كليهما . ومهما يكن فبنو زیار كانوا فى حماية محمود ، وكانوا أصحابه ؛ وكان بنو بوند أصحاب بنی زیار ، وخاصمين لسلطان محمود أيضا . فلا غرابة أن يجهد أمير زیارى أو بوندى ليعمل بالفردوسى عن هجاء محمود إن كان الفردوسى قد هجاء أو عزم على هجائه .

هجاء السلطان :

ما يفتح أحد نسخة من الشاهنامه إلا يجدها مصدرة بهجاء السلطان محمود ، وقد صدق الشاعر

الذى قال :

(١) انظر مقدمة قابوس نامه ، براون ج ٢ ص ٢٧٧ ، التى ج ٢ ص ١٨٤

(٢) تاريخ طبرستان ص ٢٣٨ الترجمة الانكليزية . (٣) چهار مقالة ص ١٩٠ (٤) (٥) الفول الاسلامية

لتحليل أدهم ترجمة كتاب لين بول .

ككشت شوكت محمود ودر زمانه نماند جزاین قدر كه ندانست قدر فردوسی

”ذهب شوكة محمود ولم يبق على الزمان إلا شيء واحد : أنه لم يقدر الفردوسی قدره“ . فهل هجا الفردوسی السلطان محمودا ؟ وإن يكن هجا فما الذي بقى لنا من هذا الهجاء ؟

يؤخذ من روايات بايستقر والعروسی أن الشاعر عدل عما أرادته من هجو محمود، أو رضی بحوه وإخفائه . ويقول العروسی : ”وقد بقى من الهجاء هذه الأبيات الستة“ :

مرا غمزه كردند كان پر مخن	بمهر نبي وعلى شد كهن
أكرمهمشان من حكایت كنم	چو محمود را صد حمایت كنم
پرستار زاده نیاید بكار	وكرچند باشد پدر شهریار
ازین در مخن چند رانم همی	چو دریا كزانه ندانم همی
به نیکی نبند شاه را دستكاه	وكرنه مرا برنشاندی بهكاه
چواندر تبارش بزرگی نبود	ندانست نام بزرگان شنود

وترجمتها :

”لقد قالوا طاعنين : إن هذا المنطيق شاب على حب النبي وعلى . ولئن حكيت حبه لآحمين مائة مثل محمود . ان ابن الأمة لا يرجى خيره ولو كان أبوه ملكا . حتام أطيل الكلام في هذا، وهو كالبحر لا أعرف له قرارا ؟ لم يكن لللك مقدرة على الخير، وإلا لرفعتني على العرش . ولم يكن عظيم الأصل فلم يحسن أن يستمع أسماء العظماء .

هذا كل ما رواه المروسی، وهو أقدم الرواة . ولكننا نجد الآن في نسخ الشاهنامه هجاء محمود يختلف من ٣٠ بيتا الى ١٦٠؛ في نسخة مول ٩٣، وفي نسخة تبريز ١٠٥، وفي مكن ١٠١^(١) . ويقول مرزا محمد بن عبد الوهاب القزوینی في حواشی چهارمقاله، تعلیقا على قول العروسی أن الهجاء قد ضاع وبقی منه ستة أبيات : ”هذا ادعاء غريب جدا . لأنه يقتضى أن الهجاء المعروف المنبت في أول الشاهنامه ليس للفردوسی منه غير ستة أبيات على حين أن نسبة هذا الهجاء الى الفردوسی يمكن أن تمتد من المتواترات . ثم طرز هذه الأشعار وأسلوبها على نمط سائر أشعار الفردوسی في الجزالة ومثانة الألفاظ . وقوة المعاني واستحكامها“^(٢) . ويقول لذلك، بعد تبیین اختلاف النسخ في عدد

أبيات الهجاء : ” ومهما يكن فيرزا محمد القزوينى ناشر چهار مقالة له الحق فى الاعتراض على قول العروضى أنه لم يبق من الهجاء إلا ستة أبيات “ .

هذه الأبيات الستة متفرقة فى أثناء الهجاء فى نسخة مكنى . وفى مول وتبريز ثلاثة منها . ونحن اذا نظرنا الى الهجاء فى مول وتبريز نجد بعض أبياته ماثبا فى أثناء الشاهنامه ، وليس فيها هجاء . بل نجد بعض الأبيات ماثبا فى مدائح محمود ، وهى أبيات يذكرفها الشاعر نفسه وكتابه الخالد ، وما يرجوه من السلطان ، ونجد أبياتا منه فى مقدمة الشاهنامه كالأبيات التى يذكرفها حبه آل البيت ، ويسب فيها مبغض على . فلاشك أن هذه الأبيات ليست كلها من هجاء الفردوسى إن كان الفردوسى قد هجا . وأحسب رواية العروضى أن الهجاء كان مائة بيت دعا بعض الناس أن يبلغوه مائة . وهو يقرب من المائة فى أكثر النسخ الموثوق بها . فليست مطابقة قول العروضى دليلا على الصحة بل على المحاكاة .

وأنا أرتاب فى أن الفردوسى هجا محمودا لأن الرجل كان يعرف سطوة السلطان ، ولأننا لا نجد فى مقدمة قصة يوسف وزليخا التى أعرب فيها عن ندمه بما أصاع عمره فى نظم الأساطير ، وقصص الملوك القدماء ، والتى هى أجدر مكان بأعراب الفردوسى عن خيبة أمله فى السلطان — لا نجد فى هذه المقدمة بيتا واحدا عن السلطان محمود ، ولا عن تحسر الشاعر على ما فاتته من ثمرة كتابه . إلا أن يكون هذا البيت :

نكويم كدر داستان ملوك دلم سیرشد ز آستان ملوك

« لا أقص من بعد قصص الملوك ، فقد مل قلبى عتبات الملوك » .

وهو إن كان تعريضا بمحمود لا يعرب عن هجاء رجل محقق . فالذى منع الشاعر أن يقول كلمة عن محمود فى مقدمة كتابه الثانى الذى كتبه وهو فى غير ملكته — منعه ، فيما أظن ، أن يهجو من قبل . وإن صدقت رواية العروضى فقد ضاع الهجاء فكيف بقيت هذه الأبيات كلها ؟ وآية الاضطراب فى روايات الهجاء الاختلاف الكبير فى عدد أبياته كما تقدم .

وما أظن الشاعر هرب من محمود . وإنما كان ذهابه الى مازندران وغيرها التماسا لما فاتته فى الشرق . ولما أراد الرجوع الى بلاده رجع غير هائب أحدا .

بل يمكن أن يقال: إن السلطان ما حسب أنه أساء الى الشاعر، ولا علم أنه أتى أمرا نكرا بحرمانه الفردوسى، وأن الناس تحدّثوا به حتى صار ذكر الشاهنامة سبة للسلطان. ولكنه أعطى عطاء ظنه وانفا بمكافأة شاعر. ومن آيات ذلك ما رواه ابن الأثير في حوادث سنة ٤٢٠ أن مجد الدولة البويهى استنجد السلطان محمودا حين فسد عليه جنده فسير اليه جيشا وأمرهم بالقبض عليه "فلما وصل العسكر الى الرى ركب مجد الدولة يتقيهم فقبضوا عليه وعلى أبى دلف ولده. فلما انتهى الخبر الى يمين الدولة (محمود) بالقبض عليه سار الى الرى فوصلها في ربيع الآخر، وأخذ من الأموال ألف ألف دينار، ومن الجواهر ما قيمته خمسمائة ألف دينار، ومن الثياب ستة آلاف ثوب، ومن الآلات وغيرها ما لا يحصى. وأحضر مجد الدولة وقال له: أما قرأت كتاب شاهنامة وهو تاريخ الفرس، وتاريخ الطبرى وهو تاريخ المسلمين؟ قال بلى! قال: ما حالك حال من قرأها. أما لعبت بالشطرنج؟ قال بلى! قال: فهل رأيت شاهها يدخل على شاه؟ قال لا. قال: فما حلك على أن سلبت نفسك الى من هو أقوى منك؟ ثم سيره الى خراسان مقبوضا".

فلو كان ذكر الشاهنامة سبة للسلطان ما سأل عنها خصمه.

٨ و ١٠ - الفردوسى ببغداد

وأما حديث الفردوسى ببغداد فحديث خرافة. ليس عجيبا أن يكون الشاعر ذهب الى بغداد، ولكن لا ريب أنه لم ينظم شعرا عربيا قط. فمدحه وزير الخليفة بقصيدة عربية بلغة، ومدحه الخليفة بألف بيت من الشعر العربى كذب صريح. وكذلك نظمته قصة يوسف وزليخا بأمر الخليفة أو إرضاء له، واستحسن الخليفة وأهل بغداد هذه القصة. فليس في مقدمة يوسف وزليخا ذكر الخليفة صريحا أو كناية، ولا فيه ذكر بغداد أو أهلها. بل يصرح أنه نظم الكتاب لأمر العراق، كما يأتى. وكذلك تحسّس السلطان أخبار الفردوسى، وتهديده الخليفة من أجله، ورد الخليفة. كل هذا أساطير بعيدة من الحقيقة؛ فإكان محمود ليهم بأمر الفردوسى هذا الاهتمام، ولو أهمه أمره ما استباح، وهو السلطان السنى المتشدد، أن يهتد الخليفة بأن يطأ بغداد بالقبيلة إن لم يرسل اليه القرمطى (الفردوسى). هذه أحاديث اخترعها الذين أرادوا أن يتخلّفوا للفردوسى قصة كقصص الشاهنامة.

(٩) يوسف وزليخا:

يقول الشاعر في مقدمة القصة إن شاعرين نظماها من قبل: أبو المؤيد البلخى ثم البختيارى الذى نظمها لأمر العراق. وذلك أن البختيارى قصد حضرة الأمير بالأهواز يوم النيروز، ودخل

فى زمرة الشعراء السادحين فى ذلك اليوم . وبعد أيام جلس الأمير يستمع ترتيل سورة يوسف ، فوذ أن تنظم السورة بلفظ فارسى فصيح نظماً ينفى عن التفسير . وبينما الأمير يفكر فى هذا إذ أقبل البخيارى فأسرع الأمير الى دعائه ، واقترح عليه أن ينظم القصة . فقبل الأرض والتم أن ينظمها . ودأب فى عمله مكلفاً نفسه كل نصب . يقول الفرديوسى : وسمت القصة كلها وعرفت جودها وردبها . وكنت أتحدث عنها يوماً عند "الأجل تاج الزمان ، فلك الوفاء والرفعة ، الموفق" فاستمع لحدثى ثم نظر الى وقال : أريد أن تبادل الى نظمها مرة أخرى نظماً لا يستطيع أن يعيه شاعر . فإن وفقت فى نظمها واتتاك الاجادة فى ألفاظها ومعانيها حملتها الى أمير العراق فقرأ عنده فكون وسيلة الى تعريفه مكانتك فى الشعر فلفت اليك . فقات له : سامثل الأمر وأنظم القصة حتى اذا صادفت قبولاً من الملك جذب بضيعى ، وسعدت بمخدمته . الخ .

فالشاعر يحثنا أن نظم القصة اقترح عليه ، وأنه لم ينظمها ، كما يقال ، تكفيرا عن نظم الشاهنامه . ولكن الشاعر ، وقد تصدى لنظم قصة قرآنية فى شيخوخته ، بعد أن أمضى عمره فى نظم سير الملوك وأساطير الأبطال ثم لم يظفر بما يعزبه عن عمره الفائت وكده خمسا وثلاثين سنة — اتخذ نظمها توبة بما اقترف إذ أضاع عمره فى نظم الأساطير . والشاعر يعرب هنا عن أسفه وندمه ، مينا الفرق بين أساطير الملوك وقصص الأنبياء التى أوحاها الله الى نبيه ؛ يقول : «نظمت فى كل باب ، وسمع قولى كل إنسان . فان أكن قد وجدت فى هذا لذة فابذرت إلا بذر النصب والآثام . وقد ندمت على ما بذرت ، وختمت على قلبي ولسانى . فلن أنطق من بعد بأحاديث الكذب ، ولن أبذر الآثام بعد أن اشتعل رأسى شيئا . لقد انقبض قلبي من أفريدون البطل . ماذا يصنئى من أنه استولى على عرش الضحاك ؟ ومللت من ملك كيقباد . وذهب تحت كيكلاوس أدراج الرياح . ولست أدرى ما الذى يكون غير العذاب من كيخسرو وحرب أفراسياب ؟ إن العقل ليسخر من الكلف بمثل هذا . أتى يرضى العقل منى أن أضيق نصف حياتى لأملأ العالم باسم رستم ؟ » الى أن يقول : «أضعت العمر وأصبحت التم . فان يحم لى البقاء أياما فلن أسلك إلا سبيل الصدق . لا أقص من بعد قصص الملوك ، لقد انقبض صدرى من عتبات الملوك ... إن هذه القصص كذب صراح ، لا يقوم مائتان منها بذرة من التراب » . ثم يقول : يجب أن يتحدث عن الأنبياء الذين لم يتخذوا غير الصدق سبيلا ... سأقص عليك قصة . ولكنها ليست من كلام القدماء بل من كلام رب الصادقين الخ .

فهذا كان رأى الشاعر حين نظم قصة يوسف وزليخا . وستان بين هذا وبين إعجابه بنفسه ، واغباطه بذكره الخالد ، حين كان ينظم الشاهنامه . ولعل الشيخوخة اليأس ، والأمل الخائب أوحيا إليه هذا .

لا يذكر الفردوسى اسم الأمير الذى نظم من أجله الكتاب ولكنه يسميه "أمير العراق".
فن كان أمير العراق حينئذ ؟

أمير العراق العربى ما بين سنتى ٣٧٩ و ٤٠٥ كان بهاء الدولة بن عضد الدولة البوسى ، وأمير العراق العجمى ما بين سنتى ٣٨٧ و ٤٢٠ كان مجد الدولة أبا طالب رسم ، حفيد ركن الدولة بن بويه . وكان معروفاً بالمكوف على مطالعة الكتب^(١) . فأى العراقيين عني الفردوسى حين قال : "أمير العراق" ؟ أظنه العراق العربى . لأنه يقول فى مقدمة يوسف وزليخا عن البختيارى الشاعر الذى نظم القصة من قبل — أنه مدح الأمير يوم النوروز فى الأهواز . فأغلب الظن أن أمير العراق الذى كتبت له القصة هو بهاء الدولة الذى ذكر آنفاً .

١١ و ١٣ — رضاء السلطان عن الفردوسى :

قدّمت فى الكلام عن روايات مقدّمة بايستقر أن شفاعته ناصر ك للفردوسى ، ورضاء السلطان عنه يناقض هربه بعد إلى مازندران والعراق ، وقلت : إن هذا التناقض يزول فى رواية أخرى تجعل شفاعته ناصر ك بعد ذهاب الفردوسى إلى العراق ، وقبيل رجوعه إلى وطنه .

والعروضى يقول فى هذا : "سمعت سنة ٥١٤ فى نيسابور من الأمير الميرزى أنه سمع من الأمير عبد الرازق بطوس أن محموداً كان فى الهند مرة ، وبينما هو عائد منها إلى غزنة عرض له نائير فى قلعة حصينة . وكان منزل محمود فى اليوم الثانى عند باب هذه القلعة . فأرسل إليه رسولا أن اتى خذاً ، وقدم الطاعة ، واخدم حضرتنا ، والبس التشرىف ، وارجع . فلما كان الفد ركب محمود . وبينما الرئيس الكبير (الميمندى) يسير عن يمينه إذ عاد الرسول وأقبل شطر السلطان . فقال السلطان للرئيس الكبير : ماذا يكون الجواب ؟ فأنتد الرئيس بيت الفردوسى :

أكرج بكلم من آيد جواب من وكرز وميدان وأفراسياب

"إن لم يأت الجواب كما أريد فأنا والجرز والميدان وأفراسياب"

قال محمود : لمن هذا البيت الذى تنبعت الشجاعة منه ؟ قال : للسكين أبى القاسم الفردوسى الذى احتمل العناء نحسا وعشرين سنة وأتم مثل هذا الكتاب ، وما جنى أية ثمرة . قال محمود : أحسنت بما ذكرتنى ، فقد أسفنى أن يحرم عطائى هذا الرجل الحر . ذكرتنى فى غزنة لأرسل إليه شيئاً . فلما جاء الرئيس غزنة ذكر محمود . فقال السلطان : مر لأبى القاسم الفردوسى بستين ألف دينار ، يعطاهما نيلجا ، وتحمل على الابل السلطانية ، ويعتذر إليه .

(١) ابن الأثير حوادث سنة ٤٢٠

ومضت سنون والرئيس فى شغل بهذا . ثم أنجز الأمر وحمل الابل . وحمل النيلج الى طبران . وبينما الابل تدخل من باب رودبار كانت جنازة الفردوسى تخرج من باب رزان^(١) ... ويقولون : إن الفردوسى خلف بنتا عظيمة النفس أرادوا أن يسلموا اليها هبة السلطان فأبت ، وقالت : لا حاجة بى اليها . فكتب صاحب البريد الى السلطان . فأمر أن يعطى المال الى الشيخ أبى بكر بن اصحاق الكرامى ليعمر به رباط چاهه فى حدود طوس ، على طريق مرو ونيسابور . فلما بلغ الأمر طوسا امتثلوه . وبناء رباط چاهه من هذا المال ” .

رواية ابن اسفنديار ، مؤلف تاريخ طبرستان الذى نقل هذه القطعة عن چهار مقالة ، تذكر أنها كانت ستين ألف درهم لادينار ، وأنه حين جمعت الدراهم أرسلت على الابل الى طوس^(٢) . ومثل هذا فى رواية بايستر المتقدمة . وأحسب رواية العروضى أصل الروايات الأخرى . وتتفق الروايات على أن الهبة جاءت بعد موت الشاعر ، وأن ورثته لم يقبلوها ، وأنه بُنى بها بنية — سد ، أو رباط .

ليس بعيدا أن يكون السلطان أعجب بأبيات من الشاهنامه أوبييت كما روى العروضى ، ولا يبعد كذلك أن السلطان رأى صيت الفردوسى يذبح ، والشاهنامه تقسأ فى كل مكان ، ومدحه مكرر فى صفحاتها ، وأشار عليه وزير أو غيره أن يحسن الى الشاعر والى نفسه هبة تكافئ كتابا كالشاهنامه . ولكن ليس عندنا ما يثبت . وكل ما يروى فى هذا أشبه بالخرافات . فرواية العروضى ، وهى أقدم الروايات وأصلها فيما أحسب ، تقول : إن السلطان أمر أن يحمل الى الشاعر من النيلج ما قيمته ٦٠ ألف دينار ، وأن الوزير لبث ستين مشغولا بهذا الخ . وليس يعقل أن تكون هبة السلطان من هذا النوع ، ولا أن يحتاج الوزير الى ستين حتى يبيتها ويرسلها . ولو كان هذا ، وهو عجيب ، ما أبت قبوله بنت الفردوسى أو أخته . وأكبر الظن أن السلطان جاءه من غنائم الهند أو جزيتها مقدار كبير من النيلج فأمر بارساله الى المدن الكبيرة ليباع . فأرسل بعضه أو كله الى طوس . وكان ذلك عقب وفاة الفردوسى . ثم أمر السلطان أن يبنى سد الماء أو رباط من ثمن النيلج . فنشأت الخرافة ، جعل النيلج صلة للشاعر جاءت بعد وفاته . ولما لم يعط شئ لورثة الفردوسى قيل إنهم أبوا أن يأخذوا الخ . ويحوز أن البناء على مر الزمن سمي باسم الفردوسى ، أو باسم آخر جعل اسما لاحدى قرايات الفردوسى ، كما تقدم عن بايستر أن سد طوس يسمى سد عائشة فرخ ، وأنها اخت الفردوسى .

وأما الرواية عن ناصر خسرو في كتاب سفرنامه ، أنه مر بطوس سنة ٤٣٨ فرأى رباطا كبيرا حديث البناء فسأل فقيل له : إنه بنى من صلة السلطان للفردوسي ، فلا نجد لها في سفرنامه . والمعروف من أخبار ناصر خسرو أنه لم يذهب الى طوس ، وأنه في سنة ٤٣٨ كان في جهات الري وسار منها صوب الغرب والجنوب ، ولم يعاود خراسان إلا سنة ٤٤٤^(١)

١٢ و ١٤ — وفاة الفردوسي :

يقول دولتشاه : إن الفردوسي توفي سنة ٤١١ ، ويروي غيره أن وفاته كانت سنة ٤١٦ ؛ وقد تقدم أن الشاعر ولد حوالي سنة ٣٢٩ ، فقد توفي اذا بعد الثمانين . وهذا يلائم ما يروي في خاتمة الشاهنامه ، وفي الهجاء المنسوب اليه — أنه كان يناهز الثمانين قبل ذهابه الى العراق .

وقد تقدم ما ترويه مقدمة بايستقر عن الشيخ أبي القاسم الجرجاني أنه أبي أن يصل عليه حتى رأى في المنام ما غيّر ظنه بالفردوسي . ويقول نظامي المروزي : ” وكان في طبران واعظ فتعصب وقال : لا أجز أن يدفن في مقبرة المسلمين إذ كان رافضيا ، وأصر على ذلك . وكان للفردوسي بستان داخل باب المدينة فدفن فيه . وقبره باق اليوم وقد زرته سنة ٥١٠ “ ويقول ابن اسفنديار إن هذا البستان كان يسمى ” باغ فردوس “ أي حديقة الفردوس . ويقول دولتشاه أن قبره كان الى أيامه (القرن الثامن) معروفا بزوره المعجبون به ، وأنه كان بجانب المقبرة العباسية^(٢) .

وقد زار سيكس ساحة القبر وصورها في كتابه تاريخ إيران^(٣) . ولا يتبين في الصورة إلا أحجار متوردة في العراء على مقربة من شجيرات .

وفي مجلة ايرانشهر (العدد العاشر من السنة الثالثة ، المنشور ٣ ربيع الأول لسنة ١٣٤٤ هـ ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٥ م) أخبار عن تأليف جمعية لتشييد قبر الفردوسي ، وصورة جميلة نغمة للقبر الذي يراد إنشاؤه .

ذرية الفردوسي :

لا نعرف من أولاد الفردوسي إلا ابنا رثاه في الشاهنامه ، مات في سن السابعة والثلاثين بينما كان الأب في سن خمس وستين^(٥) ، وإلا بنتا ذكرت في روايات بايستقر والمروزي كما تقدم . ولا نعرف من أخبار أمرته شيئا وراه ذلك .

(١) فذلكه ص ٥٠ (٢) فذلكه ص ٥١ (٣) براون ج ٢ ص ١٣٨ ح (٤) ج ٢ ص ٦٠

(٥) ص ٢٢٠ ج ٢ — الآتية .

هل كان الفردوسى يعرف الفهلوية والعربية ؟

يظن الباحثون فى عصرنا أن كلمة پهلوى معناها پرى . وكان إقليم پرتيا يسمى فى الفارسية القديمة پرتقا غرف الى پهلَو وقيل فى النسبة اليه پهلوى . ويوافق ما فى الكتب العربية ؛ فقد أطلق جغرافيو العرب كلمة فهلَه على إقليم فى وسط ايران وغربها يشتمل على أصفهان والرى وهمدان ونهاوند وقسم من آذربيجان . كما يقول البيرونى عن بعض الأعياد : "وقد بقى هذا الرسم بأصفهان والرى وسائر بلدان فهلَه"^(١) ويقول ياقوت أن فهلَو أو فهلَه اسم يقع على خمسة بلدان : أصفهان والرى وهمدان وماء نهاوند وآذربيجان . وينقل عن حمزة الأصبهاني فى كتاب التنبيه : "فأما الفهلوية فكان يمرى بها كلام الملوك فى مجالسهم . وهى لغة منسوبة الى فهلَه" .

وكلمة "پهلوى" غير محدودة المعنى فى الآداب الفارسية . فالفردوسى يسمى لغة أبطاله القدماء پهلوية ، وكذلك يقول البيرونى عن كيومرث أول ملوك الشاهنامة أنه كان يلتقب كرشاه لأنه كان فى الجبال ، و"كر" هو الجبل بالفهلوية . ويقول القزوينى : إن الفهلوية كانت لغة جهات مختلفة فى بلاد الفرس . وفى الأدب الفارسى الحديث قطع شعرية لما لهجة خاصة تسمى الفهلويات .

والذى يعنينا هو استعمال الفردوسى هذه الكلمة : هو معنى بها اللغة القديمة . ويفرق بينها وبين الفارسية أو الدرية ؛ فهو فى فصل طهمورث يبتد اللغات التى عليها الجن هذا الملك فيذكر "پهلوى" و"پارسي"^(٢) . وفى قصة كليله ودمنة يقول : إن الكتاب كتب فى عهد أنوشروان ، ولم يكن إذ ذاك خط إلا الفهلوية^(٣) ، وبقى فى الفهلوية حتى عصر المنصور العباسى فترجم الى العربية . ثم ترجم الى الفارسية بأمر الملك السامانى نصر بن نوح^(٤) .

هل كان الفردوسى يعرف الفهلوية ؟ ينبغى قبل إجابة هذا السؤال أن نتذكر أن الفرق بين الفارسية والفهلوية يكاد ينحصر فى الخط . فإذا تكلم بالفهلوية أو كتبت بالحروف العربية فهم الفارسى المسلم معظمها . والخط الفهلوى معقد . ويندر أن يكون أحد من المسلمين عنى بدرسه إلا أن يكون من علماء اللغات .

يقول لذلك أن الفردوسى لم يسرف الفهلوية قط . ولا أدرى علام بنى رأيه هذا . ولكن قارىء الشاهنامة يحس أن الشاعر كان له إلمام بالفهلوية على الأقل : يشرح الفردوسى فى أثناء

(١) براون ج ١ ص ٨٠ والآثار الباقية ص ٢٢٩ (٢) الآثار الباقية ص ١٢ (٣) مول ج ١ ص ٤٦

(٤) ص ٤٥٤ ج ١ وما بعدها . (٦) مقفلة الطير لى لذلك .

الشاهنامة كلمات فهلوية ؛ يقول فى تفسير "بيوراسب" وهو لقب الضحاك ، أن بيور فى الحساب الفارسى معناه "ده هزار" (عشرة آلاف) باللغة الدرية (الفارسية) :

بجا پيور اژهلوانى شمار بود درزبان درى ده هزار

ويقول عن دجلة : إنها تسمى بالفهلوية أروند . فان كنت لا تعرف الفهلوية فسمها دجلة بالعربية .

اكر هلوانى ندانى زبان بتازى تو ارونندرا دجله خوان^(١)

وقال : إن بيت المقدس يسمى بالفهلوية ككه دژ هوخت انخ^(٢) .

ثم هو يقول فى المقدمة أن صاحبه الذى حرضه على نظم الشاهنامة قال له أنت فصيح وشاب ، وتشكل الپهلوانية :

كشاده زبان وجوانيت هست سخن كفتن پهلوانيت هست

وقد فسر مول وورز الجملة الأخيرة بأنه قدير على وصف أعمال الأبطال (پهلوان) . وليس لها على هذا دليل . ثم للفردوسى شعر رواه صاحب باب الاكباب يصرح فيه بأنه قرأ كثيرا من الفهلوية والعربية :

بسى رنج ديدم بسى كفته خواندم زكفتار تازى وازپهلوانى

"كم حملت نصبا، وكم قرأت من العربية والپهلوانية" .

وهنا تعرض للباحث مسألة أخرى :

الفردوسى يسمى الكتاب الذى نظم عنه الكتاب الفهلوى : يقول فى المقدمة على لسان صديقه الذى تقدم ذكره الآن : "قد كتبت الكتاب الفهلوى، وسأتيك به لملك لا تنام عنه" .
نبتسم من اين نامه پهلوى به پيش توآرم مكر نغوى^(٣)

و يقول فى أول قصة يژن وميژه أنه أرق ليلة فصاح بغلامه فهيا له مجلس الشراب ثم قال له :
"إن كنت لا تنام فأصغ الى حتى أقرأ عليك من الكتاب الفهلوى قصة لتنظمها" . وكان يقرأ وهو ينظم انخ^(٤) . فهل نظم الفردوسى من كتاب فهلوى ؟

(١) مول ج ١ ص ٩٤ (٢) = ص ٩٦ (٣) لباب ج ٢ ص ٣٣ (٤) مول ج ١ ص ٢٠

(٤) ص ٢٣٨ ج ١ الآية .

أظن الفردوسي، حين يصف الكتاب الذي نقل عنه بأنه فهلوى، لا يعنى إلا أنه كتاب الملوك القدماء والأبطال. وفي الهند، وإيران حتى اليوم يوصف كل ما يتعلق بأعمال الأبطال القدماء وأقوالهم بأنه فهلوى^(١). وقد تقدم أن أبا منصور بن عبد الرزاق أمر بترجمة الكتاب القديم من الفهلوية إلى الفارسية، وأن هذا الكتاب هو أصل الشاهنامه.

ثم الفردوسي له بيت يحتمل أنه يصف الشاهنامه بأنها كتاب فهلوى أيضا .
 زمن كشتدست فصاحت قوى بپرداختم دفتـر فهلوى^(٢)
 "قد قويت بي يد الفصاحة، وأنهيت الكتاب فهلوى .

ومهما يكن فالمصادر التي نظم عنها الفردوسي فارسية حديثة .
 وأما معرفة الشاعر بالعربية فتظهر من البيت المتقدم ومن بعض كلامه في مقدمة يوسف وزليخا . والظن بأدباء عصره أنهم كانوا يعرفون العربية قراءة على الأقل .

الفصل السادس - الشاهنامه

١ - عدد أبياتها :

يقول الفردوسي في فاتحة قصة شيرين ، في عهد كسرى پرويز، قيل آخر الكتاب : إن أبيات الكتاب تكون ستين ألفاً . وكذلك في الهجاء المنسوب إليه .

وهذا هو الذائع بين الفرس، وقد ذكره ابن الأثير في خاتمة المثل السائر . ويمكن أن يقال : إن الشاعر سوغ لنفسه أن يقول : " ٦٠ ألفاً " بعد أن جاوز في النظم ٥٠ ألفاً، تعظيماً لكتابيه . فالكتاب بين خمسين ألفاً وستين .

ونسخ الشاهنامه، وهي كثيرة جداً، تختلف في العدد اختلافاً كبيراً . ولا ريب أن بعض النسخ أدخل فيها قطع من قصص أخرى نظمت بعد الشاهنامه على مثالها وفي حوادث متصلة بمحادثها . وقد ألحق ببعض الطبقات أبيات ميزت من متن الكتاب إذ تبين للنقاد أنها ليست منه . وفي طبعة تبريزهـاء ١٧٠٠ بيت ميزت عن المتن لذلك .

(١) بروان ج ٢ ص ٧٩ (٢) فرهنگ شعری : فهلوى . (٣) ج ٢ ص ٢٣٨ ح - الآية .

وإذا نظرنا الى مقدمة طبعة تبريز، مثلا ، وهى تُعتبر إعادة طبعة مَكَن ، وجدنا المخطوطات التى صحح عليها تختلف عدد أبيات . وهذا تعداد ثمانية منها : ٥١٣٤٣ ، ٤٧٥٢٠ ، ٥٠٥٢٠ ، ٥٠٦٨٥ ، ٥٢١٣٥ ، ٤٦٩٨٢ ، ٥٥١٩٢ ، ٥١١٣٣ . وقد تكلم فلذلك عن ٤٠ نسخة مخطوطة أكبرها تحتوى ٦١٢٦٦ وهى فى المتحف البريطانى . وأكثرها يشتمل على ما بين ٤٨ ألفا الى ٥٢ ألفا . وأصغرها نسخة تحتوى ٣٩٨٥١

ولو أنى أنشر الأصل الفارسى لكان هنا مجال للنقد والمقارنة فسيح . وقد قارن أعداد الأبيات فى نسخ كثيرة ، واختلاف النسخ فى قصص معينة ، واختلاف الروايات فى الأبيات فلذلك . فليرجع إليه .^(١)

٢ - مكاتبتها عند الفرس وغيرهم :

وللكتاب عند الفرس مكانة عظيمة ؛ هو يحبل تاريخهم ، وأنشيد مجدهم ، وديوان لغتهم ، ينشدونه فى المحافل ، ويهيم به العالم والجاهل . وقد سماه ابن الأثير قرآن القوم كما سبق .

ويقول سيكس : وقد استقمت الى أبيات منها ينشدها بدوى غاضب لا يستطيع أن يقرأ ولا أن يكتب فعرفت كيف يبذل الفارسى روحه فى مثل هذه المواقف .

ولا ريب أن لموضوع الكتاب ، ولعصبية الفرس أثرا فى ولوع القوم به كما أن لجمال الشعر وحسن التصوير ، وروعة الأسلوب ، وجلجلة الوزن أثرا . ولست أجد المجال متسعا هنا للكلام عن شعر الشاهنامه . فإنا هى مقدمة لترجمة عربية مثورة لا يتجلى فيها روعة الشعر وتصوير الواقعات . وحسبى أن أقل نذيتين عن أستاذين كان كلاهما حجة فى الأدب الفارسى : فلذلك وراون . وسيرى القارئ أن براون كان أول من استطاع أن يحبر بسبب الشاهنامه :

يقول فلذلك : إن الفردوسى شاعر مطبوع يستولى على فكر القارئ ، ويحيى القصة التافهة بانطالق المثلين أمامنا ، بل كثيرا ما تضيغ الحركات فى جلال الأقوال . وهو يفصل الحادثات فيبين أحسن إبانة عن حادثة لم يكتب عنها فى الأصل الذى نظم عنه أكثر من أنها وقعت . ويبيع لنفسه أن يخلق حادثات صغيرة ليم الوصف . وهو يعرف كيف يحمي أبطاله ، بل يخرج أحيانا البطل فى صورة جديدة غير التى عرفته بها الروايات . وما أقدره على تبيان ما وراء أعمال الأبطال من أسباب ، وأفكار . والوصف النفسانى رائع جدا . ونفمة البطولة مسموعة فى الكتاب كله . وعظمة الزمان القديم ، وأهنته ، وفرحه وترحه ، وجلاله مصورة فى أسلوب مهيج ، حتى ليسمع الانسان صليل

(١) فلذلك ص ١٠٩ وما بعدها . (٢) ملخص من الحاشية الإيرانية ص ٨١ وما بعدها .

السيوف وصدى المآدب . هو لا يبلغ في التفصيل مبلغ هوميروس ولا يستطيع أن يجعل حادثة في كلمات قليلة مثله . ولكنه ، مع هذا ، يمضي قدما الى غايته حين يصف الوقائع وإن يكن في الخطب والرسائل مكثرا ككل فارسي .

مشاهد الحرب تستقبل القارئ في كل مكان . ولكن هناك ميادين الحب ، والعواطف الدقيقة ؛ هناك قصص عظيمة في الحب كقصّة زال ، وروذابه ، وبيزن ومنيزه ^(١) . وهي أجمل أقسام الكتاب . والشاعر في هذا ، بل في كتابه كله ، يملك القارئ ببساطة الوصف . وعاطفة الأمومة والأبوة والقرابة واضحة في الكتاب كذلك . ولكن يصحبها التعطش للدماء ثارا للأقارب ؛ قصص الانتقام لسيواخش ، مثلا ، تملأ صفحات من الكتاب كثيرة جدا . وهذا التعطش للتأريخ حتى نجد الرجل العاقل كودرز يشرب دم أطيب الأعداء نفسا : ييران الخ .

ويتجلى في الكتاب كذلك ندب حظوظ الانسان في هذا العالم الحائل ، والاعتبار بغير الزمان . اه
إعجاب نلده بالشاهنامة يشاركه فيه أدباء الشرق والغرب ، فيما أعلم ، إلا الأستاذ براون :

يقول : يجمع نقاد الشرق والغرب على الإعجاب بالشاهنامة . فانا أتتبع كثيرا أن أصارحهم أنى لم أستطع مشاركتهم إعجابهم . وعندى أن الشاهنامة لا يجوز أن توضع لحظة واحدة في مستوى المعلقات العربية ، ولا أن تقاس في جمالها وعاطفتها بما يتجلى في المنظومات الرائعة الفارسية — المنظومات الخلقية والفرازية والوجدانية . حتى أنه لانسوخ المجادلة في أمور الذوق ولا سيما في الأدب . وجائز أن يكون عجزى عن إعظام الكتاب قصورا في طبعي عن تقدير الشعر القصصى كله . ولكنى على ذلك أستطيع أن أقول : إنى أجد في الشاهنامة عيوباً معينة محققة ؛ اذا أغضينا عن طولها الذى اقتضاه موضوعها ، وعن الاطراد المل في الوزن الذى تشارك فيه الملاحم الأخرى ، فهناك تشبيهات مكررة مملّة : كل بطل فيها أسد مفترس ، أو تمساح ، أو فيل هائج . واذا كرمسرها فهو دخان أو قع أو ربح .

إن جمال الأسلوب الأدبي يضع بالترجمة . ولكن جمال المعاني ، وروعة الفكر يستطاع حفظهما . كما حفظت معاني الخيام في ترجمة فترجلد . ولكن الشاهنامة ، فظنى ، تمتنع على كل ترجمة معجبة . لأن جلبة ألفاظها ، وروعة وزنها اللذين لا يستطيع إنكارهما من استمع لها في محافل ايران تضيعان بالترجمة فتبقى المعانى التى ورامها عارية . أنا لا أزعم أنى ناظم جيد ، ولكنى نظمت كثيرا من ترجمة

الشعر العربي والفارسي في هذا الكتاب . وأحسب أن قليلا من قراء الانكليزية يضع ما ترجمته من الشاهنامه في مستوى ما ترجمته من المنظومات الأخرى . اهـ

يعترف الأستاذ براون في مواضع من كتابه أن ذوق أهل اللغة في تقدير آدابهم مقدم على أذواق غيرهم ، ويعترف بأن الفرس منذ نظمت الشاهنامه حتى اليوم لا يعدلون بالفردوسي شاعرا آخر . وأذكر أني كتبت العلامة محمد بن عبد الوهاب القزويني في باريس سنة ١٩٢٨م عن رأي براون في الشاهنامه فأنكره أشد الانكار .

وأما أنا فعهدي بالأدب الفارسي أحدث من أن أدلي برأي قاطع في موضوع كهذا . ولكن على ذلك أستطيع أن أقول : إنني أجد في الشاهنامه ما يصتق قول نلدكه وبعض قول براون؛ فالشاعر فياض يحمل القارئ من معمة الى أخرى معجبا مرثا . وهو يطيل ويسهب حين يحسب القارئ ان ليس للقول مجال . ولكن العيوب المعينة التي ذكرها براون لا مراء فيها . وأما حكمه على الكتاب كله فبغدير بالذ .

٣ - موضوع الشاهنامه :

الشاهنامه مجمع معظم ماوعى الفرس من أساطيرهم وتاريخهم من أقدم عهودهم حتى الفتح الاسلامي . وهي مرتبة ترتيبا تاريخيا : تذكر الأسرة فتبدأ بأول ملوكها تيين تاريخه ، وما كان في عهده من الحوادث ثم تذكر الملك الثاني وهلم جرا . وبهذا تحالف الملاحم الأخرى ، كما تقدم . ويستمر القصص فيها ٣٨٧٤ سنة يحكم فيها أربع دول :

(١) الدول البيشدادية . وملوكها ١٠ ومدتهم ٢٤٤١؛ وهذا هو العهد الخرافي الخالص ، تختلط فيها أساطير الهند وإيران . ويتيسر فيها الآلهة بالملوك . وفي آثارهم ذكرى الحضارة الفارسية الأولى . وكانت دار ملكهم طبرستان واصطخر . ويجد القارئ تفصيل هذا في التعليق على فصولهم إنشاء الكتاب^(١) .

(٢) الدولة الكيانية . وملوكها ١٠ مدتهم ٧٣٢ سنة . وهي في ملوكها ووقائعها موصولة بالدولة التي قبلها ، الى عهد لهراسپ . ومع لهراسپ تنقطع الصلة بالأساطير الهندية ويبدأ عهد أظنه مجالا للبحث التاريخي ؛ نجد فيه كُشتاسب وزردشت ثم عدة ملوك يتهنون بدارا ووقائعهم مع اسكندر . ومن المؤلفين القدماء والمحدثين من يرى في بعض الملوك الكيانيين ملوكا من الدولة الأكينية التي حكمت إيران من سنة ٥٥٠ ق م . حين استقل كورش بالملك الى فتح اسكندر المقدوني .

(١) انظر الحاشية ص ١٣ - ٣٧ و ٣١ - ٥٠ و ٤١ - ٥٨ و ٧٩ - ٨٥ و ٩١ - ٩٩

فالبيروني مثلا يجعل كورش هو كيخسرو، وبهمن هو أرتكزكس (اخشويرش) ويخلط بين أسماء الكيانيين والأكيينيين تارة، وبين الكيانيين وملوك بابل تارة أخرى^(١).

وفي مروج الذهب وصيغ الأعشى أن كورش هو بهمن أو والى العراق من قبل بهمن^(٢). وقديما ظن أن قبر دارا في سوسة هو قبر كيخسرو.

والسيرولم جونس في القرن الثامن عشر الميلادي، وتبعه آخرون، كان يرى، كما رأى البيروني، أن كورش هو كيخسرو، ويحاول التوحيد بين الكيانيين والأكيينيين^(٣). ومؤرخو الفرس والترك في هذا العصر يسمون كورش كيخسرو، وقبيل كيكلاس، الخ.

وأرى أن هناك شبا بين أساطير الكيانيين وتاريخ الأكيينيين (هخامنشي)، وليس يعاب على باحث أن يحاول تجميع المسألة. ولكن ليس هذا مكانها. وقد بينت بعض هذا في التعليق على فصول الكيانيين في الكتاب^(٤).

وآخر هذه الدولة اسكندر المقدوني الذي اغتصبته الأساطير فزعمته ابن داراب، وأخا دارا الأخير، وجعلت أمه بنت فيلفوس (فيليب) ملك الروم.

(٣) الدولة الأشكانية. ومقتهم ٢٠٠ سنة، ولا يذكر الفردوسي منهم إلا أسماء قليلة ولا تفي بهم الأساطير الفارسية بل تعظم أجناب لم يؤثروا أثرا في آداب الفرس. وغير الشاهنامة من كتب التاريخ الفارسي يعد منهم زهاء ٣٠ ملكا. وهذه دولة تاريخية لم يكشف التاريخ بعد عن أصلها أكانت إيرانية أم تورانية. وآثارهم وصورهم تدل على اصطباغ حضارتهم بالصيغة اليونانية^(٥).

(٤) الدولة الساسانية. ومقتها في الشاهنامة ٥٠١ سنة، وعدد ملوكها ٢٩. وهي دولة موصولة بالنسب والمآثر بالدولة الكيانية، وتعد بحية المجد الفارسي والدين الزردشتي بعد كارثة اسكندر.

وهي دولة تاريخية. ونسق ملوكها في الشاهنامة، وأعمالهم تاريخية إلا قليلا من القصص. ولكن الشاهنامة وغيرها من الكتب الفارسية والعربية تخطئ في مقتهم، وقد بين السعودي سبب الخطأ. وبيان هذا في التعليقات على فصول الساسانيين، فقد حاولت أن أقيس تاريخهم في الشاهنامة بما يعرف من تاريخهم عند اليونان والرومان والعرب، جهد الطاقة والوقت.

(١) الآثار الباقية ص ١١١ و ٨٨ (٢) مروج الذهب ص ١٤٣ ج ١ (٣) براون ج ١ ص ٥٥

(٤) انظر الحاشية ص ٩٩ - ١٠٩ و ١٩٩ - ٢٠٤ و ٣٠٨ - ٣٠٩ و ٣٢٣ - ٣٢٤ و ٣٦٩ و ٣٧٥ - ٣٨٠

(٥) انظر الحاشية ص ٣٣ - ٣٧

يتخلل أخبار هؤلاء الملوك قصص كثيرة ممتعة بعضها متصل بنسق الحوادث إذا فصل منها اختل سياق القصص، وبعضها مستقل لا يحتاج إليه في ربط الحادثات بعضها ببعض . وإلى هذا خطب الملوك والقواد، ووصاياهم . والهردوسي لا يمل الاطالة فيها . ثم الشاعر يظهر في أثناء الكتاب، ولا سيما في أوائل الفصول وأواخرها، معجبا بشعره، أو ذا كرا الراوى الذى روى القصة، أو شاكيا النصب والشيوخوخة، أو مادحا السلطان محمودا ، أو واعظا مذكرا بغير الزمان، وتقلب الحظوظ . وهو لا يكاد يترك فرصة للاعتبار والوعظ .

٤ - أشخاص الشاهنامه :

(١) الملوك لهم المكانة الأولى في تصريف الأمور، ولهم الأمر النافذ والطاعة المخلصة . وهم يميزون حتى في خلفتهم، فالملوك الكيانيون كان في أجسامهم شامة يعرفون بها . وبها عرف فرود بن سياوخش حينما مر الجيش الايراني بمغقله في طريقة الى حرب التورانيين، وعرف كيخسرو حينما ذهب كيويقتش عنه في أرجاء توران ليرجع به الى وطنه ^(١) .

ويصحب الملوك المجد الآلى (فرايزدى) أو شعاع السعادة الآلهية، كما يسميه التعالبي في الغرر . ولما فر أردشير من قصر أردوان آخر الملوك الأشكانيين، ليقيم الدولة الساسانية تبعه هذا المجد في صورة أيل ^(٢) .

وقد يخبر الملك بالغيث كما أخبر منوچهر ابنه نوندر باغارة التورانيين ، وأخبر سياوخش أمه بأنه سيقتل . وقد يوحى الى الملك كما نزل الملك سُروش على كيومرث، وطى كيخسرو . وقد ارتفع كيخسرو الى السماء حيا .

وإذا استقام الملك استقامت الأمور، ونعمت الرعية، وأخضبت الأرض، ” ومهما كان الملك ظالما كان محروما من الخيرات، مدفوعا من الحسنات . ومتى كان ظالما انقطع التناسل بين الوحوش والطيور، وقلت الألبان في الأخلاف والضروع، ونشت المياه في المنابع والعيون، ولم تسمح نواج المسك بالأرج، ولا منمرات الأشجار بالقمَر ^(٣) . ” وقد نزل بهرام كور متكررا في بيت فلاح، وعزم أن يزيد في الخراج فقامت امرأة الفلاح الى بقرة لتعطها وتبني للضيف طعاما فلم تجد لبنا فأخبرت زوجها أن قلب الملك تغير وقالت : ” أما تعلم أن الملك إذا صار ظالما جفت الألبان في الضروع، ولم يارج المسك في النواج، وشاع الزنا والربا في الخلق، وصارت

(١) ص ١٩٢، ج ٢٠٦، الآتية . (٢) ص ٤١، ج ٢ الآتية . (٣) ص ١٦٥، ج ١ الآتية .

القلوب قاسية كالحجر الصلد، وعاتت الذئاب، وضربت بالإنس، وتخوف ذوو العقول من ذوى النواية والجهل. ولولا حدث "حدث لما تضرلبن هذه البقرة الحلوبة". فلما سمع بهرام ذلك ندب على ما أضمر وتاب عما عزم عليه فماد اللبن الى ضرع البقرة^(١).

ولكن الملوك على علو قدرهم ليسوا معصومين؛ فقد ضل جمشيد، وكان طيش نودر سببا فى مزيمة الجيش الإيراني واستيلاء التورانيين على إيران. وكان كيكالوس زقا أحق، عرض نفسه وملكه للملكة مرارا^(٢). والملوك ليسوا أعظم من أن يوبخوا على مثل هذه الأفعال. كما ويخ كودرز كيكالوس حينما حاول أن يطير الى السماء فسقط، وحينما أغضب رستم^(٣). وقد سخط الناس على نودر فأرادوا أن يخلوه وعرضوا الملكة على سام. ويخ سام كيخسرو حينما زهد واحتجب عن الناس، وتمنى الخلاص من الدنيا^(٤).

وليس عظيما أن يقوم الملك للسلام على البطل أو القائد أو يخرج لاستقباله كما خرج كيخسرو لاستقبال رستم حينما خلص بيزن من سجن أفراسياب^(٥). وكثيرا ماينادم الملك أمراءه وقواده ويعنفى بهم. وقد نادى الملك منوجه الشاب زال بن سام، ومازحه، وأمر الفرسان أن يركبوا احتفاء به^(٦)، فالملوك معظمون مقتسمون، ولكنهم ليسوا بمعزل من الناس، ولا بنجوة من الحادثات.

(ب) الأبطال :

للأبطال المكانة الثانية فى السلم، والمكانة الأولى فى الحرب. وبعضهم من نسل الملوك مثل طوس ابن نودر، واسفنديار بن كشتاسب، وبعضهم من أسراخرى. وأعظم الأبطال أسرتا قارن وسام. عرفت الأسرة الأولى منذ أفريدون وبقيت تنشق القواد والمجاريين والأبطال حتى آخر عهد كيخسرو. وشيخهم كودرز، ومن أبنائه كيو، وبيزن، وبهرام. وعرفت الأسرة الثانية منذ أفريدون أيضا، ويق لأبطالها الثلاثة : سام وزال ورستم الذى هو بطل أبطال الشاهنامه، المكانة الأولى بين أبطال إيران الى آخر عهد كيخسرو. ثم تغيرت الأحوال ويق زال ورستم فى معزل بزايلستان موطنهما حتى كانت الفتنة بين رستم وكشتاسب، وقتل رستم أسفنديار بطل الأبطال زمن الكيانيين من بعد كيخسرو. ثم اغتيل رستم بحيلة أخيه وصهره. واسفنديار هو بطل دين زردشت وأعظم بطل فى عصره^(٧). وأعظم أبطال الساسانيين الملك بهرام كور والقائد بهرام جوين.

(١) ص ٨٧ ج ٢ الآتية. (٢) ص ١٢٨ و ١٢٩ ج ١ الآتية. (٣) ص ١٢٩ و ١٣٠ ج ١ الآتية.

(٤) ص ١٠٢ و ١٠٣ ج ٢ الآتية. (٥) ص ٢٤٩. (٦) ص ٧٢. (٧) انظر ص ٥٢ - ٥٣ و ٢٠٣ و ٢٠٤ ج ١ الآتية.

وكان في عهد الكينيين جماعة عرفوا باسم "الأبطال السبعة" . وكانهم ذكرى الأسر السبعة التي كان لها الشرف في دولة الأكينيين . والأبطال الذين يذكرون كثيرا في عهد كيخسرو، وهو آخر عهد البطولة، اثنا عشر^(١) .

ولا ريب أن بين أبطال الكينيين جماعة من أمراء زمن الأشكانيين ردتهم الأساطير إلى الزمن القديم، كما أرجعت حوادث متأخرة إلى زمن متقدم . فاسماء كودرز، وكيو، وبيرون، وهورام معروفة في العهد الأشكاني، على اختلاف في الصيغ : كودرز يسمى كوترزيس، وكيو يسمى كيو بتراس، كما تقول اسم مهرداديس الأشكاني إلى ميلاد أحد أبطال الكينيين، واسم فرائس إلى فرهاد^(٢) .

وكما نجد أيام الپشداديين والكينيين والساسانيين قارن وأمرته، نجد في تاريخ الأشكانيين أسرة نابهة جدا تحمل هذا الاسم .

(ج) الموازنة :

والموازنة لم شأن عظيم في عهد الساسانيين . ولكن الشاهنامه تتوسع جدا في معنى «موبذ»؛ فهو مستشار الملوك والأمراء، ومعبّر الأحلام؛^(٣) عبر رؤيا أفراسياب، وغيره . وهو العالم بالتاريخ والأنساب الذي أخبر زال أن من نسل أفريدون رجلا في جبال البرز اسمه كيقباد . بل نجد الموبذ طيبيا يشق خاصرة أم رستم ليخرج الجنين . ونجدته يتولى تجهيز الملك يزدجرد الأثيم حين مات فيشق صدره وخاصرته وبطنه . ونجد الموبذ يفرغ النفط على الحطب لإشعال النار في قضية سیاوخش^(٤) . وقد أرسل أربعة موازنة إلى الحيرة ليعلموا بهرام ككور الكتابة والتاريخ والفروسية والصيد واللعب بالكرة^(٥) .

٥ - القضاء، والقدر، والسحر، والأحلام، والتنجيم .

حوادث الشاهنامه تسير في تصرف قضاء قاهر لا حيلة فيه . والفردوسي يعرب عن هذا في مواضع كثيرة . فالفلك مسيطر جبار لا مناص من حكمه :

أزین برشده تیزچنک آردها بمردی ودانش که یابد رها ؟
بیاشده می بود فی بی کمان نجوید آزو مرد دانا زمان

"من يستطيع النجاة بالشجاعة والمعرفة من هذا التين المحقق، حديد المخالب؟ إن المقدركا تن لا ريب . لا يحاول الرجل العاقل تأخير^(٦)ه .

(١) = ص ٢٠٤ و ٢٠١ (٢) رزج ٣، مقدمة . (٣) ص ١٦٤ ج ١ الآتية . (٤) = ص ٧٦ و ٩٧

(٥) ص ٧٩ ج ١ و ١٧١ ج ١ الآتية . (٦) ص ٧٥ ج ٢ الآتية . (٧) مولج ٢ ص ٥٩٠ .

وكان أفراسياب يعلم أنه سيولد بينه وبين ملك إيران ولد يقتله فأراد ألا يزوج ابنته من سیاوخش بن كيكائوس . ثم كان الزواج وولد كيخسرو فهم يقتله فصرفه عنه إيران حتى نجح المقدور فقتل أفراسياب بيد كيخسرو بعد خطوط عظيمة . وكذلك كان سیاوخش يعلم أن أفراسياب سيقتله ، وپرويز يعلم أن ابنه قباذ سيقتله ، وأن زوال ملك الساسانيين سيكون على يد يزدجرد حفيده . فحاولوا محاولات خائبة ثم نفذ عليهم القضاء ^(١) . وانظر ما تكهن به رسم قائد الفرس في القادسية .

والأحلام والتنجيم تكشف من أسرار القضاء المقبل وعمّا خفى من الواقعات الراهنة . فسام عرف بالرؤيا أن ابنه زالاح على بعض الجبال ، وأفراسياب رأى أن كيخسرو هزمه وضربه ضربة قاتلة ، وكدورز رأى أن كيخسرو في بلاد توران فأرسل جيوا فاحضره ، وطوس يعرف بالرؤيا قنوم جيش إيران . وأمثال هذا كثير ^(٢) .

وقل أن يقضى في أمر دون استنباء النجوم عن عاقبته ؛ سام يسأل المنجمين عن عاقبة زواج ابنه بنت مهرباب ملك كابل ، وكذلك يسأله الملك منوچهر ، وكيكائوس حين خفى عليه أمر ابنه سیاوخش وزوجه سودابه سأل المنجمين ، وكدورز ينتظر للقتال ساعة سعد في حرب يازده رخ . وكيخسرو وأفراسياب في موقعة آمل يعدان للحرب ثم ينتظران أبناء النجوم ، وكدشاسب يتعزف طالع ابنه اسفنديار . ويقصر الروم يسأل المنجمين عن إنجاده پرويز حين استعان به ^(٣) .

وأما السحرفى قصة هفتخوان الأولى والثانية حديث رسم واسفنديار مع الساحرتين وبيان ما استطيعه السحرة من العجائب . وكان في بيت كيكائوس ساحرة وأطأت سودابه على الكيد لسياوخش . والتورانيون يهزمون الإيرانيين بالسحر ^(٤) .

٦ - الأمم في الشاهنامه :

الأمم التي تذكر كثيرا في الشاهنامه ، عدا الإيرانيين ، هم التورانيون ، والروم والهند والصين والعرب . وهى الأمم المجاورة إيران والقرية منها .

وملوك التورانيين والروم أقارب ملوك إيران ؛ كلهم من ذرية أفريدون ؛ ملوك إيران من نسل ابرج ، وملوك توران من نسل تور ، وملوك الروم من نسل سلم . هذا الى صهر بينهم في عصور مختلفة ، كترج سیاوخش بن كيكائوس فرنكيس بنت أفراسياب ، في الزمن القديم ، وترج

(١) ص ١٧٥ و ١٨٠ ج ٢ ، ص ٢٥٣ ج ٢ - الآتية . (٢) ص ٥٥ و ١٦٣ و ١٩١ و ٢١٩ ج ١

(٣) ص ٦٣ و ٧٠ و ١٥٩ و ٢٧٦ و ٣٠٥ (٤) ص ٢٠٩ ج ٢ الآتية . (٥) ص ١١٢ و ٢٤٥ و ١٥٩ ج ١

أنوشروان بنت الخاقان في العهد الساساني . وكتروج كشتاسب بن هراسپ كايون بنت ملك الروم في عصر الكينيين ، وتزوج كسرى پرويز مريم بنت قيصر في العهد الساساني .
وأما الهند فليسوا أقرباء ولكنهم ليسوا أعداء . وقد كانت مصاهرة بين بهرام كور الساساني وملك الهند .

والصينيون يذكرون في التجارة . والوقائع بينهم وبين الإيرانيين نادرة ، ولكنهم ليسون بالتورانيين كثيرا كما يأتي . وأما العرب فأجانب أعداء يمثلهم الضحاك أحد الأرواح الشريرة الثلاثة التي دمرت إيران . ولكن لهم ، مع هذا ، صلات صهر ومودة . وهذا يتجلى ، في العهد القديم ، في تزوج ثلاثة أبناء أفريدون بثلاث بنات الملك اليمن . زواج يجعل الدم العربي في ذرية ايرج وسلم وتور أي في ملوك إيران وتوران والروم . وكذلك تزوج زال بن سام من بنت مهرباب ملك كابل العربي الأصل جعل العرب أحوال رستم بطل الأبطال . ثم في العهد الساساني نجد المودة بين الإيرانيين وملوك الحيرة .
وفي الصفحات الآتية تفصيل هذا بعض التفصيل :

(١) الإيرانيون :

الايروانيون لهم المكانة الأولى بين الأمم ، وهم أحسن دينا ، وأعظم حضارة ، وأشجع أبطالاً ؛ بطلهم رستم لا ثاني له بين الأمم ، وكبير كودرز غلب وحده جيشا تورانيا وخلص كيمسرو وأمه من توران . وكشتاسب في بلاد الروم قتل التين والنسب اللذين ملأ بلاد الروم فزعا . وبهرام كور في الهند قتل التين ، وصرع أكبر المصارعين . وهلم جرا .

وكذلك علماء إيران يحملون المعصلات التي يسألهم عنها الروم والهند ويعجزون هؤلاء العلماء اذا سألهم . كما كان بين رسول الروم وعلماء إيران في حضرة بهرام كور ، وبين رسول الروم أيضا وبزرجمهر في حضرة أنوشروان . وقد فهم بزرجمهر الشرط بقطبته ، ووضع الترد فعجز الهند عن فهمه . ولما ذهب رسل كسرى پرويز الى القسطنطينية ، وأراهم الروم بعض التماثيل العجيبة التي ينخل الى الرأي أنها ذات حياة عرف كنهها خراد بن برزين وقال : إنها كصناعة الهند ، ثم كلم قيصر عن دين الهند ، وفضل دين الفرس ، وعاب دين المسيح ، وظهر بعلمه على قيصر .

والخلاصة أن الشاهنامة تضع الإيرانيين فوق الأمم الأخرى . ولكنها تتصف غير الإيرانيين في مواضع كثيرة . فهي تعترف بانهمزام الإيرانيين أمام التورانيين في مواقع ، وأمام العرب في هاماوران (حمير) .

(١) ص ٩٦ و ١٠٨ ج ٢ ، الآتية . (٢) ص ٢١١ ج ٢ الآتية .

ويرى القارئ الفرق بين العصور القديمة التي تطلب في قصصها الخرافات التي تختبرها خيالات الأمة إجابة لكبرياتها وزهوها ، وبين العصر الساساني الذي تطلب فيه الحقائق التاريخية . ففي العصر الثاني نجد تاريخاً يحدث بما للإيرانيين وما عليهم . وحديث الإيرانيين قصص الشاهنامه كلها فلا يمكن ولا يفيد التوسع فيه هنا .

(ب) التورانيون :

جلاد الإيرانيين والتورانيين أعظم وقائع الشاهنامه ، وأطولها ، ومظهر البطولة فيها . لذلك أرى أن أفضل الكلام هنا قليلا ، وأن أقدم كلمة تين بعض ما يعرفه التاريخ من صلات الأمتين :

أم الشمال الممجبة كانت ، منذ أقدم الأزمنة ، وبالا على إقليم إيران المتحضر ، وكان دفعهم من أعظم ما يعني به ملوك إيران في العصور كلها .

أول غارة يسجلها التاريخ غارة جماعة يسميهم هوميروهردوت الكيريين ، وتسميهم التوراة كويمر ، والآثار الأسورية كيمورا . كانوا ، فيما يظهر ، نازلين على نهر الدنستر وبحر أزوف فاضطرتهم إلى الرحيل قبائل أخرى من جنسهم يسميهم الآشوريون "مندا" . فاجتازوا ممر دربند ، ونزلوا شمالي نهر أرس . ثم حاولوا الاغارة على آشور سنة ٦٧٧ ق . م . فردهم الآشوريون فتحوّلوا إلى آسيا الصغرى .

ثم جاء على آثارهم جماعة أخرى تسمى سكا فاجتازوا نهر أرس وجاسوا أرض الميد واتخذوا دار ملكهم إكبتانا (همذان) . ويظهر أنهم هم الذين عرفوا في التاريخ باسم الدولة الميدية . وهي الدولة التي ثار عليها كورش أمير عيلام فأسقطها وأقام الدولة الإيرانية الأولى .

ويقال أن كورش مدّ فتوحه إلى سيحون ، وأقام على حدود بلاده قلاعاً لحمايتها من غارات أم الشمال ويروى مؤرخو اليونان أنه هلك في حرب الاسكيت . وفي هردوت قصة كورش وتومريس ملكة المسكيتا . ثم خلفه دارا فاجتاز الدانوب سنة ٥١٣ ق . م ليقتص من الاسكيت بغاراتهم .^(٢)

ثم قامت دولة الأشكانيين في القرن الثالث ق . م . وهم تورانيون ، فيما يظن . وسيطروا على إيران إلى القرن الثالث الميلادي حين قامت الدولة الساسانية . وقد سالت عليهم هجمات إخوانهم التورانيين من الشمال أيضا . وكان نشاط التورانيين عظيما في القرن الثاني ق . م .

وكانت حدود المملكة الأشكانية كلها من هندكوش الى بحر قزوين مجال غاراتهم . وقد قتل في حربهم ملكان متتابعان من الأشكانيين . حتى هزمهم مثر داتير الثاني فيموا الشرق ، واستقروا شرق إيران في الأرض التي سميت منذ ذلك الزمن باسم إحدى قبائلهم "سكستان" أى أرض سكا (بجستان أو سيستان) حوالى سنة ١٠٠ ق . م . ثم انتشروا في شمال الهند الغربى .

وكان الألان أو اللان على نهر قلجا في القرن الأول الميلادى فدفعهم الهون فساروا الى ميديا وأرمينية ، ونزل بعضهم في القوقاز . وكانت لهم وقائع في هذه الجهات في القرن الثانى ^(١) .

والهون الذين دفعوا اللان أمامهم كانوا مدفوعين أمام قبيل آخر . وقد نزلت جماعة منهم في واحات سمرقند والسغد ، وتحصروا على مر الزمان . وهم الذين سموا الهون البيض ؛ وقد حاربهم الساسانيون وسموهم الهياطلة . وبهذا الاسم يعرفون في الكتب العربية ^(٢) .

وفي منتصف القرن السادس الميلادى عرف اسم الترك (نوكيو) في التاريخ وامتد سلطانهم على أواسط آسيا ، وغلوا الهياطلة وغيرهم من الأمم التورانية . وقد انقسموا الى شرقيين وغربيين . وكان للغربيين صلات بالصين وإيران والروم . وكانوا وسطاء لنقل التجارة والحضارة والدين بين الأمم التي تجاورهم . وحروبهم مع أنو شروان معروفة ^(٣) .

وفي العصر الاسلامى ، وليس هذا من موضوع الكتاب ، قامت منهم الدولة الغزنوية التي قدمت اليها الشاهنامه ، ودولة السلاجقة . ثم دالتا ورجعت إيران تقاسمى غارات الترك في الشمال ولا سيما الأذربك ، والترك العثمانيون في الغرب لم يقصروا في الاحتفاظ ببيراث أجدادهم من عداوة الابرانيين .

هذه الوقائع التي سجلها التاريخ ، كانت لا ريب ، أصل ما قصه الشاهنامه من التناحر الطويل بين إيران وتوران .

نزاع إيران وتوران يتخلل عصرين من تاريخ الشاهنامه ينقطع بينهما ذكر التورانيين زهاء ثمانية قرون ونصف يدخل فيها الفترة الطويلة بين غارة اسكندر وقيام الدولة الساسانية . وهى فترة لا تتال من الشاهنامه عناية ما ، اذ كانت فترة صفار واضمحلال .

العصر الأول من عصرى النزاع يمتد من أواخر عهد أفريدون سادس الملوك الپيشدادية الى عهد كُشتاسب خامس الملوك الكيانية . وذلك قراب ثمانمائة عام . وفيه من الملوك الپيشدادية

(١) ودرج ١ ص ١٩ (٢) ص ١٤١ ج ٢ الآتية (٣) ص ١٣٩ و ١٤٠ ج ٢

أفريدون ومنوچهر وزقون طهاسب ، ومن الكيانية كيقباز وكيكالوس وكبخسرو ولهراسب وكشتاسب . وهذا العصر طوران : طور التار وهو أكثرهما وقائع وأطولها مدّة ، وطور الحرب الدينية وهو قصير المدة لا يعدو عهد كشتاسب . وملوك توران في الطور الأول پشنك وابنه أفراسياب وفي الطور الثاني أرجاسب .

وبطل الإيرانيين في الطور الأول سام بن نریمان ثم ابنه زال ثم حفيده رستم . وبطل التورانيين أفراسياب . وأعظم قواد إيران طوس وكودرز وأبناؤه وقارن . وأعظم قواد توران پیران وبارمان وهومان .

وبطل الإيرانيين في الطور الثاني اسفندیار بن الملك كشتاسب .

وأما العصر الثاني فيتخلل ما بين بهرام جور من الساسانيين الى آخر هذه الدولة . ومدته تقارب مائة وخمسين سنة . ويذكر فيه من ملوك إيران بهرام جور وحفيده هرمز وكسرى أنوشروان وابنه هرمز . ويذكر ملوك الترك باسم الخاقان؛ لا يذكر باسمه إلا ساه شاه وابنه برمودة . وليس في هذا العصر بطولة ظاهرة إلا أن يكون بهرام جور بين قائد الفرس أيام هرمز بن أنوشروان . وتفصيل هذا فيما يأتي :

العصر الأول — الطور الأول :

أفريدون الذي هزم الضحاک وأسره فأراح الناس منه وتمكن في الأرض خمسمائة عام كان له أبناء ثلاثة : سلم وتور وإيرج . وقد قسم الأرض بينهم بفعل سلم ، وهو الأكبر ، أرض الروم والمغرب وما بينهما . وتور بلاد الصين والترك وما يضاف إليهما . ولا إيرج ، وهو الأصغر ، ممالك العراق مع أرض بابل الى آخر الهند وجعله ولي عهده .

توجه سلم وطور الى مملكتيهما ثم أخذت سلما الغيرة والعزة فكتب الى تور أن أفريدون ظلما وزحزحنا الى الأطراف ، واختص إيرج بولاية العهد ، وأنى أجمع الى كبر السن خلا لا تجملني أجدر بالملك . فارتد تور أن انتهى عنه فانت أحق به وأهله . ثم تواعدا مكانا فتقابلتا وبث كل ما في نفسه . ثم أرسلوا الى أفريدون أيهما يعلمانه رأيهما في قسمته ، ويذكر أن ما يطلبان لأنفسهما . فاحتاج الملك ولكن إيرج استأذنه أن يسير الى أخويه ليرضيهما ويتخلى لهما عن ولاية العهد ثم سار إليهما فلقياه محتملين ، ورجعا به الى مضاربهما فقام إيرج يعتز ويسترضي حتى استل الضغينة من أخويه . ولكن الناس أعجبوا بإيرج إعجابا وتحذثوا أنه أجدر بما رشحه له أبوه فتارت حفيلة سلم

وأتم مع تور على قتل إيرج. فذهبوا الى سرادقه وتحذنا عن ظلم أبيهما، وتنادى تور في الطعن على أبيه، وإيرج يتلطف فلا يزيد إلا غضبا حتى أخذ كرسيه كان يجلس عليه، ورمى به إيرج فشجه ثم تقدم فشق صدره بخنجره. فكان هذا، كدم هابيل، أول دم بين أبناء أفريدون. وكم سالت من بعد بينهم دماء.

بلغ أفريدون نبأ إيرج فذهب به الحزن كل مذهب حتى كف بصره ولبت يرتقب أن ينتقم لابنه المظلوم. وقد ترك إيرج أمة حبلى ولدت من بعد بتا. فلما كبرت زوجها جثها أفريدون من ابن أخيه بشجع فكان بينهما ابن سماه منوچهر، ورباه حتى شب فأعد له جيشا لينتقم من سلم وتور. ويبلغهما الخبر فيرسلان الى أبيهما يستغفران. ويصر هو على الانتقام. ثم يسير منوچهر بجيشه فيقتل سلما وتورا، ويرجع فيتخلل له جثته عن عرش إيران.

مات منوچهر بعد أن حكم مائة وعشرين سنة وخلفه ابنه نوذر فاختلفت أمور إيران وطمع فيها بشنك ملك الترك بجمع ملأه وقال: هذا حين نتقم لتور. فاذا جاء الربيع فدونخوا بجيكم دهستان وجرمان وسيروا الى أمل فان في هذه البلاد قتل تور.

يزحف أفراسياب بجيشه وقت الربيع، وزال بطل إيران في زابلستان مشغول بموت أبيه، فيوجه أفراسياب جيشا الى زابلستان ويقصد هو دهستان في أربعمائة ألف. وتقع الوقائع فيهمز الایرانیون ويرسل الملك نوذر حُرْمه وذخائره الى فارس في خفارة ولديه طوس وكستم فيبعث أفراسياب ورامهم فيضطر قارن قائد إيران أن يترك الجيش ويتعقب التورانيين الذين يتعقبون ابني الملك ومن معهما. وتلدور الدائرة على جيش إيران ويأسر أفراسياب نوذر الملك، ولكن يتاح الظفر للایرانيين على جيشي أفراسياب في زابلستان وطريق فارس فيغضب أفراسياب ويقتل الملك الأسير. ثم يسير الأسارى الى مدينة سارى مع أخيه اغريث، ويقصد هو الرى فيتبوأ عرش إيران جينا. ويقتل نوذر يزيد في حساب الثأرين الأمتين ملك آخر، وتستحكم العداوة التي توقد نار الحرب من حين الى حين.

ثم يزيد دم آخر حين تصل القصة الرحم بين بنى إيرج وبنى تور، بتروچ سیاوخش بن كيكاس من بنت أفراسياب، لتقطعها حين يقتل أفراسياب سیاوخش في توران. ويؤذن هذا بأشد أطوار التناحر بين الأمتين في عهد الملك كيخسرو بن سیاوخش وابن بنت أفراسياب. تكون الوقائع مجالا حتى تنتهى بموقعة "يازده رخ" التي قتل فيها القائد التوراني العظيم ييران، ومعظم أبطاله. ثم يتولى

الحرب كي خسرو نفسه ويهزم جده مرة بعد أخرى ثم يتعقبه سائرا الى ختن ثم بلاد التيز ومكران . ثم يركب بحرا تقطعه السفن في ستة أشهر ثم يخلص الى البر فاذا قوم لغتهم تقارب لغة مكران ونظامهم كنظام الصين ، ويسير مائة فرسخ الى قلعة كـكـ . وكان أفراسياب قد هرب حين بلغه أن كي خسرو قد صبر ببحر كيكاك . رجع الملك لم يظفر بطلبته فعبر البحر في سبعة أشهر وسار الى مكران فالصين فسياوخش كـكـد بغنة كـكـ حيث أقام سنة ثم ولّى كستهم من بكثار الى حدود الصين ، وأمره بالحد في طلب أفراسياب . ثم قفل الى ايران مارا على السفد فبخارى فبلغ حيث رتب جيشا وترك قائدا ثم واصل السير الى الطالقان فروا اليوم فينسابور فالري فبغداد . لم يرض كي خسرو أن يقفل غير ظافر بأفراسياب . وقد فعل كل ما يستطيع فلم يلحقه ، فلم يبق إلا الالتجاء الى الله . وكذلك سار الملك وجده كيكاكوس الى بيت نار في آذر بيجان اسمه آذر كـكـشب ضارعين الى الله أن يظفرهما بعدوهما . وبينما هما هنالك سمع بعض الناسك صوت رجل في غار يندب حظه ويكي على سالف بمجده فعرف أنه أفراسياب طلبة الملك . فيمسكه ويأتي به الى الملك فيقتله غير سامع لضراسته ولا مبق على رحمه . وبهذا ينتهى ذلك الطور من الجلال الطويل الذى يقترن في كل وقعاته بذكر أفراسياب .

الطور الثانى :

خلف كي خسرو لهراسب ثم قنسك وترك الملك لابنه كشتاسب . وفى عهد كشتاسب هذا يظهر زردشت فيعود التناحر بين ايران وتوران ولكن باسم الدين . والحرب فى هذا الطور بين كشتاسب وأرجاسب ملك الترك المقيم بمدينة روثين دژ . وهى القصة التى بدأ نظمها الدقيق الشاعر ونظم منها ألف بيت ثم أتمها الفردوسى وأدخلها فى الشاهنامه . ويؤخذ من القصة أن الأيرانيين غلبوا بعد ما رأينا من ظفرهم . فان كشتاسب يقول لزردشت إنه لا يحسن فى ديننا أن نذل ملك الترك وتؤذى الجزية . فيقابل فعلمهم ملك الصين (أرجاسب) بتسفيه رأيهم فى ترك دينهم القديم ويدعوهم الى بئذ الدين الجديد مهتدا بالحرب . ثم يتحاربون عند بلخ ويهزم التورانيون بعد أن قتل من الأيرانيين ثلاثون ألفا منهم ثلاث وستون ومائة وألف من الكبراء ، وجرح مائتان وأربعة آلاف .

انصرف الملك الى ابستان وحبس ابنه إسفنديار . فلما رأى أرجاسب غفلة الأيرانيين واشتغالهم بانفسهم هجم على بلخ وهى خلو من الجند ، وبها لهراسب الملك الناسك ، فقتلوا لهراسب وأسروا بنتى كشتاسب ، ونحروا بيوت النار ، وحرقوا كتب الزند .

جاء كشتاسب في جيشه ونازل التورانيين في جهات بلخ وباميان فوقعت الدبرة على الايرانيين واعتصموا ببعض الجبال وأحاط بهم العدو فأرسل الملك الى ابنه اسفنديار المحبوس يستنجده ويعهده الملك إن تقس عن قومه هذا الكرب الشديد . فجاء اسفنديار وهزم التورانيين وسار الى مقر الملك مدينة رومين دژ فاجتاز سبع عقبات من ظلمات وبحار وغيرها - كالعقبات السبع التي اقتحمها رستم في سيره الى مازندران من قبل . ثم يدخل المدينة دخول جذيمة الأبرش مدينة الزباء ويصبح في أصحابه فيقتلون أرجاسب وهزمون جنده .

هذه آخر المواقع في العصر الأول ، لا نسمع بعدها بالتورانيين الى أن يدال من الكيانيين لاسكندر المقدوني . والفترة بين الكيانية والساسانية على طولها لا تشغل كثيرا من القصص الايراني ولا ذكر فيها للتورانيين . ثم لا يذكر في عهد الساسانية قبل أيام الملك بهرام جور . ومعنى هذا أن الشاهنامه سكنت عن التورانيين زهاء ثلاثين وثمانمائة سنة .

وأما العصر الثاني فيبدأ أيام بهرام كور (٤٢٠ - ٤٣٨ م) اذ يغير خاقان الترك على إيران . ثم ثمادى الواقع في عهد الملوك من بعده الى كسرى أنوشروان (٥٣١ - ٥٧٨ م)^(١) الذي بنى سداً غربى بحر قزوين ليصد غارات التورانيين (الخزر) على بلاده . ثم صاهر الخاقان فتزوج ابنته ، وتخلى له الخاقان عن سمرقند والسغد والشاش^(٢) . ثم تعود الحرب أيام ابنه هرمزد فيحطم البطل بهرام جوين جيش توران ويقتل ملكهم الخ .

وآخر حديث عن التورانيين في الشاهنامه ما كان بين يزدجرد الثالث والخابان^(٣) إبان الفتح الاسلامي .

(ج) الروم :

ملوكهم من أبناء سلم بن أفريدون . وهي نسبة ظاهرة في الكتاب حتى في العهد الساساني التاريخي . فقد أوصى هرمزد ابنه پرويز ، جينا ثار عليه بهرام جوين ، أن يستجد ملك الروم لأنه من أبناء أفريدون^(٤) . وصلاتهم بالإيرانيين في الشاهنامه قليلة قبل الساسانيين . ومنها قصة كشتاسب في القسطنطينية (التي لا تذكر باسمها) وتروجه كايون بنت ملك الروم^(٥) .

وأما العهد الساساني فمسجل فيه ذكرى الواقع المظيمة المتأدية بين دولة الروم الشرقية والساسانيين .

(١) ص ٨٠ و ٩٢ ج ٢ الآتية . (٢) ص ١٣٩ وما بعدها . (٣) = ص ٢٦٩ وما بعدها :

المتن والحاشية . (٤) ص ٢٠١ ج ٢ ، الآتية . (٥) ص ٣١١ وما بعدها ، ص ٣١٣ و ٣١٤ ج ١ - الآتية .

وأما الرومان فكان جلاهم مع الدولة الأشكانية . وهذه لا خطر لها في الشاهنامه . ومن أجل ذلك ضاعت ذكرى الرومان كذلك .

وليس عن اليونان خبر إلا حروب اسكندر وسيرته . وعجيب أن تضع ذكرى حروب دارا وخلفه — الحروب التي شنها الفرس على بلاد اليونان ، وكان لها في التاريخ أثر بليغ ، وصدى تجاوبت به الأجيال بعد الأجيال .

(د) الهند :

الهند في الشاهنامه ، كما في الكتب العربية ، تشمل إقليم كابل وزابل من أفغانستان الحالية . ففي قصة زال وبنت مهرب يقال عن زال "ابن ملك الهند" ، وهو من زابلستان . ومنوچهر يولى ساما السند والهند . وإنما كانت ولايته في جهات مجستان وزابل . والهند الحقيقية تذكر في سيرة اسكندر وحروبه ، وفي ذهاب بهرام كور إليها ومصاهرة ملكها .

ولا نجد عداوة بين الهند والایرانیین ، إلا اختلاف الدين ، ولكنه يذكر في كلمات متساعمة . ونحن نعرف أن البوذية انتشرت في الهند وما صاقتها من الغرب منذ دخل فيها الملك الهندي أسوكا سنة ۳۵۰ م ، وأنها تمكنت في كابلستان الى عهد العباسيين . وفي الأستاق وصف كابل بأنها ذات الظلال الشرية ، والوثنية . وأثر هذا بين في الشاهنامه : ففي قصة زال وبنت مهرب يأتي زال أن يجيب دعوة مهرب لأن الكابليين عباد أصنام ، وتقول امرأة مهرب لسام : "وإن كان قصد الملك لسلاده (مهرب) من أجل الدين فإن إلهنا وإلهكم واحد لا خلاف بين الطائفتين فيه غير أن قبلتنا القنائيل والأصنام ، وقبلتكم الشمس والنيران" . رحيناً غاضب كشتاسب أباه وأراد أن يذهب الى الهند قال له أخوه : "وإذا دخلت الى بلاد الهند احتجت الى خدمة ملكها الذي لا يعبد إلا الهك ، وليس على دينك" .

وقد غفل رواة الشاهنامه عن الصلات القديمة بين الإيرانيين والهند — هذه الصلات التي تظهر في كثير من الأساطير التي في الكتاب نفسه .

(۱) انظر مسم ياقوت : كابل ، زابل . (۲) ص ۵۹ ، ج ۶۱ ، الآتية .

(۳) ص ۹۸ ج ۲ ، الآتية . (۴) ودرج ۱ ص ۱۵ (۵) ص ۶۹ ، ج ۶۱ ، الآتية .

(۶) = ص ۳۱۰

(هـ) الصين :

والصين في الشاهنامه، وفي الكتب العربية، يقال على تركستان أيضا . يقول عبد الرحمن الباهلي :

وإن لنا قبة بن قبر بلنجر وقبر بصين استان يا لك من قبر
فأما الذي في الصين عمت قوچه وهذا الذي يسبق به سبل القطر^(١)

يذكر قبر قتيبة بن مسلم الباهلي في تركستان ، وقبر سليمان بن ربيعة وراء نهر بلنجر في جهة الباب والأبواب .

ومن أجل هذا نجد الشاهنامه تسمى خاقان الترك خاقان الصين .

والصين الحقيقية تذكر أحيانا بما يجب منها من التحرير وغيره، وفي قصة اسكندر ومواضع أخرى . وإذا استثنينا تركستان فصلات ايران بالصين قليلة جدا في الشاهنامه وإن يكن التاريخ يحدث بسفارات بين الصين والساسانيين .

(و) العرب :

هم في الشاهنامه يمثلون الساميين كلهم ؛ ففي أخبارهم ذكرى الدول السامية القديمة ، وذكرى ما كان بين الفرس والعرب من بعد الى عصر الاسلام .

في الكتب العربية والفارسية كثير من لبس تاريخ الإيرانيين وأساطيرهم بأساطير الساميين وتاريخهم . كالذي يروي في نسب آدم وأبنائه ، ونسب كيومرث أبي البشر عند الفرس ، وأبنائه . وكما يرى من الشبه بين نوح وأولاده ، وأفريدون وأبنائه ، وكما يروي أن ابراهيم هوزردشت ، وأن الأبستاق هي صحف ابراهيم ، وأن محمدا الجنى الذي سرق خاتم سليمان هو الضحالك المحبوس في نهوند . وأمثال هذا كثير في الكتب العربية كالطبري ، وكتاب البلدان للهمداني ، ومروج الذهب والكتب الفارسية كفارس نامه . وهذه روايات نشأت بعد الإسلام فيما أظن .

وانما يعني ما في الشاهنامه ؛ فيها قصة حزن أفريدون على ابنه منوچهر وذهاب بصره ، كقصة يعقوب . وفيها نسل الارانيين والتورانيين والروم من أبناء أفريدون الثلاثة كما نسل الأمم من أبناء نوح . وفيها محاولة كيكاوس الطيران الى السماء كما سحرت ازيح سليمان . وقد أضل الشياطين كيكاوس ليخلصوا من عذابه حين سحروهم في البناء فزينوا له صعود السماء كما تمنى الشياطين الخلاص من تسخير سليمان^(٢) .

(١) البلدان ص ٢٨٧ . (٢) انظر حواشي فصول اليشاديين والكانيين من هذا الكتاب .

واما العرب فقد ورثوا في الضحاك عداوة الإيرانيين والساميين ، العداوة التي بقيت ذكرى للحادثات القديمة بين الأميين ، والتي سجل بعضها تاريخ الآشوريين . ويظن أن حدود إيران الغربية كلها كانت عرضة لغارات الساميين أيام الآشوريين ، وقد حارب هنالك سلمناصر الثاني (٨٥٨ - ٨٢٣ ق م) وملوك بعده الى أسر حدون الأول (٦٨١ - ٦٦٨ ق م) الذي حاول فتح ايران . ولم تخف وطأة الآشوريين على ايران إلا بعد سقوط نينوى (٦٠٦ ق م) .

فهذه الحادثات ، وما كان بعدها من العرب وغيرهم من الأمم المصاحبة ايران من الغرب تركت أثرا في أساطير ايران . وكان منها أسطورة الضحاك :

وهو ابن ملك عربي اسمه مرداس . أغراه ابليس بقتل أبيه فقتله واستبد بالأمر وعظم شأمو . ثم استنجد به الإيرانيون ليدفع عنهم عتو جمشيد . فاستولى على ايران وحكم ١٠٠٠ سنة يسوم الناس ألوانا من العذاب ، ويقتل منهم كل يوم رجلين يطعم بدماعهما الحيتين النابتين على كتفيه . والأبستاق تجعل مستقر الضحاك بوري ، وهي بابل . والشاهنامه جعلت مستقره بيت المقدس . وفي هذا دليل على أنه ذكرى الساميين لا العرب وحدهم^(١) .

على أن نسبة الضحاك الى العرب أدت الى نتيجة بينة في الكتاب . ولكن لا يبين اهتمام الرواة بها كثيرا ، وإشادتهم بها : ذلك أن مهرباب ملك كابل يُجمل من نسل الضحاك ، وبنته رودابه تسمى المخفرة العربية . ورودابه هي أم رسم بطل الأبطال . فالعرب أخوال رسم .

ومثل هذا تزويج أبناء أفريدون الثلاثة من ثلاث بنات الملك اليمين سرو . فقد جعل العرب أخوال بني أفريدون جميعا . وهم ملوك ايران وتوران والروم . ولكن قصص الشاهنامه تذكر هذا الزواج ثم تغفل نتائجها فلا تذكرها مرة واحدة .

ومن الحوادث العظيمة بين الإيرانيين والعرب غزو كيكائوس بلاد اليمين ووقوعه في أسر ملكها ، وتسمى اليمين في هذه القصة "هاماوران" وقد بيّنت في التعليق عليها أنها "حمير" . وهي الوقعة التي يفخر بها أبو نواس في قصيدته الفحطانية المعروفة :

وقاظ قابوس في سلاسلنا ستين سبعا وقت لحاسبها^(٢)

وكان من آثار هذه الغزوة أن تزوج كيكائوس بنت ملك اليمين سودابه . وسودابه أثرسي ، على زوجها ، وسيرة خبيثة في قصة سياوخش . وقد اضطر هذا الى أن يفاضب أباه ويلجأ الى العدو

(١) ص ٢٥ وما بعدها ، ج ١ - الآتية : (٢) ص ٢٧ ح ١ ، ج ١ الآتية .

الألاد أفراسياب ملك توران ، فرارا من مكائدها . وقد انتهى أمرها بأن قتلها رستم انتقاما لربييه سياوخش الذى قتل فى أرض توران^(١)، وأخذ كركل العرب فى العهد الذى قبل الساسانيين حرب داراب وشعيب بن قتيب الذى صمد لحرب الفرس فى مائة ألف من أولى النجدة فهزمهم داراب "وأطاعه سائر ملوك العرب، والترموا أداء الخراج اليه . فضد داراب الى بلادهم من يأخذ منهم خراج السنة الماضية مع خراج السنة الحاضرة"^(٢) .

وفى العهد الساسانى نجد صلات العرب والايانيين اقرب الى التاريخ بل بعضها تاريخى صحيح . ومنها إغارة الملك الفسانى واستيلائه على مدينة طيسفون (المدائن) فى عهد سابور ذى الأكتاف (٣٠٩ — ٣٧٠ م) . وفى هذه القصة بقايا محزنة من حرب أذينة ملك تدمر وسابور الأول ابن أردشير، ومن قصة ملك الحضرم وسابور بن أردشير أيضا^(٣) .

ثم نجد المودة بين أمراء الحيرة وملوك الفرس منذ عهد يزدكرد الأئيم (٣٩٩ — ٤٢٠ م) وابنه بهرام كور؛ يرسل يزدكرد ابنه الى الحيرة فينشأ على الفروسية هناك . ثم يموت الملك فيختار الفرس لللك رجلا غير بهرام . فأبى بهرام والمنذر بن النعمان، والنعمان ابنه، فيكفون الفرس على الرجوع عما عزموا عليه ويقتضى النزاع بتملك بهرام^(٤) .

ثم يذكر العرب فى أمور غير ذات خطر، حتى تذكر وقعة القادسية . وهنا يرى القارئ مخطط القصة حل العرب ، وتحقيرهم، والمبالغة فى وصف فقرهم ، وهمجيتهم . ويرى رستم القائد المنجم يصف العهد المقبل بأقامه ومصائبه . وفى هذا يتجلى ما ورثته العنعات الفارسية عن وقائع الفتح الاسلامى من النفور والبغضاء . ويكفى أن أثبت بيتين مما قيل على لسان رستم .

زشير شتر خور دن وسوسمار عرب وايچائى رسي داست كار

كه تاج يكارا كند آرزو نغوياد بر حرخ كردون نفو

"قد بلغ الأمر بالعربى من شرب لبن الابل، وأكل الضباب، الى الطموح الى تاج الكيانيين . فاف لك يا فلك السماء ! " .

ولا نجد فى الشاهنامه أثرا من الأساطير التى اخترعت فى العهد الاسلامى للتقريب بين العرب والفرس، وخطط أساطيرهم القديمة بعضها ببعض ، كالذى قيل من أن الفرس أبناء إسحاق فهم أبناء

(١) قصة سياوخش ص ١٥٥ وما بعدها ج ١، الآتية . (٢) = ص ٣٨٠ (٣) ص ٦٥ ج ٢،

الآتية . (٤) ص ٧٩ ج ٢، الآتية .

عم العرب الاسماعيليين وأقرب اليهم من القحطانيين : ويروى الطبرى والمسعودى شعرا في هذا منها أبيات منسوبة لجرير :

وأبناء إصحاق اللبث إذا ارتدوا	حمائل موت لا بسين السؤرا
إذا انتسبوا عدوا الصبيذ منهم	وكسرى وعدوا الهرمزان وقيصرا
وكان كتاب فيهم ونبوة	وكانوا باصطخر الملوك وتسترا
فيجمعنا والغرائب سارة	أب لا نبالي بعده من تانرا
أبونا خليل الله واقه ربنا	رضينا بما أعطى الإله وقدرنا ^(١)

وكذلك افتخر بعض الشعراء من الفرس بانتسابهم الى إصحاق، وفضل أهمهم سارة على هاجر :
قل لىنى هاجر : ما بنت لك^(٢) ما هذه الكبرياء والمظمة الخ

وكما روى أن الفرس كانت تأتى مكة وتطوف بالبيت تعظيما لحدها إبراهيم وأن آخر من حج منهم ساسان جد أردشير بن بابك، وأن بر زمزم سميت بزمزمته عليها :
زمزمت الفرس على زمزم وذاك من سالفها الأقدم الخ^(٣)

لا نجد في الشاهنامة أثر من هذا التقريب الإسلامى . وهذا برهان أن الكتاب احتفظ بالعنعنات القديمة . ولم يشبها بما اخترع بعد الاسلام إلا قليلا .

٧ - القصة، واتصال حوادثها، وأغلاطها :

يبحث قارئ الشاهنامة اتصال الحوادث بعضها ببعض ، وتذكر الوقائع المتقدمة في المصور المتأخرة ، ورجوع القاص الى ما قدمه ليحتج به كلما أراد .

ومن ذلك أننا نرى ، في آخر فصل منوچهر ، ساما جد رستم يخبر ابنه زالا أنه يحس دنو أجله فلا ينسى الراوى أن يخبرنا بموت سام في أول فصل نوذر^(٤) . ونقرأ في قصة سیاوخش عن تزوجه من جريرة بنت یران قائد التورانيين فلا يغيب القاص أن يخبرنا بأنه ولد من هذا الزواج ابن ، في الفصل الذى يقص فيه عن زيارة كرسيزو أى أفراسياب لسياوخش في المدينة الجديدة التى بناها ، مع أن السياق لا يجعل القارئ ينتظر خبرا من هذا القبيل . ثم لا ينسى أن يخبرنا بقتل هذا الابن على يد الإيرانيين أنفسهم وهم ذاهبون لحرب التورانيين في مكان لا ينتظر القارئ أن يصادف فيه ابن

(١) الطبرى ص ١٩٥ ج ١ . (٢) مروج الذهب ج ١ ص ١٤٩ ، ١٥٠ . (٣) ص ٧٨ ، ٨٤ ج ١ الآخرة

سياوخش^(١) . وقد وصف كيكائوس بالحق فما زال حقه يتجلى في تاريخه كله . وكذلك صداقة كستهم ويثن يذكرها الشاعر مرة فلا ينسى بعد أن يجعل أحدهما يجحد الآخر وقت الشدة حينما هزم الإيرانيون أيام كيخسرو ، وحينما انتدب كستهم لمطاردة اثنين من شجعان توران بعد موقعة يازده رخ^(٢) . وحينما أراد كيكائوس أن يعهد إلى من يخلفه تعصب كودرز لكيخسرو ، على فريبرز ابن كيكائوس . فتجد أثر هذا الخلاف حينما هزم الإيرانيون ، وهرب فريبرز بالعلم فأمر كودرز حفيده يزن أن يأخذ العلم من فريبرز قهراً^(٣) . ومثل هذا كثير .

ولكن القارئ يجد في مواضع قليلة خلاف هذا ؛ يجد ما يدل على نسيان الشاعر أو الراوى ، أو ما يدل على أن روايتين عن واقعة واحدة جعلتا واقعيتين يشعر القارئ حين يقرأ الثانية أنه يعيد قراءة الأولى .

ويظهر هذا التكرار في ذهاب طوس بالإيرانيين لحرب التورانيين ، وانتهزام طوس وغضب الملك عليه وحسبه ، ثم ذهابه قائدا مرة أخرى ليلقي هزيمة كالمزيمة الأولى . الراوى أظهر أنهما قصتان مختلفتان إذ ذكر رضا الملك على القائد وإرساله ليغسل الهزيمة الأولى^(٤) . ولكن حوادث الحربين تشعر القارئ أنهما حرب واحدة . وقريب من هذا قصة هفتخوان المروية عن إسفنديار ، فهي ، لا محالة محاكاة لقصة هفتخوان المروية عن رستم^(٥) .

ومن الغفلة أن الشاعر يقص أن بنى كودرز قتل منهم سبعون في وقعة بين إيران وتوران أيام كيخسرو ثم يقص في أخبار يزن وميزه ، وهي قصة عشق ، أن بنى كودرز لم يصابوا قط بمثل ما أصيبوا به من وقوع يزن في أسر التورانيين . ولا شك أن أسر رجل أهون من قتل سبعين . وهذا دليل على أن قصة المشق هذه قصة مفردة جمعت إلى قصص الشاهنامة ولم يحكم وصلها بها^(٦) . ومن ذلك أن الشاعر يذكر في أول قصة سياوخش أن أمه بنت كرسيز أنحى أفراسياب أو من قرابته . ثم يجعل كرسيز من بعد ألد حساد سياوخش والساعى في دمه دون أن يذكر هذه القرابة طول القصة . وما يقطع على القارئ قراءته أن يقرأ وصف المغارة المظلمة التي فيها ملك الجن ثم يقرأ أن رستم رأى هذا الملك وتبين صورته القبيحة في ظلام الغار ، وأن ملك مازندران لم يسمع بما أصاب ملك الجن على يدرستم ، وبما فعله الإيرانيون في بلاده إلا من كتاب أرسله إليه كيكائوس على

(١) ١٧٤ هـ ، ٢٠٥ ج ، الآتية (٢) = ٢٦٦ (٣) = ٢١٢ (٤) ص ٢١٥ هـ - ٢١١ ، ٢١١

٢١٦ هـ ، ١ ج ، الآتية . (٥) = ٢٤١ ، ١١٠ ص (٦) = ٢٤٧ ، ٢١٢ ص

القصة وإحكامها، وأغلاطها

حين أن كيكالوس كان محبوبا في ظلمات مازندان ؛ حبسه ملك الجن بتعريض ملك مازندران نفسه فلا يعقل أن يخلص الملك وجيشه من الأسر، ويفعل رسم أناعيله في البلاد والملك في غفلة من هذا .

ومن غفلات الراوى أو جامع القصص أن بعض الأبطال يموتون ثم يظهرون في القصص من بعد . فكلياد التوراني قتله قارن أيام كيقباد ثم ظهر في لعب الكرة في قصة سياوخش . وكهرم التوراني قتل في موقعة يازده رخ ثم ظهر في حرب أرجاسب و كشتاسب . وبارمان قتله قارن ثم وجدناه في حوادث أخرى . وألوا حامل رخ رسم قتله كاموس الكشاني ثم ظهر في حرب رسم واسفنديار . وكذلك قارن واغريث قتل ثم ظهرا . ولكن يمكن أن يقال في بعض هذه الأسماء إنها أسماء أشخاص آخرين .

أغلاط القصة :

يحد القارئ في الشاهنامه ، غير الزلات القصصية التي قدمت أمثلة منها ، أغلاطا تاريخية وجغرافية لا سبيل للجدالة فيها :

وحسب القارئ أن يقرأ قصة طواف كيكالوس في مملكته ، وذهابه الى هاماوران ، وقصة تعقب كيكسرو أفراسياب ليرى خلطا عجيبا في الجغرافيا^(٢) .

وفي قصة ذهاب رسم الى ما زندران يسأل رسم الأسير أولاد عن المسافة بينه وبين كيكالوس الملك الذي كان محبوبا في الظلمات فيقول أولاد: ” إن بينك وبين الموضع الذي حبس فيه كيكالوس مائة فرسخ ، ومن عنده الى مستقر ملك الجن مائة فرسخ أخرى “^(٣) . ويعلم القارئ أن مازندران لا تتسع لهذه المسافات .

ثم العربي النسائي الذي حاربه سابور ينهزم أمامه الى قلعة بالجن فيحاصره فيها سابور . وقد بينت أنها قصة ملك الحضرة المروية في الكتب العربية ، وقصة أذينة ملك تدمر^(٤) . وأشنع من هذا أن المنذر أخذ بهرام ككور ليربيه فحمله الى اليمن . ولست أظن الفردوسي يجهل الجغرافيا الى هذا الحد . وأحسب مثل هذا الغلط الأخير تحريفا من النساخ .

(١) مول ج ٤ ص ٥٢ (٢) ص ٢٩٠ ، ١١٩ ج ١ الآتية . (٣) = ص ١١٣ .

(٤) ص ٦٤ ، ٦٥ ج ٢ الآتية .

ومن الأغلاط التاريخية أن أفريدون نقش زندواستا على جدران مدينة كُنْدُز التي سميت من بعد بيكُنْد . وكتاب زندواستا جاء به زردُشت الذي بعث أيام كُشتاسب ، بعد أفريدون بقرون عدة . وكذلك تعبَّد كيخسرو بقراءة هذا الكتاب . ومثل هذا ذكر المسيحية والصليب في حروب اسكندر ودارا ، وجعل رسول الروم الى بهرام كور تلميذ أفلاطون^(٢) .

أثر الشاهنامه في القصص الفارسي :

تين من تاريخ الشاهنامه أنها حوت أساطير الفرس وتاريخهم على ما كانا عليه في القرن الرابع الهجري . ويؤيد هذا كتاب "غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم" الذي ألّفه الثعالبي في القرن الرابع وقدمه الى الأمير نصر أئى السلطان محمود الغزنوى الذى قدّمت اليه الشاهنامه . هذا الكتاب أقرب الكتب الى الشاهنامه في موضوعه وترتيبه . وفي هذا دليل على أن الشاهنامه تضمنت معظم ما كان معروفا في ذلك العصر .

وقد صارت الشاهنامه ، منذ نظمت وشاعت بين الناس ، عمدة التاريخ الفارسي القديم ، ووسيلة الى نشره وبثه بين الخاصة والدعاه بما أنشئت قصصها في المحافل ، وكلف بها الفرس في كل جيل . ولكنها لم تستوعب الروايات الفارسية كلها ؛ فهناك قصص فارسية في كتب أقدم من الشاهنامه كالطبرى والأخبار الطوال لم تذكر فيها .

فلما كلف الناس بالقصص المنظوم ، وسارت الشاهنامه وناظمها مثلاً بين الفرس حاول بعض الشعراء أن يمارضوا الكتاب أو يقاربوه فرجعوا الى الروايات القديمة ينظمون منها ما لم تحوهِ الشاهنامه ، ويتوسعون فيها حوته ليأتوا بجديد يلفت الناس اليهم . فنظموا قصصاً تدور حول أبطال الشاهنامه أو ذوى قراباتهم بعضها يكمل قصصاً في سياق الكتاب ، ويصل ما انقطع من نسقه ، وبعضها لا يحتاج اليه سياق الحوادث .

ومحاكاة الشاهنامه بادية في وزن هذه القصص وقافيتها وفي موضوعات بعض القصص التي تسدو للقارئ صورة أخرى من قصص الشاهنامه . كقصتي جهانكير أئى سهراب ، وبرزوين سهراب . فهما تشبهان قصة سهراب التي في الكتاب كما يظهر مما يأتى . بل بعض هذه القصص تتعدى الشاهنامه وتغض من أبطالها لترفع فوقهم أبطالاً آخرين تقص من أنبائهم ، كقصّة كرشاسب نامه .

(١) مولج ٤ ص ٢٢ . (٢) ص ٩٥ ج ٢ الآية .

وأكثر المؤلفين لا يذكرون أسماءهم ولا يعرف شيء عنهم إلا حدسا .

وقد بدأت محاكاة الشاهنامه، فيما يظهر، بعد نصف قرن من ختمها . فقصه كرشاسب نامه نظمت، كما يقول ناظمها، بين سنتي ٤٥٦ و ٤٥٨ هـ . ويظهر أن القصص الأخرى نظمت في القرن الخامس أيضا . وقد ظهر في القرن السادس ضرب آخر من القصص أعظم موضوعاته العشق ، وأكثر قصصه لا يستمد التاريخ الفارسي القديم . ووزنها يخالف وزن الشاهنامه . وقد عدت معظمها في فصل القصص الفارسي المتقدم . وفارط هذا الضرب من القصص الشاعر الكبير نظامي الكنجوي المتوفى في حدود سنة ٦٠٠ هـ . أخذ هذا النوع المكانة الأولى في القصص الفارسي منذ القرن السادس ولكن محاكاة الشاهنامه لم تنقطع . فقد نظمت بعد قصص منها كتاب شاهنشاه نامه الذي نظمت فيه سيرة فتح علي شاه في القرن الثالث عشر الهجري .

وفيا على بيان موجز عن القصص التي حاك الشاهنامه ^(١) :

١ - كرشاسب نامه :

بطلها كرشاسب أبو أسرة سام . وهي أكثر هذه القصص شيوعا وأقدمها فيما يظهر . نظمت بين سنتي ٤٥٦ و ٤٥٨ هـ . ويقول ناظمها في المقدمة أن بعض الكبراء قال له إن الفردوسي بديك حاز صيتا رفيعا، واقترح عليه أن يحاريه في نظم بعض التواريخ القديمة . ثم يذكر أن أمامه كتابا فيها سير وغير وأنه ينظم عنه ، ثم يستد هزائم رسم بطل أبطال الشاهنامه ، ويفضل عليه جده كرشاسب الذي فعل في الهند والصين والروم ما لم يستطعه رسم . ثم يتناول أسرة رسم من أوليتها فيذكر جمشيد إلى كرشاسب بطل قصته فيفيض في تبين مآثره .

ويقول المؤلف إن قصته سبعة آلاف بيت . وكثيرا ما يخلط النساخ أياتا من هذه القصة بالشاهنامه .

٢ - سام نامه :

بطلها سام جده رسم . ويبدوها الناظم بأيات من الشاهنامه في أول عهد الملك منوچهر يقول فيها سام إنه سيطوف في أقطار الأرض ليقهر أعداء الملك ، وتنتقل الشاهنامه بعدها إلى مولد زال ابن سام ولا تقص عن طواف سام في الأرض . فيذكر ناظم سام نامه وقائع سام في الصين والمغرب

(١) لم أنظر بمخطوطات هذه القصص في مصرا فاعتدت على مقدمة مول الترجمة الفرنسية للشاهنامه

وبلاد الصقالة . ثم يصل قصته بالشاهنامه عند مولد زال . ففرض المؤلف أن يسدّ هذا النقص الذي بدا له في قصة الفردوسي .

وفي هذه القصة زهاء ستة آلاف بيت .

٣ - جهانكيرنامه :

بطلها جهانكير بن رستم وأخو سهراب . تقص عن موت سهراب ثم تحدثت عن بطلها حديثاً كحديث قصة سهراب في الشاهنامه . جهانكير ينشأ بعيداً عن أبيه رستم ثم يأتي من قبل أفراسياب لحرب الإيرانيين ، ويقاثل أباه رستم وهو لا يعرفه . ثم يتعارفان وينحاز جهانكير إلى قوم أبيه ويقاثل مع الملك كيكاس في أقطار كثيرة . ثم يقتله يحيى في الصيد .

وفي هذه القصة نحو ثلاثة آلاف بيت . ويذكر مؤلفها أنه من هراة . ولا يعرف اسمه .

٤ - فرامرزن نامه :

وهي قصة صغيرة عن فرامرزن رستم ، تصف حربه دفاعاً عن ملك الهند الذي كان تابعاً للإيرانيين واستنجد الملك كيكاس ليردّ عنه عدوه . وتنتهي القصة بدخول ملك الهند نوشاد وجماعته في دين الفرس .

وفي القصة نحو ثمانمائة بيت .

٥ - بانوكشاسب نامه :

وهي قصة فذة بطلها امرأة هي بانوكشاسب بنت رستم وامرأة كيوين كودرز . تزوّجته بعد تراحم الأبطال عليها . وقد غضبت مرة على زوجها فربطته وسجنته حتى جاء أبوها رستم فخلصه . ولما وقائع في البطولة تضمنها في عداد الأبطال العظماء .

وفي القصة نحو خمسة آلاف بيت .

٦ - برزو نامه :

بطلها برزو بن سهراب وحفيد رستم . وهي تحوى ماثر آل سام التي أغفلتها الشاهنامه . وتبتدئ بأبيات من الشاهنامه في قصة سهراب ثم تشرع في الحديث عن برزو . وتجعله كمهراب وجهانكير ، يربى بعيداً من أبيه ثم يحاربه غير طارف به . ثم يأسره الإيرانيون فيعرف نسبه

المترجم والترجمة

ويبقى في قومه الإيرانيين . وقد تجنب صاحب هذه القصة كصاحب قصة جهانكير أن ينهى قصته بالمتنهي الفاجع الذي ختمت به قصة مهرا ب .

وفي القصة نحو ثلاثين ألف بيت . وناظمها يزعم أنه ينقل قصته عن كتاب قديم .

٧ - بهمن نامه :

بطلها الملك بهمن بن اسفنديار . يرى القارئ في الشاهنامه أن رسم قتل اسفنديار الذي أكره على محاربتة . فهذه القصة في معظم حوادثها تصف انتقام بهمن لأبيه من أسرة رسم ، ومطاردة أبطالها في الهند وغيرها ثم نبش مقابرهم في سيستان .

وأبطالها نحو خمسة آلاف . وقد كتبت للسلطان محمود بن ملكشاه السلجوقي الذي ملك سنة ٤٩٨ هـ .

يتبين من هذا البيان الوجيز أن ستاً من هذه القصص تدور حول أبطال من أسرة رسم ، وأن القصة السابعة معظم حوادثها متصل بهذه الأسرة . ولو عرف شيء عن أصحاب هذه القصص لأمكن أن يعرف أكان لتعصب أهل إيران الشرقية لأسرة الأبطال الزابلية - أسرة رسم أثر في الآثار من هذه القصص . والقصة السابعة كتبت لإعظام الملوك الكيانيين ، والحط من أسرة رسم ، والانتقام لاسفنديار بطل الدين الزردشتي . وقد رأينا في أثناء الشاهنامه وفي التعليق عليها كيف قابلت القصة رسم باسفنديار ثم تذبذبت في تفضيل أحدهما على الآخر .

الفصل السابع - المترجم والترجمة

١ - البندارى :

ترجم الشاهنامه الى العربية قوام الدين الفتح بن علي بن محمد البندارى الأصفهاني ، واسمه ولقبه يذكران مرارا في أثناء الترجمة ، ولا سيما نسخة كوبرلي التي قدمت الكلام عنها . ولا نعرف من تاريخه الا نبذا متفرقة في ترجمة الشاهنامه ومقدماتها ، وتتفا تذكر عرضا في بعض الكتب ^(١) .

(١) برادج ص ٢٠٤ ، ١٦٦ ، ٣٠٤ ، ٤٧٢ الخ ، دائرة المعارف الاسلامية : البندارى .

ويؤخذ من أقواله في أثناء الترجمة أنه نشأ في أصفهان وتربى بها، وأنه قدم الشام ولحق بالملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، وأنه لم يتخذ الشام دار إقامة بل كان يترقب الرجوع إلى بلده بعد الخطوة بمكافأة السلطان على ترجمة شاهنامه :

فهو في أثناء ترجمة أخبار قباد ينقل عن حمزة الأصفهاني أن قباد تزوج بنت دهقان من قرية اسمها أردستان على ثلاث مراحل من أصفهان^(١) . ونجد بعد هذا النقل هذه الجملة : « قال الفتح ابن علي : وحدثني بهذه الحكاية عن مشايخ أهل هذه الضيعة شيخنا تاج الدين محفوظ بن الطيب الطبري . وكان، رحمه الله، ينتهي نسبه إلى هذا الدهقان، وكان يباهي بذلك بين الأقران^(٢) الخ » .

وهذا يدل على أنه تعلم في أصفهان ونواحيها . وفي ترجمة قصة نهاب كيون كودرز الأصفهاني إلى تركستان مفتشا عن كيخسرو يقول : « ومكث كذلك يدور في بلاد توران راجيا للوقوع على أثر كيخسرو حتى أتت عليه سبع سنين لم يضع فيها ساعة سلاحه، ولا أراح يوما فرسه، ولا يأكل غير لحوم الوحش، ولا يلبس غير جلودها، يسير بين الجبال والشعاب بعيدا عن الأحباب والأصحاب، حليفا للوجوم أسيرا للهموم . وكأنا تكلم على لسانه مترجم الكتاب الفتح بن علي حيث باح بشكوى الاغتراب حين شطت داره، وامتدت أسفاره حيث قال في كلمة له (كتبها إلى والده أبي الحسن البنداري رحمه الله بأصفهان^(٣)) .

فيا صاح استمع أبئك شكوى	تزعج لا يرى يوما قرارا
بعيد الدار من أعلام جى	تغرب يركب الخطط الفارا
فيوما بين وحش الريف ضيفا	ويوما عند ذئب القاع جاوا
تكافه خطوب الدهر حتى	كان لديه للأيام ثارا
وتغزوه بجيش بعد جيش	وها هو يوسع الكل انكسارا
بصولة نافض عن لبدتيه	حكمت أظفاره الأسل الحاررا
وسطوة راجض في ظل بأس	يشق به على الفلك الصدارا

(١) ص ١١٧ ج ٢ الآية . (٢) هذه العبارة في نسخة كويريل فقط، كويريل ص ٢٩١ ج ٢ (دار الكتب المصرية ١٤٩٣ تاريخ) . (٣) ما بين القوسين من نسخة كويريل .

وكما عاود جيو بلدي هذا العبد أصهبان، بعد أن طالت سفرته، وتمازت غربته، مقرون السعي بالنجاح، فائزاً فوز المثل من القديح، فكذلك هو يرجو أن يثني عنانه ويماد أوطانه، صاعد الجدد، وارى الزند بسعادة مولانا السلطان الملك المعظم الخ^(١).

وقد ترجم للمعظم كتاب الشاهنامه ما بين جمادى الأولى سنة ٦٢٠ وشوال سنة ٦٢١ في مدينة دمشق^(٢)، ويظهر أنه جاء الى الشام سنة ٦٢٠، فهو يقول في المقدمة أنه لما قدم حضرة السلطان أهدى اليه كتاب الشاهنامه فأمره بترجمته "تقصي الملوك لما ندب له امتثالاً للأوامر العالية"^(٣). ولا ندرى كم أقام بالشام بعد هذا التاريخ. ولكن السلطان للمعظم توفي سنة ٦٢٤، فيحتمل أنه رجع الى بلده عقب وفاة السلطان إن لم يكن رجع قبلها.

والبنديارى أديب شاعر. كما يتبين لقارئ هذا الكتاب^(٤). ثم هو فقيه؛ يدل على ذلك تلقيه بالفقه الأجل في أشاء الكتاب^(٥). وهو مؤرخ؛ اختصر تاريخ السلاجقة الذى ترجمه عماد الدين الأصفهاني عن الفارسية. ألفه الوزير أنوشروان بن خالد، وزير السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي، ووزير المسترشد بالله، المتوفى سنة ٥٣٣. وهو الوزير الذى قدمت اليه مقامات الحريري. وقد طبع كتاب البنديارى في لندن والقاهرة^(٦). ويقال أنه اختصر كتاباً آخر لعماد الدين نفسه اسمه البرق الشامي^(٧).

٢ - الترجمة :

إذا أخذنا نسخة من نسخ الترجمة لنقيسها بالأصل فنسخة (طا) فيها زهاء ١٨٥٠٠ سطر، ومعدل كلمات السطر عشرة. فإذا فرضنا أن كل سطر مشور يترجم بيتين من الشعر دون إيجاف بالمعنى ففي ترجمة البنديارى ٣٧٠٠ ألف بيت من الشاهنامه. وقد تقدم أن الكتاب بين تحسين ألفا وستين. فإذا فرضناه خمسة وتحسين ألفا فقد اختصر المترجم زهاء ثلث الكتاب.

وذلك أنه أراد أن ينقل الى قراء العربية حوادث الشاهنامه مجملة مجزدة من أوصاف الشاعر المسببة، ومما يتصل بها من تفصيل دقيق :

وفيا على بيان تصرف المترجم في الكتاب موجزا :

(١) ص ١٩١، ١٩٢ ج ١ - الآتية . (٢) ص ١٠ السابقة . (٣) ص ١٢ ج ١ - الآتية .

(٤) نظرس ١٩٢، ١٩٧، ٢١٦، ٢١٨، ٢٧١ الخ ج ١ - الآتية . (٥) كوص ٢٩٤ ج ٢ .

(٦) برادن ج ٢ ص ٤٧٢، ١٦٦ (٧) دائرة المعارف الإسلامية : البنديارى .

(ا) يحذف المترجم بعض الفصول الصغيرة كما حذف فصل تجريب أفريدون أولاده، ومحاولة ملك اليمن تهر أبناء أفريدون^(١)، وحذف، في قصة منوچهر، قتل رستم الفيل الأبيض، وذهابه إلى الجبل الأبيض^(٢)، وحذف في قصة كاموس الكاشان مقاتلة رستم وجنكش^(٣). وحذف من قصة اسفنديار ورستم نصح زال ابنه رستم. وهكذا. ويستطيع القارئ أن يتبع الفصول المحذوفة بالرجوع إلى عناوانات الشاهنامه التي ألحقها بفصول الكتاب، وميزت فيها ما حذفه المترجم بوضعه بين قوسين.

(ب) ويحذف بعض حوادث الفصول، كما حذف ما كان بين رستم والتركمان حينما ذهب لإحضار كيقباد من جبل البرز، وحذف بيان أن زوج كيو هي بنت رستم، وأنها ذهبت إلى أبيها حينما سار زوجها إلى توران باحثاً عن كيوخسرو^(٤). وقد بينت في التعليقات بعض المحذوفات من هذا الضرب.

(ح) ويحذف أكثر مقدمات الفصول التي يتكلم فيها الشاعر عن نفسه، أو يعظ ويبين العبر من تقلب الأحداث. وقد بينت بعض هذا في موضعه. كما حذف مقدمة قصة سهراب التي يتكلم فيها الشاعر عن موت الشبان والحكمة فيه. ومقدمة قصة سيلاوخش التي يتكلم فيها الفردوسي عن الشعر والكلام البليغ.

(س) وحذف مدائح السلطان محمود. وقد أثبت بعضها بنصه، واختصرت بعضها، ونهت إلى بعضها في التعليق.

(هـ) واختصر الرسائل الطويلة، والخطب، والوصايا. وهذا مطرد في الكتاب.

(و) واختصر كذلك الأوصاف في الحروب، والأسفار، والمآدب، ووصف آلات الحرب أو الخيل، أو الوحوش الخ. فهو يقول بعد وصف الذهب الذي قتله كُشتاسب ببلاد الروم: «في أوصاف كثيرة ذكرها صاحب الكتاب^(٥)». ويقول في الحرب بين أرجاسب وكُشتاسب: «نزعهم الدقيق أن الأمر جرى على ما ذكره جاماسب الحكيم على التفصيل الذي سبقته الإشارة إليه فلم نطول نحن بأعادته»^(٦).

(ز) وينقل عن كتب أخرى كالطبري وحمزة الاصفهاني والمسعودي لبيان رواية غير التي ذكرها الفردوسي أو ذكر حادثة تركها. كما نقل عن الطبري انتساب الملك بهمن إلى بنيامين^(٧)، وكما

(١) ص ٤١ ج ١ الآتية. (٢) ص ٥٨ ج ٢. (٣) ص ٢٢٥ ج ١.

(٤) ص ٩٧، ٩٨ ج ١. (٥) ص ٢١٤ ج ١ الآتية. (٦) ص ٢٢٠. (٧) ص ٣٩٦.

روى قصة ملك الحضرة في عهد سابور بن أردشير، ونقل عن غير صاحب الكتاب ما كان بين هرمز ابن نرسی ورعيته^(١). ومثل هذا كثير.

والمترجم أمين في هذا كل الأمانة؛ لا يذكر كلمة واحدة من غير الكتاب إلا تبّه الى ذلك .

(ح) ويكذب ببعض الأساطير أثناء الترجمة. كما قال في قصة زال و بنت مهراب عن المردوسي: «قال، والعهد عليه: فدلّت قرونها وأشارت إلى أن يتعلّق بها ويصعد»^(٢). وكثيرا ما يقول: «فزعم صاحب الكتاب» .

(ط) ويغيّر الكلمات غير المألوفة أو التي لا تلائم الدين كما حذف كلمة «أهرمن» في الكتاب كله، ووضع مكانها كلمة « إبليس » أو «جنى» . وكذلك حذف بعض ما وصف به المسيح مما لا يلائم العقيدة الإسلامية في حرب رام بن برزین ونوشزاد الثائر على أبيه كسرى أنو شروان، وفي سفارة خرداد بن برزین في القسطنطينية أثناء كلامه عن المجوسية والمسيحية^(٣).

لغة الترجمة :

يقول المترجم في المقدمة : « لأن هذه الحضرة — لا زالت بسطة جلالها محجة من دواعي الاقتباس، ومعاهد دولتها محروسة عن يد الانتقاض — مجتمع قروم الفصاحة ومعرّس فحول البلاغة فكيف يضم دهمته الكالحة الى غرورهم اللامعة، ومجولم الواضحة، من يرتضخ لكنة أعجمية تنبو عنها الطباع، وتبعجها الأسماع » ثم يقول : «فلذلك ما أقدم المملوك على نقل الكتاب غير نازل في عبارته الى حضيض الإسفاف، ولا صاعد الى ذروة التكلف والاعتساف، متنكبا عن تليق الأسماع التي تستهجنها القرائح الصافية، والأذهان الزاكية» .

وقد صدق . فأسلوبه غير متكلف، وبيانه في جملة، ليس مُسِفا ولا عاليا . إلا جملا يتبين فيها القارئ أثر من العجمة في كتابه كما كانت يرتضخ لكنة أعجمية في منطقه . وأدع للقارئ إدراك العبارات الركيكة، والجلل النابية عن الأساليب الفصيحة، كما أدع له تقدير بلاغته في نظمه ونثره .

(١) ص ٥٨ ج ٦٢ ص ٢ الآتية . (٢) ص ٦٢ ج ١ الآتية . (٣) ١٢٩ ، ٢١١ ج ٢ الآتية .

(٤) ص ٦٣ ج ١ الآتية .

قيمة هذه الترجمة :

وبعد فقد ترجم كتاب الشاهنامه الى لغات كثيرة . وهذه هي الترجمة العربية الفذة . وقد يسهلها المترجم للقارئ وأوجزها فقترب له حوادث الكتاب، ومكنه من استيعابه في زمن قصير، وإن قوت عليه جمال الشعر وتفصيل الحادثات . وأحسب أن القارئ العربي ، بهذه الترجمة ، أقدر على الإحاطة بقبصص الشاهنامه من القارئ الفارسي . فهي كافية من يريد الالمام بالملحمة الفارسية الكبيرة، وهي وسيلة الى درس الأصل الفارسي لمن يريد . وقد رجحت بها اللغة العربية قصصا جديدة وأسلوبا في القصص طريفا .

ثم لهذه الترجمة خطر آخر . فقد ترجمت في أوائل القرن السابع الهجري، ولست أعرف نسخة من الشاهنامه تبلغ هذا القرن قديما . فيمكن الاستعانة بها على قد الكتاب الفارسي ، وتحكيمها بين النسخ المختلفة التي تفتاوت أبياتها من أربعين ألفا إلى ستين، كما تقدم . وعسى أن تكون فاتحة لدرس واسع، وبحث مستفيض في الشاهنامه، والقصص الفارسي، والآداب الفارسية كلها .

نسأل الله أن يهدينا للتي هي أقوم، ويعصمنا من خدعة النفس، وضلال الرأي، واقتراء القول . وهو حسبنا ونعم الوكيل .

عبد الوهاب عزام

شعبان سنة ١٣٥٠ هـ

الشَّاهِنَامَةُ

الجزء الأول

البشدايون والكيانيون

فهرس الحز الأول^(١)

صفحة

١ مقدمة المترجم

٥ مقدمة المؤلف

القسم الأول - الپشدادیون

١٣ ١ - جیومرث

١٧ ٢ - أوشهنج

١٩ ٣ - طهمورث

٢١ ٤ - جمشید

٢٥ ٥ - الضحاک

٣٧ ٦ - أفريدون

٥٠ ٧ - منوچهر

٥٢ ولادة زال وابتداء أمره

٥٩ قصة دستان و بنت مهرب

٦٣ انكشاف حال ر و ذابہ عند أمها وأبيها

٦٧ إرسال مهرب زوجة سين دخت الى سام

٧٠ وصول زال الى حضرة منوچهر

٧١ المسائل التي سئل عنها زال وما ذكر في جوابها

٧٤ رجوع زال الى أبيه ، ونهوضها الى كابل للعرس

٧٥ ولادة رستم بن دستان

٧٨ آخر أمر منوچهر

(١) العناوالت التي في الفهرس هي العناوالت التي وضعها المترجم لفصول الكتاب . وبعضها أضيق مما يذكر بعدها من الحوادث ولكن لم أستحسن تغييرها . وما يرى في الفهرس بين هذين القوسين [] عنوانات الفصول التي ترجمتها وأنتبتها في متن الكتاب .

صفحة	
٧٩	٨ - نوبة نودز والوقائع التي جرت في عهده
٨٢	اطلاع بشتك على وفاة منوجهر وما حدث بعد ذلك
٨٧	أمر أفراسياب نودز
٨٩	سلطنة أفراسياب في ممالك إيران وما جرى في نوبته
٩١	٩ - نوبة زون طهماسب وما جرى في عهده
٩٢	١٠ - كرشاسب

القسم الثاني - الكانيون

٩٩	١١ - نوبة كفياذ وما جرى في عهده
١٠٤	١٢ - نوبة كيكالوس وما جرى في عهده
١٠٨	سير كيكالوس الى بلاد مازندان
١١٠	سير رستم الى مازندان
١١٥	ما جرى بين كيكالوس وملك مازندان من المكاتبات وما أفضى اليه الأمر
١١٩	سير الملك كيكالوس الى هاما وران
١٢٤	ما جرى بين رستم وملك هاما وران
١٢٥	الخبر عن خلاص كيكالوس من معتقله وما جرى بعد ذلك
١٢٩	خروج رستم للصيد الى متصدى كان لأفراسياب والواقعة التي جرت بينهما فيه
١٣١	قصة سهراب
١٣٦	كتاب كيكالوس الى رستم وما يتصل به
١٤٧	[سماع أم سهراب بقتله]
١٥٠	ولادة سياوخش بن كيكالوس وابتداء أمره
١٥٥	عشق سودابه زوجة كيكالوس لسياوخش المذکور وقصتها
١٦٢	الخبر عن قصد أفراسياب لإيران، وانتداب سياوخش لقتاله
١٦٣	الرؤيا التي رآها أفراسياب في ليله هذه
١٦٦	مقدم كرسيز على سياوخش
١٦٨	رسالة كيكالوس الى سياوخش
١٧٢	سير سياوخش الى بلاد تركستان
١٨٠	سير أفراسياب لقتال سياوخش وما جرى عليه من ذلك
١٨٤	ولادة كيخسرو
١٨٧	الخبر عن اطلاع كيكالوس على قتل ابنه سياوخش وما جرى بعد ذلك

فهرس الجزء الأول

صفحة	
١٨٩	استيلاء رستم على بلاد الترك وسلطته بها
١٩١	رؤيا جوذرذو وإفاده جيوا الى بلاد تركستان لطلب كيخسرو وتخليصه له
١٩٦	مقدم كيخسرو الى ايران واحتفال أهلها له واستشارهم به وما يتصل بذلك
١٩٩	١٣ - نوبة الملك كيخسرو وما جرى في أيامه من الوقائع. وكانت مدة ملكه ستين سنة ...
٢٠٥	إفقاذ كيخسرو طوسا الى قتال أفراسياب، ووقعة فروذ بن سياوخش ...
٢١١	تبنيت ييران للآريانيين وكبسه إياهم ...
٢١٢	ما جرى على الآريانيين من الكسرة الثانية ...
٢١٥	وقعة كاموس الكشاني ...
٢١٨	اطلاع الملك كيخسرو على حال الآريانيين ...
٢١٩	ذكر رؤيا وآها طوس ...
٩٣١	ما دبره أفراسياب عند اطلاعه على ما جرى على أصحابه
٢٣٥	قصة رستم مع أكون الجني ...
٢٣٨	قصة بيزن ومنيزه ...
٢٥٠	الوقعة المعروفة بإزده رح ...
٢٥٩	مكاتبة جرت بين جوذرذو ويران ...
٢٦٢	مبارزة الاصهجين من الفريقين ...
٢٦٣	مبارزة جوذرذو ويران وقتل جوذرذوله ...
٢٦٤	اطلاع فرشيد ولهاك على مقتل ييران وما جرى عليها بعد ذلك ...
٢٦٧	وصول الملك كيخسرو واتصاله بساكره وما جرى بعد ذلك ...
٢٦٩	وقائع الملك كيخسرو وشرح فتوحه ومقاماته التي شهد بها بنفسه (في هذا الفصل مدح الملك المعظم)
٢٧٣	[مدح السلطان محمود]
٢٧٨	رسالة أفراسياب الى كيخسرو على لسان شيده ومبارزتهما وقتل شيده وانتهزام أفراسياب
٢٨٢	عبور الملك كيخسرو الى ماوراء جيحوده وما تسرله من الفتح بعد ذلك ...
	إفقاذ الملك كيخسرو جيوا بالأسارى والفنائم الى خدمة كيكاوس ودخوله الى الصين وبلاد مكران وركوبه
٢٩٠	البحر خلف أفراسياب
٢٩٣	انصراف الملك كيخسرو من بلاد توران وعوده الى ايران وما تعقب ذلك من غفرة بأفراسياب
٢٩٨	وفاة الملك كيكاوس ...
٢٩٩	انقضاء مدة الملك كيخسرو وخاتمة أمره ...
٣٠٣	ذكر إيصائه الى جوذرذو كخفية قصة المالك على الأكابر وعهده الى لهراسب الى آخر أمره

- صفحة
- ١٤ - نوبة طراسب وما جرى في عهده . وكانت مدة ملكه مائة وعشرين سنة ... ٣٠٨
- سير كشتاسب الى بلاد الرمام وما جرى عليه ... ٣١١
- قصة كشتاسب مع أهرن ... ٣١٦
- ما جرى بين الياس ملك الخزوين وقصره ... ٣١٨
- مراسلة قصر طراسب بذلك (طلب الخراج) ... ٣٢٠
- واقعة للفردوسي ناظم الكتاب أخبر بها في هذا الموضع (في هذا الفصل مدح الملك المعظم) ... ٣٢٢
- ١٥ - نوبة كشتاسب بن طراسب وكانت مدة ملكه مائة وعشرين سنة ... ٣٢٣
- قبض كشتاسب على ولده اسفنديار وحجبه إياه ... ٣٣٣
- مقتل طراسب من كلام الفردوسي ... ٣٣٥
- وقائع هفتخوار وما يتعلق بها من فتح رومين وذو قتل أرياسب ... ٣٤١
- ما جرى بين رستم واسفنديار وما أفضى اليه حالهما ... ٣٥١
- مقتل رستم ... ٣٦٥
- ١٦ - نوبة بهمن بن اسفنديار . وكانت مدة ملكه ستين سنة ... ٣٦٩
- ١٧ - نوبة هُمای جهر ازاذ بنت بهمن بن اسفنديار . وكانت مدة ملكها ثلاثين سنة ... ٣٧٣
- ١٨ - نوبة داراب بن بهمن بن اسفنديار . وكانت مدة ملكه اثنتي عشرة سنة ... ٣٧٩
- ١٩ - نوبة دارا بن داراب . وكانت مدة ملكه أربع عشرة سنة ... ٣٨٢